



3 1761 04385 2607









٢٢٨	(٢) الإصلاحات القضائية
٢٣١	(٣) التربية والتعليم
٢٣٥	دار الكتب
٢٣٦	دار الآثار المصرية
٢٣٩	(٤) منع تجارة الرقيق
	(٥) منح السلطة للنظار وانشاء
٢٤٢	مجلس شورى النواب
	(٦) التقدم المادى والاعمال
٢٤٣	العامه
٢٤٤	الزراعة
٢٤٥	التجارة
٢٤٦	الاعمال العامة
	(٧) -حروب اسماعيل باشا
٢٤٧	وفتوحه
٢٥٢	(٨) اتمام قناة السويس
	الفصل الرابع - المسألة المالية وانهاء
٢٥٤	حكم اسماعيل
	الفصل الخامس - أوائل حكم
٢٦٤	توفيق باشا
٢٧٠	الفصل السادس - الحوادث العراقية
	الفصل السابع - عهد الاحتلال
	البرطانى
	(١) قدوم اللورد دفرين الى
٢٨٤	مصر
	(٢) الحروب السودانية ( ظهور
٢٨٨	المهدى واخلاء السودان )
٢٩٨	استرجاع السودان
	(٣) تقدم مصر منذ عام ١٨٨٢م
	(خصوصاً من جهة الاشغال
٣٠٢	العامه)

١٥٠	التقدم المادى
١٥١	الزراعة
١٥٢	الصناعة
١٥٦	الاشغال العامة
١٦٢	نهضة التعليم
١٦٧	الجيش
١٧٢	البحرية
١٧٣	ميزانية الحكومة
١٧٤	(٥) حرب اليونان
١٧٩	(٦) حرب الشام
	حكومة محمد على فى بلاد الشام
١٨٨	وغزواته الثانية لها
١٩٥	تدخل دول أوربا
١٩٧	الحملة الاخيرة
	(٧) شيخوخة محمد على وحكم
٢٠٤	ابراهيم
	الفصل الثالث - الطريق البرى
٢٠٧	للهند
	مايخص لأهم الحوادث التاريخية
	فى الباب الثانى
	❖ الباب الثالث ❖
	تاريخ مصر بعد عهد محمد على باشا
	الفصل الاول - عباس باشا الاول
	وسعيد باشا
٢١٠	(١) عباس باشا الاول
٢١٣	(٢) سعيد باشا
٢١٥	الفصل الثانى - قناة السويس
٢٢٣	الفصل الثالث - اسماعيل باشا
	(١) وزانة العرش واصلاح
٢٢٦	وتأييد الاستقلال الداخلى



# فهرست

## کتاب تاریخ مصر من الفتح العثماني

صحيفة

بالاستكشافات البرتغالية ٧٣

(٦) أشهر الولاة وأهم الحوادث ٧٨

عودة النفوذ الى المماليك المبكوات ٨٥

زوال ما كان للسلطان من القوة

والنفوذ في مصر على يد على

بك الكبير ٨٨

ملخص بأهم الحوادث التاريخية

الواردة في الباب الاول

### \*( الباب الثاني )\*

تاريخ مصر من الحملة الفرنسية

الى انتهاء حكم محمد على

الفصل الاول — الحملة الفرنسية

على مصر ٩٢

الفصل الثاني — محمد على باشا

(١) نشأته ونهوضه ١١٧

توطيد سلطة محمد على في مصر ١٢٨

القضاء على المماليك ١٣١

(٢) الحروب الوهابية في بلاد

العرب ١٣٤

(٣) فتح السودان ١٤١

(٤) أعمال محمد على باشا في

الديار المصرية ١٤٧

الحكومة في عهد محمد على ١٤٨

### \* الباب الاول - عهد الدولة العثمانية \*

صحيفة

الفصل الاول — الفتح العثماني ٥

الفصل الثاني — نبذة في تاريخ

الدولة العثمانية ١٦

(١) منشأ العثمانيين ونهوضهم ١٦

(٢) اضمحلال الدولة البوزنطية

وسقوط القسطنطينية في

يد العثمانيين ٢٢

(٣) الدولة العثمانية في أوج عظمتها ٢٦

(٤) ابتداء اضمحلال الدولة

العثمانية ٣٨

(٥) عهد سلطة الوزراء —

اسرة كبريلي ٤٦

(٦) الدولة العثمانية وحروبها مع

الروسيا والنمسا في القرن

الثامن عشر ٥٤

الفصل الثالث — حكم العثمانيين في

مصر ٦٣

(١) نظام الحكومة ٦٤

(٢) الضرائب ٦٥

(٣) المباني ٦٦

(٤) المماليك وأهل البلاد ٧٠

(٥) تجارة مصر وشواطئ

البحر الابيض وتأثرها

١٨٨٤	يناير	١٣٠١	ربيع ١	خروج غردون الى السودان لاخلائه
»	فبراير	»	جمادى ١	هزيمة الجنرال بيكر عند الطيب
»	مارس	»	»	جراهم يقهر عثمان دقنة عند ظماى
»	فبراير	»	ربيع ٢	وصول غردون الى الخرطوم
»	مايو	»	رجب	قطع المهدي خط الرجعة عليه
١٨٨٥	يناير ٢٥	١٣٠٢	٨ ربيع ٢	وصول حملة انفاذ غردون الى الشلال السادس
»	يناير ٢٦	»	٩	استيلاء الدراويش على الخرطوم ومقتل غردون
»	يوليه	»	رمضان	وفاة المهدي ونولى التعايشى الخلافة
»	ديسمبر	١٣٠٣	ربيع ١	قهر التعايشى عند جنس بعد عزمه على فتح مصر
١٨٨٩	مايو	١٣٠٦	رمضان	قهر ولد النجومى الزاحف على مصر فى طوشكى
١٨٨٩ — ١٨٨٤		١٣٠٦ — ١٣٠١		اصلاح القناطر الخيرية
١٨٩١		١٣٠٨		تهدة السودان الشرقى
١٨٩٦		١٣١٣		خروج كتشنر لاسترجاع السودان
١٨٩٨	سبتمبر	١٣١٦	ربيع ٢	واقعة أم درمان
١٨٩٩	يناير	١٣١٦	رمضان	اتفاقية السودان بين مصر وانجلترا
١٨٩١		١٣٠٨		انشاء سد قشيشة
١٩٠٢		١٣٢٠		انشاء قناطر زفتى ( انتهىها )
١٩٠٢ — ١٨٩٨		١٣٢٠ — ١٣١٥		انشاء قناطر أسيوط وخزان أسوان
١٩٠٩		١٣٢٧		» اسنا ( انتهىها )
١٩١٢		١٣٣٠		تعلية خزان أسوان ( انتهىها )

١٨٧٩ أغسطس ١٨	٢٩ شعبان ١٢٩٦	استقالة وزارة شريف باشا
» سبتمبر	» شوال	تشكيل وزارة برياسة رياض باشا
١٨٨٠ يوليو ١٧	٨ شعبان ١٢٩٧	اصدار قانون التصفية
» مايو ٢٧	١٧ جمادى ٢	تشكيل لجنة علمية للنظر في أمر التعليم
١٨٨١ يناير ١٥	١٣ صفر ١٢٩٨	تقديم العرايين معروضاً الى رياض باشا
» سبتمبر ٩	١٥ شوال	مظاهرة عابدين
» سبتمبر ٩	١٥ شوال	منشور عرابي لسفراء الدول يطعنهم فيه
» سبتمبر ١٤	٢٠ شوال	تشكيل وزارة برياسة شريف باشا
» ديسمبر ١٨	٢٦ المحرم ١٢٩٩	تنصيب محمد سلطان باشا رئيساً لمجلس الشورى
١٨٨٢ يناير	» ربيع الاول	تنصيب عرابي باشا وكيلاً للحرية
» يناير ٨	١٩ صفر	ارسال فرنسا وانجلترا مذكرة الى الخديوى
» فبراير	» ربيع الاول ١٢٩٩	تعدانه بالمساعدة ان اقتضى الحال
» مايو	» رجب	استقالة وزارة شريف باشا وتشكيل وزارة البارودى
» يونيو ١١	» ٢٤ رجب	طلب فرنسا وانجلترا استقالة الوزارة وابعاد عرابي
» يونيو ٢٣	» ٦ شعبان	حادثة ١١ يونيه (واقعة الاحد)
» يوليو ١١	» ٢٢ شعبان	انعقاد مؤتمر فى الاستانة للنظر فى شؤون مصر
» سبتمبر ١٣	» ٢٩ شوال	ضرب الاسطول الانجليزى قلاع الاسكندرية
١٨٨١	١٢٩٨	موقعة التل الكبير
١٨٨٢	١٣٠٠	أول ظهور المهدي
١٨٨٣ يناير	» ربيع الاول	قدوم اللورد دفرين الى مصر
»	»	صدور أمر عال بالغاء المراقبة الثنائية
» سبتمبر	» ذى القعدة	تنصيب السير افلن وود سردارا للجيش المصرى
»	»	تنصيب السير افلن بيرنج معتمدا لانجلترا فى مصر
» سبتمبر	» ذى القعدة	استيلاء المهدي على مدينة الابيض
» نوفمبر	» ١٣٠١	خروج جيش هكس من الخرطوم لاسترداد الابيض
»	» المحرم	خبر ابادة جيش هكس باشا



١٨٧٢—١٨٧١	١٢٨٨	انحطاط قيمة سهام قناة السويس لقلة الرخ
١٨٧٣	١٢٩٠	انعقاد مؤتمر دولي بلندن للنظر في أمر القناة
»	»	تقليد من الباب العالي مؤيد للتقاليد السابقة
»	»	ومنح اسماعيل باشا استقلالاً داخلياً
»	»	فتح دارفور
١٨٧٥ يناير	١٢٩١	تشكيل المحاكم المختلطة
» فبراير	١٢٩٢	الجملة على حوض نهر جوبا وجهات قسمايو
» سبتمبر	١٢٩٢	فتح هرر على يد محمد رؤوف باشا
»	»	فشل حملة منزنجير على بلاد الحبشة
١٨٧٥	١٢٩٢	نزول الدولة عن زيلع للحدوي مقابل جزية
»	»	بيع نصيب الحكومة من سهام القناة لالمنجيرة
» اكتوبر	١٢٩٢	وقد « كيف » لاصلاح المالية المصرية
١٨٧٦ يناير	١٢٩٣	هزيمة الجيوش المصرية عند قرع
»	»	افتتاح المحاكم المختلطة
» ابريل	»	ايرام الصلاح بين مصر والحبشة بعد موقعة قرع
»	»	توقف اسماعيل عن دفع قيمة اسناد الخزانة
» نوفمبر	»	انقاص الدين الموحد بانفاق المنجيرة وفرنسا
١٨٧٧	١٢٩٤	عودة غردوق وتنصيبه حاكماً عاماً على السودان
١٨٧٨ ابريل	١٢٩٥	تشكيل لجنة التحقيق
» أغسطس	»	وزارة مؤاخذه برئاسة نوبار باشا
» اكتوبر	»	النزول عن معظم املاك الاسرة الخديوية
»	»	ثوران الجند وقبضهم على نوبار ورفرزلسن
»	»	اقالة نوبار باشا وتنصيب الامير توفيق
١٨٧٩	١٢٩٦	عدم رضا الخديوي بقرارات لجنة التحقيق
»	»	والوزارة وحله الوزارة
» يونيه	»	نزول اسماعيل باشا عن اريكة مصر
» أغسطس	»	توفيق باشا ( توليته )

ملخص لأهم الحوادث في الباب الثالث

٢	١	
١٨٦٣ - ١٨٤٩	١٢٧٩ - ١٢٦٥	* عباس باشا الأول وسعيد باشا *
١٨٥٤ - ١٨٤٩	١٢٧٠ - ١٢٦٥	عباس باشا الاول
١٨٥٦ - ١٨٥٢	١٢٧٢ - ١٢٦٨	انشاء الخط الحديدى بين القاهرة والاسكندرية
١٨٥٤ يوليه	١٢٧٠ ذى الحجة	مقتل عباس باشا الاول فى قصره ببها
١٨٦٣ - ١٨٥٤	١٢٧٩ - ١٢٧٠	سعيد باشا
١٨٥٤	١٢٧١	اذنه لديسبس بابتداء حفر قناة السويس
١٨٥٦ يناير	١٢٧٢ ربيع الثانى	عقد الاتفاق النهائى لحفر القناة
١٨٥٨	١٢٧٤	سن قانون الاراضى
»	١٢٧٥	موافقة الباب العالى على حفر القناة
١٨٥٩ يناير	» رمضان	ابتداء العمل فى حفر القناة
١٨٦٢	١٢٧٨	امضاء عقد أول قرض مصرى فى لندن
١٨٦٣	١٢٧٩	وفاة سعيد باشا
١٨٧٩ - ١٨٦٣	١٢٩٦ - ١٢١٩	اسماعيل باشا
١٨٦٣	١٢٨٠	افتتاح دار الآثار المصرية رسمياً ببولاق
١٨٦٤	١٢٨١	غلاء القطن بسبب الحرب الاهلية فى أمريكا
١٨٦٥	١٢٨٢	شراء اسماعيل باشا مصلحة البريد للحكومة
١٨٦٦ ٢٧ مايو	١٢٨٣ ٢ المحرم	جعل الوراثة فى اكبر أنجال الخديوى
»	»	شراء اسماعيل باشا مصوع وسواكن من الباب العالى
»	»	تشكيل مجلس شورى النواب
» يوليه	١٢٨٤ ربيع الاول	منح اسماعيل باشا لقب خديوى
١٨٦٧	١٢٨٤	سن قانون ١٠ رجب بشأن التعليم وترقيته
١٨٦٩ نوفمبر	١٢٨٦ شعبان	اتمام حفر القناة وحفلة افتتاحها
١٨٧٠	١٢٨٧	تولية منزجر السوسرى على مصوع
١٨٧١	١٢٨٨	اعلان ضم المقاطعات الاستوائية الى مصر رسمياً

السهل اصلاحها في وقت قريب . فبقى الاصلاح سائراً فيها يبطء الى أن اقترح اللورد كرومر عام ١٣٠٨ هـ ( ١٨٩١ م ) تعيين مستشار قضائي بوزارة الحقانية ، ليشرح على هذه المحاكم ويوضح ما اعتل فيها . فعارض في ذلك رياض باشا رئيس الوزارة واعتزل منصبه ، خلفه مصطفى فهمي باشا ووافق على تعيينه \*

المستشار  
القضائي

بذلك دخلت المحاكم في طور اصلاح جدي ، فنظمت أعمالها وسهلت حركتها وفصل منها القضاة الذين لم تتوافر فيهم شروط الكفاءة ، وأضاحت مدرسة الحقوق لتخرج قضاة أكفاء . ثم زيد في عدد المحاكم تنهيلاً للقاضي بين أهل القطر . وفي الجملة يُعتبر جوهر نظام المحاكم الحالي مستحدثاً في هذا العصر

طور جديد  
للمحاكم

كذلك عمّ الاصلاح باقي مصالح الحكومة . فنظمت أعمال المالية ، وضبط حسابها ، ومُسحت الأراضي وحُدّت الضرائب ، وعُيّنَت لجبايتها مواعيد تناسب حال الفلاح . وألغيت السخرة ، وبطل استعمال السوط ( الكرباج ) ، الآ في بعض أنواع العقاب . وزيد من الطرق الزراعية في أنحاء البلاد حتى صار مجموعها لا يقل عن ٢٥٠٠ كيلومتر . وسمح للشركات الأوربية بمباشرة أعمال مالية شتى ، فانتشرت بذلك سكك الحديد الضيقة في الوجهين القبلي والبحري ، وفيها تسهيل كبير لنقل حاصلات البلاد . وانشأت الشركات أيضاً خطوط ( الترام ) في القاهرة والاسكندرية فسهل الانتقال فيهما ، كما أُشْئ فيهما كثيرٌ من المباني العظيمة التي اكتسبت هاتين المدينتين فخامة وجمالاً تضارعان فيهما كثيراً من المدن الأوربية العظيمة . ومن أعظم ما أنشأته الحكومة من هذه المباني قصر المحكمة المختلطة الكبرى بالاسكندرية ، ودار العاديات المصرية بالقاهرة ، ولا سيما البناء الأخير الذي أصبح بجعله وفخامته لافتاً لأن يضم بين جدرانها الكنوز النفيسة من الخلفات المصرية القديمة

الاصلاحات  
العامة

وكثرت العناية بالأمور الصعبة ، وانتشرت المستشفيات في أنحاء البلاد . ذلك الى ما أُشْئ من المكاتب والمدارس في جميع أطراف القطر ، واعادة عهد البعث العلمية الى أوربا حيث يغترف الشبان المصريون من أنجر المعارف والعلوم الأوربية وجملة القول ان في البلاد المصرية نهضة مباركة عظيمة ، يجب على كل مصري معاضدتها والسير بها الى ما فيه خير مصر وفلاحها



البلاد اذا اشتد الفيضان ويكون بمثابة حوض عظيم لحزن مقادير وافرة من المياه . وقد ذكرنا أن نفقة انشاء خزان أسوان وقناطر أسيوط بلغت ٤,٧٠٠,٠٠٠ جنيه ، ولكننا لا نكون مغالين اذا قلنا ان مجموع ما اكتسبته مصر الى الآن من وراء انشائها لا يقل عن خمسة أمثال هذا المبلغ . وكذلك بلغت نفقات تحويل رى الحياض الى رى دورى بمصر الوسطى نحو ٦,٥٠٠,٠٠٠ جنيه ، ولكنه عاد على البلاد بفائدة تقدر بنحو ٢,٦٧٥,٠٠٠ جنيه

وبالجدول الآتى بيان دخل الحكومة ومصروفها فى عدة سنوات ، ولكن يجب ازدياد الميزانية عند الرجوع اليه أن نلاحظ أن ضريبة الأرض فى تلك المدة نقصت عما كانت عليه

السنة	الوارد	المصرف	السنة	الوارد	المصرف
١٨٨٦	٩,٢٤١,٥٨٦	٩,٢٣٢,٧٤٦	١٩٠٥	١٤,٨١٣,٠٠٠	١٢,١٢٥,٠٠٠
١٨٩٠	١٠,٢٣٧,٠٠٠	٩,٥٩٠,٠٠٠	١٩٠٧	١٦,٣٦٨,٠٠٠	١٤,٢٨٠,٠٠٠
١٨٩٤	١٠,١٦١,٠٠٠	٩,٤٧٠,٠٠٠	١٩٠٨	١٥,٥٢٢,٠٠٠	١٤,٤٠٨,٠٠٠
١٨٩٥	١٠,٤٣١,٠٠٠	٩,٤٢١,٠٠٠	١٩٠٩	١٥,٨٨٧,٣١٣	١٤,٩٠٠,٠١٥
١٨٩٧	١١,٠٩٣,٠٠٠	٩,٧٠٩,٠٠٠	١٩١٠	١٥,٩٦٥,٦٩٣	١٤,٤١٤,٤٩٩
١٩٠١	١١,٩٤٤,٠٠٠	٩,٩٢٤,٠٠٠	١٩١٢	١٧,٥١٥,٧٤٣	١٥,٤٧٠,٥٨٤
١٩٠٣	١٢,٤٦٤,٠٠٠	١١,٧٢٠,٠٠٠	١٩١٣	١٧,٣٦٨,٦١٦	١٥,٧٢٨,٧٨٥

وقد تم فى هذا العصر أيضاً اصلاحات أخرى كثيرة تناولت كل مصالح الحكومة . من أهم ذلك اصلاح المحاكم الأهلية ، فانها كانت قبل الثورة العرابية غير منتظمة ، لا تحكم بمقتضى قانون خاص ، وكانت الحكومة المصرية قد أحسّت بهذا النقص ، وأعدت قانوناً أهلياً شبيهاً بالقانون الفرنسى ، لتجعله سارياً فى جميع المحاكم الأهلية . فلما احتل الانجليز مصر وابتدأت نهضة الاصلاح عقب قدوم اللورد دفرين عرضت اصلاح المحاكم الوزارة المصرية هذا القانون فتمت الموافقة عليه ، وعمل به

وكانت المحاكم الأهلية قبلُ لا تنظر فى قضايا الجرائم الكبيرة ، بل كانت تُنظر أمام لجان خاصة يرأسها المدير تسمى « لجان الأشقياء » لم تكن أحكامها دائماً مطابقة للعدالة ، فنقرر الغاؤها . على أن حالة المحاكم الأهلية كانت سيئة جداً ، ولم يكن من

الماء قبله وبعده ( فرق التوازن ) ٢٠ متراً ، وبه ١٨٠ باباً ، ويخزن المياه الى ارتفاع يزيد على سطح البحر بنحو ١٠٦ أمتار . وقد بلغت نفقات انشائه هو وقناطر أسبوط ٤٧٠٠٠٠٠٠ جنية ، ولكنه أفاد من أول سنة من انشائه فائدة تكاد توازي كل هذه النفقات ، إذ لولاه في تلك السنة هو وقناطر أسبوط لكنت الطامة كبرى على البلاد ، فقد كان النيل فيها منخفضاً جداً ، ولم يكد يشعر بنقصه أحد . وجاء منخفضاً مرة أخرى عام ١٣٢٣ هـ ( ١٩٠٥ م ) ، فكان الخزان أيضاً اكبر عون للبلاد ويتضح من الجدول الآتي الفائدة التي عادت على مصر من هذه المشروعات العامة في سنى انخفاض النيل

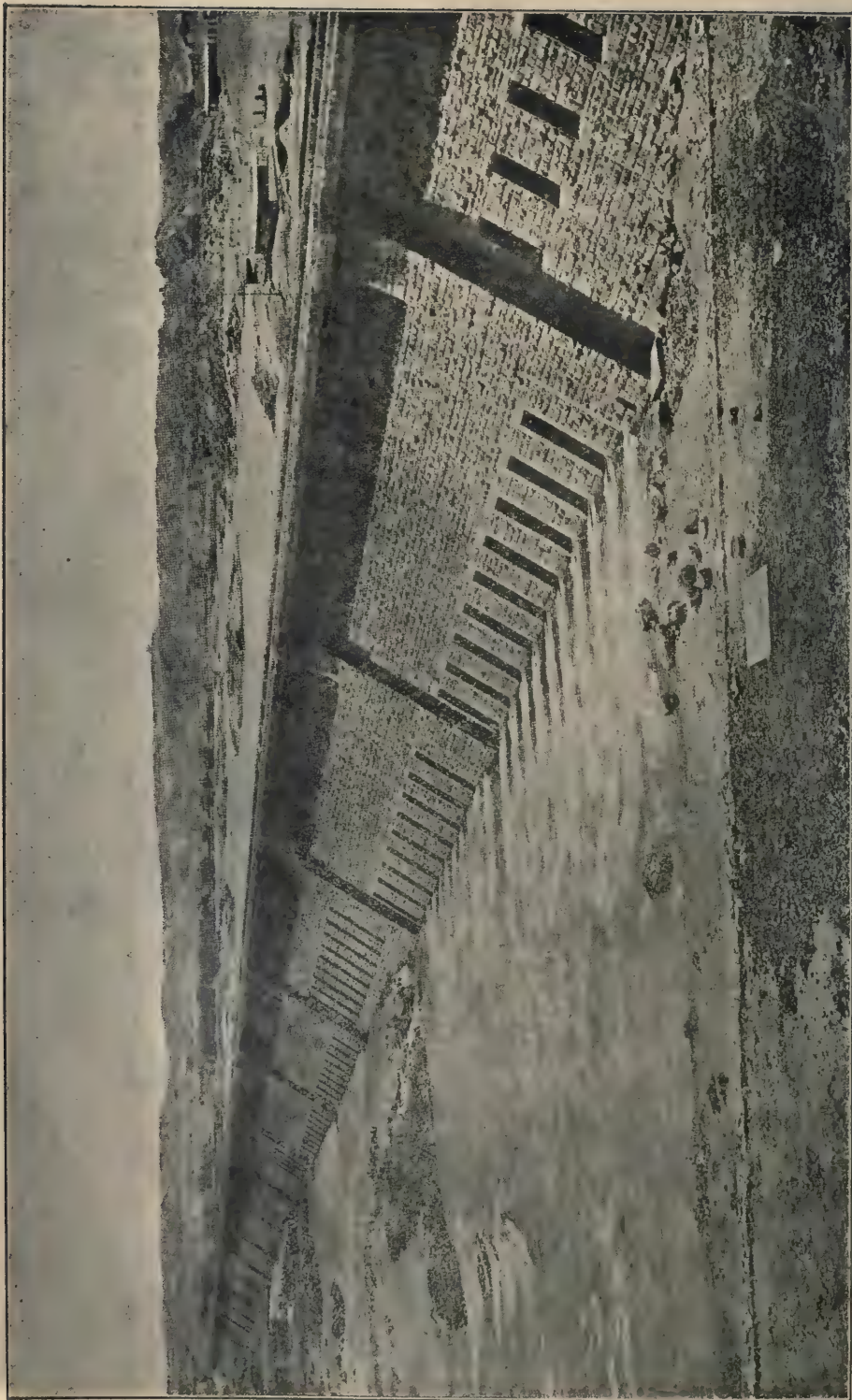
سنة م	عدد الافدنة التي لم تزرع ( شراق )	سنة م	عدد الافدنة التي لم تزرع ( شراق )
١٨٧٧	١٠٠٠٠٠٠	١٩٠٢	١٢٨٠٦٦٣
١٨٨٨	٢٦٩٠١١٠	١٩٠٤	٤٦٠٨٧١
١٨٨٩	١٨٨٠١٣٧	١٩٠٥	٤٥٠٠٠٠

تعلية الخزان وعند ما انشئ الخزان كان الغرض منه إيجاد المياه اللازمة لجميع أراضي مصر المزروعة في أى وقت من السنة . ثم فكرت الحكومة في زيادة سعته بتعليته بحيث يمكن به رى ١٠٠٠٠٠٠٠ فدان في شمالى ( الدال ) لم تكن تصل اليها المياه من قبل . فتم هذا العمل عام ١٣٣٠ هـ ( ١٩١٢ م ) وزاد مقدار ما يخزن قبل الخزان من المياه من ٩٤٠٠٠٠٠٠ متر مكعب الى ٢٠٤٢٠٠٠٠٠ متر مكعب ، وهى زيادة هائلة جداً ، وسببها ان الزيادة في ارتفاع الخزان زادت في امتداد المياه المحجورة قبله جنوباً الى بُعد ٣٢٥ كيلومتراً

وقد تم بفضل انشاء الخزان تحويل رى الحياض بمصر الوسطى الى رى دورى وعند ما تجفف بحيرة مريوط وغيرها سيروها الخزان بمياهه طول اوقات السنة

على أن الحكومة لا تزال لديها مشروعات أخرى لتحسين الرى ، ففي نيتها أن تصلح رى المدير يات الجنوبية ، بانشاء القناطر عند تفرع ترعة السوهاجية لتسهيل امتلاء تلك الترعة وشرعت كذلك في انشاء خزان آخر عظيم على النيل الأبيض ، ليحفظ

مشروعات  
جديدة





- فكان ذلك اكبر عون على تنظيم المياه التي تركد على تلك الأراضي الواسعة
١٠. تحويل الري الحياض الى ري دورى ، ولا يخفى ان هذه الطريقة وهى الري بالحياض معيبة بالاضافة الى مزايا الري الدورى ، اذ به تجرى المياه الى الاراضى فى الترع فيستنى توزيعها من حيث الزمن والمقدار معاً . لذلك أقدمت الحكومة على مشروع عظيم وهو تحويل الري بالحياض الى ري دورى فى مديريات أسبوط والمنية وبنى سويف والجزيرة ، فخرت لذلك الترع ، واهتمت اهتماماً خاصاً بترعة الابراهيمية العظيمة فوسّعنها وأصلحتها
٢. قناطر أسبوط . وفى سنة ١٣١٥ هـ ( ١٨٩٨ م ) شرعت فى انشاء « قناطر أسبوط » لحجز المياه حتى ترتفع وتتملاً ترعة الابراهيمية فتروى المديريات التي تمر فيها . وقد تم انشاء هذه القناطر عام ١٣٢٠ هـ ( ١٩٠٢ م ) قبيل الفيضان ، وكان النيل منحطاً جداً فى هذه السنة ، فبادرت وزارة الأشغال باغلاق أبواب القناطر ، فارتفع سطح المياه فى ترعة الابراهيمية متراً ونصف متر . وقد قدر ما اكتسبه المزارعون من هذا العمل تلك السنة بما يربو على ٦٠٠,٠٠٠ جنيه
٣. قناطر اسنا . ولما رأت الحكومة ثمرة عملها فى المديريات التي تقدم ذكرها عوّلت على اجراء مثله فى المديريات التي فى أقصى الصعيد ، فأنشأت « قناطر اسنا » التي تم انشاؤها عام ١٣٢٧ هـ ( ١٩٠٩ م ) فأفادت مديرتي قنا وجرجا فائدة قناطر أسبوط فى المديريات الشمالية
٤. خزان اسوان . ويلاحظ أن جميع هذه القناطر لا تخزن المياه لادخارها الى وقت الحاجة ، وانما هى ترفع سطح الماء فى النيل حتى يتسنى ملء الترع فتوزع المياه بها فى أنحاء البلاد وكانت الحكومة قد فكرت منذ عام ١٣٠٧ هـ ( ١٨٩٠ م ) فى مشروع لحزن مياه النيل وقت الفيضان للارتفاع بها وقت انخفاض النيل فى رى جميع أنحاء مصر ، فلا يُحرم جزء منها من الزراعة . فتأخر انفاذ المشروع الى سنة ١٣١٥ هـ ( ١٨٩٨ م ) ، اذ ابتدئ فى انشاء خزان عظيم عند « اسوان » فى نفس الوقت الذى ابتدأ فيه انشاء قناطر أسبوط . وهذا البناء من أعظم ما شيّده الانسان ، انتهى تشييده سنة ١٣٢٠ هـ ( ١٩٠٢ م ) فكان طوله يبلغ ٢١٥٦ متراً ، وارتفاعه عن قاع النهر ٢٨ متراً ، والفرق بين مسطح

القطن وحده في مجموع المدة التي أصلحت فيها القناطر (١٣٠١ - ١٣٠٦ هـ : ١٨٨٤  
١٨٨٩ م) ما يربو على ٥,٠٠٠,٠٠٠ جنيه

أما نفقات هذا العمل فقد دُفع معظمها من قرض عام ١٨٨٥ م ، ولكن جزءاً  
منها سُدد مما حدث في الميزانية من زيادة الدخل على المصروفات  
ولا يخفى أن الغرض من القناطر ليس خزن المياه وقت الفيضان للارتفاع بها وقت  
انخفاض النيل، إنما كان الغرض منها حجز المياه حتى يرتفع سطحها فتصب في الرياحات  
الثلاثة العظيمة ، فتروى هذه الوجه البحري بمياهها ولو كان النيل منخفضاً

وقد أجرى اصلاح آخر في القناطر عام ١٣١٤ هـ ( ١٨٩٧ م ) ، وذلك بإنشاء  
سد أصم أمام القناطر ( نحو المصب ) ، كي لا تندفق المياه دفعة واحدة بعد حجزها،  
فأصبحت تتسرب على دفعتين ، وبذلك نقص الفرق بين مستوى المياه بين القناطر  
وبعدها ( فرق التوازن ) ، وذلك يخفف من الضغط الشديد على القناطر أثناء الفيضان  
ومما زاد في انتظام توزيع المياه في الوجه البحري انشاء « قناطر زفتى » ، فإنها ٢ . قناطر زفتى  
أيضاً تحجز المياه قبلها حتى يعلو سطحها فتملاً الترع التي تنفرع من النيل عند هذه  
النقطة . وقد بلغت نفقات هذه القناطر ٣٢٠,٠٠٠ جنيه ، وتم انشاؤها في سنة ١٣٢٠ هـ  
( ١٩٠٢ م )

وأجرى منذ ذلك العام تعديل كثير في ترع الوجه البحري . وابتدأت الحكومة ٣ . المصارف  
في انشاء مصارف عظيمة في مديرتي البحيرة والغربية . وبذلك سيتسع نطاق أراضي  
مصر الزراعية ، وعلى مدى الأيام سيتم تخفيف بحيرة مريوط وتصبح أرضاً صالحة للزراعة  
على أن ما تم من الأعمال في الوجه البحري لم يصرف الحكومة عن الاهتمام بالوجه  
القبلى . إلا أن قلة المال والرجال حتمت عليها في أوائل هذا العهد الاقتصار في مصر  
العليا على المشروعات الصغيرة . وكان معظم الوجه القبلى في ذلك الحين يُروى  
بالحياض ، أى انه وقت الفيضان تغمر مياه النيل المساحات الفسيحة من الأرض ،  
فلا يتسنى مباشرة شئ من الأعمال الزراعية فيها الى انخفاض النيل . ففي عام ١٣٠٨ هـ ب . مصر العليا  
( ١٨٩١ م ) أنشأت الحكومة بمجة « قشيشة » بينى سويف سداً لتصرف المياه ،

أن قد لحقها من الخلل ما يجعلها غير صالحة للاستعمال : إذ حدثت صدوع في عقود المنافذ ، وجرى الماء تحت الأساس نفسه . وكان الغرض من انشاء هذه القناطر في أول الأول أن تحجز المياه قَبْلَها حتى يرتفع سطحها عن المستوى الأصلي (بعد القناطر) بقدر  $\frac{1}{4}$  من الأمتار ، وبذلك تستقي منها ثلاث ترع كبيرة بسطحها أعلى من سطح النيل وهي : الرياح البحري ، والرياح المنوفي ، والرياح التوفيقي . على أن الرياح الأول يجري في الصحراء بعد تفرعه من القناطر بمسافة صغيرة ، فلما أهمل تراكت عليه رمال الصحراء وطمرته . أما الرياح الثاني فكان مستعملاً عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م) ولكن الثالث كان لا يزال مشروعا لم ينفذ بعد

الرياحات

فرأت مصلحة الري أن من أول واجباتها إصلاح هذه القناطر العظيمة والترع التي تستقي منها ، فوجهت الى ذلك معظم عنايتها بين عامي ١٣٠١ و ١٣٠٦ هـ ( ١٨٨٤ و ١٨٨٩ م ) . وقد قامت بمعب هذا العمل الشاق عاماً بعد عام في أيام انخفاض النيل ، بالرغم من عظم الصدوع التي بالبناء ، وما اعترض العمل من المصاعب وقاية الاساس الى أن أصلح الأساس وضمت الصدوع ( بالأسمنت ) ، وانتهى الأمر ببناء منطقة من الحجر حول الأساس لوقايتها . ومما زاد العمل صعوبة أن القناطر كانت تُستخدم في أيام الفيضان فيما أعدت له ، وقد قال أحد المهندسين في ذلك : « إن هذا العمل كان أشبه شئً بإصلاح ساعة دون إيقاف أتراسها »

وتم في أثناء ذلك كَرى رياح البحيرة ، ومنعت عنه الرمال بزرع ضفافه بالأعشاب . وزيد أيضاً في عمق رياح المنوفية ، ووضع باب (هاويس) عند تفرعه . أما الرياح التوفيقي وهو الذي يروى المديرية التي شرقي فرع دمياط فحفر بين عامي ١٨٨٧ و ١٨٨٩ م . ولم تكد تم هذه الأعمال العظيمة حتى ظهرت فائدتها ، فقد زاد محصول القطن بالوجه البحري في ١٣٠٩ - ١٣١٠ هـ ( ١٨٩١ - ١٨٩٢ م ) على متوسط محصول الاحدى عشرة سنة السابقة بنحو ٦٠٠,٠٠٠ قنطار . هذا الى ما حدث من الزيادة في المحصولات الأخرى . وقد بلغت قيمة ما زاده محصول

الرياحات

ثمرة  
هذه الاعمال

مختار باشا بمصر الى وقت قريب احتجاجاً حياً على الاحتلال البريطاني

مركز  
قناة السويس

على أنه قد حُلّت في عام ١٨٨٥ م مسألة من المسائل الدولية الكبرى وهي بيان مركز قناة السويس من الوجهة الدولية . فحصل الاتفاق على أن تكون هذه الترتبة مفتوحة لجميع السفن وقت السلم ، وفي أوقات الحرب يُسمح لسفن المتحاربين بالمرور من القناة بشرط الأتّفق بينهما أعمال حربية الى مسافة ثلاثة أميال من طرفي القناة ، وأن لا يُسمح للسفن الحربية التابعة للدول المتحاربة بالبقاء في الموانئ المصرية اكثر من ٢٤ ساعة . وحُفظ للحكومة المصرية الحق في عمل أى شئ . تراه ضرورياً للمحافظة على القناة

الاتفاق الودى

وبقيت فرنسا تنظر شزراً الى بقاء إنجلترا في مصر ، وتضع العراقيل في سبيلها مهما كان عملها في صالح مصر ، حتى عام ١٣٢٢ هـ ( ١٩٠٤ م ) فمعدت الدولتان بينهما «الاتفاق الودى» المشهور ، وبه قبلت فرنسا أن تطلق يد إنجلترا في مصر ، في نظير أن تسمح إنجلترا بإطلاق يد فرنسا في مراكش . وبذلك حُلّت مشكلة من اكبر المشاكل الدولية الخاصة بمصر . وبمقتضى هذا الاتفاق أيضاً صار جميع دخل الحكومة يرد الى الخزانة المصرية ، بعد أن كان جزء منه يورد الى صندوق الدين توأ ، وكان لدى صندوق الدين مبلغ ١٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه متوافر من السنين الماضية ، فسأله الى الحكومة لتستعين به على إنجاز بعض المشروعات العامة

### الاشغال العامة

قد كانت الأشغال العامة التي تمت بمصر منذ عام ١٨٨٢ م لتحسين الري وتوسيع نطاقه من أعظم الأمور التي سهلت تنظيم المالية المصرية ، وصارت بالبلاد في طريق التقدم العظيم الذي نشاهده الآن :

١ . مصر السفلى

شرعت الحكومة منذ عام ١٣٠٠ هـ ( ١٨٨٣ م ) في الاهتمام بشؤون الري ، فبدأت في ذلك العام بإصلاح « القناطر الخيرية » . أنشئت هذه القناطر في عهد محمد علي باشا كما ذكرنا في غير هذا المكان ، ولكنها أُهملت مدة طويلة وقرر الخبيريون

١ . القناطر  
الخيرية



فِي سنة ١٣٠٢ هـ ( ١٨٨٥ م ) . واشترط في عقده أن تنظم حالة المالية المصرية قرياً ، وإلا شُكِلت لجنة دواية أخرى للنظر في شؤون مصر وقد خصص هذا المبلغ للأوجه الآتية :

أوجه صرفه ( ١ ) تعويض ما خسره أصحاب الأملاك بالاسكندرية وقت نشوب الفتنة في تلك المدينة أيام الثورة العربية ، ( ٢ ) سد العجز في ميزانية الحكومة لعامي ١٨٨٢ و ١٨٨٣ م ، ( ٣ ) تحسين الري ( وسيأتي الكلام على ذلك مفصلاً ) وقد جعلت الحكومة نصب عينها أن لا يحدث أى فشل في تنظيم المالية ، كي لا يفرض الأمر على تدخل الدول الأوربية حسبما اشترطته في عقد الدين الأخير . فتوخت الاقتصاد التام في جميع أوجه الصرف ، اللهم إلا في تحسين الري الذي كان من شأنه زيادة الثروة فيما بعد والمساعدة الكبيرة في تثبيت الحالة المالية التي هي موضوع الخوف والقلق

وقبل الانتقال الى وصف الأشغال العمومية التي تمت بمصر في ذلك العهد نقول كلمة عن المصاعب التي لاقتها إنجلترا من الدول في سبيل السير في عملها في مصر : كانت فرنسا أول من وضع العراقيل في سبيل إنجلترا في مصر ، لحقها من الغاء المراقبة الثنائية واستئثار إنجلترا بأمر مصر . ثم عضدتها روسيا في ذلك ، وشاركهما الباب العالي طبعاً في الاستياء ، احتجاجاً على استمرار الاحتلال البريطاني لمصر ثم كرر الباب العالي احتجاجه ، وبعد المفاوضة مع إنجلترا تم الاتفاق في المحرم سنة ١٣٠٣ هـ ( أكتوبر ١٨٨٥ م ) على ان ترسل كل من الدولتين العثمانية والانجليزية سفيراً الى مصر لفحص شؤونها والاتفاق على أجل ينتهي فيه الاحتلال البريطاني فأرسلت إنجلترا «السير درمندولف» وأرسل الباب العالي «مختار باشا الغازي» غير أنه لم يتم الاتفاق على تحديد أجل الجلاء لمعارضة فرنسا والروسيا في شروط الاتفاق ؛ وكل ما نتج عن بحوث السفيرين أن جرت بعض مفاوضات مع الدراويش لم يكن لها أثر يذكر ، وقد أشرنا الى ذلك عند الكلام على السودان . وقد بقي

حرص  
الحكومة  
على الاقتصاد

المائل الدولي

درمندولف  
ومختار باشا  
في مصر

فبالنظر في أحوال الأهاليين اتضح أنهم في بؤس شديد، وأن المفروض على أرضهم سوء حالة الفلاح من الضرائب يزيد كثيراً على الحد المعتدل بالنسبة لقيمة ما تنبتة الأرض من المحصول إذ أن ثمان المحصولات كانت قد نزلت كثيراً في السنوات الأخيرة : فصار ثمن أردب القمح مثلاً ٧٥ قرشاً بعد أن كان ١٠٩ قروش في ١٢٩٣ هـ ( ١٨٧٥ م ) ، وكذلك ثمن الطن من السكر نزل من ٢٣ جنياً إلى ١٥ جنياً . ذلك إلى ضعف الأرض بسبب اجهاذا بزراعة القطن ، إذ دلت الاحصاءات أن محصول القطن من القطن في الأربع السنوات ١٢٩٦ - ١٢٩٩ هـ : ( ١٨٧٩ - ١٨٨٢ م ) نقص من ثلاثة قناطير ونصف إلى قنطارين وعشر قنطار . فرأت الحكومة ان أول واجب عليها تحسين حال الفلاح ، حتى اذا ما انتعش وزادت ثروته أدى ذلك حتماً إلى زيادة دخل الحكومة . خففت ضريبة الأرض في المديرية الفقيرة ، وأبطلت ضريبة الملح وغيرها ، وألغت السخرة التي هي في الحقيقة نوع من الضريبة\* الميزانية والدين

غير أن هذه الإصلاحات وحدها لم تكن تكفي لتحسين دخل الحكومة والقيام بعبء الدين والشروط الثقيلة التي تكفلت بها مصر بمقتضى قانون التصفية . فبذلت إنجلترا وسعها لدى الدول في تخفيف هذه الشروط مخافة الوقوع في افلاس نهائي ، فزادت نسبة ما يخصص الحكومة المصرية من الدخل بتخفيض نسبة ما يعطى لصندوق الدين ، وصار للحكومة الحق أيضاً في الاستيلاء على نصف ما يزيد من الدخل بعد دفع الأرباح ، بدل ان كان جميعه يُعطى لصندوق الدين لتسديد الأقساط الدين المضمون

ورأت الحكومة أيضاً أن كل ذلك ربما لا يكفي لإصلاح حال المالية المصرية وهي على وشك الإفلاس ، فتوسطت إنجلترا لدى الدول في عقد قرض جديد ، لتستعين به مصر على وضع ميزانيتها على أساس متين ، وللقيام بمشروعات عامة في الري تزداد بها ثروة البلاد حتى تتحسن مآليتها على مدى الأيام . وبعد الجهد الطويل امكن عقد قرض جديد بضمانة إنجلترا قدره ٩.٠٠٠.٠٠٠ جنيه يسمى «الدين المضمون»

مقتل التعايشي أما الخليفة التعايشي فإنه فرّ من وجه الجيوش الفاتحة . وأراد في العام المقبل أن يغير على أم درمان ، فسار اليه جيش السودان وقتله وبدد شمل جيشه ، في رجب سنة ١٣١٧ هـ (نوفمبر سنة ١٨٩٩ م) . وبقتله انقضت دولة الدراويش \*

اتفاقية السودان وقد هدأت أحوال السودان منذ فتح أم درمان بفضل حسن ادارة الحكومتين الانجليزية والمصرية اللتين تحكمانه بالاشتراك . وفي ٩ رمضان سنة ١٣١٦ هـ (١٩ يناير سنة ١٨٩٩) عقد وفاق بين الحكومتين يُعرف « باتفاقية السودان » وُضعت فيه شروط حكم السودان وألغى به ما كان للباب العالي من السيادة على تلك البلاد . وما زال السودان في تقدم تدريجي مستمر منذ دخوله تحت حكم إنجلترا ومصر ، وهو وان كان للآن لم يكسب احدي الحكومتين شيئاً وصُرف من حزانة مصر الخاصة بمبالغ سنوية لإصلاحه ، فإنه بلا شك سيعوض ذلك ، لوفرة موارده الطبيعية خصوصاً عند ما يزداد عدد سكانه بعد أن نقص نقصاً فاحشاً أيام فتنة المهدي

### ٣ — \* تقدم مصر منذ عام ١٨٨٢ \*

خصوصاً الأشغال العامة التي تمت بها منذ ذلك العهد

يرجع التقدم العام الذي حدث بمصر منذ عام ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢ م) الى أمرين أساسيين : الأول الاصلاحات الادارية التي أجريت في مصالح الحكومة على اختلافها والثاني الأشغال العامة التي أجريت لتحسين الري وزيادة ثروة البلاد . وقد كانت الحالة المالية في مقدمة ما نُظر فيه بعد اختام الثورة العربية ، وذلك من وجهتين : الأولى حالة السكان وما يمكن عمله لتحسينها ، والثانية حال ميزانية الحكومة وكيف يتسنى وضعها على أساس متين بحيث يكفي الدخل المنصرف مع عدم الإضرار بتقدم البلاد

\* ولما فتح كتشنر باشا أم درمان رأى الايبق لذكرى المهدي تعلقاً بقلوب قبائل السودان ، فأمر بهدم قبته ونبش قبره ، فبعثت عظامه في النيل وبتت بحجته الى دار التعف البريطانية . وقد أعجبت إنجلترا بفوزه فنحتة لقب « لورد الخرطوم » وصار من ذلك الحين يسمى « لورد كتشنر »

المصرية الانجليزية وقفة المدافع الى أن ترى فرصة ملائمة للزحف على الخرطوم  
 وكان « الأمير محمود » ( ابن عم التعايشي ) قد عسكر بنحو ١٢,٠٠٠ مقاتل واقعة النخيلة  
 عند « النخيلة » على نهر عطبرة ، فخرج كتنشر لملاقاته في ٢٦ ذى القعدة ( ٢٠ مارس )  
 متوخياً الثاني في مسيره ، وفي ١٦ ذى الحجة ( ٨ ابريل ) التحم الجيشان فلم تدم  
 الموقعة اكثر من ٤٠ دقيقة ، وانتهت بأسر الأمير محمود. وقتل نحو ٢,٠٠٠ من رجاله  
 ولم ينته شهر أغسطس عام ١٨٩٨م حتى تمكن السردار من خشد نحو ٢٢,٠٠٠  
 مقاتل على بعد ٤٠ ميلاً شمالي الخرطوم ، وعزم على لقاء الأعداء. وفي ١٥ ربيع الثاني  
 سنة ١٣١٦ هـ ( ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨م ) التقى بالدرأيش في موقعة « أم درمان »  
 الفاصلة التي لم تقم لهم بعدها قائمة : كان عددهم يتراوح بين ٤٠ و ٥٠ ألف مقاتل ،  
 فقتل منهم اكثر من ١١,٠٠٠ وجرح نحو ١٦,٠٠٠ ، ولم ينحسر جيش السردار  
 سوى ٥٠٠ ما بين قنيل وجريج . وفي اليوم الرابع من شهر سبتمبر استولى الجيش  
 الانجليزي المصري على الخرطوم ورفّع على مكان مركز حكومتها العلمان المصري  
 والانجليزي أحدهما بجانب الآخر

واقعة  
 أم درمان



واقعة أم درمان





اللورد كنشتر

في ١٥ ربيع الثاني سنة ١٣١٤ هـ (٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٦ م) وجلت جيوش  
التمايشى عن هذه المديرية بأكملها . ثم استمر الجيش في الزحف نحو الخرطوم ، متغلباً  
على ما لاقاه من المضاعب في طريقه ، حتى استولى على « أبى حمد » في ٧ أغسطس  
سنة ١٨٩٧ م وعلى « بربر » في ٣١ منه . ووقف تقدم الجيش بعد ذلك عدة  
أشهر ريثما يتم انشاء الخط الحديدي المخترق صحراء العظمور

مدد لكشتر وفي ٧ شعبان سنة ١٣١٥ هـ (أول يناير سنة ١٨٩٨ م) سمع السير هربرت  
كشتر ان الدراويش سيهجمون على جيشه في جموع كبيرة ، فبعث اشارة برقية الى  
القاهرة يطلب المدد ، فأرسل اليه قسم من الجيوش البريطانية . ثم وقفت الجيوش

ذاك تنظر في مشروع آخر عظيم وهو إقامة خزان على النيل (خزان اسوان) ، ورأت أن ادخار المال لهذا المشروع النافع أولى من صرفه على الحروب السودانية ، فكان يُظن أن فتح السودان سيُربحاً الى ما بعد ذلك ، لولا أن حدثت أمور خارجية اضطرت الحكومة الى العمل بغير رغبتها . وذلك أن الأجباش اتحدوا مع الدراويش وشنوا الغارة على الطليان وهزموهم بجمه « عدوة » في رمضان سنة ١٣١٣ هـ ( مارس ١٨٩٦ م ) وذاع الخبر أنهم عما قريب يهجمون على كسالة\* . ولذلك طلبت ايطاليا من إنجلترا لما بينهما من الصداقة أن تساعدها بارسال حملة الى السودان تهتمم الدراويش فنقل وطأنهم على المستعمرة الايطالية الجديدة ( مصوع والإريتريا ) وقد كان لدى إنجلترا حينئذ من الأسباب والاعتبارات ما يحملها على تلبية هذا الطلب ، الذي أقل ما فيه سبق فرنسا الى أعلى النيل وصدها عن التوغل في جنوبي السودان ، والأخذ بثأر غردون الذي لم يزل قلب كل انجليزي يدمي لمصرعه . فقررت إنجلترا اجابة دعوة ايطاليا ، وفي الحال أعدت لذلك جيش مكون من الجنود المصرية والانجليزية بقيادة « السير هربرت كينشتر » سردار الجيش المصري في ذلك الوقت ( وهو اللورد كينشتر المتوفى غرقاً سنة ١٩١٦ م وقت ان كان يشغل منصب وزير الحربية البريطانية )

اتخاذ الاجباش  
والدراويش  
على الطليان

ايطاليا  
تستجيب بأنجلترا

انجلترا  
تجيب الطلب

حملة كينشتر

انشاء  
خط حديدي

واقعة فركة

فتح دنقلة

خرج كينشتر من مصر ووجهته دنقلة ، فأمر بانشاء خط حديدي من وادي حلفا ، وكما أنشئ منه جزء تقدم الجيش ، حتى وصل في ذى الحجة سنة ١٣١٣ هـ ( يونيه ١٨٩٦ م ) الى جهة قريبة من « عكاشة » . فبلغه هناك ان ٣٥٠٠ من الدراويش مجتمعون عند « فركة » جنوبي عكاشه على بعد ١٦ ميلاً منها ، فسار اليهم ليلاً وفنك بهم فتكاً ذريعاً . ثم تفشى الهواء الأصفر في الجيش ، ولكن تيسر التغلب على المرض وعلى غيره من المصاعب حتى سقطت « دنقلة » في يد الجيش المصري الانجليزي

\* كان الطليان قد استولوا على كسالة من المهدي في سنة ١٨٩٤ م ، ولكنهم تخلوا عنها عام ١٨٩٧ لكثرة النفقات التي يتطلبها حكمها ، فعادت الجيوش المصرية الى احتلالها ( ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٩٧ )

وضمت بلجيكا الى مستعمراتها ( الكنفو الحرة ) وبعض الأقاليم المجاورة لها ، وشرعت فرنسا في الاستيلاء على بحر الغزال والنيل الأبيض

مضت كل هذه الحوادث ولم يفعل الباب العالي فيها شيئاً يذكر ، وإنما أرسل في آخر الأمر سفيراً الى مصر ليعايد الخديوي في توطيد الأمن في السودان بالطرق السلمية . فابتدأت المفاوضات مع الدراويش ، ولكن لم يكن لذلك أية نتيجة . على أن مصر كانت طول هذه المدة آخذة في النهوض من افلاسها شيئاً فشيئاً ، وقوى جيشها وصار يصد جموع الدراويش كلما حاولوا الاعتداء على الأراضي المصرية ، وفي ربيع الثاني سنة ١٣٠٦ هـ ( ديسمبر سنة ١٨٨٨ م ) أجتهم حامية سواكن عن الجهات المجاورة لها ، فلم يعيدوا الكرة عليها بعد

ألباب العالي  
والسودان

وفي سنة ١٨٨٩ م حدث حادث من اكبر حوادث هذه الحروب . إذ أن « ولد النجومى » أحد الأمراء المستمسكين بدعوة المهدي خرج في ١٣,٠٠٠ مقاتل يريد غزو مصر في رمضان سنة ١٣٠٦ هـ ( مايو سنة ١٨٨٩ م ) ، فالتقى بجيش يقوده « السير فرنسيس غريفيل » عند « طوشكى » ، فكانت هذه أول تجربة عظيمة لاختبار قوة الجيش المصرى الجديد ؛ فانصر على جيش « ولد النجومى » انتصاراً ميبناً فلم ينبج منه الا ٣,٠٠٠ رجل ، وصُرع ولد النجومى نفسه وهو يقاتل في هذه الموقعة قتالاً شديداً . وبعد هذه الموقعة أخذت قوة التعايشي في أسباب الضعف

ولد النجومى

هزيمته  
عند طوشكى

وفي سنة ١٣٠٨ هـ ( ١٨٩١ م ) رأت الحكومة أن الدراويش لا يزالون قُرب سواكن ، وأن تجارة الرقيق سائرة بلا انقطاع بين بلاد العرب وقُرض البحر الأحمر ، فأرسلت عليهم حملة بحرية من سواكن الى « ترنكتات » . فانهمزم الدراويش بجهة « طوكر » وفر « عثمان دقنة » وقُتل معظم من معه من الأمراء . ومن ذلك الحين هدأت الأحوال في السودان الشرقى

تهديمه  
السودان الشرقى

### استرجاع السودان

لم يأت عام ١٣١٣ هـ ( ١٨٩٥ م ) حتى تقدمت مالية مصر وتحسنت حال جيشها فصار يُظنُّ من السهل تجريد حملة على السودان لاسترجاعه . وكانت الحكومة إذ

المدينة ، وقتلوا « غردون » ، وذلك في ٩ ربيع اثناني سنة ١٣٠٢ ( ٢٦ يناير ١٨٨٥ )  
ومما ساعد على سقوط المدينة خيانة « فرج باشا » قائد الحصون ، فانه انضم الى  
جيوش المهدي في الليلة السابقة لسقوط المدينة

وعند ذلك صدرت الأوامر للورد « ولسلي » أن يهاجم الخرطوم ليستردّها ،  
فشرع يهاجمها من ثلاث جهات ، ولكن بعد قليل عدلت الحكومة الانجليزية عن  
استمرار القتال لاشتغالها ببعض مناوشات على حدود الهند . وفي ٢٢ رمضان ( ٥ يولييه ) اخلاء السودان  
أخليت مدينة « دنقلة » وصارت « وادي حلفا » أقصى الحدود المصرية

وكان هذا النصر قد ضاعف ثقة أتباع المهدي به ، وظنوا أنه سيقودهم الى فتح  
جميع ممالك الأرض ، وأنه لن يموت الا بعد فتح الحرمين ، ولكن ما لبث أن خاب  
فألمهم ، إذ لم تمض عليه بضعة أشهر في عاصمته « أم درمان » حتى لحقته المنية كغيره  
من البشر في ٩ رمضان سنة ١٣٠٢ هـ ( ٢١ يونيه سنة ١٨٨٥ م ) ، وكان قبل وفاته  
قد أوصى بالخلافة من بعده « لعبد الله التعايشي » ، فبايعه أتباع المهدي وسموه التعايشي بخلفه  
« خليفة المهدي » . أما جثة المهدي فانها دفنت في الحجرة التي فارقتة الحياة فيها ،  
ثم أقيمت عليها قبة صار الناس يزورونها للتبرك

ولم يكد « التعايشي » ينسلم مقاليد الأمور حتى عزم على فتح مصر . ولكن  
الجيش المصري كان قد تمّ تدريبه ، فخرجت من مصر فرقة ، بعض جيوشها مصرية  
وبعضها انجليزية ، وهزمت جيوش « الخليفة » بلا عناء عند « جنس » في ٢٣ ربيع  
الأول سنة ١٣٠٣ هـ ( ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٥ م ) فسلمت مصر من غارته

ولكن نفوذه عمّ السودان ، ولم يخرج عن دائرة سلطته الاّ عدة من المقاطعات  
النائية ، فانها كانت من نصيب الممالك المجاورة لها : فأعطيت « مصووع » وما يجاورها  
لايطاليا ، وأعطيت « بوغوس » للملك الحبشة ، مكافأة له على مساعدته في تسهيل  
جلاء الجيوش المصرية من « اماديت » و « سنيت » و « غلباط » ، خصوصاً أن  
هذه كلها بلغت مصر سالمة . وأعلنت انجلترا امتلاك مقاطعة « بربرة » وزيلع وأوغندا



الدرراویش  
بمحصره  
فی الخرطوم  
یتسع یوماً بعد یوم حتی عم القبائل الی بین « بربر » و « الخرطوم » فانضموا الی  
المهدی فی أواخر رجب سنة ١٣٠١ھ (مايو ١٨٨٤م) . فانقطع بذلك خط الرجعة  
علی غردون ، وأصبحت حاله تؤذن بالخطر

### حملة انقاذ غردون

انجلترة  
تتم بأمره  
حملة ولسلی  
والظاهر أن الحكومة الانجليزية لم تعرف بادى الأمر الخطر الذى كان يتهدد  
« غردون » مع وجوده بلا جيش فی السودان . فلما حدث ما تقدم ، ورأت الخطر  
يحدق به أسرع الی ارسال نجدة من القاهرة لاتقاذه بقيادة « اللورد ولسلی » \* .  
وبینا هذه الحملة فی طریقها أرسل غردون « الكولونیل استیوارت » فی نفر من الرجال  
علی باخرة من الخرطوم قاصدين مقاتلة الحملة القادمة لنجدته وابلاغها ما یهمها معرفته  
عن الحالة فی السودان . فمرت الباخرة علی « بربر » دون أن تلاقى شیئاً . الا أنها  
اصطدمت بصخر قرب « أبی حمد » ، وقتکت بمن فیها احدى قبائل البدو غدرآ  
بعد أن أنزلتهم فی ضیافتها

ولسلی  
فی كورتی  
واقعة أبی قلیع  
وفی یوم ٣٠ ديسمبر وصل « ولسلی » یجيشه الی « كورتی » ، فرأى أن یُسیر  
قوتین للقاء الدراویش جهة « المتمة » : قوة تذهب بطریق النيل ، والأخرى  
بالصحراء ، فوصلت هذه القوة الأخيرة الی « المتمة » ، وهزمت جیوش المهدی  
عند « أبی قلیع » . ثم بلغت « جوبات » فی ٣ ربيع الأول سنة ١٣٠٢ھ ( ٢٠ يناير  
سنة ١٨٨٥ م ) ، وهنا اتصلت بالبواخر الی ذهبت بطریق النيل . وعلم « ولسلی »  
أن غردون فی خطر ، وأنه یخشى العاقبة کثیراً اذا تأخر وصول النجدة عن ٢٤ يناير  
طریق الخرطوم فأسرع « ولسلی » الی تسیر باخرتین بالجند لاتقاذه . ولكن هذه الرحلة لم تكن  
بالأمر السهل وفی ٨ ربيع الثانی ( ٢٥ يناير ) اصطدمت احدى السفینتین بصخور  
الشلال السادس ، فعطل المسیر أربعة وعشرين ساعة

وسقط الخرطوم  
ومقتل غردون  
وبینا هذه النجدة تعانى الوصول الی « الخرطوم » إذ استولى الدراویش علی  
\* هو الذى قاد الجیوش البريطانية فی واقعة التل الكبير

حسبما كان معهوداً اليه ، بل أخذ يضيع الوقت في مخابرة أولى الشأن بالقاهرة في  
الطريقة التي يجب أن يُحكم بها السودان بعد اخلائه ، وعرض عليهم من ذلك عدة  
خطط ومشروعات ، مندفعاً في ذلك بخوفه على الأهلين من ثورة المهدي ومن الفوضى  
التي لابد أن تنتشر في طول البلاد وعرضها عقب جلاء الجيش المصري . ومما اقترحه  
في هذا الشأن أن يُرسل اليه « الزبير باشا » ليساعده في الجلاء ، وبعد ذلك تعهد

توانيه في  
اخلاء السودان



غردون باشا

اليه ولاية السودان . وقد عرض هذا الاقتراح بالحاح اكثر من مرة ثم رأى أولو الشأن  
بعد رفضه بته . على أن غردون كان في ذلك الحين يستهين بقوة المهدي ويطلب من  
الحكومة مراراً أن تمده بجيش « ليقضى على المهدي » ، وأن تعدل عن اخلاء السودان  
ولا يخفى ان ذلك كان مخالفاً للاتفاق الذي أرسل بمقتضاه الى السودان ، فلم  
ترسل اليه الحكومتان الانجليزية والمصرية شيئاً من الجند . وصار نطاق نفوذ المهدي

جميع قبائل السودان الشرقى ، فلم يبق تحت نفوذ الحكومة المصرية إلا حاميات « سنكات » و « طوكر » و « سواكن » و « ترنكتات » على البحر الأحمر

ورأت الحكومة المصرية أن ترسل لانقاذ حاميتي طوكر وسنكات « الجنرال بيكر » مع رجال الشرطة الذين عهد اليه تدريبهم . وربما كان هؤلاء الرجال فى الجملة خيراً

حملة بيكر  
لانقاذ حاميتي  
طوكر وسنكات

ممن خرج بهم « هكس باشا » ، وان لم يكونوا على ما يُرام من النظام والتدريب ، إذ أن بعضهم لم يفق فى تعلمه رجال الشرطة العاديين ، وكثير منهم كان قريب العهد

بمبادئ الحركات النظامية . خرجت هذه القوة لانقاذ غرضها ، فالتقت بال دراويش عند « الطيب » فى جمادى الأولى سنة ١٣٠١ هـ ( فبراير سنة ١٨٨٤ م ) ، فانهمزت

هزيمتها  
عند الطيب

شرّ هزيمة ، إذ كانت الجنود ترمى سلاحها وتلوذ بالفرار لقلّة تدريبهم على الحرب . وقد كان عدد رجال هذه الحملة ٣٧٠٠ فلم ينج منهم سوى ١٣٠٠ رجل

عند ذلك اضطرت الحكومة الانجليزية بعد اباداة الجيوش المصرية القديمة والجديدة الى فعل ما لم ترض به من قبل وهو ارسال حملة الى السودان . فأمرت القائد البحرى

حملة  
هيوث البحرية

« هيوث » بانزال قوة فى « سواكن » ، وأرسلت الى « ترنكتات » قسماً من جيش الاحتلال بمصر بقيادة « السير جيمس جراهام » ، وكانت حاميتا طوكر وسنكات

قد اضطرتا الى التسليم قبل أن تصلهما النجدة ، فخرج « جراهام » الى الطيب حيث هُزم بيكر من قبل ، فكسر الأعداء كسرة شنيعة . ثم جدّ فى اقتفاء « عثمان دقنة »

جراهام يهزم  
الدراويش  
عند الطيب

فالتقى به بجهة « طماى » ، ففتك بجيشه وأحرق معسكره ، ولكنه لم يقدر على القبض عليه وبعد أن ألحق هاتين الهزيمتين بالدراويش اكتفى بالرجوع الى سواكن ، وبانت

هذه المدينة هى وترنكتات فى مأمن من العدو . ثم استدعى جراهام الى مصر فى أواخر جمادى الأولى سنة ١٣٠١ هـ ( مارس سنة ١٨٨٤ م )

أما غردون باشا فانه بلغ الخرطوم فى ١٩ ربيع الثانى ١٣٠١ هـ ( فبراير سنة ١٨٨٤ م ) فنصّب حاكماً عاماً على السودان . وقد كان لقدمه فى أول الأمر وقع حسن فى نفوس

غردون  
فى الخرطوم

القبائل ، واستتبّت السكينة فى الخرطوم . غير أنه لم يشرع نواً فى إخلاء السودان



## إخلاء السودان

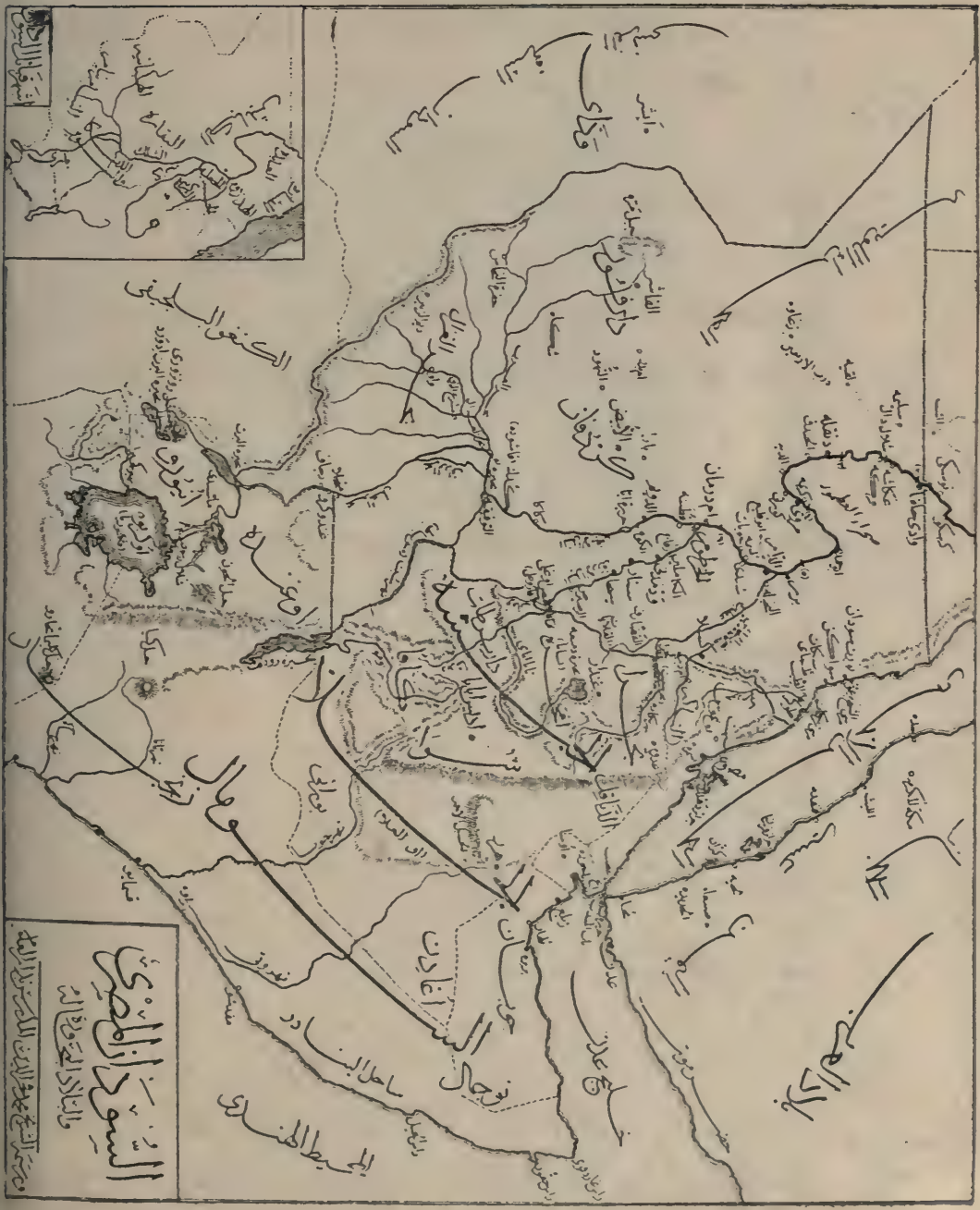
وكانت الحكومة الانجليزية لا تزال مصرة على عدم ارسال جيش من قبلها الى السودان ، ورأت أن الجيوش القليلة التي يتسنى للحكومة المصرية ارسالها لا تفيد بشيء ، بل ربما أدى ارسالها الى زيادة الويل . فنصحت للحكومة المصرية بإخلاء السودان : من خط الاستواء الى جنوبي وادي حلفا ، ريثما تتحسن الأحوال ويقوى مركز مصر ذاتها فتعود الى فتحه من جديد . فلم يوافق « شريف باشا » رئيس الوزارة على اخلاء السودان بحجة انه المورد الحيوى لمصر ، ولأن الاقرار بساخه عنها مسقط لحقوقها عليه فيصبح نهياً للدول ، فاعتزل منصبه ، وخلفه في رئاسة الوزارة «نوبار باشا» فوافق على سلخه من مصر

شريف باشا  
لا يوافق  
ويستقيل

موافقة نوبار

وكان في النية أولاً ارسال عبد القادر باشا الى الخرطوم لتولى استرجاع الجنود المصرية من السودان ، ولكن قرّر الأمر أخيراً على ارسال غردون باشا (الجنرال غردون) الانجليزى في هذه المهمة ، لما له من النفوذ والمحبة عند أهل السودان ، فيكون ذلك اكبر عون في هذا العمل الشاق الذى ان لم تُراع فيه الحكمة ور باطة الجأش استخف السودان بالحكومة المصرية وفتكوا بجيشها قبل أن يجلو عنهم ، وكان يُظن أن «غردون» يستطيع بماله من المكانة المذكورة أن يطيب خاطر القبائل فلا تنتشر الثورة أثناء جلاء الجيش المصرى . وفي ربيع الأول سنة ١٣٠١ هـ (يناير ١٨٨٤ م) أرسل غردون في هذه المهمة ، وجعل وكيله « الكولونيل استيوارت » وكان من أحذق الضباط الانجليز وفي أثناء ذلك كان أمر المهدي قد استفحل ، وأخذت دعوته تنتشر في أنحاء السودان حتى لحقت السودان الشرقى . ففي شوال سنة ١٣٠١ هـ (أغسطس سنة ١٨٨٣ م) وصلت رسل المهدي الى تلك الجهة بالقرب من «سِنكات» وأخذوا يثيرون القبائل على الحكومة . وكان زعيم هذه الحركة رجل من سلالة تركية قديمة يدعى «عثمان دِقَنَة» أصله تاجر رقيق جهة سواكن ، ولما كسدت تجارته بتضييق الحكومة على الرقيق تألب عليها وانضم الى المهدي ، فلقبه أميراً من أمرائه . ولم يلبث أن انضمت اليه

عثمان دقنة في  
السودان الشرقى



السيرة السلطانية  
والمبادئ السلطانية  
والمبادئ السلطانية

( الدراويش ) في بضع مواقع صغيرة . غير أن ذلك لم يذهب بقوتهم ، وأخذت ثورتهم تنضاعف يوماً فيوماً حتى اتضح للحكومة المصرية المتباطئة في أمره ، أنها ليست بالأمر اليسير ، بعد أن أهملت المهدي حتى انقض على مدينة « الأبيض » في أوائل سنة ١٣٠٠ هـ ( ١٨٨٣ م ) واستولى عليها

استيلاؤه  
على الأبيض

النجلة نجم  
عن محاربه

على أن مركز الحكومة المصرية إزاء هذا الحادث كان في شدة الحرج ، لعدم وجود جيش مدرب لديها تمده إلى السودان الذي لم يعدل منذ نشوب الفتنة عن استصراخها واستنجادها . وقد كان لالنجلة جيش احتلال في مصر ، لكنها لم ترغب إذ ذاك في التدخل في الأمر ، كي لا تضطر إلى تجريد حملة على السودان كالتى جردتها على مصر . فأخبرت الحكومة أنها إذا أرادت إخماد الفتنة في السودان فليكن ذلك بالجيش المصرية

حملة  
هكس باشا

وفي ربيع سنة ١٣٠٠ هـ ( ١٨٨٣ م ) استخدمت الحكومة المصرية عدداً من الضباط الانجليز في الجيش المصرى المؤلف لانقاذ السودان وعلى رأسهم « هكس باشا » فقلد قيادة الجيوش السودانية في رمضان ( يولييه ) ، وجعل وكيله « علاء الدين باشا » التركى . غير أن جيوشه لم تكن على ما يرام من التدريب ومعظمهم ( من جنود وضباط ) كان من جيش عرابى المنحل ومن نبذهم « الجنرال وود » لعدم لياقتهم لجيشه الجديد . ذلك إلى قلة وسائل النقل ، وعدم توافر الأموال الكافية للاتفاق على الحملة

انهزامها بين  
الدويم والأبيض

خرج « هكس باشا » بجيشه المختلط من الخرطوم في ذى القعدة سنة ١٣٠٠ هـ ( سبتمبر سنة ١٨٨٣ م ) يريد استرداد « الأبيض » . فوصل إلى « الدويم » دون أن يلقي أحداً من الأعداء ، وقد أخذ التعب والظمأ يفعلان بجيشه أكثر مما تفعله النيران . وبيناهم بين الدويم والأبيض إذ خرج عليهم الدراويش من كمين في الطريق وأفنؤهم عن آخرهم

هول الفاجعة  
في مصر

وصل خبر هذه الفاجعة إلى القاهرة في المحرم سنة ١٣٠١ هـ ( نوفمبر سنة ١٨٨٣ م ) هول الفاجعة فكان وقعها كالصاعقة في نفوس أولى الشأن ، إذ به انقطع كل أمل في القضاء على المهدي عاجلاً ، وخشى الناس أنه عما قريب يأخذ « الخرطوم » نفسها



المهدي

اتحاد السودان مسيحياً أم مسلماً . فشاع ذكره في السودان ، حتى بلغ أمره . سامع الحاكم العام  
على الحكومة رؤوف باشا في أوائل رمضان سنة ١٢٩٨ هـ ( يولييه سنة ١٨٨١ م ) . ولم يكذ يسمع  
العلماء بأمره حتى أفتوا بأنه دجال ، وكاد السودانيون أنفسهم ينفضون من حوله ،  
بالرغم من جهلهم وتخريفهم ، ولولا استيائهم من الحكومة في ذلك الوقت ما اندفعوا  
معه في مقاومتها

فاستدعاه رؤوف باشا الى الخرطوم ليحضر في مجمع من العلماء ويقم الحججة على  
دعواه ، فأبى المهدي الحضور ، فسير عليه رؤوف باشا عدة حملات للقبض عليه ،  
فانقض أتباع المهدي عليها وفتكوا بها . ثم عزل رؤوف باشا من ولاية السودان  
فلما خلفه « عبد القادر باشا حلمي » في ولاية السودان انتصر على أتباع المهدي

المهدي  
ورؤوف باشا



على يد وال انجليزى هو « الجنرال غردون » ، ولكنه ما لبث أن غادر البلاد في أسباب الثورة سنة ١٢٩٣ هـ ( ١٨٧٦ م ) فعاد باشوات الأتراك الى ظلمهم القديم . وبعد قليل قامت ثورة في السودان استفحل أمرها وانتهت بزوال حكم المصريين من تلك البلاد ومن أهم الأسباب التى أفضت الى قيام هذه الفتنة :

أولاً - ظلم حياة الضرائب وجبهم للرشوة

ثانياً - وقوف الحكومة المصرية فى وجه تجارة الرقيق

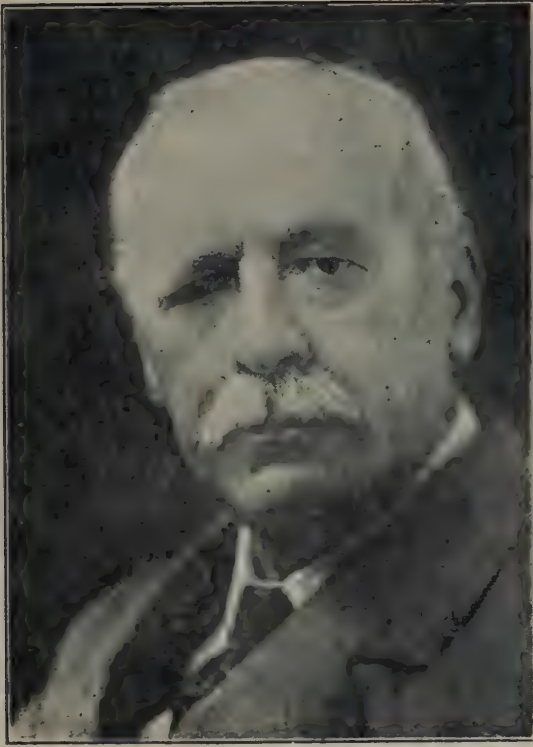
ثالثاً - وإزالة بعض رجال الجيش المصرى للثائرين وإطعامهم فى النجاح اذ ثاروا على الحكومة . فقد قيل ان « عرايياً » كان يرسل اشارات برقية الى أهل السودان يحرضهم على مقاومة سلطة الخديوى

ومما سهل الأمر على الثائرين جلاء الجنود المصرية عن السودان لاطفاء الثورة العرابية

ثم استفحلت الثورة بزعمارة رجل يدعى محمد احمد ظهر فى السودان وادعى أنه « المهدي » المنتظر ولذلك لقب بالمهدي

وُلد « المهدي » فى مدينة دنقلة عام ١٢٥٩ هـ ( ١٨٤٣ م ) ، واشتغل فى صباه مع عمه فى صنع السفن بجزيرة أمام « سنار » . ثم ضربه عمه ذات يوم ففر منه والتحق بأحد معاهد التعليم العربية التى كان يتعلم فيها الدراويش ، فدرس بها الدين مدة ، ثم ذهب الى « بربر » ومنها الى « كانا » على النيل الأبيض ، فتقلد بها منصب « فقير » ( شيخ ) فى سنة ١٢٨٧ هـ ( ١٨٧٠ م ) واستوطن بجزيرة « أبأ » بالقرب من كانا المذكورة

ثم أخذ صيته فى الازدياد ، فجمع ثروة طائلة ، والتفت حوله التلاميذ ، وتزوج نهوضه ودعوته بينات أعظم رؤساء قبائل البقارة ، فعظمت بذلك عصبية بين قبائل تلك الجهة . وفى سنة ١٢٩٨ هـ ( ١٨٨١ م ) أخذ يكتب الرسائل الى فقهاء السودان يخبرهم أنه هو المهدي المنتظر ، وان كل من لم يؤمن به هالك لا محالة ، سواء أكان وثنيًا أم



اللورد كرومر

## ٢ — \* حروب السودان \*

استولى محمد على باشا على السودان سنة ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م)، ولكنه لم يوطد فيه نفوذ مصر، فبقيت سلطة الحكومة عليه ضئيلة منذ هذه المدة، وكاد يكون الحل والعقد فيه بأيدي الباشوات الترك وجباة الضرائب من البشيزق وغيرهم، ممن لم يكن لهم هم سوى جمع الثروة وإبتزاز الأموال من أبناء السودان التعاس. وكان الشغل الشاغل لكل حاكم عام ولى السودان في هذه المدة اطفاء الثورات التي لم تخمد ناراها قط في أنحاء البلاد، وصدهجمات الحبشة على الحدود السودانية وقد استتب النظام نوعاً في المقاطعات الاستوائية في سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م)

اضطراب  
السودان

فلم يمكن انفاذ هذا النظام دفعة واحدة لعدم تدريب البلاد على الحكومة النيابية ،  
ورأت انجلترا ارجاءه الى أن يتم هذا التدريب

على أن انجلترا لم تقصد بقاءها بمصر أمداً طويلاً ، بل كانت على العكس من أمد الاحتلال  
ذلك عازمة على الجلاء عنها بعد أن ترسج قدم الاصلاح فيها وتخرج من الأزمة التي  
كانت سبباً في نزول الجيش البريطاني الديار المصرية : يدل على ذلك ما جاء في  
خطاب الملكة فكتوريا يوم افتتحت البرلمان البريطاني في ٧ ربيع الثاني سنة ١٣٠٠ هـ  
( ١٥ فبراير سنة ١٨٨٣ م ) وتصريحات اللورد دفرين في التقرير الذي رفعه  
للحكومة البريطانية عن حالة مصر

الامور  
التي عاقت  
تقدم مصر

غير أنه حدثت أمور ومشاكل عاقت تقدم مصر على الوجه الذي تريده  
انجلترا ، فاضطرت للبقاء فيها الى هذا اليوم . ومن أعظم هذه المشاكل قيام الفتن  
والحروب في السودان ، فانها ، فضلاً عن جعلها البلاد في خطر اذا انجلت عنها  
الجيش البريطانية ، عاقت سير الاصلاحات العدة التي اقترحها اللورد دفرين ، وهي  
تناول أموراً كثيرة أهمها الجيش والشرطة والهيئات النيابية والتعليم والمحاكم والرى  
ومسح الأراضي وتخفيض الضرائب واصلاح حال الفلاح وغير ذلك

عودة دفرين  
الى الاستانة

وبعد ان وضع اللورد دفرين الخطة للاصلاح الذي يريده في مصر عاد الى  
مقره بالاستانة ، وعهد بانفاذ هذا الاصلاح الى معتمد بريطانيا العظمى في مصر بحيث  
يكون مركزه في ذلك مركز الناصح والمرشد للحكومة المصرية ووزرائها

اللورد كرومر  
معتمد بريطانيا

ثم اختير لهذا المنصب « السير افلين بيرنج » . ( اللورد كرومر فيما بعد ) فوصل  
الى مصر في ٩ ذى القعدة سنة ١٣٠١ هـ ( ١١ سبتمبر سنة ١٨٨٣ م ) ، أى بعد  
مغادرة اللورد دفرين بأربعة أشهر ، فبقى فيها يواصل هذا العمل الى أن استقال  
من منصبه في صيف عام ١٣٢٥ هـ ( ١٩٠٧ م )

ولما كان للحروب السودانية الأثر الأكبر في تأخير سير هذه الاصلاحات حسن  
بنا أن أتى على ذكرها أولاً ثم نعود الى الكلام على الاصلاحات التي لم نشرحها بعد

الفاء  
المراقبة الثنائية

بعد أن دخلت الجنود الانجليزية مصر واحتلتها لم يكن هناك داع للمراقبة الثنائية ، إذ في إنجلترا وحدها الكفاية ، للمحافظة على الأموال الأوربية ، وفي بقاء المراقبة احتمالاً لفساد العلاقات بين فرنسا وإنجلترا ، لتوقيع الخلاف بينهما في الرأي . على أن الحكومة المصرية نفسها طالما وجدت المراقبة الثنائية حجر عثرة في سبيل أعمالها ، ولذلك اقترح شريف باشا إلغاءها فأيدته الحكومة الانجليزية في رأيه وساعدته على انفاذ رغبته بالرغم من احتجاج فرنسا وتشجيع الصحف الفرنسية عبثاً ، وفي ٩ ربيع الأول سنة ١٣٠٠ هـ ( ١٨ يناير سنة ١٨٨٣ م ) أصدر الخديوى أمراً عالياً بإلغائها . فغادر المراقب الفرنسي مصر بحجة قيامه بإجازة ، وجعل المراقب الانجليزي مستشاراً .الياً للحكومة المصرية

اقتراحات  
اللورد دفرين

ونظر اللورد دفرين أثناء إقامته بمصر في عدة أمور لإصلاح البلاد . فمن أهم ذلك انشاء جيش مصرى جديد ، لأن القديم قد حلّ لقيامه بالثورة ، ولأن إنجلترا كانت في ذلك الوقت تنوى استرجاع جيوشها من مصر في أقرب فرصة ، فيحل الجيش الجديد محل الجيوش البريطانية . ولما لم يجد اللورد دفرين العدد الكافي من المصريين اللاتقين لأن يكونوا ضباطاً في الجيش اقترح أن ينصبّ عليه قائد انجائزى ويضمّ اليه بعض كبار الضباط من الانجائز . فوقع الاختيار على « السير افلن وود » ، فنصبّ ( سرداراً ) للجيش المصرى في أوائل سنة ١٣٠٠ هـ ( ١٨٨٣ م ) وأخذ في القيام بتنظيم الجيش

جيش جديد

الشرطة

واقترح اللورد دفرين اصلاح الشرطة ، فعهد بأمرها الى الجنرال « بيكر » وألحقت ادارتها بوزارة الداخلية

مجلس الشورى

ونظر أيضاً في تشكيل هيئات نيابية تساعد الحكومة في ادارة شؤون البلاد ، فاقترح انشاء مجلس شورى لسنّ القوانين يؤلف من ٢٦ عضواً ، يكون بمثابة مرشد لمجلس النظار ، وتشكيل جمعية عمومية مكوّنة من ٤٦ من الأعيان تجتمع كل سنتين مرة يسترشد بهم كل من مجلسى النظار والشورى في الوقوف على رغبات أهل البلاد .



العفو عن  
صغار الضباط

سمو الخديوى وإسعاد جميع طبقات الأمة . وكانت الحكومة قد سبجت ، غير زعماء  
الثورة ، عدداً كبيراً من الأهلين والعلماء لشبهات يسيرة . فلما حضر اللورد «دفرين»  
الى مصر نصح للحكومة بالنظر فى أمرهم ، فعملت بمشورته ، ثم أصدر الخديوى أمراً  
بالعفو عن جميع الضباط الذين ثقل رتبهم عن (البكباشى) ، مع تجريدهم من رتبهم  
وحرمانهم من معاشهم



اللورد دفرين

محاكمة  
زعماء المراءيين

ثم عيّنت « لجنة تحقيق » للنظر فى أمر عربى ومحمود سامى وعبد العال وطلبة  
وعلى فهمى ، فأقرت محاكمتهم أمام مجلس عسكري ، بتهمة ثورانهم على الحكومة .  
فأثبت المجلس ادائهم وحكم عليهم بالاعدام ، ثم أُبدل بالحكم أخف منه وهو النفي  
المؤبد الى جزيرة « سرنديب » ( سيلان ) بالهند

هزيمة المراكبيين ١٧٤٠ مقاتل ، وجيش عرابي نحو ٢٧ ألف جندي ما بين نظامي وغير نظامي . فلم يجد هذا الفرق شيئاً أمام العلم وحسن النظام ، ولم تدم الواقعة أكثر من عشرين دقيقة انتهت بتبديد الانجليز لجيش عرابي . وفرّ عرابي نفسه الى القاهرة بعد أن بذل جهده عبثاً في رد المنهزمين من جيوشه الى أمانهم . وأراد عرابي الوقوف للانجليز في طريق القاهرة فخذله الناس وانكسرت نفوس مساعديه

دخول الانجليز القاهرة  
فسار الانجليز الى القاهرة فدخلوها بلا مقاومة ، وتسلموا القلعة وباقي الثكنات العسكرية في ٢٢ ذى القعدة سنة ١٢٩٩ هـ ( ١٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م ) ، وبذلك ابتداء احتلالهم للقطر المصري

ثم سلم عرابي نفسه وقبض الانجليز على معظم زعماء الثورة

## الفصل السابع

### عهد الاحتلال البريطاني

#### ١ — \* قدوم اللورد دُفرين الى مصر \*

طور جديد  
دخلت مصر منذ عام ١٢٩٩ هـ ( ١٨٨٢ م ) في طور جديد ، وهو الاسترشاد بدولة أوربية عظيمة في السير في سبيل تهذبة أحوالها وتنظيم ادارتها . وقد سبق أن أوضحنا الأسباب التي دعت بريطانيا العظمى الى ارسال جيش لاحتلال مصر ، والآن نبين كيف امتد هذا الاحتلال الى اليوم ، مع ذكر أهم الأعمال العامة التي تمت في عهده بعد أن أودع عرابي السجن وأخذت نار الثورة كان أول واجب أعمال التدبير لتهذبة أحوال البلاد ومنع حدوث مثل هذه الفتنة في المستقبل . لذلك أمرت الحكومة البريطانية اللورد « دُفرين » ( سفيرها في الاستانة ) أن يسافر الى مصر ويبدى للحكومة الخديوية ما يراه من المشورة والنصح ، لاتخاذ الحيلة الكافلة بتثبيت عرش

مهمة اللورد دُفرين

الانجليزية من طريق القناة . فاستعد العربيون للقائهم بجمعة « التل الكبير » . وكانت نزول الانجليز من طريق القناة أهالى القطر تمد جيش عرابى بمجاراته طوعاً أو كرهاً ، حتى اجتمع له من الخيل والبغال شئ كثير

وكان الباب العالى طول هذه المدة يتباطأ فى الفصل فى أمر مصر ، وأخيراً اشترك فى مفاوضات ومؤتمر الاسنانة بارساله مندوبين من قبله فى ٢٠ يولييه . ثم أعرب لرجال المؤتمر أنه مستعد لارسال جيش لاختاد الثورة المصرية ، فاشتترط عليه الدول شروطاً خاصة . وذاها أن لا يغير علاقة الدولة بمصر عما تقضى به التقاليد السابقة . وكانت فى مقدمتهم فى ذلك انجلترا ، لأنها أصبحت منذ ضرب الاسكندرية اكبر الدول ارتباطاً بالشؤون المصرية . ولم تبد لها احدى الدول شيئاً من المعارضة لعالمها بوجوب قيام احدى الدول باطفاء الثورة

فاشتترط انجلترا على الباب العالى أن لا يرسل جندياً واحداً الى مصر الأبعد أن يصدر منشوراً بأن عرابى باشا عاص للسلطان ، وبعد ابرام اتفاق حربي مع انجلترا بشأن أعمال الجيش التركى والانجليزى بمصر

فأخذ الباب العالى يعرض عدة صور بما يصدره فى المنشور على انجلترا ( فقتشير منشور السلطان هذه بتعديلها حسب ما تراه موافقاً للأحوال ) ثم كتب صورة نهائية ونشرها قبل أن يطلع مندوب انجلترا عليها فى ٢٢ شوال ( ٩ سبتمبر ) . ففضبت لذلك انجلترا وامتنعت عن توقيع الاتفاق الحربى . عند ذلك شرع الباب العالى يفاوض انجلترا بشأن توقيع الاتفاق بالرغم مما حصل ، وكادت الحكومة الانجليزية تقبل ذلك فى ٢٩ شوال ( ١٣ سبتمبر ) لولا أن جاءت الأنباء فى ذلك اليوم بأن الجيوش الانجليزية بددت شمل جيش عرابى فى صبيحة ذلك اليوم عند التل الكبير ، وبذلك زالت الأسباب الداعية الى مفاوضة الباب العالى فى هذا الشأن

أما موقعة التل الكبير فكانت فى السحر فى الساعة الرابعة من صباح ٢٩ شوال سنة ١٢٩٩ هـ ( ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م ) . وكان عدد الجيش الانجليزى فيها يبلغ

موقعة  
التل الكبير

انجلترا تستغنى  
عن الباب العالى

تخصين جديدة ، وان ليس بها إلا المدافع القديمة العهد . ولكن « سيمور » أبصر بعد ذلك أن الاستعداد في القلاع قائم على قدم وساق ، فأصدر بلاغاً الى قناصل

أعلان سيمور  
أنه سيفرب  
الاسكندرية

الدول بالاسكندرية في فجر ١٠ يولييه بأنه سيفرب المدينة ان لم تسلم اليه قلاعها

انفراد الاسطول  
الانجليزي

وكانت الحكومة الانجليزية قد عرضت على الحكومة الفرنسية أن تشرك أسطولها

مع الأسطول الانجليزي في ضرب المدينة ان اقتضى الأمر ذلك ، فامتنع المسيو

« فريسينيه » بعله أن حكومته تأبى أن تتحمل تبعة هذا العمل . فعزم الأسطول

الانجليزي على الانفراد بالعمل ، وفي الساعة السابعة من صباح ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٩ هـ

( ١١ يولييه سنة ١٨٨٢ م ) أطلقت العماره الانجليزية ( وعددها ١٤ سفينة بين مدرعة

ومدفعية ) مدافعها على قلاع الاسكندرية ، فجابوتها قلاع الاسكندرية بعد ١٥

طلقة ، واستمر تبادل النار بين الفريقين ١٠ ساعات انتهت بذلك تلك القلاع الضعيفة

ضرب  
الاسكندرية

دكاً من غير أن يصيب السفن الانجليزية أذى يذكر

وفي اليوم التالي تراجعت حامية المدينة الى الداخل ، وعند خروجها من الاسكندرية

احراق  
الاسكندرية

أمر أحد أمراء ( الأليات ) المدعو « سليمان داود » ( بغير علم عرابي ) أن تحرق

المدينة ، فاشتعلت فيها النيران ، ونهبها الرعاع . وفي يومى ٢٤ و ٢٥ شعبان أنزل

الأسطول الانجليزي بعض الجنود ، فاحتلوا المدينة ، فعاد اليها الأمن وأخذ الأهليون

يرجعون اليها بعد أيام قلائل

ثم أخذت الجيوش الانجليزية والهندية تفد الى الاسكندرية لمحاربة عرابي .

مسكر  
كفر الدوار

بقيادة « جارتنب ولسلى » . وكان عرابي قد عسكر بجهة « كفر الدوار » على بعد

بضعة أميال من الاسكندرية ، فلما وجد الانجليز ان موقعه هناك حصين رأوا أن

يدخلوا البلاد من الشرق من جهة قناة السويس . وعلم بذلك عرابي ، فعزم على

ردم القناة كي لا تمر منها السفن الانجليزية . ولكن المسيو ديلبس حمل على الكف

عزم عرابي  
على ردم  
قناة السويس

عن هدم هذا العمل الخطير ، وقال انه يمنع بحق حياذ القناة مرور أى سفن حرية

منها . فخدع عرابي بأفواله ، ولم يقدر ديلبس طبعاً على انجاز وعده ، ونزلت الجنود



مَنْ يَزْجِرُ الرِّعَاحَ أَوْ يَشْرَحَ لِمَ ضَرَرُ فَعْلَتِهِمْ مَعَ تَمَادَى الْأَوْرَبِيِّينَ الْمُتَحَصِّنِينَ فِي بَيْوتِهِمْ فِي إِطْلَاقِ الدَّارِ حَتَّى عَظُمَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَنُهِبَ كَثِيرٌ مِنْ مَخْزَنِ الْمَدِينَةِ . ثُمَّ صَدَرَتْ الْأَوَامِرُ لِلْجُنْدِ بِتَغْرِيقِ الْمُتَجَمِّعِينَ ، فَلَمْ يَأْتِ الْغُرُوبُ إِلَّا وَقَدْ هَدَّاتِ الْأَحْوَالُ وَسَكَنَ الْاضْطِرَابُ . وَقَبَضَتِ الْحُكُومَةُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِمْ شَبْهَةُ الْقِيَامِ بِهَذِهِ الثَّوْرَةِ

سكون  
الاضطراب

وَقَدْ كَانَ لِهَذِهِ الْحَادِثَةِ الْحَزَنَةُ أَثَرٌ سَيِّئٌ لَدَى الدُّوَلِ الْأَوْرَبِيَّةِ ، وَقَالَتْ مِنْ عَظَمَتِهِمْ عَلَى مِصْرَ وَالْقَائِمِينَ بِالْحَرَكَةِ الْعَرَابِيَّةِ فِيهَا ، وَقَالُوا أَنَّ هَذِهِ الْحَرَكَةَ يَصْجِبُهَا شَيْءٌ مِنْ التَّعَصُّبِ الذِّمِيمِ . وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ الْمَوَاقِفِ فِيمَا قَرَّرُوهُ فِي الْمَوْثَرِ الَّذِي عَقِدَ فِي الْأَسْتَانَةِ لِلنَّظَرِ فِي شُؤْنِ مِصْرَ

أَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْمَوْثَرِ فَانْه عُقِدَ بِالْأَسْتَانَةِ فِي ٦ شَعْبَانَ ( ٢٣ يُونِيهِ ) أَعْمَالُ الْمَوْثَرِ وَشَرَعَ أَعْضَاؤُهُ فِي التَّفَاوُضِ فِي الْأَمْرِ ، وَلَكِنْ مَفَاوِضَاتُهُمْ سَارَتْ بِغَايَةِ الْبَطْءِ لِاخْتِلَافِ مِشَارِبِ الدُّوَلِ الْأَوْرَبِيَّةِ فِي أَمْرِ مِصْرَ ، وَخَوْفِ كُلِّ مِنْهَا مِنْ تَحْمِيلِ الْمَوْاخِذَةِ ، بِالرَّغْمِ مِنْ اعْتِقَادِهِمْ جَمِيعًا أَنَّ الْحَالَةَ فِي مِصْرَ أَصْبَحَتْ تَدْعُو إِلَى التَّدْخُلِ بِالْقُوَّةِ . وَبَقِيَ الْبَابُ الْعَالِي مَحْجَمًا عَنْ أَرْسَالِ مَنْدُوبٍ مِنْ قِبَلِهِ إِلَى الْمَوْثَرِ . ثُمَّ عَرِضَ عَلَيْهِ الْمَوْثَرُ فِي ٦ يُولِيهِ أَنْ يَرْسِلَ قُوَّةً إِلَى مِصْرَ بِشُرُوطٍ مَعِينَةٍ لَتَثْبِيتِ عَرْشِ الْخَدِيوِيِّ بِمَقْتَضَى التَّقَالِيدِ السَّابِقَةِ . فَأَخَذَ يَرْجِي وَيَمَاطِلُ إِلَى أَنْ أَعْلَنَ فِي يَوْمِ ٢١ شَعْبَانَ ( ١٠ يُولِيهِ ) أَنَّهُ سَيَرْسِلُ مَنْدُوبًا إِلَى الْمَوْثَرِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي

ولكن بعد  
فوات الفرصة

عَلَى أَنَّ الْفَصْلَ فِي أَمْرِ مِصْرَ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ قَدْ أَفْلَتَ مِنْ يَدِ الْبَابِ الْعَالِي وَالْمَوْثَرِ بِإِعْلَانِ قَائِدِ الْأَسْطُولِ الْإِنْجِلِيزِيِّ بِالْأَسْكَندَرِيَّةِ فِي فَجْرِ ١٠ يُولِيهِ الْمَذْكُورِ أَنَّهُ سَيَضْرِبُ قَلَاعَ الْمَدِينَةِ إِنْ لَمْ تَسَلِّمْ لَهُ فِي مَدَّةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً

تحصين قلاع  
الاسكندرية

وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنْذُ قُدُومِهِ إِلَى الْمِيَاهِ الْمِصْرِيَّةِ كَانَ يَلَاظُ الْهَيْجَ يَزْدَادُ فِي الْمَدِينَةِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، ثُمَّ بَلَغَهُ أَنَّ عَرَابِيًّا بِأَمْرِ بَزِيَادَةِ تَحْصِينِ قَلَاعِ الثَّغْرِ لِيَضْرِبَ مِنْهَا الْأَسْطُولُ الْإِنْجِلِيزِيُّ . فَطَلَبَ إِبْطَالُ هَذَا التَّحْصِينِ ، فَأَخْبَرَهُ عَرَابِيٌّ أَنَّهُ لَيْسَ بِالْقَلَاعِ أَدْنَى حَرَكَةٍ

أما الباب العالي فإنه لما بلغه رجاء إنجلترا وفرنسا أراد أن يظهر بمظهر صاحب السيادة في البلاد ، وقال انه سيرسل سفيراً من قبله لفحص المسئلة ، وانه لا داعي لبقاء أساطيلهما بالاسكندرية . فلم توافق الدولتان على استرجاع أساطيلهما ، ورات أن مجرد بقائها بالمياه المصرية يكفي لارهاب التأثيرين وإلقاء الرعب في قلوبهم ولما لم يُجد هذا التأثير الأدبي نفعاً ، وازدادت الحالة خطورة يوماً بعد يوم ، دعت إنجلترا وفرنسا الدول الأوربية الى مؤتمر بالاستانة للنظر في المسألة المصرية ، ودُعي اليه الباب العالي ، فلم يرض بإرسال مندوب من قبله اعتقاداً ان حل المسألة المصرية من شأنه هو ، لا من شأن مؤتمر يعقده غيره من الدول . ثم أسرع الى ارسال المشير مصطفى درويش باشا مبعوثاً من قبله الى مصر لتفقد أحوال العسكرية . ومن الغريب أن الباشا المذكور قال في تقريره الى الحضرة السطانية ان العسكر محافظة على الطاعة والنظام ، وطاب لضباط الجيش نحو ٢٠٠ وسام منها الوسام المجيدى من الطبقة الأولى لعرايى نفسه !

الدول تنوى  
ارسال سفير  
الى مصر

مؤتمر  
القسطنطينية

مندوب  
الباب العالي  
في مصر

ثم اشتد غلو الحزب العسكرى ، وأخذ بجميع الجيوش ويعد العدة ، فزاد خوف الأوربيين المقيمين بالبلاد ، حتى أن سكان الاسكندرية منهم تأهبوا للدفاع عن أرواحهم عند الحاجة ، وبقيت الأحوال تزداد صعوبة واضطراباً حتى جاءت تلك الحادثة المشؤمة الشهيرة بمحاذة ١١ يونيه أو « واقعة الأحد »

استعداد  
الحزب العسكرى

وأصل هذه الحادثة انه في يوم ٢٤ رجب سنة ١٢٩٩هـ ( ١١ يونيه سنة ١٨٨٢م ) تشاجر رجل مالطى مع مكاري مصرى فى الاسكندرية لامتناع المالطى عن اعطاء الأجر الكافى نظير ركوب حمار المكارى . وكان المالطى ثملاً بالخنز ، فطعن المكارى بدمية ، فانتصر لكل منهما قوم من أبناء ماتته ، فتبذر بعض الرعاع من الوطنيين وأرادوا أن يثاروا من الأوربيين ، ولا سيما أن حوادث الحركة العرايية كانت قد أوغرت صدور بعض الفريقين من بعض ، وابتدأ الأوربيون يطلقون النيران من نوافذ بيوتهم على كل مار من الوطنيين . فازداد غضب المتجمهرين ، وتضاعف الخطب ولم يوجد

حادثة ١١ يونيه  
( واقعة الأحد )

ان العرايين يرمون الى عزل الحديوى وتنصيب محمود باشا سامى مكانه

كل هذه الأعمال حرّكت همة الدول الأوربية من جديد . وكانت وزارة المسيو تحرّك الدول غمبتا فى فرنسا قد سقطت وخلفه المسيو دى فريسنيه . ولم يكن هذا شديد الإصرار على التدخل فى مصر كما كان سلفه ، إلاّ أنه رأى أن فرصة عدم التدخل غمبتا وفريسنيه قد فاتت ، وان الحال فى مصر وصلت الى حد يستحيل معه السكوت ، اذ ظهرت كل معالم الثورة فى أنحاء البلاد

وكان الباب العالى قد احتجّ على إرسال مذكرة انجئرة وفرنسا ، فرأت هاتان عرض المسألة على باقى الدول الأوربية للنظر فى الطريقة التى يجب بها الفصل فى الأمر ، فلم تبد الدول معارضة فى النظر فى الأمر ، ولكنها لم تفعل شيئاً فعلاً للوصول الى نتيجة . فبادرت الحكومة الفرنسية بمفاوضة الحكومة الانجليزية فى الأمر ، فأقرّ قرارهما على إرسال أسطول من قبل الدولتين الى مياه الاسكندرية وتكليف الوزارة المصرية الاستقالة . ورأت الحكومة الانجليزية فوق ذلك أن يُطلب الى الباب العالى أن يصدر أمراً الى مصر يعضد به الحديوى ، ويستدعى زعماء الثورة الى الاستانة للجاجة عن عملهم ، فوافقت على ذلك الحكومة الفرنسية بعد تردد

وفى ٨ رجب ( ٢٦ مايو ) قدم معتمدا انجئرة وفرنسا مذكرة الى رئيس مجلس النظار طلبا فيها استقالته من الوزارة ، وإبعاد عرابى باشا عن القطر المصرى مؤقتاً مع حفظ راتبه وألقابه ، وأن يقيم عبد العال باشا وعلى فهمى باشا فى الأرياف ، ولهما أيضاً رواتبهما وأوسمتهما . فاستقالت الوزارة ، ولكن لم يسافر أحد ممن ذكروا فى المذكرة . أما الأسطول الانجئزى الفرنسى فقد وصل الى مياه الاسكندرية حسب الاتفاق . وكان قائد السفن الانجليزية السير « بوشمب سيمور » ، فلما وصل وجد ان النفوذ كله فى المدينة بيد الحزب العسكرى ، وان الأحوال فى هيج واضطراب ، فأخبر دولته بذلك . وكانت الوفود من الأعيان والعلماء وغيرهم تذهب الى الحديوى يرجونه ارجاع عرابى الى منصبه ، فلم يقبل منهم

احتجاج  
الباب العالى  
على المذكرة  
سكوت الدول

انجئرة وفرنسا  
تقرران  
استعمال القوة

اقالة وزارة  
البارودى

الاسطول  
الانجئزى  
بالاسكندرية



محمود باشا سامي البارودي

حل وفقى للمشكلة ريثما يتم الاتفاق على من يوكل اليه قمع هؤلاء الثوار بالقوة ، لأنه يستحيل حكم البلاد بوزارة رأسها من المنتمين للحزب الثائر ، ووزير الحربية فيها عرابي نفسه ، وهو اكبر عامل في الثورة

ازدياد نفوذ الحزب العسكري وبعد يوم ، حتى امتد الى جميع أعمال الحكومة ، وفي يوم ٢٠ فبراير كتب « السير إدورْد مِلْت » المعتمد البريطاني بمصر الى حكومته يخبرها بأن المراقبة الثنائية أصبحت اسمية فقط

الخلاف بين الحديوي ووزرائه ثم زادت الوزارة الجديدة من عدد الجيش ، ورفعت رواتب رجاله ، بلا اكتراث بما يصيب الميزانية من جراء ذلك ، ورفقت كثيراً من الضباط بدون اختيار ، فخرّ كل ذلك الى اشتداد الخلاف بين الحديوي ووزرائه ، وتفاقم الخطب حتى كان يُظن



بمصر خصوصاً بعد ما حدث من الحوادث الأخيرة التي من أهمها اجتماع مجلس شورى النواب »

مذكرة  
انجلترا وفرنسا  
الى الخديوى  
فوافق اللورد غرنفل على ارسال المذكرة بعد تردد ، واشترط في جوابه ان موافقة الحكومة البريطانية على ذلك لا يقيد بها بالقيام بأى عمل فى المستقبل للتدخل فى مصر ان اقتضى الأمر ذلك . فرضيت الحكومة الفرنسية بالشرط ، وأرسلت المذكرة وبلغت رسمياً للخديوى فى ١٩ صفر سنة ١٢٩٩ هـ ( ٨ يناير ١٨٨٢ م ) ، فقابلها الخديوى بالشكر والامتنان

أثر المذكرة  
السي في مصر  
على أن المذكرة وقعت على غير الخديوى وقوع الصاعقة ، وارتاب جميع الطبقات فى نيات الدولتين ، واعتقد أعضاء مجلس الشورى أنهم المقصودون بذلك ، وان الدولتين تريدان تقويض سلطة مجلسهم ، فزاد اتحادهم مع رجال الجيش وتمسكوا بأذيال عرابى وحزبه . أما الباب العالى فثار خاطره أيضاً لهذا العمل الذى فيه افتيات على حقوقه ، إذ هو صاحب السيادة فى مصر ، وكان هو الأول بالتدخل فى شؤونها فلما رأى شريف باشا ما كان للمذكرة من الأثر السيئ طلب الى الدولتين أن ترسلا مذكرة ايضاحية تفسر الأولى وتبين أن الدولتين لا ترميان الى غرض سيئ . فوافقت الحكومة الانجليزية على هذا رأى ، ولكن المسيو غمبتا عارض أشد المعارضة وقال انه يذهب بهيبة الدولتين ، فعملت الحكومة الانجليزية هذه المرة أيضاً برأيه على غير رغبته

اسقاط وزارة  
شريف باشا  
وفى هذه الاثناء كان يزداد سخط أعضاء مجلس الشورى ، وازدادوا تمسكاً برأيهم فى أمر الميزانية . ولما رأوا أن شريف باشا يعارضهم طلبوا الى الخديوى اقالته فاستقال ثم شكل الخديوى وزارة جديدة فى ٢٦ ربيع الأول سنة ١٢٩٩ هـ ( ١٥ فبراير سنة ١٨٨٢ ) برئاسة « محمود سامى باشا البارودى » طبقاً لرغبة أعضاء المجلس وجعل أيضاً عرابى باشا وزير الحربية فيها

على أن اذعان الخديوى لرغبة الأعيان بهذه الصفة لم يقصد به إلاّ حل عاجل  
تاريخ مصر جز ٢ ( ٣٨ )

رفض مع أن شريف باشا قد شرّع في القانون عدم جواز ذلك للمجلس ، عملاً برغبة مطالب الأعضاء .  
المراقبين والدول الأوروبية ، لأنهم كانوا يخشون تسرّب الاضطراب ثانية إلى الشؤون المالية مما يؤدي إلى نقض أحكام قانون التصفية

تمسكهم بمطلبهم وكانت عرى الاتفاق بين الأعيان ورجال الجيش قد وثقت ، ثم قوى جانب الجميع بثبوت قدم الحزب العسكري وتنصيب عرابي باشا في ربيع الأول سنة ١٢٩٩ هـ ( يناير ١٨٨٢ م ) وكيلًا لنظارة الحرية ارضاء لذلك الحزب . فتمسكت اللجنة برأيها ولم يرَ شريف باشا وسيلة إلى اجابة طلبها لعلمه أن الدول لا تسمح بذلك مطلقاً

اغراض فرنسا وكانت الحكومة الفرنسية منذ مظاهرة ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ م ترى وجوب بسط إنجلترا وفرنسا شيئاً من الإشراف على الديار المصرية . فلما رأس الوزارة الفرنسية المسيو « غَمْبِيَّتا » في شهر ديسمبر عمل بكل قواه على تنفيذ هذه السياسة ، وعرض الفكرة على اللورد « غِرِنْفِل » وزير الخارجية البريطانية ، موضحاً له أن الحوادث الجارية بمصر تستدعي التدخل في شؤون تلك البلاد محافظة على الأموال والمصالح الأوروبية

سياسة إنجلترا ولم يكن من سياسة بريطانيا العظمى في ذلك الحين مشاركة فرنسا في بسط شيء من النفوذ على مصر ، ولكن دفعتهما الرغبة في ارضاء تلك الدولة ( لما بينهما من التحالف ) إلى اظهار شيء من الموافقة على رأي المسيو غمبिता . على أن هذا الوزير طالما عرض عليه اللورد غرنفل أن يطلب من الباب العالي أن يتدخل هو في أمر مصر ويحتلها بجنوده ان اقتضى الأمر ذلك ، فكان دائماً يقابل ذلك بالرفض

اقترح فرنسا على إنجلترا ثم وجد المسيو غمبिता من عزم مجلس شورى النواب المصري على طلب فحص الميزانية فرصة للشروع في انفاذ ما يرمى اليه . فعرض على اللورد غرنفل أن ترسل حكومتا إنجلترا وفرنسا بالاشتراك مذكرة إلى معتمديهما بمصر ليخبرا الخديوي « برغبة دولتيهما في مساعدته ومساعدة حكومته للتعلم على المصاعب المتنوعة التي تزيد الارتباك والقلق في القطار المصري ، وأن الدولتين على وفاق تام فيما يختص



احمد عرابي

ورأى شريف باشا تهديئة للأفكار أن يُبعد رؤساء الحزب العسكري عن العاصمة فأشار على عرابي بالذهاب مع آلايه الى راس الوادي ، وعلى عبد العال بالذهاب مع آلايه الى دمياط ، فامثلا . وصادف غيابهما عن القاهرة حضور وفد من قبل الباب العالي للنظر فيما سمعته الدولة من المشاكل الجارية في مصر ، فوجد ظاهر الأمور هادئاً فأعلم الدولة بذلك

وبعد سفر الوفد أصدر الخديوي أمراً في ٢٦ المحرم سنة ١٢٩٩هـ ( ١٨ ديسمبر ١٨٨١ م ) بتنصيب « محمد سلطان باشا » رئيساً لمجلس شورى النواب ، فاجتمعت أعضاؤه وشكلت منهم لجنة لمراجعة قانون المجلس . فأقرّت اللجنة أكثر مواده ، إلا ما تعلق منها بميزانية الحكومة ، فان اللجنة رأت أن للمجلس الحق في مراجعتها ،

تشكيل  
مجلس الشورى

هذه الأمور ، حفظاً لكرامته ، وأن يدخل القصر ويترك له أمر المفاوضة معهم فيما يريدون . فخطب السير أوكلند كلنن الجيش ، وشرح لهم حرج الحالة ، ونصح لهم مطالب المرابين بالانصراف قبل أن يتفاقم الخطب . فتمسك الثائرون بمطالبهم وهي :

( ١ ) عزل جميع النظار وتشكيل وزارة جديدة

( ٢ ) تشكيل مجلس نيابي للأمة

( ٣ ) زيادة عدد الجيش الى ١٨,٠٠٠

وبعد المداولة رضى الخديوى بعزل النظار مع إرجاء الفصل فى الطالبين الآخرين الى أن يؤخذ رأى الباب العالى

فقبل عرابى ذلك : وانصرف الجيش داعياً للخديوى بطول البقاء . وطلب عرابى الى الخديوى أن يصفح عنه ، فكان له ذلك .

وكانت شوكة عرابى قد عظمت ، ونفذت كلمته فى الجيش ، ثم تعدته الى الكثير من العمدة والأعيان والعلماء ، بما ينشره بينهم من الأقوال الجاذبة من « انقاذ الوطن »

وغير ذلك من الزخارف الباطلة التى كان لها أسوأ عاقبة فى البلاد . وسهل انقياد بعض الأهلىن له ما رآوه من تدخل الأجانب فى شؤون مصر ، واجحافهم بمقوق الوطنيين عند اعداد قانون التصفية . ثم داخل « عرابياً » الغرور ، فبالغ فى ادعاء

ما ليس من حقه . من ذلك أنه أصدر فى ٩ سبتمبر منشوراً لقناصل الدول يطهئهم فيه على رعيا دولهم ويخبرهم أنه المؤاخذ على حفظ النظام . وهو حق غريب استباحه

لنفسه ، وكان الأجدر تركه لأمير البلاد أو لأحد وزرائه

ولما انقضت مظاهرة عابدين طلب الخديوى من شريف باشا أن يشكل وزارة جديدة ، فتردد أولاً لعلمه انه سيكون العوبة فى يد الحزب العسكرى ، اذ كانوا هم

العاملىن على اسقاط من قبله . ثم ألح عليه الأعيان ورجال الجيش ، فقبلها على شرط أن يتعهد رؤساء الحزب العسكرى بالامثال للأوامر ، فقبلوا ذلك ، وشكلت الوزارة

فى ٢٠ شوال سنة ١٢٩٨ هـ ( ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ م )



واحد مع غيرهم من الأتراك والجرأ كسة . وبالاختصار هدأت الأحوال قليلاً ، وكان يُظن أن الخطب انتهى عند هذا الحد

على أن رجال الجيش لم يهدأ روعهم وعاشوا في خوف من الخديوى ، خشية ان يكيد لهم كيداً ، عقاباً لهم على ثوراتهم ، وكانوا يرون كل يوم من الشبهات ما زاد اضطرابهم ، خصوصاً ان ناظر الحرية الجديد « محمود سامى باشا » عُزل ونُصب مكانه « داود باشا » ابن أخى الخديوى . وفى مساء ١٣ شوال ( ٨ سبتمبر ) ذهب الى بيت عرابى بك رجل غير معروف ، فلم يسمح له بالدخول . فراب عرابى بك أمره وذهب فى الحال ليقص ذلك على زملائه من الضباط ، وإذا بهم قد حدث لهم ذلك الأمر بعينه ! فأتقنوا أن هناك مكيدة لاغتيالهم

وازداد اعتقادهم يقيناً عند ما أصبحوا فرأوا أن الأوامر صدرت ( للآلاى ) مظهرة عابدين الثالث ( من الرجال ) بالسفر الى الاسكندرية . فهاجوا وماجوا ، وسار عرابى بك بقسم من الجيش يبلغ ٢٥٠٠ رجل معهم ١٨ مدفعاً الى ميدان عابدين ، واصطفوا أمام قصر الخديوى فى عصر ١٥ شوال ( ٩ سبتمبر ) يريدون مطالب جديدة .

فقال الخديوى الأمر وطلب « السير أوكلند كلفن » المراقب الانجليزى \* ليستشيريه فيما يجب عمله . فحضر هذا وسار مع الخديوى الى قصر عابدين ، ونصح له بالظهور بالثبات ، وأن لا ينسى أنه ملك البلاد ، وأن له هبة تصغر أمامها كل شجاعة لعرابى ورجاله

فنزل الخديوى الى الميدان ، فتقدم اليه عرابى بك ليعرض مطالبه ، وكان ممتطياً جواده ويده حسامه . فناداه الخديوى أن « تَرَجَّل واغمد سيفك » . ففعل ذلك بالامثال الواجب للملوك . ثم سأله الخديوى عما يقصد من عمله هذا ، فقال « يا مولاي للأمة ثلاثة مطالب قد أتى الجيش الى هنا للحصول عليها بالنيابة عن الأمة ، ولن ينصرف حتى يحظى بها »

عند ذلك أشار « السير أوكلند كلفن » على الخديوى أن لا يناقش الجند فى

• وكان هذا قد نصب مكان السير افلن بيرنج الذى نقل الى منصب آخر بالهند

رياض باشا  
برجوههم  
استرجاعه  
مزم الخديوى  
على محاكلتهم

فى نظير ذلك يذل غاية وسعه فى تلبية مطالبهما . فلما لم يذعن الضابطان لنصحه ،  
وسمع الخديوى بالأمر ، استشاط غضباً ، وأمر بتأديب هؤلاء العصاة . وقع روح الفتنة  
فى الجيش . وفى يوم ٢٨ صفر ( ٣٠ يناير ) عقد مجلس النظار برئاسة الخديوى  
( ولم يصرح للمراقبين الأوربيين بحضور الجلسة ) ، وقرر القبض أولاً على الضابطين  
المشار اليهما ومحاكلتهما أمام مجلس حربى ، ثم النظر فى مظلما

وفى غرة ربيع الأول ( فبراير ) استدعى الضابطان الى وزارة الحربية دون أن  
يُخبراً بأن ذلك لمحاكلتهما . ولكن قرار مجلس النظار قد بلغهما سرّاً ، فاتفقا مع ضباط  
فرقهما ورجالهما على أن هؤلاء ان وجدوا ان رئيسيهما لم يعودا بعد ساعتين ذهبوا  
لاتقازهما بالقوة . ولما بلغ الضابطان نظارة الحربية ( قصر النيل ) قبض عليهما وأحيلتا  
فى الحل على مجلس عسكرى للمحاكمة . فبينما هذا المجلس مجتمع اذ هجم ضباط  
( الألايين ) ورجالهما وأخرجوا رئيسيهما من حجرة اجتماع المجلس بعد أن عبثوا بأثاثها  
وأهانوا ناظر الحربية ، ثم سار احمد عرابى وعلى فهى بجندهما الى قصر عابدين  
وطلبا الى الخديوى عزل ناظر الحربية . وبعد أن نظر الخديوى فى حرج الأمر لم يرَ  
بدأ من اجابة طلبهما ، فصرف عثمان رفقى باشا بمحمود باشا سامى البارودى . ففرح  
الثوار ، وطلب فهى وعرابى بك العفو من الخديوى بعد أن أعربا له عن رغبتهما  
فى الولاء لسموه

هذه هى ثانى مرة ثار فيها رجال الجيش : ثاروا فى عهد اسماعيل فلم يصبرهم  
أذى ، وعزل نوبار باشا من رئاسة الوزراء عقب ثوراتهم ، وثاروا هذه المرة فقلبوا  
الوزارة والخديوى على أمرهم ، وفازوا فى الحال بعزل رفقى باشا موضوع كراهمهم  
وأصل تمردهم . فعلموا من ذلك أن لا شىء يقف فى سبيل مطالبهم ، وان الفوز  
فى ثباتهم وتمسكهم برأيهم

وبعد أن عزل الخديوى ناظر الحربية أمر بتشكيل لجنة للنظر فى مظلالم رجال  
الجيش ورفع رواتب الضباط والجند المصريين ، وأعلن أنهم سيكونون فى مستوى  
النظر فى  
مظلالم الجيش

سخطهم حينما أصدر « عثمان رفقي باشا » الشركى الأصل ناظر الحربية قانون القرعة سبب سخطهم القاضى بمنع الترقى من « تحت السلاح » ، إذ جعلت فيه مدة الخدمة العسكرية فى الجيش العامل أربع سنوات فقط ، يذهب الجندى بعدها الى بلده وينقى « رديفًا » خمس سنوات و « احتياطياً » ست سنوات . والمدة الأولى غير كافية للحصول على معلومات عسكرية تؤهل الجنند للترقى

عند ذلك تدمر بعض الضباط المصريين بزعامه « على فهمى » و « احمد عرابى » اتفاقهم على و « عبد العال حلمى » من أمراء ( الآلايات ) ، وقرروا الاحتجاج على ذلك بارسال معروض الى رياض باشا رئيس النظار يطلبون فيه : - أولاً عزل « رفقي باشا » من وزارة الحربية ، وثانياً اجراء تحقيق فى كفاءة من فازوا بالترقى حديثاً بدون استحقاق . وكان المعروض شديد اللهجة ، فأدى الى سلوك الحكومة مسلكاً جعل هذه الحادثة فاتحة لغيرها من الحوادث التى سُميت بالثورة العرابية .

ولم يكن احمد عرابى المحرك الأول لهذه الثورة ، وانما كان المحرك لها « على فهمى بك » منزلة عرابى ولأنه أمير ( الآلاى ) المهود اليه حراسة القصر الخديوى ، وكان قد أوقع به رفقي باشا وسبب ظهوره عند الخديوى لأمر فى نفسه ، فخذ « على فهمى » عليه ذلك وعمل على النكاية به . أما اطلاق لفظ « عرابية » على هذه الحوادث فلأن احمد عرابى هو الذى بعد انضمامه الى أصحاب الحركة الأولين ظهر عليهم حتى صار هو المحرك لكل شئ . فيما بعد . وسبب ظهوره على غيره أنه كان قبل الانضمام الى الجيش يطلب العلم بالأزهر الشريف ، فكانت له مقدرة متوسطة فى الخطابة لم تكن عند غيره من الضباط ، فضلاً عن أن انتماءه للبيت العلوى الشريف يرشحه لأكبر زعامه اسلامية ، فأصبح بكل هذا صاحب المقام الأكبر فى الثورة . واعتقد الناس فى اخلاصه ، لأنهم لم يروا له غرضاً خاصاً مما كان يُظن فى غيره من أصحاب هذه الحركة

أما المعروض الآنف الذكر فقدّمه الى رياض باشا أحمد عرابى وعلى فهمى بأنفسهما تقديم المعروض ( ١٣ صفر سنة ١٢٩٨ هـ : ١٥ يناير ١٨٨١ م ) . فألح عليهما أن يسترجعاه ، وهو

الدين الموحد	الدين الممتاز	دين الدائرة السنية	دين الدومين (روتشيلد)	الجملة	جملة الارباح سنويا
بسر ٤ ٪	بسر ٥ ٪	بسر ٤ ٪	بسر ٥ ٪	٩٨,٢٧٦,٦٦٠	٣,٩٧٢,٣٨٧
٥٧,٧٧٦,٣٤٠	٢٢,٥٨٧,٨٠٠	٩,٥١٢,٩٠٠	٨,٤٩٩,٦٢٠		

الدين  
وقت صدور  
قانون التصفية

وبعد الفصل في مسألة الدين تفرغت المراقبة الثنائية والوزارة المصرية لإدخال كثير من الاصلاح . وكان من أهم ذلك أن شكلت لجنة علمية للنظر في أمر التعليم برئاسة علي إبراهيم باشا ناظر المعارف في ٧ جمادى سنة ١٢٩٧ هـ (٢٧ مايو ١٨٨٠ م) فاجتمعت مراراً وعدلت مناهج التعليم ووسعت نطاقه في البلاد . ثم قدمت تقريراً بما تراه من الاصلاح ، فأقرته الحكومة وأبلغت ميزانية المعارف الى ضعي ما كانت عليه . واهتمت الحكومة أيضاً بطرق الري وانشاء الترع والقناطر والجسور وغير ذلك من أسباب زيادة الثروة . وبالاختصار دخلت البلاد في طور اصلاح جديد كان يُرجى منه خير كبير لولا أن دأبتها تلك الحوادث المشؤمة المعروفة بالثورة العرابية

الاصلاحات  
الداخلية

## الفصل السادس

### الحوادث العرابية

١٢٩٨ - ١٢٩٩ هـ : ( ١٨٨١ - ١٨٨٢ م )

عند ما كانت الاصلاحات التي ذكرناها سائرة في طريق تقدم البلاد كان روح الاستياء يتفشى في الجيش يوماً بعد يوم . ذلك لأن معظم الترقى بين ضباطه كان قاصراً على الأتراك منهم والشراكسة ، وقلماً وُجد وطني منقلداً احد الرتب والألقاب السامية . وكان الضباط المصريون يتوقعون أن ينال الجيش شيئاً من الاصلاح العام الذي دخل البلاد فلم يحظوا بأمانيهم ، فخذوا على الحكومة . وازداد

تذمر الضباط



( ١ ) يخفض ربح الدين الموحد الى ٤٪ ويكون الضمان لذلك الدين دخل قانون التصفية الميكوس (الجمارك) بما فيها رسوم الدخان، ودخل مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة، وتُدفع هذه الأموال الى صندوق الدين مباشرة.

( ٢ ) يدخل في الدين الموحد الباقي من الديون القصيرة الأجل التي اقترضت في سنة ١٨٦٤ و ١٨٦٥ و ١٨٦٧ م بنقص ٢٠٪ من قيمتها

( ٣ ) يُستصدر قرض ممتاز جديد بمبلغ ٨,٧٤٣,٨٠٠ جنيه لدفع الديون السائرة التي لم تسدد بعد

( ٤ ) تدير « الدائرة السنية » ادارة تشرف عليها هيئة من مندوبي الدول ، ويكون ربح القرض المستصدر عليها ٤٪ حتمًا و ٥٪ اذا كفت غلة أراضي الدائرة لذلك ( لم تكف الغلة قط لدفع ٥٪ ) .

( ٥ ) تدفع الديون السائرة جزئيًا أو بالكامل ، وبالنقد أو بسندات مالية من السندات الممتازة ، حسب أهمية المستندات التي بأيدي أصحاب هذه الديون

( ٦ ) يصرف مبلغ ١٥٠,٠٠٠ جنيه سنويًا لمدة ٥٠ سنة للذين دفعوا أموال « المقابلة » ، اذ أن الضرائب المفروضة على أرضهم لن تخفض كما كانوا ينتظرون

( ٧ ) يقسم دخل الحكومة الى قسمين : قسم خاص بنفقات ادارة البلاد لا يزيد بحال من الأحوال على ٤,٥٢٠,٠٠٠ جنيه ، وقسم لسد أرباح الدين وأقساطه وهو الباقي من الدخل البالغ في تلك السنة ١٢,٠٠٠ و ٨,٤٠٠ جنيه )

هذه هي الأنظمة النهائية التي حُلّت بها مسألة المالية المصرية وأقرتها الدول .  
ويلاحظ أنه بمقتضاها نقص مقدار الدين المصرى وأرباحه عما كان عليه بمقتضى الأنظمة السالفة

حل المسألة  
المالية نهائياً

أما بيان أجزاء الدين عند صدور قانون التصفية فيمكن تلخيصه فيما يأتي :  
تاريخ مصر جزء ٢٠ (٣٧)

لجنة التصفية منها عمل حل نهائي للمشاكل التي بين الحكومة ودائنيها، بحيث لا يُعْبَن أحد الطرفين أكثر من الآخر. فشكّلت اللجنة من أعضاء ممثلين للدول الأوربية العظمى، وفيهم أعضاء لجنة صندوق الدين، برياسة « السير رفرز ولسن »، واتفقت الدول على أن ترضى بما تقرره اللجنة في هذا الشأن. ولم يكن المراقبان من بين أعضاء هذه اللجنة، بل بقيا في جانب الحكومة ليدفعا عنها من الغبن ما عسى أن يطمع فيه أعضاء اللجنة

مشروع المراقبين للتصفية وفي أثناء اشتغال اللجنة بالفحص والمناقشة في أمر تصفية الدين انصرف المراقبان الى عمل كل اصلاح فيه التسهيل لسير أعمال الحكومة في المستقبل على أساس متين وقاما من تلقاء نفسها بتحضير مشروع لتصفية الديون رجاء أن تتبعه اللجنة ان لم تُوفق هي الى عمل مشروع من عندها ( لوقوع الخلاف يومئذ بين بعض أعضائها ). وأهم ما جاء في هذا المشروع أن ينقص ربح الدين الموحد من ٧٪ الى ٤٪، وأن يصرف النظر عن جميع الأرباح المتأخرة التي لم تدفع في الماضي. ومن الاصلاحات التي قام بها المراقبان أنهما سمها على العمل بما اقترحت لجنة التحقيق من الاصلاح : فالنقانون المقابل نهائياً، وأنقص الفرق بين الأراضى العشرية والخراجية بزيادة ضريبة اضافية على الأراضى العشرية قدرها ١٥٠,٠٠٠ جنيه ، والنقطة معظم الضرائب الدينية مثل العوائد الشخصية ورسوم القبانة والصرافة ورسوم الأراضية في أسواق الريف . ومن أهم هذا الاصلاح تعيين مواعيد محدودة لجمع ضريبة الأراضى بحيث تدفع الأقساط في أوقات تناسب المزارعين . ولا يخفى ما كان يلاقه هؤلاء من قبل من جراء مطالبتهم بها في غير موعد وبدون انذار

الموافقة على المشروع

وأما مسألة تصفية الدين فلم يقدم أعضاء اللجنة عنها تقريراً، وإنما تم الاتفاق على حل للمسألة (ر) بما استُمد أكثره من اقتراحات المراقبين)، وصدر بذلك أمر عال في ٨ شعبان سنة ١٢٩٧هـ (١٧ يولييه سنة ١٨٨٠ م) يعرف « بقانون التصفية » . ويلخص فيما يأتي :-

في مصر نفوذ كان قد ضاع منها . أما إنجلترا فلم يكن من سياستها إذ ذاك العمل على إضعاف الدولة ، فلم تمارض فيما يريد به الباب العالي إلا في مسألة الوراثة ، فانها رأت بقاءها في اكبر أولاد الخديوى ضمن للسكينة في مصر : ولكن فرنسا تمسكت كل التمسك بأمر آخر وهو عدم إلغاء الامتياز الخاص بعقد المعاهدات التجارية ، وبعد أخذ وردّ اذعن الباب العالي لهذين الطالبين واكتفى في التقليد الجديد بتعديل ما جاء في تقليد سنة ١٨٧٣ م بشأن الجيش واقتراض الديون من الدول الأجنبية ، فاشتراط ان لا يزيد الخديوى الجيش على ١٨,٠٠٠ في وقت السلم ( وفي وقت الحرب يكون الأمر للدولة ) ، وأن لا يعقد قروضاً جديدة « إلا بالاتفاق مع الدائنين الحاضرين أو وكلائهم ويكون ذلك منحصرأ في تسوية أحوال المالية الحاضرة »

أما المسألة الثالثة وهي تعيين نوع اشراف الأوربيين على شؤون الحكومة فقد تم ٣ . الاشراف  
الاوربي  
الاتفاق بين الخديوى وبين الدول الأوربية على أن تُجدد « المراقبة الثنائية » التي كانت في عهد اسماعيل ، بشرط أن تقتصر أعمال المراقبين على الفحص والتحقيق ، وأن لا تتعداها الى التدخل في شؤون الادارة . فعُين « السير إفلين بيرنج » مراقباً من قبل إنجلترا ، و « الميودى بلانير » مراقباً من قبل فرنسا ( ذى الحجة سنة ١٢٩٦ هـ : نوفمبر سنة ١٨٧٩ م ) ، واشترطت حكومتاهما أن لا يُعزل أحدهما من منصبه إلا بعد موافقة دولته . فقسلم المراقبان أعمالهما ، ولم يقسما اختصاصهما بل عملاً سويًا بالتكافل ، وعوّلا في مهمتهما على السير مع رجال الحكومة المصرية بالحزم والمجاملة كي يكسبا ثقتها ، فيتيسر لهما اجراء ما يلزم من الاصلاح في مالية البلاد وشؤونها بدون مقاومة منها . وبالفعل حازا ثقة الحكومة فأذن لهما بحضور جلسات مجلس النظار . وأعدّا مشروعات كثيرة نافعة كان لها الأثر الأكبر في تسوية الديون المصرية تسوية نهائية ، وفي كثير من الاصلاح الذي تم بالبلاد عقب الاحتلال البريطاني وأما المسألة الأخيرة وهي الفصل بين الحكومة المصرية ودانيتها فنقرر بشأنها تشكيل لجنة شبيهة بلجنة التحقيق التي سبق ذكرها يقال لها « لجنة التصفية » ، الغرض



رياض باشا

ولما كانت تولية الخديوى الجديد تقتضى اصدار تقليد آخر عوّل الباب العالى على أن يكون هذا سالباً للامتيازات الأولى ، فعارضت دولتا فرنسا وانجلترا فى الأمر وطلبنا الاطلاع على صورة التقليد قبل اصداره

وقد علمنا فيما سبق أن تقليد سنة ١٨٧٣ م يتضمن الميزات الأربع الآتية :-  
( ١ ) جعل الوراثة لأكبر أولاد الخديوى بدلاً من جعلها لأكبر فرد فى الأسرة ( ٢ ) منح مصر الحق فى عقد معاهدات تجارية مع الدول ( ٣ ) تحويل الخديوى حق اقتراض المال من الدول الأجنبية ( ٤ ) تحويله حق زيادة الجيش الى أى عدد أراد

ميزات تقليد  
سنة ١٨٧٣

فعارضت فرنسا فى الغاء هذه الامتيازات كل المعارضة ، لأنها كانت تعمل فى ذلك الحين على تقويض أملاك الدولة ونزعها من يدها ، فلا ترضى بأن يرجع اليها



المزايا في عهد اسماعيل - والأوروبيون ناقون ، لأن أموالهم لم تدفع اليهم ولأن الاضطرابات السائدة جعلت التجارة في كساد فقلت بذلك أرباحهم . ولم يكن لتوفيق باشا رحمه الله من الدهاء والعزم ما يجعله خير مكافح لكل هذه الخطوب ، إلا أنه كان محباً للبلاد شديد الميل الى ما فيه راحتها ، فلم يدخر وسقاً في العمل على إسماعيلها وانقاذها مما خل بها من العناء بإدخال كل ما يمكنه من الإصلاح

٤ أمور  
للفعل فيها

وقبل أن يسير هذا الإصلاح في مجراه اقتضت الأحوال الفصل في أربعة أمور هامة : أولها تحديد مقدار نفوذ الخديوى في حكم البلاد ، والثاني تقرير العلاقة بين الخديوى والدولة العلية ، والثالث تعيين نوع الإشراف الذى يكون للأوربيين على شؤون مصر ، والرابع الفصل فى المسائل المالية بطريقة تكفل الاتفاق بين الحكومة المصرية ودائيتها الأوربيين

١ . الخديوى  
والوزارة

ففى المسألة الأولى عول الخديوى على اشراك وزرائه معه فى حكم البلاد وعدم الاستئثار بالسلطة ، فعهد الى « شريف باشا » بتشكيل وزارة . فقدم اليه هذا مشروعاً يقتضى جعل الحكومة نياية محضة ، فلم يوافق عليه الخديوى لاعتقاده أن البلاد لا تستطيع أن تخطو دفعة واحدة من حكومة استبدادية مطلقة الى حكومة نياية محضة ، فاضطر شريف باشا الى الاستقالة ( ٢٩ شعبان سنة ١٢٩٦ هـ : ١٨ أغسطس سنة ١٨٧٩ م ) . فعزم الخديوى على ترؤس مجلس الوزراء بنفسه ، إلا أن هذه الطريقة لم تدم طويلاً ، وفى ٤ شوال ( ٢٢ سبتمبر ) استدعى « رياض باشا » وكافه تشكيل وزارة . وحفظ الخديوى لنفسه الحق فى ترؤس مجلس الوزراء متى رأى حاجة الى ذلك ، إلا أنه جعل للوزراء نفوذاً حقيقياً فى ادارة شؤون البلاد . فحلت بذلك المسألة حلاً مرضياً وشرعت وزارة رياض باشا فى مباشرة أعمالها على أساس ثابت

وزارة  
رياض باشا

٢ . مصر  
والدولة

أما مسألة علاقة مصر بالدولة فكان الباب العالى يريد بمسألة عزل اسماعيل باشا أن يزيد من سيادة الدولة على مصر ويلقى الامتيازات التى منحها لاسماعيل . وكان عند اصدار الأمر بعزله أصدر معه أمراً سلطانياً بالغاء تقليد سنة ١٢٩٠ هـ ( ١٨٧٣ م ) .

## الفصل الخامس

### أوائل حكم توفيق باشا

١٢٩٦ - ١٢٩٨ هـ ( ١٨٧٩ - ١٨٨١ م )

تولى توفيق باشا أريكة مصر ( ١٩ شعبان سنة ١٢٩٦ هـ : ٨ أغسطس ١٨٧٩ م )  
والمصاعب تحيط بالبلاد من كل جانب : فالخزائن خالية والجيش معتل النظام ، والأهلون  
ساحطون - الفقراء منهم لما نالهم من الجور ، والأغنياء مخافة أن يفقدوا ما نالوه من

المصاعب عند  
تولية توفيق



توفيق باشا

اعلان الافلاس . وكان قد استمال الأعيان والعلماء ، فقدموا اليه معروضاً أظهروا فيه خلع الوزارة  
 بالنيابة عن الأمة استياءهم من الحالة الحاضرة ومن عزم الفرنج على اعلان افلاس  
 الحكومة ، وطلبوا اليه تشكيل وزارة مصرية محضة تكون مؤاخذه أمام مجلس الأعيان  
 فعزل الحديوي الوزارة وشكل غيرها برياسة « شريف باشا » اختار جميع أعضائها  
 من المصريين ، وعول أيضاً على رفض المشروع الذي ستقدمه لجنة التحقيق لحل  
 المسائل المالية ، وعزم على العمل بموجب المشروع الذي حضره هو بمعونة أتباعه  
 فاثارت كل هذه الأمور غضب الدول الأوربية ، وعلموا أنه لا يمكن انجاز أى عمل  
 لتسوية المالية المصرية وتثبيت حقوق رعاياها ، ما دام اسماعيل باشا خديوياً على  
 مصر ، إذ ظهر أنه يأبى إلا أن يكون هو صاحب السلطة في البلاد ، وأن يتصرف  
 في شؤونها ومالها كيف شاء ، وبعد أن تفاوضت فيما بينها قررت عزله من خديوية  
 مصر ، فعرضت عليه أن يستقيل ، فلم يقبل وأحال الأمر على السلطان . فما زالت  
 الدول تستعمل النفوذ والتهديد لدى الباب العالي حتى استصدرت منه أمراً بعزل  
 اسماعيل باشا ، فجاء منه الى مصر نبأ برقي بذلك في ٦ رجب سنة ١٢٩٦ هـ  
 ( ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٩ م ) ، فلم يبد اسماعيل باشا مقاومة أخرى ، وعهد بأمر  
 البلاد الى ابنه « توفيق باشا » ( وكان قد ورد اليه نبأ برقي آخر بتوليته على مصر )  
 وخرج اسماعيل باشا من مصر في ١٠ رجب ( ٣٠ يونيه ) وأبحر من الاسكندرية  
 على سفينة « المحروسة » الى ايطاليا

التأهب لرفض  
 اقتراح اللجنة

عزل  
 اسماعيل باشا

تقوى موارد البلاد على القيام بشروطه ، فعانى الوزراء مصاعب جمة في جمع الأموال اللازمة ، ولم يعاينهم الخديوى بنفوذه الأدبى . فظن الأوروبيون انه يعرقل مساعى الإصلاح الذى يريدونه لما فيه من سلبه بعض نفوذه ، وساعدتهم على هذا الاعتقاد أن ثار الجند لعدم قيام الوزارة الجديدة بدفع ما تأخر لهم من الرواتب ، فتجمعوا أمام وزارة المالية وقبضوا على « نوبار باشا » و « السير رفرز ولسن » وأهانواهما ، ولم ينصرفوا إلا بعد أن حضر الخديوى وأمرهم بالانصراف فانصرفوا سريعاً . فكان ذلك سبباً في الظن بانهم ثاروا بايعاز منه

نوران الجند

وعند ذلك أعلن الخديوى أعضاء اللجنة انه لا يعدّ نفسه مؤاخذاً عما يحدث من الخلل أو الاضطراب بالبلاد ، ما لم يكن له نصيب فعّال في حكمها . وبعد أن تداول معهم في هذا الشأن أقبل « نوبار باشا » من رئاسة الوزراء ، تخافت الدول أن يعود الخديوى الى الاستبداد بالسلطة ، ففاوضوه في الأمر . ثم أقرّ الخديوى على أن يعهد برئاسة الوزارة الجديدة لولى العهد ابنه « الامير توفيق » بشرط أن لا يتدخل هو في قرارات مجلس النظار ، وأن يكون للناظرين الأوروبيين جميع الحقوق المحولة لباقي النظار فشرعت الوزارة الجديدة في العمل بالاتفاق مع أعضاء صندوق الدين ولجنة التحقيق حسب العادة ، وكانت أرباح بعض الدين تستحق الدفع في ٨ ربيع الثانى سنة ١٢٩٦ هـ ( أول ابريل سنة ١٨٧٩ م ) ، فلم يتوافر لدى صندوق الدين المبلغ اللازم لدفعها في حينها ، فقرر أعضاؤه بالاتفاق مع لجنة التحقيق والوزارة تأجيل الدفع الى أول مايو . فأظهر الخديوى استياءه من ذلك ، وقال انه عار على مصر ، وعده دليلاً على أن كل هذا التدخل الأوروبى لم يأت بالنتيجة المطلوبة وكان تقرير لجنة التحقيق قد قارب الانتهاء وعُرف جل ما فيه . وعلم الخديوى أن التقرير سيعلن رسمياً إفلاس الحكومة المصرية ، فانتهاز فرصة حدوث كل ذلك ، وعمل على استرجاع نفوذه وخلع الوزارة التى بها عضوان من الفرنج وكل أعمالها باشارتهما

اقالة نوبار  
وتنصيب  
الامير توفيق

تقرير  
تأجيل الدفع

وقام هو باعداد مشروع لتسوية الأمور المالية مخالف لمشروع اللجنة ولا يقضى

هدم  
رضاء الخديوى



المرض ، ولكنها رأت قبل التعرض للتفصيلات الواجب اتباعها في حل المشكلة المالية مقترحات اللجنة أن تطلب الى الخديوى اصلاحات لا يتسنى بدونها السير بمقتضى اقتراحاتها . فطلبت من سموه أمرين : الأول ان ينزل عن جميع أملاكه للحكومة ، ويُجمل له نظير ذلك راتب سنوى فى مجاجاته اذا راعى جانب الاعتدال ، والثانى أن لا يستقل بإدارة شؤون البلاد ، بأن يُشرك معه وزراء وُاخذين على أعمالهم ، حتى لا يتم عمل إلا بعد مراعاة مصلحة البلاد

وأرسلت اللجنة الى سموه تقريراً بذلك فى أوائل شعبان سنة ١٢٩٥ هـ (أغسطس سنة ١٨٧٨ م) وبعد أن نظر فى مطالبهم عول على اجابتها ، وأمر بتشكيل وزارة مسئلة برئاسة نوبار باشا بتاريخ ٢٩ شعبان سنة ١٢٩٥ هـ (٢٣ أغسطس ١٨٧٨ م) وأدخل فى عدادها السير رفرفز ولسن والمسيو بلنيير ، فصار للأوربيين وزيران فى الحكومة بعد ان كان لهم مراقبان محدودا النفوذ ، وفى ١٩ شوال (اكتوبر) أصدر أمراً عالياً بالنزول عن معظم أملاك الأسرة الخديوية للحكومة ، وجُمعت هذه الأملاك « الدومين » ضماناً لدين جديد قدره ٨,٥٠٠,٠٠٠ جنيهه للاستعانة به فى عدة شؤون، منها تسديد الديون الثابتة ( ذات السنوات ) . وهذا الدين هو الذى عُرف بدين «روتشيلد» نسبة الى أصحاب البيت الذين أقرضوه الحكومة \* . وقد تم تسديده فى سنة ١٣٣١ هـ ( ١٩١٣ م ) فأُلغيت إذ ذك مصلحة الدومين التى كانت تدير الأملاك الضامنة لهذا الدين ، ودخلت هذه الأملاك من ذلك الحين ضمن الأملاك الأميرية العادية

واستمرت اللجنة فى فحص الشؤون المالية وادخال الاصلاحات الجديدة تمهيداً لتسوية الدين بطريقة نهائية . وكانت بالطبع تتبع فيما يختص بدفع أرباح الدين وأقساطه النظام الذى سُن بموافقة صندوق الدين فى سنة ١٨٧٦ م ( نتيجة بعث غوشن ) ، ريثما تفرغ من وضع نظامها الجديد . ولا يخفى أن ذلك النظام لم يكن بحيث



شريف باشا

بحوث  
لجنة التحقيق

ولاحظت اللجنة أن الحكومة فضلاً عن ائتمالها كاهل الأهالي بجميع أنواع الضرائب قد جبت منهم مبالغين بشروط لا يمكن الاستمرار على العمل بها : أولها ما أخذ منهم بمقتضى قانون « المقابلة » ، وثانيهما دين « الرزنامة » ، فعولت على مراعاة ذلك عند تسوية الحالة المالية . ورأت أيضاً أن الدائنين لم ينحصروا فى أصحاب المصارف والمقاولين ، بل منهم طائفة كبيرة من أصحاب المهنات الحقيرة كالحجارين والجمالين والحلاقين ، وإن كثيراً منهم لم تكن بأيديهم من الحجج القوية ما يكفى لتبرير دفع مطالبهم .

وقفت اللجنة على كل ذلك ، وقررت الخطة العامة التى يجب اتخاذها لتلافى هذا

أن تكتفى اللجنة المراد انشاؤها باعادة النظر في المقدار الحقيقي للدخل. ولكن الدول تمسكت بطلب لجنة صندوق الدين، وفي غرة ربيع الثاني سنة ١٢٩٥ هـ ( ٤ ابريل ١٨٧٨ م ) أصدر اسماعيل باشا أمراً عالياً بتشكيل لجنة للتحقيق \* لها الحق المطلق في اجراء كل ما تريد من التحريات والتحقيقات ، وعهدت رئاسة اللجنة الى « المسيو ديلسبس » ، وجعل رياض باشا والسير رفرز ولسن وكيلين لها ، وجعل مندوبو الدين أعضاء فيها

فشرعت اللجنة في فحص كل شيء يختص بالمالية المصرية: من النظر في الأنظمة الادارية والضرائب وأنواع الديون المطالب بها وأصلها وغير ذلك. ولم يكد الأعضاء يشروعون في انجاز مهمتهم حتى اعترضهم حادث وقف العمل فترة ، وذلك أنه لما كان قد خول لهم حق الاستفسار من أى موظف في الحكومة عن أى شيء استدعوا « شريف باشا » ( ناظر الحفانية وأعظم الوزراء إذ ذاك ) للحضور أمامهم للإجابة عن استعلاماتهم، فلم يرضَ « شريف باشا » بالحضور أمامهم محافظة على كرامته، وقال انه مستعد للإجابة عن أسئلة اللجنة كتابةً ، فأصرت اللجنة على استحضاره ، فاضطر الى الاستعفاء . وبعد مضي هذه الحادثة التي اعترضت السير في التحقيق عادت اللجنة الى مباحثها وانكب أعضاءها على العمل يومياً حتى وقفوا على مواضع الخلل في المالية ؛ فكشفوا بذلك عيوباً خطيرة مما لم يكن على بال ، من أهمها عدم التفريق بين المطلوب من الحكومة والمطلوب من الأسرة الخديوية ، والاسراف في شراء لوازم الجيش وغيره لمجرد الرغبة في اقتناء كل شيء. جديد أو اختراع ظريف يعرضه الأوروبيون على الخديوى ويبالغون له في محاسنه ، وزيادة أجور الأعمال التي يقوم بها المتعهدون الأوروبيون ونحوهم زيادة فاحشة عما تستحق (من ذلك أن نفقات اصلاح ميناء الاسكندرية بلغت ٢٥٠٠٠٠٠٠ جنيه مع أنها لم تعادل أكثر من ١٥٠٠٠٠٠ جنيه ) ، واقتراض الأموال بأرباح باهظة لم يسمع بمثلا

الاسكندرية\* ترغيباً في شرائها ، ليصرف ثمنها في تسديد الديون السائرة  
( ح ) ٨٠٨١٥٠٠٠ جنيه قيمة دين الدائرة السنوية . واعتبر هذا الدين قائماً  
بذاته ويسدد من دخل تلك الدائرة  
وبذلك نقص الدين الموحد الى ٥٩٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وجعل سعره ٦٪ واتفق  
على أن يسدد ١٪ من أصله سنوياً

واقترح اللورد غشن على الخديوى عدة اصلاحات لتوطيد مركز الحالة المالية  
وتسهيل السير بانتظام في دفع أرباح الدين وأقساطه  
فشرع الخديوى في انفاذ هذه الاقتراحات ، وأدخل بحكومته عدة موظفين أوربيين  
من أصحاب الكفاءة الكبيرة للقيام بذلك الإصلاح

السمى  
في الإصلاح

من ذلك أنه وافق على تعيين مراقبين عموميين لحساب الحكومة : أحدهما إنجليزى  
لمراقبة الدخل وهو « السير رِفْرَزُولْسُن » ، والثانى فرنسى لمراقبة المصروفات ، وهو  
« المسيو بلنيزير »

ابتداء  
المراقبة الثنائية

على أن الخديوى لم يلبث أن رأى ذلك ينقص من نفوذه ، فلم يطلق للمراقبين  
كل الحرية في العمل . فلم يكن لذلك الإصلاح الأثر المطلوب ، ولم توفق الحكومة  
الى أن تجمع قبل الميعاد المحدود لدفع أرباح الدين ما يكفى من المال لتسديدها ،  
فأتبعت كل طريقة في جمع الضرائب قبل ميعادها حتى تيسر جمع المال المطلوب ،  
فَسَلَّمَ لصندوق الدين في آخر لحظة أى قبل الميعاد المحدود ببضع ساعات

قلة نجاحها

دلت هذه الحالة السيئة على أن شؤون الحكومة لم تنزل في حاجة الى الإصلاح ،  
وأحست لجنة صندوق الدين ان اتفاق سنة ١٨٧٦ م بشأن تسديد الدين ربما  
كانت شروطه شديدة . فطلبوا الى الخديوى أن يأمر بتشكيل لجنة لتحقيق تفحص  
الشؤون المالية فخصاً شاملاً حتى تقف على أسباب ذلك المعجز في مورد الحكومة .  
فلم يرض الخديوى في أول الأمر بمنح اللجنة كل هذه الحقوق الكبيرة ، ورأى

لجنة التحقيق



عند ذلك تذرعت دول أوربا ، فاهتم الخديوى بتأمينها على أموال رعاياها ، صندوق الدين وسعى الى ذلك بكل الوسائل ، الى أن أصدر أمراً فى يوم ٨ ربيع الثانى سنة ١٢٩٣ هـ ( ٢ مايو سنة ١٨٧٦ م ) بإنشاء لجنة يقال لها « صندوق الدين » تُشكل من مندوبى الدول ويُعهد اليها ادارة شؤون الدين المصرى وتدير ما يجب لانتظام تسديده . ثم أصدر أمراً آخر فى ٧ مايو بتوحيد جميع الديون المصرية من سائرة وغير سائرة وجمعها ديناً واحداً قدره ٩١,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وربحه ٧ ٪ . وينتهى تسديده فى ٦٥ سنة ولم تقبل الحكومة الانجليزية إرسال مندوب يمثلها فى صندوق الدين اسوة بباقي الدول ، ولكن أُضيف الى لجنة الصندوق فيما بعد عضو انجلىزى بدون مؤاخذه انجلترا وهو « السير إفلين بيرنج » الذى منح فيما بعد لقب « لورد » وصار يعرف « باللورد كرومر » . وسنعود الى ذكره فى هذا الكتاب

على أن توحيد الديون المصرية على هذا الوجه لم يرض انجلترا ، لأن معظم الدائنين الانجليز كانوا حملة سندات مضمونة بموارد ثابتة ، وغير الانجليز كان معظم أموالهم ديوناً سائرة . فلم يرض الانجليز من الانصاف أن يعامل الغريقان بطريقة واحدة . لذلك أرسلت كل من انجلترا وفرنسا مندوباً للنظر فى تعديل هذا الاتفاق ، فاختارت انجلترا « المستر غوشن » ( اللورد غوشن فيما بعد ) واختارت فرنسا « الموسيو جوبر » ، فمحصا الحالة المالية وقدا اقتراحاً بما يلزم ، وأصدر الخديوى بـ أمراً عالياً فى غرة ذى القعدة سنة ١٢٩٤ هـ ( ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٦ م ) حذف به من الدين الموحد ما يأتى : -

( أ ) ٤,٢٩٣,٠٠٠ جنيه قيمة الديون التى اقترضت فى ١٨٦٤ و ١٨٦٥ و ١٨٦٧ م ، أى قبل اشتداد الأزمة المالية . واعتبر ذلك الدين نوعاً قائماً بذاته ، ويسدد من أقساط المقابلة

( ب ) ١٧,٠٠٠,٠٠٠ جنيه قيمة سندات جديدة أطلق عليها اسم « الدين الممتاز » وجُعل سعرها ٪ . وجعل الضامن لسدادها دخل السكك الحديدية وميناء

انقاص الدين  
الموحد  
نوفمبر ٧٦

بعث غوشن  
وجوبر :

٣,٥٠٠,٠٠٠، ولكنها لم تدفع من الدفـع السنوية المذكورة الأجزاء من دفعة السنة الأولى فقط

اشتداد الازمة وفي سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) ازدادت أزمة الخديوى المالية ، وصار يصدر سندات على خزائن الحكومة بقيمة تقل كثيراً عن قيمتها الاسمية . ولما اشتدت الأزمة على الحكومة عرضت ما لها من أسهم القناة للبيع ، (وكان عددها ١٧٦,٦٠٢) فاشتترتها الحكومة الانجليزية بثمن بخس يقل عن ٤,٠٠٠,٠٠٠ جنيه . فلم يفرج ذلك شيئاً يذكر من الأزمة ، وصار يُخشى كل يوم من تدخل الدول الأوربية فى شؤون مصر محافظة على الأموال التى أقرضتها رعاياها الحكومة المصرية

وفى رمضان سنة ١٢٩٢ هـ (اكتوبر سنة ١٨٧٥ م) حدث ما يمكن اعتباره مبدأ التدخل الأوروبى فى الشؤون المصرية . وذلك ان « الخديوى اسماعيل باشا » طلب الى الحكومة الانجليزية أن تبعث الى مصر موظفاً انجليزياً ذا إلمام بالشؤون المالية ليسانده على اصلاح مالية مصر . فاختارت إنجلترا لذلك « المستر كيف » . فخص وخض الأمور مستعيناً فى عمله بما أمكنه الوقوف عليه من المعلومات ، ثم قدم تقريراً بما يلزم عمله لتسوية الديون المصرية . ولكن الخديوى لم يعمل باقتراحه ، فلم يكن لبعثه الى مصر أثر يذكر\*

وفى ١١ ربيع الأول سنة ١٢٩٣ هـ (١٨ ابريل سنة ١٨٧٦ م) توقف الخديوى عن صرف قيمة سندات الخزانة المصرية ، فكان ذلك اليوم المبدأ الحقيقى للمشكلة المالية المصرية ولتدخل أوربا فى شؤون مصر

\* يقدر مجموع الديون المصرية فى ذلك الحين من سائرة وغير سائرة بنحو ٩,٠٠٠,٠٠٠ جنيه . فلو راعينا ان مجموع دخل الحكومة المصرية زاد على نفقاتها فى مجموع المدة التى حكمها « اسماعيل باشا » بمبلغ ٤,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وان نصيب مصر من أسهم القناة يبع بمبلغ ٤,٠٠٠,٠٠٠ جنيه كان مجموع ما صرفه اسماعيل باشا وسعيد باشا فى غير شؤون الادارة العادية يساوى ١٣٤,٠٠٠,٠٠٠ جنيه . من ذلك ١٦,٠٠٠,٠٠٠ جنيه انفقت على قناة السويس و ٤,٠٠٠,٠٠٠ جنيه على السكك الحديدية واصلاح الاراضى وغير ذلك من الاشغال العامة . ونحو ٥٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه فى تسوية الديون واستبدالها ودفع ارباحها وأقساطها . فيكون الباقي حينئذ نحو ٢٥,٠٠٠,٠٠٠ جنيه لا تعرف الأوجه التى صرفت فيها

المعروف بقانون « المقابلة ». أعد هذا القانون بمشورة ناظر المالية الشهير « اسماعيل باشا صديق المقتش » ، الذى يعرف اسمه كل فلاح عاش فى هذا العهد ، والذى كانت له المقدرة العظيمة فى جباية الضرائب من الفلاحين . ومؤذاه ان كل مالك من ملاك الأرض يمكنه أن يصبح مُعفى على الدوام من دفع نصف ما عليه من الضريبة السنوية ، اذا دفع للحكومة ما يعادل تلك الضريبة ستة أعوام ، وله أن يدفع هذا المبلغ جملةً أو على ستة أقساط سنوية (وفى هذه الحالة تدفع أيضاً الضريبة الأصلية حتى يتم تسديد الأقساط) <sup>(١)</sup>

ولما كثرت الديون الأوربية على مصر ، وأوشكت موارد الضمان التى يمكن صدورها القرض تقديمها عنها أن تنفذ ، أصبح من الصعب اقتراض ديون جديدة ، وما أمكن اقتراضه منها كان بأرباح باهظة جداً لم يسبق لها مثيل . من ذلك أن اسماعيل باشا استقرض فى جمادى الثانية سنة ١٢٩٠هـ (يونيه سنة ١٨٧٣م) ديناً قدره ٣٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ليسدد به جميع الديون السائرة ، فلم يتمكن من عقد القرض إلا فى شهر مايو سنة ١٨٧٤ فكان مجموع ما قبضته الحكومة بالفعل من هذا الدين بعد طرح جميع أنواع النفقات والخصم و ( السمسرة ) يبلغ ٢٠,٠٦٢,٠٠٠ جنيه فقط ، أى بنقص ٣٧٪ عن مقدار ما حسب ديناً على الحكومة ، فضلاً عن ان المبلغ الذى قبضته الحكومة لم يدفع كله نقداً بل كان منه ٩,٠٠٠,٠٠٠ جنيه من سندات الخزانة المصرية <sup>(٢)</sup>

وتعهد اسماعيل باشا فى عقد هذا القرض أن لا يقترض ديوناً أخرى مدة سنتين الرزنامة ثم اشتدت حاجته الى المال ، فلجأ الى جمع قرض من الأهلىين يعرف بدين « الرزنامة » . وشروطه أن كل من يدفع للحكومة مبلغاً يأخذ نظيره دُفعاً سنوية على الدوام قدر كل منها ٩٪ من أصل ما دفعه . فجمعت الحكومة بهذه الطريقة

(١) كل من له المام بالرياضة يعلم ان هذه الطريقة فيها غبن فاحش للحكومة

(٢) معنى ذلك أن الحكومة نظير حصولها على ١١,٠٠٠,٠٠٠ جنيه نقداً فقط زادت دينها بقدر ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ( الفرق بين ٣٢,٠٠٠,٠٠٠ و ٩,٠٠٠,٠٠٠ )

نفقات الحفلة زائر أن يقضى بمصر نحو شهرين من غير أن يصرف درهماً واحداً من ماله . وقد بلغ مجموع ما أنفق على هذا الاحتفال نحو ١,٤٠٠,٠٠٠ جنيه

طور جديد في الملاحة وكانت الحفلة في شعبان سنة ١٢٨٦ هـ (نوفمبر سنة ١٨٦٩ م) . وبها ابتداء طور جديد في تاريخ الملاحة . فصارت السفن التي تجرى بين الشرق والغرب تسير بطريق ترعة السويس بعد أن كانت تعاني أعباء الرحلة الطويلة حول جنوبى افريقية وقد كان لابتداء هذا الطور وقع عظيم في أنحاء العالم المتمددين ، ولم يأت ذكره في ناد من الأندية أو دائرة من الدوائر الا كان مقروناً باسم بطله الاكبر « اسماعيل باشا خديوى مصر »

## الفصل الرابع

### المسألة المالية وانتهاء حكم اسماعيل باشا

كثرة النفقات لو نظرنا الى مقدار ما قام به « اسماعيل باشا » من المشروعات والأعمال العامة في أنحاء البلاد ، وراعينا ما كان في قصوره وحفلاته من أنواع البذخ والأبهة مما ضارع به اكبر ملوك الأرض ، علمنا أن ذلك كان يتطلب نفقات جمة تضيق خزائن مصر عن تحملها . فكان رحمه الله يستعين على ذلك بانجاز بعض أعماله من غير أن يدفع أجرها نقداً فيبقى عليه ديناً ( وهو ما يسمى بالدين السائر ) ، ويقترض ديوناً من الدول الأوربية لتسديد نفقات بعضها الآخر ( وهذه تسمى ديوناً ثابتة ) . وكانت الديون الثابتة لا تعطى الا اذا قُدِّمَ لأصحابها ما يضمن سدادها ، مثل دخل بعض مصالح الحكومة ، والأموال المحببة من بعض المديرات . فاذا تعذر عليه الحصول على ما ينبغي من الدول الأوربية لجأ الى جمع ما يطلبه من المال من أهل البلاد : سواء أكان ذلك بزيادة الضرائب أم باقتراض ديون أهلية ومن أشهر ما جمعه بهذه الطريقة الأخيرة المبالغ التي جباها بمقتضى القانون



عزّ على اسماعيل باشا أن يقف هذا المشروع الخطير بعد أن قارب الانتهاء ، فأقبل عليه يعضده بكل الوسائل ، حتى إذا قرب أجل افتتاح الترقية أخذ على عاتقه أن يتكفل باقامة حفلة الافتتاح على نفقائه الخاصة ، غير مدّخر وسعاً في جعلها على حال من العظمة والفخام بحيث تلائم ذلك المشروع الخطير

أقام اسماعيل باشا حفلة الافتتاح بالاسماعيلية ، فكانت غاية في الإبداع : دعا بعض الزائرين إليها ملوك أوربا وأمراءها وعظماءها وعلماءها وأدباءها ، فأجاب الدعوة منهم عدد عظيم ، وفي مقدمتهم «الامبراطورة يوجيني» (زوجة امبراطور فرنسا نابليون الثالث) ، ثم امبراطور النمسا « فرنسيس يوسف » والأمير فردريك ولي عهد ألمانيا

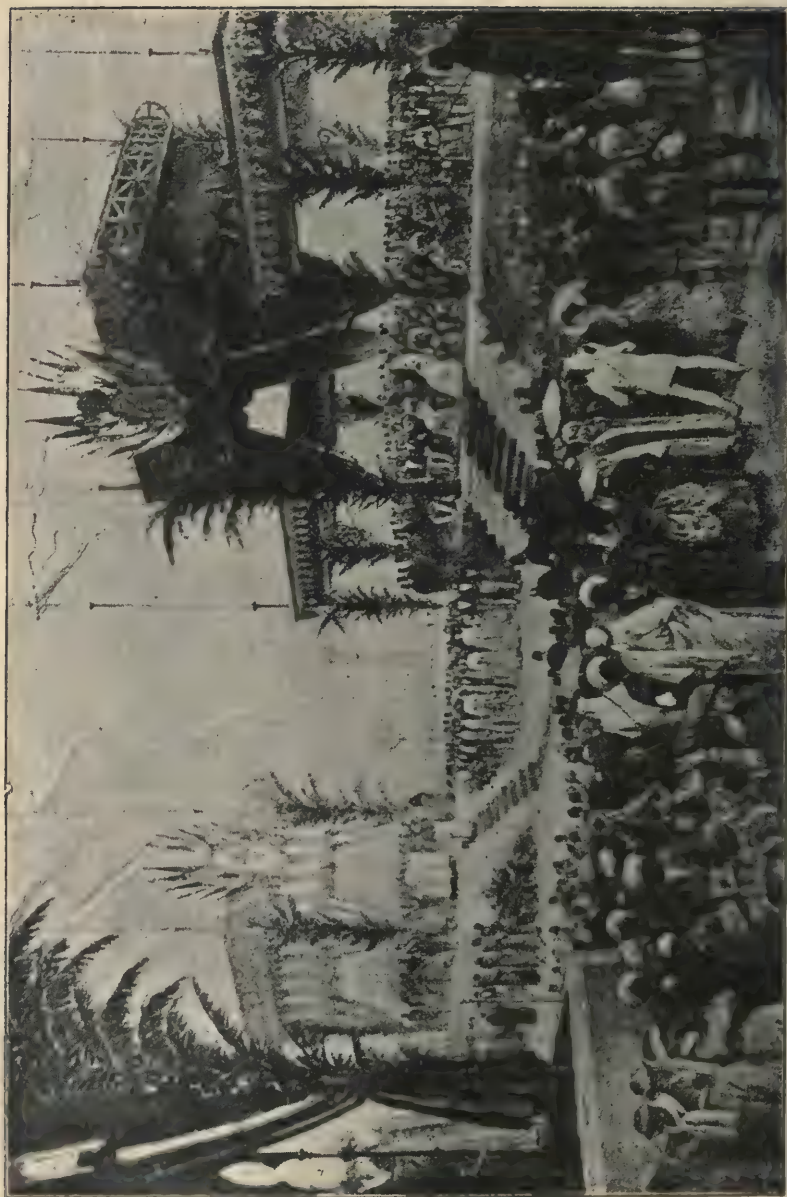
ثم أخذ اسماعيل باشا يعد المعدات ويقم الزينات ، غير ضانّ بما يحمله ذلك من عظم الاستعداد المال ، ظاناً أن في ذلك ارضاءً لزوّاره الأوربيين ووسيلة الى رفع قدره وقدر مصر في أعينهم . ومن أهم ما أعده لتلك الحفلة أن شيّد بالاسماعيلية قصرًا بديعاً على شواطئ قصر الاسماعيلية بحيرة التماسح ، لتقام فيه حفلة راقصة احتفاءً بالامبراطورة يوجيني ، لما كان لها من المكانة في هذا الاحتفال ، إذ كانت هي النائبة فيه عن فرنسا صاحبة المشروع . وأقام السراقات الفخمة المزينة بجميع أنواع الزينة ، لتمتد فيها الأسمطة للزائرين أيام الاحتفال

ولما علم أن الامبراطورة يوجيني ربما تود أثناء اقامتها في مصر أن تزور الاهرام أمر أن يُنشأ على وجه السرعة طريق يصلح لسير العجلات (العربات) من القاهرة الى قاعدة الهرم الأكبر . فجدّ في انشائه نحو ١٠,٠٠٠ عامل حتى تم في أقل من ستة أسابيع . ومن المباني التي شيّدها سريعاً بمناسبة هذا الاحتفال أيضاً ملهى « الأوبرا » بالقاهرة أما ما لاقاه الزائرون في مصر من أنواع الكرم والحفاوة فلا يكاد يدخل تحت وصف ، إذ كان قدومهم من أوربا وعودتهم إليها على نفقة مصر ، وسُح لهم بالسفر مجاناً في جميع خطوط السكك الحديدية ، وأمرت الحكومة موظفيها أن لا يدخروا وسعاً في مساعدتهم وارشادهم أثناء وجودهم بمصر ، وأعدت لهم العجلات والدواب والتراجمة بدون مقابل . وفي الجملة لا نكون مغالين إذا قلنا انه كان في استطاعة كل اكرام الزائرين

فمن سوا هذه العزلة لم يلبه المستودع ثم  
قوله العلماء أقطعتوا عن طلب العلم به البحر  
الزهر والبر ~~الزهر~~ دتا لدا أنه إيه فتنا  
القناة من البحر الزهر فاره الياح سوز تقره الوجه  
البحر دارة البلد تقيض لكة البر الزهر  
باخذارثوا البر اليبه ~~البحر~~

مصر

معرض افتتاح قناة السويس بالاسماعيلية



تنظيمه للسودان قبل منه ذلك . ولما تولى الأمر في هذه الأصقاع الواسعة رأى عدم استطاعته الانفراد بالحكم فيها وإدارة شؤونها وحده ، فقسم المديريات الاستوائية الى قسمين : سمي الأول منهما « مديرية خط الاستواء » وجعل مقرها « لادو » ، وجعل الحاكم عليها امين باشا ( الدكتور شنتزر ) أما القسم الثانى فانه سماه « مديرية بحر الغزال » وجعل المدير لشؤونها المسيو « جيسى الطلباني »

وكان للمسيو جيسى اليد الطولى في كشف جميع مجاهل هذه المديرية ، وقد أحسن معاملة الأهالى فيها وعودهم الأعمال العسكرية وشجعهم على انشاء السفن للتجارة ، فكان ذلك مدعاة لحق الجلابين ، لأن فيه كسداً لتجارهم . فأرادوا أن يخرجوا عليه ، فجمعوا بقيادة « سليمان بن الزبير » الشديد الحق على الحكومة المصرية لمنعها والده من العودة الى بلاده

جيسى في  
بحر الغزال

فلما علم غردون بذلك وجهه اليه بعض الجنود تحت امرة « جيسى » فقتلوا قتلاً شديداً كان النصر فيه حليف الجيش المصرى . وقتل سليمان في هذه الموقعة . وقد وجد « جيسى » معه رسائل من والده « الزبير باشا » تدل على أنه كان هو المحرض على هذا العصيان

قهر ابن  
الزبير وقته

وبقى غردون يدير شؤون السودان ويكافح تجارة الرقيق فيه حتى استقال في أوائل حكم توفيق باشا

استقالة غردون

## ٨ — \* اتمام قناة السويس \*

سبق ان أفردنا فصلاً في هذا الكتاب للكلام على ترعة السويس أوضحنا فيه مشروع حفرها وأتينا بشيء من تاريخ هذا المشروع منذ أزمان غابرة . ولا بد لنا من كلمة هنا على افتتاح هذه الترعة ، لأن ذكرها مقرون دائماً باسم اسماعيل ، اذ له العمل الأكبر في نجاح مشروعها واليد القوية في انجازه بعد أن دخل في طور احتضار وكاد يذهب ادراج الرياح

اسماعيل  
بطل المشروع



مصوع . وكان الخديوى قد أصدر أمراً لثالث أنجاله « الأمير حسن باشا » بمراقبة الحملة  
تجميعاً للجنود وتدريباً له . وبعد أن نزلت كل الجنود فى مصوع أخذ الجيش يزحف  
على بلاد الحبشة ، فاستمر فى التوغل حتى وصل الى « قرع » فى ٣ المحرم سنة ١٢٩٣ هـ  
( يناير سنة ١٨٧٦ م ) بعد أن ترك وراءه بعض الجنود لحفظ خط الرجعة بين مصوع  
والحبشة . ولما عسكر الجيش فى قرع وأقام الاستحكامات رأت القبائل المجاورة قوته ،  
فأخذت تنضم اليه وتدعن له بالطاعة

أما الأحباش فانهم لما رأوا ذلك جمعوا جيشاً عظيماً بقيادة النجاشى وقصدوا المصريين  
أولاً فى « قياخور » ، وكانت تحميها قوة مصرية بقيادة « عثمان رفقى باشا » ، فلم  
يفلحوا فى مهاجمتها لمناعة الاستحكامات المصرية ، فقصدها جيش القائد العام وأخذوا  
فى مهاجمته عند قرع ، وبعد معركة لم تدم طويلاً تشتت شمل الجيش المصرى بعد  
أن هزم شرهزيمة وقتل منه عدد عظيم ، منهم « محمد على باشا الحكيم » الطبيب  
الشهير ، وقد نجا القائد العام والأمير حسن بعد أن رأيا الهلاك عياناً . أما الأحباش  
فكانت خسارتهم أيضاً فى هذه الحروب جسيمة

ثم ابتدأت المفاوضات فى أمر الصلح ، فقبلت الحكومة المصرية المهادنة بشرط  
أن ترد الحبشة ما أخذته من الأسلحة المصرية ، وأن تكون التجارة متبادلة بين  
المملكتين . فامتنع ملك الحبشة من رد السلاح معتذراً بأن جيشه ليس منظماً حتى  
يتسنى له جمع كل الأسلحة ، وبعد مدة وجيزة تقرر الصلح وأذن ملك الحبشة بعودة  
الأسرى ( ٢٧ ربيع الأول سنة ١٢٩٣ هـ : ابريل سنة ١٨٧٦ م ) . ثم عاد القائد  
العام والأمير حسن وفلول الجيش المصرى

### رجوع غردون الى الحكومة المصرية

وفى عام ١٢٩٤ هـ ( ١٨٧٧ م ) دعا الخديوى « غردون باشا » للخدمة فى الحكومة  
المصرية بعد أن اعتزلها ، فاشترط عليه أن يجعله الحاكم العام على جميع الأقطار السودانية ،

غردون حاكماً  
عاماً للسودان

## حرب الحبشة

مشكلة الحدود  
مصر والحبشة  
علمنا فيما سبق أن الحكومة المصرية ضمت الى أملاكها في السودان الشرقي بلاد البوغوس وبركة القصارف على يد « منزنجر باشا » والى مصوع . ثم أرادت أن تعين الحدود بينها وبين الحبشة من تلك الناحية ، وان تستولى على بعض مقاطعات تتمكن بها من مد طريق حديدى بين مصوع والخرطوم على طريق كسلة و« الناقة » فجرت لذلك حملة بقيادة « أرندروب بك »

حملة  
أرندروب بك  
فلما وصلت هذه الحملة الى بلدة « سعد زجه » ورأى النجاشى توغل الجنود المصرية فى بلاده أخذ يتقهقر أمام القوات المصرية خديعةً منه . حتى اذا وصلت الجنود المصرية الى بلدة « عدخالة » أرسل القائد « أرندروب بك » الى ملك الحبشة « يوحنا » يطلب منه جعل نهر « خور الجاش » الحد الفاصل بين الأملاك المصرية والحبشة . فلم يقبل ، وكان « أرندروب » قد بلغه ان ملك الحبشة يستعد للهجوم عليه من ثلاث جهات ، فعزم على أن يبدأ بالهجوم ، فتقدم نحو « جونديت » واشتبك مع العدو وكان جيشه اضعاف الجيش المصرى يقوده النجاشى نفسه ، فكانت الدائرة على الجيش المصرى ، وفنى معظمه وقتل قائده العام . وتقهقرت فلوله الى الحدود الأصلية بين الحبشة ومصر

فشل حملة منزنجر  
وكان الخديوى فى هذه المدة أمر منزنجر باشا حاكم السودان الشرقى والبحر الأحمر أن يجرد حملة على بلاد الحبشة ويذهب بها من طريق « غندار » (عام ١٨٧٥م) فخرج عليه بعض القبائل فى الطريق ، فاغتالته وقتلته بجيشه ولما ذاعت أخبار هذه الهزيمة غضب الخديوى وعزم على الفتك بالحبشة محافظة على شرف الجيش المصرى ، فأخذ يجهز لذلك جيشاً عظيماً نصب عليه « راتب باشا » قائداً عاماً والجنرال « لورنج باشا » الأمرىكى رئيس أركان الحرب له وبعد ان تمت كل المعدات أخذت السفن تنقل الجيوش من السويس الى

قبل سفره اليها ابنه سايان . ولما لم ينل الزبير مطالبه عند قدومه الى القاهرة لم تأذن ابقاؤه بها له الحكومة المصرية بالرجوع الى السودان ، وأبقته في القاهرة مخافة أن يثور بالسودان عند عودته

### فتح هرر

في سنة ١٢٩٢ هـ ( ١٨٧٥ م ) نزلت الدولة العلية للحكومة الخديوية عن مدينة نزول تركيا « زيلع » وملحقاتها في مقابل مبلغ تدفعه سنوياً قدره ١٣,٣٦٥ جنيه مصرياً ، وبعد أن ضمت زيلع الى الأملاك المصرية أخذت الجنود المصرية تستطلع أحوال « هرر » وتعرف مسالكها . ولما تم لها ذلك سارت فرقة بقيادة « محمد رؤوف باشا » في شعبان سنة ١٢٩٢ هـ ( سبتمبر ١٨٧٥ م ) فوصلت بعد قليل الى مدينة هرر ، ضم هرر واحتلتها بدون مقاومة تذكر ، ورفعت العلم المصرى فوق قصر أميرها

### حملة نهر جوبا وجهات قسمايو

ولما أن تم للخديوى توسيع الأملاك السودانية من الجهة الجنوبية عزم على ارسال حملة ماكيلوب باشا في حملة الى بلاد الصومال الجنوبية لضم البلاد الواقعة على نهر جوبا الى مصر ، حتى يتسنى الصومال الجنوبي له إيبصال أملاكها في تلك الأصقاع بما لها في جهات خط الاستواء . فجهز لذلك حملة بقيادة « ماكيلوب باشا » من طريق البحر في شهر المحرم سنة ١٢٩٢ هـ ( فبراير ١٨٧٥ م ) فلما وصلت الى بلدة « براوة » الواقعة شرقي نهر « الجب » خضعت بمض القبائل للحكومة المصرية . ثم ترك فيها ماكيلوب باشا محافظاً وحامية ونقدم الى « قسمايو » عند مصب نهر جوبا . ولما لم تتمكن الجنود من السير فيه بالقوارب رجعوا الى « قسمايو » ونزلوا الى البر ، وأخذت الحملة تستكشف عن النهر . ولكن الحكومة رأت أن تستدعى ماكيلوب باشا وحملة خوفاً من وقوع المشاكل بينها وبين حكومة زنجبار التي كانت تحت حماية إنجلترا ، هذا الى نشوب الحرب وقتئذ بين مصر والحبشة

رجوع الحملة

غردون في  
خط الاستواء  
أما في وادي النيل فقد طالب الخديوى من الحكومة الانجليزية بارشاد ولى عهد  
انجلترا أن تمنحه تنصيب القائد « غردون » مديراً لمقاطعة خط الاستواء . فوصل  
الى مصر ونصبه الخديوى « حكاماً » لخط الاستواء في ذى الحجة سنة ١٢٩٠ هـ  
( يناير سنة ١٨٧٤ م ) . ومن ذلك الحين اهتم الخديوى بأمر السودان اهتماماً عظيماً  
فقسم بلاده الجنوبية الى قسمين : أولهما السودان الحقيقى ( وآخر حدوده « فاشودة »  
جنوباً ) ، وجعل ادارته لحاكم السودان العام ، والثانى اقليم خط الاستواء . وهو ما كان  
جنوبى فاشودة ، وجعله تحت ادارة غردون . فبسط غردون نفوذ الحكومة المصرية  
على تلك الجهات ، وأسس النقاط العسكرية لضبط السفن التى تتجر بالربيق  
بسط نفوذ  
مصر هناك

### فتح دارفور

اقترح الزبير  
وفي عام ١٢٩٠ هـ ( ١٨٧٣ م ) حسن « الزبير » للخديوى أمر فتح بلاد دارفور ،



الزبير باشا

وكانت مملكة مستقلة ، فعضدته  
الحكومة المصرية ، وتلقى الزبير  
فتح دارفور بجيش سلطان دارفور المؤلف من ٢٠  
ألف مقاتل ، فهزمه مراراً وانتهى الأمر  
بفتح هذه البلاد ، وصارت تابعة  
للحكومة المصرية . فهدت الحكومة  
الى الزبير ادارة الجهات الجنوبية من  
دارفور ، ومنحه الخديوى رتبة باشا .  
ثم شكك الزبير كثيراً من ثقل  
الضرائب على الأهالى ، وطلب أن  
يتشرف بمقابلة الخديوى ، فأذن له  
بقدمه مصر بذلك ، فسافر الى القاهرة وأتاب عنه

تنصيبه مديراً  
عليها



يزيد على ٢١٠ من مكاتب البريد في طول البلاد وعرضها ، فكان مقدار ما وُزِعَ من الخطابات في عام ١٢٩٥هـ ( ١٨٧٨ م ) يبلغ ٢,٥٠٠,٠٠٠

وأنار أيضاً أمهات المدن كالاسكندرية والقاهرة بالغاز ، ومد بها أنابيب المياه وأنشأ الشوارع المسبحة بالقاهرة والاسكندرية والسويس وزينها على النمط الغربي الحديث ، وقد باع ما أنفق عليها ما يقرب من ثلاثة آلاف الف من الجنيهات وان اكبر دليل قاطع على تقدم البلاد المادى ازدياد صادراتها ووارداتها في ذلك العصر ازدياداً مطرداً

#### ٧ — \* حروب اسماعيل باشا والفتوح التي تمت في عصره \* \*

لم يكن اسماعيل باشا ميالاً للحروب كجده الأكبر محمد علي ، إلا أنه رغم ذلك كان يُعنى بحميشه عناية كبيرة ، اذ أحضره كبار الضباط من الممالك الأوربية وأمريكا لتدريبه ، نخص بالذكر منهم « استون باشا » الأمريكي رئيس أركان حربه

وقد بلغ أقصى عدد الجيش النظامى في عصره ستين ألف مقاتل مساحة بنحو ١٤٤ مدفعاً ، عدا ثلاثين ألف مستحفظ وستين ألف جندى غير نظامى

وكان من أهم أغراض اسماعيل باشا توسيع نطاق ملكه في افريقية وضم كل ما يمكن كشفه أو فتحه من أراضيها الى مصر . فمن ذلك أنه عهد الى السير صمويل بيكر بالاستكشاف عن الجهات التي قرب منابع النيل الأبيض وضمها الى الحكومة المصرية ( ١٢٨٦ هـ : ١٨٧٠ م ) كما سبق ذكره عند الكلام على منع الرقيق

وفي عام ١٢٨٧ هـ ( ١٨٧٠ م ) ولى « مُنْزَنَجَر » السويسرى محافظاً على « مصوع » وكان الخديوى قد اشتراها هى وسواكن من الباب العالى في عام ١٢٨٣ هـ ( ١٨٦٦ م ) في مقابل ضريبة سنوية قدرها ٣٠,٠٠٠ جنيه . وقد اهتم « منزنجر » هذا بتوسيع أملاك مصر في السودان الشرقى فألحق بها « بلاد البوغوس » و « بركة القصارف »

ينفق عليه أكثر من خمسمائة ألف والـ ألف . فخذع اسماعيل في هذا العقد كما  
خُدع قبله سعيد باشا في عقد قناة السويس . وهذا في الحقيقة مثل من كثير . من  
أنواع الاتفاقات التي كان يُخدع فيها اسماعيل ويضيع من جرائها الأموال الطائلة  
وبنى أيضاً أسطولاً تجارياً ليحمل المتاجر والبريد بين مصر والدولة العلية وبلاد  
اليونان وغيرها ، وأنفق عليه خمسمائة ألف وألف ألف من الجنيهات

الاسطول  
التجاري

### الأعمال العامة

قام اسماعيل باشا بعدة مشروعات وأعمال عامة تمت في عصره فأفادت البلاد  
وجعلتها تضارع البلاد الأوربية في المدنية والحضارة

ومن بين هذه المشروعات مد السكك الحديدية في جميع أنحاء البلاد ، وقد  
أنفق عليها الأموال الطائلة . وكان طول ما أنشئ من السكك الحديدية قبل توليته  
لا يزيد على ٣٣٠ ميل ، فازدادت في مدته حتى بلغت ١٣٣٠ ميل ، أنفق عليها ما  
يقرب من عشرة آلاف ألف من الجنيهات

وقد شرع في مدته أيضاً في مد خط حديدى يخترق أواسط افريقية مبتدئاً من  
دنقلة ، فكان تصميمه أن يبلغ ١١٠٠ ميل . إلا أن العمل وقف لقلة المال بعد أن  
دُفع من نفقاته ٤٠٠.٠٠٠ جنيه . على أن هذا الخط لو تم لآتى بنفقاته في مدة سنتين  
قلائل ، لمروره في وسط سهول فيها الأنواع الكثيرة من الحيوان مما يكفي لسد  
حاجات مصر بل كل جنوبى أوروبا ، كما أثبت ذلك القائد « استون » رئيس  
أركان حرب الجيش المصرى حينما كان يستكشف عن أواسط افريقية ، اذ قال :  
« ان محصول الحيوان في هذه الجهة لا ينفد »

وأنشأ اسماعيل باشا أيضاً ما لا يقل عن ٢٠٠ ميل من خطوط الأسلاك  
البرقية ، واشترى مصلحة للبريد من أحد الغربيين المدعو المسيو « شينى » في عام  
١٢٨٢م ( ١٨٦٥م ) ، وبذلك أصبحت تحت ادارة الحكومة ونفوذها . وأسس ما

الاسلاك  
البرقية والبريد

١٤,٠٠٠,٠٠٠ جنيه في عام ١٢٨١هـ (١٨٦٤م). ولكن، أثبتت الحرب الأمريكية أن انتهت، وعادت أثمان القطن الى حالتها الأولى

فوجه الخديوى عنايته الى زرع قصب السكر، فكان ذلك شغله الشاغل، وأنفق قصب السكر عليه الأموال الطائلة، وسخر الأهالى في زرع، وأنشأ من أجله خطاً حديدياً من القاهرة الى أسيوط. وقد احتكر زراعته في أملاكه الخاصة على الضفة اليسرى من النيل بين القاهرة وأسيوط، واشترى لصنعه من الخارج الآلات الكافية لتشييد أربعة وعشرين معملأً أقيم بعضها وأهمل بعضها الآخر. وقد أنفق اسماعيل على هذه المعامل وما يلزمها سبعة آلاف ألف جنيه، عدا نفقات التربة البراهيمية التى حفرها لرى هذه الأراضى، وسخر فى حفرها عدداً عظيماً من أهالى القطر، وبعد أن أتم حفرها نصب عليها الآلات الرافعة. وهذه التربة من اكبر الترع التى أنشئت في مصر وأعظمها فائدة واكثرها نفقة

وكان معظم العمال الذين يشتغلون في معامل السكر يجبرون على العمل ويتقاضون أجورهم إما من السكر أو العسل

### التجارة

ووجه اسماعيل هم أيضاً نحو تحسين حال التجارة، لعلهم أن مصر كانت من قديم الزمان مركزاً عظيماً للتجارة. فبنى خمس عشرة منارة في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، لترشد السفن التجارية القادمة الى مصر، فأنفق عليها ما لا يقل عن ٢٠٠,٠٠٠ جنيه، ثم شرع في بناء مرافئ ميناء الاسكندرية وميناء السويس، فناط اصلاح ميناء السويس بشركة فرنسية، وبلغت نفقاته ٥٠٠,٠٠٠ جنيه. أما ميناء الاسكندرية فانه عهد أمر اصلاحه الى شركة انجليزية عقدت معه اتفاقاً على ألنى ألف وخمسمائة ألف جنيه. وقد اعترف « السير رفرز ولسن » أحد الموظفين في الحكومة المصرية في عهد اسماعيل ان هذا الاتفاق كان مجحفاً بمصر، وان الميناء لم

تاريخ مصر جزء ٢ (٣٤)

مرافئ  
الاسكندرية  
والسويس

الأمشيد من القصور العديدة والمباني الضخمة والبذل عن سعة في ملاذه وأغراضه حتى استنفد أموال البلاد وتركها تنوء تحت عبء ثقل من الديون، ولكننا سنظهر هنا بالبراهين القاطعة، مستشهدين بكلام مشاهير عصره، أن أكثر أقوالهم غير مطابق للواقع، وأن اسماعيل باشا أفاد البلاد ورقاها، وأن ما قام به وتم في عصره من الإصلاحات والمشروعات العامة لا يضارع ولا يتسنى لأى حاكم آخر في موضعه أن يأتي بمثله. إلا أن خطاه العظيم يرجع الى السرعة وتعدد المشروعات وعدم الحيلة في الانفاق على أعماله

### الزراعة

اصلاح الرى كان اسماعيل يعلم أن ثروة البلاد في زراعتها، لذلك وجه جانباً عظيماً من عنايته الى تحسين حالها. فكان أول عمل قام به أن حفر أكثر من مائتي ترعة، ورصف مسافات طويلة من شواطئ النيل، وأنشأ آلاف الأميال من الطرق الزراعية في جميع انحاء القطر، وأؤم عليها ما لا يقل عن ٥٠٠ قنطرة من أهمها قنطرة الجزيرة (كبرى قصر النيل) التي تعتبر من أعظم الأعمال الهندسية في القطر المصري. ثم أصلح ما لا يقل مساحته عن ١,٥٠٠,٠٠٠ من الفدادين، فزاد بذلك الأراضي المزروعة في القطر بنسبة ٣٠٪. وإن لم يكن لاسماعيل باشا حسنة أو اصلاح في البلاد غير هذه لكفى

زيادة الاراضى المزروعة

وفي أوائل حكمه اشتعلت نار الحرب الأهلية في الولايات المتحدة، فحسرت ولايات الشمال تجارة الولايات الجنوبية ومنعت صدورها الى أسواق أوروبا، وفي ذلك القطن الحرب الاهلية الذي لاغنى لانجلترا وفرنسا عنه، فارتفعت بذلك اسعار القطن في مصر ارتفاعاً لا مثيل له. فانهز الحديدى هذه الفرصة واكثر من زرع هذا المحصول، وشاركه في ذلك الاهلون من تلقاء أنفسهم، حتى صار المال يتدفق الى مصر تدفقاً، وارتفعت قيمة الصادرات المصرية من ٤,٠٠٠,٠٠٠ جنيه في عام ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م) الى



عند الكلام على المسائل المالية) فكان ذلك أول مجلس نظار أنشئ بالديار المصرية وأعاد اسماعيل باشا أيضاً مجلس الشورى وسماه «مجلس شورى النواب» وافتتحه مجلس الشورى فى ١٠ رجب سنة ١٢٨٣ هـ (١٩ نوفمبر سنة ١٨٦٦ م)، وهذه من أهم الخطوات فى سبيل الحكم النيابى فى جميع ممالك الشرق بأسرها. وكان انتخاب هؤلاء الأعضاء بأغلبية الأصوات فى جميع البلاد، إلا أن عيها الكبير هو أن المدير كانت له اليد طرقة الانتخاب الفعالة فى انتخاب الأعضاء ولذلك كان معظمهم ينتخب من أغنياء المديريات من غير نظر الى علمهم ومداركهم، وكان أغلبهم يأبى أن يكون منتخبا مخافة أن يفضب المدير أو الحكومة فى أمر من الأمور، حتى أن الحكومة كانت تضطر فى أغاب الأحيان الى انتخاب الأعضاء بالقوة الجبرية. ويقال ان اسماعيل باشا لم يكن غرضه من هذا المجلس أن يتدخل معه فى أمور البلاد بل ليشاركة أعضاؤه فى المؤاخذة. وكانت وظيفة هذا المجلس أن يناقش الحكومة ويبدى لها رأيه فى كل التغييرات المالية، وفى المشروعات العامة الجديدة، وكل ما يتعلق بصالح البلاد من الأمور التى تعرضها عليه الحكومة. وكان يجتمع فى كل عام مدة شهرين فتعرض عليه الحكومة التقرير السنوى عن ادارة البلاد أثناء العام

وكان أعضاء هذا المجلس لا يدرون فى أول الأمر شيئاً من أعمال المجالس النيابية جهل الأعضاء ونظامها، فلما هم شريف باشا بتعليمهم واجباتهم وطريقة السير فى العمل ظهر من جواهرهم وغراتهم ما يضحك

## ٦ — \* التقدم المادى والأعمال العامة \*

يجدر بنا الآن بعد أن تناولنا الكلام على الاصلاحات الاجتماعية والأدبية فى عصر الخديوى اسماعيل باشا أن نذكر شيئاً من اصلاحاته المادية التى لاتزال آثارها تدل على عظمته وعلى ما كان يطمح اليه فى سبيل رقى البلاد وفلاحها وان كثيراً من أعداء اسماعيل يدعون انه لم يقد البلاد، ولم يقد فيها بعمل يذكر،

صعوبة العمل تسكين هذه الرذيلة مدة وسد بعض الطرق في وجهها ، وقد صرح الثلاثة أن من المستحيل محو هذه المهنة دفعة واحدة . ولا شك أن الصعوبات أمامهم كانت عظيمة ، ولا سيما أن شيخ الجامع الأزهر في ذلك العصر أوعز إلى الخديوى أن تحريم الرقيق جملةً مخالف للشرع . إلا أن الخديوى رغم ذلك ، ورغم عدم مساعدة الدول له مساعدة جدية ، أمضى معاهدة مع بريطانيا العظمى لمنع بيع الرقيق في ٢٤ رجب سنة ١٢٩٤ هـ ( ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ م ) وأخرى في المحرم سنة ١٢٩٥ هـ ( يناير سنة ١٨٧٨ م ) وهذا منتهى ما يمكن لإنسان أن يأتي به . وفي الحقيقة لم يفعل « اللورد ابردين » الانجليزى حين قال : « انه لا يتسنى لأى حاكم شرقى أو أوربى أن يعمل على محو الرقيق وتحسين حالة رعيته في زمن قصير كما فعل حاكم مصر الحالى » ( يعنى اسماعيل )

معاهدتان  
مع إنجلترا

## ٥ — \* منح السلطة للنظار وانشاء مجلس شورى النواب \*

كان أول من سار بالبلاذ فى سبيل الحكم الدستورى محمد على باشا ، إذ رأى ضرورة اشراك الرعية معه فى تدبير شؤون مصر . فألف من كبار رجال حكومته مجلساً يسمى « المجلس المخصوص » ليعاونه فى ادارة شؤون البلاد ، ويمكن اعتباره الأساس لمجلس الوزراء الحالى . وأنشأ أيضاً مجلساً للشورى ( مجلس المشاورة الملكى ) ألقبه من العلماء والأعيان

مجلسان  
فى عهد محمد على

وقد مَجى هذان المجلسان بعد وفاة محمد على ، وبقيا كذلك الى أن جاء اسماعيل باشا فأعاد المجلس المخصوص وناط به فخص جميع المشروعات التى يريد ادخالها ، وكان يرأس جلساته بنفسه فى الغالب ، وزاد من اختصاصه حتى صار شديهاً بمجلس الوزراء الآن . غير أنه بقى هو صاحب النفوذ المطلق لا يعمل نظاره إلا بأرأيه . فلما تدخلت الدول الأوربية فى شؤون مصر طلبت اليه أن يمنح أعضاء المجلس سلطة فعالة بحيث يكونون هم المسئولين عن قراراته . فشكل وزارة مؤاخذة برياسة نوبار باشا سنة ١٢٩٥ هـ ( أغسطس سنة ١٨٧٨ م ) كان ضمن أعضاءها اثنان من الأجانب ( كما سيأتى مفصلاً )

اسماعيل يميدهما

مجلس النظار

فأرسل الخديوى الى « حكامدار » السودان أن يتفق مع أصحاب تلك المعاقل على تسليمها للحكومة بمقابل تعويض يدفع لهم ابتغاء منع تجارة الرقيق . فقبل بعضهم ، وامتنع بعضهم الآخر بزعماء « الزبير »

ومن ذلك الحين صار للزبير شأن كبير فى هذه الحرفة ، وصار رئيس تجار الرقيق وبنى لنفسه فى « شكبا » قصرأ يضارع قصور الملوك ، ونظم له جيشاً مسلحاً لاقتناص الرقيق ، وبعد مكاتبة طويلة بينه وبين الحكومة طلب العفو من الخديوى ، فجعله مديراً لبحر الغزال دفعا لتفاقم الشر

أما السير « صمويل بيكر » فإنه ذهب فى رحلة ثانية الى مديريةية بحر الغزال ، ووصل فى سفره الى بحيرة « فكتوريا نيانزا » فرتب المقاطعات الاستوائية ، وأنشأ فيها نقاطاً عسكرية . ولما أخلص النصح فى خدمة مصر لقمه الخديوى حاكماً عاماً على هذه المقاطعات ، فبقى عليها حتى استقال فى سنة ١٢٩٠ هـ ( ١٨٧٣ م ) بعد أن ترك خلفه حكومة مبنية على أساس متين وطرد صيادى الرقيق من هذه الجهات

وقام باعباء العمل بعده الكولونيل « غردون » . وكل من يعرف ما فُطر عليه أعمال غردون هذا الرجل من شدة البأس والمثابرة على العمل يعلم أنه أتى كل ما يمكن لانسان أن يفعله فى سبيل القضاء على طائفه الجلابين . إلا أنه بمجرد تركه لهذه الأضغاع النائية عادت هذه المهنة الى ما كانت عليه ، بل زادت فى الانتشار حتى أنه فى أيام قيامه بهذه الخدمة فى السودان كان يُجلب الرقيق الى الحدود المصرية ويتجز فيه . وسنتكلم على غردون عند الكلام على السودان

وكان ثالث رجل قام بهذه الخدمة رئيس جمعية تحريم الاتجار فى الرقيق « كمت دلا سلا » ، وكان لا يقل عن سابقه فى النشاط والقوة ، فطارده بجميع قواه فى الوجه القبلى الى الجنادل الثانية ( الشلال الثانى ) ، فنجح نجاحاً باهراً حتى لم تتمكن قافلة واحدة من قوافل الرقيق من الوصول الى أسبوط

ومع ما بذل كل هؤلاء الثلاثة فى سبيل منع الرقيق لم يتمكن أحد منهم إلا من

تخريب السودان جلابي العبيد خربوا بلاد السودان، بصيدهم ما لا يقل عن خمسين ألف زنجي في كل عام تحت ستر الاتجار في العاج

اسماعيل يعمل بمشورة ولي عهد إنجلترا  
وأول من فكر في القضاء على هذه الحرفة المشؤومة بالفعل ولي عهد إنجلترا في ذلك الوقت، إذ عرض على الخديوي أن ينوط بالسير صمويل بيكر نحو الاتجار بالرقيق على النيل الأبيض وتوطيد النظام في السودان، فرحب الخديوي بهذا الاصلاح، وعزم على أن يضرب بسهم صائب في أحشاء هذه السلعة بالرغم من معارضة رعيته وعدم ميلهم لذلك

كثرة النفقات وقلة الاعوان  
ولاشك ان تحریم الاتجار في الرقيق صادف قبولاً حسناً في نظر دول أوربا العظام، إلا أنه أثقل عاتق الحكومة المصرية بما كلفها من النفقات، اذ أنفق بيكر وحده في هذا السبيل نحو ٥٠٠,٠٠٠ جنيه. ولم يجد اسماعيل باشا معضداً له من بين رعيته إلا شريف باشا ونوبار باشا والأنجال والأمراء. أما باقي الرعية فكأنوا ينظرون الى المشروع مثرراً

استكشافات بيكر  
وأول أعمال السير صمويل بيكر في هذا السبيل أن الخديوي عهد اليه سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) بالاستكشاف عن الجهات التي قرب منابع النيل الأبيض وضمها الى الحكومة المصرية، فخرج بمجملته مصرية الى اقليم خط الاستواء، ثم زحف بها حتى بلغ بلدة « جندوكورو » والبلاد الواقعة على بعد درجتين شمالى خط الاستواء، وأعلن رسمياً إلحاق المقاطعات الاستوائية بالحكومة المصرية سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م). وكان أينما حل يؤسس باسم مصر نقطاً عسكرية لمنع تجارة الرقيق، أهمها نقطة « التوفيقية ». قوة تجار الرقيق وكان بالسودان في ذلك الوقت عدة بيوت تجارية كبيرة لنقل البضائع من أطراف السودان الى مصر، فجمع أصحابها رجالاً مسلحة من الزنوج وشيدوا لهم معازل حصينة ليستعينوا بها على الانجار فيما يريدون، وخصوصاً تجارة الرقيق لما فيها لهم من الأرباح الطائلة. واستفحل أمرهم في هذه التجارة حتى ان « بيكر » لما عاد من سياحته الأولى وصف للخديوي مبلغ نفوذهم العظيم في القاصية



صفر سنة ١٢٩٨ هـ (يناير ١٨٨١ م) وهي تضارع أعظم دور العاديات الأوربية  
وفي عام ١٣٠٨ هـ (١٨٩١ م) نُقلت دار الآثار الى الجيزة ، فبقيت بها الى  
عام ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) اذ نُقلت الى مكانها الحالى قرب قصر النيل  
وُدُن مر يت باشا بناووس في دار الآثار المصرية لايزال الى الآن بها يستقبل  
القادم عليها

#### ٤ — \* منع تجارة الرقيق \*

بعد أن بذل اسماعيل باشا جهده في تأمين الأمة على نفسها وماها ، وسأوى بين  
أفرادها أمام القانون ، وبذل جل طاقته في رفع شأن الأهالى بالتعليم ، رأى ان من  
الكرامة والرحمة أن لا يتغاضى عن تجارة الرقيق في داخل بلاده . فلم يكتف بمنعها  
على الورق كما فعل من قبله محمد على باشا وسعيد باشا . بل عزم عزماً أكيداً على  
اقتلاع أصول هذه المهنة والقضاء عليها ما استطاع الى ذلك سبيلاً . ولما كانت هذه  
المهنة عادة متأصلة في كل البلاد ، وكان الدين الاسلامى بل كل الشرائع السماوية  
لا تمنع بيع الرقيق بشروط خاصة ، صادف اسماعيل باشا صعوبات جمة في سبيل  
تحقيق أمنيته وتنفيذ عزمه

وكان أول من لفت نظر الأمم المتمدينة الى الفظائع التى ترتكب في أواسط  
افريقية من جراء هذه المهنة كبار المستكشفين من الانجليز ، فبالذكر منهم  
« لفنجستون » و « بيكر » و « استانلى » ، اذ كانوا يروون عن ذلك الحكايات التى  
تفتت الاكباد وتدمى القلوب ، لما كان يقاسيه أهل تلك البلاد من الذل والهوان  
 وأنواع العذاب . ومهما بالغ الانسان فى وصف هذه الفظائع فانه لا يمكنه أن يفهم  
حالة العبيد والاتجار فيها الا اذا قرأ كتاب « الاسماعيلية » أو كتاب « ألبرت نيازرا »  
الذين وضعهما « السير صمويل بيكر » فى هذا الصدد . ويكفى أن نقول هنا ان

بالجيزة  
ثم قصر النيل

صعوبة منع  
بيع الرقيق

المستكشفون  
الانجليز

فظائع  
تجارة الرقيق

لذلك طلبت « الامبراطورة يوجينى » من اسماعيل باشا أن يبقى العاديات يباريز  
لاهدائها لفرنسا ، فكاد يجيب طلبها لولا مقاومة مريت باشا

أفلتت العاديات من هذه الأزمة فوقعت بعدها فى ضيق شديد للعسر المالى  
الذى أخذ بخناق الحكومة فى ذلك الوقت . وفى سنة ١٢٩٥ هـ ( ١٨٧٨ م ) فاض  
النيل على أماكن بولاق وكاد يغرق الآثار . فعنى مريت بحفظها فى صناديق وبقى  
محافظاً عليها حتى أعيد افتتاح الدار بعد هبوط النيل

العسر المالى  
وفضان النيل

ومثارة مريت مريت مثابراً على تنظيم دار العاديات المصرية واصلاحها حتى مات فى



مریت باشا

أول  
قدوم مريت

الى وادى النيل لمشتري مخطوطات قبطية ، فعدل عن ذلك وعكف على درس آثار سفارة حتى كشف بها السرايوم . ولم تكن له علاقة رسمية بمصلحة الآثار وقتئذ ، ولكنه لشغفه بالآثار والمحافظة عليها ساعد الحكومة كثيراً حتى زادت محتويات دار العاديات زيادة عظيمة بين سنتي ١٨٥٣ و ٥٤ ، ولكن ما لبثت أعماله ان ذهبت ادراج الرياح ، إذ زار مصر في عام ١٢٧١ هـ ( ١٨٥٥ م ) « الأرشدوق مكسيميان » النمساوى ، فطلب من عباس باشا الأول أن يهديه شيئاً من العاديات المصرية ، فسمح له بأن يأخذ كل ما أراد من القلعة ! واذا شاء أحد أن يعرف ما كانت تحويه دار عاديات القلعة فما عليه إلا أن يذهب اليوم الى « فينا »

معاونته  
لسعيد باشا

أما الميسو « مريت » فانه بقي مشغولاً بالآثار المصرية ، باذلاً وسعه في أن تكون له صفة رسمية فيها حتى يضمن ثمرة أتعابه ، فتم له ذلك في ذى القعدة سنة ١٢٧٤ هـ ( يولييه سنة ١٨٥٨ م ) ، إذ جعله سعيد باشا بتوسط الميسو ديلبس مأموراً بالأعمال العاديات بمصر

أعماله وهو  
مأمور الآثار

وقد لاقى في أول الأمر مصاعب جمة في تنظيم الآثار وإدارة حركتها ، لقلة المال ولعدم ثبات سعيد باشا على مؤازرته ، إذ كان أحياناً يأمر بتوقيف أعماله . ولكن مريت بقي مثابراً على بحثه ، متفلاً طول النهار بين المصانع والطلال ، حتى أخذت دار العاديات تمتلئ بسرعة ، وسمح له سعيد باشا بنقلها الى مخازن أعدت لها في بولاق

معاونة اسماعيل  
للمشروع

ثم مات سعيد باشا ومشروع مريت في نشأته ، فحزن كثيراً وخشى أن لا يلقى من اسماعيل باشا ما لاقاه من سعيد من المؤازرة ، ولكنه ما لبث أن وجد من اسماعيل باشا اكبر عضد لمشروعه ، فأمر في الحال باصلاح مخازن بولاق وتوسيعها وافتتحها بحفلة رسمية في ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٨٠ هـ ( ١٨ اكتوبر ١٨٦٣ م )

افتتاح محل  
بولاق رسمياً

ثم بقيت دار العاديات سائرة في طريق التقدم بفضل معاونة اسماعيل باشا ومثابرة مريت ؛ ولما أقيم معرض باريز عام ١٢٨٤ هـ ( ١٨٦٧ م ) نُقل أجل ما فيها في معرض باريز الى فرنسا لعرضه بالمعرض فكان موضوع اعجاب الفرنسيين وغيرهم من الأوربيين . تاريخ مصر جزء ٢٠ ( ٣٣ )

مجموعة الأمير مصطفى فاضل واشترى اسماعيل باشا مجموعة الكتب التي كانت عند أخيه الأمير مصطفى باشا فاضل بعد مماته بمبلغ ٤٠٠٠٠ جنيه وأهداها الى دار الكتب فاسماعيل باشا يعتبر بما قام به ، وبما تم في عصره من التعاليم والنهوض بالأمة ، من أعظم المشجعين للنهضة الحديثة بالديار المصرية

### دار الآثار المصرية

لا يكاد يوجد في العالم أرض تضارع مصر في كثرة آثارها القديمة ونفاستها ، إلا أن هذه الآثار كانت الى أواخر أيام محمد علي باشا مهمة لا يهتم بها ملوك مصر ، ولا يفتقر قناصل الدول الأجنبية وتجارها عن تبديدها وتهريب ما وصلت اليه أيديهم منها الى بلادهم . فلما قدم شبليون مصر لدرس النقوش الهيروغليفية عرض على محمد علي باشا عام ١٨٣٠م إنشاء مصلحة لحفظ العاديات المصرية ، ولكن الباشا لم مشروع شبليون يعمل بنصيبه وقتئذ ، بتحريض قناصل الدول وتصويرهم مشروع شبليون بأشنع صورة لأغراضهم الشخصية

دار الآثار بالأزبكية ١٨٣٥م غير ان نصيحة شبليون تركت أثراً في نفس محمد علي ، فأصدر أمراً بعد ذلك بخمس سنوات بمنع تصدير الآثار وإقامة حراس عليها . وفي ربيع الثاني سنة ١٢٥١هـ ( اغسطس سنة ١٨٣٥م ) أنشأ مصلحة للآثار أمام بركة الأزبكية للمحافظة على العاديات والبحث عنها في أنحاء البلاد . ولم تكن أعمال هذه المصلحة منتظمة في أول أمرها ، وبقيت كذلك الى سنة ١٢٦٥هـ ( ١٨٤٩ م ) إذ أصدرت نظارة المعارف ( التي كانت المصلحة تابعة لها حينئذ ) أمراً الى « لينان بك » بعمل فهرست للآثار وجمعها في مكان واحد . إلا أن ذلك لم يضرب على أيدي السرقة والمبددين ، حتى انه لما نقلت الآثار الى القلعة لم تشغل بها إلا حجرة واحدة

وفي سنة ١٢٦٦هـ ( ١٨٥٠ م ) قدم الى مصر رجل من أذكىاء الفرنسيين المشتغلين بالآثار يدعى « الميسو مريت » ( مريت باشا فيما بعد ) أوفدته حكومته



بأن عُنَى بترية أنجاله وأمرأه أسرتة . فإنه عند توليته نقل مدرسة « المنيل » الى الحدبوى يضع قصر عابدين بعد ان كانت بجيزة الروضة ، وكان يتعلم بها مع الأمراء ستون تلميذاً من أبناء الأهالى ، فلم يفرق فى المعاملة بين الفريقين ، وكان من الحتم على الأمراء تمضية الامتحانات كغيرهم من التلاميذ \*

ولم تقف همته عند تعليم الشبان من أبناء الأمة ، بل وجه عنايته الى تعليم البنات أيضاً . فأسس مدرسة لذلك الغرض تحت رعاية احدى زوجاته على نفقتها الخاصة . وكان الغرض منها تعليم البنات المصريات الواجبات المنزلية ، حتى يستغنين عن الإماء والعبيد ، فكانت هذه أول مدرسة من نوعها فى كل بقاع الدولة العثمانية غير أنه كان فى هذه المدارس بعض العيوب : فمنها قلة الأساتذة الأوربيين الذين يحسنون العربية ، إذ لا يخفى ما فى الفاء المحاضرات بواسطة مترجم من النقص . ومنها أن المعلمين الوطنيين كان ينقصهم أشياء كثيرة أخصها معرفة طرق التعليم ، فكان لا هم لهم إلا إتمام حافظة التلاميذ ، وهذه بلا شك طريقة عقيمة تذهب بكثير من ثمرات التعليم

## دار الكتب

ولا يفوتنا عند الكلام على التعليم أن نذكر أن الفضل فى انشاء دار الكتب عظم مشتملات دار الكتب الحالية يرجع الى همة الحدبوى اسماعيل إذ جمع لها كل ما وصلت اليه يده من الكتب المنسوخة باليد والمصاحف المزخرفة التى كانت مبعثرة فى جميع أنحاء البلاد ، ولا ريب ان هذه المجموعة لا تقل فى بابها عن مجاميع لندن وباريس وتورين . على أن المجموعة الفارسية التى فيها لا يوجد لها نظير فى العالم بأسره

\* وبعد فترة ألحقت هذه المدرسة بمدارس العباسية التى تمت فى عهد شريف باشا ناظر المعارف فى ذلك الحين حتى صار بها قسم ابتدائى يبلغ عدد تلاميذه ١٢٠٠ وقسم تجهيزى بلغ عدد تلاميذه ٧٠٠ بينهم أمراء الاسرة الحدبوية . عدا ثلاث مدارس أخرى ومدرسة الهندسة ومدرسة للمعلمين . وكان يجمع الجميع بناء واحد ضخم

زيادة  
ميزانية المعارف  
في تنظيم هذه المدارس وزيادة ميزانية نظارة المعارف ورفعها أولاً من ستة آلاف جنيه في عهد سعيد الى أربعين ألف جنيه ، ثم وقف عليها أراضى الوادى بعد أن اشتراها ثانية من شركة قناة السويس

انواع الدراسة  
في المدارس  
المختلفة  
وكان غرض اسماعيل باشا من قانون رجب سنة ١٢٨٤ هـ نشر التعليم وتوحيد نظامه في جميع انحاء البلاد مع مراعاة ما يلائم كل طور من أطوار الدراسة . فكان لا يجهد عقول التلاميذ في الطور الأول بالمواد التى لا فائدة لهم منها ، بأن جعل التعليم في المدارس الابتدائية قاصراً على مبادئ الكتابة والقراءة ، وخص المدارس التجهيزية بمن كان يريد التقدم في مضمار التعليم . أما المدارس العالية والخصوصية فكان يتعلم فيها الطلاب كل العلوم الدراسية وفيها اللغات . وكان يُترك لهم الحرية في اختيار اللغة التى يتعلمونها بشرط أن يتعلموا اللغتين العربية والتركية . وكان طلاب المدارس الخاصة على قسمين : قسم يتعلم على نفقته الخاصة ، والآخر على نفقة الحكومة ، ولذلك كان يتحتم على هؤلاء أن يخدموا في وظائف الحكومة مدة معينة . وكان ينتخب أحسن الطلاب لمدرسة الهندسة ومدرسة الطب ، وحالة التلاميذ تذهب الى المدارس الحربية . وفي ذلك اجحاف عظيم بالمجتهدين من الطلبة ، لأن معظم الترقية كانت في الجيش

المقبات في  
طريق الإصلاح  
ولا شك أن هذا القانون الذى يشمل أربعين مادة وضع أساساً متيناً للتعليم في البلاد ، إلا أن الحاجة الى المال والرجال كانتا حجر عثرة في طريق تنفيذه ، إذ أخذت الحكومة على عاتقها عدة أعباء ثقيلة ، فكانت تعلم التلاميذ مجاناً ، وتكفل بطعامهم وملبسهم ، وتعطيهم رواتب شهرية ، ولذلك كان الآباء أحياناً يمنعون أبناءهم من الذهاب الى المدرسة اذا قصر أولو الأمر في شيء من النفقة ، وربما كان للفلاح عذر في ذلك ، فان حالته الأدبية كانت منحطة ، وربما كان غير قادر على دفع نفقات التعليم لما كان يعانيه من دفع الضرائب الفادحة والسخرة وقد شجع الخديوى أعيان الامة على تعليم أولادهم ، فوضع لهم مثلاً ليحذوا حذوه



على مبارك باشا

أهم مدارس العالية والخصوصية مدرسة الهندسة ، ومدرسة الطب والولادة ،  
مدرسة الحقوق ، ومدرسة الفنون والصنائع ، ومدرسة اللغة المصرية القديمة ، ومدرسة  
الألسن والمعلمين ( قلم الترجمة ) ومدرسة دار العلوم ( المعلمين الناصرية ) . وكان  
التعليم في كل هذه المدارس بالرغبة ، لا بالاكراه كما كان في عصر محمد علي  
ولا يتسرّب الى ذهن القارئ أن كل هذه المدارس أسسها اسماعيل باشا ، بل  
وضع الحجر الأساسى للكثير منها محمد علي باشا ، كمدرسة الطب التى شيدها فى  
عام ١٢٤٢ هـ ( ١٨٢٧ م ) كما أسلفنا من قبل . غير أن الفضل يرجع الى الخديوى



الفرق بينهما

كل من الرجلين . فكان الغرض الأول لمحمد على من التعليم أن يكون عدداً عظيماً من الضباط والموظفين ليساعدوه في إدارة شؤون البلاد ، أما اسماعيل فقد غرست فيه تربيته الأوربية مبادئ حب العلم والتعليم ، فأراد أن ينشر العلم لذاته بين جميع طبقات الأمة . لذلك وجّه شطراً عظيماً من عنايته الى هذه الوجهة . وكانت الأحوال مساعدة له ، لخصب مدارك المصري وقوة حافظته التي لا تضارع في أكثر الشعوب ، ولما لمصر من المجد الأثيل والباع الطويل في نشر العلوم والمعارف : يشهد بذلك جامعة الاسكندرية في عصر البطالسة ، والجامع الأزهر الذي يؤمه آلاف الطلاب من جميع بقاع العالم الاسلامي

بعض اعوان اسماعيل

وقد ساعد الحظ اسماعيل ، اذ وجد في خدمته نخبة من أكابر الغربيين ، نهضوا بالتعليم وبقوه ، ونوثر بالذكري منهم « دور بك » و « كلوت بك » و « روجرز بك » . وكان لبعض نظار الحكومة فضل عظيم في هذه النهضة ، وبخاصة « شريف باشا » و « رياض باشا » و « علي مبارك باشا » الذي سار بالتعليم شوطاً بعيداً ، وكان له القدر المعلى في نهضة البلاد الحديثة

قانون رجب سنة ١٢٨٤ هـ

ولا يفوتنا ان الفضل كل الفضل راجع طبعاً الى رئيسهم الأكبر الحديوي اسماعيل . فأول عمل قام به أنه أصدر قانوناً في ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ هـ ( ١٨٦٧ م ) كان الغرض منه وضع أساس منهج قويم للتعليم في جميع أنحاء القطر ، وقد ظهرت فائده ، اذ زاد عدد التلاميذ في مدة وجيزة الى ٥٢,٠٠٠ تلميذ يتعلمون في ١٣٠١ معهد ، ثم ازداد بعدها عدد التلاميذ الى ١٤٠,٩٧٧ وعدد المدارس الى ٤٨١٧ ، وكان في القاهرة وحدها ما يزيد على ٢٩٥ مدرسة بلغ عدد تلاميذها ١٠,٠٠٠ تلميذ . عدا طلبة الأزهر الشريف والمعاهد الأجنبية والمعاهد التابعة للأوقاف والمدارس الحربية لتعليم الجيش الذي كان يبلغ اذ ذاك ثلاثين ألفاً \*

اتساع نطاق التعليم

\* وقد قارن المستر ( ادون دي ليون ) في كتابه عن الحديوي عدد التلاميذ في مصر من الشبان الذين في سن التعليم بنظرائهم في أوروبا في ذلك الحين فقال : « ان نسبة المتعلمين في مصر تبلغ ٢٣ ٪ ، على حين انها تبلغ في الدولة العثمانية ١٠ ٪ وفي روسيا ٣ ٪ وفي ايطاليا لم تتجاوز ٣١ ٪ »



للمشروع ورغبة معظم الدول الأوروبية فيه ، وضع العقوبات في سبيل انفاذه بعله أنه  
مخالف للشرع . فأبى السلطان والعلماء في القاهرة ادخال هذا الاصلاح الذى يعيد  
اقتيائاً على حقوقهم ، وأعلن العلماء في القاهرة ان مثل هذا التغيير لا يتفق مع الدين  
الحنيف . فعزل اسماعيل باشا المفتى الذى أفتى بذلك ، واستبدل به آخر وافق على  
انشائها . ومن هذه اللحظة لم تجب أى معارضة من هذه الناحية

وبعد أن انتهى من معظم المعارضات شكّل هذه المحاكم في ذى الحجة  
سنة ١٢٩١ هـ ( أول يناير سنة ١٨٧٥ م ) إلا أنها لم تفتح أبوابها إلا في شهر المحرم  
سنة ١٢٩٣ هـ ( فبراير سنة ١٨٧٦ م ) ، وذلك للعراقيل التى كانت تضعها فرنسا  
وقد أسس من هذا النوع ثلاث محاكم من الدرجة الأولى : في القاهرة  
والاسكندرية والمنصورة ، ثم محكمة استئناف عليا بالاسكندرية

وهذه المحاكم تفصل في القضايا المدنية وبعض المخالفات التى يكون فيها أحد  
الخصمين أو كلاهما من الأوربيين أو الأمريكين المختلفين الجنسية . أما اذا كان  
الخصوم من الأجانب المتحدى الجنسية فالمحكمة لا تفصل في النزاع إلا اذا كان  
موضوعه عقاراً . وهى مستقلة تماماً عن الحكومة ، وتُعَيّن القضاة بها اثنتا عشرة دولة  
من دول أوربا والولايات المتحدة ، ويجدد هذا النظام في كل خمسة أعوام مرة .  
وهى في مصر أشبه في الحقيقة بمملكة صغيرة . ولقضاتها الحق في شرح القانون وتقرير  
ما لهم من السلطة . ولا توجد هيئة تشريعية معتبرة يرجع اليها اذا تعدت هذه  
المحاكم حدود اختصاصها . وغاية ما تستطيع الحكومة المصرية عمله في هذا الصدد  
ان تفاوض الدول ، حتى اذا اتفقن جميعاً على رأى عميدن الى تعديل القانون

### ٣ — \* التربية والتعليم \*

رأى اسماعيل باشا كما رأى جده العظيم محمد على من قبله أنه لا يتسنى له القيام مساعى محمد على  
باصلاحاته ومشروعاته الخطيرة في البلاد إلا بتعليم أبناء الأمة ، وإن اختلفت أغراض

على محاكم الأقسام التي كان كل من المدير وناظر القسم يستعمل السوط في تحقيق قضاياها ثم لا يفلح في تحقيق قضية واحدة من بين خمسين



نوبار باشا

مساعي نوبار وقد لاقى نوبار باشا الصعوبات الجمة في ارضاء كل من الأهالي والأجانب ، وخصوصاً سفراء الدول الذين رأوا أن تأسيس هذه المحاكم يكون من ورائه محو سلطتهم في البلاد . وكانت فرنسا أكبر معارض لانشاء هذه المحاكم على حسب التغييرات التي اقترحها نوبار باشا . في حين أن إنجلترا كانت أكبر عضد له فيها ، إذ رأت أن النظام المتبع حينئذٍ مضرّ بكل من الأهالي والأجانب ، ولذلك كانت تصرح دائماً بأنها مستعدة لمعاضدته . أما الباب العالي فإنه رغم معاوضة إنجلترا

النظام الرديء ، إذ كان منصرفاً بكل قواه الى تحصيل عهد الوراثة والاستقلال الداخلي من الباب العالى .

ولما سنحت له الفرص فى عام ١٢٨٤ هـ ( ١٨٦٧ م ) فاتح الوزارة الفرنسية فى استشارة فرنسا هذا الصدد ، ففاوض نوبار باشا « الموسيو موسير » وزير خارجية فرنسا فى هذا المشروع حسب ارادة الخديوى . فقعدت لجنة فى باريس كان الغرض منها فحص التغيير الذى يريد نوبار ادخاله فى القانون ، فكانت هذه أول خطوة فى سبيل انشاء المحاكم المختلطة

وقد ساعد الخديوى أيضاً فى تحقيق أمنيته هذه بعض وزرائه ، وأولاهم بالذكر شريف باشا ورياض باشا ونوبار باشا ، غير أن معظم نجاح المشروع يرجع الى الأخير \* إذ قضى سبعة أعوام من حياته فى كفاح مع دول أوروبا حتى أفلح أخيراً فى تأسيس هذه المحاكم التى مع ظهور بعض الفائدة منها لم تأت بكل ما كان مؤملاً فيها

وانا نشك فى أن اسماعيل باشا كان يعرف كل النتائج التى تنجم من هذا التغيير ، فانه كان يريد بالمحاكم المختلطة القضاء على نفوذ محاكم السفارات التى كان يظهر انها تنقضى على شىء من سلطته الفردية ، لا عليها كلها كما فعلت هذه المحاكم وبرهنت عليه الحوادث ، إذ اتضح له أخيراً أن سلطة هذه المحاكم تعلو سلطته ، لأنها أصبحت تفصل فى كل القضايا حتى التى على الحكومة وعلى شخصه نفسه ، بل كانت من اكبر العوامل على عزله . ومع ما كان فيها وقت انشائها من النقائص كانت اكثر فائدة من محاكم الأقسام التى كان يفصل حينئذ فى قضاياها المدير أو ناظر القسم : يدلك على ذلك أن كثيراً من الأهالى كانوا يفضلون الفصل فى قضاياهم أمام المحاكم المختلطة

\* كان نوبار باشا من أنجب رجال عصره : رباه قريبه بغوص باغا من مستشارى محمد على تربية سياسية فكان يحسن معظم لغات أوروبا وقراءة وكتابة ويلم بكل الاحوال الاوربية ومع كونه ارمينياً مسيحياً استطاع أن يتقدم ثلاثة من ولاية مصر مدة عشرين عاماً حائزاً لكل رضاهم الى أن غضب عليه اسماعيل باشا . وكانت خاتمة اصلاحاته تأسيس المحاكم المختلطة التى نحن بصدها تاريخ مصر جزء ٢ ( ٣٢ )

ولما أصبح اسماعيل صاحب النفوذ والسلطان في مصر أخذ ينظم ادارتها الداخلية. اصلاح الادارة فأدخل في البلاد جملة اصلاحات لم يأت بها والٍ تولى الشؤون المصرية قبله. فأعاد نظام الادارة الذى وضعه محمد على وأهمل في عصر عباس باشا الأول بعد أن أدخل فيه بعض الاصلاحات ، ثم رتب نظام المكوس ترتيباً متقناً ، واشترى ادارة البريد المصرى من شركة ووضعها تحت سيطرة أحد مهرة الغربيين ( كما سيأتى ذكره بعد ) وقسم القطر الى أربع عشرة مديرية ، وحسن طرق الاتصال والقضاء وغير ذلك مما سنتكلم عليه فيما بعد

## ٢ — \* الاصلاحات القضائية ومساواة جميع الناس أمام القانون (

كان أهم مشروع داخلى وجه اليه اسماعيل باشا عنايته اصلاح القضاء وجعله  
عناية اسماعيل  
باصلاح القضاء مستقلاً عن الادارة ، ونشر العدل وكان من قبل معدوماً . لأن القانون الذى وُضع  
في عهد محمد على لم يغير من النظام القديم شيئاً وكان حبراً على ورق . فأراد اسماعيل  
باشا أن يؤسس المحاكم المختلطة ليتساوى الجميع أمام القانون ويكون الأجنبى والوطنى  
في مستوى واحد . وكان غرضه أن يقضى على المحاكم ( القنصلية ) والامتيازات  
الأجنبية ، بشرط أن يتكفل للأجانب بكل ما يضمن راحتهم

ولم تكن هذه الفكرة بذت يومها ، بل كانت مختمرة عند الخديوى قبل أن يتولى  
عرش مصر ، فلما مات أخوه أحمد في حادثه كفر الزيات ، وأصبح هو الوارث للملك  
تفرغ لدرس الاصلاحات القضائية . ورأى أثناء ذلك ما كان للأجانب من الامتيازات  
فعرزم على أن يغير ذلك تغييراً تاماً ، فيكون أول من خطا خطوة في سبيل المساواة  
ونشر العدالة بين رعاياه

رغبته في  
المساواة  
بين رعاياه

فلما تولى الملك لم تساعده الأحوال في أول أيام حكمه على تخليص البلاد من هذا



ربيع الأول سنة ١٢٨٤ هـ ( يولييه سنة ١٨٦٧ م ) . وهو لفظ فارسى الأصل معناه الأمير العظيم ، وكان يمنحه الفرس لحاكم الهند فى عهد حكمهم لها

ولم يكن هم اسماعيل باشا قاصراً على الوصول الى ذلك ، بل كان يبذل همهته فى أن يُمنح استقلالاً إدارياً يتصرف به فى شؤون البلاد الداخلية ، إذ كان أعظم غرض له فى الحياة أن توثق عرا الارتباط بين مصر وممالك الغرب المتعدنية ، والوصول الى ذلك محال ما دام الباب العالى صاحب النفوذ والسلطان فى البلاد ، إذ كان يخشى أن يعترضه فيما يقدم عليه من المشروعات . وأى فائدة تجنبها البلاد وأى عمل عظيم يمكن لأقدر حاكم أن يقوم به اذا كانت يده مغلولة فى شؤون البلاد الداخلية ؟

لذلك قضى اسماعيل سنوات عديدة من حياته يبذل فى أثنائها المال الوفير للوصول سعى اسماعيل الى ضالته المنشودة ، حتى أصدر الباب العالى فى ربيع الثانى سنة ١٢٩٠ هـ ( ١٨٧٣ م ) عهداً مثبتاً كل الحقوق التى منحها للخديوى بمقتضى العهد السابقة . واعترف فيه الباب العالى باستقلال الخديوى استقلالاً تاماً بشؤون مصر الداخلية ، وأذن له بأن يعمل بدون استشارته فى قرض الديون وعقد المحالفات التجارية وغيرها مع الدول الأجنبية ، ما دامت تلك المحالفات لا تناقض مصلحة الدولة ولا محالفاتها السياسية مع الدول ، وأن يزيد جيشه حسب ما يراه صالحاً ، على شرط أن لا يكون فى أسطوله مدرعات . وقد زادت الجزية المصرية فى مقابل ذلك الى ٦٦٥,٠٠٠ جنيه

مزايا  
التقليد الجديد

ولاشك أن مثل هذا العهد كان من الممكن أن يعود على مصر بأعظم الفوائد ، إذ يكون من اكبر الدواعى التى تحمل كل خديوى لمصر على السهر على ما فيه صلاح البلاد ، كى يترك وراءه مائكاً منظماً ثابت الأركان

## ١ — \* وراثۃ العرش \*

وإصلاح الإدارة وتأييد الاستقلال الداخلي

بعد أن تولى اسماعيل بيضعة أسابيع زار مصر السلطان «عبد العزيز» ، فكان أول من زارها من سلاطين آل عثمان من عهد سليم الأول . فاحتفل به اسماعيل باشا احتفالاً كبيراً ، واجتهد في أن تكون هذه المقابلة فاتحةً لعلاقات ودية بينه وبين الباب العالي . وبعد أن عاد السلطان الى الاستانة أخذ اسماعيل باشا يسعى سرّاً للحصول على أغراض يرمى اليها لتعزيز ملكه ، واستعان على نيلها بالمال كما وجد الى ذلك سبيلاً . فسمى لدى الباب العالي — في شأن تغيير القانون الصادر به تقليد سنة ١٨٤١ م بشأن وراثۃ عرش مصر . وهذا القانون يقضى بأن يؤول العرش لأكبر فرد في الأسرة بشرط موافقة الباب العالي

السلطان  
عبد العزيز  
في مصر

فلما رأى اسماعيل أن ذلك ربما يحدث فتناً بين أفراد الأسرة من أجل العرش بالسعى لدى الباب العالي ، أو يقتل بعضهم بعضاً ، طلب الى الباب العالي أن يجعل الوراثۃ لأكبر أولاد الوالى بلا شرط ولا قيد ، ليحسم كل نزاع بين أفراد الأسرة في هذا الشأن . فلم يقبل الباب العالي ذلك في أول الأمر ، لعلّه أنه ينقص من نفوذه في مصر ، فإن هذه المزية لم تتمتع بها الأسرة المالكة في تركيا نفسها . وزار اسماعيل القسطنطينية وسعى بنفسه في الأمر فلم يفلح ، ولكن عزيمته لم تقتر ، وذهب البهائي زيارة أخرى أجزل فيها العطاء فقال مراده ، وأصدر الباب العالي عهداً يجعل الوراثۃ في أكبر أنجال الوالى في ١٢ المحرم سنة ١٢٨٣ هـ ( ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ م ) وذلك في مقابل زيادة الجزية التي تدفعها مصر من ٣٢٠.٠٠٠ الى ٦٠٠.٠٠٠ جنيه

سمى اسماعيل  
في تغيير  
تقليد الوراثۃ

فوزه

وسمى أيضاً اسماعيل باشا لدى الباب العالي لينحه لقباً أرقى من «الباشا» المعتاد وكان غرضه من ذلك تثبيت امتياز مصر عن باقي ولايات الدولة ، وهو ذلك الامتياز الذي حصله محمد علي بتقليد سنة ١٨٤١ م . فمنحه السلطان لقب « خديوى » في

نيل  
لقب خديوى

حاشية سعيد حتى مات أخوه في حادثة كفر الزيات\* ولم يغير كثيراً من خطته بعد مماته

جلس اسماعيل على أريكة مصر في ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩ هـ ( ١٨ يناير سنة كفاءته وآماله ١٨٦٣ م ) وكان عمره إذ ذاك ٣٢ سنة ، فلم يلبث ان ظهرت فيه كفاءة عظيمة ورغبة شديدة في رفع شأن البلاد وترقيتها بادخال كل الاصلاح الذى يراه مؤدياً الى ذلك . ومع الاعتراف بأن السرعة التى سار بها فى سبيل هذا الاصلاح والانفاق عن سعة فى كل شئ ، أدبا الى استمدانته من أوروبا القناطير المقنطرة من الذهب التى تضاعفت هى وفوائدها حتى وصلت فى أواخر أيامه الى عبء ثقيل لاحول ولا قوة للبلاد على احتماله مما أوجب تدخل الدول الأوربية فى شؤون مصر ، قد يُغتفر له ذلك اذا راعينا مقدار ما قام به من الاصلاح ، ولاحظنا أن سعيداً قد فتّح له من قبل باب الاستمدانة المشئوم ، إذ مات وهو مدين بمبلغ ١٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وتلخص أهم أعمال اسماعيل فى عصر فيما يأتى :

أهم أعماله

- (١) الفصل فى أمر وراثته العرش وحصرها فى اكبر أولاد الوالى والحصول على لقب خديوى واصلاح الإدارة وتأييد الاستقلال الداخلى
- (٢) الإصلاحات القضائية ومساواة جميع الناس أمام القانون المدنى المختلط
- (٣) التعليم العام
- (٤) منع الرقيق
- (٥) الفاء المؤاخذه ( المسئولية ) على النظار وتشكيل مجلس شورى النواب
- (٦) توسيع منابع الثروة للبلاد بتنمية الزراعة وبالمشروعات العامة
- (٧) توسيع نطاق الأملاك المصرية
- (٨) اتمام مشروع ترعة السويس ( أفاد العالم فى مجموعه وان أضر بمصر فى ذاتها )

\* غرق قطر السكة الحديدية عند قنطرة كفر الزيات وكان يقل الامير احمد وغيره من أمراء الاسرة من الاسكندرية الى القاهرة



اسماعيل باشا

( رسم على افندى يوسف — عن صورة بدار الكتب السلطانية )

عمره ، فَيَعْلَمُ بها اللغة الفرنسية حتى صار يتكلمها بطلاقة . وفي أثناء اقامته ساح كثيراً في أوروبا . وبقوة ملاحظته وقف على كثير من الأمور الاجتماعية وغيرها من أسباب الحضارة الأوروبية . ولم يُرَبِّ تربية خاصة تؤهله لتولى الملك ( كما تربى سعيد من قبله ) اشتغاله بالزراعة اذ لم يكن يخطر بالبال حينئذ أنه سيتولى عرش مصر يوماً ما ، لأن ولاية العهد كانت لأخيه أحمد أكبر أمراء الأسرة ، ولذلك بقي اسماعيل مشتغلاً بمزارعه بعيداً عن



ولم يتم لولاة مصر من انشاء الترتعة شىء مما كان ينبغيهم به ديلسبس من توطيد دعامة حكمهم واتساع جاههم وسلطانهم . فترى مما تقدم كله أنه لم يخسر من وراء انشاء هذه الترتعة الا الأسرة المحمدية العلوية ومصر والفلاحون . وإلى سعيد واسماعيل وكثرة بذلها وسخائهما يرجع نجاح مشروع ديلسبس وايجاد تلك الفوائد الجليلة التي عادت على فرنسا وبرطانيا العظمى وغيرهما من البلاد

وكان تعدد مصالح الدول الأوروبية في الترتعة مدعاة لجمعها على الحياد ، ولكن الدول أدخلت على الاتفاق الأصلى عدة تعديلات منذ ابرامه ، وربما عادت الى النظر في امر القناة بعد زماننا هذا

## فصل الثالث

### اسماعيل باشا

( ١٢٧٩ - ١٢٩٦ هـ ( ١٨٦٣ - ١٨٧٩ م )

يعتبر اسماعيل باشا ( ابن ابراهيم باشا ) المتمم الحقيقي لأعمال محمد على والساير باصلاحاته في الطريق التي أبلفت مصر الغاية التي هي عليها الآن

تولى اسماعيل عرش مصر ومدارسها مغلقة ومشروعات محمد على مهمله ، فكان عمله في كل شىء عمل المنشئ من جديد . ولو نظرنا الى مجموع ما تم في عهده من الاصلاحات والأعمال الهامة لعلمنا مقدار ما كان عليه من الذكاء والنبوغ وما كان يرمى اليه من النهوض بمصر حتى يجعلها في مستوى أرقى الدول الأوروبية

ومع أنه لم ينل حظاً وافراً من التعلم في نشأته كان ما حصله من المعارف ، مضافاً الى ما فطر عليه من الذكاء وقوة الملاحظة ، كافلاً أن يقوم بعبء المشروعات الخطيرة التي أقدم عليها . وكل ما يُعلم عن تعلمه أنه أرسل الى باريس في الخامسة عشرة من

مكانة اسماعيل  
في تاريخ مصر

تربيته

فرنكاً ، أى نحو ١٧,٥٠٠,٠٠٠ جنيه وقد قُدِّر مجموع ما انفقته الحكومة المصرية من ذلك بنحو ١٦,٠٠٠,٠٠٠ جنيه

قيمة الربح في أول الامر على أن المشروع لم يثمر ربحاً عقيب حفر التربة . إذ كانت فائده قاصرة على السفن الشراعية دون البخارية . لأنه كان يتعذر على السفن البخارية العادية فضلاً عن بواخر البريد الكبرى أن تسافر الى الهند ، لعظم مقدار ما كانت تحتاج اليه من الفحم في ذلك الوقت . ولكن هذه الصعوبة ما لبثت أن تلاشت ، اذ اخترعت في ذلك الحين الآلات المركبة التي جعلت البواخر لا تحرق من الفحم الا نصف ما كانت تحرقه قبل اختراعها . فسهل على هذه السفن الانتفاع بالقناة ، فاتسع نطاق التجاره المارة بالتربة ، وزادت قيمتها زيادة عظيمة

زيادة الرسوم ومع كل ذلك أيضاً لم يأت المشروع بالربح الكافي ، لقلة قيمة الرسوم التي كانت تجبها الشركة ( وكانت فتتها حينئذ ١٠ فرنكات على كل طن ) ، وكثرة ما تنفقه على اصلاح القناة . فاحطت قيمة سهام الشركة سنة ١٢٨٨ هـ ( ١٨٧١ - ١٨٧٢ م ) من ٢٠ جنيهاً الى ٧ جنيهات لكل سهم ، وتوقفت عن دفع أرباح المساهمين . فعقدت لثلاثي ذلك مؤتمر دولي بالقسطنطينية عام ١٢٩٠ هـ ( ١٨٧٣ م ) نظراً في الأمر وخوفاً للشركة زيادة الرسوم التي تجبها من السفن بقدر ٤٠ ٪ الى أن تصلح حالتها المالية فحسن بذلك حال الشركة وأخذت في النجاح المطرد والنقد المستمر

ومما يؤسف له أن مصر لم تستفد من نجاح ترعة السويس مطلقاً ، فإنه فوق خسارتها القناطر المنقورة من الأموال وارهاقها الفلاحين المصريين ارهاقاً عظيماً . وفضلاً عن تحويل التجارة المارة بين أوروبا والهند من داخل مصر الى طريق القناة مما أحدث نقصاً كبيراً في دخل سكك حديد الحكومة المصرية ، تنازلت لشركة فرنسية في سنة ١٢٩٧ هـ ( ١٨٨٠ م ) عما كان يخصها من أرباح الشركة وقدره ١٥ ٪ ، في مقابل مبلغ حقير قدر ٧٠٠,٠٠٠ جنيه كانت الحكومة قد اقترضته من تلك الشركة ولم تقدر على سداده ، فخرمت بذلك مصر من مصدر دخل عظيم

الى مشروعه من استجلاب مساعدة الحكومة الفرنسية ، ناسباً سعى إنجلترا في ايقاف  
عمل السخرة في مصر الى حسدّها فرنسا ، فالت اليه قادة السياسة الفرنسية ، وانتهى  
الأمر بتحكيم الطرفين « الامبراطور نابليون الثالث » في حل هذا المشكل  
فناط الامبراطور الفصل في هذه المسألة بجماعة من رجال بلاده طبعاً ، فجاء الاتفاق  
فوق ما كانت تأمل الشركة ، اذ ألزمت اللجنة المحكّمة اسماعيل باشا أن يدفع للشركة  
غرامة قدرها ٣,٣٦٠,٠٠٠ جنيه نظير اخلاله بشروط الاتفاق الأصلي بشأن أعمال  
السخرة وغيرها . فمن هذا المبلغ ١,٥٦٠,٠٠٠ جنيه نظير منعه الفعلة المصريين  
المسخرين من حفر التربة ، و ١,٢٠٠,٠٠٠ جنيه لاسترجاعه الأراضي التي على  
ضفتي القناة ما عدا ما عرضّه ٢٠٠ متر على كلا الجانبين ، و ٦٤٠,٠٠٠ جنيه في  
مقابل حفر ترعة الاسماعيليه . وقد تم دفع كل ذلك في عام ١٨٦٩ م

بهذا الحل وباستبدال عمال مدرّبين بهمال السخرة أصبح مركز الشركة المالي  
ثابت الأركان لا يخشى معه على المشروع من أى عطلّة تعترضه كما حصل ذلك من قبل  
ومن هذا الحين أقبل الخديوى على المشروع : يعضده بكل نفوذه الإدىبى .  
ويفتخر بأنه القائم بأكبر مشروع ظهر في القرن التاسع عشر

وعند ما قرب انتهاء العمل استعد اسماعيل باشا استعداداً عظيماً للاحتفال بفتح  
التربة في شعبان سنة ١٢٨٦ هـ ( نوفمبر ١٨٦٩ م ) ، فكان أكبر وأخف احتفال  
حدث في الأزمنة الحديثة . وسنكلم عليه في موضعه عند الكلام على اسماعيل باشا  
على أن معونة مصر المالية لم تقف عند هذا الحد . فان الشركة حصلت منها  
عام ١٨٦٦ م على مبلغ يربو على ٣٠٠,٠٠٠ جنيه لنزولها لها عن أراضي الطميلات ،  
وكانت قد اشترتها قبل ذلك بخمسة أعوام بنحو ٧٤,٠٠٠ جنيه . وفي عام ١٨٦٨ م  
أخذت الشركة من الحكومة المصرية مبلغاً آخر يقرب من ١,٢٠٠,٠٠٠ جنيه  
لنزولها عن بعض المباني التي أقامتها في منطقة القناة

أما نفقات حفر القناة فقد بلغت حسب المدون في دفاتر الشركة ٨٨٢,٨٠٧,٤٣٢ مجموع النفقات

وكان كلما هلك منهم أحد أتى بغيره من الفلاحين ، ولو تم مشروع حفر الترع على حسب الاتفاق الأصلي لسبب نقصاً عظيماً في تعداد سكان البلاد شاع هذا الأمر وأصبح من الفضائح حتى في مصر ، وتناوله ألسنة المعارضين لحفر الترع وخاصة إنجلترا . وكان اللورد بليرستون رئيس الوزارة الانجليزية في ذاك الحين يعارض في أمر تسخير الفلاحين : لأنه من جهة يعتبره ضرباً من الاسترقاق ولأنه من جهة أخرى كان لا يريد أن يرى النفوذ الفرنسي يسود في مصر . لذلك أوعز الى السفير الانجليزي في القسطنطينية أن يحتج على تسخير الأهالي في الأراضي العثمانية لفائدة شركة أجنبية

إنجلترا  
تعلن استيائها

وبقي الحال كذلك الى أن تولى الخديوي اسماعيل باشا في رجب سنة ١٢٧٩ هـ ( يناير ١٨٦٣ م ) ، ولم يكن للشركة لديه تلك الخطوة التي كانت لها عند سعيد ، فرأى أن ما ناله من الامتيازات يحذف بحقه وحق مصر ، وشرع يعمل على الغاء شئ منها ، ولكي لا يكون سبباً في افلاس الشركة واغضاب الشعب الفرنسي وامبراطورهم نابليون الثالث أمد الشركة بمعونة مالية ، بأن دفع لها مبلغ ٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه كان مستحقاً على سعيد باشا ثمناً لأسهم اشتراها عددها ١٧٧,٦٤٢ . إلا أنه بقي مصمماً على حرمان الشركة من بعض مزاياها ، حتى طلب من الباب العالي في صفر سنة ١٢٨٠ هـ ( يونية ١٨٦٣ م ) الموافقة على انقاص عدد العمال الذين يسخرون في حفر القناة وعلى أن ترد الشركة للحكومة المصرية ما منحه اياها سعيد باشا من الأراضي عام ١٨٥٦ ، فصادف الاقتراح ارتياحاً من الباب العالي ولا سيما أن إنجلترا كانت تسعى لديه في انفاذه . فوافق عليه وهدد الشركة بتوقيف العمل ان لم ترض به

اسماعيل يسمي  
في انقاص  
الامتيازات

موافقة  
الباب العالي

وقد كاد يكون في ذلك القضاء المبرم على المشروع ، لأن الشركة كانت تعلق كل آمالها على جلب العمال من مصر بدون أجر ، وكان العمل لا يزال في مبدئه ، والشركة لم يكن في مقدورها أن تقترض مالاً جديداً . ولولا ما بذله المسيو ديلسبس من الهممة والحزم لحاب المشروع : فإنه تمكن بمساعدة الامبراطورة يوجيني وبميل الشعب الفرنسي



بسيادتها البحرية ، وأنه وسيلة تريد فرنسا التوصل بها الى التدخل في الشرق  
 فلم يثنِ كل ذلك من عزم ديلسبس ، وما زال يواصل سعيه في أوربا مستعيناً  
 بقرابته من الامبراطورة « يوجيني » ( زوجة نابليون الثالث امبراطور فرنسا ) حتى  
 وافق الباب العالي على المشروع عام ١٢٧٥ هـ ( ١٨٥٨ م ) . وفي هذا العام فتح فتح الاشتراك  
 ديلسبس باب الاشتراك في شراء اسهم شركة القناة مقدراً رأس مال الشركة  
 بمبلغ ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك ، وهو مكوّن من ٤٠٠,٠٠٠ سهم ثمن السهم ٥٠٠  
 فرنك . فأقبل الناس على شراء الأسهم . حتى جُمع معظم رأس المال في أقل من  
 شهر واحد . وكان معظم المساهمين من فرنسا ، وجزء منهم من ممالك الدولة العثمانية ،  
 واشترت مصر من الأسهم ٨٥,٥٠٦ \* . أما إنجلترا فأجمت حينئذٍ عن شراء  
 شيء منها

وابتداء العمل في حفر القناة قريباً من موقع مدينة بورسعيد الحالية في رمضان  
 سنة ١٢٧٥ هـ ( ابريل سنة ١٨٥٩ م ) فكان سيره في أول الأمر غاية في البطء لما  
 يحيط به من الصعوبات . وأهم ذلك قلة تدريب عمال السخرة على العمل ، وصعوبة  
 الحصول على الماء الذي يستقون منه قبل أن يتم حفر التربة العذبة . ولما كانت  
 الشركة ( فقيرة بالنسبة لعظم المشروع ) استعان ديلسبس على هذه الصعوبات بالسعى  
 في حمل سعيد باشا على الاكثار من العمال المسخرين بدون مراعاة للاتفاق الأصلي  
 فصارت تساق الآلاف من الفلاحين بحرسهم الجنود الى التربة ، حيث يشتغلون  
 طول اليوم تحت مراقبة حراس مسلحين بالسياط . وكان عدد الذين يشتغلون في  
 حفر التربة لا يقل عن ٣٥,٠٠٠ عامل بدون أجر ، وينوب عنهم مثلهم في كل ثلاثة  
 أشهر ، وكانوا يعيشون على الشظف . وقد أودى بحياة الكثيرين منهم ما كانوا  
 يقاسونه من الجوع والظما والعري وحر الصيف وقر الشتاء واجهاد الجسم والبؤس

سوء حالة  
 عمال السخرة

\* هذه جزء من الاسهم التي اشترتها إنجلترا عام ١٨٧٥ م من اسماعيل باشا بمشورة  
 « اللورد ليكنزفيلد » . وكان عددها ١٧٦,٦٠٢ بيعت بمبلغ ٥٨٢ ر ٩٧٦ ر ٣ جنيه

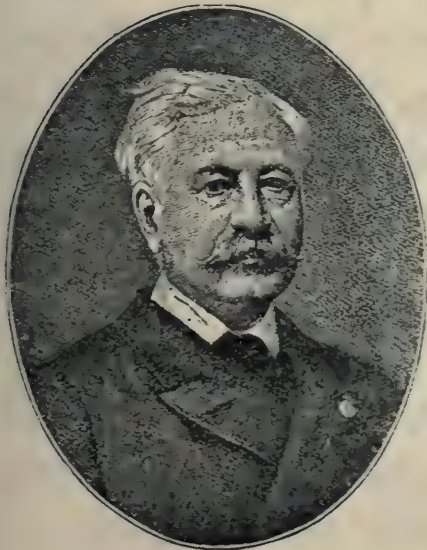
انجلترا والقناة وقبل أن يأذن سعيد باشا لديلبس استشار سفير إنجلترا هل يصادف رفضه لهذا المشروع ارتياحاً من إنجلترا . فلم يكن في قدرة السفير أن يعطيه تصريحاً رسمياً عن هذا السؤال ، لأن إنجلترا وفرنسا كانتا حلفتين في حرب القرم . إلا أن ديلبس ألح في طلبه واقفى أثر سعيد ايما حل وحيثما ذهب ، حتى أمضى عقد الاتفاق في ربيع الثاني سنة ١٢٧٢ هـ ( يناير سنة ١٨٥٦ م )

الباب العالي والقناة  
ولما كان من الواجب قبل الشروع في العمل الحصول على اذن من الباب العالي ذهب ديلبس الى القسطنطينية للسعى في ذلك ، فوجد من أولى الشأن بها معارضة إنجلترا معارضة عظيمة يرجع السبب الأكبر فيها الى تأثير ساسة الانجليز . والسبب في معارضة إنجلترا في المشروع هو أنها كانت ترى بلادها من الوجهة التجارية والحربية أقرب الى الهند من أى مملكة أخرى في أوروبا ، عدا اسبانيا والبرتغال وكلاهما ليس بشئ في نظرها

فاذا فُتح طريق قناة السويس أصبحت كل شواطئ البحرين الأبيض والأسود أقرب من إنجلترا الى الهند ، ولذلك كان غرض نابليون عندما فكر في حفر هذه

الترعة الاضرار بإنجلترا في الهند نفسها إذ أن مهاجمتها فيها قبل حفر القناة صعبة جداً لعظم بعدها . أما اذا فتحت القناة أصبت المسافة بين مرسيليا وبمباى لاتزيد على ٤٦٠٠ ميل فلما علم ديلبس بتأثير الساسة الانجليز في القسطنطينية ذهب الى لندن وقابل اللورد بلرستون ، فوجد منه معارضة أيضاً ، إذ قال له ان حفر القناة يضر بمصالح إنجلترا ويذهب

ديلبس  
في لندن



فردنند ديلبس

عاقبته ، إلا أنه لم يألُ جهداً في مساعدة رجال البعث في بحوثهم لئلا يظهر بمظهر المعرقل لمسامح

مشروع  
ديلبس

وظل بعد ذلك المشروع موقوفاً حتى تولى سعيد ، فقال منه المشيؤ « فردند ديلبس » سنة ١٢٧١ هـ ( ١٨٥٤ م ) اذناً ابتدائياً بحفر القناة . وقد كان ديلبس سفيراً لفرنسا في مصر في عهد محمد علي ، وكانت تتوق نفسه الى تأليف شركة لحفر القناة ، فوعده سعيد باشا حينئذ بأن يساعده عند ما يتولى أريكة مصر . فلما تولاهما طلب اليه ديلبس الوفاء بوعده ، فقال منه الاذن المذكور ، وتلاه اذن آخر في ربيع الثاني سنة ١٢٧٢ هـ ( يناير ١٨٥٦ م ) يلخص أهم شروطه فيما يأتي :

شروط  
شركة القناة

« حق تتمتع الشركة بفوائد القناة مدة تسعة وتسعين سنة من عام فتحها ، وان يحفر المشيؤ ديلبس ترعة تستمد ماءها من النيل من مصر الى الاسماعيلية ، ويمنح في مقابل ذلك كل الأراضي اللازمة للأبنية والأعمال بدون مقابل خالية من كل الضرائب ، وأن يكون له الحق في أخذ أجر من الملاك الذين ينتفعون بالماء العذب الذي يؤخذ من هذه التربة ، وأن يكون للشركة الحق أيضاً في تعدين كل مناجم الحكومة ومحاجرها بدون ثمن أو ضرائب ، وأن تُعفى من كل المكوس على الواردات التي تجلب لها ، وأن يتم القيام بهذا المشروع في مدة لا تتجاوز ست سنوات إلا اذا حصلت عوائق لا يمكن تلافيها ، وأن يكون أربعة أخماس الفعلة العاملين في حفر القناة من الفلاحين . وقد وضعت شروط خاصة بعدد الفعلة الذين يتناولون العمل في كل ثلاثة أشهر . ثم حُدث رسوم المرور في القناة باعتبار عشرة فرنكات على كل مسافر ومثلها على كل طن من حمولة السفن ، وأن تكون الشركة مصرية بحيث يسرى عليها قانون البلاد ، وأن تقسم الأرباح ( بعد أن يخصم منها فائدة لأموال المساهمين بنسبة ٥ ٪ ومثلها للعالم الاحتياطي ) على الترتيب الآتي : ١٥ ٪ للحكومة المصرية ، ١٠ ٪ لمؤسسي الشركة ، ٧٥ ٪ للمساهمين والمديرين والعمال . وبعد انتهاء المدة المقررة تصير القناة وكل مشتملاتها ملكاً للحكومة المصرية .

عمل نخاو باعادة حفرها، وبعد أن هلك في ذلك ما يقرب من ١٢٠,٠٠٠ من فلاحى مصر وقف العمل فجأة، توهماً منه ان الآلهة انذرته عاقبة العمل لمصلحة الأجانب . فكان الاعتقاد بأن حفر الترعة ليس إلا عملاً قاصراً على نفع الأجانب كان يحول في خلد الأقدمين كما جال في خلد محمد على باشا حين تردد في انفاذ مشروع قناة السويس عند ما عرض عليه كما ذكرنا آنفاً

دارا ولما استولى الفرس على مصر شرع « دارا » ( ٥٢٠ ق . م ) في كرى هذه الترعة بطليموس الثانى القديمة، فلم يتسن له اتمام العمل، وبقيت الترعة مهملة حتى جاء « بطليموس الثانى » فاتم حفرها وكرّبها عام ٢٧٧ ق . م . غير أنها اهملت بعد ، ولم يقم الرومان فيها باصلاح يذكّر

عمرو بن العاص فلما فتح عمرو بن العاص مصر سنة ٢٠ هـ ( ٦٤١ م ) واستأمره الخليفة عمر بن الخطاب عام حط الحجاز المسمى عام الرمادة استأذنه في توصيل البحرين ، فأذن له بكرى الترعة القديمة ، فأعادها وسماها « خليج أمير المؤمنين » . وجرت بها سفن الميرة الى الحجاز ، ولبثت مسلوكة حتى عهد « أبى جعفر المنصور » العباسى ، فأمر بردمها عام ١٤٥ هـ ( ٧٧٠ م ) حتى لا تنقل فيها الميرة الى محمد بن عبد الله بن الحسن الخارج عليه بالحجاز

المشروعات الحديثة هذه هى المشروعات القديمة ، وكلها ترمى الى توصيل البحرين بطريق النيل . فلما قدم نابليون الى مصر فى غارته المشهورة فكّر فى اعادة توصيل البحرين بحفر ترعة مشروع نابليون بينهما من مائهما كما أشرنا قبل ، ثم امتنع عن انفاذ مشروعه لتوهم « لاير » مهندس الحملة ان سطح البحر الأحمر يعلو على سطح البحر الأبيض بتسعة أمّاتار . وبقيت هذه الفلطة شائعة الى أن أصلحت نهائياً فى عهد محمد على باشا ، إذ حضر الى مصر فى سنة ١٢٦٣ هـ ( ١٨٤٧ م ) بعث من أوربا ليفحصوا المشروع ، فاشترك معهم لبنان باشا مهندس الحكومة المصرية العظيم ، فأقرّ الجميع بفساد رأى لاير وأثبتوا أن البحرين فى مستوى واحد . على أن محمد على كان يشك فى نجاح المشروع ويخشى



من الوجهة المصرية ، اثنتان : الأولى فتح باب استمدانة الحكومة ، والثانية اذنه أول دين اجني لغردند « ديلسبس » بمحفر ترعة السويس لتوصيل البحر الأبيض بالبحر الأحمر ، ففي عام ١٢٧٨ هـ ( ١٨٦٢ م ) أمضى عقد قرض في لندن مع « فريهلنج غوشن » بمبلغ ٣,٢٩٢,٨٠٠ جنيه ، فلما توفي في عام ١٢٧٩ هـ ( ١٨٦٣ م ) كان على البلاد ديون أجنبية قدرها ثلاثة آلاف ألف ، وعليه هو ما يربو على ضعف ذلك ، فكان ما تركه من الدين خلفه يبلغ عشرة آلاف ألف من الجنيهات تقريباً

وأما اذنه بمحفر ترعة السويس فإنه عاد على البلاد وأهلها بالولايات ، ونَصَب من أجلا مَعِين ثروتها ورجالها . وقد حصل على هذا الاذن المسمى « ديلسبس » بما كان له من المسكنة العالية عند سعيد قبل توليته وبما كان يعده به من الفوائد التي تنجم من ذلك المشروع الخطير مع قلة النفقات ، بدعوى ان كل ما يحتاج اليه من المال لحفر التربة سيكون من فرنسا . وسيوضح لنا في الفصل الثاني ان كل وعود قناة السويس ديلسبس كانت أضغاث أحلام وأوهاماً كاذبة ، وأن معظم نفقات القناة كان من دماء الفلاح المصرى

## الفصل الثاني

### قناة السويس

تدل الآثار القديمة على ان فكرة توصيل البحر الأبيض بالبحر الأحمر صنعت في عالم الوجود منذ أزمان غابرة ، وانه كان يوجد في عهد « سیتی الأول » ( ١٣٨٠ ق . م ) ترعة واصله بين البحرين بطريق النيل : تخرج منه عند « بوسطة » وتصب في البحر الأحمر مختزقةً وادی الطميلات . وهى المسماة عند قدماء المؤرخين بترعة « سيزستريس »

المشروعات  
القديمة  
ترعة  
سيزستريس

ثم أهملت هذه التربة وبقیت كذلك الى أيام « نخاو » ( ٦٠٩ ق . م ) ، فهتم

على مصالح الأمة حسب ما تقتضيه الأحوال ، إلا أنه من سوء حظ البلاد لم تتوافر هذه الصفة في سعيد . تولى الملك وهو نشيط بطبعه محب للعمل ، فكان مبدأ حكمه يبشر بحسن مستقبل مصر . ولكنه ما لبث أن أخذ مقاليد الأمور كلها في يده ، ولم يثق بأحد من الوطنيين ليشاركه معه في إدارة شؤون الملك . ففضى على المجلس الخصوصى ( مجلس النظار ) ، ولم يدرّب أحداً من أبناء الأمة على شؤون الإدارة حتى يكون له عوناً . ولم يتبع طريقة عباس باشا في عزله ، بل كان يقابل الأجانب ويحادثهم ويكرم مشواهم ، وبالغ في ذلك حتى ضاعت هيئته فلم يفلح في حكم البلاد . ذلك الى أنه أصبح بديناً منغمساً في اللذات ، لا يقوى على مواصلة العمل بالجد والنشاط اللذين عهدا فيه من قبل ، فاعتل نظام الحكومة ودب فيه روح الفساد وسوء الإدارة

وكان شغله الشاغل مدة حكمه تنظيم الجيش ، لاعتقاده انه ماهر في الفنون الحربية . فكان يغير في نظامه . ويبدل من حين لآخر ، فتراه طوراً يحنّد جيشاً يربو على ٥٠,٠٠٠ ، وطوراً ينقصه الى نصف ذلك العدد ، متبعاً في ذلك ما تمليه عليه أهواؤه وميوله . وقد اختار نقطة القناطر الخيرية فجعلها معسكراً للجيشه ، لاعتقاده أنها مركز حربي هام لصد غارات المغيرين ، كما كان يقيم بجيشه كثيراً في صحراء مريوط

ومع ضعفه الخلقى كان مخلصاً في اهتمامه بتحسين حالة البلاد التي كان يعتبرها كضيعة الخاصة ، فعمل جهده في مد السكك الحديدية وحفر الترع وغرس الأشجار وتحسين حالة الفلاح . فأصدر قانون الأراضي الشهير في عام ١٢٧٤ هـ ( ١٨٥٨ م ) الذي به أصبح الفلاح لأول مرة المالك الحقيقي لما يفاحه من الأرض . ثم محا بعض الشيء من الاحتكارات المجحفة بحق الفلاح . وهو أول من وضع نظام الضرائب المتبع الآن بدلاً من الاحتكار والعشرية وغيرها من المكوس التي كانت في عهد محمد على غير أنه لم يشجع العلم وأهله ، لأنه كان يعتقد أن فتح المدارس ينه عقول عامة الناس ، فيجعل قيادتهم أمراً عسيراً

وأم الحوادث التي حدثت في أيامه ، بل أهم الأغلاط التي ارتكبها في مدة حكمه

٢ — \* سعيد باشا \*

١٢٧٠ - ١٢٧٩ هـ : ( ١٨٥٤ - ١٨٦٣ م )

كان سعيد باشا في حياته محبوباً من والده محمد علي ، فرباه تربية عالية في تربية سعيد مدارس فرنسا أهله لتولى زمام الملك . وقليل من الامراء من نال نصيباً وافراً من



سعيد باشا

حالة مصر  
عند توليته

العناية كسعيد . قبض على زمام الأمور والبلاد في حالة حسنة : اذ كانت خالية من الديون الأجنبية ، وكان دخلها السنوي البالغ ثلاثة آلاف الف من الجنيهاً كافياً لسد كل حاجاتها ، وكانت التجارة متقدمة والأراضي الزراعية آخذة في الازدياد . فلم يك ينقص البلاد الا شئ من الحزم في حاكمها يستطيع به السير في سبيل المحافظة تاريخ مصر ج ٢ ( ٣٠ )

عبوبه ومحاسنه الموظفين المتعلقين ، الذين لاهمّ لهم إلا جمع الثروة من حوله ، اعتزل جميعهم إلا نفرًا قليلًا من سفراء الدول وخدمه الخاصة ، فكانت حياته سرًّا غامضًا . وقد ذمه كثيرون من أجل ذلك ، ولكن كفاه خزانة خالص الأمة من نهب الأجانب في مدة حكمه : ولم يثقل كاهلها بشيء من الديون كما فعل غيره من بعده

الخط الحديدي بين مصر والاسكندرية وفي أيامه أنشئ أول خط حديدي في مصر بل في ممالك الشرق بأجمعها ، وذلك هو الخط الممتد بين الاسكندرية والقاهرة . وقد قام بهذا المشروع «رُبْرْت استيفنسن» مخترع القطر البخارية ، اذ أخذ على عاتقه جلب كل المهمات اللازمة لمده ، وابتدأ العمل سنة ١٢٦٨ هـ ( ١٨٥٢ م ) وتتمه في عام ١٢٧٢ هـ ( ١٨٥٦ م ) . وكان الموعد بمدّة هذه السكة الحكومة الانجليزية ، لتسهيل نقل البريد والمسافرين بين الهند وأوربا عن طريق مصر . وقد عارضت في الأمر الحكومة الفرنسية ، فسبب ذلك بعض التأخير في انجاز المشروع

وراثه الملك وكان عباس باشا يريد حرمان عمه « سعيد » من الملك بعده ليكون لابنه « إلهامى » . فأتت المقادير على عكس ما أراد ، اذ قتل فجأة في قصره في بنها ، وكان ابنه الهامى غائبًا عن الديار المصرية ، فورث الملك سعيد باشا بدون أدنى معارضة ، وذلك في ذى الحجة سنة ١٢٧٠ هـ ( ١٢ يولييه سنة ١٨٥٤ م )

مقتله ولقد كثرت الاشاعات عن سبب مقتل عباس باشا الأول . فالم تداول على الألسن أن خصميه قتلوه خنقًا وهو نائم في فراشه . وقال آخرون انه قتل بايعاز بعض أقربائه الذين كانوا يريدون نزعته من ولاية الملك . وهناك فريق آخر يعزى سبب قتله الى أسباب سياسية . وكنتم خبر موته عدة أيام ، ثم نقلت جثته من بنها الى قصره بالعباسية\* ، ومنها نقلت الى مقرها الأخير بقراة الامام الشافعى بالقاهرة

\* سميت صحراء الريدانية « العباسية » منذ عهد عباس باشا الاول لانتخاذه قعره بها





عباس باشا الأول

مضى عباس باشا معظم حكمه بمعزل عن الناس ، متهاوناً في شؤون الملك ، غير  
مكتثر بما في ذلك من الضرر . ولعل له عذراً في ذلك . إذ أنه لما شاهد فشل  
حروب الشام بقيادة ابراهيم باشا ، ورأى سقوط جده الكبير والقضاء على كل آماله ، رأى  
أنه من العبث مقاومة أوربا ، وأدرك أن البلاد في حاجة الى السكينة والراحة ، وأن  
لاداعي الى المظاهر الأوربية الكاذبة التي كان يعتقد أنها تسربت الى مصر قبل ميعادها  
تلك كانت خطته . ولما رأى أنه يحيط به قطيع من الذئاب الغربية وطائفة من

# الباب الثالث

تاريخ مصر

بعد عهد محمد علي باشا

## الفصل الأول

عباس باشا الأول وسعيد باشا

١ - \* عباس باشا الأول \*

( ١٢٦٥ - ١٢٧٠ هـ : ١٨٤٩ - ١٨٥٤ م )

تدهور مصر بعد موت محمد علي كادت مصر تكون نسياً منسياً ، لا أهمية لها في نظر أوربا ، لولا مرور تجارة الهند عن طريق مصر . وذلك لأن من خلفه من ذريته لم ينالوا تلك الصفات التي ميزته وجعلته في مصاف عظماء الرجال

تولى الملك عباس باشا الأول ( ابن طوسون بن محمد علي ) في ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٦٤ هـ : ( ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٤٨ م ) ، وكان إذ ذاك يناهز السادسة والثلاثين من عمره ، فكان أول عمل قام به أن هدم كل ما أنفى فيه جدّه العظيم زهرة حياته ، غير مفرق بين النافع والضار . فبكأ قضى على احتكار التجارة المجحف بحق الفلاح ، أنقص الجيش الى تسعة آلاف ، وأغلق المعامل والمدارس ، واستغنى عن كثير من الموظفين الغربيين وأظهر ميله الى العادات والأنظمة التركية والبلدية

عباس يهدم  
أعمال سلفه

١٨٣٩	يناير	١٢٥٤	ذى القعدة	انتهازاً لفرصة خروج الشام
»	»	»	»	رجوع محمد على من السودان لما علم بذلك
»	٢٤ يونيه	١٢٥٥	١١ ربيع	هزيمة الجيش التركي بقيادة حافظ باشا عند نصيبين
»	»	»	»	مجيء الاسطول العثماني الى مصر وانضمامه الى محمد على
»	»	»	»	ابتداء تدخل دول أوربا في المسألة المصرية التركية
»	»	»	»	انفراد فرنسا بمؤازرة محمد على
١٨٤٠	١٥ يوليه	١٢٥٦	١٥ جمادى	معاهدة لندن لاختضاع محمد على
»	٢ سبتمبر	»	٥ رجب	اعلان الباب العالي خلع محمد على عن الشام
»	»	»	»	عدم خضوع محمد على وشرع الدول في اخضاعه بالقوة
»	٢ سبتمبر	»	رجب	ضرب أساطيل الحلفاء ميناء بيروت
»	»	»	»	هزيمة ابراهيم باشا في برومانة ثم في قلعة ميدان
»	»	»	»	واخلاء بيروت واستيلاء الحلفاء على عكا
»	١٩ ديسمبر	»	٥ ذى القعدة	ابتداء اخلاء الشام
١٨٤١	يناير	»	ذى القعدة	خضوع محمد على للسلطان
١٨٤١	١٣ فبراير	»	٢١ ذى الحجة	صدور تقليد من السلطان بمنح محمد على ولاية مصر ورئاسة
١٨٤١	ابريل	١٢٥٧	صفر	تخفيف شروط هذا التقليد بتقليد آخر
١٨٤١	١ يونيه	»	١١ ربيع	تأييد هذا التقليد بآخر
				٧ - شيخوخة محمد على وحكم ابراهيم
				انتشار طاعون الماشية بمصر وعبوط النيل واجتياح الجراد الزراعة
١٨٤٣	١٢٥٩			سفر محمد على باشا الى الاسكندرية
١٨٤٦	١٢٦٢	رجب		وضع محمد على باشا أول حجر من أساس القناطر الخيرية
١٨٤٧	١٢٦٣	٢٢ ربيع		تقليد ابراهيم باشا ولاية مصر
١٨٤٨	١٢٦٤	شعبان		اشتداد المرض على ابراهيم ووفاته
»	»	١٣ ذى الحجة		وفاة محمد على باشا
١٨٤٩	٢ أغسطس	١٣ رمضان	١٢٦٥	

			تصميم السلطان محمود على رفض تحرير اليونان
١٨٢٩	١٢٤٥		واعلان روسيا الحرب عليه لذلك
١٨٢٩	١٢٤٥		انهزام الترك أمام الروس واضطراهم لعقد معاهدة
			أدرنة واقرارهم فيها على تحرير اليونان
١٨٤١ - ١٨٣٢	١٢٥٦ - ١٢٤٧		٦ - حرب الشام
			استيلاء محمد على من الباب العالي لعدم مكافأته على
١٨٢٩	١٢٤٥		مساعدته في حرب المورة ولاسباب أخرى
			ابتداء استعداد محمد على للحملة على الشام
١٨٣١	١٢٤٧	جمادى ١	خروج الحملة بعد تأخرها بسبب الهزيمة
			زحف الجيش البرى واستيلائه على غزة وباقا
١٨٣٢	١٢٤٧	ذى الحجة	حصار عكا وسقوطها في يد ابراهيم
			اصدار الباب العالي أمراً بخلع محمد على أثناء
»	»	»	حصار عكا
١٨٣٢	١٢٤٨	١٦ المحرم	فتح دمشق
١٨٣٢	١٢٤٨	٩ صفر	انهزام محمد باشا والى طرابلس عند حصص
»	»	١٨ صفر	استيلاء ابراهيم على حلب
»	»	١ ربيع	هزيمة حسين باشا في مضيق بيلان
»	»	٢٧ جمادى ٢	هزيمة رشيد باشا في واقعة قونية
١٨٣٣		شوال	احتلال كوناية
»		ذى الحجة	معاهدة
»	١٢٤٩	صفر	معاهدة هنكار اسكنة سى
١٨٣٤	١٢٥٠		ابتداء خروج أهل الشام على ابراهيم باشا
			استفحال الثورة في الشام - سفر محمد على باشا الى
١٨٣٥	١٢٥٢		الشام لاطفائها
١٨٣٨	١٢٥٤		انهزام المصريين في الشام أمام عرب حوران
			تقرير الباب العالي اعلان الحرب على محمد على



			اعلان اليونان الحرب على الترك لنيل استقلالها وعدم مساعدة الدول لها
			انتصار اليونان في بادى الامر واستنجد السلطان بمحمد على على قمع الفتنة
١٨٢٣	١٢٣٩		تولية محمد على على جزيرة اقر بطش
١٨٢٤	١٢٣٩		تولية محمد على على بلاد المورة
			اقلاع الجيش المصرى من الاسكندرية الى بلاد اليونان
١٨٢٤	١٢٣٩	ذى القعدة	نزل الجيش المصرى في مودن
١٨٢٥	١٢٤٠	شعبان	اخضاع بلاد المورة واستيلاء ابراهيم على أمهات المدن فيها
١٨٢٦	١٢٤١	رمضان	حصار مسلولنجى وتسليمها
			قيام الثورة في بلاد المورة ثانياً واخضاعها
			فتح رشيد باشا مدينة أئينا
			استيلاء دول أوروبا العظمى من فظائع ابراهيم وعقدتهم مؤتمراً لذلك في لندن
١٨٢٦	١٢٤١	ذى القعدة	اقرار المؤتمر على ارسال عمارة بحرية تعهد القيادة العامة فيها الكدرنجتون
			اشتباك العمارة المصرية التركية مع أساطيل الحلفاء في خليج نوارين وتدمير العمارة المصرية التركية
١٨٢٧	١٢٤٣	الحرم	احتمال فرنسا لبلاد المورة بعد رفض البرلمان الانجليزى الاشتراك معها
١٨٢٨	١٢٤٤	صفر	ظهور الاسطول الانجليزى في المياه المصرية وتهديده محمد على
			اتفاق محمد على مع الانجليز على اخلاء بلاد المورة
١٨٢٨	١٢٤٤	ربيع الاول	اخلاء ابراهيم بلاد المورة

٢	٨	
١٨١٦	١٢٣١ شوال	تجريد حملة الى بلاد العرب بقيادة ابراهيم باشا
١٨١٧	١٢٣٢	للقضاء على الوهايين
١٨١٨	١٢٣٣ ذى القعدة	هزيمة ابراهيم عند الريس
		حصاره الدرعية وتسليم عبدالله له وأمره بتخريب البلد
		مقتل عبد الله بالاستانة
١٨٢٣-١٨٢٠	١٢٣٩-١٢٣٥	٤ - فتح السودان
		عزم محمد على على فتح السودان لاسباب مادية وسياسية
١٨٢٠	١٢٣٥ جمادى ١	تجريده حملة للاستيلاء على سيوة
١٨٢٠	١٢٣٥ شوال	مسير حملة السودان من القاهرة بقيادة اسماعيل
		فرار الممالك من دنقلة وتشتتهم عند ما سمعوا بمجيء
		اسماعيل
		سحق اسماعيل عرب الشاقية في كرتي
١٨٢١	١٢٣٦ جمادى ٢	فتحه بربر
		فتح شندى وسنار ومرض الجيش أثناء اقامة
		اسماعيل بسنار
		وصول المدد الى اسماعيل بقيادة أخيه ابراهيم -
		تقسيم القيادة بينهما
		وصول اسماعيل في زحفه الى تومات وعودة ابراهيم
		الى مصر لمرضه بعد أن وصل الى جبل دنكا
١٨٢٢	١٢٣٧	وصول مدد بقيادة محمد بك الدفتردار لغزو كردفان
		هزمه بعض القبائل عند بارا واستيلائه على الابيض
		انتقام الدفتردار من نمر لحرقه اسماعيل بحرق شندى
١٨٢٣	١٢٣٨	بناء الخرطوم وجعلها حاضرة للبلاد السودانية
١٨٢٩-١٨٢٣	١٢٤٥-١٢٣٩	٥ - حرب اليونان
		شوب نار الثورة في جنوبي ايطاليا واسبانيا وبلاد
١٨٢١-١٨٢٠	١٢٣٦-١٢٣٥	اليونان

١٧٩٨	١٢١٣	قلق شريف مكة من انتشار المذهب الوهابي وتجر بده حملة على عبد العزيز
١٨٠١	١٢١٦	فشل الحملة والعمل على نشر المذهب في وادي القرات - هزم والى بغداد لعبد العزيز بن سعود مهاجمة ابن سعود كى بلاء وتخرى بها دخول عبد العزيز مكة فى العام التالى بدون معارضة الشريف قتل عبد العزيز وتولية سعود الثانى وهو أعظم رجال هذه الاسرة تشدد سعود الثانى فى جمع الضرائب حتى أضربت الناس عن الحج
١٨٠٦	١٢٢١	تجر يد محمد على حملة على الوهابيين بأمر الباب العالى
١٨١١	١٢٢٦	وصول طوسون الى ينبع وانهمزاه عند الجديدة وهرب جنده وصول المدد الى طوسون وفتح المدينة وارسال مفاتيح الكعبة والحجرة النبوية الى والده مطاردة طوسون الوهابيين وانهمزاه عند طربة سفر محمد على الى الاقطار الحجازية عند سماعه بهذه النكبة لتولية القيادة بنفسه
١٨١٢	١٢٢٧	وفاة سعود الثانى وتضعف الوهابيين انهمزام خلفه عبد الله سعود عند بيصل
١٨١٤	١٢٢٩	عودة محمد على لوقوع قلاقل داخلية فى مصر
١٨١٥	١٢٣٠	عودة طوسون عند سماعه بتلك القلاقل - موته فجأة نقض الوهابيين شروط الصلح التى عقدها معهم طوسون قبل عودته

			اتحاد البرديسي والالفي عليه
١٨٦	١٢٢١		موت البرديسي
١٨٠٧	١٢٢١		موت الالفي
١٨٠٧	مارس	١٢٢٢	وصول الحملة الانجليزية الى مصر لتأييد سلطة المماليك
			استيلاء الحملة على الاسكندرية - رجوع محمد علي من مطاردة المماليك بالصعيد وهزمه الانجليز عند الحماة - عقد شروط الصلح مع محمد علي وترك الانجليز البلاد
١٨٠٧	سبتمبر	١٢٢٢	رجب
			رضاء الباب العالي عن محمد علي والانعام عليه وفك عقاب ابراهيم ابنه
			خوف محمد علي من المماليك والعمل على الفتك بهم - هزمه لهم عند أسبوط - انتشارهم في طول البلاد وعرضها
١٨١٠		١٢٢٥	استرضاء محمد علي للمماليك وعقد مهادنة معهم
			تدبير المماليك الكيد لمحمد علي وهو راجع من السوبس ووقوف محمد علي على ذلك - فتك محمد علي بالمماليك في مذبحه القلعة
١٨١١	فبراير	١٢٢٦	صفر
١٨١٩ - ١٨١١		١٢٢٦ - ١٢٣٥	٣ - الحروب الوهابية
			مولد ابن عبد الوهاب صاحب المذهب الوهابي بالعيننة من اقليم العارض ( مذهب الوهابيين يوافق مذهب اهل السنة الصحيحة )
			حماية محمد بن سعود لابن عبد الوهاب وتشجيعه على نشر مذهبه
١٧٨٧		١٢٠١	وفاة ابن عبد الوهاب
١٧٩١ - ١٧٤٦		١٢٠٦ - ١١٥٩	امتداد سلطان أولاد سعود على جميع بلاد نجد



			العثمانية يظهر فيه محمد على تدريجاً وينتهى بهروب خسرو الى دمياط
١٨٠٣	١٢١٨		الاهالى يختارون طاهر باشا خلفاً لخسرو مقتله بعد ٢٢ يوماً
			محمد على يصبح رئيس الجنود الالبانية فى مصر
			اتحاده مع البرديسى على خسرو - مداخلة والى ينبغ - أخذ خسرو سجيناً الى القاهرة
			تولية على باشا الجزائرى
			البرديسى يحتمل حتى بقتله
			وصول الالفى بعد ان مكث بالبحلثة سنتين
			اتحاد محمد على والبرديسى على الالفى - فرار الالفى الى سورية
			تظاهر محمد على بالخضوع للدولة وتأليه الاهالى على البرديسى ومهاجمته اياه وطرده هو وابراهيم بك الى الشام
			تولية خورشيد باشا - ضعفه وتمرد الجند عليه والتهجاء الاهالى الى محمد على
			بقاء محمد على بمصر رغم ارادة الدولة - اتفاقه مع الدلاة
١٨٠٥	١٢٢٠	صفر	محاصرة خورشيد باشا بالقلمة ( برغبة الاهالى )
			اختيار الاهالى محمد على والياً على مصر
١٨٠٥	١٢٢٠	ربيع الثانى	موافقة الباب العالى على ذلك
١٨١١ - ١٨٠٥	١٢٢٦ - ١٢٢٠		٢ - توطيد سلطته فى مصر
١٨٠٥	١٢٢٠	جمادى الثانية	اول فتك بالمماليك
			الباب العالى يحاول ابعاد محمد على عن مصر -
١٨٠٦	١٢٢١	شعبان	تظلم الاهالى ووصول عهد بتأييده فى الولاية

م	هـ	م	هـ
١٧٩٩ أغسطس ٢٢	١٢١٤ ربيع ١	مغادرة نابليون مصر قاصداً فرنسا وعهده بالقيادة لكبير	
»	»	مهادنة الفرنسيين للمماليك بعد تغلب الآخرين على معظم الصعيد	
١٨٠٠ يناير	شعبان	ادراك لكبير صعوبة مركزه وإبرامه معاهدة العريش مع سدنى سمث	
»	»	عدم موافقة الحكومة الانجليزية على هذه المعاهدة	
»	»	دخول الترك مصر بعد المعاهدة ووقوع الثورة فيها	
١٨٠٠ يونيو ١٤	٢٠ المحرم ١٢١٥	واخماها على يد الفرنسيين وعودة النفوذ لهم فيها	
»	»	قتل القائد لكبير	
١٨٠١ فبراير	شوال	وصول الحملة الانجليزية بقيادة السير رلف ابركرومبى	
»	»	اطرد الفرنسيين	
»	»	انهزام الفرنسيين عند كانوب وموت ابركرومبى وتولى هتشسن مكانه	
»	»	جلاء الفرنسيين عن مصر بعد تسليم بليار بالقاهرة	
١٨ سبتمبر	١٠ جمادى ١٢١٦	ومينو بالاسكندرية	
١٨٠٢	١٢١٧	طبع الحكومة الفرنسية أعمال البعث العلمى فى مؤلف يدعى وصف مصر	
١٨٤٩—١٧٦٩	١٢٦٥—١١٨٣	ثانياً — محمد على باشا *	
١٨٠٥—١٧٦٩	١٢٢٠—١١٨٣	١ - نشأته ونهوضه	
١٧٦٩	١١٨٣	مولد محمد على فى قولة	
١٧٩٩	١٢١٣	قدومه الى مصر فى واقعة بوقير البرية	
١٨٠١	١٢١٥	قدومه الى مصر وقت حملة ابركرومبى	
١٨٠١	١٢١٦	تولية خسرو على مصر من قبل الباب العالى	
		نزاع بين خسرو والمماليك وبينه وبين الجنود	

ملخص لأهم الحوادث التاريخية في الباب الثاني

٢	١	أولاً — * الحملة الفرنسية *
١٧٩٨ — ١٨٠١	١٢١٢ — ١٢١٦	تجريد نابليون حملة على مصر
١٧٩٨	١٢١٢	اقلاعه بجيشه الى البلاد المصرية
١٧٩٨ مايو ١٩	٢ ذى الحجة ١٢١٢	وصول نلسن أمير البحر الانجليزي بأسطوله الى الاسكندرية مقتفياً أثر الاسطول الفرنسى فلم يعثر عليه
١٧٩٨ يونيو ٢١	٨ المحرم ١٢١٣	وصول العمارة الفرنسية أمام الاسكندرية
» يوليو ١	» ١٨ المحرم	زحف نابليون على القاهرة من طريق الصحراء بعد اخضاع الاسكندرية
» ٧	» ٢٢	الاستيلاء على رشيد
»	»	انهزام مراد بك أمام نابليون عند شبراخيت وتقهقره الى القاهرة
» ١٤	» ٢٩	انهزام المماليك في واقعة انبابة (الاهرام)
» ٢١	» ٧ صفر	اجتماع العلماء بعد الموقعة وتقريرهم التسليم لنابليون
» ٢٢	» ٨	دخول نابليون القاهرة
» ٢٥	» ١١	اصلاحات نابليون في القاهرة
»	»	تدمير العمارة الفرنسية في موقعة بوقير البحرية على يد نلسن
» أغسطس	» ١٧ ربيع ١	خروج سكان القاهرة على الفرنسيين خروجاً عاماً واختام الثورة على يد نابليون
» ٢٢ اكتوبر	» ١٠ جمادى الاولى	تجريد نابليون حملة على بلاد الشام لصد غارة الترك على مصر
١٧٩٩	»	وصول الحملة الى يافا
» مارس ٣	» ٢٥ رمضان	حصار نابليون لعكا ورجوعه عنها لمناعتها
»	»	انتصار نابليون على الترك في واقعة بوقير البرية
» يونيو ١٣	» ٩ المحرم ١٢١٤	

تجارية تجرى في ترعة المحمودية والنيل بين مصر والاسكندرية ، فكان متوسط  
المسافرين على طريق مصر بين عامي ١٢٦٨ و ١٢٦٥ هـ ( ١٨٤٢ - ١٨٤٩ م )  
يبلغ ١٥,٠٠٠ في العام الواحد

فضل وجهورن وتوفي « وجهورن » عام ١٢٦٦ - ٦٧ هـ ( ١٨٥٠ م ) ، وكان لا يزال يعترف الى  
آخر لحظة من حياته ان السبب في نجاحه يُعزى الى كرم وتشجيع محمد علي ، صاحب  
الأيادي البيضاء عليه . ولا يزال اسم « وجهورن » مقروناً بالتبجيل ، وله تمثال منصوب  
في ميناء السويس . ويمتاز وجهورن على « ديلبس » بأنه لم يستنفد أموال الخزانة  
المصرية ولم يحول المشروع الذي قام به ضد مصلحة من أحسن اليه ، كما فعل  
الآخر . وقد اعترف بعض رجال الأمة الانجليزية بفضل محمد علي ، فأهدوه في  
عام ١٢٥٥ - ٥٦ هـ ( ١٨٤٠ م ) وساماً ، زُين أحد وجهيه برسم محمد علي ، ونُقشت  
على الثاني العبارة الآتية :

اعتراف الانجليز  
بمساعدة  
محمد علي

« الى مشجع العلم والتجارة والنظام ، الحامي لرعايا وأموال الممالك المتضادة ،  
والفاتح للطريق البرية الى الهند »



معاودة  
الحكومة  
الانجليزية له

ولكن المشروع لم يندثر جملةً ، ففي سنة ١٢٤٤ - ٤٥ هـ ( ١٨٢٩ م ) أرسل السير « جون ماركس » حاكم بمباى باخرة الى السويس لنقل التجارة ، فلم تواصل رحلاتها الاً زمنًا يسيرًا لكثرة نفقات الفحم . الاً أن « بركر » مازال بفكرة « وجهورن » يحمدها ويعضدها حتى طلبت منه الحكومة الانجليزية تقريراً رسمياً في هذا الصدد فافتتعت انجلترا بالتقرير ، وما جاء شهر رمضان سنة ١٢٤٦ هـ ( فبراير سنة ١٨٣٠ م ) حتى أصبح نجاح مشروع « وجهورن » من المحقق

معاودة  
محمد على له

وفي أثناء هذا الجهاد الطويل كان محمد على من اكبر المشجعين لوجهورن ، حتى أنه من شدة ميله لمحمد على قدم رسالة الى البرلمان الانجليزي يرجوه فيها أن ينظر الى مضر بعين الرعاية والشفقة ، وأن لا يجعلها في حوزة تركيا . ولا شك أن محمد على خدم الأمة الانجليزية من هذه الوجهة ، ولذلك يعترف بعض الانجليز بأن بريطانيا العظمى مدينة له في إحياء هذه الطريق

نجاح  
جهاد وجهورن

أما وجهورن فقد جنى ثمره جهاده بعد أن لاقى أهوالاً وقاسى شدائد جمّة مدة عشرين عاماً . ففي ٢٧ رمضان سنة ١٢٦١ هـ ( أول اكتوبر سنة ١٨٤٥ م ) انجرت باخرة من بمباى تحمل بريداً : فوصلت الى السويس بعد ١٩ يوماً . ثم نقل البريد براً الى الاسكندرية ، فبلغها في اليوم التالي ، ومنها نقل على طريق تريسنت ونهر الزين والبلجيك ، فوصل لندن في صبيحة يوم الواحد والثلاثين من شهر اكتوبر ، أى أنه لم يستغرق في طريقه اكثر من شهر \* . ولقد بذلت الحكومة الفرنسية جهدها لإثبات أن الطريق من فرنسا آمن وأقصر ، فاتخذت أخيراً شركة البواخر الشرقية التي أسست سنة ١٢٥٥ - ٥٦ هـ ( ١٨٤٠ م ) ميناء مرسيليا مركزاً عاماً للبريد الأوربي وقد زاد في سهولة هذه الطريق أنه قبل ممات محمد على أسست شركة سفن

بين الهند  
وانجلترا  
في شهر

شركة البواخر  
الشرقية

تأثير  
ترعة المحمدية

\* كان البريد ينقل بين السويس والقاهرة على الجمال بطريق الصحراء . وكان بعض رجال الانجليز قد عرض على محمد على انشاء خط حديدي على هذه الطريق ، فوافق على هذا الرأي ، وأحضرت بعض المواد اللازمة لانشاء الخط بالقفل . الاً أن محمد على ارتاب فيما بعد في عاقبة الامر وأحجم عن المشروع

وبين هذه المستعمرة العظيمة من طريق الرأس ، التي كانت تستغرق زمناً طويلاً وأول من عُنِيَ بأحياء هذا المشروع « جورج بلْدوين » سفير إنجلترا في مصر في عهد الثورة الفرنسية ، وأول عمل قام به للوصول الى غرضه أنه حصل على اذن من الباب العالي بخول له الملاحة في البحر الأحمر . ثم أحضر سفينة من لندن الى الاسكندرية ، وأخرى من « كلكتة » الى ميناء السويس ، ثم صعد الهرم الأكبر يرافقه ثلثة من اصدقائه ، ومعه ثلاث زجاجات ملئت بالماء : احداها من النيل ، والثانية من نهر التاميس ، والأخيرة من ماء الكنج . ثم شربوا من مزيج الثلاث على ذكر اتحاد الثلاثة الأنهار واتساع نطاق التجارة البريطانية على طريق الديار المصرية .

غير أن الباب العالي لم يلبث ان ألغى الإذن

مشروع  
جورج بلْدوين

مهجره

وبعدئذٍ أظهر أحد التجار الانجليز بمدينة الاسكندرية وهو « المستر برِجز » لمحمد علي الفوائد المادية التي تعود علي البلاد من اتصال التجارة بين مصر والهند ، وذلك أثناء حربه مع الوهايين . فصادف ذلك هوًى في نفس الوالى ، وأرسل بعض السفن الى مياه بمباى ، ولكن المشروع لم يفلح طويلاً

مشروع برِجز  
ومهجره

ولما ابتدأ احتكار محمد علي للتجارة في الديار المصرية تلهى الفرنسيون التازلون بمصر بالوظائف الأميرية عن سواها من الأعمال . وكان نظير ذلك لرجال الانجليز الحط الأوفر في التجارة المصرية ، فكانوا يتَعَنّون بمدح محمد علي في بلادهم ، ويذكرون له الايادى البيضاء في تشجيع التجارة . فلما سمع بذلك « توماس وجُهورن » أحد رجال الأسطول الانجليزى الموظفين في « شركة الهند الشرقية » أخذ يعمل بكل قواه العقلية والجثمانية لإحياء هذه الطريق ، خصوصاً بعد أن توطدت دعائم الأمن العام في مصر بفضل اصلاحات محمد علي ، وصار استعمال البخار في تسيير السفن من اكبر المشجعات أيضاً على الدأب وراء انفاذ فكرته . فقدّم اقتراحه في أول مرة الى شركته في سنة ١٢٣٨ - ٣٩ هـ ( ١٨٢٣ م ) ، فلم توافق عليه بالرغم

من مساعدة « برِكر » سفير إنجلترا في مصر ، ظناً منها أنه من الأمور الصعبة التنفيذ

الانجليز  
والتجارة المصرية

مشروع  
وجهورن

صعوبة تنفيذه

فقضى على ذلك الرجل العظيم في ١٣ ذى الحجة سنة ١٢٦٤هـ (نوفمبر سنة ١٨٤٨م) ودفن بالقرافة ، وبموته رجع عباس باشا من مكة ، فتقلد الأمور في البلاد . ثم سافر توأ الى القسطنطينية لينسلم تقليد التولية

وفاة  
محمد علي

أما محمد علي فلم يمكث بعد تولية عباس إلا أشهراً قليلاً ، كان في أثناءها منحط القوى العقلية والجثمانية جملة لكبر سنّه ، الى أن فاض روحه بالاسكندرية في ١٣ رمضان سنة ١٢٦٥هـ (٢ أغسطس سنة ١٨٤٩ م) ، وبذا انتهت حياة عظيم من اكبر رجال الشرق

جامع  
محمد علي

ونقلت جثته الى القاهرة حيث دفنت بمسجده الذي شيّده بالقلعة سنة ١٢٤٦هـ (١٨٣١ م) ، وهو من أجمل المباني التي شيدت بمصر على الطراز التركي الحديث

## الفصل الثالث

### الطريق البرية بين الهند وأوربا

الطريق القديمة  
ومجرها

كان من أهم موارد الثروة في مصر في عهد المماليك الضرائب التي كانت تجبي على البضائع والسلع المتبادلة بين أوربا والهند على طريق مصر . وقد ظلت هذه الطريق مسلوكة حتى كشف البرثقال طريق الرجاء الصالح كما سبق ، فتحوّلت التجارة اليها منذ ذلك العهد ، وهُجرت طريق مصر ، لسهولة الأولى وقلة نفقاتها وصون البضائع وقلة الخطر فيها ، خصوصاً ان البحر الأبيض المتوسط كان يهدّد تجارتها في ذلك العهد لصوص البحر من الترك وغيرهم . وكانت القوافل التي تحمل التجارة من السويس الى الاسكندرية تسطو عليها قبائل الأعراب وقطاع الطريق

الاسباب  
الجديدة لاجيائها

بقيت طريق الرجاء الصالح متبعة حتى أواخر القرن الثامن عشر عند ما فكر بعض رجال انجلترا في احياء طريق مصر . ولا غرابة ، فان نفوذ الدولة البريطانية كان قد اتسع في بلاد الهند ، وأصبح من الضروري لها اتخاذ طريق أقصر للمواصلات بينها  
تاريخ مصر جزء ٢٠ (٢٨)

سفره الى اوربا ثم أشار الأطباء ثانيةً على ابراهيم بالسفر الى أوربا . وفي مدة غيابه ذهب والده الى نابلي في ايطاليا ، حيث سمع بخلم « لويس فليب » ملك فرنسا ، فتذكر خدماته له في الأزمة الأخيرة ، وعزم على تجريد حملة لارجاعه الى عرشه . فلما علم بذلك ابراهيم قفل راجعاً الى مصر



جامع محمد علي  
( بالقلعة )

تولية  
ابراهيم باشا  
وفي شعبان سنة ١٢٦٤هـ ( يولييه سنة ١٨٤٨م ) أصدر الباب العالي تقليداً بتولية ابراهيم باشا على الديار المصرية ، فذهب لتقديم ولائه الى الباب العالي في القسطنطينية . وبعد عودته بزمان يسير جداً عاوده المرض الذي أضنى صحته منذ سنين عدة .



انتشر طاعون الماشية في البلاد ، وتبعه هبوط النيل ، فأصبحت البلاد على حافة الخراب . وفي العام نفسه اجتاح الجراد زراعة البلاد فتركها قاعاً نصفصفاً ، وبذلك وقف دولاب الحكومة ، واستولى الرعب والوجل على قلوب حكام البلاد ، فاجتمع مجلس في القاهرة وكتب تقريراً عن سير الأحوال في مصر ، وما آلت اليه من الانحطاط . إلا أنهم لا قوا صعوبة عظيمة في تبليغ هذا التقرير الى الباشا ، ولما وصل اليه استشاط غضباً . وكان يخاف أن يخلعه ابنه ابراهيم ، ففكر في التخلي عن الملك والذهاب الى مكة ليقضى باقي أيامه فيها . فتوسط سفراء الدول وأزالوا ما في نفسه نحو ابنه البار

وابتدأت بعد ذلك الأحوال تتحسن شيئاً فشيئاً في السنتين التاليتين . إلا أن صحة ابراهيم في هذه الاثناء اضمحلت دفعة واحدة ، فأشار عليه الأطباء بالسفر الى أوروبا . فعمل بذلك ، وبعد أن طاف في كثير من البلدان ، خصوصاً إيطاليا وفرنسا وإنجلترا ، رجع الى الديار المصرية وعلامات الصحة بادية عليه . فلم يجد والده هناك بل علم أنه سافر الى مقرّ الخلافة ( رجب سنة ١٢٦٢ هـ : يونيه سنة ١٨٤٦ م ) ليحظى بالثول بين يدي الخليفة ويقدم له ولاه وطاعته

وقد قوبل محمد علي من الخليفة بكل حفاوة وإكرام ، وهنا تقابل مع أشد أعدائه خسرو فتعانقا طويلاً واتفقا على تناسي الماضي . ولما طالت مدة إقامة محمد علي في دار الخلافة ابتدأ رجال القصر يعاملونه معاملة قاسية ، فأثر ذلك في صحته تأثيراً

سيئاً ، فلما رجع الى مصر في أواخر ذلك العام كان أشبه بالشبح منه بالإنسان . وفي أثناء عودته زار مسقط رأسه « قوالة » التي تركها منذ عام ١٢١٤ هـ ( ١٧٩٩ م ) . وبعد ذلك ترك مقاليد الأمور لحفيده عباس باشا الأول ، لأن حالة ابراهيم الصحية لم تمكنه من القيام بآعباء الأمور في البلاد . وكانت خاتمة أعمال محمد علي وضع أول حجر أساسي للقناطر الخيرية في ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٢٦٣ هـ ( ابريل سنة ١٨٤٧ م ) بين جم غفير من المشاهدين

اضمهلال  
صحة ابراهيم

محمد علي  
في الاستانة

ثانياً - ان ماتدفعه الحكومة المصرية للدولة العلية (صاحبة السيادة) من الخراج  
لا يكون ربع دخل الحكومة قبل أخذ نفقات الجباية والإدارة ، بل يصير تقديره فيما  
بعد مع مراعاة حالة الحكومة المصرية

ثالثاً - أن يكون للوالى حق فى منح الرتب لغاية «أمير ألى» (بدخول الغاية)  
أما مافوق ذلك فلا يكون إلا بأذن من الباب العالى

وتما اقرت الدول هذا التعديل أصدرت الحضرة الشاهانية تقليداً آخر فى ١١  
ربيع الآخر سنة ١٢٥٧ هـ (أول يونيه سنة ١٨٤١ م) مؤيداً لما فى التقليد السابق  
وفى غرة جماد الأولى سنة ١٢٥٧ هـ (٢٠ يونيه سنة ١٨٤١ م) صدر  
تقليد آخر يجمل مقدار ماتدفعه الحكومة المصرية الى الدولة العلية سنوياً ثمانية  
آلاف كيس

تأييده

آخر تقليد  
يونيه سنة ١٨٤١

## ٧ - شيخوخة محمد على وحكم ابراهيم

بعد أن انكش محمد على فى ولاية مصر ، وحرمة الدول من فتوحاته التى اكتسبها  
بحد السيف وأريقت من أجلها دماء المصريين ، لم يكن فى قدرته النهوض بها الى  
الدرجة التى كانت تصبو اليها نفسه . والسبب فى ذلك يرجع الى أمرين : الأول  
تقدمه فى السن واضمحلال قواه العقلية والجثمانية ، والثانى أن حالة البلاد الداخلية كانت  
قد انحطت دفعة واحدة ، لما حلّ بأهلها من المصائب من جراء كل هذه الحروب التى قاموا  
بأعبائها وأنفقوا عليها من دمائهم وأموالهم ، حتى أصبحت البلاد فى حالة يرثى لها  
ومع ذلك ابتدأ محمد على يمحّص مدينة الاسكندرية على يد مهندسين فرنسيين ،  
وذلك حينما أجبرته الدولة على تقيص جيشه الى ثمانية عشر ألف جندى . وأرسل  
حفيده عباس باشا الى الباب العالى يلتمس منه أن يمنحه تقليداً أوسع نطاقاً من الأخير ،  
فأرضاه الباب العالى بأن منحه لقب الصدارة العظمى من غير أن يجيبه الى طلبه  
كوارث أخرى

تضعه مصر

كوارث أخرى

ولكن شاءت المقادير ألاّ مما كسة محمد على ، ففى سنة ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م)

سادس عشر - لا يكون لوالى مصر الحق فى منح الرتب العسكرية للضباط البحرية والبرية إلا لغاية « صاغ قول أغاسى » ( بدخول الغاية )

سابع عشر - لا يكون لوالى مصر الحق فى انشاء سفن حربية إلا بعد الحصول على اذن صريح من الدولة العلية

ثامن عشر - من حيث ان حق الوراثة على ولاية مصر لم يمنح لمحمد على باشا وأسرته الا بهذه الشروط ، فلو أخذوا بأحدها سقط حقهم ، وصار لجلالة السلطان الحق فى تولية من يشاء

ومنح الباب العالى محمد على أيضاً ولايات النوبة ودارفور وكردفان وسنار مدة حياته ، بدون أن تنتقل الى ورثته كمصر ، بمقتضى تقليد شاهانى أصدر فى اليوم الذى أصدر فيه التقليد الأول ، أى فى ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ م . وكلفه أن يقدم حساباً عن هذه الولايات سنوياً الى دار الخلافة العظمى ، وأن يمنع ما كان متبعاً فى السودان من إغارة الجند على قرى الأهالى ، وخطف بناتهم وصبياتهم . وأن يمنع جملة عادة خصى بعض هؤلاء التعاس الحظ لاستخدامهم فى القصور حرساً على الحريم (أغاوات) وأن يحفظ للضباط الموجودين رتبهم ، ويرسل الى الباب العالى قائمة بأسمائهم : من الرتبة التالية لصاغ قول أغاسى فما فوق ، ليصدر أمراً بتثبيتهم فى وظائفهم

فقبل محمد على باشا كل هذه الشروط وان لم يكن ذلك عن رضى ، ثم طلب من الدول أن تساعد فى تخفيف بعضها وتغيير بعضها الآخر . فقبلت الدول ملتزمة الشروط السالفة تخفيف  
وأرسلت الى الباب العالى لأتحه بتاريخ ١٨ المحرم سنة ١٢٥٧ هـ (١٣ مارس سنة ١٨٤١ م) تطلب منه ذلك . فنزلت الحضرة السلطانية بمقتضى تقليد آخر تاريخه صفر سنة ١٢٥٧ هـ ابريل سنة ١٨٤١ بتعديل تقليدها الصادر فى ٢١ ذى الحجة سنة ١٢٥٦ هـ (١٣ فبراير سنة ١٨٤١ م) ، وهاك أهم ما فيه من الشروط المعدلة :

أولاً- ان حق الوراثة يكون للأكبر سنًا بين أولاده الذكور ، مع بقاء الشرط الملمز لمن يستحق الولاية بهذه الكيفية بالسفر الى مقر دار الخلافة العظمى لتسلمه التقليد بيده  
تقليد جديد  
ابريل سنة ١٨٤١

ثامناً - أنه لضبط المتحصل من الضرائب ومعرفة ما يخص الدولة بالتحقيق يلزم أن تعين لجنة من الدولة تقيم في مصر لهذه الغاية ، ويُنظر في تعيينها بعد كما تقتضيه الإدارة الشاهانية

تاسعاً - يكون لمصر الحق في ضرب العملة : من فضية وذهبية ونحاسية ، بشرط أن يكون ذلك باسم السلطان المعظم ، وأن لا تختلف العملة المصرية عن العملة العثمانية لا في الشكل ولا في الهيئة ولا في العيار

عاشرآ - عدد الجيش المصرى يجب أن لا يتجاوز ثمانية عشر ألفاً في مدة السلم ، وأما في أيام الحرب فيزداد هذا المقدار الى الحد الذى تقرره الدولة ، إذ أن العساكر المصرية تكون ملزمة حينئذٍ بالاشتراك والمساعدة في القتال مع باقى الجنود الشاهانية حادى عشر - أن مدة الخدمة العسكرية يجب أن لا تتجاوز خمس سنين ويكون جمع العسكر بطريق القرعة كما هو المتبع في الدولة ، ومن حيث أن الجيش المصرى يبلغ ( في ذاك الوقت ) زهاء ثمانين ألفاً ، يؤخذ منهم عشرون ألفاً ويرجع الباقي الى بلادهم ، ويرسل أيضاً من هذا المقدار ألفان الى دار السعادة كي لا يبقى في مصر الا الثمانية عشر ألفاً المقررة

ثانى عشر - من حيث أن مدة الخدمة العسكرية خمس سنين يؤخذ سنوياً من أفراد القرعة أربعة آلاف شاب ، يرسل منهم الى دار الخلافة أربعمائة ويبقى الباقي في مصر

ثالث عشر - أن من أدى مدة الخدمة المطلوبة من الجند يعود الى بلده ، ولا يجوز ادخاله في الجيش مرة أخرى  
رابع عشر - أن ملابس العساكر المصرية وعلامات رتبهم تكون مشابهة لجنس ولون ملابس العساكر الشاهانية

خامس عشر - كذلك ملابس البحارة وضباط البحرية ويارق الزراكب تكون ماثلة لما هو متبع في بحرية الدولة العلية



المتحالفة أن يطلبوا الى الباب العالى أن يمنح محمد على ولاية مصر وراثية، فتم ذلك بتقليد (فرمان) فى ٢١ ذى الحجة سنة ١٢٥٦هـ (١٣ فبراير سنة ١٨٤١م) هذا ووداه :  
أولاً - أن الولاية تكون لمن يختاره الباب العالى من أولاد محمد على باشا الذكور ، ثم لأولاد أولاده الذكور ، وهلم جرأ ، بحيث لا يكون لأولاد البنات الحق فى الحكم مطلقاً

ثانياً - يجب على كل من يختاره السلطان والياً على مصر أن يسافر بنفسه الى القسطنطينية لتسلم تقليد التولية بيده

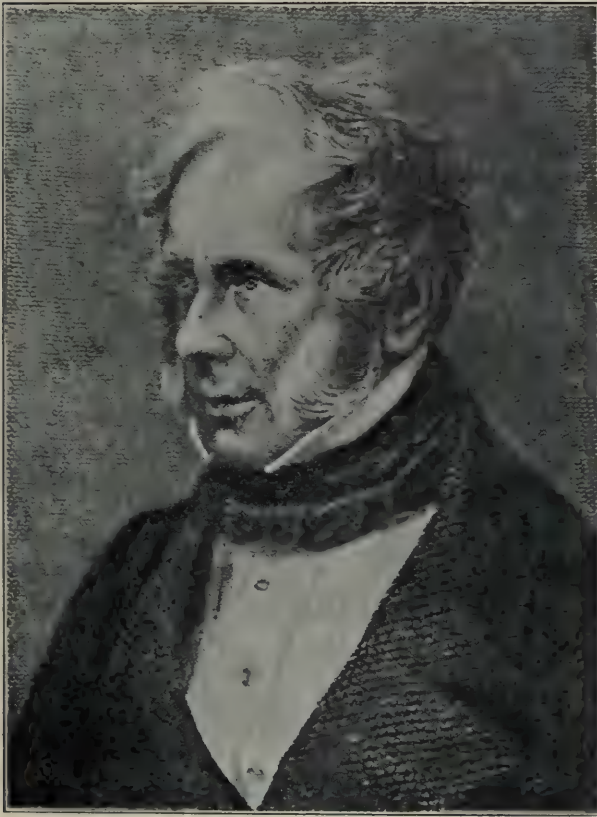
ثالثاً - أن الذى ينتخب والياً لمصر يُعتبر كأحد وزراء الدولة فى مخاطباته مع الباب العالى وفى المقابلات السلطانية ، بحيث لا يكون له أدنى امتياز عنهم من هذه الوجهة مطلقاً

رابعاً - أن والى مصر يكون ملزماً باتباع أمر التنظيمات العالى الذى أصدره السلطان عبد المجيد عند توليته ، وكل ما أصدره أو يصدره الباب العالى من القوانين واللائح . ويكون والى ملزماً أيضاً بالسير فى ولايته طبق المعاهدات المبرمة أو التى تبرم بين الباب العالى والدول الأجنبية أياً كانت بلا تغيير ولا تبديل ، إذ الحكومة المصرية لم تخرج عن كونها ولاية عثمانية كباقي الولايات

خامساً - أن سائر الضرائب على اختلاف أنواعها يكون تحصيلها باسم الجنب السلطانى ، ويكون تحصيلها وتوزيعها بحسب القواعد المتبعة فى باقى ولايات الدولة العلية سادساً - أن ربع المتحصل يدفع للخزانة الشاهانية ، والثلاثة الأرباع الباقية يصرف منها ما يلزم لتفقات الإدارة وجباية الأموال ، وما يلزم أيضاً للوالى وأسرته ، وثمان البر الذى يرسل سنوياً الى مدينتى مكة والمدينة المنورة

سابعاً - أن هذه الضرائب تُدفع بقيمة واحدة مدة خمس سنين تبتدئ من سنة ١٢٥٧ هجرية ، وبعد انقضاء هذه المدة يمكن تعديلها إما بزيادة أو نقصان حسب ما تستدعيه ثروة الحكومة والأهلين

الى ضرب الاسكندرية وتخریب قصر رأس التین نفسه . فقبل ذلك محمد علی بعد أن یئس من مساعدة فرنسا له ، وردّ الأسطول العثماني الى القسطنطينية أما الباب العالي فلم یقبل هذا الاتفاق . إلاّ أن « بلمرستون » أشار علی دول التحالف أن تنصح له بالقبول ، فطلبت الدول أولاً من محمد علی أن یخضع للباب العالي خضوعاً تاماً بلا قيد ولا شرط . فامثل لذلك وأرسل فی ذی القعدة سنة ١٢٥٦هـ ( يناير ١٨٤١ م ) رقعة یظهر فیها خضوعه ویعترف بسيادة الباب العالي



بلمرستون

( زعيم ساسة أوروبا فی المسألة التركية المصرية )

ولما وصلت هذه الرسالة الى الباب العالي عاد « بلمرستون » فأوعز الى الدول

تقليد الولاية  
فبراير سنة ١٨٤١

أخلى يبروت ، وانضم الى ابراهيم . ثم استولت أساطيل الحلفاء على « عكا » ، سقوط عكا . وكانت فيها حامية مصرية عظيمة ، فلم تقوَ على المقاومة اكثر من ثلاثة أيام فلما علم محمد على بسقوط هذه المدينة حزن حزناً شديداً ، ثم أرسل بعدها بزمين يسير الى ابراهيم يأمره بإخلاء كل بلاد الشام ، لأن مركزه أصبح حرجاً جداً . ولم يتمكن من ارسال النجيدات اليه برآ ، لأن ما لديه من الجند كان يحرس بحجارة الأسطول التركي الذين تألبوا على احمد باشا فوزى قائدهم ، وانكروا عليه ما أتى به من العصيان ، فاضطر محمد على الى انزالهم الى الشاطئ وحراستهم . ولم يمكنه ارسال المدد أيضاً من جهة البحر خوفاً من أسطول الحلفاء الذى كان يتجول فى تلك المياه

ولما وصل الخبر الى ابراهيم باخلاء بلاد الشام أخذ فى اخلائها . وقد أظهر من صعوبة الاخلاء المهارة والحذق هو وسليمان باشا فى تقهقر جيشه فى وسط صحراء سورية ما شهدت به الأعداء ، وقام كل ضابط من رجاله بواجبه وحافظ على النظام الى آخر لحظة من حياته ابتداءً ذلك التقهقر من مدينة دمشق فى ٥ ذى القعدة سنة ١٢٥٦هـ (٢٩ ديسمبر سنة ١٨٤٠م) وكان عدد الجيش ٦٢,٠٠٠ جندي يتبعهم عشرون ألفاً من الأطفال والنساء . وقد لاقى الجيش فى سيره عناء شديداً ، إذ كانت الأعراب تنخطفه من أطرافه وأهل البلاد يناوشونه ، حتى كان يضطر الى محاربتهم من آن لآخر . وبعد أسبوع وصل الى بلدة « المزاريب » ، ومن ثم سار ابراهيم باشا وسليمان باشا بالمدافع والحيل من طريق الصحراء الى العقبة وسار هو ومن معه الى أن وصل الى « غزة » وكان قد هلك أثناء هذا التقهقر ثلثا من معه من الجند وكثير من المستخدمين المملوكين فكتب الى والده يخبره بقدمه ، ويطلب منه ارسال ما يلزم من السفن لنقل الجند الى الاسكندرية وما يلزمهم من المؤونة . فأرسل له أسطولاً مكوناً من ثمانى سفن

وبعد سقوط « عكا » أبحر « نبيير » بأسطول الحلفاء الى الاسكندرية وقابل محمد على ، واخبره انه اذا خضع للخليفة أخذت دول التحالف على عاتقها أن تنوسط لدى الباب العالى ليعطيه مصر وراثته . أما اذا استمر على عدم الاذعان فانه يضطر تاريخ مصر جزء ٢ (٢٧)

نبيير يحمل  
محمد على  
على الخضوع

في ذلك الوقت في دمشق بجيشه المؤلف من أربعين ألف كالمى العدة : وهو الجيش الذى كسر الترك في واقعة نصيبين وقونية من قبلها

وكان محمد على في أعظم سطوته وبأسه ، اذ قد بلغ عدد جيشه في هذا الوقت ربع مليون جندى منها ١٣٠,٠٠٠ من الجنود النظامية و ٤٠,٠٠٠ من رجال البحرية فأول عمل قام به مناصباً الدولة أن أعلن : ١ - أن الفرنسيين آتون لمساعدته ٢ - أنه حامى الاسلام ضد الكفار ٣ - تحذير المارونية من الانجليز ، وقال انهم يقصدون بتدخلهم في الأمر نصرة الدروز على كاتوليك لبنان

الآن ذلك لم يُجد نفعا ، لأن أهالى الشام كانوا قد سئموا حكمه ، فثاروا على ابراهيم باشا بمساعي «رِشَرْدُوود» أحد رجال السفارة الانجليزية ، فانه جمع رؤساء القبائل وأوضح لهم عاقبة الحالة حتى أفلح في إثارة خاطرهم على ابراهيم . وربما كان هذا اكبر سبب في هزيمة الجيش المصرى ، إذ بمجرد ظهور أسطول المتحالفين في المياه الشامية قامت الثورة في لبنان ، فكان تأثيرها في القضاء على ملك محمد على في الشام أكثر من أساطيل الحلفاء وجيوشهم

خروج الشام  
على ابراهيم

تأثير  
ثوران لبنان

ابتدأت المناوشات عندما وصلت أساطيل الحلفاء أمام بيروت بقيادة « سِتْبُفُورْد » و « نِيِير » الانجليزين ، ومعها جيش عثماني مؤلف من ٤,٠٠٠ جندى . فشرعت الأساطيل في اطلاق قنابلها على بيروت ( رجب سنة ١٢٥٦ هـ : سبتمبر ١٨٤٠ م ) ونزل الجيش العثماني بالقرب من المدينة . إلا أنها لم تفلح في الاستيلاء عليها لحسن دفاع سايمان باشا عنها ، ولما وصل الخبر الى ابراهيم في دمشق سيّر مدداً الى بيروت هزم في الطريق عند قرية «برُوانة» في رجب سنة ١٢٥٦ هـ (سبتمبر سنة ١٨٤٠) ثم انزل الحلفاء قوة أخرى عند صيدا . فاستولت عليها عنوة قبل أن يصل اليها ابراهيم باشا الزاحف لتخليصها ، فاشتبك مع الحلفاء في ٨ أكتوبر في موقعة فاصلة عند «قلعة ميدان» كانت الدائرة فيها عليه ، وقد قال شاهد عيان ان ابراهيم باشا انجا مع ثلة صغيرة من الفرسان بكل مشقة راجعاً الى دمشق . ولما سمع سايمان باشا بذلك

اساطيل الحلفاء  
امام بيروت

عجز ابراهيم  
عن انتقاذ المدينة

انهزامه



( ٣ ) أن يكون لسفن روسيا والنمسا وإنجلترا معاً حق الدخول في البسفور والدردنيل لوقاية القسطنطينية لو تقدمت الجيوش المصرية نحوها ، وأن لا تدخلها سفن مادامت الدولة غير مهددة بخطر

وفي مادة خاصة اشترطت الدول أنه اذا خضع محمد على لرأى الدول في مدة عشرة أيام أعطته ولاية مصر وراثية وجنوبي بلاد الشام الشامل لولاية عكا مدة حياته ، واذا أصر على عصيانه الى ما بعد هذه المدة أعطته ولاية مصر فقط ، واذا لم يخضع في مدة عشرة أيام أخرى عادت الدول الى النظر في الأمر من جديد

ولما وصل خبر هذه المعاهدة الى فرنسا هاج الرأي العام ، وقامت الاستعدادات الحربية على قدم وساق . فنصحت الحكومة الانجليزية لملك فرنسا « لويس فليب » بواسطة ملك الباجيك أن يتصرف في عواقب هذه الاستعدادات الحربية . ففطن لذلك الملك وعزل « تيرس » رئيس الوزارة وعيّن بدله « جيزو » ، إلا أنه لم يتمكن من توقيف الاستعدادات الحربية لهياج الرأي العام

أما محمد على فقد مضت عليه المدة الميعنة ، ولم يقبل شيئاً من هذه الشروط ، فأعلن الباب العالي خلعه وحصر الشواطيء المصرية والشامية . وكان محمد على من جهة لا يزال مؤملاً مساعدة فرنسا له ومرتكناً على قوة جيش ابنه ابراهيم ، ومن جهة أخرى كانت فرنسا تعتقد في عظم جيوش محمد على وأنه يمكنه أن يقاوم الدول حتى تجهز هي جيشها . ولكن الحوادث أظهرت غير ذلك . فأجمت فرنسا عن مساعدة محمد على بعد سقوط وزارة « تيرس » ، وتلاشى جيش ابراهيم أمام قوى الدول المتحدة كما سيأتى . وسهّل عليها الأمر نزول إنجلترا عن الاصرار على حرمان محمد على من مصر ذاتها

### الحملة الأخيرة

لما جاء الى سليمان باشا الفرنسى والى بيروت نبأ ما قرره الباب العالي بدأ في تدابيريه في الشام الاستعداد الحربي ، وأبلغ سفراء الدول أن بلاد الشام في حالة حرب . وكان ابراهيم

طرابلس ودمشق . وبعد مفاوضات طويلة أعلن « تيرنس » رئيس الوزارة الفرنسية في مايو سنة ١٨٤٠ أن فرنسا لا تقبل ذلك ، بدعوى أن هذه الشروط لا توافق محمد علي وأنه إذا أعلن بها اندفع في زحفه على آسيا الصغرى ، وأن أساطيل الدول لا يمكنها أن تقوم بعمل ما ضده ( اللهم إلا امتلاك بعض البلاد على الساحل ) ، وليس في قدرتها طرده من بلاد الشام . وكان تيرنس في هذه الأثناء يخبر محمد علي والباب العالي سرّاً في إبرام اتفاق لمنح محمد علي كل بلاد سورية ، فلما علم بالمرستون بذلك قطع كل رجاء في وزارة فرنسا له

وفي أثناء ذلك أرادت روسيا أن تتفق مع إنجلترا في حل المسألة التركية المصرية، فأرسلت سفيراً عرض على الحكومة الانجليزية أن روسيا مستعدة أن لا تتدخل في المسألة التركية وحدها وأنها تبادر الى النزول عن شروط معاهدة هنكار اسكله سي ، وفي مقابل ذلك يُقفلُ الدردنيل والبسفور في وجه كل السفن ويُسمح للروسيا وحدها أن تمر منهما لحماية الدولة العلية وقت الخطر

روسيا تتفق  
مع إنجلترا

فابتدأت الدول الأربع ( روسيا وبروسيا والنمسا وإنجلترا ) تفاوض محمد علي بواسطة « الكولونيل هُدْجِس » السفير الانجليزي بمصر ( وكان قد عُيِّن بدلاً من الكولونيل « كَمْبِل » للقيام بهذه المهمة خاصة ) . فلم يصغ محمد علي لكل تهديدات « هُدْجِس » ووعيده ، مرتكناً على ما كانت تعده به فرنسا من المساعدة ، ولذلك رفض كل مفاوضات الدول الأخرى . فلما يئست الدول الأربع منه أبرمت مع الدولة العثمانية « معاهدة لندن » في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٥٦ هـ ( ١٥ يولييه سنة ١٨٤٠ م ) بدون علم فرنسا . وقررت في هذا المجتمع أيضاً الطرق التي يجب اتخاذها لاختضاع محمد علي . وأهم شروط هذه المعاهدة ما يأتي : -

الدول تعمل  
من غير فرنسا

معاهدة لندن

( ١ ) الزام محمد علي بارجاع ما فتحه من بلاد الدولة العلية وأن يحفظ لنفسه الجزء الجنوبي من الشام الشامل مدينة عكا .

( ٢ ) أن يكون لإنجلترا الحق بالاتفاق مع النمسا في محاصرة فرض الشام ، ومساعدة كل من أراد الهجرة من أملاك محمد علي والرجوع الى الدولة

## تدخل دول أوروبا

كان أول هم لدى الدول الكبرى منع روسيا من انفاذ شروط معاهدة « هنكار اسكله سى » والانتفاع بها ، ولذلك كان من المحتم عليها ان تعمل جميعها للوصول الى ذلك . الا أن الباب العالى ، لمنع زحف ابرهيم باشا على القسطنطينية ، قرر إعطاء مصر لمحمد على وذريته من بعده واعطاء الشام لابراهيم الى أن يخلف والده على مصر . وكان هذا الاتفاق على رغبة من روسيا لأنه يخلصها من اتفاق هنكار اسكله سى ولا يحيط من سلطتها فى القسطنطينية ، فرأت الدول الكبرى ان الأمر أشد خطورة من أن يفصل فيه الباب العالى وحده ، ولذلك كتبت اليه تعلمه ألا يفاوض محمد على فى شئ ، ولا يتفق معه إلا بواسطة الدول . فلما فطنت روسيا لغرضهم لم تعارض فى الأمر ، وبذلك ظهرت الدول الكبرى بمظهر المشجع للباب العالى على معارضته لمحمد على ورفضه لمطالبه

الى هذا الحد كانت فرنسا وانجلترا متفقتين ، لأنهما اجتهدتا معاً فى توقيف النفوذ الروسى فى البلاد العثمانية ، ورأتا أن أحسن حل للمشكل القائم بين محمد على والدولة وضع الدولة تحت حماية الدول الكبرى جميعاً . ثم ابتدأ الخلاف بينهما ، لأن « بلهرستون » وزير خارجية انجلترا كان يعتقد أن الدولة العلية لا تصير فى أمان إلا اذا كانت صحراء سيناء الحد الفاصل بينها وبين محمد على . والرأى العام فى فرنسا من جهة أخرى كان ميالاً لمحمد على ، إذ كان يرى فيه حليفاً يعتمد عليه فى منازعة الدولة البريطانية فى البحر الأبيض المتوسط

لذلك عرضت فرنسا على انجلترا أن يُمنح محمد على وذريته من بعده كل الولايات التى تحت يده ، فلم يوافق على ذلك بلهرستون مع شدة ميله الى استجلاب مودة فرنسا . غير انه عرض عليها فى شعبان سنة ١٢٥٥ هـ ( اكتوبر سنة ١٨٣٩ م ) أن تكون مصر وراثية لأسرة محمد على ، وأن يتولى محمد على أيضاً ولاية عكا الى

خوف الدول  
من روسيا

الدول تلتفى  
قرارات تركيا

وقوع الخلاف  
بينهما

مؤازرة فرنسا  
لمحمد على

على حياته من خسرو ، وأنه ربما اغتاله كما اغتال السلطان محمود الثاني (حسب اعتقاده) خسرو يقول  
الصدارة  
وأظهر أن لا بد من عزله لسلامة الدولة ، وقد صرح برأيه هذا الى القبودان «ووكر»  
الانجليزى مساعده

فأقلع بأسطوله من الدردنيل ، وكانت مأموريته فى هذا الحين أن يساعد حافظ خيانة الاسطول  
العثمانى  
باشا من جهة البحر ، فالتقى فى أثناء سيره بالأسطول الفرنسى ، وأخبر قائده «لاند»  
بما أخبر به أمير البحر «ووكر» : من أن الحزب الروسى ( أى حزب خسرو ) سمّ  
السلطان ، وأنه متوجه بالأسطول الى اقريطش ، فأخبره «لاند» ان اقريطش  
فى يد محمد على ، وان معنى الذهاب اليها تسليم العمارة البحرية له . وبعد ذلك بأيام  
قليل وصل الأسطول التركى الى المياه المصرية . وانضم الى الأسطول المصرى .  
فلما علم الضباط بنية أميرهم هموا بالتألب عليه ، فاستألمهم محمد على

رسا الأسطول التركى فى الميناء الغربى بالاسكندرية على بُعد ستة أميال من ذهابه الى جانب  
محمد على  
الشاطئ ، وكان مؤلفاً من ٢٠ بارجة تحمل ٢١ ألف جندى بحرى ، ثم نزل الضباط  
وقابلوا محمد على . الا أن القائد «ووكر» لم يرجع ثانية الى الأسطول ، محتجاً بأن  
الحكومة الانجليزية لم تخول له الخدمة تحت إمرة محمد على

ولما علم سفراء الدول بهذا الحادث استولى عليهم الهلع ، وأظهروا لمحمد على بقاؤه  
بالمياه المصرية  
استياءهم من خيانة أمير البحر ، وأنهم لا يريدون أن يكون شريكاً له فى هذه  
الجريمة ، ونصحوا له أن يرجع الأسطول التركى الى الامتانة . فغضب لذلك محمد على  
وقال ان الحرب تبيح لأحد الفريقين أن يقبل الفارين من الفريق الآخر . وكانت  
حالة الدولة فى هذا الحين فى منتهى التعس والاضمحلال ، حتى أن خسرو باشا  
طلب من أمير البحر أن يرجع مع العفو التام من الخليفة ، فأجابه هذا أنه ليس  
خارجاً على الباب العالى وانما يخشى غدره وخيائته : وأنه لن يبرح المياه المصرية  
ما دام هو المحرك لسكان سياسة الدولة ، والقابض على زمامها



تجمع الجيش التركي عند « سيواس » بقيادة حافظ باشا ، ثم زحف الى جهة واقعة نصيبين الجنوب حتى وصل نهر الفرات عند بلدة صغيرة تسمى « بيرجك » على الضفة اليسرى منه ، ثم وصلت الأوامر الى حافظ باشا بأن يجتاز النهر وينتقل الى الشاطئ الأيمن فلما وصل هذا الخبر الى ابراهيم باشا أرسل الى والده يخبره بذلك ، فأمدّه بالذخيرة وجيش بقيادة احمد باشا « المنكلي » ناظر الحرية المصرية . وكان ابراهيم باشا في هذا الحين بمدينة حَبّ لقربها من الحدود الشمالية ، ووفرة المؤونة فيها ، ثم سار من هذه البلدة قاصداً « نصيبين » ( بلدة على نهر الفرات ) ، وكان قد علم أن الجيش التركي عسكر فيها وأنه حصلت بعض مناوشات بين الباش بزرع السلطانية وبين فرسان العرب عند « تل باشر » جعلت سليمان باشا الفرنسي يهتدى أثناءها الى التحصينات المهمة التي أقيمت أمام نصيبين ، وتبين له أنه يتعذر مهاجمتها من هذه الجهة ، ففكر ابراهيم باشا وسليمان باشا في الدوران حول نصيبين ليهاجموها من الجهة التي لم يحصنها الترك عند ذلك أشار القائد « ملنكة » ومن معه من الضباط الألمان على حافظ باشا انهزام الترك أن يهاجم المصريين أثناء سيرهم غير متأهبين للحرب ، فلم يقبل حافظ باشا ذلك فدار ابراهيم باشا بجيشه وهاجم الجيش التركي . وبالرغم من محاولة بعض الفرق الشامية من جيش ابراهيم الانضمام الى جيش الترك شتت الجيش المصري شمله في ١١ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ ( ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ م ) . وكانت خسائر الترك فادحة جداً حتى أصبح السلطان في الحقيقة بلا جيش ، ومن حسن حظ الخليفة محمود أنه مات قبل أن يصل خبر هذه الهزيمة الى القسطنطينية بمدة أيام . وهكذا أصبحت الدولة العلية للمرة الثانية تحت رحمة محمد علي

ولما تولى الخلافة السلطان « عبد المجيد » كان سنه إذ ذاك لا يتجاوز السابعة نولية السلطان  
عبد المجيد عشرة ، فتسلم خسرو باشا منصب الصدارة العظمى ، وكان قبل ذلك مغضوباً عليه . ولما علم بذلك احمد باشا فوزى أمير البحر التركي ( وكان خسرو باشا من أشد أعدائه ) حزن حزناً شديداً وصمم على تسليم العمارة البحرية الى محمد علي ، بدعوى أنه خائف

(الذى كان في هذه الآونة قائماً بتأدية مأمورية خاصة في باريس ولندن) صرح للباب العالي خطأً أن كلاً من إنجلترا وفرنسا لا تتعرضان للسلطان اذا هو هاجم محمد على قتل محمد على راجعاً من سنار عند ما علم من عباس بن طوسون ( وكان نائباً عنه في مصر ) بالاستعدادات الجربية التي كانت قائمة على قدم وساق في القسطنطينية ولما وصل الى القاهرة كتب منشوراً وأرسله الى جميع سفراء الدول معلناً فيه أنه برئ من كل هذه المشاكل ، وأن لا بد له من مقابلة القوة بالقوة . ولما وصل هذا المنشور الى يد السلطان احتدم غيظاً وشدد في الاسراع بتجديد الحملة ، ومن فرط حنقه قال : « انى أفضل الموت على التراخى في اخضاع هذا العاصى »

منشور  
محمد على الى  
سفراء الدول

أما محمد على فانه أراد أن يدامم الدولة قبل أن تتم إعداد جيشها الذى كان يقوم بأمر تنظيمه القائد « فون ملتسكه » وضباط آخرون من الألمان . وحدث أن الحكومة الانجليزية أبرمت مع الدولة في ذلك الحين معاهدة تجارية تتعلق بجميع أملاك الدولة ، فكانت ضربة قاضية على آمال محمد على التجارية لأنه كان محتكراً كل التجارة المصرية كما سبق . فلما علم بذلك محمد على هدّد الدولة باعلان استقلاله ولو تمّ له ذلك لكان الضربة القاضية على الباب العالي ، إذ كان في ذلك نزع سيادته الاسمية والفعلية حتى من بلاد الحجاز مصدر زعامته الدينية . إلا أن الحكومة الانجليزية أنذرت محمد على بواسطة سفيرها في مصر المستر « كمبل » أنه إذا شرع في ذلك كانت إنجلترا خصمه

انجلترا تنذر  
محمد على

وحذرت إنجلترا الباب العالي أيضاً، وأظهرت له انها لا تساعد اذا كان هو المعتدى ، ولا تتحمل شيئاً من نتائج هذه الحرب . أما اذا اعتدى محمد على فانها تأخذ بناصر الدولة . ولذلك خاف كل منهما أن يبتدىء بالعداء، إلا أن شدة بغض محمود الثانى لمحمد على جعلته يهاجمه أولاً، ولذلك عند ما طلب محمد على أن يكون لخلفه حق الوراثة لجميع الولايات التى تحت سلطته من بعده أعلن السلطان أن محمد على خائن للخليفة ، وأرسل الجيش لاختصاصه

وتحذر الدولة

الدولة  
تعلن الحرب

رعاياه من ظلمه . فلما علم محمد على بنية الباب العالي أعلن للدول أنه اذا ظهر الأسطول العثماني في جنوب جزيرة رودس فإنه لا يرى مندوحة من مهاجمته و اعلان عدم الطاعة والاذعان للخليفة . فصرحت الدول العظام بأنها ستكون ضد المعتدى . ولذلك خاف كل من الفريقين ، وأجل اعلان الحرب مدة ست سنوات . ولكن بالرغم من كل ذلك بقي كلا الجانبين يستعد للحرب

أما روسيا التي كان الباب العالي يعتمد على مساعدتها فإنها انجمت عن الخوض في هذا المشروع الذي لم تتحقق حسن عواقبه ، لأن قيصر الروس ابتداءً يدرك أنه اذا شرع في انفاذ شروط معاهدة هنكار اسكله سى قامت في وجهه دول أوروبا وأخضعته بحمد السيف . فان دول أوروبا الكبرى وخاصة إنجلترا وفرنسا والنمسا كانت تحذر تدخل روسيا ، وأخذت على عاتقها أن تمنع استنجاد الدولة العلية بها ، سواء أكان الاعتداء من السلطان على محمد على أم من محمد على عليه

ومما شجع الباب العالي الأخبار التي كانت تأتيه عن تمرد أهل الشام وعدم رضاهم بحكم ابراهيم باشا . وعن انهزام المصريين شر هزيمة أمام عرب « حوران » في سنة ١٢٥٤ هـ ( ١٨٣٨ م ) . ولذلك ابتداءً في استعداداته البرى والبحرى بهمة جديدة وكان محمد على في هذه الأثناء في رحلته الى بلاد السودان ( ١٢٥٤ هـ : ١٨٣٨ م ) ليقف على حقيقة كنوز الذهب التي كان يفتي نفسه أن يستعين بها على شن الغارة على السلطان اذا اضطره الحال الى ذلك

وفي ذى القعدة سنة ١٢٥٤ هـ ( يناير سنة ١٨٣٩ م ) عقد الباب العالي مجلساً خوف الدول حريباً قرر فيه تجهيز ٨٠,٠٠٠ جندي بقيادة حافظ باشا ، فلما علم سفراء الدول بذلك اضطربوا وخافوا من ضياع الدولة . لأن فرنسا وإنجلترا والنمسا كانت لاتزال تخاف من تدخل روسيا تنفيذاً لمعاهدة هنكار اسكله سى

وفي ٢٢ يناير عقد الباب العالي مجلساً آخر لتقرير الحرب أو السلم انتهى بتقرير محمود الثاني أخيراً اعلان الحرب ، وذلك لأن حافظ باشا كان يمينه بالنصر ، ورشيد باشا تاريخ مصر جز ٢٠ ( ٢٦ )

خوف روسيا  
من الدول

الدولة  
تريد الحرب

الدولة  
تقرر الحرب

في طول البلاد وعرضها ، وكان أهم مدعاهم الى العصيان نزع السلاح منهم . غير أن ابراهيم باشا استطاع أن يخضع العصاة في دمشق وحلب وماجاورهما من البلاد بدون عناء . أما في طرابلس وعكا وجبال لبنان ونابلُس ( التابعة لولاية دمشق ) فقد قاومه الثائرون فيها مقاومة عنيفة ، حتى أن محمد علي لما علم بحرج مركز ابراهيم باشا أعدَّ كل ما يمكن جمعه من الجند والذخيرة وسار بنفسه الى مساعدته . فتنزل في يافا ، وبحذقه ومهارته تمكن من ضم سبعة من رؤوس الثوار اليه في مدة وجيزة ، ثم حارب أهالي نابلس ، ودخل بلدهم دخول المنتصر ، وفي هذه الاثناء ثارت طائفة النصيرية<sup>(١)</sup> فأخضعها المصريون سريعاً ، إلا أن الدروز ، والمارونية<sup>(٢)</sup> استمروا في مقاومة الجنود المصرية حتى رجب سنة ١٢٥٢ هـ ( اكتوبر سنة ١٨٣٦ م ) ، اذ تمكن فيه ابراهيم باشا ومحالفه الأمير بشير الشهابي<sup>(٣)</sup> والى لبنان من اخضاعهم ونزع السلاح منهم ، في أقل من ستة عشر شهراً

سفر محمد علي  
الى الشام

اطفاء الفتنة

ومن ذلك الحين ابتداء الأهالي في الشام ينفرون من محمد علي ، وينظرون اليه بعين العداوة والبغضاء ، ولا سيما بعد أن بدّل بالحكام المليكين غيرهم من الجيش ، ونشر عساكره في جميع انحاء البلاد

ولا يفوتنا أن نذكر أن إخضاع الثورات الداخلية في الشام ( التي تبلغ مساحتها أربعة أمثال مساحة مصر الزراعية ) ، وجلب الجنود اليها وما يلزمهم من البلاد المصرية كل ذلك أثقل عاتق الحكومة المصرية وسبب أزمة مالية سنة ١٢٦٠ هـ ( ١٨٤٤ م ) وفي أثناء هذه الفتن الداخلية في بلاد الشام كان السلطان محمود الثاني يريد منازلة محمد علي ، آملاً استرجاع ما فقد ، ففي سنة ١٢٤٩ هـ ( ١٨٣٤ م ) احتج على دول أوربا العظام التي كانت تمنعه عن الدخول في الحرب مع خصمه محمد علي لتخليص

الدول  
ضد المعتدى

( ١ ) طائفة قريبة من الاسماعيلية في المذهب تقطن الجبل بين لبنان ونهر العاصي

( ٢ ) طائفة مسيحية تقطن لبنان تابعة لكنيسة رومية ظاهراً لكنها محافظة على تقاليد القومية

( ٣ ) هو راس بيت عربي يزعم انتماءه الى قريش ، وقد تنصر بشير هذا وتبعه بعض اهل

بيته ليتولى زعامة نصارى لبنان ( وهم اكثر قطان )



السنتين الأوليين في درس أحوال الشام ، وفي توطيد عرى التحالف بينه وبين القبائل القوية التي ينتظر أن يركن إليها عند الحاجة في تنظيم قوة حربية يعتمد عليها في اتحاد نار الفتنة الداخلية ، أو صد هجمات الدولة حال إعلانها الحرب عليه . وقد جعل الحاكم العام على البلاد الشامية « شريف باشا » أحد أقربائه ، وكان ذا أخلاق فاضلة وخبرة في الأمور السياسية : وجعل « حنا بحرى » أحد السوريين مساعدآ له في إدارة الشؤون المالية ، وكان ذا حذق ومهارة في ذلك . ثم ساوى بين كل الديانات أمام القانون : لافرق بين المسلم والمسيحي ، وعقد في كل بلدة من أمهات البلاد مجلساً كانت تُنتخب أعضاؤه من المسلمين والمسيحيين على السواء . وكل هذه المجالس كانت تحت سيطرة « مجلس المشاورة » في عكا ، اذ كان بمثابة محكمة عليا : تتسلم دخل البلاد ، وتولّى الحكم ، وتخابر الحكومة الرئيسية في مصر

اسباب تدمير  
السوريين

وبعد أن وضع ابراهيم هذه الأنظمة رأى أن لابد لضمان سير الأحوال على ما يروم من جيش عظيم يعول عليه ، وأن يكون له موارد للثروة يستقى منها . فأول عمل قام به للحصول على المال أن احتكر جميع أصناف الحرير وبعض المواد الأخرى ، وسخر الأهالي وأكرهم على زرع الحاصلات التي لاغنى للبلاد عنها كالحبوب ، وعلى غرس النباتات التي تلائم طبيعتها . فكان من نتائج ذلك مهاجرة الأهلين الى بلاد الجزيرة وآسيا الصغرى ، كما هاجر أهل مصر عام ١٢٤٥ هـ ( ١٨٢٩ م ) وكان سبباً من أسباب حربه الأولى مع الدولة

ثلاثة أوامر  
شديدة

وفي أثناء سير الأحوال في البلاد الشامية أصدر محمد علي باشا ثلاثة أوامر لابنه ابراهيم وهي : ( ١ ) أن يضرب الجزية ( الفرضة ) على كل فرد بدون تمييز بين الجنسية والديانة ( ٢ ) أن يجند جيشاً من البلاد بالإجبار ، وأن يأخذ كل ما يحتاج اليه هذا الجيش من الحيوان ( ٣ ) أن ينزع السلاح من كل السكان ومن الغريب أن هذه الأوامر كلها صدرت دفعة واحدة . فكانت النتيجة أن تدمر الأهالي وثاروا في عام ١٢٥٢ هـ ( ١٨٣٥ م ) وأحدثوا فتنة تفاقم خطبها وامتد لهيبها

## حكومة محمد علي في بلاد الشام وغزوته الثانية لها

اتفاق كوتاهية  
غير دائم

لم يكن اتفاق كوتاهية حلاً نهائياً للنزاع بين الدولة العثمانية ومحمد علي ، إذ كان هذا من جهة يعتقد ان حكمه في كل الولايات التي تحت سلطته لم يكن الا لأجل محدود ، وكان علي يقين أن الباب العالي لا بد أن ينزعها من يده متى سمحت له قوته وساعده الأحوال ، وان ما امتلكه بمجد السيف لا بد أن يعمل جهده ليحافظ على كيانه بمجد السيف أيضاً ، فأفلح في إثارة نار الفتنة في بلاد ألبانيا ، وكان يدس الدسائس في الاستانة لخلع محمود الثاني وتولية ابنه عبد المجيد مكانه . ومن جهة أخرى كانت الاشاعات تتواتر أن السلطان يريد الاستفادة من معاهدة « انكيار سكلسي » باعلان الحرب على محمد علي . وكانت الفرص مساعدة للسلطان ، إذ تألب معظم أهل الشام على ابراهيم باشا ، وثاروا في وجهه ، وابتدأ تدمرهم منه في ربيع عام ١٢٥٠هـ ( ١٧٣٤ م ) والسبب في ذلك يرجع الى عسف حكومته وظلمها . إذ اتضح جلياً لأهل الشام أن حكومة الباب العالي كانت أقل ظمناً وأحسن حالاً من حكومة محمد علي . وقد ذكرنا آنفاً أنه لما دخل ابراهيم باشا بلاد الشام قابله الأهالي بالتهلل والاستبشار والتفوا حوله ، وانما كان ذلك يرجع الى أمرين :

تدمر السوريين  
من ابراهيم

الأول عدم ميل الأهالي الى السلطان محمود الثاني من جراء المصائب التي انصبت على الدولة العثمانية في مدته ولا سيما ابرامه لمعاهدة « أدرنه » التي اعتبرتها الأمة من أعظم النكبات التي انتابت الدولة

والثاني قسوة الأحكام التركية منذ فارقتها الفرنسيون عام ١٢١٤هـ ( ١٨٩٩ م ) ، لأنها قبل حملة نابليون عليها كانت تتمتع بشبه استقلال ، ولكن بعد الحملة قررت الدولة عليها الضرائب الفادحة ، وابتقت الجنود التي أرسلتها لطرد الفرنسيين في البلاد يعيشون فيها فساداً

فلا غرابة بعدئذ أن يستقبل أهل الشام ابراهيم باشا بكل فرح وابتهاج . وقد أدخل بعض اصلاحات في بادئ الأمر كانت مفيدة له ولبلاد ، إذ صرف معظم

بلاد سورية وولاية «أذنة» (اطنة) . وفي هذا الحين أرسلت روسيا القائد «مورافيف» يلتبس من محمد علي بكل وداد واحترام توقيف ابراهيم عن الزحف على الاستانة وأما بقية الدول العظام فقد أزعجها تدخل روسيا ، فاستفسر «الكونت بروكش أوستين» سفير النمسا في مصر من محمد علي عن أغراضه ، واجتهدت إنجلترا وفرنسا في توقيف زحف ابراهيم ، ونصحتا للباب العالي أن ينزل عن صيداء وعكاء ونابلس وبيت المقدس الى محمد علي . الآن هذا أبى الأكل بلاد سورية وأذنة ، وأمر ابراهيم بالزحف على الاستانة . وذلك يتحريض من فرنسا ، لأنها رغم اتفاق سفيرها مع السفير الانجليزي في الاستانة كانت تعمل في الخفاء مع محمد علي ، وتشجعه بتوسط سفيرها في القاهرة ؛ رغبة في ازدياد نفوذها في البلاد المصرية

فلما احتل ابراهيم باشا «كوتاهية» ( فبراير سنة ١٨٣٣ م ) اضطرب الباب العالي المدد الروسي الى طلب المساعدة من روسيا رسمياً ، فأرسلت له جيشاً مؤلفاً من ١٢,٠٠٠ مقاتل تساعده عمارة بحرية ، وعسكر الجيش على الشاطئ الآسيوي عند «انكيار سكلسي» ( هنكار إسكليه سي ) على البسفور . فأقلق تدخل روسيا بال فرنسا وإنجلترا ، تدخل الدول فشدّتا على الباب العالي في الاتفاق مع محمد علي ، فأبرم معه اتفاق «كوتاهية» في ذي الحجة سنة ١٢٤٨ هـ ( مايو سنة ١٨٣٣ م ) . وبه ولى الباب العالي محمد علي معاهدة كوتاهية بلاد سورية ، وجعل ابراهيم باشا مُحَصَّلاً لولاية اذنة ، وعلى ذلك تمّ الصلح واطمأن خاطر إنجلترا وفرنسا من جهة روسيا

أما قبصر روسيا فإنه لم يقف عند ذلك الحد ، بل اجتهد في اقناع السلطان أن كيان دولته يتوقف على مساعدة روسيا لها ومحالفتها ايهاها . فافتنع بذلك لما رآه من خذل الدول الغربية له ، وأبرم معاهدة هجومية دفاعية مع روسيا تُعرف بمعاهدة «انكيار سكلسي» ( هنكار اسكله سي ) في صفر سنة ١٢٤٩ هـ ( يونيو ١٨٣٣ م ) وأهم شروطها أن تتعهد روسيا بحماية البلاد العثمانية من إغارة أى دولة ، وفي مقابل ذلك تتعهد الترك باغلاق الدردنيل في وجه أساطيل جميع الدول . وكان ابرام هذه المعاهدة سرّاً بدون علم الدول الأخرى

معاهدة  
هنكار اسكله سي

أما رشيد باشا فبمجرد وصوله على مسافة ٤٠٠ متر ابتداءً باطلاق النار ، فعلم ابراهيم باشا وسليمان باشا ترتيب الجيش العثماني ، وتفريق مدفعيتهم . ثم شاهد أيضاً سليمان باشا أن المشاة العثمانية انفصلت بسبب الضباب عن الفرسان ، فأمر المشاة المصرية بالدخول بين الفريقين ليستحيل اجتماعهما ورجوعهما الى ما كانا عليه من الائتنام . ولقد أوقعت هذه الحركة الرعب والفرع في قلوب الترك ، وأخذتهم الدهشة ، الى أن فاجأتهم الفرسان المصرية ، وأعلنت في فرسانهم السيف فبددت شملهم ، ووجهت المدفعية المصرية نارها على مشاة الترك فخصمتها حصداً . ولما رأى رشيد باشا أن لا مناص من الهزيمة اجتهد أن يستجمع جناح جيشه الأيسر فلم يفلح ، ووقع أسيراً في يد المصريين ، فجنّوا به الى ابراهيم باشا . ولما علم الجيش بأسر قائدهم ولّوا الأدبار ، وبذلك انتهت واقعة «قونية» الفاصلة ( ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٢٤٨هـ :

٢١ نوفمبر ١٨٣٢ م )

فتح اكثر  
الاناضول

وقد فرح سكان آسيا الصغرى فرحاً عظيماً بانتصارات ابراهيم . أما هو فتقدم بجيشه الى «كوتاهية» غربي «اخشير» وهدد «بروسة» ، في الوقت الذي كان فيه بعض جنوده وعماله قد أخضعوا اكثر بلاد الاناضول . وأصبح اسمه ذا تأثير عظيم في قلوب القوم ، حتى أن أربعة من جنده وضابطاً واحداً استولوا على مدينة «أزمير» العظيمة\*

ولما وصلت أخبار هذه الهزيمة الى الاسطانة حلق الباب العالي وخاف من ضياع ملكه ، لأن بلاد آسيا الصغرى تُعتبر قلب الدولة وحصنها المكين

فرع  
الباب العالي

عند ذلك مدت روسيا يد المساعدة للدولة العثمانية ، فطلبت من الباب العالي أن يسمح لها أن ترسل له قوة بحرية وأخرى برية لمساعدته ، إلا أن السلطان محمود الثاني توانى في قبول ذلك ، وفارض محمد على في شروط الصلح ، فلم يرض الأبكل

روسيا تمد  
يد المساعدة

\* ثم عادت الجنود العثمانية فاحتلتها لعدم ارسال ابراهيم باشا ما يكفي من الجند للاحتفاظ بها . وقد ذكرنا الحادثة ايضاً ما لمقدار تأثير صبت ابراهيم باشا



الغلبة ، فكان لا يهجم هزيمة جيش حسين باشا أو القضاء على جنود رشيد باشا أمام جيش محمد علي ، إذ كان علي يقين أن الدول العظام لا تسمح لمحمد علي أن ينجي ثمار انتصاراته . ولا غرابة ، فقد أحسّ محمد علي بخطر تدخل الدول ، ورحّب بالصالح عندما كان جيش ابراهيم في اطنّة ، غير أنه طلب من السلطان ولاية سورية فلم يقبل وفي هذه الأثناء طلب ابراهيم باشا من والده المدد ، فسيّر له جيشاً مؤلفاً من ٥٥.٠٠٠ مقاتل ، وأمره بمواصلة القتال والزحف ، فتقدم في زحفه حتى وصل الى « قونية » . وفي خلال ذلك جمع رشيد باشا جموعه عند « اخشير » (شمالى قونية) وكانت الدولة وعدته أن تمده بمساكر البشناقيين هناك ، فخذق عند اخشير وعزم على انتظار هجوم المصريين في هذا المكان ، غير أن خسرو باشا لم يرسل المدد واستبقاه في القسطنطينية ، محتجاً بأن مالهيه من الجند كاف لتتكيل بجيش محمد علي . ثم سعى في ارسال الأوامر الى رشيد بالاسراع في مهاجمة المصريين خوفاً من تدخل الروميا . فأمر السلطان رشيد باشا بالهجوم على المصريين ، فحاول رشيد باشا اقناع السلطان انه ليس لديه مؤونة في اخشير ، وأن الجيش في حالة يرثى لها وفي أثناء هذه الأزمة وصل « الكونت مورافيف » الروسى الى القسطنطينية في خدمة خاصة ، فساعد خسرو في آرائه ، فكانت النتيجة أن رشيد باشا لم يجب الى طلبه وترك للقضاء والقدر

على أن الجيش المصرى كان في حالة صعبة جداً لما كان يقاسيه من البرد ، ولو انتظر رشيد باشا قليلاً لاضطر ابراهيم الى التقهقر ، ولكنه عجل بمناجزته حسب أوامر السلطان . وكان جيش ابراهيم حينئذ لا يتجاوز الثلاثين ألف مقاتل

وبعد أن تاهب الجيشان تقدم الجيش العثمانى الى الأمام ، أما الجيش المصرى فمكث في مكانه لا يبدى حراكاً ، وكان الضباب الكثيف الكثير الانتشار في بلاد الأناضول وفي مثل هذا الشهر خاصة ، سادلاً أستاره على الجيشين ونحفيًا كلاً منهما عن عين الآخر ، ولذلك لم يبدأ ابراهيم باشا بالضرب كي لا يعرف العدو مكانه .

مدد جديد  
لا ابراهيم

قلة استعداد  
رشيد باشا

تعميل رشيد  
بالقتال

واقعة قونية



سليمان باشا الفرنساوى فى حضرة محمد على باشا وابراهيم باشا

رشيد باشا

عاقبه . وطلب خسرو ثانية من الباب العالى أن يوليه قيادة الجيش ويمنحه ولاية مصر ، فأبى السلطان عليه ذلك وعهد بقيادة الجيش الى «رشيد محمد باشا» ، وهو أحد رجال الدولة العظام : اشترك مع ابراهيم باشا فى حرب «المورة» وخاصة فى حصار «مسولونجى» واشتهر بعدها بمحاربة مصطفى باشا والى أشقودرة عند خروجه على الدولة . فعزم خسرو على احباط مساعى منازره الجديد كما قضى على حسين باشا وجيشه من قبل ويظهر أن خسرو كان يعتقد ان من مصالح دول أوربا المحافظة على كيان الدولة

هذه الآونة . فلما اجتمعت الجيوش في « أذنة » ( أطنّة ) ، وكان عددهم ٤٥,٠٠٠  
أبوا الاذعان لأوامر حسين باشا ( بتحريض من خسرو ) ونفذوا كل نظام أرادته  
وبعد سقوط عكا . سار ابراهيم باشا بجيشه الى « دمشق » ، فسلمت اليه بدون فتح دمشق  
مقاومة ، وكان ذلك في ١٦ المحرم سنة ١٢٤٨ هـ ( ١٥ يونيه سنة ١٨٣٢ م )  
ثم زحف على « حمص » حيث التقى بمحمد باشا والى طرابلس يقود نحواً من  
٣٠,٠٠٠ مقاتل ، ( وكانوا مقدمة الجيش التركي ) ، وذلك في ٩ صفر سنة ١٢٤٨ هـ  
( ٨ يوليه سنة ١٨٣٢ م ) فلم ينتظر محمد باشا لسوء تدبيره تلاحق الجيش التركي الذي  
يقوده حسين باشا شمالي هذه النقطة بنحو ٥٠ ميلاً ، بل هاجم جيش ابراهيم ،  
فهزّمه ابراهيم شرّ هزيمة وأخذ منه كل ما لديه من الذخيرة والميرة وألغى أسير وستة  
وثلاثين مدفعاً . وبذلك أصبحت جلّ بلاد الشام في يد ابراهيم . ولما علمت القبائل  
المجاورة بانتصارات ابراهيم باشا أرسلت اليه وفود المهثّين ، ووعدته بالمساعدة  
أما حسين باشا فانه كان قاصداً حلب ، فلما علم أهل البلدة بهزيمة الجيش العثماني  
أغلقوا أبوابها في وجهه ، فاضطر الى التوجه الى الإسكندرونه حيث يرسو الأسطول  
العثماني . أما ابراهيم باشا فانه دخل حلب بدون عناء ولا مقاومة في ١٨ صفر  
( ١٧ يوليه ) ثم اتقى أثر الجيش التركي ، فوجده محتمياً في مضيق « بيلان »  
( بين حلب والاسكندرونه ) ، فهاجمه وشتت شمله . وذلك في أول ربيع الأول  
( ٢٩ يوليه ) . وكانت نتيجة هذه الهزيمة ان غادر الأسطول العثماني الاسكندرونه .  
وفي الحال أرسل ابراهيم باشا ابن أخيه عباساً ليحتل بلدة اذنة خاف « جبال طوروس »  
وبذلك استولى ابراهيم باشا في مدة لا تتجاوز سبعة أشهر على كل بلاد سورية  
وقد عدّ ابراهيم باشا في الطبقة الأولى من قوَّاد ذلك العصر بما أظهره من الحذق  
والدراية بالفنون الحربية . ولا يفوتنا ان نُعطى سليمان باشا الفرنسي ( رئيس اركان حربه )  
نصيبه من الفخر في هذه الحروب اذ كان في هذه الوقائع سيفه القاطع وعضده المتين  
أما حسين باشا فانه نفى الى نهر الطونة بعد أن ألغى خسرو باشا كل اللوم على  
تاريخ مصر جزء ٢ ( ٢٥ )

قادر  
ابراهيم باشا  
وسليمان باشا



خروجها فصار الجيش البرى من الطريق القديم مجتازاً الصحراء الى العريش ، وكان عدده يتراوح بين الثلاثين والأربعين ألف مقاتل . وكان مؤلفاً من ست فرق من المشاة وأربع من الخيالة وقوة كافية من المدفعية . أما الأسطول فانه كان يحمل المدافع الضخمة والذخيرة ويقل ابراهيم باشا وأركان حربه ، وبينهم البطل العظيم « سليمان باشا الفرنسى »

فتح غزة ويافا زحف الجيش البرى فى أوائل شهر نوفمبر ، فاستولى على غزة ويافا بدون أدنى مقاومة . وفى هذا الميناء اجتمع الجيش البرى بالأسطول ، ثم تولى ابراهيم قيادة الجيش وزحف على عكا ، حيث اجتمعت جموع عبد الله الجزار . وكان غرض هذا أن يقهر ابراهيم ويرده على عقبيه كما فعل ذلك من قبل « احمد باشا الجزار » مع نابليون ، ولكن فاته أن احمد باشا الجزار كان يساعده أسطول السير سدنى سمث من جهة البحر . ومع عظم جيش ابراهيم وحسن استعداده قد دافع عبد الله الجزار عن المدينة دفاعاً شديداً مدة ستة أشهر حاول فى خلالها عثمان باشا والى حلب أن يخلص حامية عكا ، إلا أن ابراهيم باشا داهمه فى الطريق وهزمه هزيمة منكورة . وبعد ذلك سقطت عكا فى يده فى ذى الحجة سنة ١٢٤٧ هـ ( مايو ١٨٣٢ م ) ، وأُسِر عبد الله الجزار ومن معه وأرسلوا الى الاسكندرية

عزل محمد على وفى أثناء حصار عكا أصدر الباب العالى أمراً فى أول ذى الحجة سنة ١٢٤٧ هـ ( ٢ مايو سنة ١٨٣٢ م ) يقضى بعزل محمد على عن الديار المصرية وجزيرة اقريطش ( كريد ) وتولية حسين باشا ( مبيد الانكشارية ) عليها ، وتسليمه قيادة الجيش الذى سيّره على محمد على . إلا أن ذلك كان على غير رغبة خسرو باشا ، اذ كان غرضه من عزل محمد على أن يكون هو خلفه . وقد نظّم الجيش على الطريقة الغربية عدة سنوات ليكون هو القائد له فى ساحة القتال ، وبذل جل طاقته ليحصل على قصده ، فلم يصغ له الباب العالى . فلما خابت كل أمانيه عزم على أن يعرقل مساعى حسين باشا ويفسد عليه كل خططه ، وساعده على ذلك أنه كان وزيراً للحرية فى



وكانت حالة الفلاح المصرى فى هذه الفترة غاية فى الشقاء والبؤس ، إذ أثقل عاتقه محمد على بالضرائب وبتسخيره فى حفر الترع وتجنيدته تجنيداً اجبارياً . وقد أثرت هذه العوامل فيه تأثيراً سيئاً ، فكان يهلك من المصريين الآلاف فى حفر الترع وتحت تعذيب محضلى الضرائب . ولما ضاقت الحال واشتد الكرب بالناس هاجر خلق كثير من سكان الوجه البحرى الى بلاد الشام هرباً من مظالم الحكام . ورجا محمد على من « عبد الله الجزار » والى عكا ارجاع كل من هاجر الى مصر ثانية ، فخرضه خسرو باشا على ألا يجيب طلبه . ولما لم تجدد مساعى محمد على عند والى عكا هذده باعلان الحرب عليه . وزيادة على ما سبق كان عبد الله الجزار قد شجع المصريين على نقل حاصلات الوجه القبلى بطريق صحراء سورية بدلاً من تصديرها عن طريق الاسكندرية ، فكان ذلك مضراً بمصالح محمد على

عند ذلك لجأ عبد الله الجزار الى الباب العالى ليوقف محمد على عند خدوده ، وأن لا يتدخل فى شؤون ولاية عكا . فأرسل الباب العالى الى محمد على بأن المصريين ليسوا عبيده ، بل هم أحرار يسكنون أتى شاءوا ، وفى أى جزء من أجزاء الدولة أرادوا وفى هذه الآونة جرت مفاوضات بين رئيس الوزارة الفرنسية ومحمد على بشأن غزو بلاد الجزائر بأسطول فرنسى مصرى ، فاقترح محمد على على فرنسا أن تسلمه أسطولها ليكون بقيادته ويتعهد هو باخضاع « داي » الجزائر فلم تقبل فرنسا ذلك . وخاف أيضاً محمد على من أن تفتح فرنسا الجزائر ، فتتمسد الفتوح الفرنسية شرقاً وتكون خطراً على مصر . هذا الى أن ولنجتون الانجليزى أعلنه أن أى تدخل منه فى أمر بلاد الجزائر يكون مدعاة الى خلعه . ولما علم الباب العالى بذلك حضّ محمد على أيضاً على عدم التدخل فى هذا الأمر ، وهدده بالخلع ، ثم علم محمد على بعد ذلك أن السلطان على وشك أن يخلعه لما سبق ، فأعلن الحرب عليه خوفاً على ضياع ملكه ابتداءً محمد على فى اعداد الحملة لذلك فى أواخر سنة ١٢٤٦ هـ ، إلا أنها تأخرت الى جمادى الأولى سنة ١٢٤٧ هـ ( نوفمبر ١٨٣١ م ) لتفشى الهیضة ( الكلرا ) فى مصر وفنكها بالناس فتكاً ذريعاً

١. عدم مكافأة له على مساعدته في هذه الحرب ، كما وعده بذلك من قبل ، فرفض طلبه . فلما أعلنت  
محمد علي  
الروسيا الحرب على الدولة في عام ١٢٤٥ هـ ( ١٨٢٩ م ) لم يهتم محمد علي باجابة  
طلب السلطان أن يمد الدولة بجيش مؤلف من ٢٠,٠٠٠ مقاتل وبعبارة البحرية ،  
إذ رأى أن لا فائدة تعود عليه وعلى بلاده من افناء ثروتها ورجالها في مساعدة دولة  
٢. ضف  
الدولة  
تضن بمكافأته على جليل خدماته

ولاحظ محمد علي حينئذ أن الأحوال ملائمة لأن ينال بحدّ السيف ما منّاه به  
الباب العالي ، وأنّ هذه أحسن فرصة لديه : إذ كانت الدولة في هذه الفترة في  
منتهى الضعف والانهلال ، لتشتيت السلطان محمود شمل العساكر الانكشارية وفككه  
بهم جملةً في عام ١٢٤١ هـ ( ١٨٢٦ م ) على يد حسين باشا كما قدّمنا ، ولتضعضع  
الجيوش التركية لما حل بها من الانهزام الأخير على يد الروس في حرب عام ١٨٢٩ م  
ولم يكن أمام محمد علي إذ ذاك معارض من دول أوربا العظام ، إذ كان كل  
منها مشغولاً بما في بلاده من الاضطراب والفتن : فكانت فرنسا منهمكة في إطفاء نار  
« ثورة يوليه سنة ١٨٣٠ » وانجلترا مغولة اليدين من جرّاء الاضطرابات التي قامت  
من أجل قانون الاصلاح ، وكانت الثورة مشتعلة في بلجيكا واسبانيا والبرتغال . أما  
الروسيا فكانت مشغولة أيضاً باخضاع ثورة « بولنده »

٣. خسرو باشا  
ومما ساعد في فساد الملائق بين محمد علي والدولة أن خسرو باشا كان حينئذ  
أكبر رجال الدولة نفوذاً ، إذ كان هو المدبّر للخليفة وقطب السياسة في القصر السلطاني  
ولا يخفى ما في صدره من الحقد والبغضاء لمحمد علي من يوم خلعه عن ولاية الديار  
المصرية عام ١٢١٨ هـ ( ١٨٠٣ م ) كما سبق آنفاً . فصار همه الوحيد طول حياته  
ايغار صدر الخليفة على محمد علي والعمل على ثل عرشه . وكان له في ذلك غرضان :  
الأول أن ينتقم لنفسه منه ، والثاني أن يحظى هو بولاية مصر . ولذلك لما نُصّب  
خسرو أمير البحر للعمارة التركية في حرب اليونان لم يساعد ابراهيم باشا تمام المساعدة  
بل عمل جهده على افناء الجيش المصرى بعد الحرب بالمكنيدة التي لم تفلح ، كما ذكرنا

بعض السفن التي كانت ذاهبة لمساعدة ابراهيم ، ثم أرسل الى محمد على باشا انذاراً  
نهائياً بتخريب الاسكندرية اذا لم يسرع باستدعاء ابراهيم واخلأ المورة . وبمساعى  
المستر « برَكر » السفير الانجليزى فى مصر تم الاتفاق مع محمد على على اخلاء بلاد  
المورة بشروط أهمها :

« أن يطلق محمد على سراح الأسرى اليونانيين الذين يبعوا فى مصر ، وأن تُمخلى  
الجيش المصرى عن « المورة » فى أقرب وقت بحيث يتقلهم محمد على على سفنه ،  
وأن يخفر الأسطول الانجليزى السفن المصرية فى ذهابها وإيابها ، وأن يتعهد  
« كدرنجتون » بارجاع أسرى المصريين وسفنتهم التى أخذت منهم أثناء الحرب »  
ويقال أن محمد على وافق على هذه الشروط بدون معارضة كبيرة خصوصاً لما  
وصله من الأخبار أن الباب العالى أراد أن يقبض على جنوده ، إذ أصدر الأوامر  
الى قائد الأسطول التركى أن يدعو الجنود المصرية الى النزول فى سفنه بدعوى أنه  
يريد نقلهم الى الاسكندرية ( وهو مأمور سرّاً أن يرسلهم الى الدردنيل ) . والسبب  
فى نصب هذه الأحبولة التى فطن لها ابراهيم باشا وتجنبها أن الباب العالى هاله نجاح  
محمد على فى « المورة » برّاً ، فخشى بأسه وخاف على ملكه

فأخلى ابراهيم باشا بلاد « المورة » فى ربيع الأول سنة ١٢٤٤ هـ ( اكتوبر  
سنة ١٨٢٨ م ) . ولما كان السلطان محمود الثانى لا يزال مصحماً على رفض تحرير بلاد  
اليونان أعلنت عليه روسيا الحرب سنة ١٢٤٥ هـ ( ١٨٢٩ م ) وهزمت جيوشه فى  
عدة مواقع فاصلة . فلما رأى السلطان ذلك اضطر الى إبرام معاهدة « أدِرنة » فى  
السنة نفسها ، وكان من أهم شروطها تحرير بلاد اليونان واستقلالها استقلالاً تاماً

## ٦ — \* حرب الشام \*

بعد أن وضعت حرب اليونان أوزارها ، ورجعت الجنود المصرية الى بلادها ، اسباب الحرب  
طلب محمد على من الباب العالى أن يوليه على عكا . علاوة على ولاية مصر مكافأة

واقعة نوارين

ولما رست الأساطيل المحالفة في الميناء اقتربت إحدى الحراقات التركية من إحدى البوارج الانجليزية ، فأرسلت هذه لها زورقاً يأمرها بالابتعاد ، فكان الجواب ان صوّبت على الزورق ناراً حامية أنت على كل من فيه . فانتشب حينئذ القتال ، وتكاثف الدخان حتى أصبح من الصعب الوقوف على ما حصل . الآن « محرم بك » قائد الأسطول المصرى أخبر كدرنجتون أنه لا يريد القتال ، فأخلى له السبيل . لكنه عدل عن فكره الأول وصوّب مدافعه على السفينة الانجليزية « آسيا » ، فاستؤنف القتال ، ولم يمكث طويلاً حتى دمرت سفينته . وظلت الحرب مشتعلة مدة ثلاث

تدمير الاسطول  
المصرى

ساعات ، فأسفرت النتيجة عن تدمير معظم العمارة المصرية التركية موقف انجلترا . ونقول الحكومة الانجليزية انها لم تكن تقصد الحرب ، وانها عادت باللائمة على كدرنجتون ، اذ كان غرضها الوحيد من هذه المظاهرة البحرية اجبار الدولة العلية على منح اليونان استقلالاً داخلياً وإيقاف القتال بأى حال

أما ابراهيم باشا فلم يكن حاضراً تلك النكبة بل كان فى بلاد المورة يهدى الأحوال بها ، وقد أصبحت كلها فى قبضته . فلما سمع بهذا الخبر أ برق وأرعد . فلم يُجِدْ ذلك نفعاً . ولما تاب الى رشده اختار خطة الدفاع ، فكان حاله فى بلاد المورة كحال نابليون بونابرت فى مصر بعد موقعة بوقير البحرية ، اذا انقطعت بينه وبين أيه طرق المواصلات ولم تكن موقعة « نوارين » هذه كافية لاستقلال اليونان ، ولذلك أصبح من المحتم على الحلفاء التدخل فى أمرها . الآن أنه ظهر لانجلترا وفرنسا ان كل تدخل من قبلهما يخفض من شأن الدولة العلية ويزيد النفوذ الروسى ، فاقترح « بلمرستون » وزير خارجية انجلترا فى ذلك الوقت أن يحتل بلاد المورة ستة آلاف من الجنود الانجليزية ومثلها من الفرنسيين ، حتى يمنح الباب العالى تلك البلاد استقلالها الداخلى فأبى البرلمان الانجلى ذلك ، فقامت فرنسا بالأمر وحدها وأرسلت ١٥١٠٠٠ جندي لتحتل المورة ( صفر سنة ١٢٤٤ هـ : أغسطس سنة ١٨٢٨ م )

فرنسا  
تحتل المورة

وعند ذلك ظهر « كدرنجتون » فى المياه المصرية عند الاسكندرية ، وأرجع



سنة ١٨٤١م ( يولية سنة ١٨٢٦م ) قرر ارسال عمارة بحرية من قبيل الدول الثلاث ،  
تكون القيادة العامة فيها للقائد الانجليزى « كدرنجتون » .  
مؤتمر لندن  
يقرر التدخل

وكانت إنجلترا وفرنسا لاتزالان تحذران ازدياد النفوذ الروسى فى شبه جزيرة  
البلقان ، فأمرت الحكومة الانجليزية القائد « كدرنجتون » بأن يتجنب محاربة  
الترك ما أمكنه ذلك ، وأن يعمل طاقته لإبرام اتفاق أساسه أن يمنح الخليفة اليونان  
استقلالاً داخلياً مع بقائها جزءاً من أملاك الدولة العثمانية

وفى أثناء هذه المفاوضات أرسل محمد على عمارة بحرية لتساعد العمارة التى كانت  
فى المياه التركية على تحطيم الأسطول اليونانى الذى كان يتوقف عليه مصير الحرب .  
وعند ما وصلت هذه العمارة الى المياه التركية كان القائد « كدرنجتون » قد تمكن  
من إبرام هدنة مع ابراهيم باشا فى مصلحة اليونان ، وفى أثناءها كانت المفاوضات  
دائرة بين السلطان وبينه للنظر فى منح اليونان استقلالاً داخلياً كما قدمنا ، فلم  
يتعرض كدرنجتون لدخول العمارة التركية المصرية فى خليج « نوارين »

وفى اليوم الثانى أخبر ابراهيم باشا القائد « كدرنجتون » ان أحد زعماء اليونان  
( كوكرين ) ومن تبعه من مواطنيه يهاجمون « بتراس » ، وانه مضطرب إلى الذهاب  
الى تخليصها من أيديهم ، فلم يقبل « كدرنجتون » مبارحته خليج نوارين . إلا أنه  
تمكن من الإفلات ببعض سفنه ، وحاولت بقية العمارة اتباعه ، فلم يمكنها ، واضطرت  
الى الانزواء فى الخليج

عند ذلك أصدر كدرنجتون أوامره الى أسطول المتحالفين بالدخول فى خليج  
نوارين ، وأن ترسو سفنه على مقربة من العمارة التركية المصرية ، فأراد الترك أن  
يمنعوه من الدخول فلم يفلحوا . فلما دخلت أساطيل المتحالفين وجدت الأسطول  
التركى المصرى مصفوحاً داخل الميناء على شكل نصف دائرة يرتكز أحد طرفيها على  
قلعة البلد والآخر على قلعة جزيرة صغيرة عند مدخل الميناء ، وكان يحمل ما لا يقل  
عن ١٩,٠٠٠ جندي و ٢٠٨٢ مدفعاً تقريباً

مدد جديد  
للاسطول  
المصرى

عمل  
اساطيل الحلفاء

ابتداء المناوشات  
البحرية

أَن فوز القائد « ياوليس » اليوناني أجبر العمارتين على الانزواء في جزيرة اقريطش  
 ابراهيم البها خروج  
 عدة شهور. ثم تحيّن ابراهيم باشا الفرص وأفلت من المدمرات اليونانية ، ونزل في  
 « مُودِن » بالقرب من نَوَارِين ، \* في شعبان سنة ١٢٤٠ هـ ( فبراير ١٨٢٥ م ).  
 اخضاع المورة وبعد أشهر قلائل أخضع كل بلاد المورة ، واستولى على أمهات المدن فيها الآ  
 « نوبليا » . وكان أهم وقائع هذه الحرب الاسنيلاء على « تريبولتزا » ، إذ فتحها  
 ابراهيم باشا عنوة بعد جهاد عظيم

ولما أمده والدّه بمدد جديد انتقل الى شمالي بلاد اليونان ليساعد رشيد باشا في  
 غزو شمالي  
 حصار « مسُولُونجِي » ، وكان هذا يحاصرها من عدة شهور بدون فائدة . فعبر ابراهيم  
 خليج « كورِنْثَة » وبعده ١٠,٠٠٠ جندي ، واستولى على الجزائر الواقعة عند مدخل  
 ميناء المدينة ، وبنى فيها قلاعاً حصينة ، فأغلق بذلك الميناء . وأنتم الحصار براً وبحراً  
 حتى لم يعد من الممكن وصول المدد اليها بأية طريقة ، فسلمت في رمضان ١٢٤١ هـ  
 حصار  
 مسولونجي ( ابريل سنة ١٨٢٦ م ) ، بعد أن خسر الجيش المصري عليها ٦٠٠٠ جندي ،  
 وخسر الترك ٢٠,٠٠٠

وفي أثناء ذلك قامت نار الثورة في بلاد المورة ثانية ، فرجع ابراهيم باشا لاطفائها  
 اسرى اليونان  
 الآ أنه عامل الأسرى اليونان بالقسوة ، وأرسل ما يقرب من ٥٠٠٠ أسير الى مصر  
 بيعوا بها ( على ما قيل ) بيع الرقيق

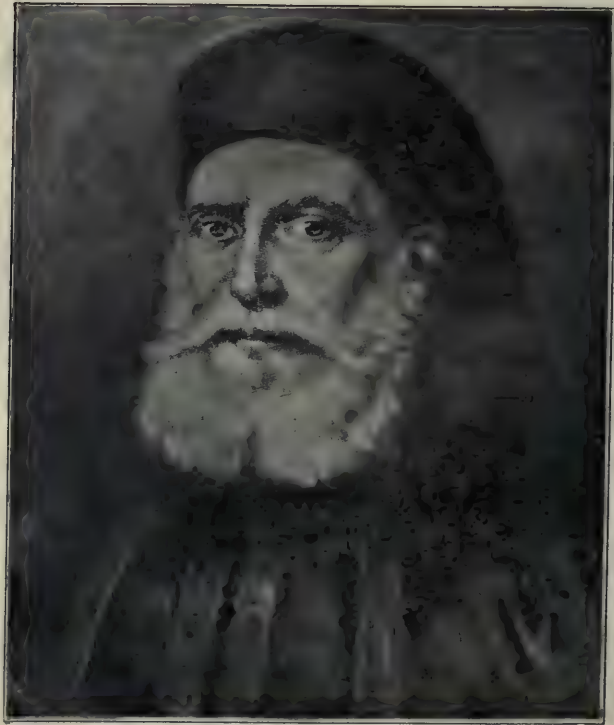
وكان رشيد باشا أثناء تلك الفترة يحاصر « أثينا » ، وفتحها عنوة بعد المقاومة  
 فتح أثينا  
 الشديدة . ثم وجّه السلطان محمود الثاني ومحمد علي جل جهدهما الى تدمير الأسطول  
 اليوناني الراسي عند « هيدرا » ، وكان لايزال قوياً

ولما علمت الأمة الانجليزية والأمة الفرنسية بما فعله ابراهيم باشا في بلاد المورة :  
 استياء  
 انجلترا وفرنسا  
 من تخريب البلاد واستعباد نساؤها وأطفالها ، حنقنا عليه واتهمزت روسيا هذه الفرصة  
 فبدأت تفاوضهما في أمر التدخل ، فعقد لذلك مؤتمر في لندن في ٢٩ ذى القعدة

بدون مساعدة الدول الأخرى لها ، رأى السلطان محمود الثانى أن يستنجد بمحمد  
علىّ على قمع الفتنة فى البلاد اليونانية

فى عام ١٢٣٩ هـ ( ١٨٢٣ م ) عين الباب العالى محمد على والياً على جزيرة  
اقریطش ، فوق ولايته لمصر ، وأصدر اليه الأوامر باخماد الثورة هناك ، فأرسل ابنه  
ابراهيم باشا ، فهزّم الثوار فى صيف ذلك العام

وفى سانخ هذا العام ( ١٨٢٤ م ) جعله السلطان والياً على بلاد المورة لإخضاعها  
فجهز لذلك جيشاً مؤلفاً من ١٧,٠٠٠ مقاتل بامرة ابراهيم باشا ، وأقلع الجيش من  
ميناء الاسكندرية فى ذى القعدة سنة ١٢٣٩ هـ ( يوليّه ١٨٢٤ م ) . فالتقى الأسطول  
التركى الذى كان بقيادة خسرو باشا بالعمارة البحرية المصرية فى جزيرة رودس ، الآ



ابراهيم باشا

## ٥ — \* حرب اليونان \*

بعد سقوط نابليون بونابرت أبرم تحالف متين بين روسيا وبروسيا والنمسا (الحلف المقدس) كان الغرض منه المحافظة على عروش الملوك في أوروبا ومقاومة كل ثورة عليهم بحمد السيف. غير أن هذه المحالفة لم تسكن تيار مبادئ الثورة الفرنسية: ذلك التيار الذى لم يكبد يعم فرنسا حتى فاض على جميع بقاع أوروبا. ففي سنتي ١٢٣٥ و ١٢٣٦ (١٨٢٠ و ١٨٢١ م) شبت ثورات في جنوبي إيطاليا واسبانيا وبلاد اليونان على أن الثورة في بلاد اليونان كان الغرض منها اعلان الحرب على الترك لنيل استقلال داخلي، فكان قيصر الروس بمقتضى ذلك التحالف المتين مضطراً الى محاربة اليونان، مع أن السياسة الروسية كانت من زمن بعيد ترمى الى مساعدة اليونان وكل المسيحيين في شبه جزيرة البلقان على الدولة العثمانية. أما فرنسا وإنجلترا فلم تر حكومتاهما مؤازرة اليونان بالرغم من ميل الأهالي فيهما اليها، وذلك لعدم اضعاف الترك أمام الروس. فكانت النتيجة أن اليونان لم تساعدها إحدى هذه الدول رسمياً، إلا بافراد تطوعوا من تلقاء أنفسهم

تأثير الثورة  
الفرنسية  
في أوروبا

خروج اليونان  
على الترك

موقف الدول  
الأوربية

وكانت الدولة العلية في هذا الوقت في منتهى الضعف والانحلال، إذ كان على باشا والي يانينة قد انهك قواها كما سبق ذكره. هذا الى أن السلطان محموداً الثاني لما رأى ما عليه جيشه من سوء النظام والاختلال اجتهد في اصلاحه وتنظيمه على الطرق الحديثة الغربية، فثار به الجنود وتألّبوا، وأبوا ادخال النظم الجديد (كما حصل في عام ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م) لمحمد تلى حينما أراد اصلاح جيشه)؛ فاحتل على قتل العساكر الانكشارية، رأس كل فتنه وسبب كل نكبة نكبت بها الدولة، فتم له ذلك عام ١٢٤١ هـ (١٨٢٦ م). فكان قضاؤه عليهم وقت ان كانت الدولة في حاجة الى جندي واحد، وبذلك أصبح بلا جيش تقريباً ولما شبت نار الثورة اليونانية، وتفاقم خطبها، وكادت تنتهي باستقلال اليونان

حالة  
الدولة العثمانية



السواحل المصرية ، وأنشأ بها المعاقل ، ونصب بها المدافع اللازمة والعساكر الكافية . فتضاعفت بذلك قوة مصر ، وعظم شأنها ، كما يدل على ذلك حروبه التي سنذكرها

### ميزانية الحكومة

قد رأينا المشروعات العظيمة التي قام بها محمد علي : من اصلاح الزراعة ، وتنمية كثرة المشروعات الصناعية ، ونشر التعليم وترقيته ، وتنظيم الجيش وانشاء البحرية . ويجدر بنا الآن أن ننظر كيف كان يتسنى له جمع المال اللازم لكل هذه المشروعات وتوزيعه عليها . على أن الوقوف على ذلك باليقين ليس بالأمر الهين ، لأن دفاتر المالية في ذلك العهد لم يكن يُعتمد عليها ، ولأن الحكومة المصرية لم تُنشر لها ميزانية سنوية إلا بعد عهد محمد علي . إلا أن بعض الأوربيين الذين كانوا بمصر في ذلك العهد وعُنوا بهذه الشؤون قدّروا ذلك بوجه تقريبي يساعدها على تفهّم الوارد والمنصرف . وقد كانت الميزانية في أول أمرها صغيرة بالطبع ، لصغر الجيش وعدم اتساع نطاق المشروعات ، وقد قدّر الدخل لعام ١٢٣٦ هـ ( ١٨٢١ م ) بمبلغ ١,٢٠٠,٠٠٠ جنيه ، والمصرف بأقل من ذلك بيسير ، أما في عام ١٢٤٩ هـ ( ١٨٣٣ م ) فكان تقدير الميزانية كما يأتي :

الميزانية في  
١٨٢١  
م و ١٨٣٣ م

الايراد	جنيه	المنصرف	جنيه
منه : ١,١٢٥,٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠	منه : ١,٢٠٠,٠٠٠ للجيش	٢,٠٠٠,٠٠٠
٤٥٠,٠٠٠	« الميزانية الصغيرة »	٤٠٠,٠٠٠ للبحرية	
	( من تجارة الحاصلات )		
١٨٠,٠٠٠	المكوس على الحبوب		
١١٢,٠٠٠	الرسوم الجركية		
٣٥٠,٠٠٠	ضريبة الرغوس ( الفريضة )		

ثم نمت بعد ذلك الميزانية ، حتى قدّر الدخل في سنة ١٢٥٣ - ٥٤ هـ ( ١٨٣٨ م ) و ١٨٣٨ م بنحو ٤,٥٠٠,٠٠٠ ، والمصرف بنحو ٣,٥٠٠,٠٠٠ جنيه

## البحرية

أول أسطول أول أسطول أنشأه محمد على كان أيام حربه مع الوهابيين ، وكان الغرض منه نقل العساكر من السواحل المصرية الى بلاد العرب . وقد أفاده فيما بعد ، إذ كان يحافظ به على السفن التجارية الذاهبة الى الشرق من لصوص البحر ، وعلى مر الأيام رأى ضرورة بقاء أسطول في البحر الأبيض لحماية السفن التجارية من لصوص اليونان وقبل نشوب حرب اليونان اشترى بعض السفن من البندقية ومرسيليا ، وصنع بعضها الآخر هناك على حسابه . إلا أن معظم أسطوله حُطم في هذه الحرب في واقعة « نوارين » كما سيأتى بعد في موضعه

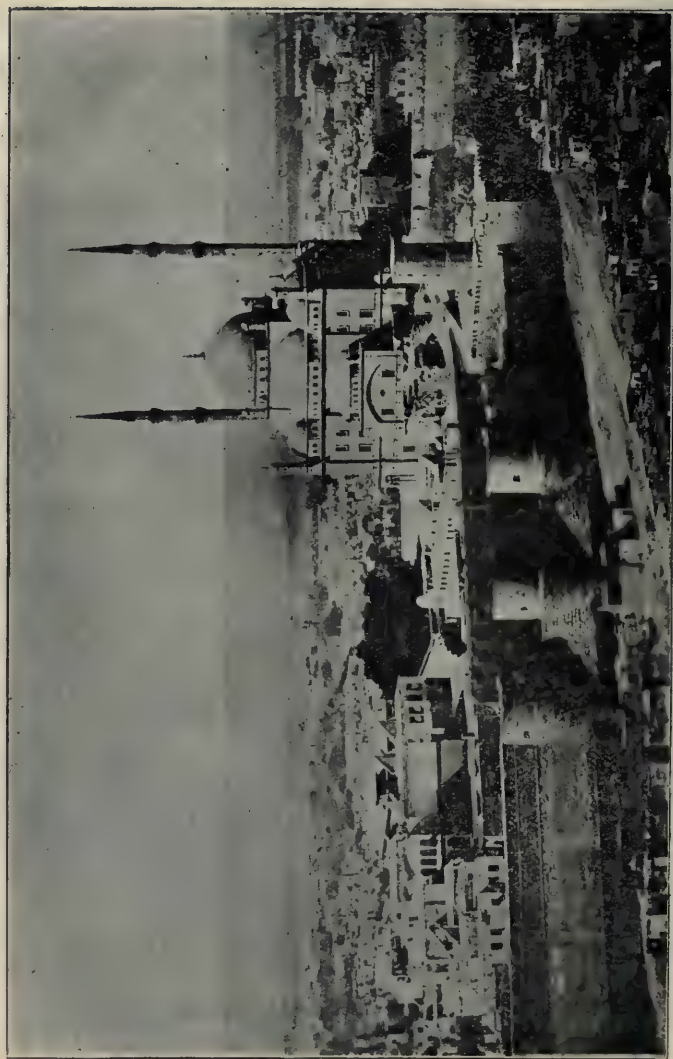
ولما علم محمد على ما للأسطول من الفائدة بعد هذه الواقعة أسس في عام ١٢٤٥ هـ ( ١٨٢٩ م ) دار الصناعة البحرية دار صناعة بحرية بالاسكندرية ، وبني فيها مصانع خاصة لقتل الحبال وصناعة الحديد وعمل الصواري والقلاع وكل ما يلزم للسفن ، وأنشأ فيها أيضاً مدرسة بحرية أعدها لتمرين عدد من الشبان المصريين على العلوم والمعارف اللازمة لضباط البحرية . وكان المنوط به انشاء هذه السفن المهندس البحري « دى سريزى » ، أما ادارة المدرسة فكانت في يد المسيو « بيسون » ، وقد ترقى بعدُ الى رتبة أمير البحر للأسطول المصري . ورقى هذان الرجلان العماره البحرية الى درجة جعلتهما مقدار الاسطول في صف سلايمان باشا منظم الجيش البري

وقد بلغ عدد المراكب الحربية في عام ١٢٤٨ هـ ( ١٨٣٢ م ) ثلاثين قطعة تحمل ١٣٠٠ مدفع ، وفيها من العساكر البحرية من لا يقل عن ١٢٠٠٠ جندي وأرسل جملة من التلاميذ لتلقى الفنون البحرية العملية على سطح المراكب الانجليزية ولم يفته أمر تحصين الشواطئ ، فأنشأ الحصون (الاستحكامات) اللازمة لحفظ السواحل ، مخافة الإغارة على البلاد كما حصل في عام ١٢٢٢ هـ ( ١٨٠٧ م ) ، فأحضر لذلك مهندسين حربيين من الأجانب ، وكلّفهم اختيار المواقع المهمة من جميع

البعث البحري

تحصين

السواحل



القلعة  
(منظر عام)

الفرنسي برتبة «الكولونيل» ( بك ) مكافأة له على ما قام به ، ثم رفع راتبه الى ١٦٠٠ جنيه في السنة . ومن هذا الوقت أصبح لمحمد على جيش يركن اليه ، وكان معظمه من السودان والفلاحين

المشاة والفرسان  
والمدفعية

ثم أسس مدرسة للعساكر المشاة في « الخانقاه » . أما الفرسان فاتخذ لهم قصر مراد بك على الضفة اليسرى من النيل ، وعهد بأمر تعليمهم الى أحد رجال نابليون ، وهو المسيو « فران » . ولم يفته أمر تعليم فرقة خاصة للمدفعية لما يعلمه من الأعمال الجليلة التي تقوم بها هذه الفرقة في حومة الوغى ، اذ كانت ذكرى حروب الفرنسيين في موقعة أناباة لا تزال جديدة في ذهنه ، وقد أبلت فيها المدفعية ، الفرنسية بلاء حسناً . فناط بالكولونيل « سيجيرو » الاسباني تأسيس مدرسة للمدفعية ، فنظمها وقام بأمرها خير قيام ، فرفع مقامه محمد على ، ومنحه رتبة بك

دار الصناعة  
بالقلمة

ولم يترك محمد على باباً الا طرقه رغبة في تقوية جيشه الذي يتوقف عليه قوته وعظمته ، فحوّل جزءاً عظيماً من قلعة الجبل الى دار صناعة ، حيث كان يشتغل فيها مئات من المصريين في صب المدافع وصنع معدات الجنود والذخيرة ، وكل ما يلزمهم وكان يشرف على هؤلاء عمال مهرة أحضرهم محمد على من أوربا لهذا الغرض . وقد تمكن بكل هذه المعدات من اعداد جيش من أعظم جيوش العالم في ذلك العصر ولم يتبع في تأليف الجيش الطريقة التي كان يتبعها في أعماله الأخرى : أى السرعة

ريادة الجيش  
تدريباً

بل كانت زيادته تدريجية . ففي عام ١٢٣٨ هـ ( ١٨٢٣ م ) كان عدد الجيش الجديد ٢٥,٠٠٠ جندي ، وفي عام ١٢٤١ هـ ( ١٨٢٦ م ) عند ما أشعل اليونان نيران حرب استقلالهم بلغ ٩٠,٠٠٠ ، وفي عام ١٢٤٨ هـ ( ١٨٣٢ م ) بلغ ١٥٠,٠٠٠ من الجنود النظامية يستعملون ١٠٠ مدفع من مدافع الميدان . وقال كلوت بك في كتابه على مصر عند كلامه على الجيش ان عدد الجنود المصرية عظم في عصر محمد على حتى بلغ ٢٧٦,٠٠٠ : منهم ١٣٠,٠٠٠ من الجنود المنتظمة و ٤١,٠٠٠ من المرتزقة ( الباشيزق ) ، و ١٩,٠٠٠ بحرى ، والباقي من المهندسين وغيرهم



بعد ذلك أسس مدرسة لتعليم النظام الحربى فى بلدة اسوان ، لتكون قريبة من إنشاء مدرسة  
حرية باسوان بلاد النوبة وبعيدة عن القاهرة ، وعهد بأمرها الى رجل من ضباط نابليون بونابرت  
اسمه الميسو « سيف »

ولد هذا الجندى العظيم فى مدينة « ليون » من أعمال فرنسا عام ١٧٨٨ م ،  
وابتداً أول طور فى حياته بالخدمة البحرية ، وحارب الانجليز فى موقعة « الطرف الأغر » ،  
ثم انضم الى جيش نابليون البرى وحارب فى عدة مواقع بقيادة نابليون . ولم يساعده  
الحظ فى الالتحام بموقعة « ووترلو » ، فترك فرنسا قاصداً مصر حيث نال الخطوة  
الثامة عند محمد على بما قام به من الخدم التى سئذ كرها فى موضعها . وقد اعتنق  
الدين الاسلامى ، وترقى فى الجيش المصرى حتى وصل الى أعلى رتبة فيه ، وكان  
يُعرف بعد إسلامه باسم سليمان باشا الفرنسى ( الفرنساوى )

قام ذلك الرجل العالى الهمة بتنظيم هذا الجيش باسوان مدة ثلاثة أعوام ، أعدّ  
فى أثنائها ضباطاً كثيرين ليقوموا بأمر الجيش الجديد . وكان معظمهم من شبان  
المماليك وصغار ضباط الألبانيين والأتراك ، أما العساكر الذين تألف منهم الجيش  
الجديد فكانوا فى أول الأمر من أسرى حروب السودان ، غير أن كثرة الوفيات  
بينهم لعدم ملائمة الجو اضطرت محمد على الى العدول عن التجنيد منهم ، وابتداً يجنّد  
الجيش من فلاحى مصر . وقد كان هؤلاء يابون الانتظام فى سلك الجندية كل الإباء ،  
وبذلوا فى ذلك كل طاقتهم ، فكان الآباء يشوّهون خنق أبنائهم : إما بقطع الأصابع ،  
أو بفق العين ، أو بنزع الثنايا ، وكثير منهم هربوا الى بلاد سورية . فلم يثن كل  
ذلك عزم محمد على ، ونجح أخيراً فى تجنيد عدد عظيم منهم ، صار فيما بعد على جانب  
عظيم من النظام وكمال العُدّة ، حتى أنه فى عام ١٢٣٨ هـ ( ١٨٢٣ م ) عند ما ثار  
الألبانيون لماً علموا بحرق اسماعيل باشا ابن محمد على فى قرية شمندى دخل « سيف »  
القاهرة يقود ٢٥,٠٠٠ من الجنود المدربين على النظام الجديد ، ليحموا الباشا من  
شرّ هذه الطائفة الطاغية ، ويثبتوا قدمه ويوطدوا سلطانه ، فأنعم على هذا البطل

تنظيم الجيش  
باسوان

تجنيد الفلاحين  
والسودان

الأيام ظهر له جلياً أن رضى الباب العالى غير ثابت ، وان لا مندوحة له من تنظيم جيش قوى يعتمد عليه فى دفع كل عدو . لذلك وجّه جل عنايته لإعداد جيش يحميه من تدخل الباب العالى فى الشؤون المصرية ، ويقهر به كل منّ ناواه . وقد عظم شأنه بهذا الجيش ، حتى قيل انه كان فى نهاية عظمته يريد أن يرث الدولة العثمانية ولا يخفى أن قوته كانت فى أول أمره مستمدة من أبناء جلدته من العساكر الألبانية ، وهو لم يكن فى نظرهم ممتازاً عنهم إلا برتبته العسكرية . لذلك كان وجودهم حوله خطراً يهدده فى كل لحظة ، كما كانت الجنود العثمانية أيام المالك خطراً على من يرسله الباب العالى من الولاة . فعمل على إبادتهم والاستعاضة عنهم بغيرهم : ممن هم أقل تمرداً وعصياناً

محمد على  
والجنود الألبانية

ولما رأى أنه لا يستطيع إبادتهم مرة واحدة اضطرّ الى مجاملتهم فى مبدئ الأمر . ورأى ان أهم أسباب ثورتهم وسلبهم ونهبهم فى البلاد راجع الى تأخير رواتبهم ، فكبح جماحهم وجعلهم طوع ارادته مدة بدفعه رواتبهم بحالة منتظمة ، وبذله العطايا لهم وفى شهر شعبان سنة ١٢٣٠ هـ ( اغسطس سنة ١٨١٥ م ) أراد أن ينظم جيشه على الطريقة الأوربية ، وكان الجنود لا يألفون النظام ولا سيما الأوربى ، فعارضوا فى ذلك أشد المعارضة ، وكانت النتيجة ان شبت نار الثورة فى القاهرة ، وتآمر الجند على الفتك به ، ونهبوا الأسواق واضطروه الى الاعتصام منهم بالقلعة ، وقتل فى تلك الفتنة كل منظمى الجيش . إلا أنه بحذقه ودهائه تمكن من اخضاع الضباط بالعطايا ، وأظهر لهم عدوله عن هذا المشروع ، فمال الجند الى الخضوع

معارضتهم فى  
تنظيم الجيش

على ان كل هذا لم يثن عزم محمد على عن تنظيم الجيش كما أراد ، فاتبع الحيلة والسياسة فى ابراز فكرته وتنفيذ غرضه ، فأقصى الألبانيين عن القاهرة تدريجاً : أرسل بعضهم الى بلاد العرب ، وبعضهم الى بلاد النوبة ، ومن بقي فرقه فى معسكرات الأقاليم

اقصاؤهم  
عن القاهرة

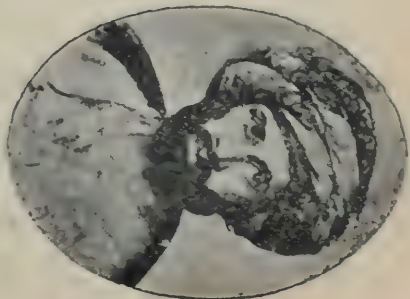
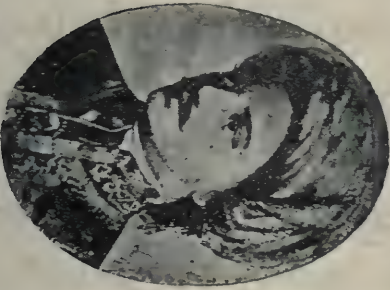
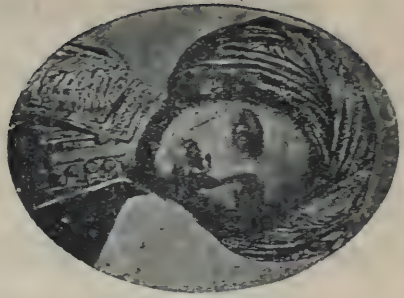
الغربيين في أيامه متفقين على أن اكبر غلطة له أنه أراد أن يطفر بمصر طفرة في سبيل الرقي ، فكانت النتيجة ان ما تعلمه الأهالي لم يُبنَ على أساس متين . ونحن انزه في البلاد لا يسعنا الا أن نقول ان مساعي محمد علي في تحسين حال التعليم في البلاد كانت من أنجح أعماله في مصر ، إذ كان هو نفسه ممن يعتقد نفع التعليم الأوربي ، فأثر هذا الاعتقاد في كثير من الأهالي أصحاب النفوذ في البلاد ، وكان ادخاله العلوم الحديثة في البلاد ونبوغ الذين تعلموها في مدارس أوربا من المصريين من الدواعي التي أدت الى محو كثير من الاعتمادات القديمة في التعليم . ولا شك أن بعض الذين تعلموا في فرنسا نبغوا وبنوا ركناً عظيماً في تاريخ مصر الحديث ، فضلاً عن أن ما ترجمه هم وتلاميذهم من الكتب الى اللغة العربية وطُبِعَ في مطبعة بولاق التي أسسها محمد علي أفاد العالم المصري فائدة خالدة الأثر

ومن أياديه على العلم أنه شجّع العلماء الغربيين وخاصة الفرنسيين الذين أتوا الى مصر ليدرسوا تاريخ الآثار المصرية . ونخص بالذكر من هؤلاء الأفاضل العالم «شامليون» الذي خص كل حياته بجل رموز اللغة المصرية القديمة حتى أتيج له ذلك في عام ١٢٣٦ هـ ( ١٨٢١ م ) بعد أن جاهد في سبيل ذلك جهاد الأبطال . ثم العالم « لبسيسوس » ، وقد وضع قاموساً لهذه اللغة ، ثم العالم « امبير » . وقد حل هؤلاء العلماء مشكلات عويصة في هذه اللغة ، ومهدوا الطريق لمن جاءوا بعدهم واشتهروا في هذا الفن الى وقتنا هذا

### الجيش

الحاجة الى الجيش

نال محمد علي ولاية مصر بفضته وذكائه ، وباغتنام الفرص والتغلب على من نازعه . وقد حصل ذلك على كره من الباب العالي ، وإن استطاع أن يرضيه ويحافظ على مركزه سنين قلائل بما ناله من الفخار بعد قهره الحملة الانجليزية عام ١٢٢٢ هـ ( ١٨٠٧ م ) وتغلبه على المماليك في جميع أنحاء القطر وقهر الوهايين . ولكن بتعاقب تاريخ مصر جزء ٢ ( ٢٣ )



بعض طلبة البعث النخبة



أمر ادارتها الى الأستاذ الشهير « المسيو جومار » ، فقام بها خير قيام ، واختار لها مدرسين أكفاء ، وخصص كل واحد من التلاميذ بدراسة فرع من العلوم خاص ليعتقنه . وكان ممن تعلم بهذه المدرسة اسماعيل باشا الخديوى والأمير احمد والأمير مصطفى فاضل والأمير حليم باشا وشريف باشا ومراد باشا وعلى مبارك باشا<sup>(١)</sup>

ثم أرسل عام ١٢٤٨ هـ ( ١٨٣٢ م ) اثني عشر طالباً آخرين الى باريس ليعملوا ديوان المعارف علوم الطب ، ثم أرسل غيرهم حتى صار ما أرسله الى أوروبا الى عام ١٢٥٨ هـ ( ١٨٤٢ م ) يربو على ١٢٠ طالباً ، أكثرهم الى فرنسا ، وقليل منهم الى إنجلترا وألمانيا<sup>(٢)</sup> وكان ديوان المعارف في ذلك العصر يديره رجل كبير المهمة خطابه خطوات واسعة ، وقد أشار الى ذلك « بيتون » المؤرخ الانجليزى فى كتابه على مصر إذ قال : « ان ديوان المعارف فى عصر محمد على كان فى يد « أدھم بك » الذى قام بإدارة شؤونه خير قيام ، حتى كان أحسن دواوين الحكومة نظاماً »

ومع ما بذله محمد على فى نشر العلوم كان كثيرون ممن زاروا البلاد المصرية من نقص التعليم

( ١ ) وقد جاء فى كتاب المسيو « هامون » فى تاريخ مصر فى عهد محمد على نقلاً عن تقرير المسيو « جومار » الى محمد على سنة ١٢٤٤ هـ ( ١٨٢٨ م ) ما يأتى : —  
« انه خصص تلميذين بدرس العلوم السياسية ، وكان يدرس لهما قانون حقوق الدول والاقتصاد السياسى واكثر لغات أوروبا المستعملة فى السياسة ، وتنقلا فى بلاد أوروبا للوقوف على عادات اهلها . واختار اربعة للإدارة العسكرية ، وثلاثة للبحرية ، وثلاثة للعلوم الآلية ( الميخانيكية ) : يتعلمون الهندسة العلمية ، ويتدربون فى المامل ، ويترنون على الاشغال اليدوية . وخص فرقة بفرن المدفعية والاستحكامات . وتفرغ منهم ايضا عدد لدرس الكيمياء الصناعى ، وخاصة ما يتعلق بالصباغة وعمل الزجاج وصناعة السكرين ليكونوا مديرين للمامل التى شيدت فى مصر . وخص بعضهم بالزراعة العملية والتاريخ الطبيعى والتعدين ، وذلك للبحث عما عساه ان يوجد فى مصر من المعادن »  
( ٢ ) وقد اوردنا فى الصفحة التالية صور بعض طلبة البعث العلمية التى ارسلها محمد على باشا الى أوروبا وهم :

- |   |  |
|---|--|
| ( ١ ) رفاة بك ( ناظر مدرسة اللسن )        | ( ٢ ) مختار بك ( احد وزراء المعارف )     |
| ( ٣ ) حسن بك ( وزير بحرية )               | ( ٤ ) مظهر بك ( مهندس القناطر الخيرية )  |
| ( ٥ ) مصطفى محرجى ( مهندس )               | ( ٦ ) محمد شافعى ( احد نظار مدرسة الطب ) |
| ( ٧ ) محمد على باشا الحكيم ( طبيب وجراح ) | ( ٨ ) محمد السكرى ( مدرس بمدرسة الطب )   |

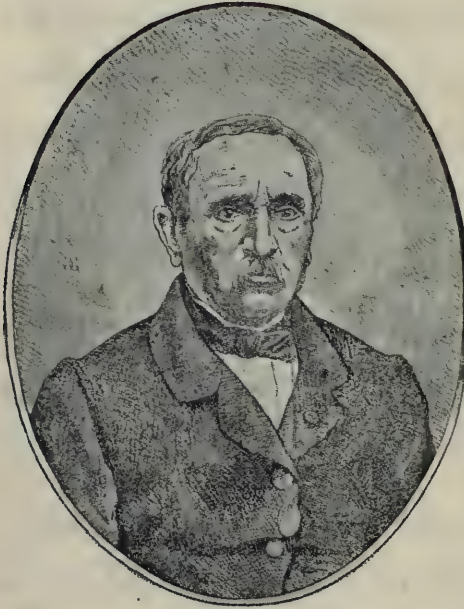
الهندسة والفنون للمسيو « هامون » الفرنسي ، ومدرسة للهندسة بالخانقاه جعل رئيسها « لامبير بك »  
وأخرى للموسيقى بالقلعة . وبني مدرسة لتعليم الفنون والصنائع ، وأخرى لتعليم الألسن  
مدرسة الألسن وقد قال عنها « علي باشا مبارك » في كتاب « الخطط » في ترجمة رفاعة بك ناظرها  
ما يأتي : - « عرض رفاعة بك علي محمد علي تأسيس مدرسة لتعليم اللغات الأوربية  
يُتفَع بها الوطن ، ويستغنى بمن يتخرج فيها عن الدخيل . فأجابته الى ذلك ، ووجه  
به الى مكاتب القطر لينتخب التلاميذ لهذا الغرض ، فأسس المدرسة ، وعند الامتحان  
امْتَحَن التلاميذ في اللغة الفرنسية وغيرها من العلوم المدرسية فظهرت نجاحتهم . ثم أنشأ  
بها قلمًا للترجمة تُرجم فيه كثير من الكتب الأوربية في كل فرع من العلوم . وكان  
بهذه المدرسة أيضاً قسم تجهيزي خاص ، فنبغ فيها رجال بارعون في انشاء اللغة  
العربية والعلوم . غير أن هذه المدرسة قد ألغيت في عهد عباس باشا الأول »

التعليم الزراعي ولم يفت محمد علي أمر تحسين الزراعة العملية : فأنشأ لها مدرسة ببلدة « نبروه »  
من أعمال مديرية الغربية ، وأحضر اليها المعلمين وآلات الفلاحة من اوربا لتدريس  
هذا الفن علماً وعملاً . إلا أن جهل الأهالي وقف عقبة كؤوداً أمام سيرها ، فاضطر  
محمد علي الى نقلها الى شبرا الخيمة لتكون تحت رياسة « المسيو هامون » ، ولكن  
ذلك لم يجد نفعا أيضاً ، وأخذت في الاضمحلال حتى أغلق بابها

البعوث العلمية ولم تقف همّة محمد علي باشا عند انشاء المدارس في جميع انحاء القطر ، بل أرسل  
عددًا كبيرًا من الشبان المصريين الى أعظم ممالك اوربا وخصوصاً فرنسا لتلقي العلوم  
بها ، حتى اذا ما عادوا الى مصر استغنى بهم عن استزادة عدد الأوربيين . فأرسل  
البعوث من المصريين ليتعلموا العلوم الغربية ، وليستعينوا بآراء الفرنسيين وأفكارهم  
وطرق حياتهم على اصلاح شأن مصر . ومن الغريب أن آباء التلاميذ كانوا يندبون  
حظ أبنائهم الذين ساعدتهم الحظ الأوفر باختيارهم للرحيل الى اوربا ، واستعملوا كل  
الوسائل لحرمان أولادهم من ثمرة العلم . فلم يثن كل ذلك عزم محمد علي ، وأرسل في  
عام ١٢٤٢ هـ ( ١٨٢٦ م ) أربعين طالبًا فتحت لهم مدرسة خاصة في باريس عهد

أحد عشر ألفاً تقريباً . وأسس مدرسة لتعليم نخبة أبناء الأمة سماها كلية الأطباء . كان يتعلم فيها ابناؤه وأبناء الأثرياء ، بلغ عدد تلاميذها نحو ٥٠٠ تلميذ . أما مدارسه الخاصة فكانت عدة . وأهمها وأعظمها فائدة للبلاد مدرسة الطب المدارس الخاصة التي قضت على عهد النائم والسحر والرُفّي وغيرها من أنواع الشعوذة التي كان يتطبّب بها المصريون . والفضل في إنشاء هذه المدرسة راجع الى الدكتور « كلوت بك » أحد نجباء الفرنسيين الذين كانوا في خدمة الحكومة المصرية .

أسست هذه المدرسة بأبي زعل كطالب الدكتور المذكور سنة ١٢٤٢ هـ ( ١٨٢٧ م ) مدرسة الطب



كلوت بك

وكان غرضه من انشائها ترقية هذا الفن في البلاد ، حتى يوجد بها أطباء تسد حاجة الجيوش البرية والبحرية . وقد قدم له في هذا الشأن تقريراً جاء في آخره : « يجب أن يكون تبصر مدرسة للطب تكون تلاميذها من المصريين الخالصين ، الذين يفارون على بلادهم ويحبون تقدم وطنهم . ويتوصل الى ذلك بانشاء مستشفى عمومي يتعلم فيه مائة

وخمسون شاباً ممن لهم إلمام تام بمعرفة اللغة العربية قراءة وكتابة ومبادئ الحساب ، ويجب أن تدرس لهم اللغة الفرنسية وأنواع الطب بفروعه ولا سيما الجراحة ، وتكون مدة الدراسة بها أربع سنوات يُختبر التلميذ في آخر كل سنة منها »

فسر محمد علي من المشروع وأمر بتأسيس المدرسة وجعلها تحت رياسة كلوت بك وأسس محمد علي بجوار هذه المدرسة مدرسة للطب البيطري ، وولى رياستها الطب البيطري

رأى محمد على أخرى خطيرة ، مثل مد سكة حديدية بين السويس والقاهرة ، ومثل حفر قناة السويس : مما سنتكلم عليه في موضعه . ونقول بمناسبة هذا المشروع الأخير أنه بعد أن خرجت الحملة الفرنسية من مصر ظلَّ بعض العلماء الفرنسيين يفكرون في إبراز هذا المشروع الخطير الى الوجود ، وقصد جماعة منهم مصر ليحببوا الى محمد على حفر هذه الترعَة . فقابل مشروعه في أول الأمر بصدر رحب ، وكلف الميسو لينان ( لينان باشا ) أن يرسم له خطة لذلك . لكنه عاد فتراخى في الأمر ، ويقال إنه لم ينظر الى المشروع بعين الرضى ، إذ قال مرة في حديث له : « إني لا أريد أن أجعل وادى النيل طريقاً دولياً » . وقال في حديث آخر : « إني أخشى أن تكون هذه الترعَة بسفوراً آخر \* »

### نهضة التعليم

تولى محمد على شؤون مصر في عصر ساد فيه الجهل بين أهله ، وانحطت فيه مداركهم ، ودُرست دور العلم عندهم . وهذه نتيجة طبيعية لحكم المماليك البيكوات الذين قبضوا على البلاد بيد من حديد مدة وضعوا فيها بين المصرى وبين نور العلم الحديث حجاباً كثيفاً لم يزد طول حكمهم إلا جده . والسبب في ذلك يرجع الى ما فُطروا عليه من الجهالة وعدم ميلهم الى التعلم ، واعتزالهم العالم بأسره

صعوبة  
نشر التعليم

فلما رأى محمد على ما عليه البلاد من التدهور أراد أن يصلح حال رعيته بالتعليم فوجه اليه شطراً عظيماً من عنايته . فاعترضه في طريقه عدة عقبات ، إذ كان الآباء يمتنعون عن ارسال أبنائهم الى دور العلم ، مع تكفله بنفقات تعليمهم وإطعامهم وإلباسهم ، وكان يحجب اليهم العلم والتعليم باعطائهم الرواتب الشهرية . ومن العجيب أنه كان مع هذا يضطر غالباً الى أن يقود التلاميذ الى دور العلم بالسلاسل والأغلال ومن هؤلاء أفراد نبغوا وساروا فيما بعد بالتعليم شوطاً بعيداً

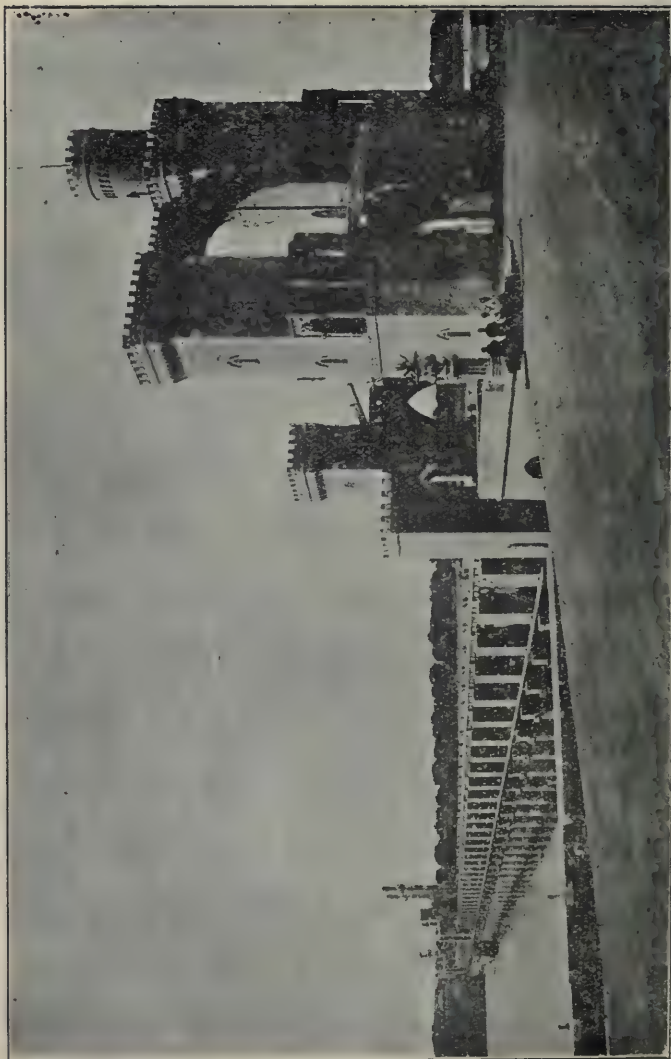
أما المدارس التى أسسها محمد على فكانت على ثلاثة أنواع : ابتدائية وتجهيزية وخاصة فأنشأ خمسين مدرسة ابتدائية في أمهات البلاد ، وكان عدد من فيها من الطلبة

\* يعنى انها تصبح موضع نزاع بين الدول العظام ربما أفضى الى استيلاء اقوامهن على معر

المدارس  
الابتدائية



القناطر الجديدة



رأس الدال ، فصارتا قريبتين احدهما من الأخرى كأنهما عمل واحد ، وفي ذلك تسهيل لإدارة حركة القناطر وصيانتها بعد انشائها . على أن مشروع لبنان باشا كان يمتاز باختيار موضعين صالحين جداً لإنشاء القناطر ، لصلابة الأرض عندهما وموافقة الشواطئ لذلك

السرعة الزائدة في العمل  
فلم تعترضه صعوبة تذكر ، الى أن ابتدأ العمل في فرع رشيد في سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧ م) . فأخذ الملل يستولى على محمد علي ، وأمر أن تضاعف السرعة في انجاز العمل ، فأضر ذلك بالأساس حتى صار من الضروري اصلاحه في العام التالي . ورأى موجد بك أن يرجئ العمل سنة حتى يصلح وتظم مئاته ، فلم يرض الباشا . وبينما الأمر كذلك اذ مات محمد علي عام ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) قبل أن يرى نتيجة المشروع الذي طالما تأقت نفسه الى اتمامه

مظهر بك يتولى العمل  
ثم تولى عباس باشا الأول ولم تكن له ثقة في نجاح هذا العمل ، فأراد توقيفه ، لكنه خشى الرأي العام وسمح بمواصلته . وفي سنة ١٢٦٩ هـ (١٨٥٣ م) أغضبه بطل موجد بك فعزله وسأّم القناطر الى مظهر بك . ثم استؤنف العمل في انجاز القناطر دون الشروع في اصلاح أساسها وتقويم ما تصدع منها ، فتمت بكل لواحتها من طرق وشرفات وقلاع عام ١٢٧٧ هـ (١٨٦١ م)

التفقات  
وقد قدّرت نفقاتها لذلك الوقت بنحو ١,٨٠٠,٠٠٠ جنيه عدا أعمال السخرة التي لا يستهان بها . وقد قدّر « السير وليكنكس » ما تكلفته القناطر على البلاد بنحو ٤,٠٠٠,٠٠٠ جنيه

وعند ما جُربت القناطر لأول مرة اتضح أنها لا تفي بكل الغرض المراد منها الا بعد الاصلاح . وسنأتى على ذكر ذلك عند الكلام على الأعمال العامة التي تمت بعد عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م)

مشروعات اشغال اخرى  
هذه هي أهم الأشغال العامة التي قام بها محمد علي ، وقد كاد بهم بانفاذ مشروعات

في الحال \* . وبعد فحص طويل قرّر رأى اللجنة على مشروع لبنان. باشا كما هو ، واختير لموضع القنطرتين موضعان على بُعد ٩ كيلومترات في فرع رشيد و ٥ كيلومترات في فرع دمياط . وعُمل التصميم على أن تستقي من النيل ثلاثة ( رياحات ) عظيمة : أحدها من فرع رشيد ، والآخران من فرع دمياط

ثم ابتداء العمل في أواخر ١٢٤٩ هـ ( ١٨٣٣ م ) ، واستعان محمد على على إنجازهِ ابتداء العمل بسرعة بتسخير الألوف من العمال . ولكن لسوء الحظ انتشر بالبلاذ وباء عام ١٢٥١ هـ ( ١٨٣٥ م ) ، ففتك بكثير من العمال ، وكاد العمل يقف جملةً بالرغم من مقاومة لبنان باشا ومثابرتة . وما زال كذلك في الاحتضار حتى نُصّب لبنان باشا على وزارة الأشغال ، فلم يعد له ذلك الإشراف المباشر على إنشاء القناطر . وسُمّ محمد على ببطء العمل ، وانقلب شغفه مللاً ، الى أن أمر بتشكيل لجنة للنظر في الاستغناء عن المشروع . فأقرت اللجنة فائدة المشروع ، وأوصت بمواصلة العمل فيه ، ولكن ملل الباشا كان قد بلغ أشده ، فأمر بوقوف العمل واستعمال ما بقي من المواد المعدة له في غيره من الأعمال

وبقى المشروع كأن لم يكن ، الى أن قدم الى مصر مهندس فرنسي آخر يدعى « المسيو موجيل » ( موجيل بك فيما بعد ) عام ١٢٥٨ هـ ( ١٨٤٢ م ) ، فعرض على محمد على مشروعاً آخر ضمّته انشاء قلاع على القناطر لجعلها مركزاً حربياً للدفاع عن مصر ، لعلهم باهتمام الباشا بالشؤون الحربية . فأعجب الباشا بالمشروع أيما إعجاب ، وأمر لبنان باشا أن يمد موجيل بك بما لديه من المعلومات في هذا الشأن ويختلف مشروع موجيل بك عن مشروع لبنان باشا بأن موضع القنطرتين في الأخير كان على بُعد ٩ كيلومترات من رأس الدال في فرع رشيد و ٥ كيلومترات في فرع دمياط ، بيد ان موجيل بك رأى اقامة القنطرتين في موضعين قريبين جداً من

الفرق بين  
المشروعين

\* ومن شدة رغبته في إنجازهِ على وجه السرعة انه أراد هدم أهرام الجيزة لاستخدام أحجارها فيه ، لولا أن أفتته لبنان باشا ان قطع الاحجار من المحاجر أسهل من ذلك وأشد اقتصاداً

فلم يمضِ طويل عهد حتى تحقق ذلك القول وظهر المشروع الى حيز الوجود على يد البطل العظيم محمد على باشا . ومن أهم الأمور التي حَدَّتْ به الى انفاذه انتشار زراعة القطن في الوجه البحري ، اذ كان ينمو في فصل الصيف ويُرَوَّى فيه

تعميق الترع وأول فكرة خطرت لمحمد على لتدارك ذلك أن يزداد في عمق الترع حتى تنصب فيها مياه النيل وقت انخفاضه ، فتُرفع منها بالسواقي والشواديغ وغيرها من آلات الرفع الى الأرض التي يراد ردها . غير أنه اتضح ان انفاذ هذا المشروع يتطلب أموالاً جمة وجهداً عظيماً من الحكومة والأهلين لا يكاد يكون في الامكان

سد أصم ثم لاحظ محمد على ان اكثر ترع الوجه البحري واقع بطبيعة الحال شرق دال النيل وفي وسطها ، لارتفاع سطح الفرع الشرقي عن الغربي ، فعمد الى زيادة المياه في تلك الترع باقامة سد أصم على الأخير يكون من احجار يُرْمَى بعضها فوق بعض ، ليمتنع الماء عن فرع رشيد ويرتفع في فرع دمياط فيملأ الترع الكثيرة المتفرعة من هذا الفرع . وفعلاً شرع في العمل سنة ١٢٤٩ هـ ( ١٨٣٣ م )

مشروع  
لبنان باشا ولكن « لبنان بك » ( لبنان باشا فيما بعد ) أحد المهندسين الفرنسيين النبغاء الذين كانوا في خدمة الحكومة المصرية أشار عليه بعدم اقامة هذا السد الأصم ، لما ينشأ عنه من حرمان أراضي فرع رشيد ، ولرفعه مياه النيل وقت الفيضان في فرع دمياط الى درجة يخشى منها . وعرض عليه مشروعاً آخر ، وهو اقامة قنطرتين عظيمتين في عرض فرعي دمياط ورشيد بعد نقطة افتراقهما عند رأس الدال ، في كل قنطرة عيون تُحكم عليها أبواب تُرتَج في كلا الفرعين بالتناوب أثناء الصيف ؛ فاذا حُجِزت المياه قَبْلَها عن فرع ارتفع الماء في الفرع الآخر وملأ الترع العظيمة التي تستمد منه والتي يتوقف عليها الري الصيفي في الوجه البحري . وفي أيام الفيضان تُفتح الأبواب ، فتسير المياه في مجراها الطبيعي بلا مقاومة

فأعجب محمد على باشا بالمشروع الجديد وأمر بتشكيل لجنة لدرسه والبدء بإنفاذه



فائدة كبرى، اذ أصبحت تجرى فيها السفن ذاهبة الى الاسكندرية حاملة حاصلات البلاد فى زمن قصير بدون مشقة كبيرة. وقد جمع الألوف من العمال وسخرهم لحفرها من جميع مديريات القطر، حتى تمت فى أقرب وقت مع الأبنية اللازمة لها. وقد بلغت نفقاتها ٣٠٠ ألف جنيه، كما أورده «كاوت بك» فى كتابه على مصر

ومن فوائد هذه التربة أيضاً انها كانت سبباً فى عمران البلاد التى مرت بها واحياء أراضيها من العطف الى الاسكندرية، بعد ان كان اكثرها غير صالح للزراعة أما مدينة الاسكندرية فانها تغيرت بسببها تغيراً عظيماً وجرت شوطاً بعيداً فى الثروة والعمارة. وبقيت هذه التربة أعظم طريق للتجارة بين مصر والاسكندرية حتى أنشئت السكة الحديدية

ميناء  
الاسكندرية

ثانياً - ميناء الاسكندرية. بعد أن حفر محمد على باشا تربة المحمودية كلف «موجيل بك» ان يصالح مرفأ الاسكندرية حتى يتسنى له بناء عمارة بحرية يحقق بها ما تطمح اليه نفسه، ويجذب بها التجار الأجانب الى الثغر: تسهلاً لبيع حاصلات البلاد التى كانت جميعها فى قبضة يده. فأصلحه وبنى فيه دار صناعة بحرية وأحواضاً لبناء السفن، فاتسع بذلك نطاق المدينة، وانتابها التجار من كل حدب وصوب وأصبحوا يتنافسون فى شراء حاصلات مصر، حتى ان احدى الشركات التجارية الانجليزية اشترت فى عام من الأعوام محصول القطن كله

ثالثاً - القناطر الخيرية. هذه من أجل مشروعات محمد على باشا وأعظمها فائدة القناطر الخيرية للزراعة، وقد كان لها الفضل الأكبر فى تنظيم الرى فى الوجه البحرى

رأى نابليون  
فى انشائها

وقد قيل ان نابليون لما قدم الى مصر فى غارته المشهورة أدرك الفائدة التى تنجم عن انشاء قناطر على النيل عند تفرعه لتنظيم المياه فى الفرعين وقت انخفاضه، لأنه اذا حُجزت المياه عن أحد الفرعين اتجه ماء النيل كله الى الفرع الآخر، فيرتفع سطحه عن سطح النيل الأسمى، وتفيض المياه منه الى الترع فتروى الأراضى. وقال نابليون عندئذ: «ان هذه الفكرة لا بد أن تخرج يوماً ما الى حيز الوجود»

الأخرى : من المسابك وغيرها من لوازم الجيش والأسطول . ولكنها لم تدم طويلاً  
مصانع الجيش  
تلاشى الصناعات  
للصعوبات التي يُلْغَاهَا آنفاً ، وتلاشى بعضها في مدة حياته ، واضمحل الباقي عقب  
موته ، وأصبحت كأن لم تكن : يشهد بذلك ما قاله أحد مهندسي الانجيز من أنه  
« زار دار الصناعة بيولاقي عقب وفاة محمد علي ، فوجد فيها من الآلات المهمة  
ما لا تقل قيمته عن ١,٢٠٠,٠٠٠ جنيه »

والسبب في عدم اضمحلال هذه المعامل جملة في أيام محمد علي يرجع الى أمرين :  
أولهما أنه كان القابض على زمام مالية البلاد ، فكان ينفق على هذه المعامل كل ما  
تحتاج اليه ، ثانيهما أن المحصولات التي كان يشتريها من الأهالي كان لا يدفع ثمنها  
تقدراً ، بل كان يبادل بها منهم مصنوعات المعامل . على أن معظم المعامل كما سبق  
أُغلق في أواخر أيامه ، وبادت البقية الباقية منها في أيام عباس الأول

### الأشغال العامة

قام محمد علي بعدة أشغال عامة عظيمة عادت على البلاد بالمنفعة الجليلة والفوائد  
التي لا تزال مصر تجني ثمارها الى الآن . ومن أعظم هذه المشروعات ثلاثة : حفر  
ترعة الحمودية ، واصلاح مرفأ الاسكندرية ، وانشاء القناطر الخيرية  
أولاً - ترعة الحمودية . لا يخفى أن تجارة مصر في ذلك الوقت كانت تتوقف  
ترعة الحمودية  
على نهر النيل وفروعه المنتشرة في أنحاء البلاد . وكان أهم الثغور التجارية حينئذٍ  
ديماط ورشيد ، غير أنهما لوقوعهما عند مضبي النيل تُسدُّ فُرُضُهُما رمالُ البحرين وغيرِ  
النهر : مما يجعلهما غير صالحين للسفن الكبيرة التي تنقل التجارة الخارجية . ولاحظ ذلك  
محمد علي ، فعزم على تحويل مجرى تلك التجارة الى الاسكندرية ، رغم ما بها من  
العيوب ، اذ هي معرضة للرياح الشمالية الغربية ، وماء البحر عندها ضَخَضاح . فرأى  
ان من أعظم المشروعات المفيدة لذلك حفر ترعة تربط الاسكندرية بالنيل ، فحفرها  
وسمّاها « الحمودية » نسبةً الى السلطان محمود الثاني . فأفادت هذه التربة البلاد

وبنى سويف . وأهم هذه المعامل معمل بولاق ، وكان يسمى « معمل مالطة » لكثرة الماططين فيه ، وكان رئيسه المسيو « جوميل » الفرنسى

المبيضة

وأنشأ مبيضة للمنسوجات بين بولاق وشبرا

وأنشأ فى بولاق معملاً للجوخ ، أحضر له فى مبدأ الأمر رجالاً من الفرنسيين لإدارته ، ثم أرسل الشبان الى معامل « سيدان » و « ليون » بفرنسا ليتعلموا صناعته .

فلما رجعوا حسنوا صناعة هذا الصنف ، وصار يستعمل فى ملبوس الجيش

المصانغ

وأسس مصانغ للمنسوجات استعمل فيها النيل ( النيله ) الذى كان يستخرج

من البلاد

وأنشأ كذلك معملاً عظيماً للطرايش بمدينة فوة بإدارة رجل مغربى ، وجلب معمل الطرايش

له مهرة العمال من تونس ، فنجح نجاحاً باهراً ، إذ كان ما يصنعه فى اليوم يربو على

٧٢٠ طربوشاً

وأنشأ أيضاً معامل للسكر فى الصعيد : أهمها معمل الروضة ومعمل ساقية موسى السكر والزيت

وأوجد معاصر للزيت ، فكان فى الوجه البحرى منها عشرون وفى القاهرة أربعون

وقد وجّه عنايته الخاصة الى ايجاد جميع المواد الأصلية اللازمة لهذه الصناعات فى

البلاد المصرية ، فأكثر من زراعة القطن والقنب والكتان ، كما أسلفنا . وربى

الأغنام وعنى بأمرها عناية عظيمة ، وجلب كل صنف منها لتحسين نوع الصوف تربية الاغنام

الذى فى البلاد ، غير أن ذلك لم يُجد نفعاً لعدم ملائمة الجو لهذه الأغنام ، فاضطر

أخيراً للعدول عن ذلك ، بعد أن بذل فيه كل مجهود

واجتهد أيضاً فى إنماء دودة القز فى البلاد ، ليستغنى بنتاجها عما يأتى اليه من ودودة القز

الخارج ، فزرع لأجلها أشجار التوت بوفرة فى رأس الوادى ، وحفر السواقي لريها ،

وجلب أناساً كثيرين ممن لهم دراية بتربية دود القز ، فبلغ ما جمعه من الحرير

سنة ١٢٤٩ هـ ( ١٨٣٣ م ) عشرة آلاف أقة تقريباً

هذه بعض المصانع التى شيدها محمد على فى أنحاء البلاد ، وناهيك بمصانعه

غناء ، فيها من الفاكهة والرياحين ما لذ وطاب ، وذلك بهمة رجل ايقوسى من مهرة العالمين بفن الجنائن

ومما سبق يظهر جلياً أن جاب هذه المحصولات وزراعتها ، وتحسين حالة الري ، ( مما سيأتى ذكره عند الكلام على الأعمال العامة ) : كان من اكبر النعم على مصر لو كان الفلاح يضمن بيع محصوله بأثمان مناسبة . ولكن لسوء حظه كانت معاملاته كلها وبيع محصوله يتوقف على عمال الحكومة الذين يلاحظون الزراعة ، وعلى أمانة الذين يقدرون أثمان المحصولات التى كانت تشتري جميعها الحكومة . والظاهر أن الفلاحين كانوا يتحملون فى ذلك مغارم كبيرة ، إذ كانت تشتري منهم بأثمان بخسة وموازن مغشوشة ، فضلاً عن أنهم كانوا لا يأخذون أثمان سلعهم تقدماً ، بل فى معظم الأحيان يُجبرون أن يبادلوا بها مصنوعات معامل الحكومة ترويحاً لها

مقدار  
فائدة الفلاح

### الصناعة

رأى محمد على أن الممالك الصناعية بأوروبا على جانب عظيم من الثروة وسعة الرزق ، فحاول إدخال صناعاتها فى مصر ، وأن يشجع الصناعات الوطنية أيضاً ، حتى يتسنى له صنع كل ما يحتاج اليه من لوازم الجيش ومعدات الأسطول ، وينافس الغرب فى صناعة المنسوجات

الاهتمام  
بالصناعة

ولا يخفى ما فى ذلك من المصاعب ، لضرورة جاب الفحم والحديد والأخشاب والآلات من الخارج ، ولأنه أيضاً يلزم المصريين زمن طويل وخبرة كبيرة حتى يصلوا الى درجة بها يمكنهم أن ينافسوا أعمال أوروبا . إلا أنه قاوم كل هذه الصعوبات وأنشأ عدة معامل فى أنحاء القطر ، وفَت بغرضه مدة من الزمان

الصعوبات

فمن أهم ما أنشأه معامل الغزل ونسبيج الفطن والحريير والكتان والصوف . فكان للقطن خاصة ثمانية عشر معملًا فى أمهات مدن القطر ، كالمنصورة ودمياط ورشيد ( التى كان ينسج فيها كُرْبَاسُ أشربة السفن ) ، وفى المحلة الكبرى وزفتى ومُنية غمر

معامل  
الغزل والنسبيج



هذه هي الطريقة التي إتبعها محمد على منذ عام ١٢٢٣ هـ ( ١٨٠٨ م ) وسار على مقتضاها ٢٠ عاماً ، وبها أمكنه أن يجنّد الجيوش ويعدّ الأساطيل ويحارب الأتوم ويخضعها

وكان من عادته أن يميّن أنواع المحصولات التي تزرع في كل بقعة من بقاع المملكة . ثم تأخذ المحصولات جميعها وتوضع في أهراء الحكومة ، ويقدر أثمانها طائفة من رجال الحكومة . فكان جزء منها يؤخذ في مقابل الضرائب التي على الأرض ، وما بقي تشتريه الحكومة فتصنع بعضه في مصانعها والجزء الأعظم يباع الى التجار الأوربيين ، وبهذا احتكر محمد على كل التجارة في مصر

ولا يسعنا في هذا المقام الا أن نذكر شيئاً عن المحصولات التي جلبها هذا المصلح الكبير الى البلاد ولا نزال ننتفع بها ، وكانت نتيجة زرعها ازدياد ثروة البلاد : مما أعانه على شنّ الغارة على أعدائه . وأهم هذه النباتات ، وأعظمها ربحاً للبلاد القطن الذي أشار بفرسه المسيو « جوميل » في عام ١٢٣٥ هـ ( ١٨٢٠ م ) ، وهو أحد النساجين الفرنسيين المستخدمين بالحكومة المصرية وقتئذ . وقد أنتجت تجارب زرع محصولاً حسناً ، لجودة التربة وملاءمة الجو ، وبذلك ابتدأ طور جديد في تاريخ مصر المادى . وجلب بذوره من الهند أولاً ثم من أمريكا فيما بعد من صنف يُعرف بقطن « الجزائر » وهو أجود نوع في العالم . وقد كان يزرع القطن في مصر قبل عصر محمد على بقرون عدة ، غير أنه كان من صنف ردى ، ولا يعرف تاريخ جلبه الى البلاد

وقد عنى فرنسي آخر بزراعة القنب في مصر ، لصنع الحبال اللازمة للأسطول . واهتم محمد على أيضاً بزراعة النيل ( النيلة ) ، فجلب لذلك الفلاحين الملمين بزراعتها من جزائر الهند الشرقية . وأحضر من آسيا الصغرى زراعاً مهرة في زراعة الحشخاش ، وزرع الغابات والحراج ، ليستغنى بها عن الأخشاب التي تجلب من البلاد الأجنبية ولم يفته تحسين زراعة الجنائن ، إذ أنشأ ابنه ابراهيم باشا في جزيرة الروضة حديقة زراعة الحدائق

بعض الملاك أحياناً بعوض يُعطاه من الخزانة . ولما أصبحت جميع الأملاك في قبضة يده جمع كل ما لديه من الحجيج وأعدتها . وبتعاقب الأيام أصبح من المستحيل معرفة ما كان للمالك أولو القوف أو لأفراد الأمة من الأرض ، إذ لم تقوَ المحاكم على معارضة محمد علي ، وكانت الأهالي تحت رحمته . وبذلك أصبح معظم أراضي القطر في قبضة يده الأجزاء يسيراً كان في قبضة بغض العلماء والأمرأ.

استخدام  
الفلاحين

اهتم بعد ذلك بتدبير الوسائل التي تسهل عليه زراعة هذه الأراضي ، فاستخدم الفلاحين طبعاً في زراعتها ، فاصبحوا بمثابة الموالى ، وكانت القاعدة أنه مادام الفلاح قادراً على دفع ما فرض عليه ادأوه من ثمرتها يبقى في الأرض يتعيش منها وتحلفه من بعده ذريته

وظل الفلاحون هكذا محرومين من التمتع بحق امتلاك الأراضي الى زمن غير بعيد ، وذلك عند ماسن سعيد باشا قانونه المختص بأرض مصر ، وتلاه من بعده قانون المراقبة الذي وضعه اسماعيل باشا ، ثم القانون الذي سنته المحاكم الحديثة خاصاً بحق امتلاك الفلاح للأرض

مسح الاراضى

ثم أمر محمد علي مديرى البلاد بمسح الأيطان وتقدير عدد الفدادين التي تخص كل قرية ، ما عدا الضياع التي كانت توهب للمقربين وذوى الحظوة : فهذه كانوا لا يتدخلون في أمرها ، وكانت بالطبع شيئاً قليلاً . أما العدد الأوفر من القرى المصرية فكانت تحت سيطرة محمد علي ، إذ كان يدير شؤون كل قرية فئة من مشايخ البلد يرأسهم عمدة مُنصَّب من قبَل المدير ، مسئول أمامه عن مقدار ما يُطلب من قريته من الضرائب . ولذلك كان العمدة يوزع الأراضي على الفلاحين حسب اختياره ، ثم يجمع منهم الضرائب على قدر ما يفلح كل من الأرض . وما أشبه الفلاح في هذه الحالة بالحيوان تحت رحمة العمدة . أما العمدة فكان مثله كمثل السوط في يد المدير الذي كان صاحب البأس والسطوة ولا يسيطر عليه أحد إلا والى مالك مصر الوحيد

ونظام  
جمع الضرائب

## الزراعة

كانت الزراعة أول عمل وجّه اليه محمد على عنايته الخاصة ، اذ رأى انها ينبوع ثروة البلاد ، وعليها يتوقف أهم دخلها السنوى . فجعل زراعة جميع الأراضى تحت إشرافه ، كي لا يفرّ أحد من دفع الضرائب . وتشدد لذلك فى المحافظة على الأمن العام ، فقبض بيد من حديد على عصابات اللصوص التى كانت منتشرة فى جميع أنحاء البلاد

نزع ملكية  
الأراضى

ولم يكتف بضرب الضرائب الفادحة ، بل عزم على نزع ملكية جميع الأراضى ليستعملها على نفقته الخاصة . فلما همّ بإبراز هذه الفكرة الى حيز الفعل قامت فى وجهه صعوبات عظيمة كان لا بد من تذليلها . وذلك أن الأراضى الزراعية فى مصر كان بعضها أوقافاً خيرية يدير شؤونها جماعة العلماء ، وكان جزء آخر كبير جداً ملكاً للمماليك أصحاب الشأن والنفوذ فى البلاد ، وما بقى كان فى قبضة عامة أفراد الأمة . فاستعمل محمد على مع كل طائفة من هؤلاء التهديد والوعيد ، حتى أصبح المالك الوحيد لاكثرها . فانه استولى على أملاك المماليك فى الوجه البحرى بعد حربه مع الانجائز عام ١٨٠٧ م وطرده المماليك من ريف مصر الى صعيدها

الاستيلاء  
على الأوقاف

واستولى بعد ذلك على معظم الأراضى الموقوفة التى كانت تحت رعاية العلماء ، فجعل الوقف تحت رقابته من غير أن يحلّه ، فاحتج عليه العلماء وتجمهروا وعارضوه معارضة شديدة ، فأقنعهم بالدليل القاطع أنه الوالى من قبيل الخليفة الذى يتولى أمور المسلمين جميعاً ، فهو أحق فرد فى مصر برعاية الوقف . ومن هذا الوقت بقى الوقف تحت إشراف الأسرة المحمدية العلوية

ونزع بعد ذلك ملكية الأراضى التى كانت لبقية الأفراد ، مدعياً حقّ النسايط على كل الأراضى لانه الحاكم النائب عن الخليفة المالك للأرض بحكم الفتح الاسلامى القديم . فاستحضر كل الملاك وطلب منهم إبراز حقوق ملكيتهم ، فقدموا اليه حجبهم رغم أنوفهم ، فكان يضرب ببعضها عرض الحائط ، ويظهر بطلان بعضها ، ويمنى تارخ مصر جزء ٢ (٢١)

وأهمها « مجلس المشاورة العسكرية » و « ديوان دار الصناعة ( الترسانة ) أو البحرية » ، و « ديوان التجارة » ، وكان هذا الديوان مكوناً من تجار مختلفي الجنس والديانة يرأسهم تقيب ( شاهبندر ) التجار أو رئيس تجار القاهرة

تقسيم مصر

وقد اقتضت ادارته الداخلية للبلاذ تقسيم القطر الى سبع مديريات ، والغاء الأقسام التي كانت في عهد المماليك . ثم قسم كل مديرية الى عدة مراكز بلغت ٦٤ مركزاً . ثم قسم المراكز الى أخطاط أى نواح يدير شؤونها موظف يلقب بالناظر ، وإلى قُرَى يتولى أمورها العمدة ومشايخ البلاذ . وكان غرضه من هذا التقسيم تسهيل جمع الضرائب

يبد أنه رغم هذه الأنظمة والتقسيمات كان يتولى مهام شؤون البلاذ بنفسه منفرداً بالسلطة وحده : فكان يفاوض سفراء الدول الأجنبية بنفسه ، ويسمع شكوى رعاياه ومطالبهم بلا واسطة ، ويتصرف في مالية البلاذ ، ويقوم بالمشروعات العامة

## التقدم المادى

مقدمة

أراد محمد على أن ينهض بالبلاذ بادخال الاصلاحات الغربية فيها ابتداءً ، وفاته ان البلاذ كانت تسبح في ظلمات الجهل ، وانها في حاجة الى زمن كبير تنفقه في التعليم حتى تصل الى درجة تمكنها من استثمار الأرض بالطرق الفنية وإدارة المعامل والسير في التجارة حسب ما يقتضيه النظام الأوربى الذى عمل على ادخاله في البلاذ . ولا شك انه كان يشعر بشئ من ذلك ، إلا أن الأحوال التي وُجِدَ فيها كانت تحتم عليه السير في هذه الطريق بسرعة ؛ إذ كان في شدة الحاجة الى المال للاتفاق على الجيش ، ودفع الجزية للباب العالى ، وارضاء أبلى الشأن فى القسطنطينية . ورأى انه لا يتم له هذا الغرض إلا اذا جعل جميع موارد البلاذ تحت سيطرته مباشرة : من زراعة وصناعة وتجارة



به في مدحه «السير مَرَى» في مذكراته (صفحة من تاريخ حياة محمد على) إذ يقول: «ان العالم الاسلامى منذ فناء دولة العرب الزاهرة من بلاد الأندلس لم يظهر فيه حاكم يضارعه في أعماله وصفاته، فَمَثَلُهُ مَثَلُ صلاح الدين في عدله وتسامحه الدينى» ويجب على من يريد أن يحكم على محمد على وما أدخله على حكومة مصر من التغيرات ، وأن يقارنهُ بنابغ من ساسة عصره الغربيين ، أن يلاحظ الزمان والمكان لكل منهما ، حتى تكون مقارنته قوية الأساس ، لا يتطرق اليها الخطأ

تولى محمد على الحكم فلم يغير ما كان عليه نظام الحكومة في عصر المماليك حتى نظام الحكومة عام ١٢٤١ هـ ( ١٨٢٦ م ) ، وهو العام الذى أدخل فيه التعديل العظيم في نظام الحكومة ، متخذاً الأنظمة التى وضعها نابليون للبلاد رائدآ له

الديوان  
الخدوى

فأنشأ ديواناً خديوياً<sup>(١)</sup> جعل مقره القلعة ، وكان يرأسه الوالى ، وينوب عنه في غيابه «الكتخدا» . وكان عمله الفصل فى الأمور التى ليست خاصة بالقاضى الشرعى أو التى لا يحتاج الأمر فيها الى عرضها على القاضى أو على أى مجلس آخر وذلك لظهورها وجلالتها . وكان هذا الديوان يفصل فى القضايا التى يعرضها ضابط القاهرة<sup>(٢)</sup> بعد تحقيقها ابتداءً فى المحارس ( القرهقولات )

ثم أنشأ مجلسين : أحدهما كان يسمى « مجلس المشاورة الملكى » ويختار هو أعضاءه بنفسه ، وكان عددهم يتراوح ما بين ٣٠ و ٤٠ عضواً . وكانوا ينظرون فى شؤون البلاد العامة ، وعليهم تُعرض القوانين قبل سنّها . ومع أن رأى هذا المجلس كان استشارياً محضاً ، تمكن به محمد على من تخفيف عبء المسؤولية الملقاة على عاتقه أمام شعبه وأمام الدول الأجنبية

وأما المجلس الآخر فكان يسمى «المجلس المخصوص» وهو بمثابة مجلس الوزراء الآن . وقد أنشأ محمد على فوق ذلك عدة دواوين أخرى تتم أسماؤها عن اختصاصاتها.

نظير  
مجلس الوزراء  
الدواوين الأخرى

(١) هكذا كان يسمى، وإن كان لم يمنح لقب «خديوى» رسمياً للوالى إلا فى عهد اسماعيل

(٢) هذا الضابط بمثابة الحاكم فى وقتنا هذا

أوربا لتعود مزودة بعلومها ومعارفها وأسرار نفوذها ، وكان في ذلك يحارب جهل الأمة حتى قضى على ما عندها من خرافة أو عادة ممقوتة ، وكان يسوق التلاميذ الى تلقى العلوم والمعارف رغم معارضة آبائهم وعويلهم كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون قام محمد على بتلك الأعمال الجليلة التي لا ينكرها انسان ، مع أنه لم ينل في صغره نصيباً من التعلم ، كما أنه لم يكن ملماً تمام الإلمام بالحضارة الأوروبية ، ولذلك لا يدهش المؤرخ خطؤه أحياناً في بعض الإصلاحات والمشروعات الصناعية ، ولا يأخذ عليه ذلك ، بل يغفر له غلطاته بملء صدره بشفاعته أعماله النافعة

تقدير أعماله

واذا قلنا بأن غرضه الأول في مصر لم يكن إلا أن ينشئ له ملكاً : ينصره بجميع الوسائل الممكنة كجمع الأموال وحشد الجنود لحروبه العدة التي لم تجن منها مصر ثمرة تذكر ، فلا يغرب عنا أنه ما لبث حتى أدرك أن لا قيام للملك إلا باصلاح مصر ، فأخلص في محبتها ، وعمل على أن ينهض بها الى مستوى الرقي والفلاح قدر استطاعته ، مقتدياً في ذلك بالدول الأوروبية العظيمة . وكفاه خيراً أنه أول حاكم شرقي أدخل المدينة الحديثة في بلاده . وكثيراً ما كان يصرح في خلال أحاديثه بمحبته لمصر وميله لرقبها . من ذلك أنه قال لأحد الغربيين أثناء حديث له :

محبته لمصر

« لا شك أنك تعلم أن مصر كانت في قديم الزمان سيدة ممالك العالم ، وعلمها الذي يهتدى به . أما الآن فقد أخذت أوربا هذه المكانة ؛ واني لأمل أن يأتي يوم تنهض فيه مصر الى مكانتها الأولى في التمدن والعمران . وما هذه الدنيا إلا صعود وانخفاض »

### الحكومة في عهد محمد علي

ان من يفكر في الصعوبة التي تعترض الحاكم عند انشائه نظام حكومة جديدة في بلاد كمصر كانت مجالاً فسيحاً للسلب والاضطهاد والفوضى ، لا يسمعه الا أن يعترف بأن ما قام به محمد علي في تلافي هذا الخلل يستحق عليه أعظم ثناء ، ويجعله في عداد كبار المصلحين : على قلة عددهم وبخل الزمان بأمثالهم . لذلك يُقابل بالقبول ما بالغ

صعوبة مهمته

## ٤ — أعمال محمد علي باشا في الديار المصرية \*

### مقدمة

علمنا ما كانت عليه البلاد من الفوضى في عهد العثمانيين ، وكيف كانت تنثن تحت ظلم المماليك وعسفهم ، وجور الجنود الأتراك الذين ساموا العباد نهياً وسلباً ، حتى عمّ الفقر ، وكثرت الاضطرابات ، وأصبحت البلاد كأنها بلا حكومة . فلم يكن اصلاح هذه الحالة بالأمر الهين على كل من أراد النهوض بالبلاد وجعلها في صف الأمم الراقية

فلما قبض محمد عليّ على زمام الأمور بمصر ، وهمّ باصلاح شأنها ، ظهرت أمامه كل هذه الصعوبات ، وعرف مقدار الاعباء الملقاة على عاتقه ، فلم يدع وسيلة في سبيل تحقيق هذه الأمنية الاّ اتخذها . وقد كان يشعر بصعوبة المهمة التي أقدم عليها ، حتى قال في حديث له عن اصلاحاته : « ان ثمرة غرسى سيجنيها أحفادى من بعدى ، لأن بلاداً عمّ فيها الاتّباك وساد ، ودُرست فيها معالم الحكومة وآثارها ، وأصبح أهلها في الدور الأول من النشء ، وبلغوا من الجهل درجة لا يتسنى لهم معها أن يقوموا بعمل نافع : لا يدخلها التمدن الاّ ببطء »

ملخص أعماله

ولو نظرنا الى الأعمال الخطيرة التي قام بها في سبيل إصلاح البلاد لدهشنا من أن فرداً واحداً وفق لكل هذه الأعمال التي لا زالت خالدة بيننا الى الآن : فهو الذى وضع أساساً متيناً للحكومة عادلة منتظمة : وأنقذ البلاد من ذلك النظام الممقوت الذى وضعه السلطان سليم ، وهو تقسيم البلاد بين الوالى المؤلّى من قبل الباب العالى وبين المماليك ، وأغاثها من جور الجنود العثمانيين الذين كانوا يغيرون على البلاد اذا تأخر ما هو مفروض لهم ، وأنشأ الطرق وحفر الترع وأصلح الزراعة ، وشيّد المعامل ودور الصناعة ، وأسس المدارس الابتدائية والثانوية والعالية ، واستحضر اليها كبار الأساتذة الغربيين لنشر العلوم الحديثة بين أبناء رعيته ، وأوفد البعث العلمية الى





فأسرّها نمر في نفسه ، وأخذ يفكر في طريقة الانتقام من اسماعيل ، حتى بيّت رأيه على أن يادب مادبة فاخرة يدعو فيها اسماعيل ومن معه . فلما تمّ له ذلك ، ولّى دعوتهُ اسماعيل ومن معه ، أمر أتباعه وأشياعه بأن يجمعوا حول نُزله حطباً ومواد ملتهبة ثم يضرّموها فيها النار . ففعلوا ، فشَبَّت النار في النُّزُل ، فدمرته وحرقت جميع من فيه ، وكان بين المحروقين اسماعيل ، الذي لى دعوته جاهلاً بنبته الخبيثة

على أن الجيش لم يظفر بقتل نمر ، ولكنه أحرق شندى بعد أن أخضع كل احراق اسماعيل وبناء الخرطوم الاقليم . وبعد ذلك بنى مدينة الخرطوم سنة ١٢٣٨ هـ ( ١٨٢٣ م ) ، وجعلها حاضرة البلاد

مقدار  
نجاح الحملة

ومما تقدم نعلم أن الحملة على السودان لم تقيم بتحقيق جميع الأغراض التي كان يرمى إليها محمد على : لأنه لم يجد في السودان ذهباً يفي بنفقات استخراجه من مناجمه ، ولأن طرق القوافل لم تثمر لكثرة الضرائب الفادحة التي كانت تجبى على البضائع عند الحدود المصرية . أما التجنيد من أبناء السودان فلم يتحقق تماماً ، لأنه جند منهم جيشاً عظيماً ، ولكن جو مصر لم يكن ملائماً لهم ، فمات عدد عظيم من هذا الجيش ، ولذلك أضرب محمد على عن التجنيد منهم وعاد الى التجنيد من المصريين وقد ازداد الاتجار بالرقيق بعد فتح السودان زيادة عظيمة ، حتى اضطرت انجارتة وفرنسا للتدخل في الأمر . فوعد محمد على أن يقضى على هذه الحرفة الشنيعة التي تنافي الانسانية ، ولذلك خرج لزيارة السودان عام ١٢٥٤ هـ ( ١٨٣٨ م ) ، وأمر بمنع بيع الرقيق جملة . ولكن رغم ذلك كله بقي الاتجار به منتشراً الى زمن قريب ولم يضمحل تماماً الا بعد الاحتلال البريطاني كما سيأتى

الرقيق

فلق اسماعيل مدداً ومؤونة من آبيه ، لانحطاط قوة الجيش ، لقلة عدده وقتور عزيمته . ذلك الى ان جنده كانوا بين قبائل شتى معادية لهم ، ولا يمكنهم أن يصدوا هجماتهم اذا ثار ثائرهم وخرجوا عليهم

لذلك كان اسماعيل قلقاً مضطرباً ، ولكن هداً روعه وسكن اضطرابه إذ علم بمدد ابراهيم بوصول المدد اليه ، فرجع قافلاً منحدرراً الى ملتقى النيل الأزرق بالنيل الأبيض حيث وصل المدد الذي أرسله أبوه تحت إمرة أخيه « ابراهيم باشا » . فلما وصل اسماعيل بجيشه والتقى بأخيه اتفقا على تقسيم العمل والجيش معاً : فكانت مهمة اسماعيل الزحف بجيشه الى أعلى النيل الأزرق بقدر استطاعته ؛ وأما مهمة ابراهيم فهي الاستكشاف عن النيل الأبيض من الجهة الغربية ؛ وكان الباعث له على ذلك رغبته في الوصول بجيشه الى المحيط الا تلتقى اذا كان النيل الأبيض متصلاً بنهر النيجر ، واذا لم يتحقق له ذلك عاد الى كردفان وعبأ جيشاً يسير به نحو الشمال مخترباً الصحراء ، حتى يصل الى طرابلس ، ومن هناك الى البحر الأبيض المتوسط . وان هذه الخطة لتدل صراحة على مقدار ما كان يطمح اليه محمد على وأولاده ، كما تدل على مقدار همهم العالية وثقتهم بأنفسهم

تومات وضل اسماعيل في زحفه على النيل الازرق الى «تومات» ، أما ابراهيم باشا فقد اعترضه مرض شديد ، حال بينه وبين تنفيذ خطته ، واضطره الى العودة لمصر بعد أن وصل جيشه الى جبل « دِنْكا » جنوباً

جبل دنكا محمد بك الدفتردار يفتح الايض وفي منتصف عام ١٢٣٧ ( ١٨٢٢ م ) أرسل محمد على جيشاً ثالثاً بقيادة صهره « محمد بك الدفتردار » لغزو كردفان ، فهزم بعض القبائل عند مدينة « بارا » ، واستولى على الأبيض ، وضم اقليم الأبيض الى مصر

وبما قام به هذا الجيش أيضاً الانتقام من « نمر » ملك شندى على نكايته باسماعيل ومن معه

وذلك ان اسماعيل وهو عائد الى مصر ظافراً منصوراً أهان نمرًا إهانة شنيعة ،

( يولييه سنة ١٨٢٠ م ) ، وكانت مؤلفة من ثلاثة آلاف راجل ، والف وخمسمائة فارس ، واثني عشر مدفعا ، وخمسمائة من عرب العبادلة تحت إمرة شيخهم « عابدين كاشف » ( وكان قد وعده محمد على بولاية دنقلة بعد فتحها ) . فتجمع الجيش في اسوان ، حيث رُتبت هناك الميرة والذخيرة ولما خرج اسماعيل باشا ( وهو أصغر أولاد محمد على ) لتولى قيادة الجيش اجتاز هو ومن معه الحدود المصرية ، ودخلوا أرض دنقلة ، حيث تقيم البقية الباقية من الممالك الذين طاردهم ابراهيم باشا كما تقدم والتجئوا الى هذا الاقليم فلما علموا بذلك انقسموا قسمين : قسماً سلم صاغراً بدون معارضة ، وآخر ركب رأسه فاراً الى كردفان ، بعد أن تشتت شمله وناله من العناد والذلة ما ناله ومما هو خليق بالذكر هنا أن ابراهيم بك الكبير مات بدنقلة قبل الحملة بزمان يسير ، وبموته انقرضت رؤساء هذا العنصر الذي حكم مصر نحو ستة قرون سار اسماعيل ويده زمام القيادة العامة ولم يعترضه في طريقه عقبات تذكر حتى وافقه كرتي وصل مدينة « كرتي » ، حيث سحق عرب الشائفة وشتت شملهم في موقعتين فاصلتين ومن ثم يعم جيشه « بربر » ، ودخلها بدون مقاومة في جمادى الثانية سنة ١٢٣٦ هـ فتح بربر ( مارس سنة ١٨٢١ م ) ، وفي ٤ شعبان من تلك السنة دخل أيضاً مدينة « شندى » التى ساءها الملك « نمر » ، وتم له اخضاع قبيلة الشائفة . وما زال اسماعيل متوغلاً في البلاد حتى وصل رأس الخرطوم ، ثم حوّل وجهه شطر النيل الأزرق . ولحسن حظه دخل « سنّار » ، وهى حاضرة اكبر اقليم في السودان ، بدون معارضة تذكر . وذلك أن سلطانها « بادی » وأخاه كانا إذ ذاك يتنازعا الملك ، فنجح اسماعيل في تثبيت عرش « بادی » ، الذى قابله بكل تجلّة وحفاوة ، ثم قبل أن يكون نائباً عن محمد على فى هذه الأرجاء الشاسعة مع الاعتراف بسلطانه . ومن هناك أرسل اسماعيل آلافاً من العبيد الى اسوان ، حيث أعدّ لهم معسكر لتدريهم على الفنون الحربية الحديثة وتفشى المرض فى جيش اسماعيل أثناء اقامته بسنّار ، حتى اضطر الى أن يطلب مرض الجيش

تاريخ مصر جزء ٢ ( ٢٠ )

هذا الى أن جنده الألبانيين كانوا خطراً عليه في كل وقت ، لأنهم كانوا لا يُنزلونه من أنفسهم الا منزلة فرد منهم ، وكان الضباط يشقّون عصا طاعته ويأثمرون فيما بينهم به ليسقطوه ، ولم يذعنوا للإصلاح الذى أدخله فى الجيش . ولذلك كان يصدّهم فى مقدمة الجيش عند الالتحام ليبيدهم وبقضى عليهم ، فبرأ بنفسه عنهم ويستبدل بهم أبناء السودان ( الذين شبّوا على الشجاعة والصبر ومقاومة أعباء الحروب ) بعد تدريبيهم على الفنون الحديثة الحربية ، لأنه اعتقد ان أبناء مصر لا يصلحون للتجنيد لما ينقصهم من الصفات التى تؤهلهم لذلك

أما الأسباب المادية فتلخص أيضاً فيما يأتى :

الاسباب المادية أراد محمد على فتح السودان ليتسنى له بذلك تجديد طرق القوافل التى كانت بين مصر والسودان فيتسع نطاق التجارة بين القطرين ، ويناله من هذه التجارة ما يفرضه عليها من ضرائب ومكوس جمّة ، حتى يسترد ما أنفقه فى محاربة الوهابيين ، ويكون ذلك مورداً دائماً من موارد خزانته ، فضلاً عما كان يسمع عن السودان وما فيه من مناجم الذهب الغنية التى يمكن استخراجها والانتفاع بها

وأن من البواعث التى حركته لفتح السودان ما رآه من أن سعادة مصر متوقفة على استحواذه عليه وضمه الى ملكه ، لأن ريف مصر متوقف رية على روافد النيل العليا ، ولذلك أصبح من المحتم أن يكون النهر وروافده تحت سلطة واحدة ، ليمكنها بذلك توزيع المياه على حسب الحاجة مع مراعاة المصلحة العامة

ولما عزم محمد على على انفاذ رأيه ، ورأى أن فتح السودان أمر من العظم يمكن ، سيّر جيشاً بادئ ذى بدء الى واحة سيوة لإخضاعها قبل الزحف على السودان ، حتى لا تكون مصدر شرّ بجواره . فسار هذا الجيش الصغير فى جمادى الأولى سنة ١٢٣٥ هـ ( فبراير سنة ١٨٢٠ م ) ، فأخضع سكان الواحة ، وصارت جزءاً متمماً لمصر من ذلك الوقت

أما حملة السودان فإنها ابتدأت السير من القاهرة فى شوال سنة ١٢٣٥ هـ

تجهيز الحملة  
وفتح سيوة



ليحول بينه وبين المؤنة والمدد . وبذلك اضطر عبد الله الى الخضوع والاستسلام تسليم عبد الله لسيطرته وسلطانه ، فسلم نفسه في ذى القعدة سنة ٨١٢٣٣ ( سنة ١٨١٨ م ) . ولم يعامله ابراهيم باشا الا بكل كرامة واحسان ، ثم أرسله الى والده بالقاهرة ، فبالغ في اكرامه أيضاً ، ثم أرسله الى الباب العالي بعد أن استرد منه كل ما سلبه من الحرم الشريف . وبعد وصوله بزمين يسير أمر به فقتل . فلما بلغ أهل الدرعية مقتل هاجوا وماجوا ، وانتثر عقد نظامهم ، فأرسل محمد علي في طلب قرابة عبد الله الى القاهرة وأجرى عليهم وظائف تقوم بمعاشهم

أما مدينة الدرعية فأصبحت أثراً بعد عين ، لأن ابراهيم باشا رأى بقاءها عامرة تخريب الدرعية حجر عثر في طريقه ، ولو تركها من غير تخريب لكانت ركنًا مكينًا ومعقلًا حصينًا لأعدائه ، فلم يبق عليها لذلك . وساعده على تخريبها الأهالي أنفسهم تقربًا اليه واسترضاء له

هكذا انتهت الحروب في بلاد العرب بعد القضاء على سلطة الوهابيين ، الذين كانوا يدعون أنهم يسعون في سبيل استرداد مجد الإسلام الضائع

### ٣ — \* فتح السودان \*

بعد أن تم النصر المبين لمحمد علي وقضى على الوهابيين القضاء المبرم ، واستأصل شأقهم من بلاد العرب ، عنت له حاجة شديدة الى فتح السودان وضمه الى سلطانه ونفوذه . وذلك لأسباب سياسية ومادية

الاسباب  
السياسية

أما الأسباب السياسية فتلخص فيما يأتي :

لما قضى محمد علي على دولة المماليك في مذبح القلعة هرب أناس كثيرون منهم واعتصموا بالوجه القبلي ، فطاردهم ابراهيم باشا حتى اجتازوا الحدود المصرية وتحصنوا في دنقلة وأقاموا بها القلاع والحصون ، وقد احتال محمد علي في القبض عليهم والإيقاع بهم فلم يفلح

انفجر مخزن ذخيرته ، فلم تفر همته ، ولم يساوره اليأس ، لأنه كان على يقين من  
استيلاء العالم الاسلامي أجمع من فظاعة الوهابيين . هذا الى أن تلك الحرب في الحقيقة  
كانت حرباً بين العنصرين التركي والعربي ، وكلاهما يود لو يضعف الآخر أمامه .  
فيميل عليه ميلاً واحدة يكون فيها القضاء المبرم عليه

بعد ذلك أخذ ابراهيم باشا يد التخریب والتدمير في ضواحي مدينة الدرعية ،

تخریب  
ضواحي الدرعية



عبد الله سعود في مرادق ابراهيم باشا

وعند عودة محمد على همّ بتنظيم جيشه على الطراز الغربي ، فأبى عليه ذلك عوده طوسون ووفاته  
الجند مقلدين الأتراك في ذلك ، ولما علم طوسون بتلك الفتن والفلاقل من جهة  
وتألب الجيش عليه من جهة أخرى عاد مسرعاً الى مصر ، وتوفى بالاسكندرية عقب  
مرض لم يمهله أكثر من عشر ساعات

وكان قبل سفره قد عقد شروط صالح مع الوهابيين ، إلا أنهم نبذوها ظهرياً ،  
ولذلك جاوز محمد على حملة أخرى على بلاد العرب بقيادة ابنه ابراهيم باشا في شوال  
سنة ١٢٣١ هـ ( سبتمبر ١٨١٦ م ) . ولم يسلك ابراهيم طريق السويس ، بل نزل  
في النيل بجنده ( في سفن أعدت لذلك الغرض ) الى قنا ، ومن ثم على ظهور الأبل  
الى القصير ، ثم الى ينبع ، ومنها الى المدينة المنورة

قد أنعم الفكرة ذلك البطل العظيم في استنباط الخطط الحربية التي وقّفت بين  
صميم عظماء الرجال ومشاهير القواد ، وأعان على تنفيذ تلك الخطط مهرة الضباط  
والمهندسين الفرنسيين . على أن والده قد أوصاه أن يحارب كل قبيلة معاضدة للعدو  
على انفراد ، ليكون بذلك أقدر على الفتك بجنودها ، وتفريق كلمتها وتمزيقها شرمزق  
كما نصح له ألا يتوغل داخل البلاد ، وحذره من الإغارة على الدرعية من طريق  
غير طريق المدينة المنورة ، ليحفظ لنفسه خط الرجعة ، وليكون وصول المدد اليه من  
السهولة بمكان . وأول وقعة التحم فيها جيشه مع الوهابيين كانت عند « الرئيس »  
سنة ١٢٣٢ هـ ( ١٨١٧ م ) وفي هذه الملحمة انهزم جيشه هزيمة لم تكن من عزمه ،  
ولم تفت في ساعده ، بل استمر سنة كاملة في كفاح وجلاء ، حتى ذلل كل صعوبة  
اعترضته في هذا المضمار . ولذلك أخضع قرى كثيرة ، وصار قاب قوسين أو أدنى  
من الدرعية حاضرة الوهابيين ، وهي على بعد ٤٠٠ ميل من المدينة المنورة التي  
اتخذها قاعدة لأعماله الحربية

وابتداً ابراهيم باشا في حصار الدرعية في جمادى الثانية سنة ١٢٣٣ هـ ( أول ابريل  
سنة ١٨١٨ م ) ، فمكث مدة يعالج فتحها وهو مستعص عليه . وفي غضون ذلك

فأخذ العُدَّة لذلك ، وتوجَّه الى الأفطار الحجازية ، ولما وصل هناك أدى فريضة الحج ، ثم علم من بعض الأفراد أن الشريف غالباً مذبذب في ولانه ، فاحتال في القبض عليه بواسطة طوسون ابنه ، وأرسله الى القسطنطينية حيث قُتل هناك بعد مدة وجيزة

ثم ابتدأ محمد على بعض مناوشات مع الوهايين لم تكن فاصلة ، وكان كلا الفريقين يخاف منازلة خصمه

وفي أوائل سنة ١٢٢٩ هـ ( ١٨١٤ م ) مات سعود الثانى ، وبموته فقد الوهايون أعظم ساعد وأكبر بطل . بلغت في مدته دولتهم شأواً بعيداً لم تبلغه من قبل ولا من بعد ، فان عبد الله ابنه الذى خلفه كان أقل منه ذكاءً وفروسية وقدرة . وكان آخر ألفاظ فاه بها سعود يوصى بها ابنه الأكبر . « يا عبد الله لا تدخل في حرب مع الترك في ميدان مكشوف أبداً ، والزم أنت وعساكرك في حربهم المواقع الصعبة حتى لا يتيسر لهم النصر ، وخذ لنفسك الحذر ، ولا راد لقضاء الله وقدره » . ولو اتبع عبد الله هذه النصيحة لما تغلب عليه المصريون قط ، إلا أنه خالف والده والتحم مع محمد على في أول واقعة عند « يئصل » حيث دارت الدائرة فيها عليه ، وذلك في سنة ١٢٣٠ هـ ( ١٨١٥ م )

ثم حصلت حوادث في هذه الفترة اضطرت محمد على أن يرجع الى مصر ، منها أنه لما علم بهرب نابليون من منفاه في « إلبا » ، وتوقع احتمال غزو الترك للبلاد المصرية ، رجع مسرعاً بطريق القصير فقنا ، ووصل القاهرة في اليوم الذى جرت فيه موقعة « ووترلو » . ومنها أنه علم أيضاً بتدبير مؤامرات على عزله وقتله ، وظن أن ذلك بايعاز من رجال الباب العالى . أما رئيس المؤامرة فهو « لطيف باشا » أحد المماليك ، وكشف سرها « الكخيا لافظ أوغلى باشا » وكان نائباً عنه أثناء تغيبه عن البلاد ، فقتل لطيفاً ومن معه بعد أن حاول الهرب والاختفاء . وكان غرضه أن يكون والياً على مصر اذا نجح في قتل محمد على



سفنه قطعاً مفككة بالقاهرة ، ثم يرسلها الى السويس على ظهور الإبل لتركب هناك وقد أفاد هذا الأسطول فائدة عظيمة إذ به يمكنه أن يسيطر على جميع ثغور العرب ويصبح في قبضته كل التجارة وطرق الحج الى بيت الله الحرام

نزلت هذه الحملة في ثغر « ينبع » بقيادة ابنه طوسون ، فلم يلقَ بها أدنى مقاومة وصول طوسون الى ينبع لأن شريف مكة « غالباً » سأمها طوع ارادته ، ومن ثم سار نحو المدينة . وكان العدو قد كمن له ، فغلب في طريقه بعد مناوشات خفيفة على قريتي « بدر » و « الصمراء » . إلا أن العدو بيته عند « الجديدة » في درب ضيق جداً وكاد يقضى على كل الجيش ، فلم يبقَ منه إلا ٣٠٠٠ جندي التجؤوا الى ينبع بعد أن أنهكهم التعب ، وهرب بعد هذه النكبة كل الألبانيين . فلما علم محمد على بذلك استشاط غضباً وأتب « صالح قوج » رئيسهم على تحاذلهم وما أظهروه من الجبن . وكان يريد الفتك بصالح قوج ، لولا ما له عليه من المآثر خصوصاً بلاءه في حادثة القلعة ؛ فاكفى بنفيه من مصر مغ من هرب معه من الألبانيين بعد أن أجزل لهم العطاء ، وكان يعتقد أنه لا يهدأ له بال ما دامت هذه الفئة الثائرة المتمردة في داخل البلاد

وفي عام ١٢٢٧ هـ ( ١٨١٢ م ) أرسل محمد على مدداً الى طوسون بطريق فتح المدينة القصير ، فسار به نحو المدينة ودخلها عنوة بعد أن دوّخ الوهابيين . وكانت هذه ضربة قاضية على سعود الثاني ، وابتدأ المذهب الوهابي يتدهور بعض الشيء . ثم ذهب طوسون توّاً الى مكة بطريق جدة ، فلم يلقَ إلا الأكرام من شريف مكة وسلمه مفاتيح الكعبة ، فأرسلها طوسون هي ومفاتيح الحجرة الشريفة الى والده ، فأرسلها الى الباب العالي يبشره برجوع الحرمين الى حوزته . وأراد بعد ذلك طوسون أن يقتنى أثر الأعداء في داخل البلاد ، فهزم الوهابيون شرّ هزيمة عند « طربة » ، وهي بلدة صغيرة شرقي مكة وعلى مقربة منها . وكانت خسائر هذه الهزيمة عظيمة جداً ، حتى ان سعوداً زحف بجيشه على المدينة ثانية وهددها بالأخذ عنوة ولما وصل خبر هذه النكبة الى محمد على عزم على أن يتولى قيادة الجيش بنفسه .

انهزام طوسون عند طربة

ولما أمن عبد العزيز جانب شريف مكة (لأنه كان لا يقوى على مقاومته) وجهه  
جُل عناية الى نشر مذهب الوهابية وتوسيع نطاق ملكه في وادي الفرات ودجلة .  
فلم يوفق الى ذلك لأن والى بغداد هزمه هزيمة منكرة ، وان كان لم يقتف أثره في  
أواسط بلاد العرب خوفاً من هلاك جيشه في وسط الصحراء . ومن ذلك الحين لم  
يجرؤ عبد العزيز على محاربة والى بغداد . إلا أنه قام في عام ١٢١٦ هـ ( ١٨٠١ م )  
وهاجم « كربلاء » وقتل رجالها واستحيا نساءها وانتك حرمة ضريح الحسين  
وسلب أشياء كثيرة . وفي العام التالي دخل مكة بدون معارضة من شريفها  
« غالب » ، وكان قد تركها وانحاز الى جدة

عبد العزيز  
ابن سعود

فتحه مكة

وفي نفس العام قام أحد المتعصبين من الأعجم واغتال عبد العزيز وهو يصلى ،  
انتقاماً لما ارتكبه من الفظائع في كربلاء ، فقام باعلاء الملك بعده ابنه « سعود الثاني »  
وهو أعظم رجال هذه الأسرة ، إذ وصلت في عصره مملكة الوهابيين الى أوج عزها  
ومجدها . وقد دخل في السنة التي تولى فيها الضريح النبوي ، ونهب كل ما فيه من  
الكنوز ، ومن هذا العهد أصبحت بلاد العرب كلها تحت سلطانه . ثم ابتداء من  
عام ١٢٢١ هـ ( ١٨٠٦ م ) يتشدد في جمع الضرائب ، حتى كره الناس حج بيت  
الله الحرام . ومن غلوه في مذهبه أنه أغلق أبواب جميع القهوات وحرّم شرب الدخان  
ولبس الحرير وغيره مما يترتب به

سعود الثاني

ومما سبق يُعلم ان ما كلفه محمد علي من قبل الباب العالي كان في الحقيقة فتح  
بلاد العرب للدولة من جديد ، وكان بقاؤه على ولاية مصر متوقفاً على نجاحه في  
اخضاع الوهابيين

مهمة  
محمد علي

### حملة محمد علي على الوهابيين

قبل أن يعمد محمد علي حملته على بلاد العرب كاتب شريف مكة ، ولما وثق من  
موالاته له ، وعلم أنه لم ينقذ الوهابيين إلا كرهاً ، جهز جيشاً عظيماً يبلغ ٨٠٠٠ من  
الألبانيين وأرسله بطريق البحر الأحمر في أسطول أعده لهذا الغرض ، كان يصنع

اعداد  
الاسطول

وأصلحهم في أعماله ، وبنوا على هذا الاعتقاد أن الاستغاثة بالذين توفوا من الأولياء الصالحاء والأنبياء إثمٌ عند الله ، وبدعة حدثت في الدين يجب استئصالها وإزالة كل أثر يقويها ، كالتنصيب التي على القبور والقباب وما أشبهها ، فأزالوها وحرّموا زيارتها والتوجه إليها والاستغاثة عندها . ويرون أن الحلف بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جريمة كبرى ، ويلعنون مَنْ يكثر من الخضوع للهوى لعناً مؤبداً ، ولا يلفظون بلفظ « سيد » للنبي صلى الله عليه وسلم في صلاتهم

أما آدابهم فهي على تقاء وصفاء ، إذ يحرمون جميع الموائع المستكرة وكل المواد المخدرة ، ويحرمون جميع أنواع الفجور والفسق والعدول عن الحق والانصاف ، والعمل بالحيل والخداع ، والاعتصاب والمقامرة . أما في شهامة التعصب الحقيقي للذين فإنهم يغارون على كل صغيرة مخلة بالذين الحق . ووجّهوا أيضاً جل قوتهم إلى تحريم الملابس الخيرية ، والترف في العيش ، وخلق الرأس ، والبكاء والنحيب على الميت

ولما أراد عبد الوهاب نشر مذهبه قام في وجهه أناس كثيرون واضطهدوه . ففرّ محمد بن سعود هارباً إلى « الدرعية » ، وهي إحدى مدن نجد وعلى بُعد ٤٠٠ ميل من شرق المدينة . فمناه « محمد بن سعود » حاكماً ، ومال إلى مذهبه فاعتنقه وعمل على نشره . وكان غرضه من ذلك أن يمدّ سلطانه على البلاد العربية ، فاتخذ ذلك وسيلة إلى مطامعه الشخصية ، فامتد سلطانه وسلطان ابنه « عبد العزيز » على جميع بلاد نجد من سنة ١١٥٩ إلى ١٢٠٦ هـ ( ١٧٤٦ - ١٧٩١ م ) . ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن عبد الوهاب عاش حتى رأى مذهبه منتشرًا في طول البلاد وعرضها ، وتوفي سنة ١٢٠١ هـ ( ١٧٨٧ م ) بعد أن بلغ من العمر الخامسة والتسعين تقريباً ، تاركاً ثمانية عشر ولداً من عشرين زوجة

وفاة  
عبد الوهاب

ولقد أقلق بال شريف مكة انتشار مذهب عبد الوهاب وازدياد نفوذ عبد العزيز ابن سعود في البلاد العربية ، فجرّد في عام ١٢١٣ هـ ( ١٧٩٨ م ) حملة على عبد العزيز كان نصيبها الفشل

في شدة الوجل خوفاً من خيبة تدبيره ، وكان قد أعد الخيل للهرب اذا لم يفلح  
وفي اثناء حدوث هذه الحوادث في القاهرة أصدر في الوقت نفسه أوامره لكل  
حكام المدير يات بقتل من يعثرون عليه من المماليك ، فكان مجموع من قُتل منهم  
بالقاهرة والمدير يات يزيد على الألف . وهكذا انقرضت هذه الطائفة التي عاثت  
في الأرض فساداً أكثر من ستة قرون أذاقت في خلالها المصريين كل صنوف  
الذل والعذاب

## ٢ — \* الحروب الوهابية في بلاد العرب \*

منشا الوهابيين من اعظم الثورات المشهورة ، واكبر الفتن الدينية التي شاهدها بلاد العرب  
من عهد القرامطة ، الثورة التي اضرم ناراها الوهابيون . وذلك أنهم أثبتوا في حماسهم  
العسكرية وشجاعتهم البدوية صفات العرب القديمة وتمسكهم بالدين . ومؤسس هذه  
النهضة رجل اسمه « عبد الوهاب » من بني تميم بنجد ، وقد أطلق على ما كان  
متمسكاً به من العقيدة « المذهب الوهابي »

عبد الوهاب وُلد عبد الوهاب صاحب هذا المذهب عام ١١٠٨ هـ ( ١٦٩٦ م ) في قرية  
تسمى « العيينة » من اقليم « العارض » . وقد جاور في أثناء شبابه بمكة والمدينة  
ومعظم مدن الشرق المشهورة ، وخاصة البصرة . ولما رأى في أثناء سياحاته العدة  
أن الدين الحقيقي داخله الفساد ، وتسلط عليه البدع والمنكرات ، عزم على إصلاح  
ما أفسده المفسدون . وكانت قواعد مذهبه وسياسته على غاية من اليجاز في  
الإصلاح الاسلامي

المذهب الوهابي وكان الوهابيون في عقيدتهم ومذهبهم على طريق أهل السنة والجماعة . والأساس  
الأصلي لمذهبهم هو توحيد الله ، واعتقاد أن النبي صلى الله عليه وسلم انسان أدّى  
ما يجب عليه من إبلاغ الرسالة ، ورفض جميع تفاسير القرآن التي لم تأت من طريق  
السنة . ومن معتقداتهم أن الناس عند الله سواء ، وكلهم عباده ، اكرههم عنده ألقاهم



بها وتسليم وسام الشرف السلطاني له . فدعا في اليوم المضروب جميع ضباط الجيش والأعيان وعدداً عظيماً من الجند . ثم دعا جميع المماليك ورؤسائهم ، وأعدّ لهم وليمة فاخرة تذكّاراً لهذا اليوم المشهود ، فاجتمع الجميع في القلعة في يوم الجمعة خامس صفر ( أول مارس ) ، وكان عددٌ من حضر من المماليك يقرب من الخمسمائة . وكان الغرض الحقيقي من دعوة المماليك التخلص من شرهم ودسائسهم ، فأسرَّ محمد علي بذلك الى « حسن باشا » و « صالح قوج » الأرناء وطهين فقط ، وفي صبيحة هذا اليوم أسرَّ به الى « ابراهيم أغا » ( حارس الباب ) . فنظّم الموكب في القلعة على الترتيب الآتي :

ابتدأ الموكب بعساكر الدلاة ، ثم تبعهم العساكر الانكشارية ، ثم الجنود الألبانية بقيادة صالح قوج ، وتلاههم المماليك ، وففرقة من الجنود النظامية . فلما صار الموكب وانفصل الدلاة ومن خلفهم من الانكشارية عند باب العزب ، أمر صالح قوج باغلاق الباب وأشار الى طائفته بالمقصود ، فأعملوا السيف في رقاب المماليك ، وقد انحصروا جميعهم في المضيق المنحدر ، وهو الحجر المقطوع في أعلى باب العزب ( بين الباب الأسفل والباب الأعلى ) الذي يتوصل منه الى رحبة سوق القلعة . وكان قد جهز محمد علي عدداً من الجند على الحجر والأسوار ، فلما بدئ بالضرب من أسفل أراد المماليك التقهقر ، فلم يستطيعوا الى ذلك سبيلاً ، وذلك لوجود خيلهم في مضيق صغير جداً لا يسع جوادين جنباً الى جنب ، وقد أعمل جنود محمد علي فيهم السيف قتلاً وقتكاً حتى فنى كل من كان منهم في القلعة

ولما قُتل شاهين بك كبير المماليك ، وعلم الناس بهذا الخبر ، أغلقوا الخوانيت ، وصارت العساكر بعد ذلك تنهب وتسلب في جميع أنحاء العاصمة ، بدعوة البحث عن هرب من المماليك للفتك بهم . ولما علم محمد علي بما ارتكبه الجنود من الساب والنهب ركب جواده ونزل بشخصه يمنع العسكر من ارتكاب هذه الجرائم . وقد حذا حذوه ابنه طوسون باشا في إيقاف الجنود عند حدها . ويقال ان محمد علي كان

اضطراب  
القاهرة

وجل محمد علي





## محمد علي في القلعة وقت مذبحة المالبك

(رسم على احدى يوسف) — عن صورة بدار الكتب السلطانية

بجيشه الى محاربة الوهابيين قبل أن يقضى على البقية الباقية من المماليك ، وخاصة بعد أن ظهر له أنهم جميعاً مزمعون على قتله . وكان قد رأى أولاً أن يتفق معهم ، وأرسل لهذا الغرض حسن باشا الأرنؤوطى يبلغهم أنه يقطبهم كل ضياعهم ، فأبوا ذلك ، ففكر فى قهرهم بحدّ السيف ، فحاربهم فى موقعة عند أسيوط انهزم فيها جيشه . إلا أن المماليك انتكث فتلهم وتفرقوا ثانية فى طول البلاد وعرضها ، فى أواخر رجب سنة ١٢٢٥ هـ ( أغسطس سنة ١٨١٠ م ) ، ولم تمضِ مدة يسيرة حتى تخدع شاهين بك ( رئيس المماليك بعد موت الألفى ) واحتال لذلك محمد على بمنحه كل الأراضى التى على ضفة النيل اليسرى من الجيزة الى بنى سويف وفيها الفيوم . فخضع كل المماليك اقتداء به ، ووقعوا على شروط الصلح فى مايو عام ١٨١٠ م ، ورجعوا الى القاهرة واتخذوا مساكنهم فى قصورهم كما كانوا من قبل

استرضاء  
المماليك  
فى الظاهر

وكان شغل محمد على الشاغل فى هذه الأثناء تخلص الحرمين الشريفين من أيدي الوهابيين . إلا أنه لم يجرؤ على تسير جندى واحد الى بلاد العرب ما دامت المماليك تهدد ولايته وتناصبه العداء . وكان على يقين من وثوبهم به فى أول فرصة تنقيب فيها الأتراك عن البلاد ، وقد تمثل له جلياً مبلغ تحفزهم لقتله غيلة عند ما وافته الأخبار وهو فى مدينة السويس مهتماً بشؤون الحملة الى بلاد العرب من « محمد بك لآل الكخية » يحذّره من المماليك ، وكانوا يريدون اغتياله وهو راجع الى القاهرة . فأخذ الحيلة ، وبدلاً من مكثه فى السويس الى اليوم الذى ضربه لرجوعه تركها فى غلَس الظلام على ظهر نجيب سريع العدو غير معلى أحداً وجهته ، ووصل القاهرة فى فجر اليوم الثانى يصحبه أربعة من الخدم . فهذه المؤامرة وغيرها جماعته يفكر فى القضاء عليهم بأية وسيلة قبل أن يسبقوه الى ذلك

سبب  
الفتك بهم

وفى شهر صفر سنة ١٢٢٦ هـ ( فبراير سنة ١٨١١ م ) جمع محمد على جيشاً مؤلفاً من ٤٠٠٠ جندي فى القاهرة بقيادة « طوسون باشا » ثنى أولاده ، لغزو بلاد العرب وإخضاع الوهابيين . ورأى أنه لا بد قبل مسير الحملة من الديار من الاحتفال

مذبحة المماليك  
بالقاهرة



على الاسكندرية . ثم سیر قائدها « فریزر » قوة لتحتل رشيد ، فغلبت عليها أولاً .  
لضعف حاميتها ، إلا أن الحامية عادت وأخذتهم على غرة وبددت شملهم . ولما علم  
محمد على بما جرى في الاسكندرية رجع من مطاردة المماليك في الصعيد الى القاهرة  
وجيز جيشاً سيّره الى رشيد ، فالتقى هو وأهالي البلاد من رشيد ودمهور وبعض أهل  
البحيرة مع الانجليز عند قرية « الحماد » ( جنوبي رشيد ) ، وهزمهم شراً هزيمة .  
ثم ذهب محمد على الى جهة الاسكندرية وأزاد أن يحاصرها ، ولكن ولاية الأمور  
الانجليز كانوا أرسلوا الى قائد الحملة بالرجوع ، فأخلى الاسكندرية بعد أن عقد شروط  
الصلح مع الوالى في دمنهور ، وتركت الحملة البلاد المصرية في رجب سنة ١٢٢٢ هـ  
( سبتمبر سنة ١٨٠٧ م ) . أما العمارة البحرية التي أرسلتها الأمة الانجليزية لاختراق  
الدردنيل فانها حطمت ولم ينبج منها الا بضعة سفن

انهزامها  
عند الحماد

رضاء  
الباب العالي  
عن محمد على

وكان من نتائج هذه الحملة رضاء الباب العالي عن محمد على . فنحى السلطان خلعة  
وسيف شرف ، وأمر بإرجاع ابنه ابراهيم اليه ( وكان معتقلاً في القسطنطينية ) وقد  
صار لهذه الإنعامات السلطانية أثر عظيم في توطيد سلطته إذ كان في هذا الوقت في  
وجل شديد من جنده ، حتى أنه استعد للاعتصام بالقلعة اذا تألبوا عليه

### \* القضاء على المماليك \*

الخوف  
من المماليك

لما وثق الباب العالي من محمد على أراد أن يستخرمه في اصلاح شؤون الدولة ،  
فأول أمر كلفه إياه اخضاع طائفة الوهابيين الذين كانوا يتدخلون في أمر الحج واحتلوا  
الجرمين الشريفين وسلبوها . وهذه الطائفة مذهب خاص سنتناول الكلام عليه فيما  
بعد . فجاءت الأوامر الى محمد على باخضاع هؤلاء القوم ، فاضطر أن يعد جيشاً أعظم  
عددًا واكثر تدريباً من الجيش الذى عنده . وأن يكون له أسطول لنقل الجنود في  
البحر الأحمر ، فوجد أن لامندوحة من زيادة الضرائب الى درجة أقصت عنه كل  
من كان ملتقاً حوله . ولقد كان مركزه إذ ذاك غاية في الخطر ، فرأى أن لا يتحرك

ولا حيلة له في دفعهم ، فإن فئة كبيرة من الضباط عاهدوا أنفسهم وأغلظوا الايمان والمواثيق ألا يخضعوا لأحد غيره ، وأن يعاضدوه ويأخذوا بناصره ولو على السلطان وقد تظلم العلماء والأشراف لدى الباب العالي والتسوا بقاء محمد على . ومن حسن حظه أن نشبت في هذه الفترة نار حرب بين الروس والترك ، فاضطر الترك بطبيعة الحال الى استدعاء أسطولهم الى المياه التركية ، فأنجز الأسطول بعد أن أجزل محمد على العطاء لأمير البحر وموسى باشا معاً . وأخيراً وصل الى مصر في ٢٤ شعبان سنة ١٢٢١ هـ ( نوفمبر سنة ١٨٠٦ م ) عهد بتأييد محمد على في منصبه والى قصر

تظلم العلماء والأشراف

تأييده في الولاية

وفي أثناء هذه الحوادث جمع الأتني بك والبرديسى شعث جيشهما ، وأوثقا عرى التحالف بينهما وبين البدو ، وشنا الغارة على محمد على في بلاد الوجه البحرى . وشجعهم على ذلك الأسطول التركى الذى كان راسياً فى المياه المصرية . فاشتبك الأتني مع فرقة أرسلها عليه محمد على ، فانهزمت عند « النجيلة » ، ثم انضم الأتني بعد انتصاره الى البرديسى وحاصروا دمنهور ، فدافع الأهالى عنها دفاعاً صادقاً ، وأظهروا شدة وبسالة لم تكن فى الحسبان ، على حين أن الأتني والبرديسى كانا يتنازعا للسيادة والأفضلية . وكان محمد على يستعد للواقعة الفاصلة بينه وبين المماليك بعد ما تخلص من الأسطول التركى كما تقدم ، فساعده السعادة وحسن الجذب بموت عدويه العظيمين : فمات البرديسى بالحى في سنة ١٢٢١ هـ ( اكتوبر سنة ١٨٠٦ م ) ، ومات الأتني فى ذى القعدة سنة ١٢٢١ هـ ( يناير سنة ١٨٠٧ م ) وبموتهما تفرق أتباعهما أيدي سباً ، وفر معظمهم الى الوجه القبلى

اتحاد البرديسى والأتني عليه

موت البرديسى والأتني

ثم وصلت الحملة الانجليزية التى اسلفنا الذكر عن سبب مجيئها الى الديار المصرية باختصار . وكان الغرض من هذه الحملة تأييد سلطة المماليك ونزع البلاد من يد الباب العالي ، ولكن كانت نتيجةها الفشل التام . والسبب فى ذلك يرجع الى غلو الانجليز فى تقدير ما كان لدى المماليك من الجند وصلت هذه الحملة فى أول المحرم سنة ١٢٢٢ هـ ( مارس سنة ١٨٠٧ م ) واستولت

الحملة الانجليزية

أول خطر يحدق به ، لأن جميع ما لديه من الجند كانوا مشاة لا يقوون على مكافحة فرسان المماليك ، خصوصاً في الخلوات حيث يمكنهم الكرّ والفرّ بكل نظام وبدون أدنى خطر ، فدبر لهم مكيده أنفذها بعض الموالين له : وذلك أنهم اتفقوا سرّاً مع رؤساء المماليك على أن يفتحوا لهم أبواب القاهرة في يوم الاحتفال بفتح الخليج : أى في الوقت الذى يكون فيه محمد على وجميع ضباطه مشغولين لاهين في الاحتفال خارج المدينة على شرط أن يدفعوا لهم مالاً في مقابل هذه الخدمة . فاعتز المماليك ووقعوا في هذه الاحبولة . فلما حل اليوم المعهود دخلوا المدينة من باب الفتوح ، فلم يجدوا في حراسته إلا ثلاثة ضئيلة من الفلاحين تغلبوا عليها بدون عناء . ثم ساروا قاصدين باب زويلة ، فلما صاروا في قلب المدينة انصبت عليهم النيران من جانبي الشارع من النوافذ وكان قد استعد لذلك محمد على ، فلما نذبوا لغلظتهم التجأ أكثرهم الى جامع برقوق ، وسألم معظمهم عند ما أمنهم الوالى على حياتهم . إلا أنه رغم ذلك ذبح معظمهم في جمادى الثانية سنة ١٢٢٠ هـ ( أغسطس سنة ١٨٠٥ م )

ثم أراد محمد على أن يجمع مالاً لإعطاء الجند مرتبهم مخافة أن يُعزل كسابقه ، وأراد أيضاً أن يجزل العطايا الى أمير البحر التركى ( وكان راسياً بأسطوله في مياه الاسكندرية ، يحمل الأوامر بمساعدة المماليك على محمد على ) . ولما رأى أنه من المحال أن يضرب الضرائب على الفلاحين ، ولا سيما أن جميع الأراضي كانت لاتزال في قبضة المماليك ، جمع بعض المال من أقباط مدينة القاهرة ، ووجد بفحص دفاتر الحساب أن الجباة منهم اختلسوا ما لا يقل عن ٤٨٠٠ كيس ، فأجبرهم على دفعها ، وبذلك أجزل العطايا الى أمير البحر التركى وأرجعه من حيث أتى ، وكان ذلك في أكتوبر سنة ١٨٠٥ م . ولم يمر على هذا الحادث إلا زمن يسير حتى عاد أمير البحر التركى نفسه يصحبه « موسى باشا » الى سلونيك ليكون والياً على مصر ، ولينتقل محمد على معه ليتولى منصب موسى باشا . فتظاهر محمد على بإظهار الطاعة لأوامر الباب العالى ، ثم ادعى أنه يتعذر عليه أن يفادر مصر توجاً ، لأن الجنود أبوا عليه النقلة ،

بالولاية . وكان في يد السيد عمر أمر العامة في جميع أنحاء مصر : لا يعصون له أمراً .  
 فأيد أمر محمد علي بنفذه وجاهاه أكثر من أربع سنين تأييداً لم يقم به أحد مثله .  
 وأرسل العلماء رسولاً الى الباب العالي ليلتمس العفو عما فرط منهم في حق الوالي  
 ويرجوا اعتماد تنصيب محمد علي خلفاً له . فعلم السلطان من ذلك مقدار ميل الأهليين  
 لمحمد علي ، وأيقن أنه أصبح صاحب الكلمة العليا في مصر ، فوافق على تنصيبه والياً  
 عليها في ربيع الثاني سنة ١٢٢٠ هـ ( يولية سنة ١٨٠٥ م ) . ولما علم خورشيد باشا  
 بهذا النبأ سأل له القلعة وتخلّى عنها

قبول  
 الباب العالي ذلك

### \* توطيد سلطة محمد علي في مصر \*

كانت لا تزال سلطة محمد علي بعد يولييه سنة ١٨٠٥ مزعزعة الأركان : لأن  
 اختياره والياً كان بالرغم من الباب العالي ، فكان أولياء الأمور في القسطنطينية  
 يتحينون أول فرصة للتخلص منه ، فانه وإن كان أدار الشؤون المصرية بالضبط  
 والمهارة ، وقام بها خير قيام ، لا يبعد أن يجاهر يوماً ما بالعصيان في وجه الباب العالي  
 كما فعل من قبل . هذا الى أن ما حاق بالمماليك من المصائب والنكبات المتتابعة جعلهم  
 يتحدون معاً على محمد علي عدوهم العنيد . ثم دهمه أمر لم يكن في الحسبان وهو ورود  
 حملة انجليزية لغزو مصر . والسبب فيها يرجع الى تحالف فرنسا مع الترك بعد توليته  
 بعام ونصف ، وكانت فرنسا إذ ذاك في حرب عوان مع انجلترا ، فأرسلت الأخيرة  
 حملة لغزو البلاد المصرية باتفاق مع حليفها الروسياء وملة أن ترجع البلاد المصرية  
 الى حكم المماليك على الأقل وتفضى على آمال الترك فيها ( وأرسلت أيضاً أسطولها  
 ليقحم الدردنيل ) . فساعد الحظ محمد علي باشا وتخلص من كل هذه الأخطار التي  
 كانت تحديق به ، الواحد بعد الآخر : فأرضى الباب العالي ، وقضى على المماليك  
 وسلطتهم ، وتغلب بمعونة الأهالي وحامية رشيد على الحملة الانجليزية

ابتداء التقلب  
 علي المماليك  
 ذكرنا سابقاً أن المماليك كانوا يهددون القاهرة في أول ولاية محمد علي ، وكان هذا



أن يدفعوا له من المال ما يقوم بحاجة أتباعه من الألبانيين . وفي هذه الأثناء جاء الى خورشيد باشا والى أمر سلطاني باستدعاء الألبانيين وقائدهم محمد على ، فتأهب هو وجنده للرحيل من الديار المصرية . فرجاء كبار الأمة وعلمائها في البقاء بمصر خوفاً من تسلط الأتراك وبطشهم ، فقبل ذلك منهم وأبى الرجوع . وفي هذه الأثناء بقاؤه بمصر رغم ارادة الدولة جمعت المماليك جموعها على مقربة من المنية ، للإغارة على القاهرة ، فولى خورشيد محمد على قائداً على الجيش الذي أعده لمحاربة المماليك ، فخاربه في عدة وقائع لم تكن فاصلة . وفي خلال هذه الحروب وصل جيش من الدلاة من قبل الباب العالي اكثر همجية وأبشع حالاً من الجيش الذي في داخل البلاد ليحل محل الألبانيين فلما علم محمد على بذلك ظن أنه وقع بين نارين ، فقفّل راجعاً الى القاهرة وواجه الجيش الجديد جهة « البساتين » و « دير الطين » ، وأخبرهم أنه لم يحضر لخلاف ولا عصيان ، ولكن لطلب النفقة والمؤونة ، وأنه يرمى معهم الى غرض واحد وهو تأييد والى والسلطان وابادة المماليك . فانخدعوا بقوله ، وأفسحوا له الطريق ، فدخل اتفاقه مع الدلاة القاهرة دخول المنتصر بعد أن اتفق مع الدلاة وأجزل لهم العطاء والهدايا فأصبحوا معه على والى . وسمح لهم بالذهاب في طول البلاد وعرضها ، يجمعون الضرائب ويأكلونها

ولما عاثت جنود الاكراد ( الدلاة ) في الأرض فساداً قام الأهالى في وجه خورشيد ، وطلبوا من محمد على أن يحميهم ويكون والى عليهم ، فقبل ذلك وشنّ الغارة على والى . فاعتصم هذا بالقلعة ، ولما لم يجد له وسيلة يتخلص بها من محمد على اجتهد في الحصول على عهد من الباب العالي بتنصيب محمد على والياً على جدة . فلم يلتفت محمد على لهذا التنصيب ، وحاصر خورشيد باشا في القلعة ، وأطلق عليها المدافع اطلاقاً ذريعاً ، وذلك في صفر سنة ١٢٢٠ هـ ( مايو سنة ١٨٠٥ م )

محاصرته  
خورشيد باشا

وحينئذ اجتمع علماء البلد ووجهائها وأقاموا محمد على والياً على مصر ، فقام اليه الشيخ الشرقاوى و « السيد عمر مكرم » نقيب الأشراف وألبسوه « الكرك » ايذاناً تاريخ مصر جزء ٢ ( ١٨ )

الاهالى يختارون  
محمد على والياً

فصفا الجو عندئذ لمحمد على ، وأصبح صاحب الكلمة النافذة في القاهرة . إلا أنه رأى الفرصة لم تكن بعد للقبض على زمام الأمور في الديار المصرية للأسباب الآتية :  
العقبات الباقية (١) أنه رأى لا بد من أن عثمان بك البرديسي ومحمد بك الألفي سيتفقان على مناوآته ، وهو لا يقوى على مكافحتهما متحدين

(٢) أن أتباعه من الجند لم تكن إلا عصابة صغيرة من الألبانيين لا تقوى على منازعة جميع المماليك

(٣) - أنه كان يُعتبر في هذه الفترة خارجاً على الدولة لاشتراكه في خلع خسرو ، وأن الدولة ربما أرسلت جيشاً لقمه والضرب على يده

فأراد أن يتخلص من هذا المأزق الحرج باذاعته أنه يريد تحرير القطر المصري من جور المماليك وعسفهم ، حتى يكون قد خدم الدولة خدمة جليلة تمحو ما مضى من سيئاته وعصيانته . ومهد السبيل لذلك أنه لما علم أن الباب العالي عيّن والياً جديداً بدلاً من الجزائري\* قام في الحال وأطلق خسرو باشا ( وكان سجيناً ) ليتولى الأمور حتى يصل والى الجديد . ولكن الجند لم يرضوا بأي حال إعادة تنصيبه والياً ، فاضطر محمد على بعد اطلاقه بثلاثة أيام أن يسفره الى رشيد ، ومن ثم أبحر الى القسطنطينية بعد أن أظهر له عجزه عن حمايته

و بعد هذا الحادث بزمن وجيز وصل « أحمد خورشيد باشا » والى الجديد ، واعترف بتوليته كل الجيش : من ترك وألبان ، وأذعنوا له بالطاعة . ولكنه أظهر بعد فترة من الزمن أنه والٍ ضعيف الإرادة غير كف ، لهذا المنصب ، وعجز كسابقه عن دفع مرتب الجند الأتراك ، فرجعوا الى السلب والنهب . أما محمد على فاتبع الطريق الأقصد ، ومنع أتباعه من الألبانيين من مصادرة الأهالى ، بل كان بالعكس يجتهد في حمايتهم من ظلم الأتراك وعسفهم . ولما رأى الأهالى ما ارتكبه الجنود ثاروا على والى والتجئوا الى محمد على ليوقف هذه المظالم ، فأمنهم على حياتهم وأموالهم بشرط

خورشيد باشا

ضممه  
ومرد الجند

التجاء الاهالى  
الى محمد على

على غرة ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وفر الباقيون . أما البرديسي فسار بجيشه ليفتك  
بالألقي في طريقه الى القاهرة ، فقابلته بالمنوفية هو وحاشيته . فأقلت الألقى من  
يده وهرب الى سورية ، أما من كان معه فقتل معظمهم وسلب كل ما معهم من  
المتاع والمال

اتبع محمد على أثناء كل هذه المكاخات التي ناصب بها السلطان ومحمد الألقى  
خطة أظهرت ما كان عليه من الدهاء والحكمة ، إذ أنه اختفى وراء الستار ، وأظهر  
البرديسي بمظهر العاصي في وجه السلطان والمهاجم للألقى بك ، مع أن محمد على كان  
يساعده في جباية الأموال اللازمة للجيش الذي كانا يستظهران به على من  
ينازعهما السلطة

ولما هرب الألقى من الديار المصرية طلب محمد على من البرديسي رواتب الجند  
وأئذره أنه اذا تأخر اضطر الى تركه وحيداً وساعد الترك عليه وانضم اليهم . فلم  
يسع البرديسي إلا تلبية طلبه ، وبذل كل جهده في جباية ما يلزم من المال بالقوة  
من التجار ، فأثار غضب الأهالي وهيجهم ، ولا سيما أن ذلك أعقب ضرائب فادحة  
جمعتها الحكومة واستعمل الجباة في استخراجها العنف والشدة معهم ، اذ كانوا  
يضررون من يمتنع منهم ، وقد يقتلونه

فانتهمز محمد على هذه الفرصة وانسأخ من البرديسي ، وأظهر استيائه لجمع هذه  
الضرائب الفادحة ، ووعد الأهالي بالأخذ بناصر الذين يعارضون في جمعها ، فمال اليه  
الناس ، وأصبح محبوباً عند عامة أهل القاهرة وأشرفها . ولما وثق من أن الرأي العام  
يؤيده ، وأن هذه أحسن فرصة للقضاء على سلطة البرديسي والتخلص منه ومن أتباعه مهاجمة البرديسي  
قام في فجر يوم ٣٠ ذى القعدة سنة ١٢١٨ هـ ( ١٢ مارس سنة ١٨٠٤ م ) هو وجميع  
من التف حوله من الجند وحاصروا قصر البرديسي ( الذي كان محصناً بالمدافع )  
فتمكن محمد على من رشو رجال مدفعية البرديسي فحوتوا مدافعهم على سيدهم . إلا  
أن البرديسي و ابراهيم بك الكبير اقتحما الطريق وفرّا هاربين الى بلاد سورية

فرار البرديسي  
وابراهيم بك

« السادات » وقعت في يد البرديسي ( وكان هذا ضيقاً عنده ) ، فاحتال البرديسي في قتله ، وتم له ذلك في شوال سنة ١٢١٨ هـ ( يناير سنة ١٨٠٤ م )

محمد الالفي

وفي الشهر التالي لمقتل علي باشا الجزائري ظهر رجل ذو سطوة وبأس وأعوان كثيرين وهو « محمد بك الألفي » الذي يُعدُّ من اكبر المماليك في الديار المصرية . وذلك أنه رجع من إنجلترا بعد أن مكث بها سنتين ، وكان قد سافر اليها عام ١٨٠٢ م مع الحملة الانجليزية . وسبب سفره أن الانجليز كانوا عاهدوا المماليك في واقعة سنة ١٨٠١ م أن يأخذوا بناصرهم ، ليتخذوهم صنائع وأعواناً لهم بمصر اذا اقتضى الحال تدخلهم في شئونها مرة أخرى . فلما رجعت الحملة صار يتغنى قوادها بفروسية المماليك وشجاعتهم وخدماتهم ، فسهل على الأمة الانجليزية تعزيز هذا الاتفاق ، وعزموا على مساعدة الألفي وحماية المماليك . فلما وصل الى السواحل المصرية علم أنه لا يمكنه الوصول الى ضالته إلا بتوحيد قوى المماليك وجعلهم تحت حماية الانجليز ، وكان ذلك لا يتم له إلا بالاتحاد مع البرديسي عدوه العنيد ، وابراهيم بك الكبير . فلما نزل عند بوقير قابله أعوانه بكل حفاوة واكرام . وإذ كان في ريبة من أمر البرديسي اتخذ مسكنه في دمياط ، وأصدر الأوامر الى أتباعه بالاجتماع في ضيعته بالجيزة ، ومعهم كل ما يمكن جمعه من العدة والعدد ، على أن يلحق بهم بعد

اتحاد محمد علي  
والبرديسي  
على الألفي

إلا أن وصوله الى الديار المصرية لم يرق في نظر كل من البرديسي ومحمد علي : لأن الأول رأى أن من الخطأ أن تكون نتيجة خلعهم واليين وقله ثالثاً أن يشاركه في السلطة مناظر كان بعيداً عن الديار أثناء حربه معهم ، وفاته أنه لو اتحد مع الألفي كما اتحد مع ابراهيم بك لاستعادوا سلطة المماليك في مصر ، لأن محمد علي غريب عن البلاد وهو وحيد لا يقوى على مقاومتهم . ولكن تدبير محمد علي ودهاء وسعوده كلها حالت دون اتفاقهم ، خصوصاً أنه رأى البرديسي في قبضته ولا داعي قط لإشراك مملوك آخر في حكم البلاد . فاتفق الاثنان على أن يتخلصا من محمد الألفي ، وفعلاً حاصر محمد علي ومن كان معه من الألبانيين قصره في الجيزة وأخذ أتباعه



لعدم قدرته على دفع مؤخر رواتب الجند، وعلى مقاومة خسرو باشا والمماليك معاً بمن كان تحت إمرته من الألبانيين . فرأى أنه من الحكمة والكياسة أن ينضم إلى عثمان بك البرديسى هو ومن معه ، فتحالفا ونصّبا إبراهيم بك الكبير نائباً عن الوالى العثمانى لكبر سنه ومكان احترامه عند المماليك ، وطرّدوا الانكشارية من مصر

اتحاده مع  
البرديسى  
على خسرو

تدخل  
والى ينبع

وكان بمصر وقتئذٍ « أحمد باشا » والى المدينة وينبع ، ماراً بها : يستمدّ والىها ويتأهب للخروج الى منصبه ، ويؤلف حملة يكافح بها الوهابيين . فاشترك فى هذه الحوادث وفى مقتل طاهر باشا ، وجعل نفسه والياً على مصر ، أو على الأقل نائباً عن خسرو ريثما يحضر من دمياط . وكاد يتم له مراده ، لولا مناصبة محمد على وإبراهيم بك له وعدم اعترافهما له بأى حق فى التدخل فى شئون البلاد . ولم يشعر بسلطته أحد لأنها لم تدم أكثر من يوم وليلة . ثم جاء التقليد من الاستانة بنبأته عن الوالى حتى يحضر ، ولكن بعد فوات الفرصة : فانهم طردوه وباقى الانكشارية من مصر ، فخرج الى الحجاز

ثم أن البرديسى ومحمد على تعاونوا على إخضاع المماليك الثائرين الذين كانوا يهددون العاصمة . وبعد أن تمّ لهما ذلك عملاً على بت الأمر فى قضية خسرو ، فأعدّ لذلك عثمان بك البرديسى جيشاً برياً ، أما محمد على فإنه جهز أسطولاً صغيراً ونزل به الى دمياط . وكان قد أخذ لذلك عدته ، وبعد مناوشات خفيفة أخذ خسرو سجيناً الى القاهرة

أخذ خسرو  
سجيناً

على باشا  
الجزائرى

ولما علم الباب العالى بسير الأحوال فى مصر استولى عليه الخوف والقلق ، واتضح له جلياً أن خسرو أصبح غير لائق لولاية مصر ، فأصدر عهداً بتولية « على باشا الجزائرى » . ونزل هذا الوالى الجديد بالاسكندرية فى ربيع الأول سنة ١٢١٨ هـ ( ٨ يولية سنة ١٨٠٣ م ) ، فرأى أنه لا يمكنه مقاومة البرديسى ومحمد على بحد السيف ، فاتفق معهما ظاهراً ، على حين أنه كان يعمل فى الخفاء على هدم قوتهما وتكوين حزب وطنى مصرى يناهض المماليك . ولكن من سوء حظّه أن بعض مراسلاته مع السيد

الهزيمة الى خسرو أعدّ مدداً أرسله بقيادة محمد على ، وكان ممن نال ثقة خسرو في هذا الحين . إلا أن عثمان بك بادر الى مناجزة الجيش التركي قبل أن يصل اليه المدد الذي كان يقوده محمد على ، وبدد شمله

خسرو ومحمد على فلما علم خسرو بالهزيمة الثانية وجه لومه الى الألبانيين وخاصة الى محمد على ، وأراد أن يحاكمه على تقصيره أمام مجلس عسكري ، وكان غرضه بذلك اغتياله ، فامتنع محمد على عن الحضور ، ومن هذا العهد ابتدأت بذور العداوة تثبت بين هذين الرجلين : تلك العداوة التي فتت في عضد الدولة ومزقت أحشاءها كل ممزق

خسرو وجنود الحامية العثمانية وبعد هذه الهزيمة الأخيرة أبت عساكر الترك الحرب كل الإباء لتأخر رواتبهم ، وثاروا وحاصروا الخزانة ونهبوا وسلبوا القاهرة ، ودخلوا القلعة ، فاعتصم خسرو بمنزله وأراد طاهر باشا قائد فرقة الألبانيين ( وعددهم ٥٠٠٠ ) أن يتوسط بين خسرو والعصاة ، فأبى خسرو وساطته ، فانضم الى العصاة عليه . ولما لم يجد خسرو لديه حينئذٍ جنداً تحميه ولى هارباً الى دمياط ، وبقي بها ينتظر فرصة يسترد بها ما فقدته فنش خسرو

ولما علم طاهر بذلك جمع رؤوس العلماء وأشرف العاصمة وشاورهم في الأمر ، فرضوا أن يكون نائباً عن الوالى عليهم ، فأعلن أنه هو الحاكم على مصر حتى يولى الباب العالي خالفاً لخسرو باشا ، وذلك في صفر ١٢١٨ ( مايو ١٨٠٣ ) . وكان من سوء طالع طاهر باشا أنه وقع في نفس الحيرة التي وقع فيها خسرو إذ لم يمكنه دفع مؤخر رواتب الجند : وبعد ٢٢ يوماً من قبضه على زمام الأحكام تألب عليه الجند ، واغتاله ضابطان ( موسى أغا وإسماعيل أغا ) بعد أن تظاهرا له من تأخير رواتب الجنود

فأصبح محمد على ، بعد هرب خسرو وقتل طاهر رئيس الأجناد غير المالك من الأرتاء وط وغيرهم ، لأن رتبته في الجيش كانت تلي رتبة طاهر باشا ، ولأنه كان محبوباً لدى العلماء والأنهالى لما كان يبيديه من العطف والحنان عليهم ، فحاز رضاهم بدفاعه ، وكاد يعلن نيابته عن الوالى لولا أن رأى مركزه لا يقل خطراً على مركز طاهر :

ابتداء ظهور محمد على

تمثل الرواية نفسها في القاهرة ، وقد احتفى معظم من بها من البكوات بالمعسكر الانجليزي فيها ، فأسعفهم القائد « رمزي » رغم إلحاح الصدر الأعظم في تسليمهم اليه ، فكانت هذه الحادثة مدعاة الى اشتعال نيران الحقد في صدور المماليك . وقد زادها لهيباً جعل « محمد خسرو » مملوك الباشا القبطان والياً على مصر في ربيع الأول سنة ١٢١٦ هـ ( يولييه سنة ١٨٠١ م ) : حصل له القبطان ذلك المنصب بتوسط الصدر الأعظم يوسف باشا لدى الباب العالي

ويعتبر خسرو باشا الوالى الجديد على الديار المصرية من أشهر رجال الترك في القرن الثالث عشر . وكان ذا حظوة عظيمة لدى السلطان . وقد خاصم محمد على مدة نصف قرن كان في أثنائها عدوه المبين لأسباب سنذكرها في موضعها . وكان من الذين يعتقد برأيهم في جسام الأمور ومعضلات السياسة كما سيجي . ولا يُعزى فشله في مصر الى قلة الذكاء والشجاعة ، بل لأنه ابتدأ حروباً داخلية في وقت كانت فيه خزائنه خلوا وجيشه غير مدرب ، على قوة عظيمة من فرسان المماليك الذين كان في قبضتهم خيرات البلاد وفيضها

ومن العبث أن نتجاهل ما كان للمماليك من المزايا العظيمة التي يمتازون بها على الأتراك في حروبهم لهم ، وذلك لأنهم التحموا بالجيوش الفرنسية أكثر من الأتراك ، فاقبضوا من طرقهم الحربية ما زادهم فوقاً على الأتراك ، ذلك الى أنهم يعرفون البلاد أكثر من جنود الترك الذين وصلوا اليها حديثاً ، وأنهم كانوا لا يزالون أصحاب النفوذ والسلطان في البلاد

فلما أراد « خسرو » مطاردتهم ونزع البلاد من أيديهم ، ظهرت كل هذه العقبات أمامه . واذ كانوا هم القابضين على أزمنة الأحكام في المديريات ، أصبح القصد اذاً من حربه لهم انتزاع البلاد من قبضتهم . فأرسل لذلك « طاهر باشا » قائد الألبانيين بجيش كان نصيبه الخيبة والفشل ، وطارده عثمان بك البرديسي قائد المماليك من الوجه القبلى الى الوجه البحرى حتى ساحل البحر . ولما وصلت أخبار هذه

خسرو باشا  
والمماليك

وقد نال إعجاب قائده والقواد الانجليز بما كان يأتيه من ضروب الشجاعة وشدة  
البأس عند هجومه على حصن الرحمانية ، إذ دخله عنوة بعد أن اضطر القائد الفرنسى  
الى اخلائه ، وكان هذا سبباً فى ترقية الى رتبة قائد فى الجيش

### \* نهوض محمد على \*

بعد اخلاء الحملة الفرنسية البلاد ورجوعها الى فرنسا ابتدأت جماعة المماليك  
تشرّيب أعناقها لأن تقبض على زمام الأمور فى البلاد كما كانت من قبل . فى حين  
أن الباب العالى كان يطمح الى طرد المماليك من الديار المصرية ، واسترجاعها بعد  
أن اغتصبت منه مدة من الزمان . لكن المقادير جاءت بعكس ما أمل الفريقان : إذ  
أراد الله أن تكون نصيباً لمحمد على

النزاع بين  
الباب العالى  
والمماليك

بدأ النزاع بين الباب العالى والمماليك عند ما أراد الأول أن يستقل بالسيادة فى  
مصر ، فاستخدم للتغلب عليهم طريقة غير مقبولة : وذلك أن القبطان حسين باشا  
دعا البكوات العظام من حزب مراد بك الى معسكر بوقير ، بعلّة التفاوض معهم فى  
صيرورة حكومة مصر ، فكان معظمهم غير مرتاح البال الى هذه الدعوة ، إلا أن  
خوفهم من نزاع السلطة كلها من أيديهم حملهم على تليتها ، وطمان خاطرهم قرب  
معسكر القائد « هنسنن » الانجليزى

محاولة الترك  
الفتك بالمماليك

قابلهم الباشا القبطان بهلل واستبشار وكرم مشواهم ، ثم دعاهم الى ركوب زورق  
له لزيارة القائد الانجليزى ، بحجة أنه يريد أن يتفاوض معه أيضاً . ولما بعدوا عن  
الشاطئ قليلاً لحقه زورق يحمل بعض الأوراق ، فاستأذنهم ليقراها على انفراد وترك  
الزورق بمن فيه من البكوات . فظهر لهم عند ذلك أنه يريد بهم سوءاً ، فأمروا النواقي  
بالرجوع فامتنعوا وأطلقوا عليهم النار ، فقتلوا ثلاثة وجرح عثمان بك البرديسى واثنان  
آخران . فلما علم القائد الانجليزى بذلك استشاط غضباً ، فاعتذر له الباشا القبطان  
بأسباب واهية . وفى الوقت الذى حدثت فيه تلك الحادثة عند ساحل البحر كانت

حماية الانجليز  
للمماليك



للسلطان من آل عثمان : لأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والإمام الواجب تنصيبه ديناً ولو لم يكن له من الأمر شيء . بخلاف الوزير أو الوالى الذين لم يكن كل منهما فى نظرهم إلا فرداً من رجال الحاشية توصل الى مركزه السامى بالخطوة أو الرشوة . لذلك نرى أن كل الفتن والقلاقل فى ذلك العهد كانت نتيجة المنافسة القائمة بين حكام الأقاليم ورجال الباب العالى ، وأن فوز أحدهم بأمنيته كان متوقفاً على حسن الحظ والإقدام والخداع ، لاعلى الكفاءة الشخصية والمواهب الطبيعية

أول قدومه  
الى مصر

بلغ محمد على الثلاثين من عمره عام ١٢١٢ هـ ( ١٧٩٨ م ) ، وكان لا يزال فى مسقط رأسه بين أولاده الثلاثة : ابراهيم وطوسون واسماعيل . وقد ذكرنا أن تجارة الدخان لم تعد عليه بربح طائل ، لذلك كان ميالاً للاحتراف بمهنة أخرى . فلم يلبث إلا قليلاً حتى دخل فى طور جديد من أطوار حياته . والسبب فى ذلك يرجع الى الحملة الفرنسية على مصر

أولاً  
في واقعة بوفير

وذلك أنه فى سنة ١٢١٣ هـ ( ١٧٩٩ م ) أعلن الخليفة الحرب على الفرنسيين لغزوهم مصر ، فأصدر الأوامر بجمع الجيوش من أنحاء الدولة ، فجمع حاكم قولة ( الشربجي ) فرقة عددها ٣٠٠ من الجنود المتطوعين ( الباش بُرُق ) بقيادة ابنه « على أغا » ، ورافق محمد على هذه الفرقة وكيلاً له عليها . فتوجهت بطريق البحر الى الدردنيل ، ومن ثمة انضمت الى عامة الجيش فى جزيرة رودس

ولما وصل الجيش الى ميناء بوفير من الديار المصرية التحم بالجيش الفرنسى ، فكانت الدائرة على الترك ، واضطروهم الفرنسيون الى الالتجاء لسفن الانجليز المرافقة لها بعد مذبحة شنيعة . وكان محمد على قد أشرف على الفرق ، ولما أن قبض الله له « السير سدى سمث » ، فانتشله من الماء بيده وأنزله فى سفينه

وبعد ذلك رجع محمد على الى بلده ، ثم عاد سنة ١٢١٥ هـ ( ١٨٠١ م ) مع

ثانياً فى حملة  
ابركرومى

جيش « القبطان حسين باشا » الذى جاء لیساعد القائد الانجليزى « أبركرومى » على اجلاء الفرنسيين . ومن هذا الوقت بقى فى مصر حتى صار والياً عليها

سنة الأولى من تاريخ حياته صحيفة بيضاء . وذلك أمر لا بد منه لمن نشأ في بلدة صغيرة لم تكن ذات شأن كبير من قبل

وقبل أن نشرح طريقة استيلاء محمد على على الديار المصرية وباداته للممالك يجب علينا أن نصف حالة الدولة العثمانية في إبان شبابه ، حتى يتمكن القارىء من الوقوف على سر نجاحه :

كانت الدولة العثمانية إذ ذاك مكونة من عدة شعوب مختلفة ، ذوى أديان متباينة ونحل متضادة : مما طرّق اليها الضعف ، وأدخل عليها الوهن والاختلال الذى كاد يبلغ أقصاه فى عصر محمد على ، إذ قد بدأ فى عهد صغره أمر د على باشا والى يانينة ، وهو أيضاً من الألبانيين : أولئك القوم الذين فتحوا الشرق بقيادة الاسكندر ، واستوطنوا مصر فى عهد البطالسة ، وهدّدوا رومية فى زمن بيروس . خرج ذلك الرجل على دولته ، فنكث قتلها ، وأفاق بالها ، واستقل بأمر البانيا مدة خمسين عاماً انتهت بقتله غيلة سنة ١٢٣٧ هـ ( ١٨٢٢ م )

حالة الدولة  
العثمانية فى أول  
عهد محمد على

وكانت كذلك جميع أجزاء الدولة مفككة العرى ثائرة على الباب العالى : فمصر والأناضول وسورية كلها كانت فى فتن وقلاقل ، وبلاد العرب مع الدولة فى حرب عوان . وكانت الولاية فى يانينة وبغداد كأمرأى مستنقين ، واستقل بالفعل فى عكا أحمد باشا الجزّار ، وشرع يحذو حذوه معظم ولاية الدولة . ووقف دولاب أعمال الحكومة الداخلية جملةً ، وكان الجيش مؤلفاً من رعاع الناس وسفليتهم ، وكان السلطان أشبه بسجين أو ألوبة فى يد وزرائه وعساكره الانكشارية ، وكان الباب العالى مكوراً ثامناً من فئة الوزراء الذين يهدّدونهم الخطر فى كل لحظة ، فقد كان كل منهم يتحين الفرص لاغتيال زميله ، أو للسعى فى عزل السلطان وتولية غيره : ليكون هو الصدر الأعظم الجديد

تلك كانت حالة الدولة بالاختصار فى شبابه محمد على ، ومنها يسهل تفهّم أطوار حياته وعلاقته مع الدولة . وبالرغم من كل هذا كان عامة مسلمى الدولة مطيعين خاضعين

## الفصل الثاني

محمد علي باشا

١ - \* نشأته ونهوضه \*

نشأته

وُلد محمد علي باشا ابن ابراهيم أغا من سلالة الألبانية ببلدة « قَوْلَة » أحد الموانئ الصغيرة التي على الحدود بين تراقية ومقدونية عام ١١٨٣ هـ (١٧٦٩ م) ، وهو العام الذي وُلد فيه « ولينجتون » القائد الانجليزي العظيم « ونابليون » الفاتح الكبير ، ولكل منهما أثر عظيم في تاريخ حياة المترجم . وأنه لمن العبد أن نسرد هنا الأفاصيل التي تعزى اليه في حداثة سنه ، إذ لم نعتز عليها في أصل يُعتمد عليه .

توفي والده ابراهيم أغا وهو في سن الطفولة ، فتولى أمره عمه « طوسون » . غير أن هذا وافته منيته بعد مدة وجيزة ، فقام بأمر تربيته أحد أصدقاء والده ، وقد تبنّاه وعُني به حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره ، فتعلم طرفاً من الفروسية واللعب بالسيف . ثم زوجه إحدى قريباته ، وكانت من ذوات اليسار . وخدم حاكم قولة واكتسب رضاه بما كان يأتيه من ضروب المهارة والحدق في جباية الأموال من القرى المجاورة التي كانت لا تؤدى ما عليها إلا بالشدة واستعمال القوة الجبرية . واعانته ثروة زوجته على الاتجار في الدخان ، فاصطحب الميسو « ليون » أحد صغار التجار ( ويغلب أنه كان وكيلاً لأحد المحال التجارية بمرسيليا مسقط رأسه ) ، وشاركه في الاتجار في هذا الصنف . فلم تعد عليه هذه التجارة بالأرباح الطائلة ، إلا أنه استفاد فائدة جمة من مرافقته للميسو « ليون » : فاكْتَسَب منه كثيراً من العادات والآداب الفرنسية التي تركت في نفسه أثراً عظيماً ، وساعدته مساعدة كبيرة في بقية أطوار حياته

هذا جل ما رواه لنا التاريخ من سيرته الأولى ، وهو يحملنا على أن نترك الثلاثين

أعضاءها الى تسعة أقسام : قسم لدرس الشؤون الزراعية ، وآخر للصناعة والتجارة ، وقسم للجغرافيا ، وآخر للآثار ، وآخر للإدارة ، وآخر لدرس الأخلاق والعادات ، وهكذا ومن أهم أعمالهم بمصر أنهم فحصوا أمر برزخ السويس وامكان شق ترعة فيه بين البحرين الأبيض والأحمر . فدرسوا المشروع درساً دقيقاً برياسة مهندسهم العظيم « لابير » ، وكتبوا فيه تقريراً وافياً كانت له اكبر فائدة للمسيو « ديلبس » الذي حفر هذه الترعة فيما بعد في عهد الخديوى اسماعيل . ولم ينجز الفرنسيين هذا المشروع إذ ذاك لوقوعهم في خطأ حسابى توهموا به أن سطح البحر الأحمر أعلى من سطح البحر الأبيض بتسعة أمتار

مشروع  
قناة السويس

ومن أعمالهم أنهم درسوا الأمراض الخاصة بالبلاد وطرق علاجها ، ولا سيما الرمد وفحصوا نظام الري وطرق اصلاحه ، ومسحوا أرض القطر ، ورسموا له خريطة عظيمة نُشرت عند عودتهم الى فرنسا .

أما بحوثهم فى الآثار المصرية القديمة فكفاهم فخراً أنهم أول من لفت نظر أوربا الى درس هذه الآثار ، وأن ما دونوه فيها كان الأساس الأول لبحوث العلماء الأوربيين بعد . وقد كشفوا كثيراً من المدن والآثار المصرية القديمة ، ورسموا لها صوراً جميلة ، وأشكالاً تبين دواخل أهم المعابد وما على جدرانها من النقوش . وكان كل ذلك طبعاً بالقلم والقرطاس ، إذ لم يكن التصوير الشمسى وقتئذ معروفاً . ولا يفوتنا أن رجال الحملة هم الذين عثروا على حجر رشيد الذى كان له الفضل الأكبر فى انجلاء تاريخ مصر القديم وفى سنة ١٢١٧ هـ ( ١٨٠٢ م ) أمرت الحكومة الفرنسية بجمع أعمال علماء الحملة ونشرها فى مؤلف واحد ، فظهرت فى ذلك الكتاب العظيم المسمى « وصف مصر » ( Description de l' Egypte ) ، فكان الأكبر وأوفى مؤلف ظهر الى الآن فى وصف الديار المصرية

الآثار المصرية

كتاب  
وصف مصر

• هذه الصور بعضها مطابق تماماً لحالة الآثار وقت رسمها وبعضها يمثل شكلها فى أيام رونقها واستعانوا فى رسمها بالنظر الى الاجزاء التى لم تهدم فى الازم واستنتاج شكل التى تهدمت بطريق المحافظة على التماثل فى البناء



فحوصروا بها ، ومات « ابركرومى » فى هذه الواقعة ، فعهد بالقيادة الى « هُتشنسن »  
وفى أثناء ذلك تقدم الجيش التركى الذى كان بالعريش . فسار هُتشنسن للانضمام  
اليه بعد أن عهد بفتح الاسكندرية الى أحد قواده  
فالتقى الجيشان بجبهة « الرحمانية » وسارا نحو القاهرة . فلم يأنس بليار من نفسه  
مقدرة على صدمه ، وعرض عليهم الصلح على أن تخرج الجيوش الفرنسية من مصر  
وتسافر مخفورة الى فرنسا على نفقة الحكومة الانجليزية . فقبل الانجليز ذلك ،  
وأُنزلت الجنود الفرنسية بقوارب فى النيل الى رشيد وبوقير ونزلوا هنالك فى السفن  
التي أعدت لهم

فدخلت الجنود العثمانية وبعض رجال الجيش الانجليزى الى مصر ومعهم من جلاء الفرنسيين  
أمراء مصر ابراهيم بك الكبير والبرديسى والآفنى والسيد عمر مكرم وغيرهم ، فامتلات  
قلوب الأمة المصرية فرحاً لتخلصهم من أذى الفرنسيين وجورهم  
أما عبد الله « مينو » فكان قد أصر على الدفاع عن الاسكندرية ، فشدد  
الانجليز والعثمانيون عليه الحصار . وانهى الأمر بقبوله التسليم والخروج من مصر بنفس  
الشروط التي سلم بها « بليار » ، فسافر بجنوده الى فرنسا فى اليوم العاشر من جمادى  
الأولى سنة ١٢١٦ هـ ( ١٨ سبتمبر سنة ١٨٠١ م ) ، وبذلك تم جلاء الفرنسيين  
عن مصر بعد أن قضوا فيها نحو ثلاثة أعوام

أعمال البعث  
العلمى الفرنسى

ذكرنا فيما تقدم أن نابليون أحضر معه الى مصر نحو مائة رجل من اكبر علماء  
فرنسا الملمين بكل فن وعلم . وكان أهم غرض من احضارهم الانتفاع بآرائهم فى كل  
ما يلزم للجيش والجلالية التي كان يرمى نابليون الى توطئتها بالبلاد . فلم يكد رجال  
البعث يبلغون الديار المصرية حتى انكبوا على دراسة جميع ما فيها من آثار ونبات  
وحوان ومعادن ورسموا كل شئ . ووصفوه وصفاً مسهباً . وقد نجحوا فى أعمالهم نجاحاً  
تاماً حتى أنه قيل فى وصف الحملة الفرنسية : « انها كانت علمية اكثر منها حربية »  
وبعد خروج نابليون من مصر عني « كليبر » بتنظيم أعمال هذه الهيئة العلمية ، فقسم

تشتت الجيش العثماني وأوقعوا بكل قسم منه على انفراده بغتة ، وكانت الواقعة الفاصلة بعين شمس ، فانهزم الترك وتبعهم الفرنسيون الى « الصالحية » ، فتقهقروا الى الشام نوران القاهرة ولما عاد كليبر الى مصر وجد أن رؤساء العثمانيين الذين بقوا بالقاهرة هم وبعض المشايخ والتجار أثاروا أهلها وعامتها على الفرنسيين ، فهاجوا وملكوا البلد وحصنوا مداخل الدروب ومنعوا الفرنسيين من دخول المدينة . فخصمت بين الطرفين مناوشات عظيمة انتهت بعد نحو ثلاثين يوماً بإبرام الصلح بينهما على أن يخرج العثمانيون الى بلادهم ، وأن يغرم العلماء والأهلون نحو عشرة آلاف ألف فرنك

أما شأن مراد بك ومن معه من المماليك في هذه الثورة فانهم جاءوا الى « دير الطين » ( الساحل القبلي ) ينتظرون لمن يكون الغلب فيكونون معه ، فلما حدث ما حدث رجعوا الى الصعيد

وبذلك رجع للفرنسيين نفوذهم في مصر ، الا أنه لم يمضِ قليل حتى قُتل الى النفوذ الى الفرنسيين « القائد كليبر » غيلة : قتله « سليمان الحلبي » أحد طلبة العلم من نزلاء السوريين ، مقتل كليبر : بإيعاز من أحد زعماء المماليك ( على ما قيل ) ، وذلك في ٢٠ المحرم سنة ١٢١٥ هـ ( ١٤ يونيه سنة ١٨٠٠ م )

مينو وسياسته فعُهد بقيادة الجيش الفرنسي الى القائد « مينو » ، وكان أقل كفاءة من كليبر ، غير محبوب من الجيش مثله ، وكان شديد الميل الى البقاء بمصر . فتظاهر باعتناق الاسلام وتسمى « عبد الله مينو » ، وتزوج بنت أحد كبار المصريين من أهل رشيد ولم يفتر الانجليز عن العمل على اخراج الفرنسيين من مصر . ففي شهر شوال سنة ١٢١٥ هـ ( فبراير سنة ١٨٠١ م ) أرسلوا جيشاً بقيادة « السير رالف أيركرومبي » فوصلت السفن الانجليزية الى الاسكندرية ، وأنزلت الجنود بمجة « بوقير » ، ثم وصل جيش عثماني وانضم اليهم . فعهد مينو بقيادة مدينة القاهرة الى القائد « إليار » وجاء بمعظم الجيش الفرنسي الى الاسكندرية . فالتحم الفريقان في موقعة فاصلة عند « كانوب » قرب بوقير انهزم فيها الفرنسيين وتراجعوا الى الاسكندرية ،



القائد كليبر

( رسم على افندى يوسف - عن صورة بدار الكتب السلطانية )

الفرنسيين إلا إذا سلموا جميع جيشهم بمصر . فكان ذلك من الغلطات التي دوتها التاريخ للحكومة الانجليزية ، إذ أن غرضهم الأصلي لم يكن إلا اخراج الفرنسيين من مصر ، وها هو ذا قد عرّض عليهم بلا ضرب ولا طعن . فأبلغ السير سدني سميث أوامر حكومته الى كليبر ، فانقطعت بذلك المفاوضات بين الطرفين

وكان كليبر بعد معاهدة العريش قد سمح لجيش الصدر الأعظم بدخول مصر ، الترك في مصر فصار وعسكر بجهة بلبيس . ثم انتشر عسكره في ضواحي القاهرة والأقاليم المحيطة بها بجمعون المعونات والضرائب ، ودخل كثير منهم المدينة ، وغفلوا عن احتلال القلاع والحصون التي أخلاها الفرنسيون . فلما تحقق الفرنسيون تغيير نية الانجليز اتهمزوا فرصة

عودة نابليون  
الى فرنسا

على أن ذلك لم يطيب من خاطر نابليون ، فإنّ انقطاع المواصلات عنه بمصر بعد تدمير أسطوله بموقعة « بوقير البحرية » ، وعجزه عن الاستيلاء على عكاء التي هي في نظره مفتاح الشرق ، وضياح أمله في فتح الهند ، كل ذلك ملأه يأساً ، وذهب أدراج الرياح ما كان له من الآمال في تكوين دولة عظيمة بالشرق . ثم ان « السير سدي سمث » كان قد أرسل اليه طائفة من الصحف الأوربية ، فقرأ فيها أن الحرب تجددت بين فرنسا والنمسا ، وأن الأخيرة استردت شمالى إيطاليا الذي كان قد استولى عليه هو قبل مجيئه الى مصر ، فعول في الحال على أن يعود الى فرنسا سرّاً ، فغادر مصر يوم ١٩ ربيع الأول سنة ١٢١٤ ( ٢٢ أغسطس سنة ١٧٩٩ ) بعد أن عهد بقيادة الجيش للقائد « كليبر »

الحالة بعد  
خروج نابليون

خرج نابليون من مصر وترك الجيش الفرنسى تهدده الأخطار من كل جانب . اذ كان عدده قد نقص كثيراً في معارك الشام وغيرها ، ودب السخط في نفوس الجند وقلّت أموال الخزينة ، وأصبح الجيش في حاجة الى الذخيرة والملابس . وأرسلت الدولة العثمانية جيشاً آخر الى العريش يقوده الصدر الأعظم ، وأسطولاً الى دمياط: تريد إعادة الكرة على مصر ، هذا الى أن المالك عادوا الى مكافئة الفرنسيين . نعم انهم في جمادى سنة ١٢١٤ هادنوا المالك الذين كانوا قد تغلبوا على معظم الصعيد بزعامه رئيسهم مراد بك بأن ولوا مراداً حكم بلاد الصعيد ، بشرط أن يكون خاضعاً لسلطتهم مستعداً لمعاونتهم ، ولكنه كان متربصاً بهم النوازل حتى يستبد في قومه بملك مصر وكان « كليبر » من أكبر قواد الفرنسيين وأعظمهم مهارة ، إلا أنه أدرك صعوبة

كليب وسياسته

التغلب على هذه الأمور ، ورأى من المصلحة أن لا يبقى بمصر ، وعرض الصلح على الصدر الأعظم والسير سدي سمث ، واتفق معهما على أن يخرج من مصر بجنوده معاهدة العريش وجميع مهماته ، ويسافر الى فرنسا على نفقة الدولة العثمانية . ويُعرف ذلك « بمعاهدة العريش » ( شعبان ١٢١٤ : يناير ١٨٠٠ ) . فلما علمت بذلك الحكومة الانجليزية استنكرت تصرف السير سدي سمث ، وأرسلت اليه الأوامر بأن لا يعقد صلحاً مع



من اعتبار المشايخ في الديوان وغيره ، وأصبح علمهم قاصراً على نشر المنشورات التي يَحْتَوْنَ العامة فيها على التزام السكينة والخضوع للفرنسيس والاعتراف بما أبداه اليهم نابليون من الجميل

وبعد أن أخذ نابليون الثورة تُفَرِّغ لتحصين مصر لصعد غارات العثمانيين . وكان هؤلاء قد أخذوا يسعون في استرجاعها ، وعقدوا لذلك معاهدة مع إنجلترا وروسيا . وعودوا في فتحها على تسيير جيشين إليها : الأول يزحف على « العريش » من جهة الشام ، والثاني يجتمع في جزيرة « رودس » ومنها ينقله الأسطول الانجليزي الى سواحل مصر . إلا أنهم أساءوا التدبير في انفاذ هذه الخطة ، اذ وصل الجيش الأول الى العريش قبل أن يستعد الثاني للقيام . فتسنى لنابليون مقابلة كل منهما على حدة بجموع جيوشه ، مع أنه كان يضطر الى تجزئتها لو وصل الجيشان في وقت واحد فلما علم نابليون بذلك أسرع بمعظم جيشه للقاء جيش الشام ، فبلغ العريش بعد أحد عشر يوماً واستولى عليها عنوة ، وسقطت « غزّة » في يده بعد ذلك بقليل . وفي اليوم الخامس والعشرين من رمضان سنة ١٢١٣ ( ٣ مارس سنة ١٧٩٩ ) بلغ « يافا » وحاصرها ، ولما رأت حاميتها أن لا قبل لهم به استأنموا اليه فأمنهم ، ولكنه غدر بهم واستعرضهم جميعاً رميّاً بالرصاص . وتلك وصمة كبرى في تاريخ حياته لا يغفرها له التاريخ مهما انتحل له من الأعذار ، وأنه انما قتلهم جميعاً ليخلص من عبء ثقل هو إطفاءهم وحراستهم

وبعد أن حصّن يافا أسرع الى حصار « عكا » فلم يقدر عليها لحسن دفاع حاكمها « أحمد باشا الجزّار » ومساعدته بحراً بأسطول انجليزي بقيادة « السير سيدنى سميث » ، فرجع عنها بعد أن حاصرها ٥٠ يوماً

ولم يكد يصل الى مصر حتى جاءه خبر وصول البوارج العثمانية الى الاسكندرية وانزال ١٠٠٠٠ من الأتراك بجهة « بوقير » يوم ٩ المحرم سنة ١٢١٤ ( ١٣ يونيه سنة ١٧٩٩ ) . فسار اليهم وهزمهم شرّ هزيمة

استفحال الثورة وقد استفحل أمر الثورة وأظهر فيها عوام القاهرة إقداماً كبيراً لم يُعهد فيهم من

قبل ، فذبجوا كثيراً من رجال الفرنسيين ، ثم تحصنوا في الأحياء الوطنية ( داخل حدود مدينة الفواطم ) ، ونصبوا المتاريس على مداخلها ، ووقفوا يدافعون عنها بما لديهم من الأسلحة والذخيرة . ولكن ماذا تجدى الشجاعة والحماسة أمام القوة والعلم ؟ فان نابليون لم يكذب يسمع بالخبر حتى طار برجاله الى مواضع المتاريس ، فصوّب عليها المدافع . ثم رأى أن التأثيرين لجهلهم لم يحصنوا التلول المشرفة على القاهرة من الشرق \* فأسرع بأرسال المدافع لتُنصب عليها ، وطاول زعماء الثورة : يطلب منهم الصلح خديعة منه لئيم له نقل المدافع الى المواقع المذكورة ، فلما أصبح الصباح ورأى الثائرون المدافع مصوّبة عليهم استولى عليهم الفزع ، وعلموا أنهم وقعوا في شرك أعمالهم . ولما انتهت المقدوفات طول المساء على حيّ الأزهر ( مقر المشايخ ومنبعث الفتنة في نظره ) هاج الأهلون وماجوا ، واضطر المشايخ الى الذهاب الى بونابرت واطهار خضوعهم له فأشبعهم تأنيباً وتعنيفاً على ما سبّبوه من سفك الدماء ، ثم أمر بالكف عن اطلاق النيران ، وأمسك الأهلون أيضاً عنه ، إلا سكان حيّ الحسينية ( ومعظمهم من طائفة الجزارين ) فانهم لما فُطروا عليه من الشدة والعنف استمروا في القتال حتى نفدت جميع مقدوفاتهم ، والفرنسيين يصلونهم طول الوقت ناراً حامية حتى ألقوا كثيراً من الضرر بحيّهم . وما زالت آثار هذا التخريب باقية الى الآن

اتخاذ الثورة ثم دخل الفرنسيين المدينة وتجوّلوا في أسواقها لاعادة النظام والسكينة . ثم دخلت

طائفة منهم الجامع الأزهر بنحيولهم ، وحطموا قناديله ، وأزالو بعض الآيات القرآنية المنقوشة على جدرانه . ثم غالوا فاتخذوا الجامع اصطبلًا لحيولهم . فعظم استياء الناس ، وأرسل المشايخ وفدًا الى نابليون يلتمسون اصدار الأمر باخلاء الأزهر من الجند . فأجاب ملتئمهم بعد التحذير والتهديد

فهدأت المدينة ، ورجعت المياه الى مجاريها ، وان كان نابليون قلل بعد ذلك

## بيان واقعة بوقير البحرية



اسباب  
الثورة

وتلخص أهم أسباب هذه الثورة فيما يأتي :

- (١) قتل الفرنسيين للسيد محمد كريم (حاكم الاسكندرية) لانتقامه بمخاطبة المليك
- (٢) غلو الفرنسيين في ضرب الضرائب وكثرة الحاحهم ولجاجهم في الاستفسار
- (٣) هدم بعض المساجد لتحسين القاهرة (٤) خوف
- الأهلين من بعض اصلاحات نابليون وحملها على محمل سيئ ، مثل هدم أبواب الحارات
- وكانت هذه الأبواب تغلق في الليل فتصير كل حارة كأنها حصن في ذاتها
- (٥) انهزام الفرنسيين في موقعة بوقير البحرية ، وسماع المصريين بأن الباب العالي
- أرسل جيشاً لفتح مصر

الألوان الثلاثة ، ونهرهم عند ما رفضوا ذلك ، أمسكوا عن مساعدته في تحسين  
العلائق بينه وبين العامة ، وأخذ سخطهم في الاستفحال  
وبينا نابليون مشتغل باصلاحاته هذه اذ جاءه نبأ تدمير الانجائز لاسطوله في  
خليج « بوقير »

واقعة بوقير  
البحرية

وذلك ان « نلسن » أمير البحر الانجائزى لم يفتر عن البحث عن الأسطول  
الفرنسى حتى عثر عليه في خليج « بوقير » في ١٧ ربيع الأول ( أول أغسطس ) ،  
فوقعت بين الأسطولين موقعة بحرية عظيمة انتهت بتدمير الأسطول الفرنسى ،  
فكانت من أهم الوقائع التى كوَّنت مجد بريطانيا البحرى . والفضل فى ذلك للابل  
العظيم « نلسن » قائد الأسطول الانجائزى ، فانه مع فَوْقَ الفرنسيس عليه فى عدد  
مراكبهم ، ونصيبهم القلاع والاستحكامات على الشواطئ لمعاونة الأسطول ، تمكن  
من شطر الأسطول الفرنسى شطرين ، أحاط بأحدهما من الجانبين وقتك به ،  
وشتت السفن الانجائزية شمل المراكب الباقية ، فلم ينج منها من الغرق أو الحريق  
إلا القليل

وكان الفرنسيس فى أول الواقعة قد أرسلوا بعض مراكبهم الصغيرة لتفري الأسطول  
الانجائزى على الاقتراب من شواطئهم المحصنة ، حتى يقع بين نارين ، فلم يعأ بهم  
نلسن ، وكان من مهارته ما رأيت . وفى هذه الواقعة جُرح نلسن فى رأسه جرحاً  
خفيفاً ومات « برويس » قائد الأسطول الفرنسى بعد أن أظهر من البسالة والاثبات  
ما يجعله فى مقدمة أعظم الرجال

ثورة القاهرة  
بلغ نابليون ذلك فحزن حزناً شديداً لانتقطاع كل اتصال بينه وبين فرنسا ، ولكنه  
أظهر الجلد واستمر فى تقوية مركزه فى الديار المصرية . وبقيت مشروعاته تلى بعضها  
بعضاً من غير أن يعأ باستياء الأهلىن ، حتى بلغ السيلُ الزُبى ، وخرج سكان  
القاهرة على الفرنسيس خروجاً عاماً فى ١٠ جمادى الأولى ( ٢٢ أكتوبر ) أى بعد  
نزولهم مصر بشهرين تقريباً





### بعض أعضاء المجلس النيابي

- |                         |                             |
|-------------------------|-----------------------------|
| (١) السيد خليل البكري   | (٢) الشيخ عبد الله الشراقوي |
| (٣) الشيخ المهدي الكبير | (٤) الشيخ سليمان الفيومي    |

( رسم على افندي يوسف — عن مجموعة بدار الكتب السلطانية )

مع نساءهم حتى اضطروهم إلى أن يفدين أنفسهم بالمال: من ذلك أن زوجة مراد بك فدت نفسها بمبلغ ١٢٥٠٠٠ ريال ، وحاول بعض الغوغاء الاشتراك مع الجند في نهب بيوت الممالك ، فقابلهم نابليون بالشدة ، فساعد ذلك على رجوع السكينة بعض الشيء .

اصلاحات  
نابليون

ولما رأى نابليون أن قد هدأت الأمور عمل على تنظيم الحكومة ، وأن يدخل في البلاد كل ما يستطيع من الإصلاحات التي تقتضيها الحضارة الفرنسية ، فنصب أحد رجاله حاكماً على القاهرة ، وجعل آخر مديراً للشؤون المالية . وأمر بتشكيل مجلس نيابي (ديوان) من الأهلين ليسترشد بهم في إدارة البلاد . وتكوّن الديوان بادي الأمر من عشرة من المشايخ . منهم الشيخ عبد الله الشرفاوي ( مؤلف كتاب «تحفة الناظرين» في تاريخ مصر ) والسيد خليل البكري (نقيب الأشراف وشيخ سجادة البكرية في ذلك الوقت) وغيرهما من أفاضل العلماء . ثم وسّع من نطاق المجلس ، فانضم إليه أعضاء يمثلون جميع الطوائف المقيمة بمصر ، ومن جماعتهم أعضاء من الفرنسيين استياء المصريين واندفع نابليون في ادخال كثير من الاصلاحات الأخرى الخاصة بالصحة العامة أو الأمن وغير ذلك ، غير ناظر لاستياء الناس أو رضاهم ، ومكتفياً باعتقاده أنه إنما يريد الاصلاح على النمط الأوربي . فمن ذلك أنه أمر الأهلين بكنس شوارعهم ورشها في أوقات معينة ، وبوضع مصباح على كل منزل ، مع تهديد كل من يخالف ذلك بالعقوبات الشديدة ، ووضع أنظمة لقيد عقود الزواج والوفيات والمواليد ، مع تأدية مغارم بكل ذلك : مما جعل المصريين يحسّون تدخله في حرياتهم الشخصية ( وكانوا لم يمهّدوا شيئاً من ذلك في عهد انظم الممالك ) . فقلّت ثقتهم بوعود نابليون ومواقفه ، وأخذوا ينظرون شزراً الى كل قانون جديد يسنّه ، خصوصاً عند ما أمر بهدم ابواب الحارات والدروب

وكان نابليون قد أخذ يحصن القاهرة ، فهدم لذلك كثيراً من الآثار والمساجد ، فزاد استياء الأهلين ، ولما جمع العلماء وكلهم تعليق شارحات الحكومة الفرنسية ذات

هذه هي الموقعة التي تعرف عند المصريين بواقعة « أنبابة » وعند الفرنسيين بواقعة « الاهرام ». استمرت أقل من ساعة من الزمان ، فكانت كما رأيت القاضية على الممالك ولم يخسر فيها الفرنسيين غير عشرة قتلى وثلاثين جريحاً ، فكانت اكبر برهان على فضل الأنظمة الحربية الحديثة وفوقها على شجاعة القرون الوسطى وإقدامها ولم يكبد ابراهيم بك يسمع بهذه الكارثة حتى أسرع بالتأهب للفرار من القاهرة وحذا حذوه بقية الممالك . ثم ازداد الفزع فتبعهم معظم الأهالي ، وظل الناس طول الليل يخرجون بنسائهم وأطفالهم من المدينة ، بعضهم قاصد الى الصعيد ، وبعضهم الى جهة بلبيس والسويس ، وفي هذه الطريق سار ابراهيم بك

بعد الواقعة

وفي الصباح ( ٨ صفر ) اجتمع علماء المدينة بالجامع الأزهر ليتداولوا في الأمر ، فسليم القاهرة فقرروا على التسليم ، وذهب وفد منهم ومن الأعيان الى نابليون بونابرت بالجيزة يخبره بالأمر . فأحسن مقابلتهم ، وأمنهم على حياتهم ومالهم ودينهم بعبارة تشبه عبارات المنشور ، مؤكداً أنه صديق المصريين والسلطان ، وأنه ما أتى إلا لتخليصهم من نير الممالك الظلمة

ولما سمع أهل المدينة بذلك هدأ روعهم ، وأرسلت الزوارق الى الجيزة ، فجاءت بمعظم الجيش ، فنزل قسم منه بالقلعة . ثم دخل نابليون نفسه القاهرة بعد أن ترك « ديزيه » لحماية الشاطئ الغربي ، ونزل بقصر محمد بك الألفي على شاطئ بركة الأزبكية ( حديقة الأزبكية الآن )

استئصال  
شافة الممالك

ورأى نابليون أن يبدأ باستئصال شافة الممالك : فأرسل « ديزيه » في فرقة من الجيش لمطاردة مراد بك بالصعيد ، وأرسل أخرى في طلب ابراهيم بالشرقية ، فلم تقوَ عليه لقلة عددها ، واضطر نابليون أن يذهب اليه في جيش بنفسه . فقابله ابراهيم بك بالصالحية ، فانهزم واضطر الى الفرار جهة الشام ، بعد أن كبد الجيوش الفرنسية خسارة كبيرة

ثم عاد نابليون الى القاهرة ، واستولت رجاله على أملاك البكوات وأموالهم وتشددوا

عن ذلك كما غفلوا عن غيره من الحيل الحربية ، واعتمدوا على شجاعتهم وانتصاراتهم القديمة ، ونسوا أنهم إنما يحاربون دولة في مقدمة دول أوروبا : لها من الدراية بالفنون الحربية الحديثة ما تذوب أمامه كل شجاعة ، ويفنى به كل استبسال . وضل نابليون الى « اناباة » في اليوم السابع من شهر صفر ( ٢١ يولية ) ، فرأى المماليك أمامها في انتظاره ، وقد مثلوا الجوبصياحهم وحماستهم . وبريقُ دروعهم وملابسهم المطرزة بالقصب يتلألأ في الشمس فيزيد منظرهم روعة ومهابة ، ورأى وراءهم الأهرام تتجلى في الصحراء وتذكر القادم بأنه في أرض الفراعنة الأقدمين ، فأشار اليها وقال محرضاً جنوده على القتال : « أيها الجند ، إن أربعين قرناً تنظر اليكم من قمة هذه الأهرام » فكانت هذه الكلمة من أشهر كلماته الماثورة

ورأى نابليون ان المماليك يتأهبون لمهاجمته من الأمام كعادتهم ، فقسّم جيوشه فرقاً كل منها على شكل مربع مجوّف ، وساقها على المماليك ، على هيئة هلال : يستعد وسطه للقاء قلب المماليك ، ويحيط طرفاه بمجنّاحيهم

فأدرك مراد بك قصده ، فأمر أبسل قوّاده « أيوب بك الدفتردار » أن يهاجم الفرقة التي أرادت الالتفاف حولهم من الغرب . فانطلق أيوب بك على الفرنسيين برجاله انطلاق السهام ، فأفسح لهم هؤلاء الطريق حتى صاروا في وسط المربع ثم أصلوهم ناراً حامية من ثلاث جهات ، ففتكوا بهم فتكاً ذريعاً

ثم هجم قلب الجيوش الفرنسية على خنادق المماليك واستولوا عليها بروؤوس الحراب وساقوا فرقة أخرى للاحاطة بالمماليك من الشرق . فلما رأى مراد بك أن الفرنسيين كادوا يحيطون به ، وأن طرفي هلال جيوشهم آخذان في الاقتراب ، بادر بالتهمةقر ، واضطر الى ترك مئات من رجاله في الميدان ، فحصرهم الفرنسيين بينهم وبين النهر وما زالوا بهم حتى أفنؤهم قتلاً وغرقاً

ولم يستطع مراد بك بعدُ استئناف القتال ، فأمرع الى منزله وأخذ ما قدر على حمله من المال والنفائس ، وقصد الى الصعيد





تأليوم أمان الأهرام

( رسم على أفندي يوسف - عن صورة بدار الكتب السلطانية )

واقعة شبراخيت ( بعد الرحمانية ) ، فالتقى هنالك قبل وصول نابليون بأسطول المماليك وجيشهم المؤلف من ٤٠٠٠ فارس على رأسهم «مراد بك» . فوقع الأسطول الفرنسى بين نارين ، وكاد المماليك يفتكون به ، لولا أن اشتعلت النار بذخيرة إحدى سفن المماليك ، فعاقهم ذلك حتى وصل نابليون . فقسم جيشه الى خمس مربعات ، وأمسك عن اطلاق النار ، حتى أقدم عليه فرسان المماليك بشجاعتهم المعتادة ، ولما صاروا على مرمى مدافعه أطلقها عليهم ، فكانت تحصدهم حصداً ، فاضطر مراد بك الى الانحياز الى القاهرة بمن بقي من رجاله ( ٢٩ المحرم : ١٤ يولييه )

وكان أهل القاهرة قد استولى عليهم الجوع منذ نزول الفرنسيين الى أرض الاسكندرية ، فلما جاءهم نبأ انهزام مراد بك بشبراخيت وتقهقره الى القاهرة هاجوا وماجوا . وأخذ الكثير منهم يفرون من المدينة . ولما سمع « ابراهيم بك » بتقهقر زميله شرع فى تحصين « بولاق » ( فرضة القاهرة فى ذلك الحين ) ، وعمل على نصب المدافع على النيل بين بولاق وشبرا . وأقبل عليه الاهلون يساعدونه بكل ما لديهم من الوسائل ، فاكتظت بهم بولاق حتى كان يخيل للناظر أن سكان القاهرة انتقلوا اليها . وكان الجميع يزدادون فرحاً كلما سمعوا باقتراب الفرنسيين ، فامتلاً الجو بصياحهم وعويلهم وتضرعاتهم ، والعقلاء منهم ينصحون لهم بالتزام السكينة ، ويذكرونهم بأن ذلك لا يجدى نفعا ، وأن النبى وأصحابه كانوا يقاتلون بالسيوف والرماح ، لا بالعويل والصياح

استعداد  
المماليك

أما مراد بك فانه استعد للقاء الفرنسيين ببلدة « انابة » من أعمال الجيزة وخندق بها ، ونصب المدافع أمام عسكره مخافة أن يحصل له ما حصل بشبراخيت يوم هاجم الأعداء بفرسانه من غير المدافع

واقعة انابة  
او الاهرام

وقد كانت تجزئة المماليك لقواهم على الوجه المتقدم من اكبر غلطاتهم ، إذ كان خير طريقة لهم أن يجمعوا كل قواهم على الشاطئ الشرقى وينظروا قدوم العدو ، فيضطرونه الى عبور نهر النيل العظيم ، فيهاجمونه مجتمعين أثناء عبوره . ولكنهم غفلوا

يزعمون ان الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين . ومع ذلك الفرنساوية في كل وقت من الاوقات صاروا محبين لمخلصين لحضرة السلطان العثماني واعداء أعدائه ، ادام الله ملكه . ومع ذلك ان المماليك امتنعوا من طاعة السلطان غير ممتثلين لأمره . فما اطاعوا اصلا الا لطمع انفسهم . طوبى ثم طوبى لاهالى مصر الذين يتفقون بمعنا بلا تأخير ، فيصلح حالهم وتملو مراتبهم . طوبى ايضا للذين يقعدون في مساكنهم ، غير مائلين لاحد من الفريقين المتحاربين . فاذا عرفونا بالاكثر تسارعوا الينا بكل قلب . لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك في محاربتنا فلا يجهدون بعد ذلك طريقا الى الخلاص ، ولا يبقى منهم اثر

الزحف  
على القاهرة

ترك نابليون « كليبر » بالاسكندرية وشرع في الزحف على القاهرة في ٢٣ المحرم ( ٧ يولية ) . واختار لذلك طريق الصحراء الغربية . مخترقاً مدينة « دمنهور » . وكان قد أرسل قسماً من جيشه بطريق الساحل الشرقى للاستيلاء على « رشيد » (١) وعزّزه بأسطول من المراكب الصغيرة . حتى اذا تم لها فتح المدينة سار الأسطول في النيل وبجانبه الجيش لينضم الى جيش نابليون عند « الرحمانية » . وجد « نابليون » في البر حتى وصل الى دمنهور ، بعد ان لاقت جيوشه من التعب والحر والظمأ ماذهب بقواهم (٢) وزاد من سحقهم ، فاستراحوا بها يوماً ثم واصلوا المسير نحو الرحمانية فجر يوم ٢٦ المحرم ، وقبل وصولها التقوا بشرزمة من المماليك لم تكد تشتبك معهم حتى فرّت أمام نيرانهم الحامية

الوصول  
الى الرحمانية

ولما وصلوا الى الرحمانية رأت جنود نابليون النيل لأول مرة ، فهرولوا اليه يطفئون ظمأهم ، ويمتعون به أبصارهم التي ملّت الصحراء ورمالها ، وأبدوا رغبة عظيمة في البقاء طويلاً بالرحمانية . فرأى نابليون أن يبقى بها بضعة أيام ريثما يلحق به الجيش والأسطول اللذان ذهبا لفتح رشيد

الاستيلاء  
على رشيد

وكان هذان قد نجحا في مهمتهما . وسار الأسطول في النيل ، وانضم الجيش الى نابليون . ثم سار الجيش ازاء الأسطول على ضفة النيل الغربية . الا أن الريح كانت شديدة ، فسأقت الأسطول أمام الجيش حتى وصل منفرداً الى « شبراخيت »

(١) وكانت اذ ذاك مدينة تجارية عظيمة وتمتاز عن الاسكندرية بكثرة حدائقها وجمال منظرها  
(٢) لان اكثر الترع كان نيلىا



فى صدق نيته ، وأخذوا يهرعون الى القرى والبلاد التى بمعزل عن طريق الفرنسيين حتى لا يقعوا فى حبال مكايدهم . ومما قلل من ثقة الأهلين بهذا المنشوران نابليون كان وعدهم عند استيلائه على الاسكندرية بعدم التعرض لحريتهم وتقاليدهم ، ولكن ما لبث أن جرّدهم من السلاح وأمرهم أن يحملوا على صدورهم شارة الجمهورية الفرنسية ( وهى قطعة مستديرة من القماش مؤلفة من ثلاثة الألوان : الأزرق والأبيض والأحمر ) وهما هى بعض عبارات هذا المنشور العجيب ، نقلاً عن كتاب المؤرخ الشهير الشيخ عبد الرحمن الجبّرى الذى كان معاصراً لهذه الحملة :

بسم الله الرحمن الرحيم . لا اله الا الله ، لا ولد له ولا شريك له فى ملكه . من طرف الفرنسية المبنى على أساس الحرية والتسوية . السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنسية بوناپارته يعرف أهالى مصر جميعهم ان من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون فى البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنسية ، ويظلمون تجارها بأنواع الايذاء والتعدى . خسر الان ساعة عقوبتهم . واحسرتاه ، من مدة عصور طويلة هذه الزمرة الممالك المجلوبين من بلاد الابازة والجراكسة يفسدون فى الاقليم الحسن الاحسن الذى لا يوجد فى كرة الارض كلها . فأما رب العالمين القادر على كل شئ . فانه قد حكم على انتضاء دولتهم . يا أيها المصريون ، قد قيل لكم اننى ما نزلت بهذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم ، فذلك كذب صريح ، فلا تصدقوه ، وقولوا للمفترين اننى ما قدمت اليكم الا لاخلص حقكم من يد الظالمين ، واننى اكثر من الممالك أعبد أنه سبحانه وتعالى واحترم نبيه والقرآن العظيم . وقولوا ايضا لهم : ان جميع الناس متساوون عند الله ، وان الشئ الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط ، وبين الممالك والعقل والفضائل تضارب ، فاذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا ان يتكلموا مصر وحدهم ويختصوا بكل شئ أحسن فيها : من الجوارى الحسان والحبل العتاق والمساكن المفرحة . فان كانت الارض المصرية التزاما للمالك فليرونا الحجة التى كتبها الله لهم . ولكن رب العالمين رءوف وعادل وحليم . ولكن بعونه تعالى من الان فصاعداً لا يياس أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية . فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيدرون الامور ، وبذلك يصلح حال الأمة كلها . وسابقا كان فى الاراضى المصرية المدن العظيمة والحلجان الواسعة والمتجر المتكاثر ، وما ازال ذلك كله الا الظلم والطمع من الممالك . ايها المشايخ والقضاة والائمة والجربجبة واعيان البلد ، قولوا لامتكم : ان الفرنسية هم ايضا مسلون مخلصون ، اثبات ذلك انهم قد نزلوا فى رومية الكبرى وخرّبوا فيها كرسى البابا ، الذى كان دائماً يحث النصارى على محاربة الاسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطرّدوا منها الكوالمرية الذين كانوا



فأعرب السيد محمد كريم عن رغبته في خدمة الجمهورية ، وأبقاه نابليون في منصبه تحت إشراف « الجنرال كليبر » ( وكان هذا قد اضطرَّ الى البقاء بالاسكندرية لخرج أصابه وقت مهاجمة الأسوار ) .

مال الجند  
من المدينة

ولم تكد الجنود الفرنسية تنزل الى المدينة وتبجول في أنحائها حتى لحقهم الملل واستولت عليهم الكآبة ، فإنهم ( فضلاً عن تألمهم من الحر الشديد الذى لم يعتادوه في بلادهم ، والذى كان بالطبع على أقصى درجاته في هذا الفصل من السنة ) لم ترق المدينة في أعينهم ، ولم يجدوا فيها شيئاً من العظمة والبهاء ؛ مما سمعوا به قبل مجيئهم وكان من مميزات الاسكندرية في القرون الأولى ثم ذهب باضمحلال شأن المدينة على مدى الأيام . وكل ما وقع عليه نظرهم من شوارع ملتوية ، وأزقة ضيقة قدرة ، وآثار مهملّة ، وملابس وأزياء لا تنطبق على ذوقهم الفرنسى ، لم يزد هم إلا قنوطاً واعتقاداً بأنهم مسخرون في غزوة لا فائدة فيها

نشاط نابليون

على أن نابليون ذاته لم يظفر عليه شيء من ذلك ، بل بقى ثابت الجأش ، كله حركة ونشاط ، ولم يكد يتم له الاستيلاء على الاسكندرية حتى أمر بانزال كل المعدات الحربية الى البر ، كي لا يفاجئه « نلسن » على غير أهبة . ثم التفت الى تنظيم حكومة الاسكندرية ، فعهد بإدارة شؤونها الى ديوان ، فشكّل من سبعة أشخاص مختارين . وأمر بانزال جماعة العلماء الذين معه ، وكلفهم مباشرة البحث والتنقيب بالاسكندرية ، ريثما يتم له فتح العاصمة فيستدعيهم اليها ، فشرعوا في عملهم بكل همه ونشاط . ومن أنفع ما بدعوا به أنهم رسموا مصوراً وافيّاً للاسكندرية وضواحيها

وقبل أن يزحف نابليون بجيشه الى القاهرة أمر بكتابة منشور بالعربية ليلقى به منشور نابليون الى المصريين السكينة في قلوب الأهلين ، وعهد بكتابه الى المستشرقين من علمائه ، وطُبع بالمطبعة العربية التي معهم . وقد رأى نابليون في هذا المنشور أن يُخضع المصريين من باب الدين واحترامه لعقائدهم وخليفة نبيهم ، فغالى في مضاعفهم حتى شك معظم الأهلين

نزول الفرنسيين  
بالاسكندرية

هذا ما كان من أمر الممالك . أما العماره الفرنسيه فانها وصلت أمام الاسكندرية في اليرم الثامن عشر من المحرم ( أول يولييه ) . وعند ذلك أرسلت زورقاً الى الميناء يطلب التفصل الفرنسي ، فتردد « السيد محمد كريم » أولاً في تسليمه ، ثم أذن له بالذهاب . فعلم منه نابليون ما كان من أمر العماره الانجليزيه وما يعده الممالك للدفاع عن البلاد . فأقرّ على انزال جيشه الى البرّ في الحال ، واختار لذلك نقطه غربي الاسكندرية بنحو ثلاثه أميال ( العجمي الآن ) ، فسار بأسطوله اليها وشرع في انزال رجاله وعدده ليلاً بكل سرعه ، فتم له ذلك من غير أن يعترضه أحد . وبعد أن استراح برهه على الرمال جرد قسماً من جيشه وسار على الأقدام قاصداً الاسكندرية . فقاتلهم قبيل الفجر بعض فصائل من عرب « أولاد على » ، تبادلوا معهم بعض الطلقات ، ثم فروا مذعورين ، فاستمر الجيش في السير نحو الاسكندرية ، حتى صار على مقربة من أسوارها

مهاجمة اسوار  
الاسكندرية

فقاتلهم حامية المدينة بما لديها من وسائل الدفاع . فقسم نابليون رجاله الى ثلاثة أقسام وهاجم بهم الأسوار هجومًا عامًا من اليمين واليسار والقلب ، فدخلوا المدينة عنوة ، وانسحب الحاكم ورجاله الى قلعه « فاروس » في طرف الميناء الشرقيه ( قايتباي الآن ) . ولما دخل الفرنسيون المدينة مخترقين شوارعها الضيقه ، أمطروهم الأهليون من نوافذ المنازل والبلات من المقذوفات ، فقاتلهم الفاتحون بأشد منها ، وكادوا يفتكون بالعباد فتكاً ذريعاً ، لولا أن أرسل نابليون رسولا الى الاسكندريين ، يؤمنهم على أموالهم وأرواحهم ودينهم ونفاليدهم ، وأخبرهم بأن فرنسا لا تقصد سوءاً إلا بالممالك ، وانها تحرص على مودة الأهلين وودّ سلطانهم الأعظم . فهدأ الناس خفناً للدماء ، واستسلم اليه السيد محمد كريم ، قلعه ما بقي معه من الذخيره . فأكرم نابليون مشواه ، وقال له : « قد أخضعتك بالقوة ولي أن أعاملك معاملة الأسير ، ولكن نظراً لما أبدته من الشجاعة ، ولأن الشجاعة حليفه الشرف ، أردت اليك سيفك ، أملاً أن تخلص للجمهوريه الفرنسيه بقدر ما أخلصت لتلك الحكومه العثمانيه » .

محمد كريم بحسن نيّة الانجليز ، وامتنع عن اجابة ملتسمهم ، وأجابهم بصراحة  
 نلسن  
 بالاسكندرية  
 ( ما كانت لتغنى عنه شيئاً لو قصد الانجليز بالبلاد سوءاً ) إذ قل : « ان مصر بلاد  
 السلطان . وليس للفرنسيين أو سواهم شيء فيها ، فاذهبوا أنتم عنا »

ولما كان هم نلسن منصرفاً الى مطاردة الأسطول الفرنسى ، لم ير داعياً الى  
 استعمال القوة فى الاسكندرية وأقلع عنها مؤقتاً ليتجول قليلاً فى البحر الأبيض  
 المتوسط ويأخذ من بعض جزائره ما يحتاج اليه من الزاد

ومضى اسبوع بعد اقلاع العمارة الانجليزية ولم يظهر فى المياه المصرية أحد من  
 الأعداء ، فبدأ روع الناس بالاسكندرية والقاهرة . وبينما هم كذلك اذا بالعمارة  
 الفرنسية العظيمة قد لاحت أمام الثغر الاسكندري ، فعاد الفزع وزاد على ما كان ، وبعث  
 حاكم المدينة بالرسل الى القاهرة على جناح السرعة ، يستنجد مراد بك و ابراهيم  
 بك ، ويصف لهما حرج الحالة وهول العمارة الفرنسية ، وقال عنها انها « لا يعرف  
 أولها من آخرها » .

فلما وصل الخبر الى مراد بك أسرع الى مقابلة ابراهيم بك بمنزله ( مستشفى تدبير الممالك  
 قصر العيني الآن ) ، فبادر الى عقد جمعية عمومية من كبار البلاد ، ليتداولوا فيما  
 يجب عمله لصد الأعداء . فاجتمعت الجمعية توافاً من كبار الممالك والعلماء ، وحضرها  
 « بكر باشا » والى السلطان بمصر \* . وبعد أن تابحا فى الأمر قرّروا على أن  
 يسير مراد بك الى الاسكندرية لصد الأعداء ، وأن يبقى ابراهيم بك بالقاهرة للدفاع  
 عنها لو اقتضى الأمر ذلك

\* كانت السطوة الحقيقية فى هذه الايام للممالك . ولكن لما كان هؤلاء يعلمون انهم  
 أجانب عن البلاد ، بعيدون عن أهلها فى الشعور والامادات ، خشوا ازدياد الجفاء بينهم ، وعملوا  
 على اكتساب مودة العلماء ليحببوا فيهم الاهلين ، فكانوا يشاورونهم فى الامر ، ويصفون  
 لرغباتهم ، حتى صار للعلماء قول مستمع فى ادارة شؤون الحكومة  
 أما والى فلم يكدهم يكون له من الامر شيء سوى تسلم الجزية وارسالها الى السلطان .  
 وكان الممالك دائماً يرتابون فى اخلاصه لهم ويخشون دسائسه لدى الباب العالى ، حتى ان « مراد بك »  
 قال لبكر باشا فى هذا الاجتماع الذى نحن بصدده : « ان الفرنسيين ما قدموا الى هذه البلاد  
 الا برضاء الباب العالى ، ان لم يكن بايماز منه »



نلسن

الانجليزى ، وأوجسوا منه خيفة ، اذ لم يكن لهم علم بعزم الفرنسيين على غزو بلادهم . وشاركوا أيضاً فى أمر استسلام الانجليز عن محى الأسطول الفرنسى ، فلم يعرفوا لاهتمامهم هذا علة . وذلك يدل على الدرجة التى وصلت اليها مصر فى تلك الأيام من قصر النظر وقلة الدراية بأخبار العالم والتنافس الحاصل بين ممالكه . فأكد رجال « نلسن » للحاكم أن الأسطول الانجليزى ما أتى الى هذه البلاد الا ليدفع عنها الأسطول الفرنسى ، وأن غاية ما يبغيه الانجليز أن يسمح لهم بانتظار الأسطول الفرنسى خارج الميناء ، وأن يشتروا من المدينة بالمال ما يحتاجون اليه من الزاد . فلم يقتنع السيد



لها نحو ٤٠ ألف مقاتل ، عليهم ضباط من نخبة قواد فرنسا : مثل « كليبر » و « ديزيه » و « مينو » و « مورات » . وأعدت لها أسطولاً كبيراً جعل على رأسه القائد العظيم « برؤي » ، وسلّحه بالكثير من المدافع والذخيرة . واصطحب معه كذلك من لا يقلون عن مائة رجل من أعظم علماء فرنسا : جمعهم من أكبر اساتذة كل علم وفن ، وجهزهم بكثير الكتب والآلات العلمية ، مما رأى أن يكون له فائدة في الاستكشاف عن حال مصر خاصة والشرق عامة ، ومن أهم ماعنى باحضاره معهم مطبعة عربية كان للحملة منها فوائد كبرى

وفي اليوم الثاني من ذى الحجة سنة ١٢١٢ هـ ( ٩ مايو سنة ١٧٩٨ م ) أفلح نابليون بهذه القوة من ميناء طولون ، وانضمت اليها بعض المراكب من الجهات الأخرى ، وقصد جزيرة مالطة ، فاستولى عليها بلا عناء ، وكانت اذ ذاك في يد « فرسان القديس يوحنا » وترك أحد قواده حاكماً عليها ، ثم غادرها

وكان إعداد هذه الحملة قد تمّ وعلمه بعض الدول ، غير أنه لم يعلم بمقصدها أحد وأوجست إنجلترا منها خيفة ، وظنت انها ربما تقصد شواطئ « إرلندة » رجاء الإغارة على الجزائر البريطانية ، فهدت البحرية الانجليزية الى « نلسن » أمير البحر الانجليزي العظيم بأن يقننى أثر هذا الأسطول الفرنسى ، وأن يتلحق به كل ما أمكنه من الضرر ، فتلقى « نلسن » هذه التعليمات ، ولكنه لم يبحث عن نابليون غربى البحر الأبيض حيث ينتظر وجوده لو كانت وجهته الحقيقية إرلندة ، بل أذاه ذكاؤه الفطرى أن يقصد « مالطة » . فلما وصلها وجد أن نابليون قد غادرها بجيشه منذ خمسة أيام ، وأنه سار شرقاً . فأدرك أن وجهة نابليون لابد أن تكون مصر ، ورأى أن يتبعه اليها . وبالفعل وصل بأسطوله الانجليزي الى الاسكندرية يوم ٨ المحرم سنة ١٢١٣ هـ ( ٢١ يونية سنة ١٧٩٨ م ) ، فلم يعثر للفرنسيين فيها على أثر . فبعث وفداً الى حاكم المدينة « السيد محمد كريم » ( وكان مصرى الجنس ) يستفسر منه عن قدوم أسطول فرنسى الى البلاد المصرية . فراع أهل المدينة رؤية الأسطول تاريخ مصر جزء ٢ ( ١٤ )

خروج الحملة  
من فرنسا

بحث نلسن  
عن الأسطول  
الفرنسى



نابليون بونابرت

من عسف الممالك وظلمهم ، جعلت فرنسا تقدم على تجريد تلك الحملة مع ما فيها من  
تدبير الحملة المبادأة بالعدوان لسلطان آل عثمان الذي كان صديقها في ذلك الحين  
ورأت الحكومة الفرنسية أن يكون إعداد هذه الحملة بغاية التستر والتكتم ،  
كي لا يعلم بمسيرها أحد وخاصة انجلترا أشد أعداء فرنسا في ذلك الحين . فسهر  
« نابليون » على إعداد ما يلزم لها من الجند والسفن الحربية والمراكب النقالة ، فجهز

أوروبا ، وبات كثير من دولها في خوف منه : ذلك هو البطل الشهير « نابليون بونا برت »  
وفي أواخر سنة ١٢١٢ هـ ( ١٧٩٨ م ) جرّد « نابليون » هذا حملة على مصر  
فامتلكها ، ودخلت البلاد من ذلك الحين في طور يُعتبر ابتداءه مبدأ تاريخها الحديث .  
نعم لم يلبث الفرنسيون بمصر أكثر من ثلاث سنوات ، ولكن فتحهم لها كان الحلقة  
الأولى من سلسلة حوادث ، لعبت أوروبا أهم أدوارها ، وأفضت عاقبتها الى المركز  
الاجتماعى والسياسى الذى تشغله مصر الآن

ولم تكن الحملة الفرنسية على مصر فجائية أو من خواطر اللحظات ، بل ان « ليدنتز »  
أحد نصحاء لويس الرابع عشر ألحّ عليه سنة ١٦٧٢ بوجوب غزو مصر ، وبيّن له  
أن امتلاكها يجعل فرنسا سيدة العالم . وقد رأى ذلك غيره من وزراء فرنسا بعده ،  
ولكن فرنسا لم تخط خطوة في هذا السبيل إلا في عهد « نابليون »  
على أن نابليون نفسه لم يقدم على هذه الحملة إلا بعد تفكير طويل : فاستشار  
فيها العلماء ، وقرأ لأجلها الكتب ، وبعدئذٍ عرض اقتراحه على هيئة الحكومة الفرنسية  
مع ايضاح طويل

أما أهم الأسباب التى حدثت بنابليون الى الاقدام على هذه الحملة واقتنعت بها اسباب الحملة  
الحكومة الفرنسية فهي : أولاً - رغبته في زيادة نفوذ فرنسا في البحر الأبيض المتوسط  
وضم وادى النيل اليها ، لما فيه من الخيرات الكثيرة التى تغنى فرنسا عن كثير من  
المستعمرات البعيدة ، ولما له من المكانة التجارية العظمى . وثانياً - تهديد الطريق لقهر  
الانجائز بطردهم من الهند واستيلاء الفرنسيين عليها ، لأن مصر هى مفتاح الطريق  
الى تلك البلاد . وفي الحقيقة كانت لنابليون أطماع كبيرة في الشرق بأسره ، وكانت  
نفسه تتوق الى أن يأتى فيه بثمل ما أتاه الاسكندر من قبل \*

كل هذه الاعتبارات ، الى ما عسى أن يكون قد نال الفرنسيين المقيمين بمصر

• ووافقت الحكومة الفرنسية أخيراً على تجريد الحملة لانها أخذت تخشى سطوته بعد  
انتصاراته في اوربا

# الباثاني

تاريخ مصر

من الحملة الفرنسية الى انتهاء عهد محمد على

## الفصل الاول

الحملة الفرنسية على مصر

(١٢١٢ - ١٢١٦ هـ : ١٧٩٨ - ١٨٠١ م)

قضت مصر تحت حكم ولاية العثمانيين وأجنادهم والماليك نحو ثلاثة قرون عانت فيها من أنواع الظلم وسوء الإدارة ما أضعف تجارتها وجعلها في معزل عن بقية العالم ، فأصبحت لا تدرى شيئاً عن قوى الدول الأوروبية وأطماعها ، أو علاقة بعضها ببعض . وقد كان يقيم بمصر في ذلك الحين كثير من جالية الفرنسيين والانجليز ، ولكن المصريين لم ينتفعوا بما قامتهم بينهم ، بل اكتفوا بالنظر اليهم بعين الازدراء والمقت ، ظناً منهم أن دولهم ما زالت على الضعف الذي سمعوه عنهم أيام الحروب الصليبية ، وفاتهم أن الزمن قد تغير ، وأن أوروبا أصبحت على مبلغ من القوة وسعة العلم وعظم الدراية بالفنون الحربية بحيث لا يمكن مصادمته إلا بمثلها

حالة مصر  
قبيل الحملة

وكانت دولة فرنسا قد قويت شوكتها بين دول أوروبا ، وظهر فيها في أواخر القرن الثامن عشر ( من التاريخ الميلادي ) قائد حربى عظيم أخذ يتغلب على ممالك

قوة فرنسا



١١٦٣	١١٧٧	* تولى على بك الكبير شياخة البلد بمصر
١٧٦٨	١١٨٢	اعلان الترك الحرب على الروس لتمديدهم على خان القرم
١٧٦٨	١١٨٢	* الباب العالمى يستنجد على بك فى حرب مع روسيا
١٧٦٩	١١٨٣	* اعلان على بك الكبير استقلاله بمصر
١٧٧٠	١١٨٤	انتصار الروس على الترك بحراً عند جشمة
١٧٧١	١١٨٥	* ارسال على بك الكبير محمداً «أبا الذهب» الاستيلاء على الشام
١٧٧٢	١١٨٦	* اتفاق أبى الذهب مع الدولة وتوليته والياً على مصر من قبلها
١٧٧٣	١١٨٧	* وفاة على بك
١٧٨٩ — ١٧٧٣	١١٨٧ — ١٢٠٣	عبد الحميد الاول
١٧٧٤	١١٨٨	معاهدة كجوق قينارجة بين روسيا والترك
١٧٧٥	١١٨٩	* وفاة أبى الذهب
١٧٨٦ — ١٧٧٥	١١٨٩ — ١٢٠١	* اقتسام السلطة بين مراد بك وابراهيم بك
١٧٨٣	١١٩٧	نقض كترين العهد وضم القرم اليها
١٧٨٤	١١٩٨	معاهدة القسطنطينية بين روسيا والترك
١٧٨٧	١٢٠١	اعلان الترك الحرب على روسيا لتمدد اهانتها لهم
١٧٩٠ — ١٧٨٦	١٢٠٠ — ١٢٠٥	* رجوع السلطة الى الباب العالمى فى مصر
١٨٠٧ — ١٧٨٩	١٢٠٣ — ١٢٢٢	سليم الثالث
١٧٩٠	١٢٠٥	استيلاء الروس بقيادة سوفاروف على اوخاكوف واسماعيل
١٧٩٢	١٢٠٦	توسط انجلترا وغيرها فى ابرام معاهدة يابى بين روسيا والترك
١٧٩٨ — ١٧٩٠	١٢٠٥ — ١٢١٣	* رجوع السلطة فى مصر الى مراد بك وابراهيم بك
١٧٩٨	١٢١٣	غارة الفرنسيس على مصر

		انتصار الترك على الروس على نهر بروث
١٧١١	١١٢٣	وعقد معاهدة بروث
١٧١٥	١١٢٧	استرجاع قومرجى على بلاد المورة من البنادقة
		انهزامه في المجر على يد الامير يوجين عند
١٧١٦	١١٢٨	بيتروردين
١٧١٨	١١٣٠	معاهدة بيساروتز
		حرب الترك مع الفرس ( انتهت بجلاء الترك
١٧٢٢ - ١٧٣٥	١١٤٨ - ١١٣٥	عن فارس )
		* قتل اسماعيل بك شيخ البلد وتولى
١٧٢٣	١١٣٦	جر كس بك شياخة مصر
		اتهاما روسيا فرصة اشتغال الترك بحاربة
١٧٢٦	١١٣٨	الفرس وعقدتها محالفة مع النمسا على الدولة
١٧٣٠	١١٤٢	* تولى عثمان بك شياخة البلد بمصر
١٧٣٠ - ١٧٥٤	١١٤٣ - ١١٦٨	محمود الاول
١٧٣٥	١١٤٨	اشهار الروس الحرب على الترك
		دخول النمسا في الحرب وهزم الترك لها
١٧٣٧	١١٤٩	وللروسيا ومهادنة النمسا للترك على اقرار
		غيظ ميوتيج ( قائد الروس ) وعمله على تحقيق
		المشروع الشرقي
		هزموه جيوش الترك في شكزم وعقد معاهدة
١٧٣٩	١١٥٢	بلاغراد بين الترك والروسيا
		* اتفاق ابراهيم بك ورضوان بك على
		عثمان بك بمصر وطردهما اياه الى الشام
١٧٤٣	١١٥٦	واقسام السلطة بينهما
١٧٥٧ - ١٧٥٤	١١٦٨ - ١١٧١	عثمان الثالث
١٧٧٣ - ١٧٥٧	١١٧١ - ١١٨٧	مصطفى الثالث
١٧٦٣	١١٧٦	+ تولى كترين الثانية عرش روسيا

١٦٨٣—١٦٧٦	١٠٩٤—١٠٨٧	وزارة قره مصطفى تأهبه سرّاً للاغارة على النمسا بتوثيق صاته بفرنسا والروسيا وبولندة منذ أول عهده
١٦٨١—١٦٧٤	١٠٩٢—١٠٨٥	+ خروج المجر على النمسا
١٦٨٣	١٠٩٤	اغارة قره مصطفى على المجر
١٦٨٣	١٠٩٤	حصاره لمدينة فينا
		فشل الحصار لانتفض جون سويسكى العهد ومؤازرته لامبراطور النمسا
		قتل قره مصطفى لنفسه
		عقد الحلف المقدس بين النمسا وبولندة والبندقية على الترك
١٦٨٤	١٠٩٥	خسائر متوالية للترك برأ وبحراً
١٦٨٨—١٦٨٥	١١٠٠—١٠٩٧	سليمان الثانى
١٦٩١—١٦٨٧	١١٠٢—١٠٩٨	نهضة قصيرة على يد مصطفى كبرىلى
١٦٩١	١١٠٣	موته فى موقعة سالانكن
١٧٠٣—١٦٩٥	١١١٥—١١٠٦	مصطفى الثانى
		انتصار الجيوش النمساوية على الترك فى
١٦٩٦	١١٠٨	واقعة زنتا
		معاهدة كارلوتز ( بين الترك والنمسا والروسيا وبولندة )
١٦٩٩	١١١٠	
		* الدولة العثمانية فى القرن الثامن عشر *
١٧٢٥—١٦٨٩	١١٣٧—١١٠٠	+ نهضة روسيا على يد بطرس الاكبر
١٦٩٦	١١٠٨	استيلاء بطرس على أزاق
١٧٣٠—١٧٠٣	١١٤٣—١١١٥	احمد الثالث
		* تفاقم العداوة بين القاسمية والفقارية فى مصر
١٧٠٧	١١١٩	

١٦٢٥	١٠٣٥	* إعادة قرد مصطفى
١٦٢٦	١٠٣٥	* وباء شديد في مصر
١٦٣٥	١٠٤٥	أعاد السلطان فتح أريوان
١٦٣٨	١٠٤٨	استرجع بغداد من الفرس
١٦٤٠—١٦٩١	١٠٤٩—١١٠٣	* عهد سلطة الوزراء — أسرة كبريلي *
١٦٤٨—١٦٤٠	١٠٥٨—١٠٤٩	ابراهيم الاول
١٦٤٢	١٠٥٢	* وباء بمصر وغلاء
١٦٤٥	١٠٥٥	لم يفلح في فتح جزيرة اقریطش
١٦٤٨	١٠٥٨	عزله وقتله
١٦٤٨—١٦٨٨	١٠٥٨—١٠٩٩	محمد الرابع (ازدياد اضطراب الدولة)
١٦٤٩	١٠٥٩	انهزام الاسطول التركي في بحر الارخبيل
١٦٥٦	١٠٦٦	اسطول البنادقة يهدد القسطنطينية
١٦٥٧—١٦٦١	١٠٦٧—١٠٧٢	نهوض الدولة على يد محمد كبريلي
١٦٦١—١٦٦٦	١٠٧٢—١٠٨٧	وزارة احمد كبريلي
١٦٦٣	١٠٧٤	الاغارة على النمسا والمجر
١٦٦٤	١٠٧٥	انهزام الترك عند سغوتار وعقد معاهدة فزفار
١٦٦٩	١٠٨٠	استيلاء الترك على اقریطش من البنادقة
١٦٧٠	١٠٨١	+ خروج القوزاق على بولندة وانهزامهم على يد جون سويسكى
١٦٧٢	١٠٨٣	غزو الترك لبولندة وفتحهم كامنيك وتنازل بولندة لهم عن بادوليا واوكرين
١٦٧٣—١٦٧٥	١٠٨٤—١٠٨٦	رفض الشعب البولندى للمعاهدة وقهرهم الترك بقيادة جون سويسكى في شكزيم ولمبرغ
١٦٧٦	١٠٨٧	صلح زرانو بين الترك وبولندة



١٦٤٠ — ١٥٦٦	١٠٤٩ — ٩٧٤	* ابتداء اضمه لالدولة العثمانية
١٥٧٤ — ١٥٦٦	٩٨٢ — ٩٧٤	سليم الثاني (كان ضعيفاً لاهياً سكيراً)
١٥٦٧	٩٧٥	* تنصيب سنان باشا على مصر
١٥٧١ — ١٥٦٨	٩٧٩ — ٩٧٦	* فتحه بلاد اليمن
١٥٧١	٩٧٩	انتزاع الترك جزيرة قبرس من البنادقة
١٥٧١	٩٧٩	اتحاد أوربا على الدولة وقهرها في موقعة « ليبنتو » البحرية
١٥٩٥ — ١٥٧٤	١٠٠٣ — ٩٨٢	مراد الثالث
١٥٧٤	٩٨٢	مسألة البندقية
١٥٨٠ — ١٥٧٤	٩٨٨ — ٩٨٢	* ولاية مسيح باشا على مصر
١٥٨٩	٩٩٧	* خروج الجنود العثمانية على أويس باشا
١٦٠٣ — ١٥٩٥	١٠١٢ — ١٠٠٣	اتجنيدته المصريين
١٥٩٦	١٠٠٤	محمد الثالث
١٦٠٣	١٠١٢	انتصار العثمانيين بقيادة سيكالا على النمسا
١٦١٧ — ١٦٠٣	١٠٢٦ — ١٠١٢	وترنسلوانيا في سهل كرزت
١٦١٩	١٠٢٨	* وباء في مصر
١٦٢١	١٠٣٠	احمد الاول
١٦٤٠ — ١٦٢٣	١٠٤٩ — ١٠٣٢	استمرار الثورات العسكرية وابتداء ظهور النمسا على الدولة
١٦٢٣	١٠٣٢	* وباء آخر في مصر
		* وباء آخر
		مراد الرابع (من أعظم سلاطين العثمانيين)
		بوطلد العلاقات مع النمسا ليوجه قواه الى الفرنس
		* تنصيب قره مصطفى على مصر
		* صرفه بعلي باشا الجشنجى — تمرد
		الجنند لذلك

١٥٢٩	٩٣٥	الاغارة على النمسا وحصار ويانة
١٥٣٣	٩٤٠	عقد صلح مع النمسا على اقتسام البحر بين ملك النمسا وزابولي
١٥٣٥	٩٤١	* انابة خسرو باشا عن سليمان باشا لاشتغال هذا بجملة بحرية على البرتغال
١٥٣٨	٩٤٤	* خروج سليمان باشا بأسطول من مصر لصد البرتغال في الشرق واستيلائه على عدن
١٥٣٩	٩٤٦	اغارة ملك النمسا ثانية على البحر وعودة السلطان الى غزوها
		اعتراف النمسا بسيادة السلطان على البحر وترنسلوانيا وتعهدا بدفع جزية سنوية له
		فتيح بغداد
		تقدم القوة البحرية
١٥١٩	٩٢٦	استيلاء « خير الدين بربروس » على الجزائر وتنصيبه والياً عليها من قبل الباب العالي
١٥٣٣	٩٤١	قهره أساطيل شرلكان
١٥٣٨	٩٤٥	قهره أساطيل شرلكان والبابا والبندقية في موقعة برويزة
١٥٤١	٩٤٨	صدده شرلكان عن بلاد الجزائر
		انتصار « بيالة باشا » على « دوريا » عند جزيرة جربة ( تونس )
١٥٦٠	٩٦٧	« طرغود » يفتح المهدية عاصمة تونس
		حصار مالطة وعدم مقدرة البحرية العثمانية على التغلب على فرسان القديس يوحنا
١٥٦٥	٩٧٣	

٢	٨	بايزيد الثانى
١٥١٢ — ١٤٨١	٩١٨ — ٨٨٦	أضعف سلطان الى ذلك العهد — مكاتبات مع أخيه جم * انتصار المماليك على جيوشه فى الشام زيادة قوة الاسطول العثمانى — انتصاره على البنادقة
١٥٠٩	٩١٥	* موقعة ديو
١٥١٢	٩١٨	الانكشارية — نرغمه على التنازل لاصغر أولاده سليم
١٥٢٠ — ١٥١٢	٩٢٦ — ٩١٨	سليم الاول تحويل تيمار الفتوح الى آسيا غزو فارس ( الاستيلاء على ديار بكر وكرديستان )
١٥١٤	٩٢٠	* فتح مصر ( مواقع مرج دابق والريدانية ووردان )
١٥١٧ — ١٥١٦	٩٢٣ — ٩٢٢	تنازل الخليفة العباسى بمصر عن الخلافة للسلطان سليم
١٥١٧	٩٢٣	سليمان القانونى
١٥٦٦ — ١٥٢٠	٩٧٤ — ٩٢٦	ازهر عصر فى تاريخ آل عثمان — تقدم عظيم فى العلوم واتساع كبير فى أملاك الدولة
١٥٢١	٩٢٧	فتح بلقرا
١٥٢٢	٩٢٨	فتح رودس ( من فرسان القديس يوحنا )
١٥٢٥	٩٣١	* تنصيب « سليمان باشا » والياً على مصر غزو المجر — موقعة موهكنز — قتل ملكهم وتولية سليمان « جان زابولى » عليها
١٥٢٦	٩٣٢	غزو المجر ثانية لآغا ملك النمسا عليها —

		ويعيرون على أملاك الدولة بقيادة هونباد
١٤٤٤	٨٢٨	مراد يرجع الى الملك ويهزمهم في واردة يتم اخضاع البوسنة والصرب
١٤٨١ — ١٤٥١	٨٨٦ — ٨٥٥	محمد الثاني يتأهب لفتح القسطنطينية
١٥٦٦ — ١٤٥٣	٩٧٤ — ٨٥٧	* الدولة العثمانية في أوج عظمتها *
١٤٥٣	٨٥٧	محمد الثاني يفتح القسطنطينية — سقوط الدولة البوزنطية — ابتداء التاريخ الحديث
		اخضاع معظم المورة والصرب والبوسنة وقوف اسكندر بك وهونباد في سبيل فتح ايطاليا والمجر
١٤٥٦	٨٦٠	هونباد يهزم السلطان عند بلغراد
١٤٦٧	٨٧١	اخضاع البانيا
		فتح طربزون واخضاع القرم
١٤٧٥	٨٧٩	اخضاع القرم
١٤٧٧	٨٨٢	قهر البنادقة وعقد محالفة معهم
		حصار رودس ( لم يقلح لحن دفاع فرسان القديس يوحنا )
١٤٨٠	٨٨٥	فتح اترنتو
١٤٨٠	٨٨٥	+ وصول برنولميودياز الى طرف افر بقية الجنوبي
١٤٨٦	٨٩١	+ وصول خرسيتوف كلب الى احدى جزائر الهند الغربية
١٤٩٢	٨٩٧	+ وصول فاسكودي جاما الى قاليقوت
١٤٩٦	٩٠١	



٢	١٣٨٨	٧٩١	اخضاع بلغاريا
			انتصاره على امراء اوربا الشرقية في واقعة
	١٣٨٩	٧٩٢	قوصوة واخضاع الصرب
			( عدا فتوحه في آسيا واندراج ٤
			امارات تركية في سلك الدولة العثمانية )
	١٤٠٢ — ١٣٨٩	٧٩٢ — ٨٠٥	بايزيد الأول
			اخضاع باقى الامارات التركية في آسيا وكثير
			من مدن الروملى — توطيد أركان
			الدولة في أوربا
			تحالف المسيحيين على العثمانيين ثانية بقيادة
			سجسمند ملك الحجر
	١٣٩٦	٧٩٩	قهر المسيحيين في واقعة نيقوبوليس
			غزو جزء من اليونان ( تساليا وأبروس )
	١٤٠٢	٨٠٥	قهر تيمورلنك لبايزيد وأخذه أسيراً في أنقرة
	١٤١٣ — ١٤٠٢	٨٠٥ — ٨١٦	أربعة أولاد لبايزيد يتنازعون الملك
	١٤٢١ — ١٤١٣	٨١٦ — ٨٢٤	محمد الاول ( المتغلب عليهم )
			لمّ شعث الدولة بعد تمزيقها في واقعة أنقرة
	١٤٥١ — ١٤٢١	٨٢٤ — ٨٥٥	مراد الثانى
			يعمل على مواصلة الفتوح العثمانية — محاصر
			القسطنطينية
	١٤٣٩	٨٤٣	+ توحيد الكنيستين ( برومية والقسطنطينية )
			نهضة جديدة لاجراج الاتراك من أوربا
			انتصار المسيحيين بقيادة هونيد ومعاودة
	١٤٤٤	٨٤٨	ازجدن
			يتنازل عن العرش
			محمد الثانى — الاوربيون ينقضون العهد

ملخص بأهم الحوادث التاريخية الواردة في الباب الأول

٢	١	* منشأ الدولة العثمانية *
١٤٥٣—١٢٣٠	٨٥٧ — ٦٢٧	
١٢٨٨—١٢٣٠	٦٨٠ — ٦٢٧	أرطغرل
١٢٦١—١٢٠٤	٦٦٠ — ٦٠٠	+ حكم اللاتين بالقسطنطينية
		علاء الدين السلجوقي يمنح أرطغرل
		« اسكى شهر »
١٢٥٨	٦٥٦	مولد عثمان فى اسكى شهر
١٣٠٠—١٢٨٨	٦٩٩ — ٦٨٠	عثمان ( تحت أمرة علاء الدين )
		يفتح قره حصار وغيرها - بمنحه علاء الدين
		لقب بك
١٣٠٠	٦٩٩	قضاء المغول على الدولة السلجوقية
١٣٢٦—١٣٠٠	٧٢٦ — ٦٩٩	عثمان ( مستقلاً )
		فتح بروسه على يد ابنه ارخان
١٣٥٩—١٣٢٦	٧٦١ — ٧٢٦	ارخان
		افتتاح نيوميدية وازنيق
		٢٠ عاماً فى السلم وثبتت دعائم الملك
		انشاء طائفة الانكشارية
١٣٤٧	٧٤٧	ظهور الموت الأسود
١٣٥٧	٧٥٨	مبدأ الفتوح العثمانية باوربا ( غامبولى )
١٣٨٩—١٣٥٩	٧٩٢ — ٧٦١	مراد الأول
		اخضاع معظم الروملى ( أدرنة — فلبه )
		تحالف ملوك البوسنة والصرب والجر عليه
١٣٦٣	٧٦٥	وقهره اباهم عند « أدرنة »

+ اشارة تدل على ان الحوادث خاصة بالدول المسيحية المعاصرة للدولة

\* اشارة تدل على أنها خاصة بتهر

وذلك ان الدولة أرسلت حملة لتوطيد السكينة وإطفاء الفتن التي انتشرت في البلاد في أوائل حكم ابراهيم بك ومراد بك . فوصلت الحملة في شهر يونية سنة ١٧٨٦ م واستولت على القاهرة بعد قتال لم يقوَ فيه المماليك على المقاومة المدافع التركية ، ففر ابراهيم ومراد الى الصعيد

وعهد العثمانيون بشيخة البلد لأحد بيكوات المماليك المدعو « اسماعيل بك » عودته  
لابراهيم ومراد



مراد بك

( عن كتاب وصف مصر )

وفي سنة ١٢٠٥ هـ ( ١٧٩٠ م ) حدث بالبلاد وباء شديد اكتسح امرة اسماعيل بك ، فعاد ابراهيم بك ومراد بك من الصعيد واستردا منصبيهما ، وأخذا يحكمان البلاد بحزم لا بأس به . إلا أنهم اشتطاً في ابتزاز أموال الناس ، وخصوصاً التجار ، حتى الفرج منهم . فكثرت شكاوى

هولاء الى دولهم ، مما لفت نظر اوربا الى مصر وجعله الفرنسيين ذريعة لإغارتهم الغارة الفرنسية عليها عام ١٢١٣ هـ ( ١٧٩٨ م )

« محمد بك أبي الذهب » ، فكان النصر حليفه واستولى على كثير من مدن الشام وعند ذلك اكبر « أبو الذهب » على سيده هذا الملك العظيم ، فحسده . ورأى أيضاً ان الدولة ربما التفدت لمصر وأرجعتها الى سلطانها فيصبح على بك وأتباعه في خطر ، فخطب ودَّ الباب العالي واتفق معه على أن ينزع الملك من على بك ، ويقبض هو على زمام الأمور بمصر ، مع الخضوع للدولة . فقصد مصر بالجيش الذي كان معه بالشام ، ولم يلبث ان استولى على البلاد ، وفرَّ على بك الى عكا ، واحتفى بها كما مرة أخرى . وهناك وجد أسطولاً للروسيا ، ففاوضه بشأن تحالفه معها ، فأمدّه الأسطول بالذخيرة والرجال ، وبذلك استرجع المدن السورية التي كان قد فتحها له أبو الذهب وعادت الى الدولة بعد رجوع أبي الذهب عن الشام

أبو الذهب  
واتفاقه مع  
الدولة عليه

فتحه مصر

استنجد على بك  
الروسيا

فشله في حملته  
على مصر

ثم جاءت الأخبار من مصر ان الناس في استياء من حكم أبي الذهب ، وأنهم يودون قدومه لإيقاظهم منه . فخرج الى مصر بقوة صغيرة ، فانتصر أولاً على جيوش أبي الذهب بمجة الصالحية ، ثم دس هذا على رجال على بك من أوقع في قلوبهم الفتنة ، فانقلبوا على « على بك » وخذلوه . فانهزمت جيوشه وأخذ هو أسيراً الى القاهرة ، فمات بها بعد بضعة أيام بسبب الجراح التي أصابته وهو يدافع في الواقعة الأخيرة دفاعاً شديداً . ومن أعماله تجديد قبة الامام الشافعي وإنشاء سوق ببولاق وكافأ الباب العالي « أبا الذهب » على ذلك ، فمنحه لقب « باشا » وولاه حكم مصر سنة ١١٨٦ هـ ( ١٧٧٢ م ) . فلم يتمتع بذلك ، اذ مات بعدها بعامين ، ودُفن بجامعه الذي شيده أمام الأزهر . وهو آخر جامع كبير أنشئ بمصر في عهد العثمانيين عند ذلك قبض على أزمة الأمور اثنان من المماليك وهما : « ابراهيم بك » و « مراد بك » ، واتفقا على أن يتوليا شياخة البلد وإمارة الحج بالتناوب كما حدث بين رضوان بك و ابراهيم بك من قبل . فوقع بينهما شيء من الاختلاف في أول الأمر ، ثم صلح ما بينهما وبقيا قابضين على مقاليد الأمور من ذلك الحين الى أن أغار الفرنسيون على البلاد سنة ١٢١٣ هـ ( ١٧٩٨ م ) ، ما عدا فترة ( من ١٧٨٦ الى ١٧٩٠ م ) عاد النفوذ فيها الى العثمانيين

ولاية  
أبي الذهب

ابراهيم بك  
ومراد بك



شيخ البلد ، فرجع الى القاهرة وتسلم زمام الأمور بها مرة أخرى

ولما استتب له الأمن سهر على اصلاح البلاد وتوطيد السكينة بها . ورأى أن  
يُكثر من أتباعه كي يأمن غوائل المستقبل . فرقى ثمانية عشر من المماليك الى رتبة  
البيكوية ، ليكونوا هم وحاشيتهم أنصاراً له اذا احتاج الى مساعدتهم  
ثم طمحت نفسه الى الاستقلال بمصر ، فشرع يعمل على ذلك سرّاً وينتظر له

كل فرصة . ولما نشبت الحرب بين الدولة والروسيا في سنة ١١٨٢ هـ ( ١٧٦٨ م )  
طلب الباب العالي من مصر أن تمدّه باثني عشر ألف مقاتل ، فاذعن على بك لمطاب  
الدولة ، وشرع في جمع الجيش . ولكن الدولة شكّت في إخلاصه ، واعتقدت أنه  
يجمع هذا الجيش لمساعدة روسيا عليها لتساعده على الاستقلال بمصر ، فأرسلت  
بكتاب الى الوالى بمصر تأمره فيه بقتل على بك

وكان لعلى بك عيون بالاستانة ، فبادروا بتبليغه الخبر قبل وصول الكتاب الى  
مصر ، فتربص لحامل الكتاب وقتله قبل أن يصل الى الوالى . ثم أعلن للمماليك أن  
الدولة أرسلت في هذا الكتاب أمراً الى الوالى بذبح جميع المماليك . وكان «على بك»  
خطيباً مؤثراً ، فاثار حمية المماليك ، ونفّرهم من الباب العالي وذكّرهم بمجد سلاطين  
المماليك الأقدمين ، وأن الدولة تريد القضاء على هذا المجد ، وعليهم أنفسهم . فأوقد  
النار في قلوبهم ، وقرّر قرارهم على خلع الباشا وإخراجه من مصر في الحال ، والدفاع  
عن استقلال البلاد . ثم أعلن استقلال مصر وامتنع عن دفع الجزية للباب العالي  
سنة ١١٨٣ هـ ( ١٧٦٩ م )

ولاشتغال الدولة بمحاربة روسيا لم تقدر على الالتفات اليه ، فانتزع على بك هذه  
الفرصة لتوطيد ملكه بمصر . ثم أرسل جيشاً لفتح بلاد العرب . فاستولى على  
«جُدّة» لتكون له مركزاً للتجارة الهندية وموضعاً يراقب منه ملاحه البحر الأحمر  
ولم يلبث أن أخضع باقى جزيرة العرب . وفي ذلك الحرمان الشريفة

ثم وجه همة لفتح الشام ، فأنفذ لذلك جيشاً به ٣٠,٠٠٠ مقاتل بقيادة غارته على الشام  
تاريخ مصر جزء ٢ (١٢)

أعماله

طموحه  
في الاستقلال

محاولة الباب  
العالي قتله

تنفيره المماليك  
من الدولة

اعلانه  
الاستقلال

فتحه  
بلاد العرب

على النكاية ببرهم بك ورضوان بك ، ودبروا لقتلها مكاييد لم يفلحوا فيها ، إلا أن البلاد لم تهدأ من الفتن بعد ، وبقي أمراء الممالك في هيج على أنفسهم هكذا كانت حالة البلاد في هذا العصر الأخير ، لا يكاد يفارقها الحال والفوضى تارة بثوران الجند ومكافحتهم للولاة ، وطوراً بتنازع الممالك مع الولاة مرة ومع أنفسهم أخرى . وما زالت الحال كذلك حتى قبض على أزمّة الأمور أحد الممالك الأقوياء وهو « على بك الكبير » ، فكان ذلك ابتداء حوادث جديدة ذات شأن آخر

### ✽ زوال ما كان للسلطان من القوة والنفوذ في مصر ✽

على يد على بك الكبير

نشأ على بك كان « على بك الكبير \* » في أول نشأته مملوكاً لابراهيم بك السالف الذكر ، فما زال يتقدم عنده لذكائه ومقدرته ، حتى رقاّه الى رتبة « بك » . ومن ذلك الحين أخذ « على بك » يعقد الآمال على أن يتقوى شيئاً فشيئاً حتى يصير يوماً ما شيخاً للبلد ، فمضى ثمانية أعوام في شراء الممالك وتدريتهم ، ولم يدخر في اثائها وسعاً في استجلاب مودة البيكوات الآخرين . وأخيراً تنبّه شيخ البلد « خليل بك » الى أفعاله ، ورأى أن يقضى عليه قبل أن يستفحل أمره ، فهجم عليه بجيوشه ، فلم يقو عليه على بك فاضطر الى الفرار الى الصعيد . وهناك التقى بكثير من الساخطين على خليل بك ، فانضموا اليه وزحف الجميع على القاهرة ، فدخلوها بعد أن انتصروا على خليل بك وأتباعه في عدة مواقع أظهر فيها على بك مقدرة كبيرة . وبذلك تم له أمر شيخا البلد سنة ١١٧٧ هـ ( ١٧٦٣ م )

تولى  
شياخة البلد

وكان سيده ابراهيم بك قد مات قتلاً ، فلما تولى على بك شياخة البلد أمر بإعدام قاتله ، فلم يرق ذلك في أعين بيكوات الممالك ، وتآلبوا عليه وأجثوه الى الفرار الى بيت المقدس . ثم وشوا به الى السلطان ، فأمر بطلبه الى الاستانة . فاحتفى بأمره عكاً ، فسعى هذا له لدى الباب العالي وأظهر براءته . فثبته السلطان في منصبه

نائب  
الممالك عليه

السلطان  
يثبته في منصبه



### سبيل ومكتب اسماعيل بك الكبير (أيام روتقهما)

على السلطة ، فصار شيخاً للبلد بعد أن انتقم لسيده شر انتقام  
وكان عثمان بك ذا مقدرة وبأس ، فعمل على توطيد السكينة وسهر على حفظ  
الأمن وإقامة العدل ، فحسنت سيرته وأحبه الأهليون ، وبقي ذكره بعده زمناً طويلاً  
حتى أنه لما ثار عليه أعداؤه واضطروه إلى الهروب من مصر صارت الناس تؤرخ  
حوادثهم بسنة خروجه ، فكانوا يقولون : « هذا الأمر حدث بعد خروج عثمان بك  
بكذا من السنين ، وولد فلان في سنة كذا من خروج عثمان بك »

وسبب فراره من مصر أن قوى في عهده شأن حزبين من المماليك وهما :  
« الكردغلية » و « الجلفية » ، فاتفق « إبراهيم بك » زعيم الحزب الأول و « رضوان بك »  
زعيم الثاني على توحيد كلمة حزبيهما ، ونزع السطة من عثمان بك ، وجعلاهما أيديهما  
معاً . وبعد نزاع طويل بينهما وبين عثمان بك ، تغلبا عليه ، ففرّ خوفاً منهما إلى الشام  
ثم اقتسما السطة بينهما ، واتفقا على أن يشغلا منصبى شيخ البلد وأمير الحج  
بالتناوب سنة بعد أخرى ، ولما رأى الولاة أن السلطة قد سلبت من أيديهم ، عملوا

إبراهيم بك  
رضوان بك

استمدوا منهم المعونة. فكان يكون لشيخ البلد دائماً عصبية من مواليه وعتقاه البيكوات يعظم بها شأنه، وصار للمالك قوة لم يكنفوا باستخدامها في عزل من أرادوا عزله من الولاية، بل أخذوا يطمحون الى التخلص من السيادة العثمانية جملة، وبخاصة عندما دخلت الدولة في طور التقهقر وشُغلت بحروبها مع النمسا والروسيا، كما ذكرنا آنفاً وتنبه بعض الولاة الى ما يرمى اليه الممالك، فعملوا على دسّ الدسائس بينهم، وتفریق كلمتهم. وكان الممالك منقسمين الى أحزاب (أعظمها «القاسمية»، و«الفقارية»\*) ولم تسلم الطائفتان من عداوة بينهما. فلما عُهد بولاية مصر الى «حسين باشا كتنخدا» سعى في تفرقةهما، وتفاقت العداوة بينهما حتى وصلت سنة ١١١٩ هـ (١٧٠٧م) الى حد أثار بين الفريقين حرباً استمرت نيرانها ثمانية يوماً. وقيل ان المتخاصمين كانوا أثناء هذه المدة يخرجون من القاهرة نهاراً للمحاربة. ثم يعودون اليها بالليل فيبيتون فيها كغيرهم من السكان

الولاية يدسون  
الدسائس بين  
الممالك  
القاسمية  
والفقارية

وأُسفرت هذه الفتنة الطويلة عن قتل شيخ البلد «قاسم بك ايواظ» زعيم القاسمية. خفاه ابنه «اسماعيل بك»، فأصلح ما بين الممالك ووحد كلمتهم، وصارت لشيخ البلد الكلمة العليا على الوالى. فعمل الوالى سرّاً على تحريض الفقاريين عليه الى أن قتله أحدهم «ذو الفقار»، فوهب له الوالى ثروة اسماعيل بك وأُسند منصب شيخ البلد الى «جرکس بك» بعد أن فتك بأتباع اسماعيل بك. ويعرف اسماعيل بك هذا باسماعيل بك الكبير، ومن آثاره بمصر سبيل ومكتب بجهة سوق العصر القديم بمدخل الداودية وحوش الشراوى كانا من أجل مباني ذلك العصر، وبقي منهما الآن جزء حَرَب

اسماعيل بك  
الكبير

ثم استعان ذو الفقار بما آل اليه من الثروة في شراء الممالك وتدريبهم حتى صارت له قوة كبيرة، فانتزع السلطة من جرکس بك ووضع نفسه في منصب شيخ البلد. ولكنه لم يلبث ان ثار عليه الممالك وقتلوه. فقبض أحد قواده «عثمان بك»



عظيم أعقبه وباء آخر بقى يفتك بالبلاد نحو ثلاثة أشهر . ولم يكد ينسى هذا حتى حدث سنة ١٠٣٥ هـ ( ١٦٢٥ م ) وباء أنكى من السالف . وأعظم من هذا كله وباء حدث سنة ١٠٥٢ هـ ( ١٦٤٢ م ) لم يسمع بمثله من قبل ، كثرت فيه الموتان حتى صارت الموتى تدفن بلا صلاة ، وخربت به ٢٣٠ قرية . وأعقبه حُط وغلاء .

تضاعف  
نفوذ الجند

وفي هذه الأثناء كانت الجنود العثمانية بمصر دائبة على جمع السلطة في قبضتهم ، حتى جعلوا الولاية العُوبية في أيديهم ، فعجزوا عن ردعهم وتأمين الرعايا شرّاً مفاسدهم . وصارت كل طائفة من الجند تأخذ في حمايتها جملة من التجار أو المزارعين أو الملاحين فيقتسمون معهم الأرباح ، وفي نظير ذلك يحمونهم من أداء حقوق الحكومة . وما زالوا في شغب على الولاية ، وهم معهم في مكالمات ، حتى عظمت قوة البيكوات الماليك ، فقصوا على نفوذ الطائفتين

### ✽ عودة النفوذ الى الماليك البيكوات ✽

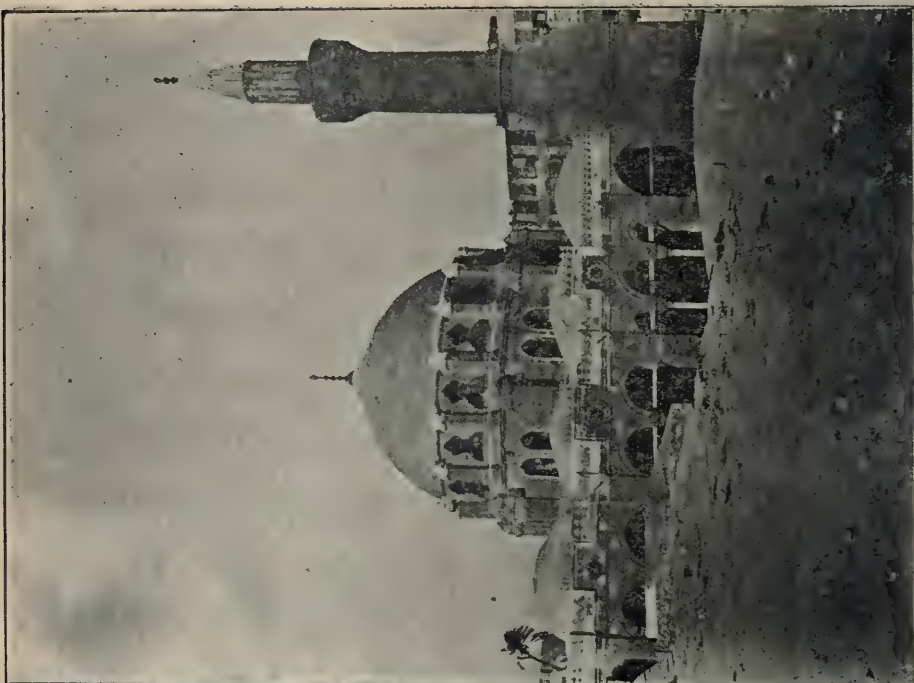
أدت كثرة تنقل ولاية العثمانيين الى عدم تأييد نفوذهم في مصر ، والى استرجاع الماليك ( الراسخة قدمهم بالبلاد ) لكثير من قوتهم الأولى ، وساعد على نمو هذه القوة طول أمد النزاع بين الولاية والجند ، حتى اشتغل الطائفتان بمشاحناتهن عن كل ما سواها

شيخ البلد

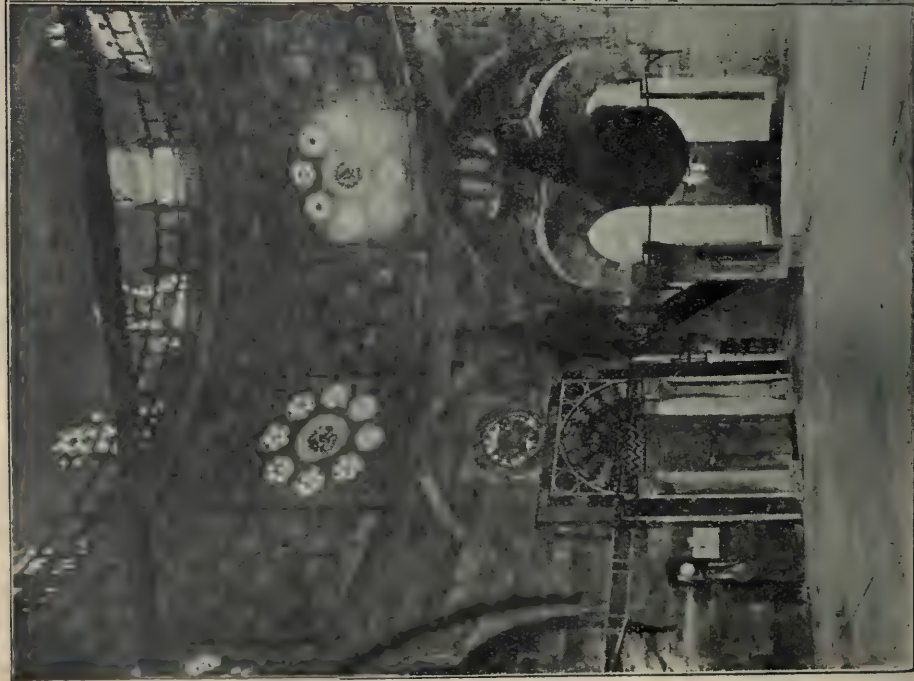
ومما ساعد الماليك على القبض على السلطة تهديم الطريق لاتحادهم ، باختيارهم زعيماً من بينهم وهو حاكم القاهرة ، المسمى إذ ذاك « شيخ البلد » . وكان الماليك قد تعودوا من قديم الزمان جلب ممالك أحداث وتدريبهم ليكونوا لهم حاشية وانصاراً . فسمحت لهم الدولة بالسير على هذا النظام ، فأصبح لزعمائهم من ذلك قوة لم يعد للولاية قبل بدفعها . وذلك ان الماليك الأحداث الذين يُشرون بالمال كانوا يُحررون عادة بعد بضعة أعوام ، فيُبقون الحرمة لأسيادهم ، حتى اذا ولجوا أبواب الرقي ، وصاروا أنفسهم بيكوات ، لا يألون جهداً في تلبية دعوة مواليهم الأولين متى



(١) من الخارج



(٢) من الداخل



أنه حدث في عهده زلزال عظيم سقط به عدة منارات وبيوت ، وتفلق جبل المقطم قرب اطفيج الى ثلاث فلق تفجر منها الماء .

وما زال روح الفتنة ينتشر في الجنود عاماً بعد عام ، ويشتد تطاولهم على الولاة ، حتى وُلّي « قره مصطفى باشا » سنة ١٠٣٢ هـ ( ١٦٢٢ م ) : وكان قوى البأس ساهراً على توطيد السكينة ، فأخذ يتجول بنفسه في الأسواق ، وينظر في الشكاوى والأسعار ، ويحكم في الجنايات بنفسه ، فهابه الجند . وكان لأعماله وقع حسن في القلوب ، وعظم في أعين الناس . ولما جلس السلطان مراد الرابع على عرش آل عثمان سنة ١٠٣٢ هـ ( ١٦٢٣ م ) عزل هذا الوالي من مصر ونصب مكانه « علي باشا الجشنجي » . فطلبت منه الأجناد الأعطية المعتاد توزيعها عند تولية الوالي الجديد ، فلما لم يجب طلبهم لم يعترفوا بعزل قره مصطفى باشا ، واضطروا على باشا الى العودة من حيث أتى . وعند ماركب البحر أطلقوا على سفينته بعض القذائف من قلعة منار الاسكندرية \* ، فلم ينج إلا بصعوبة . ثم أرسل الجنود مندوباً منهم الى الاستانة ، فقال لهم أمراً سلطانياً ببقاء قره مصطفى باشا في الولاية ، فعاد الباشا الى مصر سنة ١٠٣٥ هـ ( ١٦٢٥ م ) . وفي عهده ظهر بالبلاد وباء شديد ، فصار يفضب أموال المتوفين لنفسه كأنه الوارث للناس . فرُفعت في حقه الظلامات لدار الخلافة ، فعزله السلطان ثم قُتل بعد بالقسطنطينية . ولقره مصطفى باشا من العمارات والمدارس التي شيدها بمصر شيء كثير .

قره مصطفى  
يوطد السكينة

رفض الجنود  
بديله

وباء

بعض أوبئة  
هذا العصر

ولم يكن الوباء الآن الذي ذكره الوحيد من نوعه في هذا العصر ، بل حدث غيره طواعين كثيرة ، وكانت تصحبها غالباً المجاعات ( وتلك سنة معتادة في التاريخ ) . ومن أوبئة هذه المدة طاعون حدث سنة ١٠١٢ هـ ( ١٦٠٣ م ) فلك بكثير من القرى والأصوار ، وآخر تفشى بالبلاد سنة ١٠٢٨ هـ ( ١٦١٩ م ) فاشتد بطشه حتى أقتلت الأسواق وتمطت الأعمال . وفي سنة ١٠٣٠ هـ ( ١٦٢١ م ) حدث غلاء .



ثم تالت الولاية على مصر حتى وليها « سنان باشا » سنة ٩٧٥ هـ ( ١٥٦٧ م ) ، سنان باشا  
 فأخذ يتصرف في شؤون البلاد بحكمة وتدبر ، وبعد تسعة أشهر وردت عليه الأوامر  
 السلطانية بأن يستعد لفتح بلاد اليمن واستخلاصها من « الزيديين <sup>(١)</sup> » فجهز جيشاً ،  
 وخرج به من مصر سنة ٩٧٦ هـ ( ١٥٦٨ م ) بعد أن أناب عنه في الولاية  
 « اسكندر باشا <sup>(٢)</sup> » . ولما عاد من فتح اليمن سنة ٩٧٩ هـ ( ١٥٧١ م ) تسلم ولاية  
 مصر ثانية وأخذ يشيّد المباني ، فأنشأ في بولاق ( سنة ٩٧٩ هـ : ١٥٧١ م ) رباطاً  
 ( تكية ) ومسجداً كبيراً لا يزال الى الآن من أعظم الآثار العثمانية بمصر ، وهو ثاني  
 مسجد بُني بها على الأشكال البوزنطية . وبقي سنان باشا بمصر سنتين كان أثناءهما  
 موضع محبة الأهليين ، لكثرة اصلاحاته وعظم مبرّاته

ومن أفضل الولاة الذين وُلّوا مصر بعده « مسيح باشا » ( ٩٨٢ - ٩٨٨ هـ : مسيح باشا  
 ١٥٧٤ - ١٥٨٠ م ) ، وكان من أكثر الحكام عفة واستقامة ، وأشدّهم حرصاً على  
 نشر الأمن وإقامة العدل . لأنّه تشدد في معاقبة المفسدين ، فقتل منهم نحو عشرة  
 آلاف . وشيّد مدرسة وتربة له خارج القرافة بشارع نور الدين بعرب اليسار ، ووقف  
 عليهما أوقافاً باسم الشيخ نور الدين القرافي

ثم أخذ نفوذ الولاية في الاضمحلال ، لعجز الكثير منهم ، وقوة شوكة الجنود  
 بالبلاد وتدخلهم في كل شؤونها ، حتى صاروا هم الأمرين الناهين للولاة . فلما ولي  
 « أويس باشا » على مصر ( ٩٩٥ - ٩٩٩ هـ : ١٥٨٧ - ١٥٩١ م ) ، وأراد أن ينظم  
 أولاد العرب من المصريين في سلك الجيش ، اشتعل لهيب الفتنة بين الجنود ، ولم  
 يقبلوا أن يتشبه بهم غيرهم في لباسهم ، وهجموا على أويس باشا وأهانوه ( ٩٩٧ هـ :  
 ١٥٨٩ م ) ، فاضطر الى الإذعان لمطالبهم . ومما يجدر ذكره بمناسبة ولاية أويس باشا

(١) وهم قوم من شيعة زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي كرم الله وجهه . وهم  
 جملة فرق جهرتهم الآن باليمن ولهم فيها امام لا يزال خارجاً على الخلفاء من العرب أو الترك

(٢) اسمه اسكندر باشا الفقيه الجركسي ، وهو مسلم طبعاً

أراد الاستقلال بملك مصر ، فأمر بضرب السكة باسمه ، والدعاء له في الخطبة . ولكنه لم يلبث أن قبض عليه وأرسل رأسه الى القسطنطينية بعد أن علق على باب زويلة على أن تاريخ مصر في القرنين الأولين من الفتح العثماني ليس به شيء من الأخبار المتفتة ، ولا يشتمل غالباً على غير سلسلة من الولاة لا يكاد الواحد منهم يعين حتى يُغزل ، منهم نفر قاموا بتشديد بعض المساجد والمدارس ، ومنهم من لم يشتغل بشيء سوى التزود من المال قبل أن تنقضى مدة ولايته . ومع ذلك كان ولاه القرن الأول وأكثر الثاني في العدل وضبط الأمور خيراً ممن أتى بعدهم

سليمان باشا  
واصلاحاته

ومن أعظم الولاة العاملين في ذلك العصر « سليمان باشا » : نُصّب على مصر سنة ٩٣١ هـ ( ١٥٢٥ م ) . فاهتم بالنظر في أحوال البلاد وإصلاح ما فسد منها ، فعين مأموراً لمسح الأراضي ، ورتب الضرائب على أحسن نظام ، واستحدث دفاتر جديدة لأعمال الحكومة ، وشيد كثيراً من المباني النافعة . وفي مدة ولايته كثر تعدى سفن البرتقال على بلاد البحر الأحمر وسواحل الهند حتى قطعت المواصلات التجارية بين مصر وتلك الجهات . فاستغاث « درشاه » حاكم « بكرات » بالسلطان سليمان القانوني . فأصدر السلطان أمراً الى سليمان باشا بإنشاء أسطول بالديار المصرية والخروج به الى البحر الأحمر لكسر شوكة البرتقال ، فجهز سليمان باشا الأسطول وشحنه بالجيوش وأقلع به من السويس سنة ٩٤٤ هـ ( ١٥٣٨ م ) . فاستولى على « عدن » ، ثم توجه الى بلاد الهند ، فالتحم مع البرتقال في المياه الهندية في موقعة عظيمة كان النصر فيها للبرتقال بالرغم مما بذله سليمان باشا من الجهد العظيم

خروجه  
لمحاربة البرتقال

وكانت ولاية مصر قد أُسندت أثناء اشتغال سليمان باشا بأمر حملة الهند الى « خسرو باشا » سنة ٩٤١ هـ ( ١٥٣٥ م ) ، فأنتم الإصلاحات التي بدأها سليمان باشا ثم زاد في مقدار الجزية التي تُرسل للدولة ، فاستدعى الى الاستانة مخافة أن يكون قد أحدث ضرائب جديدة تضر بالبلاد . ولما عاد سليمان باشا الى مصر تسلم مقاليد الأمور ثانية وبقي والياً عليها الى أن استدعى الى الاستانة وأُسند اليه مسند الصدارة العظمى بها

انابة خسرو باشا

بعث السلطان سليمان القانوني أحدَ ولاية مصر بأسطول لردعهم ، فلم يفلح . والحق أن  
العثمانيين لم ينتهزوا الفرصة المناسبة لمنازلة البرتغال والاستيلاء على الثروة الهائلة التي نهان العثمانيين  
كان يجنيها المماليك من مرور تجارة الهند من مصر والشام . فكان الواجب عليهم  
أن يتحدوا مع البنادقة ( شركائهم في هذه الخسارة ) ، ويستعينوا بهم في القضاء  
على أساطيل البرتغال ، ولكنهم غفلوا عن ذلك ، بل كانوا هم القاضين على قوة  
البنادقة بحروبهم التي شنوها عليهم واستيلائهم على كثير من أملاكهم  
ومن ذلك الحين كثر التلصص في البحر الأبيض ، ففضى على البقية الباقية من  
التجارة التي كانت تمر من هذا البحر

## ٦ - أشهر الولاة وأهم الحوادث \*

أول من ولي العثمانيون على مصر من الولاة « خير بك » : ولَّاه السلطان سليم  
مكافأة له على مساعدته في فتح مصر والشام . وبقي في منصب الولاية أكثر من  
خمس سنوات كان فيها مكروهاً من جميع الرعايا المسلمين . فقرَّب منه اليهود والنصارى  
وأخذ بناصرهم ، فلم يغن ذلك عنه شيئاً . ولما ازداد كُرْبُهُ من الحياة أفرج عن كثير  
من مسجونى القاهرة ، ووزَّع كثيراً من المال والخيرات على المساكين وخدم المعاهد  
الدينية . وقد أبدى أسفه الشديد وهو في سياق الموت على ما فرط منه . ودُفن  
بمسجده الذى بناه بالتيانة بالقرب من باب الوزير بحجة الخير بكية المسماة بهذا الاسم  
نسبة إليه

وخلفه « مصطفى باشا » زوج أخت السلطان سليمان القانوني . وهو أول من  
لقب بلقب باشا من ولاية مصر . وكان لا يعرف العربية ، ولا يُظهر شيئاً من الحفاوة  
للوافدين عليه والمهنتين له من أهل البلاد

ولم يمضِ عهد طويل بعد الفتح حتى ظهر فضل احتياط السلطان سليم لتقبيد  
سلطة الوالى ، فان الوالى الثالث « احمد باشا » همَّ بعمل ما كان يخشى منه ، إذ  
احمد باشا  
ومحاولة  
الاستقلال بمصر

جاما والزامرين  
الضوض بحر لا عمل لهم إلا النهب والسلب في البحار . ولكن « جاما » ( أول مستعمر  
أوربي في الشرق ) استعمل الملقق والثبات ، وما زال بالزامرين يتلقفه ويشرح له  
غرضه حتى استماله ورغبه في تبادل التجارة مع البرتغاليين ، وعقد معه معاهدة تجارية  
كانت بعد ذلك سبباً في زوال ملكه

تأثير كشف  
الطريق الجديدة  
بذلك تم للبرتغال كشف طريق جديدة للهند ، فكانت فاتحة لانقلاب عظيم  
في تجارة العالم بأسره ، اذ أن نقل البضائع صار ينفق عليه بهذه الطريق ثلث ما كان  
ينفق بالطريقة القديمة ، فوف متاعها ومضايقتها . فكانت النتيجة أن تحول بحري  
هذه التجارة العظيمة من مصر والشام والبحر الأبيض المتوسط الى المحيط الاطلنطي  
حول شواطئ افريقية

اتحاد الغوري  
والبنادقة  
والزامرين  
على البرتغال  
وقد وقع خبر كشف الطريق الجديدة وقوع الصواعق على مصر والأمم التجارية  
بالبحر الأبيض ، ولا سيما البنادقة ، لعلمهم ان فيه الضربة القاضية على أهم منابع ثروتهم .  
وكان البرتغال قد أخذوا في توسيع نفوذهم في بلاد الهند ، غير مكتملين بالعلائق التجارية  
بل استولوا بالسيف والمدافع على إمارة « قاليقوت » وجعلوها في عداد مستعمراتهم  
وذلك أن السلطان الغوري اتحد سرّاً مع البنادقة ومع ملك « قاليقوت »  
( الذي اتضح له سوء نية البرتغال ) على أن يعملوا معاً على نزع سيادة البرتغال من  
الشرق . فأنشأ الغوري أسطولاً عظيماً ، وساعده البنادقة بحلب الأخشاب اللازمة  
لبنائه ، فظهر الأسطول في البحار الهندية والتقى بسفن البرتغال بالقرب من شواطئ  
بمباي ، فكانت الغلبة للمصريين ، وقتل ولد الوالي البرتغالي ( ألميدا ) بالهند في تلك  
الموقعة . ولكن لم يلبث البرتغال أن جمعوا أسطولاً آخر ، وحاربوا المصريين في موقعة  
بحرية عظيمة بالقرب من جزيرة « ديو » أمام بمباي سنة ١٥٠٩ م )

واقعة ديو

انتصروا فيها على المصريين في موقعة كانت هي الفاصلة في أمر التجارة الهندية  
فإنه لما خضعت مصر بعد الدولة العثمانية لم يصبح لها من الأمر شيء في مكافئة  
البرتغال . ولما اشتد عبث البرتغال بسفن غيرهم ممن حاولوا الاتجار في تلك البحار ،



من الطريق حول افريقية . فرجع البرتغال الى مواصلة استكشافاتهم ، وفي سنة ١٤٩١ هـ استئناف الاستكشاف بقيادة فاسكو دي جاما ( ١٤٩٦ م ) أرسل ملكهم « إمانويل » بعثاً لهذا الغرض برياسة الملاحة العظيم فاسكو دي جاما ، فوصل الى رأس الزوابع الذي سماه تفاولاً « رأس الرجاء الصالح » وبعد ان كابد مصاعب جمة في المسير حوله ، لشدة الرياح الجنوبية الشرقية ، سار ازاء شاطئ افريقية الشرقى

ومن ثمّ شرع يسأل من الثغور التي يمر عليها عن الطريق المؤدية الى الهند ، فكان كلما حلّ بثغر وجدّه مسكوناً بالعرب . فكانوا يتمتعون عن ارشاده ، مخافة ان يجرّ عليهم ذلك منافسة تجارية لاطاقة لهم بها . وبعد أن أخفق سعيه في « مزنبيق » و« كدّوة » و« منبسة فازي » ملنّدة ، حيث أخذ ما يلزمه من الزاد ، واصطحب معه أحد الهنود العالمين حق العلم بالطريق الى « قاليقوط » ( على الشاطئ الغربى للهند ) . فبلغها « جاما » بهداية هذا الدليل في ثلاثة وعشرين يوماً



فاسكو دي جاما في حضرة الزامرين

ولم يرحّب به في بادى الأمر ملكها الملقب « زامرين » او « سامري » ( سيد البحار ) ، بل زاد في تنفيره منه تجاز العرب في تلك الجهات ، إذ أفهموه أن البرتغال ليسوا إلا

جداً في أول الأمر لاستيلاء العرب عليهم مما علق بأذهانهم من أهوال بحر الظلمات ( المحيط الأطلنطي ) وجنته ووحوشه ، وأخيراً وصلوا الى ما وراء رأس « بوجادور » عام ١٤٣٤م ، فأخذت تلك الحرافات تثلثني من ذلك الحين وصارت الكشفات على الشاطئ الأفريقي يتلو بعضها بعضاً . فكُشف « الرأس الأبيض » ( رأس بلنسكو ) سنة ١٤٤١م ، ومصب نهر السنغال عام ١٤٤٦م ، والرأس الأخضر عام ١٤٤٧م ؛ فتم بلوغ الرأس الأخضر لهنري بذلك الاهتمام الى بلاد غانة

ولم يحدث في عهد هنري بعد ذلك كشوف هامة جديدة الاكشف جزائر الرأس الأخضر عام ١٤٦٠م

ولم تقف حركة الاستكشاف بعد موت هنري الملاح ، فان تجارة غانة كانت قد أصبحت من أكبر موارد الحكومة البرتغالية ، فسهرت الحكومة على تنشيطها وعلى الاستمرار في كشف الشاطئ الأفريقي جنوباً . والظاهر أن فكرة البحث عن طريق الى الهند حول افريقية كانت قد تولدت ، فبقيت الاستكشافات يتبع بعضها بعضاً حتى بلغ « برنارنو ديوار » الملاح البرتغالي الشهير الى طرف افريقية الجنوبي ، وسار حوله حتى وصل الى خليج « ألجوا » سنة ٨٩١ هـ ( ١٤٨٦ م ) . وسمي هذا الطرف « رأس الزوايع » ( لؤلؤ ما لافاه في السير حوله ) ، ولكن ملك البرتغال أدرك قيمة هذا الكشف العظيم ، ورأى أنه فاتحة خير لتحقيق أمنية دولته وهي الاهتداء الى طريق الهند ، وعمل على مواصلة هذه الاستكشافات

بلوغ دياز  
جنوبي افريقية

وفي هذه الأثناء كان المستكشف العظيم « خير سنفو كلب » قد خرج في بعث بحري أمدة به ملك الاسبان ، وسار به غرباً يأمل الوصول الى الهند من هذه الطريق الغربية اعتقاداً أنه بكمروية الأرض ، فوصل الى إحدى جزائر الهند الغربية سنة ٨٩٧ هـ ( ١٤٩٢ م ) . فظن الناس أن هذه جزء من بلاد الهند ، وأن « كلب » قد كشف للاسبان طريقاً الى تلك البلاد أقصر وأسهل من الطريق الطويل الذي يعاني البرتغال كشفه . فوقفت الاستكشافات البرتغالية فترة من الزمن ، الى أن اتضح أن كلب لم يهتد الى طريق الهند ذاتها ، وأن طريقه إن أدى اليها يكون أطول

كشف  
الدنيا الجديدة

غيرة أوروبا  
من البنادقة  
والمصريين

ولا يخفى أن البضاعة التي اشتراها تاجر البندقية من مصر بمقدار ٣٥٠,٠٠٠ جنيه كانت تباع في أوروبا بأهبط الأسعار ، وربما بلغ ثمنها هنالك ٧٠٠,٠٠٠ جنيه . فاشتعل الحسد في الممالك الأوربية الأخرى من هذه الأرباح العظيمة التي لا ينقطع تدفقها في جيوب البنادقة والمصريين بسبب احتكار التجارة الهندية ، فدفعهم ذلك الى التفكير في الاهتداء الى طريق أخرى توصل الى الهند ، حتى ينالهم شطرٌ من أرباح تلك التجارة العظيمة . وساعد على إثارة هذه الهمة قيام النهضة العلمية العامة التي ابتدأت في أوروبا بعد فتح القسطنطينية وولدت في تلك البلاد روح الاستطلاع والاستكشاف وأول من فكّر من الأوربيين في البحث عن طريق أخرى الى الهند هم «البرتقال» وهم أمة تسكن الجزء الغربي من شبه جزيرة الأندلس : كانوا إحدى الإمارات التي استولت عليها العرب في الأندلس ، وانسلخوا عن حكمهم قبل إجلاء العرب من تلك البلاد ( في سنة ٨٩٧ هـ : ١٤٩٢ م ) بقرنين تقريباً . ومن ذلك الحين أخذوا يدافعون عن استقلالهم من غارات مملكة « قشتالة » ( كستيل ) المجاورة لهم ، حتى أمّنوا شرها بانتصارهم عليها في واقعة « الجبروتا » سنة ٧٨٧ هـ ( ١٣٨٥ م )

النهضة العلمية  
بأوروبا

البرتقال  
ونهبهم  
في الاستكشاف

هنري الملاح  
ومعاذته  
للملاحة

وأول من فتح للأوربيين باب الاستكشاف المطّرد الأمير « هنري » البرتقالى أحد أبناء الملك يوحنا الأول الذي أجلى العرب عن البرتقال واكمل استقلال تلك المملكة . وقد سُمّي « هنري الملاح » لأنه عميد المشجعين على الملاحة بين الأوربيين وأوّل حاضٍ على التجوّل في البحار الذي أدّى الى كشف الطريق الى الهند حول إفريقيا بل الى كشف العالم الجديد . ومع ما كان لأعماله من النتائج كان جُلّ ما ربه العمل على إضعاف المسلمين وانتزاع تجارة بلاد غانة من يد العرب . ولما كان بلوغ ذلك لا يتأتى من طريق البر لوجود أواسط افريقية بأسرها في حوزة العرب عوّل هنري على انجازه بطريق البحر . ومن ثمّ ابتدأت بعوثة البحرية التي أخذ يرسلها بيّنة بعد أخرى لكشف الشاطئ الافريقي والوصول أخيراً الى بلاد غانة  
شرع هنري في إرسال بعوثة عام ٨٢١ هـ ( ١٤١٨ م ) فكان تقدم ملاحيه بطريقاً



جنوة والبندقية

وقد كان لمرور التجارة الهندية من هاتين الطريقتين أكبر أثر في ترويج تجارة البحر الأبيض المتوسط ، وعظمت بسببها ثروة الدولتين اللتين اشتهرتا بالملاحة فيه : وهما « جنوة » و « البندقية » ، ولا سيما الأخيرة ، فان تجارها نالوا لدى الممالك حُظوة كبيرة وصلت بهم في آخر الأمر الى احتكار نقل هذه التجارة العظيمة

مقدار المكوس

ولم يتفق المؤرخون على تفاصيل مقدار المكوس التي كان يجيئها الممالك من هذه التجارة ، ولكن المفهوم من تقدير معظمهم أنها لم تقلّ عن سدس ما تساويه البضاعة وقت وصولها الى حدود الأملاك المصرية ، وسدس ما تساويه أيضاً عند خروجها من موانئها. فاذا فرضنا أن أحد تجار العرب اشترى من الهند بضاعة بما يعادل ١٠٠٠٠٠ جنيه مثلاً ، وسلك طريق البحر الأحمر حتى رسا بها في السويس ، أصبحت قيمتها بالطبع أعظم كثيراً مما اشترت به من الموانئ الهندية ، ولنفرض أنها صارت تساوى ١٨٠٠٠٠ جنيه مثلاً. فيكون ما يدفع عنها من المكوس حينئذ يعادل ١٨٠٠٠٠  $\times \frac{1}{4} = ٣٠٠٠٠$  جنيه. ثم يشتريها تاجر آخر فينقلها الى الاسكندرية ليبيعها الى أحد تجار البندقية ، فتزيد قيمتها بالطبع بقدر ما دفع عليها من المكوس وأجر النقل وبقدر الربح الذي يريده التاجر الثاني ، ولنفرض أنها صارت تساوى ٣٠٠٠٠٠ جنيه. فتكون مكوسها بالاسكندرية تعادل  $٣٠٠٠٠٠ \times \frac{1}{4} = ٥٠٠٠٠$  جنيه. أى أن مجموع ما دفع عليها من المكوس يبلغ  $٣٠٠٠٠ + ٥٠٠٠٠ = ٨٠٠٠٠$  جنيه ، وذلك عدا ما يكون قد دُفع عنها لعمال الحكومة على سبيل الهدايا أو الرشوة : مما يقدر بألف جنيه أو ألفين ، أى أن مجموع ما دخل الأراضى المصرية من المال بسبب مرور هذه البضاعة فيها ( ١٠٠٠٠٠ جنيه تقريباً ) يقرب من الثمن الأصلي الذي دُفع عنها في الهند. زد على ذلك أن تجار العرب كانوا تحت رحمة الممالك ، يصادرونهم أحياناً ، ويقترضون منهم قهراً كلما احتاجوا الى المال. ومن ذلك تعلم السرفى بقاء دولتى الممالك البحرية والجزا كسة على تلك الدرجة العظيمة من الثروة التي مكّنتهم من حفظ أبهة الملوك وتشديد القصور الشاهقة والمباني الفاخرة جيلاً بعد جيل



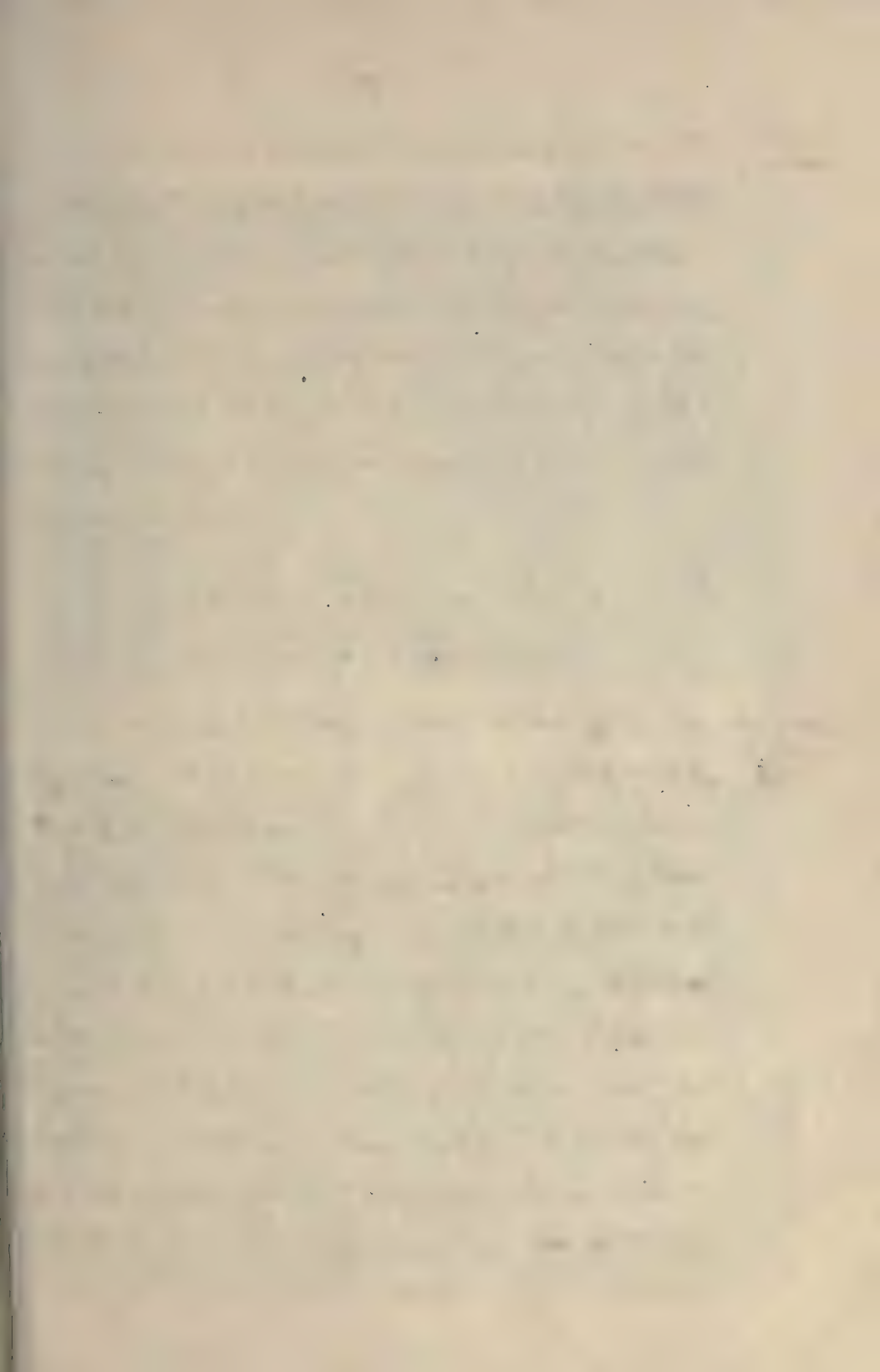
وان اهتمام هذه الأسرة وأمثالها بجمع الكتب وتسهيل اعارتها يدلنا بعض الدلالة  
 على مقدار إقبال الناس على العلم في هذه الأيام . ويؤيد لنا ميل الناس الى الاقتطاع  
 الى طلب العلم ذكر ذلك العدد الكبير من أهل العلم والتأليف الذين عني « الجبرتي »  
 بكتابة تراجمهم : من مشايخ الأساتذة والعلماء ، والمؤرخين والشعراء ، وغيرهم ممن  
 ليس لهم نظير في زماننا . غير ان اشتغالهم كان قاصراً على مدارس قواعد العلوم  
 اللسانية والشرعية والرياضة النظرية . فلا هم تأثروا بالنهضة العلمية بأوربا ، ولا هم  
 رجعوا الى النهضة العربية القديمة التي جعلت عصر الرشيد والأمين والمأمون من  
 أزهر عصور العلوم العمالية

## ٥ — \* تجارة مصر وشواطئ البحر الأبيض \*

وتأثرها بالاستكشافات البرتغالية في افريقية

كان سلاطين دولتي المماليك البحرية والبرجية في سعة عظيمة من المال ، تدل  
 عليها مبانيهم الشاهقة وآثارهم النفيسة . لأن موارد ثروتهم لم تكن بالطبع قاصرة على  
 الزراعة التي هي أساس ثروة مصر الآن ، بل ان كثيراً منها كان من الضرائب  
 المفروضة على التجارة الهندية العظيمة عند مرورها الى أوربا . وذلك انه قبل الاهتداء  
 الى الطريق المؤدية من أوربا الى الهند حول جنوبي إفريقيا لم يكن للتجارة الهندية  
 مع أوربا إلا طريق البحر الأبيض المتوسط : تنقل البضائع برّاً من الخليج الفارسي  
 أو البحر الأحمر الى اسكندرونة أو الاسكندرية على شاطئ البحر الأبيض ، ومنهما  
 تنقل بطريق هذا البحر الى مدينة « البندقية » حيث توزع في أوربا . وسواء أنقلت  
 البضائع بطريق الخليج الفارسي أم بطريق البحر الأحمر ( وهو الأغلب لموافقته )  
 تمرّ لا محالة من أراضي المماليك ، إذ هم المالكون في ذلك الوقت لمصر والشام معاً .  
 فانتفع المماليك بهذه المزية أيّما انتفاع ، وضربوا مكوساً كبيرة على التجارة عند  
 دخولها في أملاكهم وعند خروجها منها ، فكان ذلك يأتهم بدخول لا يُستهان به  
 تاريخ جزء ٢ (١٠)

التجارة مصدر  
 ثروة عظيمة  
 للمماليك



بقايا الصناعات المصرية (عن كتاب وصف مصر)



مصنع نسيج



مصنع زجاج

العلماء . وتشعّثت حال الفلاح حتى صار رثماً في ملبسه ومسكنه وما كاه : لا يكاد يفيق من دفع ضريبة شرعية أو غير شرعية حتى يطالب بدفع أخرى ، وإذا امتنع عن الدفع ( فتمراً أو ادعاءً ) ضُرب وعُذّب حتى يدفع ، وربما قُتل من أجل ذلك واختل الأمن في تلك الأيام ، وكثرت مناسر اللصوص وقطاع الطرق ، فتأخرت التجارة ، وأهملت مرافق الزراعة ، وانقرض معظم الصناعات ، وكانت قد دخلت في طور تهقر بعد أن نقل السلطان سليم أمر الصناع إلى القسطنطينية ، ففضى الفقر واختلال الأمن على البقية الباقية منها

اهمال  
الزراعة والصناعة

وفي أواخر القرن الثاني عشر هـ ( الثامن عشر م ) كان تكرير السكر لا يزال جارياً في بعض أنحاء البلاد ، وكذلك بقي أثر من صناعة الحرير والكّتان التي كانت لمصر فيها شهرة فائقة من قبل ، كما بقيت نماذج من صناعة الزجاج

على أن الذي لطّف هذه الحالة أن ما كان يُجْبَى من البلاد كان يصرف في نفس البلاد : فالثروة التي كانت ترد متجزئة إلى خزائن الأمراء وتتجمع فيها ، تُنفق بعد متجزئة إلى التجار من الأهليين بعد دفع الخراج ، الذي لم يكن كبيراً . ولم يكن ظلم المماليك وعسفهم ليمنعهم من الكرم وبذل الصدقات ، فكان كبار القوم يعيشون في رخاء وسعة ، وكانت بيوتهم مفتحة للقادمين في الغداء والعشاء . وكانوا في الأعياد يوزعون كثيراً من الأرز والعسل واللبن على الفقراء والمساكين ، كما يوزعون عليهم الحلوى أيضاً في أيام الجمعة والمواسم

كرم المماليك

ولم يكن أمراء المماليك وخدمهم أصحاب القصور الفاخرة ، بل شاركهم في ذلك كثير من التجار ، وكان من بين المنازل الكبيرة المطلة على بركة الأزبكية ( حديقة الأزبكية الآن ) منزل لتاجر شهير يدعى « أحمد الشرايبي » غاية في الحسن . وكانت لهذه الأسرة ثروة طائلة ، وبيتهم يؤمه العلماء من كل جانب لاشتغالهم على كل ما يرغبه الطالب من الكتب ، التي كانوا يُعَوِّنون بجمعها من كل سوق ، ولا يرضون على أحد باعارتها

بعض الثروة  
من الاهليين



الى مراتب الرياسة كانت ركائبهم مزينة بأفخر الحرائر ، ومُرَقَّشة من كل جانب بالذهب والفضة ، على حين أن المصريين الأصايب لم يسمح لهم إلا بركوب البغال والحمير



شكل مملوك

( عن كتاب وصف مصر )

وصار أهل البلاد هم العبيد الحقيقية ، و « المماليك » هم السادة . اذ استولى فقر الاهلين المماليك على جميع الأملاك الا ما كان منها موقوفاً على الأعمال الخيرية في وصاية

على النمط الأوربي ، إذ اقتضى ذلك انشاء شوارع مستقيمة بالقاهرة ، وغالى القائلون بهذا الإصلاح ، فهدموا كثيراً من الآثار النفيسة لإيجاد فضاء للشوارع أو الميادين المراد انشاؤها . وأوضح مثال لذلك « شارع محمد علي » فإنه لم يتم انشاؤه إلا بعد أن هُدم لأجله الكثير من المباني الأثرية الفاخرة : من ذلك جامع بديع كان بميدان « باب الخرق » تلجج كتب التاريخ بفخامته \* وجامع « قوصون » ( قيسون ) ، وجامع أربك موضع العتبة الخضراء ، وكان الأخيران من الجوامع الفخمة العظيمة

وربما كان الخطب أعظم لو لم تؤلف « لجنة حفظ الآثار العربية » ، أنفها الحديوى توفيق باشا سنة ١٨٨١ م لمنع العبث بهذه الآثار والمحافظة عليها ، فكان لأعمالها اعظم ثمرة فى ذلك

لجنة حفظ  
الآثار العربية

## ٤ — ممالك وأهل البلاد \*

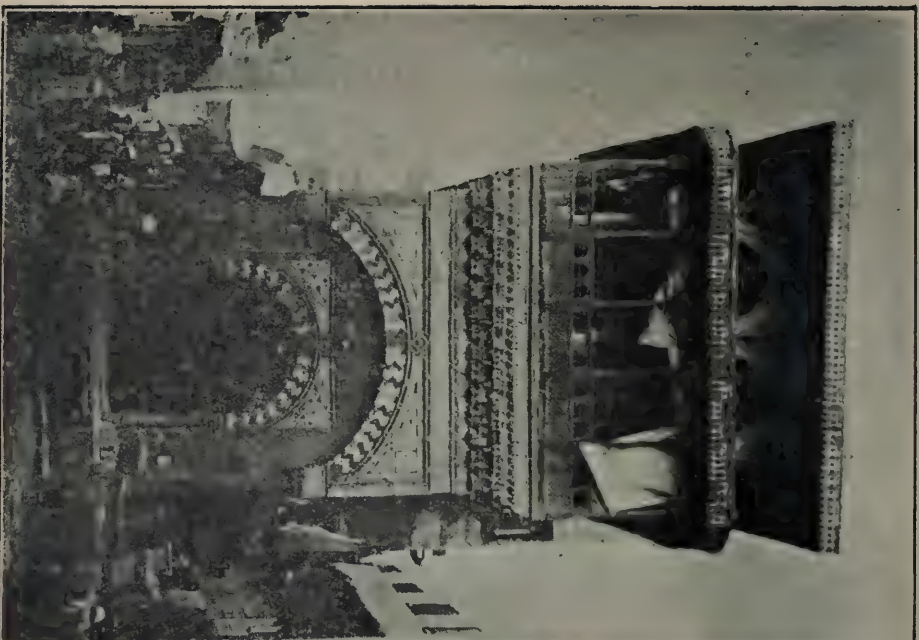
ممالك هذا العصر ( كمن سبقهم من الممالك ) لم يمتزجوا بالسكان الأصليين بل عاشوا متفرقين فى معزل عنهم . وقليل منهم من تزوج وكوّن له أسرة ، إذ كان دبّئهم الحروب والفروسية ، فلا يرضون بشيء يشغلهم عنها . ومعظمهم كان يموت فى ساحة الوغى وسنّه لا تتجاوز الخامسة والثلاثين . ومن عاش منهم عيشة هادئة ورضى بالزواج ( وهو النزر اليسير ) كان نسله يندمج على مدى الأيام فى المصريين وقد غالى الممالك فى أواخر العصر العثمانى فى ابتزاز الأموال من الأهلىين ، وانغمسوا فى الترف فى مسكنهم وملبسهم ومعيشتهم ، على غير عادتهم الأولى المبنية على الحشونة والسداجة فى كل شيء ، وصارت حلة البيك منهم لا يقل ثمنها عمّا يعادل ٦٠٠ جنيه الآن ( مع عظم قيمة النقود فى تلك الأيام ) ، ولا يمتطون إلا خيول « نجد » العربية الأصيلة التى يبلغ ثمن أحدها نحو ٣٠٠ جنيه

عزلة الممالك  
عن المصريين

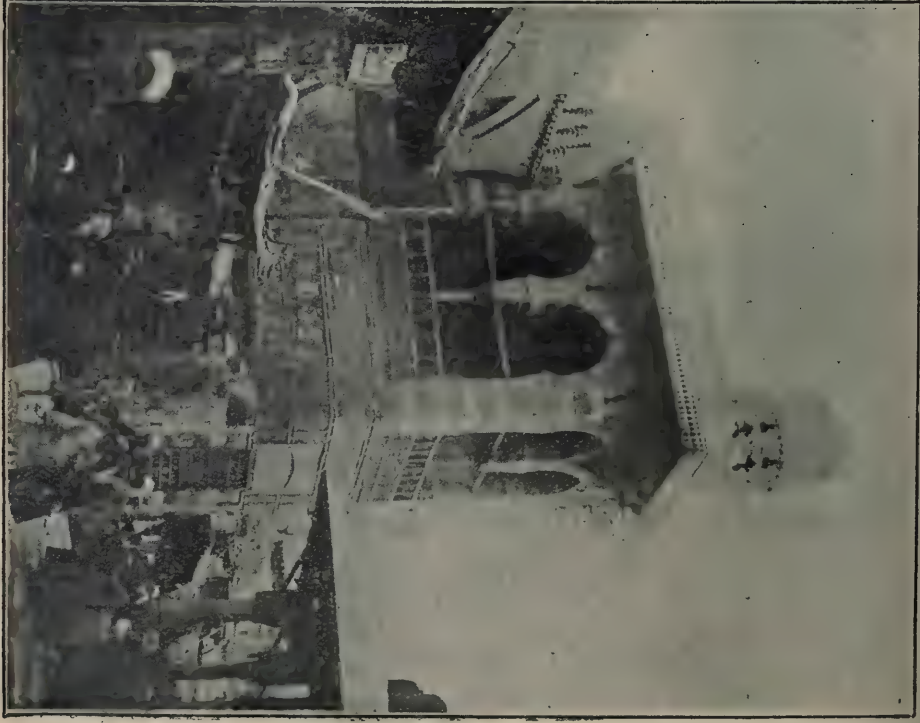
ترف الممالك

ولم يكن ذلك قاصراً على البيكوات أنفسهم ، بل ان ممالكهم الذين لم يرتقوا بعد

\* هو جامع اسكندر باشا المتولى على مصر سنة ١٦٦٣ هـ ، وهو غير اسكندر باشا الفقيه الجركسى الذى اتاهه سنان باشا عند خروجه الى اليمن ، وسبأنى ذكره بعد



سیل و مکتب عبد الرحمن کنفرا



( رسم علی افندی یوسف )

سیل و مکتب خسرو پاشا



كتبخدا  
شيخ المشيدين

الماليك أنفسهم . وشيخُ المشيدين والمزمين في ذلك العصر هو « عبد الرحمن كتبخدا » من كبار الماليك الذين استحوذوا على جانب عظيم من السلطة في أواسط القرن الثامن عشر بعد الميلاد، فان بالقاهرة من آثاره ١٨ جامعاً ما بين مُنشأ ومجدّد وذلك عدا الكثير من الزوايا والأضرحة الصغيرة التي رُمّما ، وعدا السبل الكثيرة التي أنشأها ، وله أيضاً قناطر ( كبارى ) وأعمال أخرى هندسية . ومن أجل آثاره سبيله الصغير ، السالف الذكر ، وان كان في الحقيقة أصغر أعماله . ومن مبانيه جامع خارج باب الفتوح وآخر بالقرب من باب الغُربّ ما حقّق به صهرنج وسبيل ومدرسة وبني صهرنجاً آخر للسقّائين بالقرب من جبانة الأزبكية ، وجدد ضريح السيدة زينب وضريح السيدة سكيّنة ، وشيد غيرها بالقرب من باب القرافة وبجبهة عابدين وغيرها ومن أهم آثاره تجديداته بالأزهر ، فإن معظم ما جُدّد أو زيد في هذا الجامع حتى جعله في شكله الحالي : من عمل عبد الرحمن كتبخدا . ذلك الى ما أنشأ فيه من دور الكتب والمطابخ وغيرها تشجيعاً لطالب العلم

وأخر ما أقيم بمصر من الآثار التركية الجميلة المكتب والسبيل اللذان بناهما السلطان مصطفى الثالث ( ١١٧٣ هـ : ١٧٥٩ م ) تجاه مسجد السيدة زينب عند مدخل شارع الكومي الموصل للمدرسة السنية ، والمدرسة والسبيل والمكتب التي بناها السلطان محمود الأول ( ١١٦٤ هـ : ١٧٥٠ م ) في شارع درب الجمائز في مدخل حارة الحبابية أمام قنطرة سنقر . والبناءان في قِمة ما وصل اليه فن العمارة التركية البهتة من الاتقان

يُعام مما تقدّم أن الآثار العربية لم تهمل اثناء العصر العثماني في مصر ، بل عُنى بصيانتها وزيد عليها بقدر ما تسمح به ثروة البلاد في ذلك الحين . وإن ما أصاب الآثار العربية من الإهمال ( بل الإباداة ) لم يبتدئ إلاّ منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ( التاسع عشر م ) عند ما استولت الحكومة على ريع الأوقاف التي كان يصرف منها على صيانتها ، وزاد الطين بلة ما ابتدأ به ذلك العهد من اصلاح البلاد

مق املت  
المباني العربية



المشيّد سنة ٩٤٥ هـ ( ١٥٣٨ م ) وهو المجاور لقبة الصالح أيوب بالنحاسين وقصارى القول ان آثار العصر التركى فى مصر ، وان كانت جميلة فى بابها ، هى أقل رونقاً ودقة من آثار الممالك . وسواء فى ذلك المباني أو الترميمات ، فانّ هذه الترميمات لم تتناسب فى أى أثر رُمم فى هذا العصر مع جمال البناء الأصلي ، وكثيراً ما تكون أشبه بالرقع الخلفة فى الثوب الجميل

مستحدثات  
العثمانيين فى  
المباني المصرية

واستحدث العثمانيون فى بناء الجوامع بمصر الشكل التركى ، وهو متخذ من شكل كنانس « بوزنطية » القديمة . وأهم شئ فى أوضاعه اتخاذ القباب بدلاً من السقف المستوية ، فصارت القبة فى كل جامع هى المركز الذى يدور عليه البناء بعد ان كانت إشارة الى الأضرحة والتربّ فى الزمن السابق . ومن مميزات هذه المباني أيضاً اتخاذ « القاشانى »\* الحلى بالأشكال الفرنجية دون العربية . وبناء المنائر الاسطوانية الشكل أو المنشورية الكثيرة الأضلاع جداً حتى تفرب من الأسطوانية ، وتنتهى غالباً بمخروط أو هرم كثير الأضلاع يتخذ من الخشب

فأول جامع بُنى فى مصر على هذه الأشكال البوزنطية هو جامع سليمان باشا الشهير الآن بسارية الجبل الذى شيد داخل القلعة سنة ٩٣٥ هـ ( ١٥٢٨ م ) . ويليه جامع سنان باشا بيولاى المشيّد سنة ٩٧٩ هـ ( ١٥٧١ م ) ، ثم جامع الملكة صفية بالداودية المبنى سنة ١٠١٩ هـ ( ١٦١٠ م )

سبيل  
عبد الرحمن  
كتبخدا

وقد حوكت الأوضاع العربية فى بعض مباني هذا العصر ، إلا أن هذه المحاكاة قلما كانت تامة ، حتى فى أقرب المباني الى الوضع العربى مثل سبيل عبد الرحمن كتبخدا المبنى سنة ١١٥٧ هـ ( ١٧٤٤ م ) ، وهو فى ملتقى شارعى النحاسين والجمالية ويكنى للدلالة على أنه ليس عربى الشكل من كل وجه شكل شبابيكه ومصبغاتها النحاسية . ( قارن هذه بشبابيك سبيل خسرو باشا العربية الشكل )

ولم يكن الولاة وحدهم هم المشيدين لهذه الآثار ، بل ان معظمها كان من عمل أمراء

\* القاشانى قطع من الخنزف المطلى بالمينا عليها أشكال هندسية أو نباتية ملونة

أدهى وأمرّ ، فإن كل بيك من حكام المديريات كان يفرض على محصول الأراضي ضريبة لإدارة المديرية تسمى «كشوفية» ، وكثيراً ما يفرض على السكان ضرائب أخرى اضافية كما احتاج الى المال لمحاربة نظرائه من المالك أو مكافأة الباشا أو السلطان بهذه الضرائب المضاعفة ، التي لم يكن لها حد معلوم ، تسربت الفقر الى أهل البلاد حتى وصلوا في أواخر القرن الثاني عشر الهجري الى درجة من الفاقة لم يسبق لها مثيل

### ٣ - \* المباني \*

لم تعد مصر بعد أن فتحها العثمانيون دولة ذات أملاك عظيمة كما كانت من قبل ، بل صارت ولاية لا ثروة لها إلا من داخلها ، وهذه الثروة ذاتها أخذت في الاضمحلال بتسرب الإهمال في مرافق الزراعة والصناعة ، ثم إن اهتمام البرتقال الى طريق الهند حول جنوبي افريقية حول التجارة المارة بين أوروبا والهند من طريق مصر الى المحيط الانجليزي (كما سيأتى ذكره) . كل ذلك أضعف كثيراً من ثروة البلاد فصارت لا تقوى على انشاء الآثار العظيمة التي كانت تقام من قبل

فقر البلاد

على انه لم ينشأ عن هذه الحالة إهمال المباني جملةً . فالقاهرة مملوءة بالجوامع التركية ، وبها من السبل والرباطات (التكاي) والوكائل والربوع التي شيدت في هذا العصر شئ كثير ، وإنما نشأ عنها توخي الاقتصاد في اقامة المباني وزخرفتها ، فلم تعد الجوامع تبنى بتلك السعة العظيمة التي نشاهدها في أبنية القرون السالفة ، ولم يُصرف على زخرفتها من المال شئ ، يذكر بجانب ما كان يُنفق على مثلها في تلك الأزمان . ومن نتائج الاقتصاد في مباني هذا العصر أيضاً ان صارت السبل والمكاتب تبنى لها أبنية قائمة بذاتها بعد ان كانت من ملحقات الجوامع

عدم  
اهمال المباني

توخى الاقتصاد

كذلك قات الدقة في البناء ، لقلة الثروة من جهة ، ولتقهقر الصناعات من أخرى ، وليس من آثار هذا العصر ما يلاحظ عليه آثار الدقة إلا القليل ، ومثل ذلك شيد في أوائل عهد العثمانيين في مصر . ومن أهم هذا النوع سبيل «خمسرو باشا» بالبحاسين

قلة الدقة في  
البناء والزخرفة

ذلك هو النظام الذى وضعه العثمانيون لإدارة مصر ، ولا غاية لهم منه سوى المحافظة على بقاء البلاد خاضعة للدولة ، سواء أكان ذلك فى صالحها أم لم يكن . وقد بقيت هذه السياسة ناجحة نحو قرنين من الزمان ، الى أن أخذت الدولة فى أسباب التقهقر ، وزحفت التماسا والروسيا على حدودها الشمالية ، فضعف نفوذها فى مصر ، وانتقلت السلطة الحقيقية الى أيدي المماليك

## ٢ — \* الضرائب \*

لما فتح العثمانيون مصر فى سنة ٩٢٣ هـ ( ١٥١٧ م ) فرضوا عليها خراجاً سنوياً <sup>المال الاميرى</sup> يرسل للسلطان ، يجمع من ضرائب الأملاك وخاصة الأراضى . وكانت هذه الضرائب تسمى « الميرى » أى ( الأموال الأميرية ) ، وكان لكل جهة ملتزم يتعهد بتوريد ما يخصها من الخراج ، ومن أجل ذلك تُعفى أرضه من الضريبة ، ويكلف الفلاحون زرعها له بالجان ، علاوة على ضريبة أخرى يجبيها لنفسه منهم . وكانت حقوق هؤلاء الملتزمين ومناصبهم وراثية

وكان جانب عظيم من الأرض موقوفاً على المساجد والمدارس والرباطات وغيرها <sup>الاقواف</sup> من الأمور الخيرية ، وهو معفى أيضاً من الضريبة ويُزرع بعضه ( إن لم يكن كله ) بالتسخير \*

وانشأ السلطان سليم بالقاهرة قلماً يعرف بقلم « الأفندية » لتقرير الضرائب ومراقبة جمعها وتسليمها من الملتزمين ، وجعل فيه دفاتر لحصر حساب الحكومة وأخرى لتدوين انتقال الملكية

فيُعلم مما تقدم ان كاهل الفلاح كان مُثَقلاً بالضرائب وأعمال السخرة . ولت كثرة الضرائب مصابه وقف عند ذلك الحد ، فإن ما كان يبتزّه منه ييكوات المماليك أنفسهم كان

\* روى ان السلطان سليم لما هم بمغادرة الديار المصرية شاوره « خير بك » فى ابقاء أوقاف المماليك أو حلها ( وكانت نحو عشرة فراريط من أرض مصر ، جميعها معفى من الضرائب ) ، فأمر السلطان سليم بابقائها . فاعترض عليه وزيره ، فغضب عنقه

## ١ - \* نظام الحكومة \*

الحكومة في ثلاث سلطات  
بعد أن تمَّ للسلطان سليم فتح مصر وضع لإدارتها نظاماً يكفل بقاء خضوعها وعدم استقلال أحد فيها بأمرها ، فأودع مقاليد حكمها ثلاث سلطات ، له من تنافس رجالها أكبر كفيل بيفيته :

١ . الوالى  
السلطة الأولى - الوالى ، وأهم أعماله إبلاغ الأوامر التى ترد عليه من السلطان الى أعمال الحكومة ومراقبة تنفيذها

٢ . الجيش  
والسلطة الثانية - جيش الحامية ، وقد كوَّنه السلطان سليم من ست فرق (وجافات) ، ونصَّب عليهم قائداً يقيم بالقلعة ، وجعل على كل فرقة ستة من الضباط ، وشكَّل من هؤلاء الضباط مجلساً (ديواناً) يساعد الوالى فى إدارة شؤون البلاد ، وجعل لهذا الديوان الحقَّ فى رفض مشروعات الوالى اذا لم يرَ فيها مصلحة

٣ . المماليك  
والسلطة الثالثة - المماليك : نصَّب كل واحد منهم على سنجق ( مديرية ) من الأربع والعشرين مديرية التى تنكوَّن منها البلاد . وكان هؤلاء الرؤساء من المماليك يُعرفون « بالبيكوات » وتسمى مدير ياتهم « سناجق »

تعديل سليمان  
ولما انقضى حكم السلطان سليم فى سنة ٩٢٦ هـ ( ١٥٢٠ م ) وخلفه السلطان سليمان القانونى أنشأ مجلسين آخرين يُعرفان بالديوان « الأكبر » و « الأصغر » ، يجتمع أولهما عند التحدث فى الشؤون الخطيرة ، ويجتمع الثانى كل يوم ، وأعضاء الأول من رجال الجيش والعلماء معاً ، وليس بالثنى احد من العلماء ونحوهم . وأضاف سليمان أيضاً فرقة سابعة الى الجيش ضم اليها عتق المماليك . فبلغ بذلك جيش الحامية نحو ٢٠.٠٠٠ \*

\* وقد أدخل الترك كثيراً من الانقلاب فى مصر لا يزال كثير منها مستعملاً الى الآن منها : لقب « باشا » الذى كان يطلق على الولاة المرسلين من القسطنطينية ، ولقب « أغا » وكان يطلق على قائد الجيش أو الفرقة الواحدة ، ولقب « كئخدا » أو « نخبة » وهو وكيل الباشا وكان يطلق أيضاً على موظف خاص فى كل فرقة بالجيش . أما لقب « بك » و « الاقندى » فكان لكل منهما معنى خاص فى مبدأ الامر فقد بالتدريج حتى صارا يستعملان فى معنيهما الحاليتين



فرنسا التي كانت نار الثورة تتأجج فيها ويُنتظر اشتباك النمسا وبروسيا معها في حرب  
وبذلك يخلو الجو للروسيا في بولنـدة . لذلك رضيت كثيرين بمهادنة الدولة وأبرمت  
مـعها معاهدة « ياسى » سنة ١٢٠٦ هـ ( يناير سنة ١٧٩٢ م ) . وأهم شروطها أن  
اعترف الباب العالي بكل مواد معاهدة « كينارجى » وترك للروسيا أيضاً القرم وباقي  
الأراضي العثمانية الى نهر الدنيستر . وبذا صارت روسيا صاحبة السيادة المطلقة على  
شمالى البحر الأسود

هذا ما وصلت اليه الدولة فى أواخر القرن الثامن عشر من جراء السياسة الروسية .  
وقد خسرت أملاً كاملاً أخرى فى القرن التاسع عشر ، ولكن دول أوربا العظمى لم تسمح  
للروسيا الى الآن بتنفيذ ما يرمى اليه المشروع الشرقى الذى كان تحقيقه جل أمنائها ،  
وإن تكن سمحت لغيرها بالتصرف فى كثير من أملاكها

## الفصل الثالث

### حكم العثمانيين فى مصر

( ٩٢٣ - ١٢١٣ هـ : ١٥١٧ - ١٧٩٨ م )

باستيلاء السلطان سليم على مصر فى سنة ٩٢٣ هـ ( ١٥١٧ م ) أصبحت مصر جزءاً من  
أملاك الدولة العثمانية ، ودخلت فى طور طويل دام نحو ثلاثة قرون ( ٩٢٣ - ١٢١٣ هـ :  
١٥١٧ - ١٧٩٨ م ) لم يكن لها فيه شأن سياسى يذكر فى التاريخ . وقد كانت  
مصر فى معظم ذلك العصر مشهداً للفتن والمشاحنات : إما بين سلاسل المماليك  
أنفسهم ، وإما بينهم وبين الولاة العثمانيين ، وإما بين هؤلاء وجنود الحامية العثمانية .  
وكل هذه الحوادث متشابهة ، ولم يكن لها أثر دائم فى تاريخ مصر . لذلك نعدل عن  
تتبع أخبار فتن ذلك العصر ، ونكتفى بالكلام على حالة البلاد فيه بوجه عام ، فنقول :

طور جديد  
فى تاريخ مصر

الدولة ، فُخِشَتْ فرنسا وانجلترا توغل كثيرين في الأملاك العثمانية ونصحتا للباب العالي بالنزول عن « القرم » و « كوبان » ، فتم ذلك بمقتضى معاهدة القسطنطينية سنة ١١٩٨ هـ (يناير سنة ١٧٨٤ م)

على أن روسيا لم تقف عند هذا الحد ، ودأبت على انفاذ مشروعها الشرق وتوسيع نطاق أملاكها من الأملاك العثمانية ، فأخذت تعمل منذ عام ١٢٠٠ هـ (١٧٨٦ م) على دس الدسائس في كل ولايات الدولة ، ونجحت دسائسها فعلاً في مصر وفي اليونان والبغدان . فشرعت الدولة تستعد للحرب الى أن أرغمتها روسيا على خوض غمارها بتعدد إهاناتها

تجدد الحرب

وأخر ما حدث من ذلك ان « كثيرين » خرجت الى القرم في موكب حافل ، ولما وصلت في طريقها الى « خرسون » كتبت على أحد أبوابها : « الطريق الى بوزنطة » ، إشارة الى أنها عما قريب ستفتح القسطنطينية . عند ذلك ثارت خواطر مسلمي الدولة ، واضطر الباب العالي الى اعلان الحرب على روسيا سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٧ م) فأسرع القائد حسن باشا الى مهاجمة « كينبورن » ، ولكنه رد عنها بعد أن تكبد خسائر فادحة لوقوف القائد العظيم « سوفاروف » في وجهه . وكانت روسيا قد عقدت معاهدة جديدة مع النمسا على الدولة العثمانية ، ولكن النمسا لم تقدر على القيام بمساعدة تذكر في هذه الحرب لاشتغالها بالاضطرابات القائمة في الأراضي المنخفضة (وكانت من أملاكها) ثم اضطرت الى ابرام معاهدة « سيستوفا » مع الدولة سنة ١٢٠٦ هـ (أغسطس سنة ١٧٩١ م) وبذا انسحبت من الحرب . أما روسيا فانها بقيت قادرة على مواصلة الحرب بفضل مهارة « سوفاروف » ، فاستولى على جهتي « أوخاكوف » و « اسماعيل » سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) ، وانضم الى ذلك انتصارات الجيوش الروسية في « القوقاس » و « كوبان » . وأخيراً انتهت أوربا الى اطماع « كثيرين » ، ورأت أن لا بد من وقفها عند حد ، فتدخلت انجلترا وروسيا وهولندا في الأمر ، ولم تبدِ روسيا معارضة لأنها أخذت توجه أنظارها نحو

الدولة بقيادة القائدين العظميين « رومانوف » و « سوفاروف » وغيرهما حتى خشيت  
الدولة العلية العاقبة وطلبت الصلح في سنة ١٧٧٤ م . وكانت « كترين » مشغولة



كترين الثانية

أيضاً بحرب بولندة وبثورة داخلية  
أثارها قوزاق نهر الدون . وكانت  
انجلترا أيضاً قد استرجعت قوادها  
من الجيوش الروسية لما رآته . من توالى  
هزائم الترك ، فلم تر « كترين » بدّاً  
من وقف الحرب مع الدولة مع كثرة  
انتصاراتها فيها ، و أبرمت معها معاهدة  
« كجوق قينارجة » ( كنتشك كينارجي )  
سنة ١١٨٨ هـ ( ١٧٧٤ م ) . وهي أهم  
معاهدة عقدت بين الدولة والروسيا

وأول طور جدى فى المسألة الشرقية . على أن الروسيا لم تنل بهذه المعاهدة أملاً كاملاً  
شاسعة ، إذ كان ما أخذته قاصراً على « كينبورن » و « كرتش » و « آراق »  
والأقاليم المجاورة لها مما ثبت قدمها على شمالى البحر الأسود . ولكنها نالت بها حقوقاً  
سياسية كبيرة كان لها شأن عظيم فى المستقبل ، لأن الدولة قبلت فى هذه المعاهدة  
أن تضمن للروسيا حكومة عادلة وحرية دينية للرعايا المسيحيين ، وجعلت للروسيا  
الحق فى المطالبة بحقوقهم كما رأت حاجة الى ذلك . وهذا حق كبير لا يستهان به ،  
إذ أخذته الروسيا بعد ذريعة للتدخل فى شؤون الدولة كما رأت ذلك من مصالحها .  
وقد كان ذلك اكبر مكدر لصفو الدول الأوربية على الدوام

سادت السكينة بعد ذلك فترة بين الدولة والروسيا ، ولكن « كترين » كانت  
لا تزال متشبثة ( بالمشروع الشرقى ) وتمتئ نفسها بإفناذه متى سنحت الفرصة . وفى  
عام ١١٩٧ هـ ( ١٧٨٣ م ) نقضت العهد وضمت القرم اليها بالرغم من تهادنها مع

نبت الروسيا  
العهد

وهذه هي آخر معاهدة رابحة عقدتها الترك مع الدول الأوروبية . ولقد لقيت الدولة في ابرامها مساعدة عظيمة من فرنسا ، لأنها كانت تحشى اتساع سطوة الدولتين : الروسية والتمسوية

بعد ذلك ساد السلام بين روسيا والدولة مدة طويلة مات في أثنائها السلطان « محمود الأول » ( ١١٤٣ - ١١٦٨ هـ : ١٧٣٠ - ١٧٥٤ م ) ، وخلفه السلطان « عثمان الثالث » ( ١١٦٨ - ١١٧١ هـ : ١٧٥٤ - ١٧٥٧ م ) ، ولم يحصل في عصره شيء جدير بالذكر . ثم تولى بعده السلطان « مصطفى الثالث » ( ١٧٧١ - ١١٨٧ هـ : ١٧٥٧ - ١٧٧٣ م ) ، وكان ولوعاً بالحروب ، فلما رأى ان ازدياد نفوذ الروس في بولندة يتعاضم بهمة قيصرتهم العظيمة « كترين الثانية » التي تولت الممالك سنة ١١٧٦ هـ ( ١٧٦٣ م ) خشى على بلاده . ورأت ذلك أيضاً الحكومة الفرنسية بالنسبة لبلادها فوافقت على رأيه ، ولذلك عزم الباب العالي على منازلة الروس . وقوى عنده هذا العزم ان الروس كانوا منذ ١١٧٨ هـ ( ١٧٦٥ م ) يحرضون اليونان و « الجليين » و « البوسنيين » على الخروج على الدولة . وفي سنة ١١٨٢ هـ ( ١٧٦٨ م ) اشتد حقد الباب العالي إذ دخلت الجنود الروسية أملاك الدولة أثناء مطاردتهم لبعض البولندية الفارين من وجوههم وأحرقوا « بلطة » التابعة لحان القرم أحد ولاة الدولة فأعلن الباب العالي الحرب على روسيا في ٦ أكتوبر سنة ١٧٦٨ لذلك وبحجة الدفاع عن حرية البولنديين

ابتدأت الحرب بين الدولتين ، فلأزم سوء الطالع الدولة من أول نشوبها ، فلم تلبث ان انهزمت أمام الروس على نهر دنيستر واحتلت روسيا « ملداڤيا » ( البغدان ) وبلاد « الأفلاق » و « بَسَارِيَا » و « القرم » . وفي خلال هذه المدة كان الأسطول الروسى ظافراً في البحر ، فانتصر على أسطول الدولة عند ثغر « جَشْمَة » ( شِزْمِي ) في يولييه سنة ١٧٧٠ ، ولولا ما أبداه القبودان حسن باشا الجزائرلى من الشجاعة لأحرق الخطر بالقسطنطينية . وما زالت الجيوش الروسية تجدد في فتح بلاد



وناط حصار « آراق » بالقائد « لاسى » الأرنلدى . وفى شهر مايو وصلت أخبار الحملة الروسية الى القسطنطينية ، فأعلنت الدولة الحرب على روسيا فى ٢٨ منه . وكان ميونخ وقواده قد توغلوا فى شبه جزيرة القرم واحتلوا كثيراً منها ، إلا أنهم تكبدوا فى ذلك خسائر فادحة واضطروا للجلء عنها والتراجع الى « أوكرين » فى ٢٥ أغسطس سنة ١٧٣٦ بعد أن ارتكبوا فى القرم من الفظائع والمنكرات ما لا يوصف

دخول النمسا  
فى الحرب

ثم دخلت الحرب فى طور جديد لتجديد تحالف روسيا مع النمسا فى سنة ١١٤٩ هـ ( ١٧٣٧ م ) تأكيداً لمعاهدة ١٧٢٦ م ، فأنارت النمسا الحرب أيضاً على الدولة العثمانية التى قابلتهما بمقاومة أدهشت أوربا بأسرها : فاضطرت ميونخ الى التقهقر عن أوكرين ، وردت النمساوين مقهورين حتى اقليم « بنات » ، فأجمعوا عن الحرب وأخذوا يفاوضون الدولة سرّاً فى عقد الصلح معهم على انفراد . فعاظ ذلك ميونخ غيظاً شديداً . وكانت له آمال كبيرة فى القضاء على الترك : من ذلك أنه عرض على قيصر

مهادتها للدولة  
على انفراد

المشروع الشرقى

الروسيا فى ذلك العهد أساس ذلك المشروع الخطير الذى يسمى « المشروع الشرقى » ونحوه ان روسيا ترى ان لها الحق الطبيعى فى الزعامة على المسيحيين من رعايا الدولة ، فيجب عليها أن تعمل على نشر الدولة « البوزنطية » بالقسطنطينية . ولذلك كان جل أماني « ميونخ » مواصلة الحرب ، وبالفعل أغار على « ملدافيا » ( البغدان ) وهزم جيوش الدولة فى « شكزيم » سنة ١١٥٢ هـ ( ١٨ أغسطس سنة ١٧٣٩ م ) . إلا ان توالى هزائم النمساوين وعقدهم وحدهم الصلح مع الدولة قضى على أمانيه ، وخاصة بعد أن علم بعزم السويد على محاربة روسيا وقيام بعض الفتن فى داخلية بلاده ، ولذلك

معاهدة بلغراد

رضيت روسيا بعقد الصلح وأبرمت مع الدولة « معاهدة بلغراد » الشهيرة فى سبتمبر سنة ١٧٣٩ م : ففى المعاهدة التى عقدت مع النمسا على انفراد أخذت الدولة العلية بلغراد و « أرسوفا » وجميع بلاد الصرب والبوسنة وبلاد الأفلاق والبغدان

أما روسيا فانها لم تأخذ بمفتاحه سوى آراق بعد هدم قلاعها ، واشترطت عليها الدولة ألا تدخل أساطيلها فى البحر الأسود ، بأن يكون بحيرة عثمانية بحثة

يكن أمامهما عائق من مهاجمة الدولة والسعى في تقسيمها بينهما . وقد كانت الفرصة سانحة للروسيا في هذه الآونة لمحو أثر معاهدة « بروث » ، إذ أن بولندا التي كان يطمح بطرس الأكبر أن يجعلها الطريق الموصل الى بلاد الترك قد خضعت لنفوذ روسيا ، والترك مغلولو الأيدي في حربهم مع نادرشاه ، والنمسا أيضاً كانت تطمح الى الزحف على نهر الطونة لتعويض ما فقدته من الممتلكات في جهات أخرى من أوربا . هذا الى أن نادرشاه كان أكد للروسيا قبل صاحبه مع الدولة أن لا يمسها بمكرهه اذا دارت رحى الحرب بينها وبين الترك ، والى أن روسيا فوق ذلك كان لها أعوان وجرائم فتن في قلب المملكة العثمانية من الشعوب المسيحية التي كانت شديدة الميل الى روسيا ، حتى أنه لما أشيع خبر نشوب الحرب في عام ١١٤٨ هـ ( ١٧٣٥ م ) ثارت كل الرايا المسيحيين العثمانيين آملين الخلاص من حكم الدولة . ومن هذا الوقت أخذت روسيا تستعمل اطماع هؤلاء الرايا الدينية والوطنية في تمزيق أحشاء الدولة العثمانية وتبديدها

تأهب روسيا  
للحرب

كل هذه الأمور تدل على أن روسيا كانت تتأهب لمحاربة الدولة وتنتظر حدوث أى شيء تتمسك به لشهر الحرب عليها . وفي عام ١١٤٨ هـ ( ١٧٣٥ م ) وجدت لذلك فرصة مناسبة وهى زحف جيوش من التار على بلاد « القوقاس » ( القبجاق ) وأرمينية . وكان هؤلاء التار خاضعين للدولة العثمانية ، فخرجت الجيوش الروسية لصددهم وغزوه في ديارهم ، ثم أخذت تتأهب لملاقاة الترك ، فعهدت بالقيادة العامة الى « ميونخ » ، وضم هذا اليه غيره من الضباط الأجانب المستأجرين

نشوب الحرب

وكان « ميونخ » هذا من اكبر قواد القرن الثامن عشر . ولد في ألمانيا وحارب في الجيوش النمساوية والبولندية والروسية ، وبهر بطرس الأكبر بماله من الصفات الحربية العظيمة ، فسمى في استخدامه

القائد ميونخ

وأول ما عزم عليه في هذه الحرب استرجاع « آراق » ، فأخذ يستعد في شتاء ١٧٣٥ - ١٧٣٦ م . وفي ربيع ١١٤٨ هـ ( ١٧٣٦ م ) انقض على « القرم »

الحرب في القرم

وبعد معاهدة « بَسَارُونِز » لم تفكر الترك في منازلة الروس ، بل وجهوا همهم نحو « فارس » اذ كانت نار الثورة متأججة فيها . ففي عام ١١٣٥ هـ ( ١٧٢٢-١٧٢٣ م ) لجأ « الشاه طهماسب » الى روسيا والدولة ليساعده على منازعته في الملك ، فانهز الباب العالي هذه الفرصة واستولى على بعض جهات فارس ، وساعده على ذلك خروج الأرمن على الفرس

وفي عام ١١٣٦ هـ ( ١٧٢٤ م ) عقدت معاهدة بين الترك والروس على أن تستولى روسيا على الأقاليم المحيطة ببحر قزوين وتستولى الترك على إقليمي « جورجيا » و « أذربيجان » ، إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلاً ، اذ ظهر في فارس عام ١١٤١ هـ ( ١٧٢٩ م ) زعيم قوى يدعى « نادرشاه » عمل على تخليص بلاده من نير الأجانب ، وما زال بالترك حتى أجلاهم عن البلاد الفارسية عام ١١٤٨ هـ ( ١٧٣٥ م ) بعد حروب طويلة

وكانت روسيا تريد امتداد الحرب بين الترك والفرس حتى تحقق غرضها في مسألة الوراثة البولندية ( وهي تنصيب أمير من قبلها على هذه البلاد ) . لذلك نزلت للفرس عما أخذته في عام ١١٣٦ هـ ( ١٧٢٤ م ) وأمدتهم بالدخائر ، وبهذه الحروب الفارسية ضيقت الدولة فرصة عظيمة بعدم مهاجمتها للروسيا أثناء حرب الوراثة البولندية . والسبب في ضياعها يرجع الى السلطان « احمد الثالث » ووزيره « ابراهيم » اذ كانا لا يميلان الى مناوأة روسيا والنمسا ، على حين كانت روسيا تسعى جهدها دائماً في مناوأة الدولة

وفي عام ١١٣٨ هـ ( ١٧٢٦ م ) عقدت روسيا محالفة مع النمسا تعلم منها سر سياسة كلتا الدولتين في القرن الثامن عشر . وأهم شروطها أن تتعهد كل للأخرى أن تمدّها بنحو ٣٠.٠٠٠ مقاتل اذا هاجمها غير الترك ، أما اذا كانت الدولة العثمانية هي المهاجمة فيجب على كلتا الدولتين أن تحارباها معاً بكل ما لديهما من القوة

وبعد أن نجحت النمسا والروسيا في تنصيب أمير على « بولنده » من قبلهما لم تارخ جزء ٢ ( ٨ )

كلها) من برائن الغناء ، واضطرت الدولة بعد هذه الغلطة الشنيعة الى عقد صلح



بطرس الأكبر

« بروث » عام ١٧١١ م الذى استرجعت به من روسيا ميناء « آزاق » . ويعتبر عقد الروس لهذه المعاهدة على مانالهم فيها من الخسائر الطفيفة من اكبر سعودهم ، إذ لو لم بتقيد بها الترك وواصلت عليهم الحرب لقضت لالمحالة على دولتهم وهى فى إبان نهضتها

وبعد مضى خمسة عشر عاماً على معاهدة « كرلوتز » أراد « قوموُرجى على » الصدر الأعظم أن يمحو العار الذى لحق الدولة فى هذه المعاهدة باسترداد بلاد المجر

والمورة . وكانت الفرصة سانحة له ، إذ كانت الدولة قد انتصرت على بطرس الأكبر ( كما أسلفنا ) ، وكانت « الامبراطورية » ( النمسا ) قد أنهكتها الحروب الأوربية ، ولم يكن للبنادقة من القواد مثل « مروسينى » وأمثاله حتى يقودها الى الظفر ، فضلاً عن أن بلاد المورة نفسها عند ماغزيت لم تُظهر أى مقاومة جدية ، فكانت النتيجة أن تمكن قوموُرجى بزحف واحد من استرجاع بلاد المورة سنة ١١٢٧ هـ ( ١٧١٥ م ) على أنه لم يتم له فى المجر ما أراد ، فإنه هُزم عند « بيتروُردن » هزيمة منكرة على يد الأمير « دوجين » فى أغسطس سنة ١١٢٨ هـ ( ١٧١٦ م ) وقُتل الصدر معاهدة ساروتز الأعظم فى هذه الموقعة ، فاضطر الباب العالى الى عقد صلح « بَسَارُوتز » عام ١١٣٠ هـ ( ١٧١٨ م ) ، وكان أهم شروط هذا الصلح ان ابقّت الدولة للنمسا مقاطعة تمسوار وبلغراد ، وبقي معها المورة



انحلال عرا الدولة العثمانية ، كما أخذت أوروبا من ذلك الحين تهتم أيضاً بالمسألة الشرقية وتنتظر إن كان بقاء الدولة وحفظ كيائها في أوروبا خيراً من ضمها الى روسيا أم لا

وأول من عمل على توسيع نطاق الدولة الروسية وجعلها في مصاف دول أوروبا نهضة روسيا وبطرس الأكبر ( ١١٠٠ - ١١٣٧ هـ : ١٦٨٩ - ١٧٢٥ م ) ، وكانت قبل عهده بعيدة عن الحضارة الأوروبية ، منزوية عن العالم المتقدمين . فلما تولى هذا القيصر الملك عام ١١٠٠ هـ ( ١٦٨٩ م ) خطا بها خطوات واسعة في سبيل العمران ؛ إذ غير أنظمتها وسياستها الداخلية دفعة واحدة ، فاتخذ « بطرسبرج » مقراً لملكه بعد ان كان مدينة ( مسكو ) ، وأدخل العادات ووسائل المعيشة الغربية في بلاده ، وضرب بيد من حديد على سلطة الأشراف ، ووضع الكنيسة والجيش ( الذى دربه على الأنظمة الأوروبية ) تحت مراقبته نفسه . أما سياسته الخارجية فلم تقل حزمًا وبعد نظر عن سياسته الداخلية ؛ إذ رأى أنه لا يتسنى للروسيا ان تكون مملكة تجارية الا اذا أرسخ قدمها على البحرين البلطى والأسود ، وكان الأول في قبضة السويد والثاني في يد الترك . فجعل همه ابتداء مناوأة السويد ، وبعد حروب طويلة تم له مقصده في معاهدة « نىستاد » سنة ١٧٢١ م ، إذ نزلت السويد للروسيا عن ليفونيا ، وايشونيا ، وإنجلترا ، وكريليا ، وغيرها

أما الترك فأخذ منها آزاق في معاهدة « كرلوتز » كما سبق . الا أن العثمانيين استردوها ثانية في عهد احمد الثالث ( ١١١٥ - ١١٤٣ هـ : - ١٧٠٣ - ١٧٣٠ م ) وذلك ان الروس لما هزموا « شارل الثانى عشر » ملك السويد في موقعة « بَلْطَاوا » واقعة بروت لجأ شارل الى الترك وطلب منهم المساعدة . فلبت الترك دعوته إذ وجدت في ذلك فرصة لاسترداد ما خسرت ، فشنت الحرب على روسيا ، وبعد مواقع عنيفة تمكن القائد التركى ( بَلْطَجى باشا ) من حصر الجيش الروسى ووشك القبض على قيصر الروس عند نهر « بروت » ، ولكنه نجا من الأسر بما قدمته زوجته « كترين » من الرشوة الى الخائن « بَلْطَجى باشا » . فأفلت بطرس وجيشه ( بل روسيا الجديدة

## ٦ - \* الدولة العثمانية وحروبها مع روسيا والنمسا \*

في القرن الثامن عشر

مقدمة

أخذت الدولة العلية تضعف شيئاً فشيئاً خلال القرن الثامن عشر، وذلك يرجع الى سببين عظيمين : الأول نهوض الأمة الروسية وتحالفها مع النمسا على الأتراك لبسط سلطانها وطرد الأتراك من أوروبا. والثاني اختلال النظام وسوء الإدارة في البلاد العثمانية وثوران من فيها من الشعوب المختلفة في وجه الدولة

المسألة الشرقية

ولما ظهرت علامات الضعف والاضمحلال في الدولة أخذت دول أوروبا تنظر فيما سيؤول اليه أمرها ، ومن يكون الوارث لأملها كلها . وتُعرف هذه المسألة عندهم « بالمسألة الشرقية » . ويرجع تاريخها الى عام ١١٠٨ هـ ( ١٦٩٦ م ) عند ما استولى الروس على مدينة « آزاق » التي نزلت عنها الدولة للروسيا رسمياً في معاهدة « كزلوتز » كما نزلت أيضاً عن بعض ممتلكاتها الى النمسا ، وبذلك دخلت سياسة الشرق الأدنى في طور جديد

وبعد هذه المعاهدة وقف تيار تقدم الروس في الجنوب فترة ، وذلك لما نزلوا للترك عنه في معاهدة « بروث » الآتي ذكرها سنة ١١٢٣ هـ ( ١٧١١ م ) بعد أن انهزمت روسيا هزيمة منكرة . ولكن ما لبثت هذه الفترة أن انقضت وعادت روسيا الى مناوأة الترك طول القرن الثامن عشر بلا انقطاع

وكان ضعف الدولة المستمر في خلال هذا القرن سبباً لمشا كل جديدة وارتباكات شديدة بين دول أوروبا . فبينما كانت روسيا تبذل جهودها لبسط سلطانها على البحر الاسود كانت النمسا من جهة أخرى تعمل طاقها لمد أملاكها على نهر الطونة . إلا أن عمل كل من روسيا والنمسا كان داعياً لقلق فرنسا وتدخلها . وفي سنة ١١٨٨ هـ ( ١٧٧٤ م ) ابتدأت مقاصد روسيا تظهر جلياً بعد معاهدة « كجوك كينارجة » ( كُتْمَشُك كينارجي ) التي سيأتي ذكرها . ففطنت انجلترا للأمر ، وأخذت تخاف

الرابع وتولية ابنه سليمان الثاني (١٠٩٨ - ١١٠٢ هـ : ١٦٨٧ - ١٦٩١ م) ، فعهد هذا أمر الصدارة العظمى الى «مصطفى كبر يلى» أخى احمد كبر يلى ، فأظهر ما هو مشهور عن رجال هذه الاسرة من شدة البأس وسعة الخلق . فأتبع سياسة التسامح الدينى فى كل انحاء الدولة ، وأعاد النظام فى الجيش ، فلم يمض عامان من توليته زمام الأمور حتى أصبح النصر حليف الترك . وفى عام ١١٠٢ هـ ( ١٦٩٠ م ) استرجع مصطفى كبر يلى « نيش » « وبلغراد » وغزا « المجر » ؛ ولكنه هُزم وقُتل فى سنة ١١٠٣ هـ ( ١٦٩١ م ) فى واقعة ( سِلَانْسْكِين ) على يد حاكم « بادِن » . وبموت هذا الرجل قُضى على آمال الترك المرجوة . واستمرت الحرب بعد مدة ثمانية أعوام كان النصر فيها سجالاً ، إلّا أن جيوش الامبراطور وجيوش البندقية بقيت محافظة على « المجر » و« ترنسلوانيا » وبلاد « المورة » ، وفى عام ١١٠٨ هـ ( ١٦٩٦ م ) انتصرت الجيوش النمساوية بقيادة الأمير « يوجين » نصراً مبدئياً على السلطان « مصطفى الثانى » ( ١١٠٦ - ١١١٥ هـ : ١٦٩٥ - ١٧٠٣ م ) الذى كان يقود الجيش بنفسه عند « زَنَتا » واقعة زنتا

وابتداء يظهر شأن بطرس الأكبر ، قيصر الروس العظيم ، فدخل فى هذه الآونة الحرب ، وأخذ من العثمانيين بلدة « آزاق » . فلما رأى السلطان حرج موقفه ، وأن لا فائدة من امتداد أمد الحرب ( إذ أيقن أنه بانقراض اسرة كبر يلى قد انقضى عصر الفتوح ) عقد صلح « كرُلُوْتز » سنة ١١١٠ هـ ( ١٦٩٩ م ) . وكان أهم شروطه أن يسترجع الامبراطور كل بلاد « المجر » ( ما عدا تَمَسُوار ) والجزء الأعظم من كرُواتيا و « سلافونيا » ، وأن تكون له السيادة على « ترنسلوانيا » . أما بولندة فانها استرجعت « بادوليا » وفيها « كامينك » . ونزلت الدولة أيضاً عن آزاق « للروسيا » . وأما البندقية فانها بقيت فى بلاد المورة . ومنذ هذه المعاهدة سقطت هبة الدولة من أعين دول أوربا

ومن هذا الحين ابتدأ نجم الأتراك يأفل في أوربا . أما « قره مصطفى » فان الترك باعوه ذلك النصر المضيع بضرب عنقه . على أن خلفه ابراهيم كان نصيبه القتل والهزيمة أيضاً ، اذ اندحرت الترك في نفس العام في شهر اكتوبر عند « برُكاني » على يد « جون سويسكي » ، فأجلاهم عن كل بلاد المجر

الحلف المقدس وفي العام التالي ( ١٠٩٥ هـ : ١٦٨٤ م ) انضمت جيوش البندقية الى جيوش « جون سويسكي » لاقتفاء جيوش الترك المنهزمة . وفي هذا العام عقد « الحلف المقدس » بين الامبراطور وبولنده والبندقية على الترك ، ولم تمض الا فترة يسيرة حتى ظهرت ثمرته ، لأنه بالرغم من اعتزال « جون سويسكي » قيادة الجيش في ١٠٩٧ هـ ( ١٦٨٥ م ) لاعتلال صحته وشيخوخته ، بقيت فنوح الحلف المقدس تمتد على نهر الطونة برّاً ، وفي البحر الأبيض المتوسط بحراً

ولم تمض هذه السنة حتى استرد « دوق لورين » جميع المجر التركية عدا « بودا » ، واستولى الأسطول البندقي على عدة بلاد على ساحل « ألبانيا » . وفي العام المقبل سقطت « بودا » في يد « لورين » وأخضع لورين جميع المجر . وفي عام ١٠٩٩ هـ ( ١٦٨٧ م ) دُحر الصدر الأعظم عند مدينة « موهكز » التاريخية ، واسترجع القائد لورين « كروآتيا » و « سلافونيا » وأخضع « ترنسلوانيا » ، ثم عبر نهر « الطونة » وأخذ « بلغراد » عنوة ، واستمر في الزحف حتى وصل الى « نيش » عام ١١٠٠ هـ ( ١٦٨٨ م )

وكان مَرُوسيني أمير البحر البندقي في الوقت نفسه يظهر نشاطاً عظيماً في البحر الأبيض المتوسط ، إذ أخضع في عام ١٠٩٨ هـ ( ١٦٨٦ م ) أهم بلاد المورة ولم يأت عام ١١٠٦ هـ ( ١٦٩٤ م ) حتى خسرت الترك كل أملاكها في بلاد « اليونان » وعلى الساحل « الأدرياتي »

وكانت قد قامت ثورة في عام ١٦٨٨ م في القصر السلطاني كانت نتيجتها عزل محمد

من غريب الصدف ان الترك كانوا قد فازوا على عدوهم في هذا المكان عينه قبل تلك الواقعة ببضعة أيام



الامبراطور « ليبولد » الى الانتقال بمحاشيته الى « بَسَّاو » . وفي ٩ يوليه خفقت  
الأعلام التركية على مقربة من أسوار فينا ، وفي ١٤ منه حوصرت المدينة وحُفرت  
خنادق الحصار

وكانت حالة المدينة سيئة جداً غير متأهبة للحصار ، وكان عدد حاميتها ١٤,٥٠٠  
مقاتل فقط ، وهي غاصة بالقرويين اللاجئين اليها من الأرياف . وكانت أسوارها  
قديمة متداعية الى السقوط . على حين أن المهندسين من الترك ورجال مدفعيتهم  
كانوا من أمهر رجال أوربا في ذلك العصر

ومع كل هذا لم ينتفع قره مصطفى بهذه الفرصة ، وأضاعها بتلكئته وتوانيه ، فانه  
بعد أن شتت شمل رجال الامبراطور وأنزلهم من معاقلم ، وأصبحت المدينة ممكنة  
الفتح مُعَوِّرة من كل جهاتها ، لم يُقدِّم على مهاجمتها ، بل تردد ، وكان غرضه أن  
تسلم المدينة بلا حرب ويأخذ ما فيها من الخيرات لقمة سائغة لنفسه

وكان جون سويسكى في هذه الأثناء يجمع جموعه بكل سرعة عند « كراكاو » فشل الترك  
لإتقاذ المدينة . وكان « دوق لورين » قائد قوات الامبراطور قد بعد عن الحجز  
وعسكر شرقى « فينا » على مسافة منها ، ووكّل أمر الدفاع عنها الى الكونت استهر مبرج  
قائد الحامية ، ولم يجروا على الزحف لتخليص المدينة حتى أتاه « جون سويسكى »  
في ٢ سبتمبر سنة ١٦٨٣ م وتسلم قيادة جميع الجيش . ثم زحف نحو المدينة وصار  
على مقربة من معسكر الجيش التركي ، حين كانت الحاجة ماسة اليه جداً ، اذ كانت  
الأتراك قد تقبوا أسوار المدينة ، وتفشى المرض في أهلها . فلما رأت الحامية طلائع  
النجادات دبّ في نفوسهم روح الأمل ، وأيقنوا أن النصر أصبح منهم قاب قوسين  
أو أدنى . وتمت لهم أمانيتهم بهجوم « جون سويسكى » على مقدمة الجيش التركي ،  
ثم باشتباكه معه في معركة عنيفة شتت فيها شمل الأتراك وأنقذ المدينة . وقد نجا  
« قره مصطفى » بحياته بعد أن يئس من الخلاص . وجمع شتات جيشه المنهزم  
عند « بلغراد »

أمانيه واطمأئنه لا تقل عن سلفه، ولكنه لم يُعط نصيباً وافراً من المقدرة وحسن التدبير، فهدم ما بناه محمد واحمد كبيرىلى بجدهما ونشاطهما بكبريائه وانغمسه في الشهوات وافخاره الكاذب. وكان في بادئ أمره يشعر بحسن المستقبل، فعزم عزماً أكيداً على أن يخترق قلب البلاد الأوربية ويقضى عليها القضاء المبرم بفتح «ويانة»

نجاحه  
في أول أمره

فابتدأ يتأهب سرّاً بما لم يُسمع بمثله من قبل، وجدد علاقاته الودية مع فرنسا، وعقد صلحاً مع «الروسيا»، ووثق صلته ببولندة. وكان غرضه من ذلك أن يترك الامبراطور وحيداً، وأوشك أن يتم له فعلاً ما أراد، إذ كان المجر أيضاً ناقين منذ سنتين على الامبراطور «ليبولد» لتضييقه عليهم في معتقداتهم الدينية والسياسية، فثاروا عليه سنة ١٠٨٥ هـ (١٦٧٤ م) بقيادة «توكولى»، ثم انضم اليهم بعد أمير «ترنسلوانيا»، فتمكنوا في عام ١٠٩٢ هـ (١٦٨١ م) من إجبار الامبراطور أن يعيد اليهم ما سلبهم من الحقوق السياسية، ويمنحهم الحرية الدينية

الحرب مع النمسا

إلا أن «توكولى» لم يكتف بذلك، بل رغب في أن يكون هو والياً على المجر، ولذلك صفا الى «قره مصطفى» الذي مناه بولاية المجر اذا انضم اليه على الامبراطور وبذلك تم كل شيء. «لقره مصطفى» بعد أن وثق من عدم مساعدة «لويس الرابع عشر» للامبراطور ومنعهُ ألمانيا أيضاً من مؤازرة النمسا

أماط «قرة مصطفى» الاتهام عن أغراضه سنة ١٠٩٣ هـ (١٦٨٢ م) وأعلن في ربيع ١٠٩٤ هـ (١٦٨٣ م) ان المجر ولاية عثمانية، وعبر نهر الطونة على رأس جيش يبلغ ١٥٠.٠٠٠ جندي. فلما رأى الامبراطور حرج موقفه وأن فرنسا تقف سداً امامه في كل باب يطلب منه المساعدة يئس من مقاومة الترك

مساعدة  
سويسكي  
لامبراطور  
النمسا

الآن «جون سويسكي» نكث العهد وأقنع أمته بضرورة مساعدة الامبراطور، وفي ٣١ مارس أبرمت مخالفة بين الدولتين تعهدت فيها بولندة بتجريد ٤٠.٠٠٠ مقاتل للدفاع عن النمسا

وكانت الجيوش التركية في هذه الأثناء متابعة الزحف نحو «فيينا» حتى اضطرت

النهاية . وبالرغم من عدم مساعدة الدول الأخرى له ، والدسائس التي كانت تُدبّر له في بلاده ، وتمرد الجنود عليه ، تمكن بمقدرة ومهارته الحربية وقوة شكيمة من استدامة الحرب بينه وبين الترك أربعة أعوام ، فوقف تقدمهم في « بادوليا » و « غليسيا » وانتصر على أعظم قوادهم انتصارات باهرة في موقعي « شُكُزِم » سنة ١٠٨٤ هـ ( ١٦٧٣ م ) و « لِمَبُرُغ » سنة ١٠٨٦ هـ ( ١٦٧٥ م ) ، وشدت شمل الجيوش التركية الى أن اجتاز نهر « الطونة »



جون سو بيسكى

( عدو الترك اللدود )

وفي عام ١٠٨٥ هـ ( ١٦٧٤ م )  
 وحينما كانت الحرب في منتهاها  
 من الشدة مات الملك ميخائيل  
 فانتخب البولنديون بطاهم  
 « جون سو بيسكى » مايكاً عليهم  
 ولكنهم خذلوه مع جبههم له ، فبعد  
 توليته بيومين وجد نفسه وجيشه  
 محاطين بالترك عند « زُرَّانو »  
 على نهر الدنيستر ، ولم ينجده  
 البولنديون . ومع ذلك كانت هيئته  
 وشهرة اسمه سبباً في خلاصه من  
 هذه الورطة ، إذ فضّل القائد

التركي ابراهيم أن يعقد معه صلحاً راجحاً على أن ينازل الأسد في عرينه . وفعلاً تم عقد صلح « زرانو » سنة ١٠٨٧ هـ ( اكتوبر سنة ١٦٧٦ م ) ، وأهم شروطه أن تنزل بولنده عن « كامنيك » و « بادوليا » وجزء من « أوكرين » . وبعد مضي سبعة أيام من تاريخ معاهدة « زُرَّانو » مات احمد كبريلى ، إلا أن سياسته لم تُقَبَّر معه

خلف احمد كبريلى في منصب الصدارة العظمى صهره « قره مصطفى » ، وكانت قره مصطفى

احمد على عدوه وانهمزم امامه . ورأى الامبراطور أن يعقد صلحاً حتى يتلخص من  
تدخل فرنسا في شؤونه ، فتم ذلك بمعاهدة « فزفار » في أغسطس سنة ١٦٦٤ م ، وقد  
اعترف فيها بسيادة السلطان على « ترنسلوانيا » . وبعدئذ وجه الصدر عنايته الى  
محرابة البنادقة ، واشترك هو بنفسه في حصار « اقريطش » ( كريت ) ، وهي  
من خيرة أملاكهم ، فسقطت في يد الأتراك بعد حرب عوان في ١٧ سبتمبر  
سنة ١٦٦٩ ( ١٠٨٠ هـ )

معاهدة فزفار

فتح اقريطش

الحرب  
مع بولندة

وعقب فراغه من حرب البنادقة دخل مع بولندة في حرب طاحنة . وسبب ذلك  
يرجع الى عسف البولنديين وظلمهم لقبائل « القوزاق » القاطنين مقاطعة « أوكرين »  
وكان البولنديون يعتبرونهم من رعاياهم ، ثم زاد غضب القوزاق وسخطهم على البولنديين  
حينما تولى « ميخائيل » ملك بولندة ، إذ كانوا يرون في توليته ابتداء عصر لاضطهادهم  
لأنه هو ابن اكبر ملك أجحف بحقوقهم وسامهم الخسف وسوء العذاب . فثاروا  
في عام ١٠٨١ هـ ( ١٦٧٠ م ) وأذاتوا بالحرب ذلك الملك الطاغى . إلا أنهم هُزموا  
على يد قائده الشهير « جون سوينسكى »

فلما ضاقت بهم الحال ، وأيقنوا ان لا مناص من الخسف والظلم ، طلبوا الى  
الباب العالى أن يكونوا تحت سيادته ليحميهم من هذا الملك العشوم ، فاغتم  
« احمد كبريلى » هذه الفرصة وأعلن الحرب على بولندة بحجة حماية رعاياها المظلومين  
ففي عام ١٠٨٣ هـ ( ١٦٧٢ م ) ظهر السلطان بنفسه ومعه « احمد كبريلى »

سقوط كامنيك

امام حصن « كامنيك » النبيع وهو مفتاح مقاطعة « بادوليا » ( في بولندة ) ، فسقط  
الحصن في يد الترك في أقل من شهر . فخبُن عند ذلك ميخائيل ملك بولندة ،  
وعقد صلحاً مع الترك كان أهم شروطه ان ينزل لهم عن « بادوليا » و « أوكرين »  
ويدفع جزية سنوية للباب العالى

إلا أن مجلس الأعيان البولندى رأى من العار قبول هذه المعاهدة ، وجمع كل  
من يستطيع تجنيدهم من الجند بقيادة « جون سوينسكى » ليقاومهم عدوهم حتى

جون سوينسكى



وقضى في ذلك خمسة أعوام على أشد ما يكون وزير يقظة لكيد الكائدين ، وضرباً على أيدي المفسدين ، فلم تر الدولة في كل عصورها رجلاً مطاعاً مثله . ذلك على شدة فيه ، وقد قُتل في أيام وزارته بأمره ٣٦,٠٠٠ شخص في سبيل توطيد السكينة .

وكان هو ومن خلفه من أفراد أسرته هم القابضون على زمام الأمور في البلاد العثمانية ، ولهم يرجع كل الفضل في انتعاش الدولة في النصف الأخير من القرن السابع عشر ؛ فكان همهم الأكبر أن يعيدوا للدولة مجدها القديم وأن يحيا في سبيل حكمها السنة التي سار عليها محمد الفاتح ومن قبله من السلاطين . وقد ظهرت ثمرة حكم محمد كبريل في مدة وجيزة جداً ، إذ انمحت آثار الفوضى وعاد النظام إلى نصابه . وفي العام الثاني من توليته طرد أسطول البندقية عن الدردنيل بعد قتل قائده «موسنيجو» ، واسترجعت الدولة جزيرة «لبنوس» و«تندوس» ، ثم ضيق الحصار على جزيرة «اكريطش» ، وأعد المعدات لتجديد الفتوح العثمانية في أوروبا . ولما مات «محمد كبريل» في عام ١٠٧٢ هـ ( ١٦٦١ م ) كانت كل أجزاء الدولة متحدة الكلمة منبثاً فيها روح النشاط ، متوجهة بكل قواها للمنازلة عدوها العنيد امبراطور النمسا

لبس احمد كبريل حلة أبيه وقبض على زمام الأمور بعده ، فكان مثله في الحزم ، وحذا حذوه في سياسة البلاد . وكان مبدأ توليته شؤون الدولة هو أجل انفراط عقد المحالفة مع النمسا ، فسار على رأس جيش يبلغ ٢٠٠,٠٠٠ جندي وانقض به على بلاد النمسا والمجر عام ١٠٧٤ هـ ( ١٦٦٣ م ) ، فعبّر نهر الطونة عند «جران» واستولى على قلعة «نيوهوزل» وخرّب من «مرافيا» حتى أسوار مدينة «أولمتز» . إلا أن

«لويس الرابع عشر» ملك فرنسا مدّ إلى الامبراطور يد المساعدة نكايه بالترك الذين الحرب مع النمسا أهانوا سفيره في بلادهم . فأعد جيشاً يبلغ ٣٠,٠٠٠ مقاتل ، ولما وصل هذا الجيش إلى «مُنْتِكُوكُولي» قائد الجيوش النمساوية أحس أنه يمكنه تهديد جناح الجيش التركي اذا زحف عليه من جهة «فينا» . إلا أن احمد تقهقر إلى الجنوب نحو «بودا» فتقابل الجيشان عند «سنغوتار» على نهر الراب سنة ١٠٧٥ هـ ( ١٦٦٤ م ) ، فلم يقو

وفي العام التالي وافته منيته وهو في الثامنة والعشرين من عمره . وبموته مات آخر سلطان حربي من ملوك آل عثمان

## ٥ — عهد سلطنة الوزراء — أسرة كبريلي \*

( ١٠٤٩ - ١١٠٣ هـ : ١٦٤٠ - ١٦٩١ م )

تولى شؤون الملك بعد مراد الرابع السلطان « ابراهيم الأول » ( ١٠٤٩ - ١٠٥٨ هـ : ١٦٤٠ - ١٦٤٨ م ) ، فلم يكن قوى العزيمة كسابقه . فذب في أيامه روح الفساد وسوء الإدارة في داخلية البلاد ، ولذلك لم يفلح في فتح جزيرة « إقريطش » ( كريت ) بعد أن جهز لها أسطولاً في عام ١٠٥٥ هـ ( ١٦٤٥ م ) . ولم يمكث طويلاً حتى عُزل وقُتل

اضطراب الدولة وتولى بعده « محمد الرابع » ( ١٠٥٨ - ١٠٩٩ هـ : ١٦٤٨ - ١٦٨٨ م ) . ففي العام الثاني من حكمه هُزم الأسطول التركي في بحر الأرخبيل ، وقامت الثورات الداخلية في آسيا الصغرى ، وأصبحت الحال في العاصمة أسوأ حال . إذ كان الوزراء يُؤلَّون ويعزلون تباعاً حسب إرادة نساء القصر ، وطبقاً لرغبات الجنود ، واحتل الدردنيل عام ١٠٦٦ هـ ( ١٦٥٦ م ) أسطولٌ للبنادقة هدد القسطنطينية نفسها . وقصارى القول ان الدولة في هذه الآونة كادت تتمزق شذرمذر ، لعدم وجود رجل قوى الشكيمة يدير شؤونها ، حتى قيضت لها المقادير رجلاً شديداً البأس حفظ كيائها هو وأفراد أسرته من بعده : ذلك الرجل هو « محمد كبريلي » رئيس أسرة كبريلي الشهيرة وهي من عنصر الباني استوطن القسطنطينية من زمن . وكان محمد هذا وقت ظهوره قد ناهز السبعين من عمره ، وكان محترماً من الصغير والكبير ، لقوة عقله وحسن أخلاقه . ولهذه الصفات اختارته أم السلطان « محمد الرابع » ( الذي كان لا يزال فتى ) صدرأ أعظم ، فقبل ذلك بشرط أن يُطلق له العنان في ادارة شؤون البلاد ، فكانت نتيجة ذلك انه أظهر شدة بأس ، مقرونة بعدل ، فأعاد النظام في كل أصقاع الدولة

محمد كبريلي

فيها السكينة . ففي عام ١٠٤٥ هـ ( ١٦٣٥ م ) أعاد فتح « اريوان » وعاقب ولاية آسيا الصغرى على تمردهم . وفي عام ١٠٤٨ هـ ( ١٦٣٨ م ) قصد « بغداد » ليسترجعها من يد الفرس . فأخذها عنوة بعد أن أظهر في فتحها ضروب الشجاعة وبعد أن فزيت



مراد الرابع

( رسم على افندي يوسف )

كل حاميتها إلا ثلاثة آلاف . وتمّ بعدها عقد الصلح مع الشاه ، وكانت نتيجةه أن استردّت الفرس بلاد « اريوان » ، أما بغداد فبقيت من هذا الوقت في يد الأتراك ودخل « مراد » القسطنطينية دخول المنتصر الظافر

في أجزاء الدولة الشمالية مدة النصف الأول من القرن السابع عشر ، حتى يتمكن من توجيه كل قواه الى الفرس

الحرب  
مع الفرس

كان مراد الرابع آخر ملوك آل عثمان الحرييين . وأول حرب أثارها كانت على مملكة فارس ، وسببها أنه في مدة مراد الثالث قامت حرب مع الشاه كان النصر فيها حليف الترك ، وعُقد الصلح في عام ٩٩٨ هـ (١٥٩٠م) ، فضمت الترك الى أملاكها بلاد « جرجيا » و « تبريز » وبعض الأقاليم المتاخمة لجنوبي بحر قزوين . إلا أن الفرس ما زالت تنازع الترك هذه الأقاليم حتى استرجعتها في عام ١٠٢٨ هـ (١٦١٩ م) ، وأرجعت حدود الدولة من هذه الناحية الى ما كانت عليه في عهد « سليم الأول » . فعزم مراد على فتح هذه الأصقاع ثانية ، فلاقى في سبيل ذلك أهوالاً عظيمة

اخذ الفتن  
الداخلية

فانه لما تولى عرش الخلافة وهو في الحادية عشرة من عمره كانت البلاد في حاجة الى رجل يقبض على زمامها بيد من حديد ، لتوالى المصائب عليها وهبوب عواصف الفتن والثورات فيها : فكانت الفرس منتصرة ، وآسيا الصغرى في ثورة ، وولاية الأقاليم متعديدين ، وأصبحت بلاد المغرب مستقلة ، والخزينة خالية ، والجيش ثاراً إلا أنه رغم كل هذه الصعوبات العظيمة تمكن بمساعدة أمته من حفظ ركيان الدولة بعد انهزومات مؤلة ، ففي التاسعة من حكمه ثارت الانكشارية وطلبوا رأس وزيره الأول « حافظ باشا » ، فسلم هذا نفسه اليهم فداءً لمليكه . إلا أن السلطان انتقم له بعد من هذه الفتن الضالة شر انتقام ، اذ تمكن من قتل الثوار في كل اقليم وخصوصاً الانكشارية حتى تكدست رؤوسهم على ضفاف البسفور . وقد قيل ان من قتلوا في هذا الحادث يبلغون مائة ألف أوزيريدون

ومن ذلك العهد قبض السلطان مراد الرابع على زمام الأمور بكل يقظة ، فانتشر العدل وساد النظام في كل مكان بحالة لم ير مثلاً منذ أيام سليمان الاكبر ولما استتب الأمن في نصابه سار مراد الرابع قاصداً حدود الدولة الآسيوية ينشر



وهو واحد من أبناء مراد الثالث البالغ عددهم ١٠٢ . وقد قتل منهم محمد هذا ثمانية عشر عند توليته عرش الخلافة . ولم تضعف في أيامه سلطة « صفية » ، وبقيت هي صاحبة النفوذ والسلطان

وكان اكبر مساعد لها في هذه المدة « سيكالا » ، وهو من عنصر جنوى : تزوج سيكالا باحدى حفيدات سليمان الأكبر ، وارتقى في الجيش العثماني بما كان له من الذكاء والحظوة . ولقد أدى خدمة عظيمة للترك في عام ١٥٠٤ هـ ( ١٥٩٦ م ) ، وذلك أنه بعد أن حارب الترك جنود النمسا وترنسلوانيا واستولوا على « إرلر » : قضوا في مكافئتهم في سهل « كركزت » . ثلاثة أيام بانت الهزيمة بعدها في الترك ، وفكر السلطان مرتين في الحرب ، فحمل سيكالا على جيوش الأعداء ، وشتت شملها وأفنى من رجالها خمسين ألفاً

على أن هذا النصر لم يخلص الدولة من الثورات العسكرية والحروب الخارجية ، ابتداء ظهور النمسا على الدولة وما كانت تشعر به البلاد من الاستياء العام . وأوضح دليل على وهن نفوذها أن النمسا حينما عقدت معها صلحاً في عهد السلطان احمد الأول ( ١٥١٢ - ١٥٢٦ هـ : ١٦٠٣ - ١٦١٧ م ) وكان يناهز الرابعة عشرة من عمره ، لم تعاملها إلا معاملة النظير للنظير ، لا الضعيف للقوى ، ومنعت ما كان مفروضاً عليها من الجزية السنوية ثم سادت السكينة في الأصقاع التركية الشمالية ؛ لأن يدي امبراطور النمسا كانتا مغلولتين في حرب الثلاثين سنة\* ، وكان من مصلحته أن يكون على وفاق تام مع الترك ، على حين أن الدولة نفسها لم ترَ فائدة من مهاجمته لأنها كانت اذ ذاك قد استرجعت كل فتوحها

وفي سنة ١٥٣٢ هـ تولى السلطان « مراد الرابع » أريكة الملك ( ١٥٣٢ - ١٥٤٩ هـ : ١٦٢٣ - ١٦٤٠ م ) ، وكان شديد البأس ، ولوعاً بالحرب . إلا أنه رأى أن يبرم عقد صلح من جديد مع امبراطور النمسا ليضمن به بقاء السكينة والهدوء

\* حرب دارت بين كثير من دول أوروبا من سنة ١٦١٨ الى ١٦٤٨ م . وأصلها أسباب دينية

الذى كان يهاجمه . وفي غضون ذلك كان قلب الأسطول بقيادة « دون جون » منتصراً بعد كفاح شديد أشبه بالحرب البرية منه بالحرب البحرية . قُتل فيه القائد التركى « بيالة باشا » وسَلِمَ معظم المراكب التركية أو حُطِمَ . أما « على الألوج » ( دای الجزائر ) الذى كان متغلباً على ما أمامه من سفن « جنوة » فانه لما رأى ما حلَّ بالترك ولَّى هارباً ، فتم بذلك النصر للمسيحيين

تأثير الموقعة ويمكن معرفة ما لهذه الموقعة التى لم تستغرق اكثر من أربع ساعات من الأهمية اذا علمنا أن الترك لم تكن هُزمت فى البحار الى ذلك اليوم . أما الخسائر فلا يمكن تقديرها بالتحقيق ، غير أنه من المؤكد ان خسائر الترك كانت ضعفى خسائر الحلفاء ، وان ما نجا من سفنهم لم يتجاوز الخمسين

وكان المنتظر بعد هذه الهزيمة المنكرة أن تفقد الدولة سيادتها على البحار . إلا أن ذلك لم يكن ، وغاية ما أثرت أنها برهنت لدول أوربا أنه يمكن التغلب على الترك . أما تأثيرها فى سيادة الترك فى البحر الأبيض خاصة فكان ضئيلاً جداً ، إذ أنهم بعد الهزيمة بمدة وجيزة أنشئوا لهم أسطولاً بلغ عدد سفنه ٢٥٠ . ومما يبرهن على قلة تأثيرها أيضاً ان البندقية نقضت عهودها مع حليفتيها ، وطلبت الى الباب العالى أن يعقد معها صلحاً على انفراد ، وقبلت أن تبقى قبرس فى قبضة الباب العالى ، وأن تدفع له المبلغ الذى بذله فى فتحها

مسألة البندقية بقيت بعد ذلك الدولة ربع قرن فى مسألة مع البندقية ، وذلك لا يرجع الى تأثير المعاهدة فقط ، بل الى تأثير نفوذ بعض أزواج السلطان . اذ لما تولى مراد الثالث ( ٩٨٢ - ١٠٠٣ : ١٥٧٤ - ١٥٩٥ م ) الملك بعد موت أبيه سليم الثانى ( وكان ضعيفاً ) ترك مناصب الدولة تُباع لمن يدفع فيها اكبر قيمة . وكان طوع ارادة نسلته وخاصة حُظِيَّتِه « صفية » ، وأصلها من سبى البندقية ، فتسلطت عليه فى مصلحة وطنها

ولما مات هذا السلطان خلفه ابنها محمد الثالث ( ١٠٠٣ - ١٠١٢ : ١٥٩٥ - ١٦٠٣ م ) ،

وبعد ذلك ابتداء فتح جزيرة « قبرس » وانتزاعها من يد البنادقة ، وقام بأمر هذه الحملة « لالا مصطفى » أحد نظراء « صقلي » . وقد كلف فتح هذه الجزيرة الدولة خمسين ألف مقاتل ، أخطفت مصارعهم قائدهم مصطفى . فلم يشتف لهم في ساعة النصر إلا بالانتقام من قائد حامية الجزيرة شر انتقام ، إذ سلخ جلده حياً وبهذا الفتح قويت شوكة العثمانيين في البحر ، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً ، حتى اتحدت عليهم اسبانيا والبابا والبندقية وغيرها ( واشترك معهم فرسان القديس يوحنا ) في مايو سنة ٩٧٩ هـ ( ١٥٧١ م ) . وكان غرض البندقية من هذا الاتحاد استرداد جزيرة قبرس فقط ، غير أن « قليب » ملك اسبانيا أبى إلا أن يجعله تحالفاً عاماً ، فتم الاتفاق على أن تكون اسبانيا والبابا والبندقية متحدة جميعاً على مهاجمة تونس وطرابلس والجزائر والترك ، وأن تحمي كل منها أملاك الأخرى ، وأن تعقد احداهن صلحاً على انفراد ، وأن تعين كل من دول التحالف قائداً لأسطولها ، وأن توكل القيادة العامة الى « دون جون » النمى

ظهر أسطول الحلفاء في ١٦ سبتمبر سنة ١٥٧١ في مياه « مسيني » ، ولما وصل واقعة ليبنتو الى « كُرفو » بلغه أن الأسطول العثمانى فى خليج « ليبنتو » . وفى سابع اكتوبر كان الأسطولان على مقربة بعضهما من بعض فى هذا الخليج . وكان أسطول الحلفاء يشمل ٢٦٤ سفينة ذات حجوم مختلفة بعضها مسلح بأضخم المدافع ، تحمل ٢٦,٠٠٠ جندى و ٥٠,٠٠٠ مجذف وبحرى ، أما الأسطول التركى فكان يحتوى على ٣٠٠ سفينة ، وما لا يقل عن ١٢٠,٠٠٠ جندى ومجذف . وكان غرض أمير البحر التركى ( بيالة باشا ) فى الموقعة التى نشبت أن يشبّ جناحى أسطول خصمه ، غير أن هذه الحركة لم تفلح ، لأن « بربريجو » قائد سفن البندقية فى الجناح الأيسر و«أندريا دوريا» فى الجناح الأيمن احتما بالشاطئ ، وبعد ذلك نشبت معركة عنيفة خسر فيها الحلفاء خسارة عظيمة . غير أن البنادقة تمكنوا أخيراً من صد عدوهم بعد جرح قائدهم « بربريجو » جرحاً مميتاً ، وقتل القائد التركى محمود « سيركو » ( شلوك ) تاريخ مصر ج ٢ ( ٦ )

انتزاع قبرس  
من البنادقة

الاتحاد على  
الدولة

على حسب أهوائهم الى الانغماس فى الترف والفساد ، ففقد جنود الانكشارية منهم بالتدريج ما كان لهم من الصفات الحربية القديمة ، وأصبحوا لا يوثق بهم فى ساحة القتال . فكان ما يبذل لهم من العطايا عند تولّى كل سلطان ، تفوق قيمته فى اعينهم أعظم انتصار لهم فى ساحة القتال

( د ) عدم ادخال هذا الى أن الجيش لم يدخل فيه من الاصلاحات ما يجارى به جيوش الممالك الأوربية الأخرى من استخدام آلات القتال الجديدة والتفنن فى الطرق الحربية الحديثة التى كانت آخذة فى التحسن عندهم

( هـ ) الرشوة على أن أعظم نقص ظهر فى الجيش كان فى قواده وضباطه : فلم تكن ترقية القواد بحسب الكفاءة الشخصية ، بل بحسب ما يبذلونه من الرشوة لولاة الأمور وبطانة السلطان

وليس غرضنا هنا أن نذكر بالتفصيل حوادث انحطاط الدولة وتدهورها التى هى فى الجملة عبارة عن سلسلة هزائم يتخللها بعض انتصارات وعدة معاهدات صالح تخسر الدولة فى كل منها شيئاً من أملاكها ، ثم سير ملوك وحكام ضعفاء منهمكين فى الشهوات ، عُمى البصيرة ، إلا نفرًا قليلاً نهضوا بالدولة فترات يسيرة . وانما غاية ما نستطيعه هنا هو أن نذكر بالإيجاز أهم الحوادث التى من أجلها تضاعفت الدولة التركية وأصبحت فى حجمها الحالى :

سليم الثانى بعد سليمان الاكبر تولى الملك ابنه « سليم الثانى » ( ٩٧٤ - ٩٨٢ هـ : ١٥٦٦ -

١٥٧٤ م ) وكان ضعيفاً لاهياً سَكْبَرًا ، ولذلك لُقّب بالجنون

ولكن النظام الباهر الذى وضع أساسه سليمان ورجال دولته لم يتلاش دَفْعَةً واحدة على يد خلفه ، إذ كان كثير من عمال سليمان لا يزالون بعد أحياء : يَدِبُّ فى نفوسهم

ذلك الروح العظيم الذى بثه فيها مولاهم . ونخص بالذكر منهم وزيره « صُفْلى محمود » الذى لم يأل جهداً فى حكم البلاد على طريقة سيده ، فكان من أعماله أنه أمر

« سِنَان باشا » فأخضع بلاد العرب عام ٩٧٨ هـ ( ١٥٧٠ م )



شمالى إفريقيا ، من أطراف بلاد الشام إلى حدود بلاد مراكش

أسباب  
انحطاط الدولة

وبعد موت سليمان ابتدأت الدولة فى الانحطاط المستمر ، اللهم الا فترات كانت تنعش فيها وتظهر بعض مجدها العسكرى القديم . وترجع أسباب الانحطاط الى عوامل خارجية وأخرى داخلية : فان نمو الأمة الروسية وظهور طائفة من أكابر القوادى فى المجر وبولندة والنمسا من أهم الأسباب الخارجية التى افضت الى اضمحلال الدولة التركية ، وأدت الى انتقاصها الى مساحتها الحالية

الاسباب  
الداخلية

( ا ) اختلاف  
الاديان  
والاجناس

ثم كانت ثمة جرائم داخلية نفت فى عظام الدولة ، وتتل عرش مجدها وعظمتها الأتيلين . اذ أن حكم ولايات الدولة العثمانية المختلفة الأديان والمذاهب والأجناس ، وحفظ نفوذها فيها ، يحتاجان الى نشاط وحكمة يفوقان مثلهما فى إدارة شؤون الدول الأخرى المؤلفة غالباً من عنصر واحد ودين واحد ، لأن نفوذ الأتراك المستمد من القوة العسكرية ، والذين يتحكمون به فى رقاب كثير من الشعوب الأجنبية المختلفة فى كل شىء لم يكن ليدوم طويلاً الا بعناية خاصة : بإعداد الجيش لكل طارئ فجائى من جهة ، وبإرضاء تلك الشعوب المختلفة والتوفيق بينها واكتساب احترامها للدولة ، من جهة أخرى

( ب ) ضعف  
السلطين

وذلك ما لم ينهيا للحكومة العثمانية بعد سليمان ، لأنها لم تُعر كل هذه الأمور شيئاً من الالتفات ، اذ بعد أن نهض الملوك السالفون من آل عثمان بالدولة الى ذروة مجدها بما أوتوه من الذكاء والحدق ، خلف من بعدهم خلف أضاع تلك الأملاك الشاسعة التى نالها أجداده بحمد السيف وحافظوا على كيانها بحسن ادارتهم . ولم يكن لهؤلاء السلطين الضعفاء هم الا الانغماس فى اللذات ، غير مكترئين بتضعضع ملكهم

( ج ) فساد  
الجيش

فلما أصبح الجنود بلا سلطان شجاع يقودهم الى ساحة الوغى ، وسقطت هيبة السلطين من أعينهم ، أخذوا يشعرون بما لهم من الحول والقوة ، وابتدءوا يعزلون ويؤولون من السلطين من يشاءون ، مبتزين الأموال الكثيرة والأعطية الجزيلة من كل سلطان يقيمونه على العرش . فأدّى استئثارهم بالسلطة الواسعة التى كانوا يستعملونها

الهائل في ذلك ضمة اليه ونصبه وكيلاً له . ومن ذلك العهد أخذ يبدى من المهارة البحرية ما جعله اكبر قواد عصره ، وانتصر على «دوريا» في عدة مواقع . ومن أهم أعماله أنه فتح مدينة « المهديّة » عاصمة بلاد تونس في ذلك الوقت

فرسان  
القديس يوحنا  
وحصار مالطة  
على أن الأساطيل العثمانية على قوتها وشدة بأسها لم تقدر على التغلب على «فرسان القديس يوحنا» أصحاب جزيرة مالطة . وكانت هذه الجزيرة قد أعطاها لهم الامبراطور شارل الخامس عند ما طردهم العثمانيون من جزيرة « رودس » سنة ٩٢٨ هـ (١٥٢٢ م) ، فبقوا محافظين على مالطة من ذلك العهد ، وصدّوا عنها العثمانيين مراراً . وفي أواخر أيام سليمان أرسلت الدولة اليها أسطولاً عظيماً سنة ٩٧٣ هـ (١٥٦٥ م) بقيادة مصطفى باشا بيالة ودراغوت ، فحاصروها أربعة أشهر ثم اضطروا للجلأ عنها بعد قتال عنيف ، وذلك لما أبداه فرسان القديس يوحنا من الشجاعة والصبر . ولم يبق من حاميتها بعد هذا الحصار إلا ستمائة فارس ، بعد ان كان بها تسعة آلاف

ومات السلطان سليمان عام ٩٧٤ هـ (١٥٦٦ م) أثناء غارته الأخيرة على البحر وكانت سنة إذ ذاك ستاً وسبعين سنة .

#### ٤ - \* ابتداء اضمحلال الدولة العثمانية \*

( ٩٧٤ - ١٠٤٩ هـ : ١٥٦٦ - ١٦٤٠ م )

أجمع المؤرخون على ان عصر سليمان الاكبر هو العصر الذي بلغت فيه الدولة العثمانية أقصى مجدها وعظمتها : ففي مدة ثلاثة قرون تسنّى لقبيلة آل عثمان الصغيرة أن تبسط سلطانها ونفوذها على البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود والبحر الأحمر ، وتمتد فتوحها من مكة المكرمة الى بودا من جهة ، ومن بغداد الى الجزائر من جهة أخرى . فكان كل من الشاطئين الشمالى والجنوبى للبحر الأسود فى قبضة يدهم ، وجزء عظيم من مملكة النمسا والمجر الحالية يعترف بسلطانهم . وقد دان لسلطانهم أيضاً

أقصى  
أطراف الدولة



سليمان القانوني

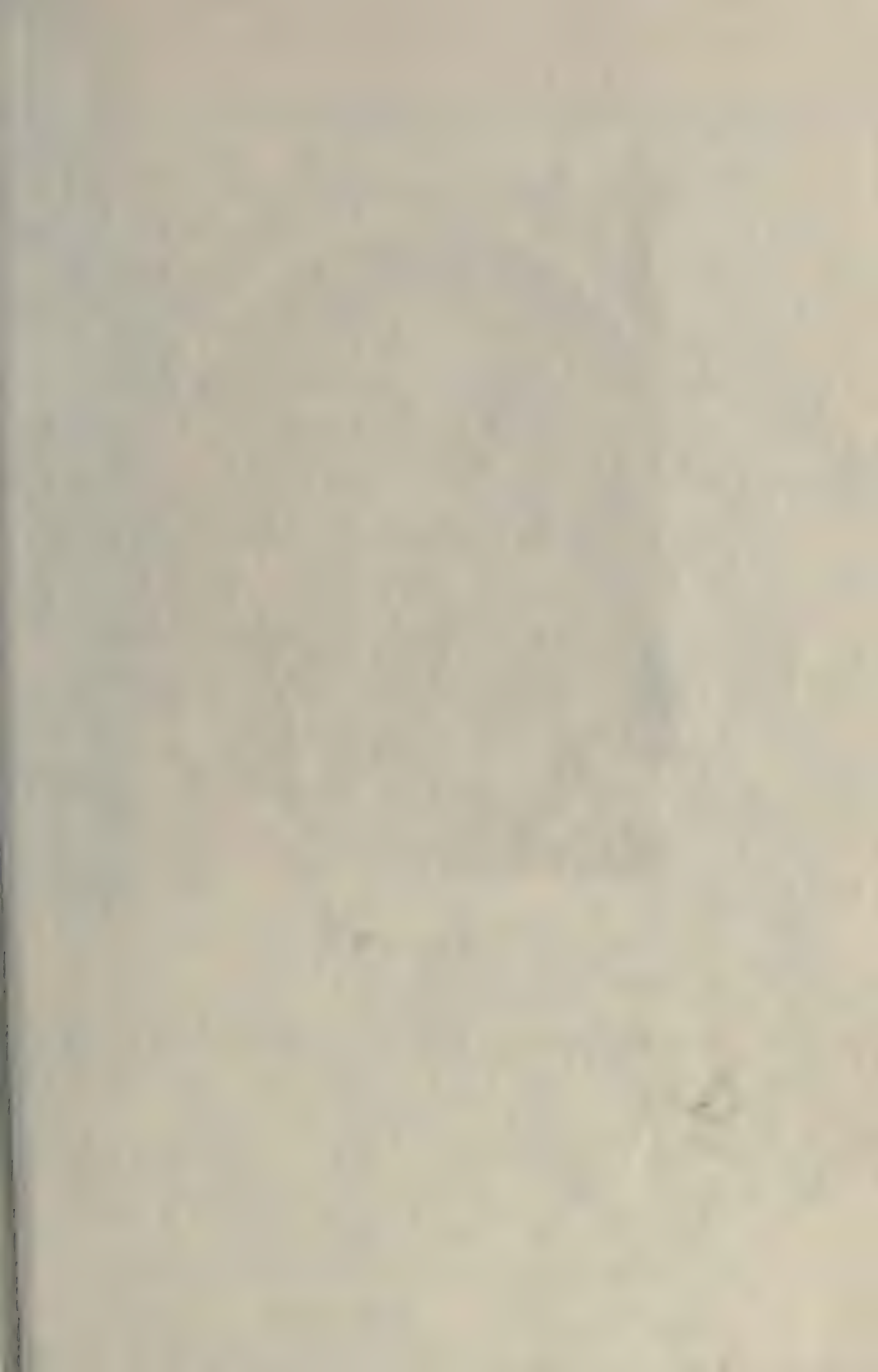
( رسم على افندي يوسف )

ومن أعظم أفراد هذا العصر أيضاً « بيري ريس » و« سيدى على » ، وكانت  
لها اليد الطولى في بسط نفوذ الدولة على شواطئ بلاد العرب وفارس والهند  
ومنهم « بيالة باشا » ، فإنه حارب القائد الجنوى « دوريا » وانتصر على أساطيله  
انتصاراً مبيناً عند جزيرة « جربة » من أعمال تونس عام ٩٦٧ هـ ( ١٥٦٠ م )  
ومن أشد رجال هذا العصر بأساً « دراغوت » ( طرغود ) : كان مثل بربروس  
في أول أمره مشتغلاً بقطع الطريق في البحر ، ولما علم بربروس بما له من الصيت

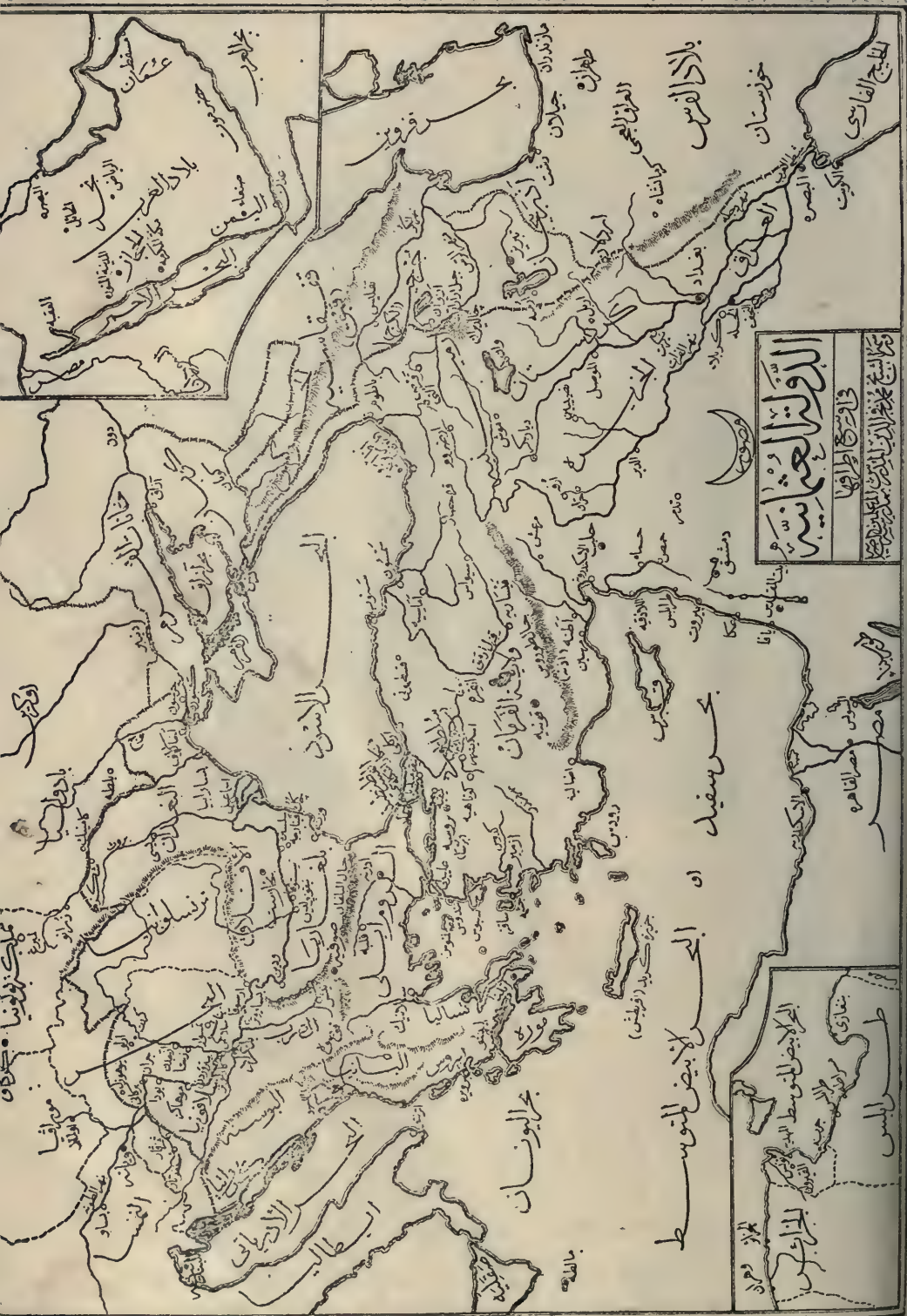
بيري ريس  
وسيدى على

بيالة باشا

طرغود







الدولة العثمانية  
قائمة احوالها  
تكملة لكتاب جغرافيا الممالك والديارات

بالافس  
خوزستان

بحر سفيان  
الحل  
البحر الأبيض المتوسط

طرابلس  
مصر  
البحر الأبيض المتوسط  
البحر الأحمر  
البحر الهندي



أكبر قُوَّاد أوربا البحرية في عصره . وُلد في جزيرة « لِسْبُوس » ، ثم اتخذ هو  
 قطع الطريق في البحر الأبيض  
 وأخوه قطعَ طريق البحر منهَّ لهما ، وكانت منتشرة وقتئذٍ في البحر الأبيض المتوسط  
 ثم عظم شأنه في هذه المهنة وصارت له سطوةٌ عظيمة ، واستولى على كثير من ثغور  
 شمالي إفريقية ، الى أن صار صاحب الكلمة العليا في بلاد الجزائر . وعند ذلك  
 قدَّم ولائه للباب العالي ، فنصَّبه السلطان سليم الأول حاكمًا عامًا للجزائر سنة ٩٢٦ هـ  
 خير الدين  
 بربروس  
 (١٥١٩ م) ، وأجزل له العطاء ، وأمدَّه بألني جندي من الانكشارية . وفي سنة ٩٤١ هـ  
 (١٥٣٣ م) اختاره السلطان سليمان قائدًا للأسطول العثماني الذي سيَّره لمحاربة أساطيل  
 « شارل الخامس » ( شَرَلْكَان ) ملك اسبانيا ، وكانت بقيادة « أندرِيادُوريا »  
 الحرب في تونس  
 الجنوي ، فتهرَّه « بربروس » ، وانتصَّ على سواحل إيطاليا ، فسلب ونهب منها  
 شيئًا كثيرًا . ثم ولى وجهته شطرنونس يريد الاستيلاء عليها . وكان يحكمها وقتئذٍ  
 أحد ملوك الدولة الحفصية من بقايا الموحدين ، فلبَّجأ الى شارل الخامس المذكور ،  
 فذهب شارل بنفسه الى إفريقية في جيش عظيم ، فلم يقدر بربروس على مقاومته ،  
 وانجلى عن المدينة . ثم وقع خصام بين الدولة والبندقية لاعتداء بعض لصوص البحر  
 الحرب بين  
 الدولة والبندقية  
 من البنادقة على سفير الدولة في وقت السلم ، فخرج « بربروس » الى البحر الأدرياتي  
 للانتقام من البندقية ، فاستغاثت البابا وشارل الخامس . فساعداه بأسطوليهما ،  
 ولكن بربروس هزم الأساطيل الثلاثة في موقعة « برويزة » سنة ٩٤٥ هـ (١٥٣٨ م)  
 وقد حط ذلك كثيرًا من شأن البنادقة  
 وفي عام ٩٤٨ هـ ( ١٥٤١ م ) أغار « شارلكان » على بلاد الجزائر ، فصدَّه  
 الحرب  
 في الجزائر  
 بربروس ، وساعده الحظ بأن عصفت الرياح على سفن شارلكان فخطمتها . وبقى  
 بربروس مصدرَ الرعب والفرع في البحر الأبيض ، الى أن أرسله سليمان القانوني  
 عام ٩٥٠ هـ (١٥٤٣ م) لمساعدة حليفه ملك فرنسا في الإغارة على الأملاك الإسبانية  
 فاستولى بربروس على « نيس » وبقى بفرنسا الى أن خشي بأسه الفرنسيون أنفسهم ،  
 وأجزلوا له العطايا والمدايا ، حتى جلا عن بلادهم وذهب الى الاستانة حيث قضى  
 بقية أيامه في هدوء متقلدًا منصب قبودان باشا

قُتل فيها ملكهم « لويس الثانى » وكثير من الأمراء ، وفتح السلطان معظم المدن والقلاع التى بالأقاليم الجنوبية . ثم ولّى على البلاد ملكاً من أهلها وهو « جان زابولى » ، وغادرها ومعه أكثر من مائة ألف أسير

وبعد خروجه من البلاد أغار عليها « فِرْدِنَنْد » ملك النمسا ، واستولى على مدينة « بُودا » ، وخلع الأمير الذى نصبه سايمان . فاستغاث الأمير بالسلطان ، فخرج فى جيش عظيم مؤلف من ٢٥٠,٠٠٠ مقاتل و ٣٠٠ مدفع ، فاسترد « بودا » وأعاد « زابولى » الى عرشه . ثم اتخذ عمل « فردنند » ذريعة للإغارة على النمسا ، فسار نحو « ويانة » ( فينّا ) . وكان فصل الشتاء قد أقبل وكثر المطر ، فاضطر العثمانيون لتترك مدافعهم الضخمة بالمجر . فلما وصل سايمان الى « ويانة » ألقى عليها الحصار عشرين يوماً سنة ٩٣٥ هـ ( ١٥٢٩ م ) ، ثم وجد أن الجوّ وقلة المدافع يحولان دون الاستيلاء على المدينة ، فرجع عنها . وكان هذا أول نزال فشل فيه ، فلم ينسَهُ طول حياته . وبقى الحرب الى سنة ٩٤٠ هـ ( ١٥٣٣ م ) ، قتمّ الصلح على تقسيم بلاد المجر بين زابولى وفردنند . ولما مات الأول عام ٩٤٦ هـ ( ١٥٣٩ م ) أغار فردنند على البلاد جميعها ، فغزا السلطان سايمان بلاد المجر كرتة أخرى ، وكان هذه المرة يترك حامية فى كل مدينة يفتحها ، لجمعها من الأملاك العثمانية . ثم تمّ الصلح بين الفريقين فاعترف فردنند للسلطان بسيادته على المجر وترانسيلوانيا ، وتعهد أن يدفع له جزية سنوية . وربما كان خذلانه اكبر لو لم يشغل سايمان عن تلك الجهات بحروبه مع فارس وغيرها من بلاد المشرق . ومما فتحه السلطان فى المشرق جزء كبير من أرمينية وأرض الجزيرة والعراق وفيه مدينة بغداد العظيمة

وفى عصر هذا السلطان تقدمت البحرية العثمانية تقدماً عظيماً حتى صارت تهاجم القوة البحرية الأمم فى جميع البحار ، من البحر الأبيض فالى البحر الأحمر ، الى المحيط الهندى . وظهر فى الدولة إذ ذاك من مهرة الملاحين وأمراء البحر من تفتخر بهم أعظم دولة بحرية . وفى مقدمتهم « أسرة بزبرُوس » الشهيرة ، ورأسها « خير الدين بروس »



فتح مصر  
وتأثيره في الدولة

وبعد عامين (٩٢٢ هـ : ١٥١٦ م) خرج السلطان سليم لفتح مصر ، ففتحها كما أوضحنا في غير هذا المكان . وجنى بيت آل عثمان من فتح مصر فائدة لم يجننها من فتح غيرها من البلدان ، إذ أنه بنزول الخليفة العباسي بمصر عن الخلافة للسلطان سليم الأول سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) صار له ولسلاطين آل عثمان من بعده زعامة على العالم الإسلامي لم تكن لهم من قبل . وكان السلطان سليم يتأهب بعد ذلك لفتح « رودس » ، فمات قبل أن يتم عمله ، بعد ثمانية أعوام من حكمه

سليمان القانوني

فتولى ابنه السلطان « سليمان القانوني » (٩٢٦-٩٧٤ هـ : ١٥٢٠-١٥٦٦ م) ، وهو أعظم سلاطين آل عثمان ، وعصره أزهى عصر في تاريخهم ، إذ كانت الدولة في أيامه مكانة لم تحزها قبله أو بعده . صادفت أيامه تلك النهضة العلمية العظيمة التي انتشرت في أنحاء أوربا في القرن السادس عشر من الميلاذ المسيحي وحدثت بالغربيين إلى تلك الاستكشافات العلمية والجغرافية ( التي أسست عليها المدنية الحديثة والتي كانت سائرة حينئذ بسرعة لم يسبق لها مثيل ) ، فلم يقتصر العثمانيون على السير بجانبهم في ذلك المضمار ، بل فاقوهم فيه في عدة أمور ولا سيما الفنون الحربية . ولم يكن بين ملوك أوربا في عصر سليمان من يفوقه غزواً أو سياسةً أو إدارة

زها . عصره

أما فتوح سليمان فلم تكن بأقل من فتوح سليم أو محمد الفاتح ، إذ تم له في العامين الأولين من حكمه ما استعصى عليهما قبله : ففي سنة ٩٢٧ هـ ( ١٥٢١ م ) استولى على « بلغراد » ، وفي قابل فتح « رودس » انتزعهما من فرسان القديس يوحنا بعد حصار أظهر فيه من الكفاءة والدراية بالعلوم الحربية ما عظم به شأن الدولة في أعين الأوربيين

فتح بلغراد

على أن معظم غزوات سليمان كانت موجهة إلى الغرب للتغلب على النمساوالمجر ، ولا سيما الأخيرة التي طالما وقفت في وجه العثمانيين ومنعتهم من الزحف في أوربا إلى ما وراء الصرب والبوسنة . ففي سنة ٩٣٢ هـ ( ١٥٢٦ م ) غزا بلاد المجر . فلما التقى بجيوشهم في موقعة « موهكز » الفاصلة لم يثبت جيش المجر أكثر من ساعة واحدة



هي فاتحة الانتصارات البحرية العثمانية على ممالك البحر الأبيض . وكانت جنود الانكشارية لا يعجبهم انكماش بايزيد وضعفه ، فالتقوا حول أصغر أولاده «سليم» ، وأرغوا بايزيد على النزول عن العرش سنة ٩١٨ هـ ( ١٥١٢ م )

فتولى السلطان «سليم الأول» ( ٩١٨ - ٩٢٦ هـ : ١٥١٢ - ١٥٢٠ م ) فكان سليم الاول من أعظم سلاطين العثمانيين وأكثرهم انتصاراً وفتحاً . وكان مجيداً لقيادة الجيوش والسياسة ، كثير الاطلاع ، ولوعاً بالأدب ، إلا أن شيئاً يخالطه من القسوة والميل الى سفك الدماء ، وقد قيل إنه قتل من اقاربه وعماله ما لم يقتله أحد قباه ولا بعده من ملوك آل عثمان . ورأى السلطان سليم أن يقف فتوح الدولة في أوروبا فترة ، وأن يستعيز بذلك الاستيلاء على شئ من ممالك الشرق النفيسة

فبدأ بدولة فارس . وكان على عرشها حينئذ الشاه اسماعيل الصفوي ، وكان قد ذاع صيته بفتوحه العظيمة في المشرق ، وأصبح لا يبالي بنشر مذهب الشيعة ( الذي يمتقه العثمانيون ) في آسيا الصغرى ، ويحرض أمراء تلك الجهة على الخروج على العثمانيين . فعزم السلطان سليم على غزو فارس ، وعجل ذلك إيواء الشاه اسماعيل لابن اخي سليم ، الفار من وجهه

ففي سنة ٩٢٠ هـ ( ١٥١٤ م ) خرج السلطان سليم بجيش عظيم يريد غزو الفرس ماراً في طريقه على «ديار بكر» و «کردستان» ، فتراجع الفرس الى داخل بلادهم وخرّبوا كل ما في طريق الترك من المرافق ، كي تضمحل جيوشهم جوعاً وتعباً . ولما التقى الفريقان في وادي «جنديران» قرب «تبريز» كانت الجنود العثمانية في شدة التعب ، إلا أن الفرس لم يقوّوا على مقاومة قوة الانكشارية والمدافع العثمانية ، فانهزموا شرهزيمة . فدخل السلطان سليم «تبريز» ( حاضرة الفرس في ذلك الوقت ) وأمر بإرسال ألف من أمهر صناعها الى القسطنطينية . ثم اضطر بعد أيام الى الانصراف الى بلاده ، لتمرد جنود الانكشارية عليه . وكانت نتيجة تلك الحروب استيلاء العثمانيين على «ديار بكر» و «کردستان»

غاقبة تغلبه على ألبانيا أن أزال أكبر عقبة في سبيل توسيع أملاكه من الغرب ، فتوغل في أملاك البندقية توغلاً فزع منه البنادقة ، ولم يسعهم إلا أن عقدوا معه محالفة لتسلم لهم مدينتهم ، سنة ٨٨٢ هـ ( ١٤٧٧ م )

نحاولة فتح إيطاليا  
أما إيطاليا فلم يبرح أمرها قط من ذهن محمد الثاني ، وكان جل أمانيه فتحها ورفع لواء الاسلام على رومية في الغرب ، كما رفعه على القسطنطينية في الشرق

فرسان القديس يوحنا  
ورأى أن يمهّد الطريق لذلك بانتزاع جزيرة « رودس » من أيدي « فرسان القديس يوحنا » . فسأّر عليهم أسطولاً عظيماً ، وضيق الحصار على جزيرتهم ثلاثة أشهر ، ولكنه لم يقو عليهم ، وفترت همة جنود الانكشارية لما علموا أن السلطان منع استيلاءهم على شيء من غنائم الجزيرة . فاضطر محمد الى فض الحصار ، وأبرم مع الفرسان صلحاً عام ٨٨٥ هـ ( ١٤٨٠ م )

ثم عاد فوجّه همه لفتح إيطاليا ، فأرسل جيشاً استولى على مدينة « أترنتو » سنة ٨٨٥ هـ ( ١٤٨٠ م )

وكان في العام التالي يشتغل بإعداد حملة عظيمة لإتمام فتح تلك البلاد ، فمات فجأة عام ٨٨٦ هـ ( ١٤٨١ م ) ، وبموته انصرف العثمانيون عن هذه الجهة . وفي أيام خلفه أخلى العثمانيون « أترنتو » ذاتها ، ولم يحتلوا بعدها شيئاً من الأراضي الإيطالية

بايزيد الثاني  
ثم خلفه ابنه « بايزيد الثاني » ( ٨٨٦ - ٩١٨ هـ : ١٤٨١ - ١٥١٢ م ) ، فكان أضعف سلاطين آل عثمان الى ذلك الوقت . ولم يكذب مجلس على العرش حتى خرج عليه أخوه الأصغر « جَم » مطالباً بالملك ، وكان قوى البأس ، فلاقى بايزيد صعوبة كبيرة في مكافحته ، الى أن اضطره الى الفرار الى مصر . وكان بايزيد محباً للسلام ، لا يدخل الحرب إلا مدافعاً ، ولم يزد في أملاك الدولة إلا بضع مدن في مورة . وقد علمنا ما كان من أمره مع مماليك مصر وانتصارهم على جيوشه في الشام . على أن قوة الأسطول عظمت في عهده ، وصارت من ذلك الحين موضع خطر على الممالك الأوربية ، فلم يلبث أن اشتبك مع أسطول البنادقة في موقعة هائلة

عند ما أراد الإغارة على المجر وألمانيا ، وهزمه هزيمة كبيرة اضطرتته الى الرجوع عن  
تلك المدينة بعد أن خسر من جيوشه نحو ٢٥,٠٠٠ مقاتل ، فانصرف عن تلك  
البلاد الشمالية



محمد الفاتح

(رسم على افندى يوسف)

على أن صدّ جيوشه في هذين الموضعين لم يمنعه من مواصلة فتوحه في الجهات  
الأخرى . فاستولى في آسيا على «طَرَبُزُون» (أَطْرَابُزُنْدَة) من بقية أملاك الروم ،  
وأخضع إمارة «القرمان» التركية إخضاعاً نهائياً . وفي سنة ٨٧٩ هـ (١٤٧٥ م)  
دانت له بلاد «القرم» فبقيت خاضعة للدولة نحو ثلاثة قرون من الزمان . ثم كان







جامع ابا صوفيا

من أعجب ما حدث في التاريخ : وذلك أنهم مهدوا طريقاً برية بين البسفور والقرن الذهبي يبلغ طولها نحو الفرسخين ، ووضعوا عليها عوارض ضخمة من الخشب تدحرج عليها اسطوانات طويلة من الخشب أيضاً ( بكر ) ، وسيروا فوقها ٨٠ سفينة صغيرة من أسطولهم الذي كان بالبسفور . فجرت عليها السفن والريخ تدفع في شراعها كأنها تجرى على الماء ، حتى بلغت القرن الذهبي ، فنزلت فيه بلاعناء . وكان السلطان محمد أثناء نقل هذا الأسطول يضال حامية المدينة بالإلحاح على ضربها بالمدافع من باقي الجمهات الأخرى . وعندئذ اشتركت السفن والجيش البري في ضرب الأسوار ، فلم تقوَ على احتمال هذه النيران . وحمل العثمانيون على المدينة حملة صادقة ، فدخلوها بعد قتال عنيف قُتل فيه امبراطور الروم « قسطنطين باليولوغوس » . وكان ذلك في أواخر عام ٨٥٧ هـ ( ١٤٥٣ م ) ، وبه سقطت دولة الروم الشرقية

فتح المدينة

ودخل السلطان محمد عاصمته الجديدة في موكب حافل ، وسارتوا الى كنيسة « أيا صوفيا » ، فصلى فيها ظهر ذلك اليوم ، وبقيت مسجداً إسلامياً الى الآن . وهذا البناء من أجمل آثار دولة الروم الشرقية ، ومن احسن النماذج لفن المباني البوزنطية استولى السلطان محمد الفاتح على عاصمة الروم وهو لا يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره ، فلم تقف فتوحه عند ذلك ، ولم يلبث أن تم له إخضاع معظم « المورة » و « الصرب » و « البوسنة » . واراد الإغارة على ايطاليا وألمانيا ، فحال دونها وقوف « اسكندر بك الألباني » و « هونياد المجري » في طريقه اليهما

فتوح محمد الثاني  
الأخرى

وذلك أن أولهما كان أول أمره في خدمة مراد الثاني ، ثم نصبه والياً على ألبانيا ( موطنه الأصلي ) ، فخرج على الدولة وأراد أن يستقل بألبانيا . وساعدته طبيعة تلك البلاد الجبلية على صد الجند العثمانية سنة بعد أخرى ، فلم يقم للسلطان إخضاع ألبانيا إلا بعد عشرين عاماً ، أي بعد وفاة اسكندر بك في عام ٨٧١ هـ ( ١٤٦٧ م ) . ولم يعش محمد الثاني لتحقيق أمنيته في ايطاليا

اسكندر بك

أمّا « هونياد » فإنه وقف للسلطان في « بلغراد » عام ٨٦٠ هـ ( ١٤٥٦ م )





٣. الموت  
الاسود

ظهر في شرق أوروبا عام ٥٧٤٧ هـ (١٣٤٧ م) ، ثم اطرّد الى باقى أنحاء القارة ، فكان أتى انتقل يفتك بالناس فتكاً ذريعاً ، حتى زادت نسبة من ماتوا به فى بعض الممالك على النصف<sup>(١)</sup> . وقد وجد هذا الوباء منبئاً خصباً له فى مدن الدولة الرومانية الغاضة بالسكان ، والتي لم تلقَ من حكومتها المشغولة بالفتن الدينية والقلاقل السياسية العناية اللازمة لاتخاذ التدابير الصحية التى تكفى لمقاومته أو لنقص فتكه ، حتى أصبح عدد سكان البلاد لا يكفى لجمع الجيوش التى تقوم بالدفاع عن الدولة<sup>(٢)</sup>

### ٣ — \* الدولة العثمانية فى أوج عظمتها \*

(٨٥٧ - ٩٧٤ هـ : ١٤٥٣ - ١٥٦٦ م)

الاستعداد لفتح  
القسطنطينية

هكذا كانت حال الدولة الرومانية عند ما جالس محمد الثانى على عرش آل عثمان ، فعمل فى الحال على تحقيق أمنية بيته ، وهى فتح القسطنطينية وجعلها مقراً له . فأعد لذلك جيشاً عظيماً سار به لفتح المدينة فى ربيع عام ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م)

شكل المدينة

أما شكل المدينة فسهل التصوّر : إذ هى أشبه بثلاث متساوى الساقين محاط بالأسوار من كل جانب ، رأسه بارز شرقاً فى مياه البسفور ، والضلع الشمالى يحدها الميناء المسمى « القرن الذهبى » ، والضلع الجنوبيه يحدها بحر مرمره . أما قاعدة هذا المثلث فهى الأسوار الغربية التى تفصل المدينة عن باقى القارة الأوربية

مهاجمة المدينة

فبدأ السلطان بمهاجمة الأسوار الغربية ، وكانت تمتد من القرن الذهبى الى بحر مرمره . ثم رأى على ضخامة مدافعه<sup>(٣)</sup> أنه لا يستطيع التغلب عليها لمناعتها وعظم سمكها . فعوّل على مهاجمة المدينة من أضعف جهاتها وهى الجهة المشرفة على القرن

(١) كان عدد سكان انجلترا فى ذلك الحين بين ٣٠٠٠٠٠ و ٤٠٠٠٠٠ ، مات

به اكثر من نصفهم

(٢) لم يفتك الوباء بالترك فتكاً ذريعاً ، ولعل السبب الاول فى ذلك راجع الى اقامتهم فى الخلاوات

(٣) قبل انها كانت أضخم مدافع عرفت الى ذلك العهد ، وكانت تقذف نحو ١٢ قنطاراً من الحجر على مسافة ميل



حتى تم توحيد الكنيستين في سنة ٨٤٣ هـ ( ١٤٣٩ م ) عقب انعقاد مجلس ملي  
بايطاليا دعا البابا اليه القيصر وممثلي بطريقية الاستانة . فثار غضب أهل القسطنطينية  
لذلك ، ولما رآه بعضهم بنفسه عند انعقاد المجلس من قلة نفوذ البابا بين دول أوربا  
الغربية وعدم قدرته على مساعدة دولتهم بشئ ، وازداد حقهم عند اعلان توحيد  
الكنيستين . ومن ذلك العهد استفحل خطب الفتن الدينية

على أن الفتن الداخلية في الدولة لم تكن مقصورة على الأمور الدينية ، بل كان  
عرش الملك نفسه منشأ فتن مستمرة منذ عاد مقر الدولة الى القسطنطينية . فإن أول  
أمبراطور انتزع هذه العاصمة من اللاتين ( وهو ميخائيل الثامن ) كان نفسه معتصباً  
للملك : اغتصبه من طفل كان وصياً عليه ، فأشعل الشرارة الأولى من نار المنازعة  
في شأن العرش ، وبقيت هذه النار مستعرة حتى آخر أيام الدولة

وقد كان لغارة اللاتين على القسطنطينية ضرر آخر لا يقل عن جميع ما تقدم ، ( د ) غارات  
وذلك أن الشعوب القاطنة في البلقان بعد أن كانت خاضعة للدولة الرومانية ، وملتماً  
بعضها ببعض ، لعظم سلطانها وشدة بأسها ، وجدت من ضعف الدولة اللاتينية باعثاً  
على استقلال كل منها بنفسها دون مراعاة لما يعود عليها من النفع من اتحادها . ثم  
استطار الشر بينها وصار بعضها يستعين بالأتراك وغيرهم على اقتناص ما تصل اليه  
يده من أملاك الدولة . وبذلك كثرت غارات البلغار والصرب والمجر والنتار على  
أملاكها ، حتى صارت من اكبر العوامل على فنائها

وأما ثانی الأمور الأساسية التي أدت الى سقوط الدولة الرومانية الشرقية فهو ٢ . هجوم الترك  
مهاجة الترك لها من كل جانب بلا انقطاع : مقتلین الكثير من سكان تلك الجهات ،  
ومشردين الباقيين أمامهم الى الفلوات والأطراف القاصية : مما خرب البلاد وذهب  
بغالب أهلها

وزاد هذا النقص وباء عظيم انتشر في أوربا نحو قرن من الزمان حتى أفنى ألوف  
الألوف من أهلها : ذلك هو الوباء الهائل المعروف في التاريخ « بالموت الأسود » .  
تاريخ جزء ٢ ( ٤ )

اللاتينية نسبةً الى لغتهم . وبقوا بها نحو عشرين عاماً خربوا فيها كثيراً من البلاد ، ونهبوا معظم نفائسها القديمة ونقلوها الى بلادهم . ولم يحدثوا في البلاد أى اصلاح أثناء اقامتهم بها ، لجهلهم بنظام الملك وإدارة شؤون حكومة منتظمة مشيدة على أساس ممكن مثل حكومة الدولة الرومانية . وكانت البلاد في أيامهم ( لاختلافهم في الرأي وتنافسهم فيما بينهم ) ميداناً للفتن والقلقل الدائمة . أما إمبراطور الروم فإنه انحاز الى آسيا الصغرى ، وجعل مقر ملكه في « نيقية » التي ما زالت حاضرة للروم حتى انتهزوا فرصة ضعف الصليبيين في سنة ٦٦٠ هـ ( ١٢٦١ م ) واستردوا القسطنطينية وأعادوا اليها مقر ملكهم

( أ ) نقص  
يتابع الفقرة  
على أن الدولة لم تتخلص من كل ما لحقها من أذى هذه الحادثة ، فإن تشتت شملها أثناء حكم اللاتين كان قد ذهب برجها الملمة بالقوانين وانظمة الحكومة ، فلاقت صعوبة كبيرة في تشييد ما هدمه الصليبيون من جديد . وان انتشار الفتن في البلاد هذه المدة حمل الكثيرين على المهجرة من الأرض فباتت خراباً بلاقع بعد أن كانت من أخصب بقاع الدنيا ، واضطر ايضاً أصحاب المتاجر التي كانت تمر بين الشرق والغرب عن طريق البسفور الى تحويل متاجرهم الى جهات أخرى اكثر مأمناً وأقل اضطراباً

( ب ) الفتن  
الدينية  
ثم لما رجع مقر الدولة الى القسطنطينية ، وحاول قياصرتها اصلاح ما فسد منها وجدوا من المنازعات الدينية والاضطرابات الداخلية بين أهل الدولة اكبر عقبة في تحقيق أمنيتهم . فانهم لما علموا أن الصليبيين عازمون على إعادة الكرة عليهم لجثوا الى التودد الى « البابا » ليدفعهم عنهم ، فوعدهم هذا بمد يد المساعدة في ذلك ، وفي رد غارات الترك عن دولتهم ، اذا عملوا هم على توحيد الكنيستين : الشرقية بالقسطنطينية ، والغربية برومية ، واعتراف الأولى للبابا بالسيادة . فجذ القياصرة في ذلك ما استطاعوا وعزلوا من خلفهم فيه من البطارقة ، فكان ذلك سبباً في ظهور أحزاب متضادة : بعضها يؤيد البطريق وبعضها يعاضد الامبراطور . وما زال الأمر كذلك

وأنها سُميت من ذلك الحين بالقسطنطينية منسوبة اليه . وفي سنة ٣٩٥ م تم تقسيم الدولة الى قسمين : الدولة الغربية وعاصمتها رومية ؛ والدولة الشرقية ، وعاصمتها القسطنطينية

فلم تعمر الدولة الغربية طويلاً لكثرة غارات الأمم المتبربرة عليها ، اذ استولى عليها القوط سنة ٤٧٦ م

أما الدولة الشرقية فلبثت نحو ١٠٠٠ سنة تمكنت فيها بفضل مناعة موقعها من رد غارات الأمم المتبربرة الأوربية من القوط والسلاف وغيرهم ، كما صدت غارات الفرس والعرب عن حاضرتها نفسها وعن معظم أوربا . ولكنها لم تستطع الدفاع عن أكثر أملاكها خارج أوربا : فقد رأينا كيف نزع العرب من يدها شرقي آسيا الصغرى وسورية وفلسطين ومصر وبرقة وإفريقية وجزائر البحر الأبيض الشرقية

أسباب  
الاضمحلال  
الاخير

أنهكت كل هذه المكائلات قوى الدولة وفتت في عضدها ، الى أن دخات عليها عوامل فناء أخرى شديدة كان فيها القضاء على البقية الباقية منها . وهذه العوامل الجديدة ترجع الى ثلاثة حوادث عظيمة وهي : -

( ١ ) غارة الصليبيين على القسطنطينية في احدى حروبهم الصليبية التي شنوها على المسلمين ، وتأسيسهم دولة لاتينية بها استمرت نحو ٦٠ عاماً ( ٦٠٠-٦٦٠ هـ : ١٢٠٤ - ١٢٦١ م )

( ٢ ) مهاجمة الترك لأملاكها من كل جانب

( ٣ ) انتشار الوباء العظيم المعروف بالموت الأسود

أما غارة الصليبيين على القسطنطينية فبيانها أن حملة صليبية كبيرة خرجت من ا. غارة اللاتين غربي أوربا سنة ٦٠٠ هـ ( ١٢٠٤ م ) للغارة على مصر ( قلب الدولة الاسلامية في ذلك الحين ) ومرت الحملة في طريقها على القسطنطينية ، فطمعت في ثروتها العظيمة وأملاكها الشاسعة ، ورأى رجالها من ضعف الدولة الرومانية ما شجعهم على ذلك . فقتلوا غرضهم. الأصلي ، واستولوا على القسطنطينية ، وأسسوا بها دولة تُعرف بالدولة

واقعة ورنه (وكان حديث السن ) ، وأقام بأسيا يطلب الراحة . فلما رأى المسيحيون ذلك طمعوا في الدولة ، فنقضوا عهدهم ، وزحفت جيوشهم بقيادة «هوناد» على الأراضي العثمانية ، واستولت على كثير من حصون بلغاريا . فلما علم مراد بذلك رجع الى الملك وسار بجيش اليهم . وكانوا قد استولوا على « ورنه » ، فالتقى بهم خارج المدينة في معركة فاصلة ، انتهت بانتهازم المسيحيين هزيمة شنيعة ، وقُتل فيها بعض ملوكهم وأمرائهم سنة ٨٤٨ هـ ( نوفمبر سنة ١٤٤٤ م ) . وكان العثمانيون أثناء الموقعة يحملون في جملة أعلامهم لواء معلقاً عليه صورة من المعامدة تذكرةً للأعداء بغدرهم ونقضهم للعهود والمواثيق . ثم أتم مراد إخضاع البوسنة والصرب ، ومات عام ٨٥٥ هـ ( ١٤٥١ م ) فترك لابنه محمد الثاني ملكاً واسعاً ثابت الأركان

تولى «محمد الثاني» الشهير بمحمد الفاتح ( ٨٥٥ - ٨٨٦ هـ : ١٤٥١ - ١٤٨١ م ) وهو في الحادية والعشرين من عمره ، فبادر بالتأهب لفتح القسطنطينية ، وأعدّ لذلك المعدات العظيمة ، وفي سنة ٨٥٧ هـ ( ١٤٥٣ م ) تمّ له فتحها بعد أن أعبأ كثيراً من ملوك المسلمين قبله ، ففضى بذلك على دولة الروم الشرقية القضاء الأخير . ويُعدّ فتح القسطنطينية من أهم الحوادث التاريخية ، كما يعتبر عام فتحها ( ٨٥٧ هـ : ١٤٥٣ م ) مبدأ التاريخ الحديث

## ٢ — \* اضمحلال الدولة البوزنطية \* \*

وسقوط القسطنطينية في يد العثمانيين

ذكرنا في كتاب « تاريخ مصر الى الفتح العثماني » أن قسطنطين الأ كبر نقل عاصمة الدولة الرومانية الى مدينة « بوزنطة » على شواطئ البوسفور سنة ٣٣٠ م ،

\* اي الدولة الرومانية الشرقية . سميت البوزنطية نسبة الى بوزنطة الاسم القديم لمدينة القسطنطينية . وتعرف أيضا بالدولة « الاغريقية » لانطباع المسحة الاغريقية فيها قبل نقل العاصمة اليها بمدة طويلة



وأصلح ما أفسدته الفتن التي حدثت بينه وبين إخوته قبل خلوص الملك له . ولم يمض عليه ثمانية أعوام حتى استرجع للدولة كل ما كان لها قبل واقعة أنقرة . فكان ذلك من أمجد ما وعاه التاريخ للدولة العثمانية

ومات السلطان « محمد الأول » سنة ٨٢٤ هـ ( ١٤٢١ م ) في الثالثة والثلاثين مراد الثاني من عمره ، خلفه « مراد الثاني » ( ٨٢٤ - ٨٥٥ هـ : ١٤٢١ - ١٤٥١ م ) ، فعمل على مواصلة الفتوح التي وقفتها غارة تيمورلنك . وكان إمبراطور دولة الروم الشرقية قد مالا أحد المطالبين بالملك من أبناء مراد ، فقابل ذلك مراد بمحاصرة القسطنطينية ، وقد كاد يفتحها لولا أنه اضطر الى فض الحصار عنها لإخماد ثورة أثارها عليه في آسيا أحد إخوته

غارة هونياد



هونياد المجري

( عدو الترك العنيد )

ثم قامت بأوروبا نهضة جديدة لإخراج العثمانيين من هذه القارة . فخرج لذلك جيش جرار : جمعت كتائبه من ممالك أوربية عديدة ، يقوده « هونياد » القائد المجري العظيم ، الذي لم يرَ الترك قبل ذلك أحداً من المسيحيين في بأسه وبطشه . فاكنتسح الجيش كل شيء أمامه حتى اجتاز جبال البلقان ، فاضطر السلطان مراد الى عقد مهادنة مع المسيحيين لمدة عشر سنوات ، على أن ينزل عن الصرب ويعطى بلاد « الأفلاق » للمجر ( معاهدة إزجيدن سنة ٨٤٨ هـ :

١٤٤٤ م )

ثم رأى مراد أن يستريح من عناء الملك ، فنزل عن العرش لابنه « محمد الثاني »

أركان دولته في أوروبا ، وزاد عليها كثيراً من مدن الروملى ، التى كانت لم تزل بعد

في يد المسيحيين

حروب صليبية  
اخرى تثار على وسرعة تقدمهم في أوروبا ، وقامت ضجة دينية للحض على غزاتهم . فقام البابا يدعو الناس باسم الدين الى مقابلتهم ، وخرج لذلك جيش أوربى عظيم بقيادة « سيجسمند »  
العثمانيين

ملك المجر ، ضم بين كتابه كثيراً من فرسان فرنسا وألمانيا . وكان بايزيد إذ ذاك غائباً في آسيا ، فغاز الأوربيون في بادئ الأمر ، واستردوا من الترك كثيراً من المدن

ثم شرعوا في حصار مدينة « نيقوبوليس » ، وهى من أمنع المدن على نهر « الطونة »  
فلما علم بايزيد بذلك أسرع للقائهم ، فهزمهم هزيمة تعد من أنكر الهزائم التى دونها التاريخ ، بحيث لم ينبج من جيوشهم إلا النزر اليسير ، سنة ٧٩٩ هـ ( ١٣٩٦ م )

واقعة  
نيقوبوليس

وشرع بايزيد بعد واقعة نيقوبوليس هذه في غزو بلاد اليونان ، فأخضع منها « تساليا » و « أبيروس » ، وكان على وشك التأهب لفتح القسطنطينية ، التى طالما

تأقت نفسه ونفس الفاتحين من المسلمين لغزوها ، لولا أن داهمته غارة التتار على أملاكه  
الآسيوية بقيادة الجبار الشهير « تيمورلنك » . فخرج بايزيد لصدّه ، وتقابل الجيشان في « أنقرة » سنة ٨٠٥ هـ ( ١٤٠٢ م ) . فكانت الهزيمة على العثمانيين ، وأخذ

واقعة انقرة

بايزيد أسيراً ، فبقى في أسره حتى مات كدأ بعد ذلك بثمانية أشهر

وقد كادت هذه الهزيمة تكون قاضية على العثمانيين ، لولا أن هلك « تيمورلنك »  
وتشتت شمل دولته إثر وفاته . وكان لبازيد أربعة أولاد ، بقوا عشر سنين يقتتلون

من أجل العرش

ثم انتهى الأمر بتغلب أحدهم « محمد الأول » ( ٨١٦ - ٨٢٤ هـ : ١٤١٣ - ١٤٢١ م )

محمد الاول

فكان من خيرة سلاطين آل عثمان : لم شعث الدولة بعد أن مزقها « تيمورلنك »  
وكبح جماح الإمارات التى كانت أخذت تمرد على الدولة لِمَا رأتها من انهزامها الشنيع ،

ولما أتمَّ « أرخان » تنظيم الجيش وإصلاح الشؤون الداخلية عاد الى العمل على توسيع نطاق أملاكه ، فأغار على الشاطئ الأوربي ، واستولى فيه على مدينة « غليبولي » وغيرها من المدن شمالي مضيق الدردنيل ( ٧٥٨ هـ : ١٣٥٧ م ) ، فكان ذلك مبدأ الفتوح العثمانية في أوربا ، التي أخذت من وقتئذٍ تزداد وتعمق ويغزو بعضها بعضاً ولما تولى الملك « مراد الأول » ابن أرخان ( ٧٦١ - ٨٧٩ هـ : ١٣٥٩ - ١٣٨٩ م ) مراد الاول همَّ بمواصلة تلك الفتوح ، فأخضع معظم بلاد « الروملى » ( الروم ايلي ) واستولى فيها على « أدِرنة » ( التي أصبحت عاصمة جديدة الدولة ) و « فليبوليس » ( فليبة ) اخضاع الروملى وغيرهما من المدن العظيمة ، فضاقت بذلك نطاق أملاك الدولة الرومانية الشرقية وهال هذا الفوز الكبير أمراء أوربا . فعزموا على ردّ الترك الى بلادهم في آسيا ، فخرج لذلك الوجه ملوك « البوسنة » ( البشناق ) و « المجر » والصرب بجيش عظيم ساروا به الى « أدِرنة » . فهزّمهم الترك شر هزيمة سنة ٨٧٥ هـ ، ( ١٣٦٣ م ) . ثم قفوا على أثر ذلك باخضاع « بلغاريا » وضماها الى أملاكهم اخضاع بلغاريا سنة ٨٧٩ هـ ( ١٣٨٨ م ) فعاود الفرع إمارات أوربا الشرقية ، وتحالفوا على قهر مراد . فسار الى الصرب ليردهم ، فالتقى بهم في واقعة « قوصوة » الشهيرة سنة ٨٧٩ هـ ( ١٣٨٩ م ) ، فاصطلم جيوشهم اصطلاماً . لأنّه قُتل على إثر الواقعة : طعنه صربي ثار به من بين القتلى . وكانت نتيجة تلك الواقعة أن دخلت « الصرب » أيضاً في حوزة الدولة العثمانية

ولم تكن غزوات مراد قاصرة على أوربا ، بل كان سيل جيوشه يتدفق على آسيا فاستولى في أوائل حكمه على مدينة « أنقرة » ، وواصل بعد فتوحه فيها ، فاندرجت أربع من الإمارات العشر التي قامت على أنقاض دولة السلاجقة في سلك الأملاك العثمانية

ثم خلفه ابنه « بايزيد الأول » ( ٧٩٢ - ٨٠٥ هـ : ١٣٨٩ - ١٤٠٢ م ) ، بايزيد الاول فلم يقلّ عن أبيه مهارة وإقداماً . فأخضع باقي الإمارات التركية في آسيا ، ووطّد

إنشاء طائفة « الإنكشارية » ( العسكر الجديد ) ، التي كوّنتها وعنى بتدريسيها حتى صارت أهم فرقة في الجيش

الانكشارية

ومنشأ هذه الطائفة ان الدولة كانت تأخذ كل عام نحو ألف صبي من أبناء النصارى الذين قُتل آباؤهم في الحرب وتُلَقَّنُهُم الدين الإسلامى وُرُتَبَتُهُم تربية عسكرية منظمة ، منطبقة على أدق القواعد الحربية التي امتاز بها الترك في ذلك الزمان ، حتى صارت هذه الطائفة لا مثيل لها في القوة والإقدام والمرانة على الحرب . وكان يُفتح أمامهم طريق الرقي الى اكبر المناصب في الدولة ، فعُدَّ ذلك اكبر مشجع لهم على الطاعة وخوض غمار الحروب ، وبقي هذا النظام متبعاً نحو ثلاثة قرون . غير أنه تسوَّهَل فيه أُخْرَيَات هذه المدة ، فكانت الجنود الجدد تُجمع من الاسرات التركية ، ومن أبناء الانكشارية أنفسهم . ولما طال عليهم الأمد استأثروا بالسلطة ، وأسأوا واستعمالها ، وأصبحوا منبع الشغب والفلاقل في الدولة ، فعزى عليهم السلطان محمود الثاني أوائل القرن التاسع عشر سنة ١٨٢٦ م ( ١٢٤١ هـ )



بعض ضباط الانكشارية

( رسم على افندى يوسف )



جيشين يقتتلان : أحدهما من المغول ، والآخر من السلجوقيين . فانضمت الى الجيش الذى كاد ينهزم ، وهو السلجوقى ، فانتصر بها على المغول وطردهم من بلاده ، فرأى السلطان السلجوقى « علاء الدين » وجوب مكافأة « أرطغرل » على معونته له ، فأقطعته قطعة من الأرض قرب مدينة « بُروسة » على تخوم أملاك الدولة الرومانية الشرقية تسمى « إسكى شهر » ( سلطانوفى ) . فكانت مهد الدولة العثمانية ، وفيها وُلد « عثمان » بن « أرطغرل » الذى تُنسب الدولة اليه

وُلد عثمان سنة ٦٥٦ هـ ( ١٢٥٨ م ) فنشأ مولعاً بالحرب مُطغراً فيها ، فانتزع عثمان فى صباه من دولة الروم الشرقية مدينة « قره حصار » وغيرها . فنحاه سلطان « قونية » لقب « بك » ورقاه الى مرتبة الأمراء

وفى سنة ٦٩٩ هـ ( ١٣٠٠ م ) قضى المغول على البقية الباقية من الدولة السلجوقية ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يحكموا تلك البلاد بأنفسهم ، فاستقلت فيها عشرُ إمارات تركية ، إحداها إمارة « عثمان » الذى اعتُبر من ذلك الحين المؤسس للدولة العثمانية وأول حاكم مستقل فيها ، أما باقى الإمارات التركية فاندجحت فى هذه الإمارة على توالى الأيام ، وسموا أنفسهم عثمانيين أيضاً

وأخذ عثمان ينظّم أملاكه ويوسع نطاقها فى الجهة الغربية ، فاستولى على كثير من أملاك الدولة الرومانية الشرقية . وقبل وفاته فتح ابنه « أرخان » مدينة « بروسة » فتح بروسة بعد حصار طويل ، فصارت بعدُ حاضرةً للدولة

وفى سنة ٧٢٦ هـ ( ١٣٢٦ م ) خلف عثمان ابنه « أرخان » ( ٧٢٦ - ٧٦١ هـ : أرخان ١٣٢٦ - ١٣٥٩ م ) ، فواصل الحرب على الدولة الرومانية الشرقية ، فافتتح منها « نيقوميديّة » و « نيقية » ( أرنيق ) وكثيراً من البلاد الآسيوية التى كانت لم تزل فى حوزتها . ثم جنح « أرخان » الى السلم ، ففضى نحو عشرين عاماً بلا طعن ولا نزاع ، عُنِيَ فيها بثبيت دعائم ملكه فى البلاد التى فتحها ، وإصلاح الحكومة وتنظيم الجيش ، وقد كان لعمله الأخير اكبر أثر فى اتساع رقعة المملكة وتأييد مجدها ، وذلك بفضل تاريخ جز ٢ ( ٣ )

## الفصل الثاني

### نبذة في تاريخ الدولة العثمانية

#### ١ - منشأ العثمانيين ونهوضهم \*

العثمانيون جيل من الأجيال التركية المنشعبة من الجنس المغولي المعتبر من أعظم الأجناس البشرية عدداً. وأصل منشئه «بلاد مغولية»، ومنها انتشر غرباً وشمالاً وتشعبت منه في آسيا أمم وقبائل استقلت بنفسها وصار لبعضها ملك كبير: مثل أمة «الهون» المفتنحة شرقى أوربا يقودها زعيمها «أتيلأ»، ومثل دولة الأتراك السلاجقة<sup>(١)</sup> المستبدة بملك العباسيين، ومنهم الدولة المعروفة بسلطنة الروم السلجوقية، وقد سبق ذكرها في الكلام على الحروب الصليبية<sup>(٢)</sup>

وفي أوائل القرن السابع الهجرى (الثالث عشر المسيحى) قامت للمغول دولة وثنية قوية بقيادة زعيمهم العظيم «جنگيز خان» ثم حفيده «هولاكو»، فاكنتسحت ممالك آسيا الوسطى والغربية، وقوّضت عرش الخلافة العباسية، وأنت من فظائع التقتيل والتخريب ما لا ينساه التاريخ. وكانت القبائل التركية الإسلامية تفرّ من وجوههم مؤثرين الهجرة على الخضوع لجورهم. ومن هذه القبائل قبيلة صغيرة تدعى «الأنغوز»، خرجت من ديارها في أواسط آسيا وغرّبت حتى وصلت الى آسيا الصغرى التى بقى جزء منها وقتلذ في حوزة السلاجقة: تلك هى القبيلة التى نشأت منها الدولة العثمانية

ارطغرل وبينما تتجول هذه القبيلة فى آسيا الصغرى برأسها كبيرها «أرطغرل» إذ وجدت

(١) سموا السلاجقة نسبة الى «سلجوق» رئيس القبيلة التى نشثوا منها

(٢) كتاب تاريخ مصر الى الفتح العثمانى

مدة غيابه وإيابه ١٥ يوماً. ثم رجع وأقام بجزيرة الروضة وبني له بها بجانب المقياس في طرف الجزيرة الجنوبي جَوْسَق من الخشب أقام به بقية المدة إلا زمناً يسيراً أقامه بييت الأشرف قايتباي المطل على بركة الغيل

وفي أثناء إقامته بمصر سنَّ لها بعض أنظمة إدارية ، ونقل إلى القسطنطينية أكثر ما في القلعة ومنازل الأمراء والسلاطين والمساجد والزوايا والأربطة من النفائس والذخائر والكتب حتى أعمدة الرخام ومُرَكَّباته ونفي من مصر إلى القسطنطينية كل أبناء السلاطين وأكثر المقدمين والأمراء والخليفة العباسي بعد ما نزل له عن الخلافة وأكثر العلماء والقضاة وكل من له نفوذ وإمرة بمصر

ثم أمر بجمع رؤساء الصناعات المشهورين بإجادة العمل فيها من كل الطوائف ، فجمعوا منهم نحو ألف صانع ونقلوهم إلى الاستانة ليذيعوا الصناعات الدقيقة فيها ، فرجع بعضهم إلى مصر بعد عهده وبقي آخرون . قيل أنه بطل في مصر بذلك نحو ٥٠ صناعة فكان كل ذلك سبباً في تأخر مصر في الصناعات

أما ولاية مصر فاختر لها السلطان سليم أثناء إقامته أكبر وزرائه « يونس باشا » والياً عليها ، ثم رجع عن ذلك قبيل سفره من مصر وولى عليها ملك الأمراء « خير بك » وولى على الشام « جان بردى الغزالي »

وباستيلاء السلطان سليم على مصر صارت البلاد جزءاً من الدولة العثمانية ويجدر بنا قبل الكلام على حكم العثمانيين في مصر أن نذكر شيئاً عن منشئهم ونهوضهم ، وأنهم الحوادث في تاريخهم أيام حكمهم في مصر ، حتى نكون على علم بأهم الأحوال التي أحاطت بمصر في ذلك العهد

يُضنّع به ، فلما رأى الحبال مدلاة من حلقة الباب علم أنه مشنوق ، فتشهد وقرأ الفاتحة  
فسأل الناس أن يقرءوا له الفاتحة ، وشنق بين ضجيج الناس غليه بالبكاء . وبقى  
مصلوباً ثلاثة أيام ، ثم أنزل ودُفن خلف مدرسة الغورى (جامع الغورى) ، وكان له  
من العمر نحو ٤٤ سنة . ولم يشنق ممن حكم مصر من الخلفاء والسلاطين غيره

أما السلطان سليم في مصر فانه أقام بمصر نحو ثمانية أشهر . فكان معسكره أول الفتح  
بيولاقي والجزيرة الوسطى ؛ ثم أقام بالقلعة نحو شهر ثم بمدينة الجيزة وامبابة قريبا من شهر  
ثم أقام بجزيرة الروضة والمقياس مدة ثم توجه بجنده الى مدينة الاسكندرية ، فكانت



السلطان سليم - فاتح مصر

(رسم على افندى يوسف )



طومان باى نائباً عن سلطان العثمانيين فى مصر. فقبل ذلك السلطان سليم وأرسل اليه وفداً من قضاة مصر وأعيانها وبعض المقدمين . فلما وصلوا الى السلطان طومان باى بجهة البهنسا ثار المماليك بطومان باى، ولم يرضوا بالصلح وقتلوا بعض رجال الوفد، فلم يسع طومان باى الا بمحاربتهم مكرهاً. وتقدم الى بلاد الجيزة لينازل العثمانيين فى موقعة فاصلة، فاجتاز السلطان سليم الى النيل بجيشه . والتقى الجيشان بقرب « وردان » واقعة وردان يوم الخميس ١٠ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ ( ١٥١٧ م ) فدارت الدائرة أولاً على العثمانيين وقتل منهم مقتلة عظيمة . إلا أن نيران المدافع والبنديقيات العثمانية مزقت جيش المصريين المختلط ( الخالى يومئذٍ من اكثر المعدات الحربية ) كل مُعزِّق ، فكانت هذه الموقعة الخامسة هى ختام الوقائع الحربية التى دافع بها المماليكُ المصريون عن بلادهم ، ولم يبق لهم بعدها قائمة إلا ما كان من استبداد بعض سلاطنتهم بشأن مصر كما سيأتى

أما السلطان طومان باى فإنه لما فر من وجه السلطان سليم ذهب الى أحد رؤساء الأعراب بالبحيرة المدعو « حسن بن مرعى » وكان له عليه أيادٍ عظيمة ، فاخفى عنده واستحلفه أن لا يخونه ، ولكنه نقض الحلف وكاشف السلطان سليماً بأمره ، فأرسل اليه عسكرياً قبضوا عليه متكرراً فى زى الأعراب ، وجاءوا به الى السلطان سليم . فحين رآه قام له وعانبه ببعض الكلام ، وبقي معه فى معسكره عدة أيام يحضر مجلسه ويسأله السلطان سليم عن شؤون مصر وادارتها وسياسة أهلها وكيفية ريتها وجباية خراجها وبقية أمورها ، مما جعل طومان باى يطمئن اليه ويظن من إقباله عليه أنه سيكون نائباً عنه فى ملك مصر

غير أن ذلك كان استدراجاً من السلطان سليم ، إذ بعد ما وقف منه على كل قتل طومان باى ما أراد أمر فى يوم الاثنين ٢١ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ ( ١٥١٧ م ) بأن يعود بطومان باى الى القاهرة . فدخلوا به وهو بزي الأعراب من جهة شارع أمير الجيوش الى البروقية ، حتى اذا صار تحت باب زويلة أنزلوه عن فرسه . وكان لا يدري ماذا

ونزل السلطان سليم بمعسكره الخاص على ساحل بولاق والجزيرة الوسطى \* ولم يدخل المدينة . وبقى كذلك الى يوم الثلاثاء رابع المحرم سنة ٩٢٣ هـ . فلما كانت ليلة الأربعاء خامس الشهر لم يشعر السلطان سليم بعد صلاة العشاء إلا وقد هجم عليه في معسكره السلطان طومان باى بمن التف حوله من المماليك . فاختل نظام المعسكر واختلط الحابلُ بالنابل ، وساعد المماليك كثيرٌ من العامة والغوغاء ونوائب بولاق . فما بزغ الفجر حتى قُتل من العثمانيين خلق كثير . ثم جاءت فرقة أخرى مدداً للمماليك بقيادة الدوادار الأمير علان من جهة الناصرية ، وحَمَى وَطيسُ القتال بين الفريقين من بولاق الى الناصرية ، وملك المماليك اكثر المدينة بعد أن قتلوا الألوف في شوارعها وحاراتها من العثمانيين المتفرقين . ثم جمع العثمانيون شملهم وطردها المماليك من حى بولاق الى قناطر السباع ( السيدة زينب ) حتى تحصنوا ( المماليك ) بحى الصليبية وحفروا الخنادق حوله من جميع الجهات . وخطب يوم الجمعة للسلطان طومان باى على منبر جامع شيخون وغيره ، واستمر القتال كذلك أربعة أيام بلياليها من ليلة الأربعاء الى صبيحة يوم السبت ٨ المحرم . فحاصر العثمانيون حى الصليبية من كل جهاته ، واشتد الامر على المماليك فتخاذلوا وتسلاوا عن السلطان طومان باى . فبقى يقاتل في نفر من المتقدمين الأمراء وبعض العبيد ، حتى اذا لم يبق للدفاع فائدة فرّ الى بركة الحبش ( بين الساحل القبلى بمصر القديمة وبين معادى الخبيري ) وعبر من ساحل طرة الى ضفة النيل الغربية بالجزيرة . واستولى العثمانيون على المدينة مرة أخرى . وطلع السلطان سليم الى القلعة بعد ذلك بعشرة أيام ، واستحوذ على ما فيها من الأموال والذخائر . وبقى بالقلعة نحو شهر شاع في خلاله ان طومان باى سار في عسكر عظيم ممن تراجع اليه من المماليك والتف حوله من عرب الصعيد ، وانه قادم الى القاهرة

مجموعات  
طومان باى  
الاخيرة

القتال في شوارع  
القاهرة

وبعد أيام جاءت رسل من عند طومان باى الى السلطان يعرضون عليه الصلح بأن تكون مصر تحت سيادة العثمانيين في الخطبة والسكة والخراج ، وأن يكون

عرض الصلح

العثمانيين . ثم ذهب السلطان سليم الى دمشق ، فاستولى عليها ، ودانت له جميع مدن الشام بلا منازع . ومكث بها مدة ثلاثة أشهر يرتب نظامها ، ويحكم أمورها

أما بقية المهزمين من المصريين فرجعوا الى مصر في حالة يرثى لها ، ورجع معهم جان بردى الغزالي ، وكأنه قصد برجوعه الى مصر أن يفت في عضد المصريين ، ويكون عوناً وجاسوساً للعثمانيين ، وكانت أفعاله كلها في مضر ترمى الى ذلك ، لأنه خرج عقب دخوله مصر بجحالة الى الشام لينقذ غزاة من العثمانيين ، ففرق عساكره في البلاد ، ولم يلاق العثمانيين الاً بفئة قليلة لم تلبث ان انهزمت ، وكانت هزيمتهم

سبباً في فشل طومان باي ( الذي خلفه الغوري سلطاناً على مصر ) في تأليف جيش عظيم آخر يدافع عن القاهرة . فقد كابد في جمعه مشقات عظيمة ، وتحاذل المماليك واشتروطوا عليه شروطاً أشد مما اشتروطوا على الغوري وبقوا في خلاف : هل يحاربون العثمانيين على حدود جزيرة الطور وهم منهوكو القوى من قطع الصحراء أو في شمالي القاهرة . حتى دهمتهم جيوش العثمانيين وصارت على مقربة من القاهرة . فخرج طومان باي في جيش مختلط من جميع أجناس المحاربين ، وأسرع في حفر الخنادق ونصب المدافع في ظاهر الريدانية ( صحراء العباسية وعين شمس الى بركة الحجج ) . وكان يظن أن الجيش العثماني يقابله وجهاً لوجه فيها ، فكان غير ما ظن ، إذ لم يكد الجيشان يتلاقيان

يوم ٢٩ ذى الحجة سنة ٩٢٢ هـ حتى افترق الجيش العثماني لكثرتة الى ثلاث فرق : واقمة الريدانية فرقة كانت وجهتها المصريين بالريدانية ، وفرقة سارت تحت الجبل الأحمر والمقطم وأحاطت بهم من اليمين الى الخلف ، وفرقة سارت الى جهة بولاق وأحاطت بهم من الشمال . وصبر المماليك ساعة قُتل فيها عدد عظيم من العثمانيين وقوادهم منهم سينان باشا اكبر القواد والوزراء للسلطان سليم ، ولم يدم ذلك إلا ريثما تمت حركة الالتفاف ، وعندها وجهت المدافع والبنادق على المصريين من كل صوب ، ولم يكن لهم نظيرها ، فلم يسمعهم إلا الفرار . وصبر طومان وجماسته صبر الأبطال ، ولكنهم اضطروا أخيراً الى الفرار الى الجيزة . وسار العثمانيون الى القاهرة فدخلوها فرقا ،

عودة الجيش الى مصر

طومان باي يحاول المقاومة

دخول العثمانيين القاهرة

واقعة  
مرج دابق

( وهو اليوم الذى سقطت فيه الدولة المصرية من عالم الدول المستقلة العظيمة ) دهمه  
العثمانيون بجيش يربو على الجيش المصرى بأضعاف ، فعبأ الغورى كتابه . وكان من  
غلطاته الكبرى فى خَرَجَتِه هذه أنه آثر مماليكه الخواص ( الذين اشتراهم بماله )  
بكل كرامة ورعاية وإنعام ، وقصّر فى استجلاب مودة المالك القدماء من عتقى  
السلطين والأمراء ، حتى شاع بينهم أن السلطان يريد أن يجعلهم أمام مماليكه  
الخواص ليكونوا دَرِيئَةً لهم من مدافع العثمانيين التى تفوق مدافع المصريين عظماً  
وسرعة قَذْفٍ وبعْدَ مرمى . ففسدت نيات بعضهم ، وانضمَّ ذلك الى خيانة  
« خير بك » و « جان بردى الغزالى »

فلما التقى الجمعان حملت الميمنة والقلب حملة أزالوا بها العثمانيين من مواقعهم ، وقتلوا  
منهم بضعة آلاف ، واستولوا على كثير من أعلامهم ومدافعهم ، وكادت الغلبة تكون  
للمصريين . وهمَّ السلطان سليم بالهرب ، لولا أن خير بك انهزم بكيتته ( وكان على  
الميسرة ) ، وتبعه جان بردى الغزالى ، فاختل نظام الجيش المصرى . واتفق أن  
وصل للعثمانيين فى ذلك الوقت مدد من المدفعية ، وظهر كمين لهم أحاط بالجيش  
المصرى . ورأى المالك القدماء من المصريين أن المالك الخواص لا يقاتلون ،  
ففترت همهمهم وَوَهَّت عزائمهم ، وتخاذلوا ، ولم يصبروا على نيران المدافع العثمانية ،  
فركنوا الى الفرار ، وبقيَ السلطان الغورى فى جماعة قليلة يناديهم ليعودوا فلم يلتفتوا  
اليه ، فقلج لساعته ، وسقط عن جواده . ولما شاع موته فى العسكر تفرقوا ، واستولى  
العثمانيون على معسكرهم ، وغنموا منه ما لا يحصى ، ولم يوقف للغورى على أثر ، واستمرت  
الواقعة من طلوع الشمس الى ما بعد الظهر . ولما رجع المنهزمون الى حلب انقلب عليهم  
أهلها ، واستولوا على ودائعهم عندهم ، وقتلوا بهم ، فلاقوا منهم شرّاً مما لاقوا من  
العثمانيين . وانتظر أهل حلب قدوم السلطان سليم فسلموه المدينة ، واستولى على قلعتها  
بدون قتال ، وغنم منها ألوف الألوف من الأموال والذخائر . وخطب باسمه فى مسجدها ،  
وانضم اليه خير بك وغيره من الممالك الخونة ، وحلقوا لحاهم أو قصروها ، وتزيوا بى بز

موت الغورى



وخرج السلطان سليم من القسطنطينية بجيش عظيم مُدْرَبٍ على الحرب ذكر بعضهم أنه يبلغ ١٥٠ ألف مقاتل مسلّحين بكثير من المكاحل والمدافع والبُنْدُقيات . فلما صار على حدود الشام أراد أن يَكِيدَ للمصريين بمكيدتين ، نجح في أحدهما وأخفق في الأخرى :

ففي الأولى تمكن من أن يستميل إليه « خير بك » نائب حلب من قِبَلِ مصر و « جان بردي الغزالي » نائب حماة ، ووعد الأول بولاية مصر والآخر بولاية الشام . ومع أن نائب الشام وغيره أخبروا السلطان الغوري بخيانة خير بك لم يعبأ بكلامهم لما يرى من شدة تواضعه وإخلاصه

وفي الثانية أراد أن يخدع الغوري بصرفه عن القتال وأخذَه على غِرة ، فأرسل إليه أولاً أثناء برُوزه من القاهرة بتوسط الخائن نائب حلب رسالةً يعتذر فيها عما فرط منه في شأن البلاد التابعة لمصر ويعِدُه بأن يُعيدَها إليه ويفتح طريق تجارة الرقيق والصوف والفراء ، وبالجملة يفعل كل ما يطلبه الغوري . وكاد الغوري وأمرأه عسكره يُخدعون بذلك لولامرعاتهم جانب الحيلة بالخروج الى الشام . وأرسل اليه ثانية وهو بحلب رسلاً عليهم أحد قواده وقاضى « عسكر الروم ايلي » يصرفون الغوري عن قصده ، ويؤكدون إخلاص سلطانهم له وشدة رغبته في المهادنة والصلح بشرط أن لا يتدخل الغوري بينه وبين الشاه اسماعيل الذي لم يقصد سليم بخروجه غيره والذي أفتى علماء القسطنطينية بجواز حربه وقتله لرقضه وخروجه عن شعائر أهل الملة . فأكرمهم الغوري وسيرهم معرّزين الى معسكر سليم ، وأرسل اليه رسله صحبة أمير كبير من المصريين يعرض عليه توسّطه في الصلح بينه وبين الشاه . فغضب سليم وهمّ بقتل الرسول ، فشفع فيه فأطلقه مُهاناً مُشعّماً وقال له : قل لأستاذك ان اسماعيل الصفوي خارجي وأنت مثله ، وسأبدأ بك قبله ، وموعدنا « مَرَجُ دابق » (على بعد يوم شمالي حلب) . فخرج الغوري في نحو ثلاثين ألف مقاتل ، وخلف أمواله وذخائره في قلعة حلب الحصينة في حامية لها . فلما كان صبيحة يوم الأحد ٢٥ رجب سنة ٩٢٢هـ (١٥١٦م)

الى مماليكه الخاصة الذين جلبهم لنفسه واتخذهم عُدَّةً له يتقوى بهم على المالك القدماء اذا هموا به. وبعد تساهلٍ من الطرفين أمكن الغورى اثناء شتاء سنة ١٥١٥-١٥١٦م (٥٩٢٢) إعدادُ جيش يخرج به الى حدود آسيا الصغرى، فجمع فى هذا الجيش على قلته اكثر من فى مصر من رجال القوة الحربية والأدوية: فخرج فيه الخليفة العباسى، وقضاة المذاهب الأربعة، ورؤساء مشايخ الطرق الصوفية وكبار العلماء والأعيان، ورؤساء المغنين والموسيقين والمضحكين وارباب الصناعات وغيرهم. وترك بمصر حامية من الممالك تقدر بنحو ألفين، وأتاب عنه الدَّوَادَارَ الكبير « طومان باى » ابن أخيه. وبلغه أن الأسطول العثمانى يقصِدُ الاسكندرية، فغرز حاميها، وحصَّن قلاعها بنحو مائتى مدفع. وخرج من القاهرة بموكب عظيم تتقدمه الطبول والزُّمُور وتُدقُّ أمامه الكؤوس. خرج بهذا الجيش فى شِدَّةِ حَمَارَةِ الصيف على غير عادة الملوك فى خروجهم،

خروج الجيش  
المصرى الى  
الشام



السلطان الغورى فى حاشيته - [ وهو الجالس عن يمين المدخل ]

( رسم على افندى يوسف - عن صورة بدار الانار العربية )

فقامى الجنودُ الأهوالَ والشدائدَ فى اجتياز صحراء طور سيناء وأودية فلسطين، ودخل كلَّ مدينة فى الشام بموكب عظيم وخاصة مدينة دِمَشْقَ وحلب وحمّة

مراد أخى قاسم، وكان السلطان سليم أراد قتلها، فطلبها منها فلم يجيبها. فكان ذلك ( إلى خوفه من استفحال دولة الفرس الجديدة أو تحول المودة القليلة بين مصر و فارس إلى حلفٍ سياسى وتناصُرٍ حربى ) سبباً لإعلان سليم الحرب على الفرس أولاً ثم على مصر ثانياً

ولما زحف السلطان سليم على بلاد الشاه اسماعيل وهزّمه هزيمة منكرة أراد أن يكتسح جميع بلادها ويقضى على البقية من دولته. فوجد الشاه أتلّف كلّ ما خلفه فى مدنه وقلاع من المؤونة والذخائر، وانتظر سليم ورود غيرها من بلاده، فعلم أن قبائل التركان وامارة الغادرية التابعة لمصر قد أغارت على قوافله ومنعت وصولها إليه، فقلّت الأوقات فى معسكره واضطرب الجيش، فخرمه ذلك ثمرة انتصاره

هذه كل المساعدة التى قامت بها مصر للشاه، مع أنها لو سيّرت جيشاً يقطع خط الرجعة على العثمانيين لكان التاريخ على غير ما هو عليه. فاضطرّ سليم إلى الرجوع إلى بلاده منتقماً فى طريقه من امارة الغادرية، فقتل أميرها علاء الدين وضمّ بلاده إلى ملكه، وولى غيره من أبناء أسرته الغادرية. واحتجّ الغورى على ذلك، فقابل سليم احتجاجه بإرسال رأس علاء الدين إليه. وحينئذ علم الغورى أن الحرب واقعة لا محالة، فاستعد للملاقاته بتجهيز جيش عزم على أن يقوده بنفسه، ولكن بعد فوات الفرصة: فإن الشاه اسماعيل لم يعد فى القوة التى كانت له قبل: فقد هلك أبطاله، وتشتت شمل رجاله، وخربت بلاده، فأمن السلطان سليم غائلته وتفرغ لحرب مصر. ومع كل هذا كان من الممكن انتفاع الغورى بما بقى للشاه من القوة، ولكنه لم يفعل أو لم يقنع الشاه بضرورة ذلك

أراد الغورى أن يستجمع كل ما عنده من قوة العدَد والعدّة. وكانت موارد الثروة قد انضبت بمصر، لقطع البرتقال طريق التجارة الهندية عليها، فلم يكدرهم يجمع المالك حتى تخاذلوا وتعللوا عليه بقلّة النفقة المصروفة لهم وما هم فيه من العُسْر. وكان الفساد قد دب فى أخلاقهم، وقلّت وطنيتهم، وجرت بهم على ذلك ميل الغورى

استعداد  
الغورى  
للقاتل

والى ما بلغ بايزيد من أن قايتباي أخذ من رسول ملك الهند هدايا كان أرسلها الى السلطان بايزيد . فاتخذ بايزيد من كل ذلك ذريعة الى اعلان الحرب على الدولة المصرية ، فجهز جيشاً عظيماً توغل في البلاد الشامية الى قرب حلب حيث التقى به جيش للمصريين ، فكانت الهزيمة على العثمانيين . فأتبعه بجيش آخر كانت صلح غير دائم عاقبته كسابقه . وزحف الجيش المصرى على البلاد العثمانية فالتقى بجيش جرار عثماني ، فكانت الحرب بينهما سجالاً مدة انتهت بالصلح والمصافاة ، إلا أنها صارت سبباً لتجسيم التنافس والتزاحم بين الدولتين على الاستئثار بالعظمة وبسط النفوذ والزعامة على الممالك الاسلامية

من أجل ذلك لم يدم هذا الصلح طويلاً ، إذ أخذ العثمانيون من جهة يحرضون القبائل والامارات التابعة لمصر على التخلص من سيادتها ، ويضعون العراقيل في سبيل تجارتها مع غربى آسيا وأواسطها ، مما جعل ورود الصوف ومنسوجاته وأنواع الفراء الفاخرة والماليك الجراكسة الى البلاد المصرية نادراً جداً بل ممتنعاً في أواخر أيام الغورى . وكان أشدها على المصريين امتناع ورود الرقيق من الممالك ، إذ هم أداة الجيش ورجال الحكومة . ومن جهة أخرى أخذ سلاطين مصر يُجبرون كل من التجأ اليهم من أبناء السلاطين العثمانيين والأمراء الفارسيين من وجه الدولة العثمانية ، ثم استرسلوا في الأمر وهبوا يوادون من عادى العثمانيين من سلاطين الدول المجاورة لهم ، مثل « أوزون حسن » سلطان العراق ثم بعده الشاه اسماعيل الصفوي ( المؤسس الثاني لدولة ايران الحالية ) وغيرهما . ولم تزد هذه المؤادة على أكثر من تبادل المراسلات ، مع أن الشاه حاول جعلها مخالفة دافع وهجوم فلم يفلح لبعد ما بين الأمتين في المذهب ، وذلك من اغلاط الغورى . واستطار شرر هذه الإحن والأحقاد بسماح الغورى بأن يمر بطريق الشام الوفد الذى أرسله الشاه اسماعيل الى مملكة البندقية ليعرض عليها أن يتحداً معاً على محاربة العثمانيين ، وبإجارة السلطان الغورى للأمير قاسم ابن أخى السلطان سليم الأول العثماني ، وإجارة الشاه اسماعيل للأمير

اسباب جديدة  
للعداوة

حققت سليم على  
فارس ومصر



# الباب الأول

## عهد الدولة العثمانية

### الفصل الأول

#### الفتح العثماني لمصر

كانت الدولة العثمانية منذ استتبَّ سلطانها بآسيا الصغرى على تصادق ومصافاة العلاقات القديمة بين مصر وتركيا لدولة المماليك الجراكسة المصرية ، تدور بين سلاطينها رسائلُ الوداد وعقودُ المهادنة. وابتدأ ذلك من عصر السلطان الظاهر برقوق المصري ومُعاصره السلطان يلدريم « بايزيد » العثماني

وبقيت هذه الحالُ مرَّعةً الى زمن السلطان « بايزيد الثاني » ابن محمد الفاتح الحرب بين بايزيد الثاني وقايتباي إذ نازعه أخوه الأمير « جَم » في الملك ، فقاتله بايزيد وهزم جيوشه ، وفرَّ جم الى الأشرف قايتباي سلطان مصر ملتجئاً فأجاره ، وطلب بايزيد تسليمه اليه فلم يجبه قايتباي ، فحفد عليه . وانضم ذلك الى النزاع القائم بينهما على إمارة أبناء ذى القادر\* ( التي كانت في حماية مصر ثم تدخلت الدولة العثمانية في شؤونها وادعت حمايتها ) ؛

---

\* وهي احدى الدول التركمانية التي أسست على انقاض دول التتار ورأسها قراجا بن ذى القادر وقد استولت على أكثر أرمينية وكردستان وديار بكر وخضعت أخيراً للمصريين فكان لا يتولى أمير منها الا باذن صاحب مصر  
نم ان أحد أمراءها التجأ الى العثمانيين مستنصرًا فنصروه وولوه الامارة افتياتا على المصريين ، بل أمدوه بما انتصر به على ولاية مصر فكان ذلك سبباً للنزاع بين الدولتين المصرية والعثمانية

في مصر تأليف الحاج براون ، الانقلاب المصري تأليف ييتن ، تاريخ الجبرتى ،  
البحر الزاخر لمحمود باشا فهمى ، صفحة من تاريخ محمد على تأليف مري ، محمد على  
ومصر تأليف سنت چون ، خطط على باشا مبارك ، بعض كتابات السن فليب ،  
« الحديوية » تأليف دينسى ، « مصر » تأليف البارون دى ملرتى ، مصر والحديوى  
تأليف إدون ديليون ، تكوين التاريخ الأوربى تأليف هُندروز ، دليل دار الآثار  
المصرية ، مصر الحديثة للأورد كرومر ، الاقتصاد السياسى للطلبة المصريين تأليف  
الاستاذ طُد ، تاريخ القناطر الخيرية تأليف الميجر براون ، تكوين مصر الحديثة  
للسير أوكلند كُلفن ، إنجلترا في مصر تأليف ملنر ، تقارير معتمدى بريطانيا العظمى  
في مصر .

هذا وان عظيم الشكران وجزيل الثناء لمن كان لهم آثار مساعدة في تجميل رونق  
هذا الكتاب بالصور البديعة ، وأجدرهم بالذكر حضرة البارع الدقيق على اخندى يوسف  
الموظف بتنظيم القاهرة

وحرر بالقاهرة في ٨ ذى القعدة سنة ١٣٣٤ الموافق ٦ سبتمبر سنة ١٩١٦

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى يَقْصُّ الحق من أنباء ما قد سبق ، والصلاة والسلام على محمد أفضل من صدق فيما نطق ، وعلى آله ضياء الفسق ، ونظام النسق . وبعد فهذا الكتاب يُعتَبَر كجزء ثانٍ لأول - هو « تاريخ مصر الى الفتح العثمانى » - غير أن السابق ، لتطاول عصوره وتعدد أجياله ، كان مجمل العبارة ، لطيف الإشارة ، وهذا اللاحق ، لتقارب العهد بحوادثه ، وتعاضل العبرة بوقائعه ، صار مسهب القول فى جملة أغراضه عامة ، وفى حوادث مصر الهامة خاصة

وهو باتباعه هذه الخطة يطابق منهاج دراسة التاريخ لتلاميذ السنة الثانية من المدارس الثانوية المصرية ، مُلَمَّاً بوقائع يحتمها المقام ويوجب سردها منهاج اجمالاً وإن لم يُصَرِّح بها تفصيلاً ، كما أنه بمزايده المعبودة النظير فى صِوْهِه يُفسح الرجاء لأن يقبل عليه غير التلاميذ من القراء

وقد استقى هذا الكتاب من أوثق كتب التاريخ المعتبرة ، عربية وفرنجية أهمها :

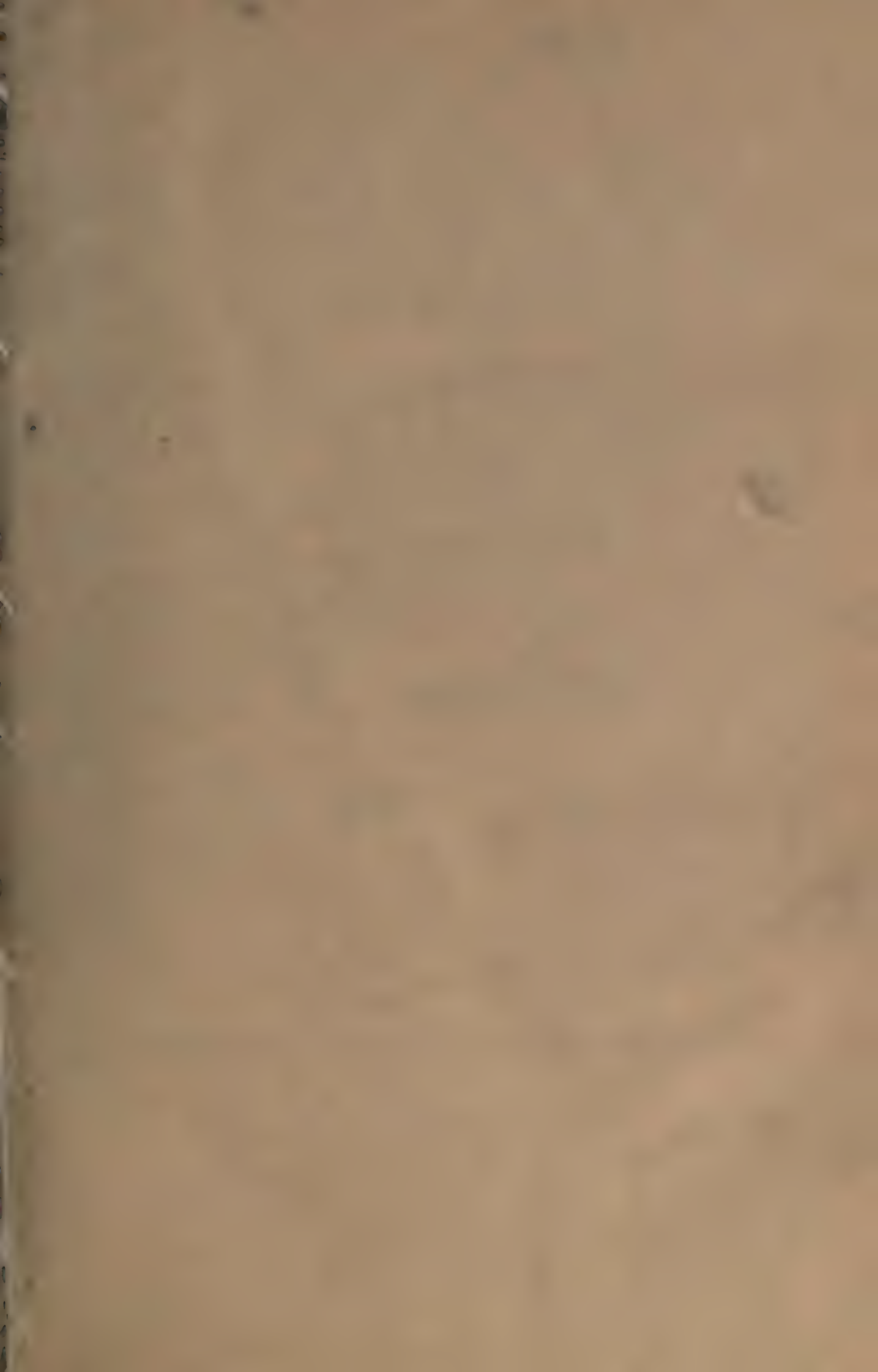
تاريخ ابن اياس ، تاريخ القرماني ، تاريخ الاسحاقى ، دولة المماليك للاستاذ السير وليم ميور ، تاريخ تركيا للأستاذ استانلى لينبول ، تاريخ أوروبا (مجموعة - رِفْتِجْتُون) ، الترك العثمانيون تأليف كريسى ، اضمحلال الدولة الإغريقية واستيلاء الترك على القسطنطينية تأليف إدوين بيرز ، دائرة المعارف البريطانية ، القاهرة وبيت المقدس ودمشق للأستاذ رَجُولِيُوث ، دليل دار الآثار العربية ، تحفة الناظرين للشيخ الشرفاوى حقائق الأخبار عن دول البحار لصاحب السعادة اسماعيل باشا سِرْهَنْك ، قصة القاهرة للأستاذ استانلى لينبول ، مصر فى القرن التاسع عشر تأليف كِمْرُون ، نابا







محمد علي باشا  
رأس الاسرة المحمدية العلوية  
عن صورة بدار الكتب السلطانية



### ﴿ الاصلاحات المالية ﴾

قبض حزب الاتحاد والترقي على ادارة الحكومة العثمانية والخزانة خاوية على عروشها فبدأ في اصلاحها وتمكن من وضع ميزانية مالية الحكومة العثمانية فكانت عبارة عن خمسة وعشرين مليوناً واربعة وثلاثين مليوناً مصروفات. وكانت قد تراكت الديون من جهة ولم تحصل الضرائب منذ سنين من جهة اخرى. فلما وضعت الميزانية المذكورة لم يكن احد يعتقد امكان تحصيل ٢٥ مليوناً من بلاد الدولة ولكن كان المتحصل عقب اعلان الدستور لأول مرة ٢٦ مليوناً ونصفاً سنة ١٩١٠

وفي سنة ١٩١١ باغ المتحصل ثلاثين مليوناً. ولقد زادت واردات جميع مصالح الحكومة وبالجمله فان المواد الاساسية لايرادات الحكومة نمت وازدادت الى درجة كبيرة. وكانت ايرادات الكمارك سنة ١٩١٠ ثلاثة ملايين ونصفاً فوصلت الى خمسة ملايين سنة ١٩١١ وكانت واردات العشور سنة ١٩١٠ ستة ملايين فاصبحت سبعة ملايين ونصفاً.

### ﴿ الاصلاحات الحربية ﴾

لوم يهتم حزب الاتحاد بتنظيم الجيوش العثمانية الى تلك الدرجة التي أصبح يفوق فيها أعظم جيوش دول أوروبا نظاماً وتدريباً لتفاجأ الأعداء الدولة العثمانية من كل ناحية. ولوم يقف الجيش العثماني على حدود الروم ابلى صادا الا عداء عن التقدم لقام الأعداء وسخروا من الدولة العلية.

\*  
\* \*

وبالجمله فان حزب الاتحاد قد عرف أدواء الامة وعلاجها فنجح في تقليل الهجرة وعدد المهاجرين في الروم التي وقلل من العشور في الاناضول وقصارى القول ان الحزب قد نجح في مداواة هذه الامراض نجاحاً باهراً.

ولقد وزع حزب الاتحاد المبالغ الجسيمة على سكان الجزيرة والموصل والاناضول لاهياء اراضيهم وتعميم الزراعة بينهم بعد الموات. فلا عجب اذا ابتهج المسلمون في شرق الارض وغربها بارتقاء جلالته مولانا السلطان الاعظم محمد الخامس عرش الخلافة العثمانية.

نسأل الله أن يمد في عمر جلالته ويزيده توفيقاً ويجعل عهده الحبوب عهد اسعاد للدولة والملة آمين

ولم يمس على توليته الخلافة الا قليل حتى ألف بين قلوب الامة في ظل الدستور فكان لعناصر هذه الامة ابا رحيا وراعيا حكما . ولقد رأى العثمانيون جميعا من حكم تديره وسياسته ماملا قلوبهم ثقة وتعلقا به وحبا واقداراً له فكان عهده فاتحة لرقى الممالك العثمانية واصلاحها .

ومنذ ارتقاء جلالتهم على العرش تسلم حزب الاتحاد والترقى ادارة الحكومة العثمانية وانا لنذكر الاصلاحات التي تمت منذ الثلاث السنين الماضية والاتحاديون يديرون الحكومة العثمانية :

### ﴿ الاصلاحات الداخلية ﴾

تسلم حزب الاتحاد والترقى ادارة الحكومة واعداؤه من رجال العهد الماضي يعدون بالثبات أولئك المنافقون الذين ارتكبوا من الاعمال المضرة في العهد البائد ما تشعرونه الابدان . وكانت الحكومة في اختلال تام والامة قد فقدت أسباب الامن والموظفون لا يتقاضون مرتباتهم والديون الخارجية لا تدفع اقساطها في أوقاتها واشتعلت في الولايات نيران الفتن والمشاعات

تلك هي حال الحكومة عند ما تسلمها حزب الاتحاد والترقى . اما حال العناصر العثمانية المختلفة فكان على اسوأ ما يكون وكل عنصر كان يتأهب للفتك باخيه . وكان بين المبعوثين لأول مرة من لم يفهم معنى الحرية ولا يعرف واجباته نحو الامة ولا الفائدة من الاجتماع بمجلس المبعوثين .

تسلم حزب الاتحاد والترقى الحكومة في ذلك الوقت وبدأ في اعماله واصلاحاته مهمة لا تعرف السكل ولا الملل .

كان أول ما ابتدأ في تنفيذه من الوسائل النافعة تعميم المساواة بين أفراد الامة بوضعهم جميعا في مستوى واحد امام قانون واحد .

ومن المعلوم ان هناك بعض بقاع في الدولة العلية لا يمكن الانسان فيها أن يخرج من منزله الا بعد أن يرعى الظلام سدوله وهناك بلاد لا يستطيع الانسان أن يسير فيها نهاراً الا وهو مدجج بالسلاح . وغيرها حيث لا يمكن الانسان أن يتجول الا اذا اصطحب معه أربعين أو خمسين رفيقا . كما كان هناك بلاد محارب أهلها بعضهم بعضا . فبدأ حزب الاتحاد والترقى يسعى سعياً متواصلاً لازالة تلك العوائق وتذليل هذه المصاعب باخضاع الجميع لسطوة القانون حيث تتوطد بذلك أركان الجامعة العثمانية .

ولقد وفقت الحكومة لجمع الاسلحة من الاشقياء الذين يلجأون الى الجبال في الروم ايلي . فانار أولئك من أجل ذلك ثورات شديدة قاومتها الحكومة وأخذتها فعاتت السكينة في انحاء الدولة العلية وعم الامن وانتشرت الطمأنينة



اجتمع المجلس العمومى اجتماعا سرى وخلع عبد الحميد بموجب فتوى من شيخ الاسلام هذا نصها .

« اذا اعتاد زيد الذى هو أمام المسلمين ان يرفع من الكتب الشرعية بعض المسائل »  
 « المهمة الشرعية وان يمنع بعض هذه الكتب ويمزق بعضها ويحرق بعضها وأن »  
 « يبذر ويسرف فى بيت المال ويتصرف فيه بغير مسوغ شرعى وان يقتل الرعية »  
 « ويحبسهم وينهبهم ويعذبهم بغير سبب شرعى وسائر انواع المظالم ثم ادعى انه تاب »  
 « وعاهد الله وحلف انه يصلح حاله ثم حنث وحدث فتنة عظيمة جعلت أمور المسلمين »  
 « كلها مختلة وأصر على المقاتلة وتمكن منعة المسلمين من ازالة تغلب زيد المذكور »  
 « ووردت أخبار متوالية من جوانب بلاد المسلمين انهم يعتبرونه مخلوعا وأصبح بقاؤه »  
 « محقق الضرر وزواله محتمل الصلاح . فهل يجب أحد الامرين خلعه أو تكليفه »  
 « بالتنازل عن الامامة والسلطنة على حسب ما يختاره أهل الحل والعقد وأولى الامر »  
 « من هذين الوجهين » ؟

الجواب : يجب

كتبه الفقير

السيد محمد ضياء الدين

عفى عنه

فلما قرئت هذه الفتوى الجليلة على الاعيان والمبعوثين سألهم سعيد باشا رئيس الاعيان الذى كان رأس الجلسة اختارون خلعه أم تكليفه بالتنازل فأجابوا بصوت واحد : الخلع الخلع

وهذه ترجمة قرار هذا المجلس العمومى ( المؤلف من الاعيان والمبعوثين ) :

« يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ ١٤ نيسان سنة ١٣٢٥ ) ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٩ ) م الساعة السادسة ونصف ( ١ بعد الظهر ) قرئت الفتوى الشرعية الموقع عليها بتوقيع شيخ الاسلام محمد ضياء الدين افندى فى المجلس العمومى المؤلف من المبعوثين والاعيان ورجح بالاتفاق وجه الخلع الذى هو أحد الوجهين الخير بينهما فاسقط السلطان عبد الحميد خان من الخلافة الاسلامية والسلطنة العثمانية واصعد الى العهد محمد رشاد افندى باسم السلطان محمد خان الخامس الى مقام الخلافة والسلطنة »  
 خلع عبد الحميد عام سنة ١٩٠٩ فبويج بالخلافة الاسلامية الخليفة الشورى العادل أمير المؤمنين محمد رشاد الخامس .

فلما ولى الخلافة اعاد اليها عهد عمر بن عبد العزيز اذ سار فى المؤمنين سيرته فكان من كل قلب قاب قوسين أو أدنى . وعمل على خدمة الامة فاعزته واخذ بيدها فاحبته وأجلها فأجلته وكانت الكلمة التى امتاز بها عهده السعيد تلك التى قالها على مسمع من وزرائه « اننا جميعا خدام الشعب »



### ٣٥ « خليفة المسلمين وسلاطنه العثمانيين محمد رشاد شاه الخاص »

ولد جلالتة سنة ١٨٤٤ م وقد قضى أغلب عمره في قصر زنجيرلى كوى محوطا بالجواسيس الذين يرصدون حركاته ويقدمون التقارير المشوهة عنه. فظل كذلك الى حين حدوث الانقلاب العثماني وتخلص مع الشعب العثماني من الاستبداد والمراقبة اذ دالت دولة الجواسيس ونزل عرش الاستبداد

الا ان عبد الحميد الذى طبع على الاستبداد لم يرقه ان يرى أمته متمتعة بالحرية راقية اوج الكفالات منظمة أمورها بنفسها مقيمة العدل. فسولت له نفسه احداث تلك الفتنة الارتجاعية لتقويض صروح الادارة الدستورية . ولولا ان أدرك الاستانة في ذلك الوقت بطل الحرية وقائد جيش الفدائيين محمود شوكت باشا وبطلا الحرية نيازى بك وأنور بك اثم له ما اراده ولذهبت أتعاب حزب الاتحاد والترقى الذى جاهد في سبيل الحرية ثلاثين عاما ادواج الرياح .

- (٢) عزل الصدر الاعظم وناظرى الحرية والبحرية  
 (٣) طرد احمد رضا بك وحسين جاهد بك وجاويد بك ورحى بك وطلعت بك  
 واسماعيل حقي بك الخ من المجلس .  
 (٤) عزل محمود مختار باشا لانه لم يشترك معهم  
 (٥) العفو عنهم .

فعقد مجلس المبعوثين اجتماعا فوق العادة ومع ان عدد الاعضاء يتجاوز الخمسين فانهم  
 قرروا اجابة مطالب الثوار واتخبوا وفداً منهم ليبلغ السلطان قرارهم . فتعين اذ ذلك توفيق  
 باشا صدراً اعظم وأدهم باشا ناظراً للحرية . وقرر العفو عن الجنود فبدأ أولئك  
 يطالبون البنادق احتيالا وكان يبلغ عدد أولئك ثلاثين ألفاً .  
 واجتمع المجلس مرة أخرى بعدها فقرر قبول استقالة الرئيس احمد رضا بك .  
 وانقلبت لهجة الجرائد انقلابا اجباريا فباتت تتكلم عن السلطان عبد الحميد كما  
 كانت تتكلم عنه ايام الاستبداد .  
 وكانت الحالة كذلك فى الاستانة فوردت الانباء بمجيء الجنود من الروم ايلي لحماية  
 الدستور ومجلس المبعوثين .

ثم حاصر جيش الحرية الاستانة . فاوفد المبعوثون وفدا لمقابلته .  
 ودخل الجيش تحت قيادة محمود شوكت باشا الاستانة وحاصر يديز وحدثت هناك  
 موقعة كبيرة انتهت بتسليم حامية يديز .

ولكن السلطان عبد الحميد استمر على المقاومة فقرر جيش الحرية ان يحمل الحملة  
 الاخيرة . فاطلقت القنابل على حامية الباب العالى والنادى العسكرى واستولت عليهما  
 ثم قبضت على الكثيرين من انصار الحكم القديم الذين اثاروا الفتن ومن بينهم مراد  
 بك الداغستانى واعدم الجواسيس رميا بالرصاص ويقدر عدد القتلى : ١٢٠٠ قتيل  
 وحاصرت الجنود الدستورية بعدها قشلاقات أسكودار . فاستولت عليها . ولم يبق اذ ذلك  
 أى خطر على القانون الاساسى فعاد اعضاء البرلمان الى الاستانة واجتمعت الجمعية العمومية  
 لتتداول فى أمر السلطان عبد الحميد .

وكانت النتيجة عزل السلطان عبد الحميد وتولية السلطان رشاد مكانه  
 وتم يوم ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٩ تنصيب السلطان رشاد باسم السلطان محمد الخامس .  
 وبالجملة فان انصار الاستبداد اثاروا فتنهم الاخيرة فوقع الدستور فى أزمة شديدة وتشتت  
 شمل عشاقه وحماته وترقب الملا ان يعيد السلطان عبد الحميد مافعله مع الدستور الاول .  
 ولكن كانت الروح الدستورية قد قويت فى قلوب العثمانيين وارتكزت على قوة الجند  
 فاحتمل انصار الدستور تلك الضربة بالصبر والثبات وتجدد النزاع الطيعى بين الاستبداد  
 والحرية وانتهى بخلع السلطان عبد الحميد .

الشاعر العظيم نامق كمال بك الذي أدركه الموت في سجن ماغوسه .  
ألف نيازى بك أول عصاة فى سنة وسار على أثره أنور بك ورائف بك وحسن بك  
وصلاح الدين بك

أما إدارة الحركة فكانت فى سلانيك والجمعية العمومية للاتحاد والترقى فى باريس  
وكان الجميع يجهدون لنشر الأفكار الحرة والمبادئ الدستورية  
ومما ساعدهم على نشر أفكارهم أنه لم يكن بينهم خائن قنوت حركتهم واتسعت حتى  
أصبح لا يمكن بمقاومتها تحت طى الخفاء .

وكانت لجنة الاتحاد والترقى وقفت مقدما على القوى التى يمكنها ان ترتكن عليها  
فوجدتها كافية وهذه القوى مؤلفة من الفيلق الثانى والثالث المعسكرين فى مناستر  
واسكوب وادرنه وازمير ومن الفيلق الرابع المعسكر فى أرض روم .  
فكان من المستحيل على الحكومة الحميدية ارسال الفيلق الاول المعسكر فى الاستانة  
لمحاربة الدستوريين لانه لا يمكن تجريد العاصمة من الجند ومع ذلك فكان أغلب الضباط  
منضمين الى الدستوريين

وكان جنود الفيلق الثانى والثالث اكثر من غيرهما . فبدأ الدستوريون يؤثفون  
عصبات وطنية لمقاومة الحكومة اذا حاولت عرقلة مساعيهم  
فقامت عصاة نيازى بك ثم ظهرت عصاة أنور بك ورائف بك وحسن بك وغيرهم .  
وانتهى الدستوريون من وضع الخطة فى أواخر شهر يونيو سنة ١٩٠٨ فارسلت  
الحكومة الحميدية شمسى باشا لاقتفاء أثر عصاة نيازى بك ولكنه قتل قبل ان يبدأ  
فى مهمته . وارسلت أيضا من ازمير ثلاثون فرقة من فرق الرديف فانضمت الى  
الدستوريين وقوت صفوفهم .

وفى يوم ٢١ و ٢٢ و ٢٣ يوليه ارسل الدستوريون التلغرافات الى الصدر الاعظم  
من سالونيك ومناستر واسكوب وسيريس هددوا فيها الاستانة بالزحف عليها اذا لم  
يعلن الدستور . فلما وصلت هذه التلغرافات الى السلطان عبد الحميد اصدر الارادة  
الشاهانية بمنح الدستور والقانون الاساسى .

### الحادثه الارتجاعية وخلع عبد الحميد

تفرق شمل المستبدين منذ اعلان الدستور وازداد النفور بينهم وبين لجنة الاتحاد  
والترقى فاخذوا يفكرون فى اجتثاث أصول الفساد الذى يزعمونه فشجعوا أولا الجرائد  
على الكتابة ضد الجمعية

ثم قامت حماية الاستانة بإيعاز من اركان السراى . وخلصوا مطالبهم فى شكل دينى  
كى ينضم اليهم أهالى الاستانة وهامى مطالبهم  
(١) احياء الشريعة



فكان أول ما قام به مدحت باشا هو إنهاء المنازعات بين الدولة وبين الصرب والجبل الأسود وبلغاريا فتمكن من إنهاؤها في زمن قصير وبدأ يسعى جهده لاعلان القانون الاساسى فى الساعة التى سيجتمع فيها المؤتمر الدولى فى الاستانة .

وفى اليوم السابع من شهر ذى الحجة سنة ١٨٧٧ اجتمع الوكلاء والعلماء والامراء وغيرهم فى الباب العالى ثم أقبل مدحت باشا وقرأ الارادة الشاهانية التى منحت الامة العثمانية الدستور والحرية . فهتفوا له جميعاً وحياه العثمانيون من صميم قلوبهم واذ ذاك أطلقت القنابل تحية للقانون الاساسى وكان أعضاء المؤتمر الدولى مجتمعين فى الطوبخانة وبيننا كانوا يباحثون فى النقاط التى سيتناقشون فيها سسمعوا القنابل وهى تدوى فقام صفوت باشا ناظر الخارجية وقال للاعضاء « ان الامة العثمانية قد نالت مطالبها الشرعية وهى تتمتع بحريتها فلا لزوم لهذا الاجتماع بعد هذا الانقلاب » فوجم الجميع وظلوا ساكتين فطلب سفير روسيا المناقشة فى الموضوع ولكن المندوبين العثمانيين انسحبوا وخرجوا وقد قام العثمانيون بمظاهرة ضد اجتماع المؤتمر الدولى وطلبوا الحرب

### ﴿ اجتماع مجلس المبعوثين الاول ﴾

اجتمع مجلس المبعوثين لأول مرة سنة ١٨٧٧ م فى سراى طوله باعجه وافتتحه السلطان عبد الحميد بخطابة مطولة بحث فيها بعد مقدمة تاريخيه عن الامتيازات التى منحت للعناصر غير المسلمة ثم القروض التى عقدت بعد حرب القرم ثم الاختلالات المالية التى حدثت أثناء حكم السلطان عبد العزيز ثم فى عصيان اليوسنه والمهرسك ثم وجوب منح القانون الاساسى لتخليص الدولة من الاضمحلال والافتراض ثم قال « عليكم أيها الاعضاء هذه السنة ان تضعوا النظمات الداخلية للمجلس وقانون الانتخاب وقوانين ادارة الولايات والنواحي وقانون البلدية وأصول المحاكمات المدنية . وقانون ترقية الموظفين وقانون المطبوعات وديوان الحاسبات والتدقيق فى الميزانية » على انه لم يكده ينتظم مجلس المبعوثين وينظر فى شؤون الدولة حتى صدرت الارادة الشاهانية بفضه فتقوضت كل اركان ذلك البناء وابتليت الامة بطور استبداد جديد لم تعهد نظيره حتى فى عصور الظلمات .

هدم السلطان عبد الحميد ما بناه الاحرار ولكن رغما من ذلك لم تمت الفكرة فى رؤوس العثمانيين فان هذا الجسم على قوته الكامنة بل على ضعفه الظاهر لم يقو على تحمل اذى الحكومة الحميدية بما اتا به من ضروب الظلم لاسما والوية الحكومات الدستورية قد انتشرت من أقصى المغرب الى أقصى المشرق وكواكب الحرية قد سطعت فى كل مكان فبدأ الاحرار يعملون ليل نهار حتى انتصروا ذلك الانتصار الباهر عام ١٩٠٨ فنالت

الامة العثمانية الدستور بجهد جيشها الباسل

انتشرت الفكرة الوطنية من عهد مدحت باشا وساعد على انتشارها قصائد

الا ان عبد الحميد أظهر حين جلوسه علامات دلت على اخلافه وعده من ذلك انه جمع أعداء الاحرار واضداد القانون الاساسي وعينهم في المراسم لتقوية مركزه مع انه وعد مدحت باشا بتعيين الشاعر العثماني الكبير نامق كمال بك زعيم الانقلاب باشكاتباً وضياء باشا الاديب السياسي الشهير مشيراً للمابين فاخلف وعده كما انه كان يسعى جهده لاستمالة الرأي العام اليه فكان يخذع الاهالي . الا ان الاحرار لم يخذعوا واستعدوا للمناضلة في سبيل القانون الاساسي .

وكانت الدولة في ذلك الوقت تحارب الصرب فهزمتها واستولى العثمانيون على قلعة (الكسناج) فطلب أمير الصرب توسط الدول فراجعت الباب العالي بعد ان قررت وقف الحرب لمدة بموافقة الباب العالي وقد اشترط الباب العالي شروطاً لعقد الصلح محملاً أن يحضر أمير الصرب الى الاستانة ويعرض طاعته على السلطان والا تجند الصرب أكثر من ١٠٠٠٠ جندياً وأن تحتل الجنود العثمانية القلاع الصربية كلها وان تهدم جميع الاستحكامات المقامة في ميدان القتال وأن تدفع الصرب التعويضات الحربية وان يقوم بانشاء الخطوط الحديدية في الصرب شركات عثمانية بموافقة الباب العالي ولكن الدول رفضت هذه الشروط وطلبت من الباب العالي ابقاء الصرب على ما كانت عليه قبل الحرب ومنح البوسنة والمهرسك التي كانت ثائرة أيضاً ادارة مستقلة مع منح البلغار مثلها .

فكان ذلك سبباً لطمع الصربيين فقرروا محاربة الدولة ونظم جيوشهم المهندسون الروسيون ولكن كان الانهزام نصيبهم فاستولى العثمانيون على الكسناج وداغرادوساروا نحو العاصمة بلغراد . فاستنجد أمير الصرب بالروسيا فمر قيصرها سفيره في الاستانة بتقديم بلاغ شديد الالهيعة الى الباب العالي . وقررت بعد ذلك عقد مؤتمر في الاستانة للنظر في أمر الباقان .

وبالجملة فقد كان مركز الدولة العلية حرجاً للغاية لان أوروبا كلها تألبت عليها وكان يشتم من بلاغ سفير روسيا رائحة الحرب فقرر الوكلاء اذ ذاك منح القانون الاساسي للتخلص من هذه الغوائل واقتنع السلطان عبد الحميد بوجوب تنفيذه لانه كان من المستحيل قبول طلبات أوروبا ولا تقاء الاخطار التي تنجم من رفض تلك الطلبات كان الواجب اجراء بعض الاصلاحات . والاصلاح التي لا تمكن أوروبا من انتقاده هو تنفيذ القانون الاساسي

وفي ذلك الوقت تعين مدحت باشا صدراً أعظم وذلك لان الدول الأوروبية كلها تثق به لعلمها أنه رئيس الاحرار وواضع القانون الاساسي . وقرر السلطان عبد الحميد تعيين مدحت باشا كي ينظر في مسألة المؤتمر الأوروبي الذي قررت الدول عقده في الاستانة .

جيشاً منظماً . وأخذ يبعث بمشورات الإصلاح الى الولاة والحكام . واسكنه  
توفى ولم يتم من فروع الإصلاح الا تنظيم الجند تنظيماً غير تام .

وكانت فكرة الإصلاح قد سرت بين فئة من رجال الدولة فاقاموا يثونها على  
عهد السلطان عبد الحميد والسلطان عبد العزيز وأعظمهم شأنًا وأعلاهم يداً مصطفى  
رشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا

فلما توفى السلطان محمود وخلفه السلطان عبد الحميد نشر خط الكليخانة المشهور  
سنة ١٨٣٩ ميلادية أى فى ٢٦ شعبان سنة ١٢٥٥ هجرية فكانت له ضجة اهتزت  
لها أوروبا .

وأخذ رجال الدولة منذ اصدار ذلك الخط الهمايونى ينظمون القوانين الخاصة لكل  
فرع من فروع القضاء .

ثم تألفت لجنة جمعت أعظم الاساتذة العثمانيين فألفوا المجلة الشرعية التى صدرت  
الارادة الشاهانية من السلطان عبد العزيز عام ١٢٨٩ هجرية بالسير حسب نصوصها  
وسن قانون الاراضى سنة ١٢٧٤ هجرية وقانون الطابو سنة ١٢٧٥ هـ وقانون الجزاء  
سنة ١٢٧٤ هـ . وكل هذه القوانين مقتبسة من القوانين الفرنسية مع مراعاة نصوص  
الشرعة الاسلامية

ثم وضع قانون التبعية العثمانية وتنظيم المحاكم الشرعية والمحاكم النظامية والمحاكم  
التجارية ونظامات الادارة الملكية ونظام ادارة الولايات ونظام شورى الدولة ووضعوا  
نظاما للمعارف ونظاما للمطبوعات ونظامات أخرى للمطابع والطبع وحقوق التأليف  
والترجمة ونظاما للرسومات وآخر للمعادن وغيره للطرق والمعارف وغير ذلك مما يقتضيه  
سير الحضارة ويلائم حالة الامة وبالمجلة فانهم لم يتركوا شيئاً من لوازم ادارة الدولة حتى  
دونوا له قانونا .

فمجموع هذه القوانين والنظامات كان معروفاً فى بلاد الدولة العلية بالدستور  
ومع ذلك فكان الحكم مطلقاً وارادة السلطان فوق كل قانون وفى المدة الوجيزة  
التى جلس فيها السلطان مراد على سرير الملك كان مدحت باشا وحزبه الحر قد انتهى  
من اعداد القانون الاساسى وترتيب نظام مجلس المبعوثين .

### ﴿ القانون الاساسى والسلطان عبد الحميد ﴾

خلع السلطان مراد سنة ١٢٩٣ هجرية الموافق ١٨٧٦ م وجلس السلطان عبد الحميد  
على عرش الخلافة وكان قد وعد رئيس الاحرار مدحت باشا قبل جلوسه على العرش  
بمنح القانون الاساسى وامتناع الامة العثمانية بالحرية

العثمانيين اذ أعطت كثيرا من أراضيها الى دول لم تشترك قط في الحرب مثل اليونان والعجم ودولة النمسا والمجر واشتركت وانصرفت عليها العساكر العثمانية مرارا في بادية الامر ولولا مساعدة روسيا لها وسوقها جيوشها للجرارة لتجدتها لاجهزت الدولة العلية عليها كالصرب والجبل الاسود وناهيك ما فيها من التداخل في امورها الداخلية المحضة ولها نكبح جماح القلم عن الدخول في موضوع ما ألمّ بالدولة العلية المحروسة من المصائب بسبب هذه المعاهدة ولا تتعرض لذكر اخلال بلغاريا بها بطردها أميرها اسكندر دى باتميرج وانتخاب الامير فردينان بدون قبول الدول ولا الى ضم الروم الى الشرقية اليها ولا الى عدم احترام روسيا لبنودها بتخصينها مينا باطوم ولا الى احتلال فرنسا للقطر التونسي ولا الى دخول عساكر انكلترا الى ديارنا المصرية لاجتماع الثورة العراقية وبهااتها الى الآن بدعوى الاصلاح فان جميع هذه الامور حديثة العهد منطبعة باسمائها في عقول القراء لاسيما وان الخوض فيها يستدعي الخروج عن موضوع هذا الكتاب التاريخي والدخول في المسائل السياسية المحضة مما ليس من شأننا التوسع فيه الآن

## الدستور العثماني

« النهضة الوطنية والاصلاحات في الدولة العلية »

توفي السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٦٦م والدولة العلية في ابان مجدها وأوج عظمتها وكانت ممالكها تحد شرقا بالحدود الهندية وغربا بالحيف الاطلانطي وكانت أوروبا تهرب سطوته وتخشى قوته .

خلفه من بعده ملوك لم يتعقبوا خطوانه ولم ينهجوا منهجه لاسيما وقد تألبت عليها الدول الأوروبية واختلفت عليها الفتن الداخلية فبدأت في الانحطاط وانسلخت منها أجزاء كثيرة وكانت أحيانا ترتقي وأحيانا تنحط الى أن تولى الخلافة السلطان سليم الثالث سنة ١٧٨٩م والبلاد في اختلال والاحكام في ضعف والانكشارية قابضون على زمام الامور يولون من شاءوا من السلاطين ويخلعون من شاءوا ويقتلون من لم يسر وفاق أهوائهم وأغراضهم والبلاد في فوضى كادت تمزق شملها . فهاجسه حب الاصلاح وصرح بميله الى تنظيم الجند على النمط الحديث وتسليحهم بالاسلحة الحديثة الاختراع . فلم يوافق ذلك الانكشارية فبطشوا به فمات والاصلاح في مهده .

على ان الفكرة رسخت في أذهان العثمانيين فتلقوها السلطان محمود وعمد الى الاصلاح من الوجهة الادارية والعسكرية . فبدد جند الانكشارية وأحل محلهم



وللشهادة بذلك أثبت الموقعون أسماءهم على هذه المعاهدة بعد ان وضعوا عليها أختامهم  
تحريراً في برلين في الثالث عشر يوم من شهر جويليه ( تموز ) من سنة ١٨٧٨

الامضاء

فون بسمارك	سالسبورى
فون بولوى	اودروسل
هو هتلوله	كورتى
اندراسى	لاوى
كاروليبى	غور جيتوف
هايمرل	شوفالوف
وادنطون	دوبريل
صان فاليه	قره تيودورى
ديبريس	محمد على
بيككسفيلد	سعد الله

ومن تأمل نصوص هذه المعاهدة يرى ان الدولة العلية لم ترجع منها شيئا يذ كرفأهم مجاء فيها ان صارت حدود امارة البلغار لا تتجاوز جبال البلقان لكن فصلت ولاية الروم الى الشرقيه بأجمعها عن الدولة وحظر عليها اقامة جيوشها بها وصار تعيين واليها باتفاق الدول وردت سواحل الارخبيل بما فيها ميناء قوله الى الباب العالى فصار مسموحا وروبا ببقائه له من البلاد بتركية أو روميا متصلا ببعضه لكن سلمت ولاية البوسنة والهرسك الى مملكة النمسا والمجر لا تحتلالها وادارتها لاجل غير محدود أو بعبارة أخرى ملكتها تملكها كاتام باتفاق جميع الدول ومن جهة أخرى أضيف الى مملكة اليونان جزء ليس بقليل من الاراضى لتوسيع حدودها من جهة الشمال مع انها لم تشترك فى الحرب ولم يكن لها أدنى حق فى طلب أقل تعوض سواء كان تقدياً أو مستديلاً بأراض وكذلك وسعت حدود الصرب والجبل الاسود وأعطيت لامير الجبل مينا مهم أعلى بحر الادرياتيك وهى مينا انيفارى (بارى) وزيادة على ذلك تعرض المؤتمر للاصلاحات الداخلية المراد اجراؤها لتحسين حال المسيحيين وخصوصا الارمن ( انظر بند ٦١ )

ومن الغريب انها ألزمت الدولة العلية ان تقيد الدول الاجنبية المرة بعد المرة عن الاجراآت التى اتخذتها للوصول الى هذه الغاية وعلى الدول مراقبة ذلك أى ان الدول جعلت لنفسها حق المراقبة على أمور دولتنا العلية بحجة حماية المسيحيين عموما وحماية الارمن من تعدى الاكراد والمجر اكمسة ثم أتت فى البند الثانى والستين على بيان مايجب مراعاته فى حق باقى الطوائف الغير اسلامية فمن يتأمل فى معاهدة برلين يرى انها لم تقل اجتافا بحقوق الدولة العلية عن معاهدة سان اسطفانوس بل انها أشد وطأة وتأثيراً على نفوذ

على خط مصب نهر (الاركس) في الشمال ومصب نهر (مراد صوى) في الجنوب الى أن يصل الى حدود روسيا القديمة

المادة ٥٩ \* أمبراطور روسيا يصرح هنا بان غاية مقصده أن يجعل باطوم مرسى حراً (معنى حراً أن تكون البضائع معفاة من جميع رسومات الدخول أو الخروج)

المادة ٦٠ \* تعيد روسيا على تركيا أودية الشغراد ومدينة (بازيد) التي سلمت للروسيا بموجب المادة ١٩ من معاهدة اياسطفانوس وقد سلم الباب العالي الى مملكة ايران مدينة (قطور) وأراضيها كما قرّر عليهم رأى اللجنة الانكليزية والروسية التي نيظ بعهدتها تعيين نخوم تركيا وايران

المادة ٦١ \* الباب العالي يتعهد بان يجري بدون تأخير في الولايات التي سكانها من الارمن سائر الاصلاحات والتحسينات التي تحتاج اليها أمورها الداخلية وأن يتعهد بتأمينهم من تعدى الجراكسة والا كرادعيلهم ويفيد الدول الاجنبية الممرّة بعد الممرّة بالتشبهات التي اتخذها لهذه الغاية وهي تراقب كيفية اجرائها

المادة ٦٢ \* حيث ان الباب العالي أظهر رغبته في ابقاء اصول حرية الديانة وتوسيع مداها توسيعاً مطافاً فان الموقعين على هذه المعاهدة ينزلون هذه الرغبة منزلة الفعل فلا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في جميع اطراف السلطنة العثمانية حتى يخرج أحد من الاهلية والجدارة بجميع ما يتعلق بتمتعهم بالحقوق المدنية والسياسية أو بدخوله في الوظائف الميرية أو العمومية أو نواله الشرف أو استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقرّه ويؤذن لجميع الناس بان يؤدّوا الشهادة في جميع المحاكم بدون تمييز أحد في الدين واستعمال سائر الامور الدينية يكون بحرية فلا يكون مانع ما لترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة أو لعلاقتهم مع رؤسائهم ويكون الاكليروس (أصحاب الرتب الكنائسية) والزوّار والرهبان من جميع الامم الذين يسافرون في الممالك العثمانية في الروم اليلى والاناطول حائزين حقوقاً واحدة وامتيازات وخصائص واحدة وفوّض الى القناصل ونواب الدول الاجنبية في تلك الممالك حق في حماية أولئك المذكورين وحماية محلاتهم الدينية والخيرية حماية رسمية في الاماكن المقدسة أو غيرها أما الحقوق المسلمة لقرنسا فلم تزل مرعية الاجراء وصار من المعلوم المقرّر هنا انه لا يسوغ تبديل حال من الاحوال الحاضرة في الاماكن المقدسة أما زوّار جبل اثوس من أى جنس كانوا فيمقون حافظين لاملاكم وامتيازاتهم ومنحهم السابقة ويمتقون متمتعين بمساواة تامة في الحقوق والمزايا

المادة ٦٣ \* تبقى معاهدة باريس التي أمضيت في ٣٠ مارث سنة ١٨٥٦ ومعاهدة لندره التي أمضيت في ١٣ مارث سنة ١٨٧١ مرعية الاجراء وذلك فيما يتعلق بالمواد التي لم تنسخها ولم تعدلها هذه المعاهدة

المادة ٦٤ \* يقع التصديق على هذه المعاهدة بعد ثلاثة أسابيع او أقل ان أمكن

المادة ٥٣ ﴿ تبقى لجنة الطونة الأوروبية مقررة في وظائفها ولرؤسائها فيها نائب وتجري عمال وظائفها الى (غلاتس) بحرية تامة مستقلة عن مداخلة مأموري تلك الاراضى وتبقى أيضاً سائر معاهداتها واتفاقاتها وأشغالها وأعمالها وقراراتها فيما يتعلق امتيازاتها وخصائصها ووظائفها ثابتة الاجراء

المادة ٥٤ ﴿ قبل نهاية الاجل المقرر لبقاء لجنة الطونة الأوروبية بسنة واحدة يلزم للدول أن يتفقوا على تطويل سلطتهم أو على التعديلات التي يرون اجرائها من اللازم

المادة ٥٥ ﴿ جميع المنظمات المتعلقة بالسفر في النهر ووظائف الضبطية فيه من (أبواب الحديد) الى (غلاتس) يكون ترتيبها وتنسيقها من طرف اللجنة الأوروبية بمساعدة نواب من طرف الممالك الكائنة بسواحل النهر وبصير تأليفها بالنظمات الموجودة أو التي ستحدث في أمور النهر أسفل من (غلاتس)

المادة ٥٦ ﴿ يلزم للجنة الطونة الأوروبية أن تتفق مع الدول فيما يتعلق بتوفير القنارات الكائنة على جزر (يلان طاغ)

المادة ٥٧ ﴿ قد فوض لاوستريا وهنكاريا الاشغال اللازم اجرائها لازالة موانع السفر التي تحدث من (أبواب الحديد) والشلالات ويلزم على الممالك المجاورة النهر من الجهة المذكورة أن تجرى جميع التسهيلات اللازمة لمصلحة تلك الاشغال أما المواد المقررة في المادة الرابعة من معاهدة لندره التي أمضيت في ١٣ مارت سنة ١٨٧١ فيما يتعلق باخذ ضرائب مؤقتة لسد مصاريف تلك الاعمال والاشغال فتبقى منوطة بدولة أوستريا وهنكاريا

المادة ٥٨ ﴿ الباب العالي يسلم الى امبراطورية روسيا في آسيا (الاناطول) أراضى أردهان وقارص وباطوم مع مرسى باطوم وجميع الاراضى الكائنة بين تخوم روسيا والتركية القديمة والتخوم الآنى بيمانها وهذه الحدود الجديدة تبتدىء من البحر الاسود على حسب الخط المقرر في معاهدة اياسطفانوس الى نقطة في الجهة الشمالية الغربية من (خورده) وعلى جنوب (ارتوين) وتمتد على خط مستقيم الى نهر (جورك) وبعد عبوره هذا النهر يسير شرقى (اشمشين) ويستمر على خط مستقيم في الجنوب وهناك يلاقى حدود روسيا المشروحة في المعاهدة المذكورة وذلك في نقطة على جنوب (ناريمان) مع بقاء مدينة (اولتى) في حوزة الروس يانم يبتدىء الخط بالقرب من (ناريمان) الى جهة الشرقية ويكون مروره من (تر بنيق) وبعد دخول مدينة (تر بنيق) في حوزة الروس يسير الى (بنك شاي) مجار يانهره الى أن يصل الى (باردوز) وبعد دخول مدينة باردوز ويكى كوى في عهدة روسيا يؤخذ نقطة من غرب قرية (قره اونجان) تجعل الحدود عليها على خط الى أن يصل الى (مخنجرت) ومنها على خط مستقيم الى أن يصل الى تلال (قباداغ) فيستمر

التجار أو غيرهم في رومانيا بدون تمييز في المذهب على قدم مساواة تامة  
 المادة ٤٥ \* امارة رومانيا تعيد على حضرة امبراطور روسيا اراضي بيسارابيا  
 التي كانت انفصلت من روسيا بموجب معاهدة باريس التي اُمضيت في سنة ١٨٥٦  
 وحدودها في الجهات الغربية من مجرى نهر البروث وفي الجنوب من نهر (كيليا) وفم  
 (ستارى استانبول)

المادة ٤٦ \* يضم الى رومانيا الجزر الثلاثة التي على الطونه وجزر (يلان طاغ)  
 وسنجقية طولجي وهي تشمل قضاآت كيليا وسولينيا ومجوديه وزانجه وطولجي وماجين  
 وباباطاغ وهرسوا وكوستنجه ومجدييه وماعدا ذلك يعطى لها أيضاً الاراضى الكائنة  
 على جنوب الدبروجه الى أن تصل الى خط يبتدى من شرقي سيلاستريا ويمتد الى البحر  
 الاسود على جنوب منغاليه ويكون تعيين تخوم تلك الحدود في تلك المواقع بمعرفة اللجنة  
 الاوروباوية المنوط بمهدتها تعيين حدود البلغار

المادة ٤٧ \* مسألة تقسيم المياه والصيدا تعرض على لجنة الطونه الاوروباوية  
 فتكون حكما عليها

المادة ٤٨ \* لا يجوز وضع رسومات أو عوائد في رومانيا على السلع التي ترد اليها  
 بقصد ارسالها الى جهة أخرى

المادة ٤٩ \* يسوغ لرومانيا أن تعقد مع الدول الاجنبية اتفاقا لتسوية مسألة  
 امتيازات وظائف قناصلهم فيما يتعلق بحماية رعاياهم في الامارة الا أن الحقوق الحالية  
 تبقى مرعية الاجراء مادام لم يحصل اتفاق عمومي بين الامارة والدول

المادة ٥٠ \* تبقى رعية رومانيا القاطنون في الممالك العثمانية أو المسافرين فيها  
 أو رعايا العثمانيين المسافرين في رومانيا أو القاطنون فيها متمتعين بالحقوق التي تشمل رعايا  
 بقية الدول الاوروباوية الى أن تعقد معاهدة لتسوية امتيازات القناصل ووظائفهم بين  
 الدولة العثمانية ورومانيا

المادة ٥١ \* تعهدات الباب العالي ووظائفه فيما يتعلق باتمام الاشغال النافعة وما  
 أشبهها في الاراضى التي دخلت في حوزة رومانيا تعود الى عهدة رومانيا

المادة ٥٢ \* لاجل زيادة تأمين حرية السفر في نهر الطونه التي اعترف انها من  
 المصالح الاوروباوية قرّر رأى الموقعين على هذه المعاهدة بان جميع الحصون والاستحكامات  
 الموجودة الآن على النهر من عند المحل الذى يقال له (أبواب الحديد) الى فم النهر تهدم  
 بالكلية فلا يسوغ بعد هذا بناء غيرها ولا يجوز سفر احدى البواخر الحربية على  
 الطونه الى (أبواب الحديد) الا البواخر الصغيرة المعينة لخدمة الضبطية في النهر وخدمة  
 الكمارك ولكن يسوغ لبواخر الدول الموجودة في فم نهر الطونه لاجل الحراسة أن تسافر  
 في النهر الى غاية (غلاتس)



الاحكام وحماية القناصل لرعاياهم على الاصول المعمول بها الآن فتبقى مرعية الاجراء الى أن يحصل اتفاق بين اماره الصرب والدول الاجنبية على تعديلها

المادة ٣٨ \* التعهدات التي تعهد بها الباب العالي مع دولة اوستريا وهنكاريا او مع شركة سكة الحديد في الروم ايلي أو فيما يتعلق باتمام السكك الحديدية وتشغيلها في الاراضي التي دخلت في حوزة الصرب تبقى مرعية الاجراء عند اماره الصرب وعند التوقيع على هذه المعاهدة يجرى اتفاق بين دولة اوستريا وهنكاريا والباب العالي والصرب وامارة الباغار على قدر ما يخصها لتسوية هذه المسائل

المادة ٣٩ \* المسلمون الذين يملكون عقارات في الاراضي التي انضمت الى الصرب ويريدون أن يستوطنوا خارجاً عن الامارة لهم الحرية بأن يبقوا مالكيين عقاراتهم بمؤاجرتها أو تشغيلها بواسطة من يختارونه وستشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من العثمانيين والصربيين لأجل تسوية جميع المسائل التي تتعلق بكيفية نقل وادارة الاملاك المتعلقة بالوقف أو الاملاك الميرية التي للباب العالي وكذلك تسوية جميع متعلقات الناس الذين لهم مصلحة فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين

المادة ٤٠ \* تكون معاملة رعية الصرب القاطنين في السلطنة العثمانية أو المسافرين فيها بحسب اصول الاحكام والقوانين المتداولة بين الدول الى أن تحصل معاهدة بين الدولة العثمانية والصرب

المادة ٤١ \* يلزم لعساكر الصرب اخلاء جميع الاماكن التي لم تدخل في حوزة امارتهم في ظرف خمسة عشر يوماً اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة كذلك يلزم لعساكر السلطانية أن تخل في المذكورة الاماكن التي دخلت في حوزة الامارة

المادة ٤٢ \* حيث انه يتعين على الصرب حمل جانب من الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي حازتها بموجب هذه المعاهدة فسفراء الدول الاجنبية في الاستانة يعيّنون مبلغ قيمة الاراضي المذكورة على صورة عادلة بالاتفاق مع الباب العالي

المادة ٤٣ \* لما كان الموقعون على هذه المعاهدة معترفين باستقلالية رومانيا فربطها بالشرطين الاتيين

المادة ٤٤ \* لا يسوغ التميز في الاعتقادات الدينية في رومانيا ضد أحد حتى يخرجها عن الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتعه بالحقوق المدنية والسياسية أو بدخوله في الوظائف الميرية أو العمومية أو نواله الشرف أو استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فلجميع الاهالي التابعين لرومانيا والاجانب أيضا الحرية التامة في جميع المتعلقات المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما في ترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة أو في علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين فتكون معاملة رعايا جميع الدول سواء كانوا من

فلجميع الاهالى التابعين للصرب والاجانب أيضاً الحرية التامة فى جميع المتعلقات المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما فى ترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة أو فى علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين

المادة ٣٦ (١) اماره الصرب تكون مالكة للأراضى الموجودة فى ضمن الحدود الاتى ذكرها وهى ان الخط الفاصل يمر على طول الخط الحالى ومن مصب نهر (درينا) فى نهر صاوا ويذهب مع الجرى ويترك (ازرونيق وزخار) للامارة ولا يترك الخط المذكور أعنى الحدود القديمة الى (قابونيقي) ثم يفترق فى ذروة جبل قابونيقي عن الخط المذكور ويسير من جنوب الجبل على طول حدود نيش الشرقية ويمر من تلال (ماريتا وماردار بلانينا) وهذه التلال هى الخط الفاصل بين أنهر (البار وسينيتا ويطوليفيتا) وعلى هذا تبقى بره بولاد للدولة العلية وبعده يسلك خط مقسم المياه الى جهة الجنوب من بين (برونيتا) ومدود جاويترك وادى مدود جاكله للصرب ويصعد الى تل (قولجاق بلانينا) ويكون هو الخط الفاصل فيما بين الأنهر المسماة (بولجينا وترنيقا وموراوا) ويصل الى تل (بولجنيقا) ثم يذهب من تجاه (قاينا بلانينا) الى مجمع أنهر (قوانسقا وموراوه) ويتجاوزها ويسير على الخط الفاصل فيما بين مياه النهر الذى يختلط بنهر موراوه فى جوار (قوانسقا) و(تره دوس) ويتصل (بلانينا ايليجه) فوق (رغو بست) ومن هنا أعنى من ذروة جبل ايليجه تمتد الى ذروة جبل (قلتروق) ويمر من الحلات المدروجة فى الخريطة تحت عدد ١٥١٦ و١٥٤٧ ومن (باينا غورا) وينتهى الى جبل (قرني وره) ثم ينتدىء من هذا الجبل ويجمع بمحدود البلغار يعنى يمر من تلال (استره سرو ويلو غلو ومسيد بلانينا) ويسير على خط مقسم المياه الواقع فيما بين استروماو (موراوه) وينتهى الى الحلات المدعوة (غاسينا وقرنه براوه ودار قوسغوه ودرانيقه بلان) وبعدها يمر من فوق (دشاني قلادنيق) ومن أعلى مقسم مياه (صوفقيه وموراوه) ويذهب رأساً الى (استول) ومن هنا ينزل الى قرية (سفوزه) من جهة شمالها الغربى ويقطع طريق (بيروت) بمسافة مقدار ألف كيلومتر وعن صوفيه ويصعد على خط مستقيم الى (ويدليق بلانينا) ويمر من جبل (رادوجينا) الواقع فى ساسلة البلقان الكبيرة ويترك قرية (دوقيجي) لامارة الصرب وقرية (سناقوس) الى البلغارستان ثم يسير من ذروة هذا الجبل الى جهة الشمال الغربى ويمر من بلقان (سبروق) ومن استارا (بلانينا) ويصعد الى تلال البلقان وفى جوار (قولواسا ياجوه قوقه) يتصل بمحدود الصرب الشرقية القديمة ويسير على هذه الحدود الى نهر الطونه وينتهى عند النهر فى (راقوبجه)

المادة ٣٧ (١) لا يغير شىء فى الصرب من الشروط الحالية فيما يخص العلاقات التجارية السكائنة بين الممالك الاجنبية وبين اماره الصرب الى أن يجرى بدلها اتفاقات جديدة ولا يسوغ أن يؤخذ على البضائع التى تمر فى الصرب مرسله الى جهة أخرى شىء من العوائد الرسومات أما المزايا والامتيازات الشاملة الآن رعايا الدول الاجنبية فى الصرب وحقوق

خارجة عن دائرة مساقفها حول المدينة المذكورة بستة كيلو متر (٦٠٠٠ متر) ونحو عشرة أميال) ولا يكون له بواخر حربية ولا راية ولا يسوغ لاي دولة كانت أن تدخل بواخرها الحربية الى مرسى التوارى أما الحصون السكائنة في أرض الجبل بين النهر وشط البحر فهدم بالكلية ولا يسوغ إعادة بنائها ويقوض لعهد أوستريا وهنكاريا ادارة البحرية والصحية في التوارى وفي شطوط الجبل وعلى الجبل أن يستعمل القوانين والاصطلاحات البحرية على موجب القوانين والاصطلاحات الجارية في دلماسيا (باوستريا) وقد تعهدت أوستريا وهنكاريا بان تحمي بواخر الجبل الاسود التجارية ويلزم للجبل أن يتفق مع أوستريا وهنكاريا على مدسكة الحديد وانشاء طرق عادية في الاراضي التي دخلت حديثاً في حوزته وعلى تأمين حرية المواصلات عليها

المادة ٣٠ \* المسلمون وغيرهم الذين يملكون عقارات في الاراضي التي انضمت الى الجبل الاسود ويريدون أن يستوطنوا خارجاً عن الامارة لهم حق بان يبقوا مالكين عقاراتهم بإيجارها أو تشغيلها بواسطة من يختارونه وتشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من العثمانيين وأهل الجبل الاسود لتسوية المسائل التي تتعلق بكيفية نقل الاملاك أو حرثها أو ادارتها سواء هي من أملاك الوقف أو الاملاك الميرية التي للبواب العالي فتجوز تسوية جميع متعلقات الذين لهم مصاحبة فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين

المادة ٣١ \* على امارة الجبل الاسود أن تتفق مع الباب العالي على ما يتعلق بتعيين وكلاء من طرفها في الاستانة أو في جهات أخرى من السلطنة العثمانية بما يري لازماً أما أهل الجبل المقيمون في السلطنة العثمانية أو المسافرين فيها فيكونون تحت أحكام الدولة العثمانية على حسب الاصول المقررة بين الدول وعلى حسب العوائد المقررة مع الجبل

المادة ٣٢ \* يلزم ان عساكر الجبل الاسود تخلى الاراضي التي هم الآن مستولون عليها مما لم يدخل في حدود امارة الجبل الجديدة وذلك في ظرف عشرين يوماً اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة أو أقل من هذه المدة اذا أمكن كذلك يلزم للعساكر

السلطانية ان تخلى في المدة المذكورة الاراضي التي دخلت الآن في حوزة الجبل

المادة ٣٣ \* حيث انه يلزم الجبل الاسود أن تحمل جانباً من الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي دخلت في حوزته بموجب شروط الصالح فتعين نواب الدول الاجنبية في الاستانة هذا المبلغ بالاتفاق مع الباب العالي على اصول عادلة

المادة ٣٤ \* لما كان الموقعون على هذه المعاهدة معترفين باستقلالية امارة الصرب فقد ربطنها بالشروط المحررة في المادة اللاحقة

المادة ٣٥ \* لا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في الصرب ضد أحد حتى يخرج من الاهلية والادارة لجميع ما يتعلق بتمتعته بالحقوق المدنية والسياسية أو بدخوله في الوظائف الميرية أو العمومية أو نواله الشرف أو استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقرره



في جميع المتعلقات المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مافي ترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة او في علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين

المادة ٢٨ \* قد صار تعيين حدود الجبل الاسود كما سيأتى وهي انها تبتدىء من ( ايلينو برودو ) وتسير الى شمال ( قلوبوق ) وغمر من فوق ( تره بنيجه ) وتصل بمحل ( غرانقارو ) وتبقى غرانقارو ضمن لواء هرسك ومنها يصعد الخط الفاصل الى جهة فوق من نهر غرانقارو ويصل الى محل يبعد عن النهر الذى يصب في ( سيلقه ) مقدار كيلومتر فقط ومن هنا يسير على أقصر طريق ويصعد الى التلال التي في جوار ( تره بنيجه ) ثم يذهب الى ( بيلاتوه ) ويترك هذه القرية للجبل ثم يسير من التلال الى جهة الشمال وعلى قدر الامكان يمر بعيداً عن طريق ( بيلكه ) و ( قوريتو ) و ( عاجقه ) مقدار ٦ كيلومتر ويصل الى الطريق الكائنة فيما بين ( سويتا بلانينا ) وجبل قوريله ومنها عن جهة الشرق يمتد الى جبل اورلين ويترك قرية ( وارتيويجي ) لهرسك ثم يمتد من الشمال الشرقي وبدء ( روانه ) داخل الجبل ويمر من تلال ( لبرسليك ) و ( ولجاق ) ويسير من أقصر طريق وينزل الى نهر ( بيوه ) ويتجاوز هذا النهر ويصل الى ( تاره ) الكائنة بين ( قرقويه ) و ( بين ) و ( نندويه ) ومن ( تاره ) يصعد الى ( موجقواق ) ويتصل بمحل ( سقوج زرو ) ومن هنا الى قرية ( صوقولار ) ويجتمع بالحدود القديمة ثم يمر الى تلال مقربا لاندوا وتبقى قرية مقرا داخل الجبل ويمر أيضاً من السلسلة الاصلية الى الطريق المذكورة في خريطة أركان حرب أوستريا تحت رقم ٢١٦٦ ومن فوق مقسم المياه الواقع بين ( ليم ) و ( درين ) و ( بين ) ( سيونه زم ) ثم يتصل بالحدود الجديدة بعد مروره فيما بين قبيلة ( قاجي دره قالويجي ) و ( بين ) ( قوسقارجنه ) و ( قلامتي ) و ( غردوي ) وبعد ذلك ينزل الى صحراء بودغوريجيه ويترك قبائل قوسقارجنه وقلامتي وغردوي وهو في بلاد الارناؤوط ويتصل ( بيلانويه ) ومن هنا يمر من جوار جزيرة ( غوريقه طوبال ) ويتجاوز ماء اشقودره ويسير رأساً من ( غوريقه ) طوبال الى التلال ويمر من مقسم المياه الكائن فيما بين ( مغورد ) و ( قالميد ) مع خط المقسم المذكور ويترك ( ميرقويق ) داخل الجبل وينتهي الى بحر ونديك ( فينيسيا ) عند قرية ( فروجي ) ثم يلتفت الى الشمال الغربي ويمر في الساحل من بين قرى ( سوسانه ) و ( زويسي ) ويتصل بمنتهى الحدود الجديدة في جهة الجنوب الشرقي فوق ( ورسونه بلانينا )

المادة ٢٩ \* انضم انتواري ( باري ) وخطوط البحار التي تخصها الى الجبل الاسود مشروط على الصورة الآتية وهي ان يعاد على الدولة العثمانية الاراضي الكائنة على جنوب تلك الجهة الى بويانا من ضمنها دولستيجو ويضم الى دلتاتبا مرسى شيزاو الاراضي المتعلقة بها الى غاية حدودها الجنوبية كما هي مبينة بالتفصيل في الخريطة ويكون للجبل الحرية المطلقة التامة للسفر في نهر بويانه ولكن لا يسوغ له أن يبنى على النهر حصونا أو استحكامات الا ما لمز للمحافظة على اشقودره خاصة فتكون تلك الحصون والحالة هذه غير



بواسطة مراسى البحر الاسود مثل وارنه وبورغاس حتى يمكن لهم أن يتخذوا هناك مخازن  
للوامهم مدة اقامتهم وتقرر أيضاً ان اقامة العساكر الامبراطورية في ( ولاية الروم ايلي  
الشرقية ) والبالغار تكون مدة تسعة أشهر اعتباراً من يوم مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة  
وقد تعهدت دولة الروسيا الامبراطورية انه قبل انقضاء هذه المدة تمنع مرور عساكرها  
من رومانيا فتخلو منهم اماره البالغار

المادة ٢٣ \* قد تعهد الباب العالى بان يجرى في جزيرة كريد النظامات التي تقرر  
فيها في سنة ١٨٦٨ والتعديلات التي يرى من العدل اجراءها وكذلك يجرى في بقية الولايات  
نظامات وقوانين على ما تقتضيه المصالح الداخلية كما في كريد مما لم ينص عليه في هذه  
المعاهدة نصاً خصوصياً الا فيما يتعلق بالغاء الضرائب كما هو جار الآن في كريد وبشكل  
من طرف الباب العالى لجنات خصوصية يكون أكثر اعضائها من الالهالى للنظر في  
متعلقات النظامات اللازم اجرائها في كل ولاية ثم تعرضها على الباب العالى للتروى  
فيها وقبل أن يعمل بها وتجعل دستوراً للعمل يلزم الباب العالى أن يستشير اللجنة  
الاوروبية المنعقدة للنظر في أحوال الروم ايلي الشرقية

المادة ٢٤ \* اذا فرض انه لم يقع اتفاق بين الباب العالى ودولة اليونان فيما يتعلق  
بتعديل الحدود كما تقرر في المادة ١٣ من مضمطة مؤتمر برلين فدول جرمانيا وأوستريا  
وهنكاريا وفرنسا وبريطانيا العظمى واطاليا والروسيا تحفظ لنفسها عرض التوسط بين  
الفرقتين تسهيلاً للمذاكرات

المادة ٢٥ \* تتبوأ عساكر أوستريا وهنكاريا ولايق بوسنه وهرسل ويناظ بها  
أيضاً أمر أدارتهما وحيث انها لا تريد أن تتولى ادارة سنجقية يكي بازار الممتدة بين  
الصرى والجبل الاسود على الخط الجنوبي الشرقي ما وراء ميترووتسه فالادارة العثمانية  
تبقى معمولاً بها هناك وحيث ان المراد اقرار الاحوال السياسية الجديدة وحرية المواصلات  
وتأمينها فدولة أوستريا وهنكاريا تحفظ لنفسها الحق بان يكون لها قشل وطرق تجارية  
وعسكرية في جميع الجهات المذكورة ولهذا الغاية تحفظ لنفسها هي والدولة العثمانية ان  
تتفقا على المواد المتعلقة بهذه المسألة

المادة ٢٦ \* قد اعترف الباب العالى باستقلال الجبل الاسود وكذلك اعترفت  
به بقية الدول الموقعين على هذه المعاهدة الذين لم يعترفوا به سابقاً

المادة ٢٧ \* اتفق الموقعون على هذه المعاهدة على ان استقلال الجبل الاسود يكون  
مربوطاً بالمواد الآتية وهي لا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في الجبل فلا يخرج  
أحدًا من الالهية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتعه بالحقوق المدنية والسياسية أو بدخوله  
في الوظائف الميرية أو العمومية أو نواله الشرف أو استعماله الصنائع والحرف المختلفة  
كيفما كان مقررّه فالجميع الالهالى التابعين للجبل الاسود وللجاناب ايضاً الحرية التامة

العمومية في ولاية (الروم الى الشرقية) بشكل فيها ضبطية أهلية وعساكر داخلية ومذاهب الاهالي الذين تؤلف منهم هذه العساكر والضبطية تكون مرعية ويكون تعيين ضباطهم من طرف الحضرة السلطانية وقد تعهدت الحضرة السلطانية بان لا توظف في حصون الحدود عساكر غير نظامية كالباشي بوزق والجراكسة وفي جميع الاحوال لا يسوغ للعساكر النظامية المذكورة أن تتعدى على الاهالي وعند مرورهم في الولاية (لاستقرارهم في الاستحكامات) لا يسوغ لهم الاقامة فيها

المادة ١٦ \* يكون للوالى حق في أن يستدعى العساكر العثمانية اذا حصل ما يخل بالراحة الداخلية والخارجية فاذا وقع ما يوجب ذلك يجبر الباب العالي نواب الدول بالاستئانة عن قراره وعن السبب الذي أحوجه اليه

المادة ١٧ \* يكون تعيين والى (ولاية الروم الى الشرقية) مدة خمس سنين من طرف الباب العالي باتفاق الدول

المادة ١٨ \* بمجرد مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة تشكل لجنة أوروبية للنظر في ترتيب ادارة (ولاية الروم الى الشرقية) بالاتفاق مع الباب العالي ومن خصائصها ان تبين في ظرف ثلاثة أشهر وظيفة مأمورية والى وماله من الاستطاعة وترتيب الولاية الادارية والنظامية والمالية ويكون ابتداء أشغالها تنظيم اختلاف أحكام الولايات وما حصل عليه المذاكرة في الجلسة الثامنة من المؤتمر الذي عقد في الاستئانة وبعد ان يحصل القرار على جميع المصالح المتعلقة بالولاية المذكورة يصدر فرمان من طرف الحضرة السلطانية فيبلغه الباب العالي الى الدول

المادة ١٩ \* يناط بعهدة اللجنة الاوروبية المذكورة بالاتفاق مع الباب العالي ادارة المالية في الولاية الى ان تجز القوانين الجديدة المراد وضعها

المادة ٢٠ \* جميع المعاهدات والاتفاقات والمعاملات التي جرى تداولها بين الباب العالي والدول الاجنبية أو التي ستعقد فيما بعد يكون معمولاً بها في (ولاية الروم الى الشرقية) كما هو جار في سائر السلطنة العثمانية وجميع الامتيازات والخصائص التي حازتها الاجانب على اختلاف وظيفتهم ومصالحهم تبقى محترمة في الولاية المذكورة وقد تعهد الباب العالي بان جميع أحكام السلطنة هناك فيما يخص المذاهب المختلفة يكون معمولاً بها ومرعية الاجراء

المادة ٢١ \* تبقى حقوق الباب العالي وتعهداته فيما يتعلق بسكك الحديد في الروم الى الشرقية معمولاً بها ومرعية الاجراء

المادة ٢٢ \* تكون قوة روسيا في البلقار وفي (ولاية الروم الى الشرقية) مؤلفة من ست فرق من المشاة وفرقتين من الخيالة وجميع ذلك لا يزيد على ٥٠٠٠٠ نفر وتكون مصاريفهم على الولايات التي يتبوؤونها وتبقى علاقاتهم ومواصلتهم مع روسيا بواسطة رومانيا بحسب الاتفاق الذي يحصل بين الحكومتين المذكورتين وفضلاً عن ذلك تكون

الباقية في الروم ايلي ويصل الى النهر (طوزلى دره) ويسير مع النهر الى مجمعه مع نهر طوبولينقا وكذلك يمر مع هذا النهر الى مجمعه مع نهر (سمو وستيور) في جوار قرية (پتريسووا) وعلى هذا يترك للروم ايلي الشرقية في شطوط مجارى هاته الانهر تحلا مقدار ٢ كيلومتر ثم يتبع الخطوط الفاصلة للمياه المذكورة ويسير الى جهة فوق على طول أنهر (سمو وسقبور) و (قامنيقا) ويلتفت الى الجنوب الغربي في تل (ووانجاق) ويصل الى الحل المين في خريطة أركان حرب دولة أوستريا عدد ٨٧٥ ثم يقطع على خط عمودى مجرى نهر (ايجمان دره) من الاعلى ويمر من بين (بوغدينا) و (قارولا) حتى يصل الى الخط الفاصل للكائن فيما بين نهري (اسقر) و (ماريكا) ويسير على طول الموضح في الخريطة المذكورة تحت رقم ٥٣٠ من تلال (وولينامو وجيل) و (جمابليقا) و (روه سومنايتقا) ويجمع بحدود لواء صوفيه فيما بين (سبورى طاش) و (قادرته) فعلى هذا تفرق حدود الروم ايلي والبغار من جبل (قادرته) ثم الخط الفاصل المذكور يمر الى قدام من بين أنهر ماريقا وتوابعه و بين أنهر (مستاقره صو) واتباعه تابعا استقامة الخطوط الفاصلة لهذه المياه ويتوجه الى جهة الجنوب الشرق والجنوب مارا من تلال جبل (دسبوت) الى صوب جبل (كروشوا) وهذا الجبل كان مبدء الحدود التى عينتها معاهدة اياسطفانوس ثم الخط المذكور يتبع الخط المعين في المعاهدة المذكورة أعنى انه يتددى من هذا الجبل ويمر على ساسلة (قره بلقان) من تلال (قولاقلى طاغ واشك جبلى وقره وقولاس وايشه قار) ويسير جهة الجنوب الشرقى حتى ينتهى الى النهر (واردا) ويسير مع هذا النهر على طوله حتى يصل الى قرية (اطه قلعه) وتبقى هذه القرية في سلطة الدولة العلية ومن هنا يصعد ذروة جبل (بش تبه) ثم ينزل ويمر من جسر (مصطفى باشا) ويتجاوز نهر المريج من جهة فوق بمسافة خمسة كيلومتر ثم يتوجه الى جهة الشمال مع بين الانهر الصغار التى تصب في نهري (خاتلى دره) و (مريج) ويسير على خط مقسم المياه الى الحل المسمى (كودل يارى) ومن هنا يلتفت الى جهة الشرق ويمتد الى (صقار يارى) ومنه الى وادى (طونجه) والى (بيوك در بند) ويترك (بيوك در بند) و (صوجاق) الى جهة الشمال ثم يسير من بين الانهر التى تصب في نهر طونجه من جهة الشمال وفي نهر المريج من جهة الجنوب على خط مقسم المياه و يصعد الى تل (قييلار) وتبقى قييلار في الروم ايلي الشرقية ثم يلتفت الى جهة الجنوب ويمر من بين المياه الكائنة فيما بين نهر المريج من جهة الجنوب و بين قريتي (بلورن) و (التلى) التى تصب في البحر الاسود ويصل الى جنوب قرية (المالى) ويدور تلال (ووسنه) و (زواق) من شمال الحل المسمى (كراكلى) ويسير مع الخط الفاصل فيما بين نهري (دوكه) و (قره اغاج) حتى يتصل بالبحر الاسود

المادة ١٥ \* يكون للحضرة السلطانية حق في أن تباشر محافظة الحدود البرية والبحرية وذلك بأن تنفى في تلك الحدود استحكامات وتقيم فيها عساكر ولتأمين الراحة



وبين الباب العالى فأمرها يكون بين الباب العالى وحكومة البلغار والشركة المذكورة وكذلك دخل فى عهدة البلغار وسائر تعهدات الباب العالى مع دولة أوسترىا وهنكاريا ومع الشركة المنوط بعهدتها تشغيل سكك الحديد فى الروم ايلي فيما يتعلق بأنعام السكك المذكورة واتصالها فى الاراضى التى دخلت الآن فى حوزة البلغار ويكون عقد شروط الاتفاقات اللازمة لتسوية هذه المسائل بين دولة أوسترىا وهنكاريا والباب العالى والصرب وامارة البلغار عند اقرار الصلح

﴿المادة ١١﴾ بعد هذا لانتفى العساكر العثمانية فى البلغار وهدم سائر القلاع والحصون يكون على مصروف حكومة الامارة فى ظرف سنة واحدة او أقل من ذلك ان أمكن وينبغى لتلك الحكومة ان تتخذ وسائل معجلة لذلك ولا يسوغ لها أن تبني بدلا حصونا جديدة ويكون للباب العالى حق فى ان يتصرف فى المهمات الحربية وغيرها من الاشياء التى هى ملك له الباقية فى حصون الطونه التى أخلتها العساكر العثمانية بموجب الهدنة التى حصلت فى ٣١ يناير (كانون الثانى) وكذلك التى فى شمله (شمنى) ووارنه

﴿المادة ١٢﴾ المسلمون وغيرهم الذين لهم أملاك فى البلغار ويريدون السكنى خارجا عنها يبقون متمتعين بأملأهم فيمكنهم والحالة هذه إيجارها الى غيرهم وادارتها بعرفة من ينتخبونه وتشكل لجنة مؤلفة من الترك والبلغاريين لتسوية جميع المسائل المتعلقة بكيفية نقل وتشغيل أملاك الوقف لحساب الباب العالى والمسائل المتعلقة بالذين لهم مصالح فيها وهذه التسوية تكون فى ظرف سنتين ثم ان البلغار بين الذين يسافرون أو يسكنون فى باقى أطراف الممالك العثمانية يكونون تحت الاحكام والقوانين العثمانية

﴿المادة ١٣﴾ تشكل على جنوب البلقان ولاية تحت اسم (ولاية الروم ايلي الشرقية) وتكون تحت تابعة الحضرة السلطانية تابعة سياسية وعسكرية بشرط أن تكون مشمولة باستقلالية ادارتها ويكون واليا نصرانيا

﴿المادة ١٤﴾ حدود (ولاية الروم ايلي الشرقية) تكون متصلة بمحدود البلغار من جهة الشمال والشمال الغربى والولاية المذكورة تكون عبارة عن الاراضى الكائنة ضمن الدائرة الاتى ذكرها فخذ هذه الولاية يبتدىء من البحر الاسود ويسير على النهر الواقع فى جوار القرى المسماة (هوجه كوى وسلام كوى وابواجق وقوليه وصوجياق) الى جهة فوق مجاذيا لوادى (دلى قاجق) ويمر من فوق (جكنه) مقدار مسافة ٢٠ كيلو متر ونصف تقريبا ويتصل بجنوب قراه (بلييه) و (كمجالتق) ثم يصعد الى التل الكائن فيما بين (تكنك) و (ابدوس) و (برؤسا) ويمر من بلقان (قرين اباد) و (بره زويجه) و (قرغان) حتى يصل الى (تيورقو) بالجهة الشمالية من (قوتل) وبعدها يدور جميع سلسلة البلقان الكبير وينتهى الى تل (قوزيقه) وفى هذه النقطة أعنى من ذروة البلقان الكائن على غربى حدود الروم ايلي ينزل الى جهة الجنوب مارا من بين قرية بيتروب التى تركت البلغار وبين قرية دوزانس



أيضاً ولا يسوغ اتخاذ مانع ما لترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة أو لملاقمتهم مع رؤسائهم الروحانيين

المادة ٦ \* تكون ادارة ( البلغار المؤقتة ) تحت ادارة مأمورين من دولة روسيا الامبراطورية الى أن تنتظم فيها القوانين الاساسية ويستدعى مأمور من طرف السلطنة العثمانية والقناصل الذين تنتخبهم الدول الذين وقعوا على هذه المعاهدة بقصد مراقبة أعمال ( الادارة المؤقتة ) المذكورة فاذا حصل خلاف بين القناصل المذكورين فابرام العمل يكون على حسب أكثرية الآراء كما أنه اذا حصل خلاف بين أكثرية آراء المذكورين والمأمورين من طرف امبراطورية روسيا أو المأمورين من طرف الحضرة السلطانية تجتمع سفراء الدول بالاستئانة الذين وقعوا على هذه المعاهدة في مؤتمر ( كنفيرانس ) ليقرّ رأيهم على انهاء الخلاف المذكور

المادة ٧ \* تشكيل ( الادارة المؤقتة ) المذكورة لا يبقى أكثر من تسعة أشهر اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة وبمجرد انتخاب الامير تصير مباشرة اجراء الاحكام الجديدة فتصير تلك الاحكام دستوراً للعمل وتكون الامارة قد حازت استقلاليتها الادارية ( ادارتها المختارة ) حوزاً تاماً

المادة ٨ \* جميع المعاهدات التجارية والسفيرية والاتفاقات التي جرت بين الدول الاجنبية وبين الباب العالي والتي لم يزل عملها جارياً تبقى مرعية الاجراء مع امارة البلغار فلا يصح تبديل شيء منها مع احدى الدول المذكورة بدون رخصة منها ولا يسوغ وضع شيء من الضرائب على البضائع التي ترسل الى احدى الجهات في مرورها على البلغار وتكون معاملة جميع الالهالي ورعايا الدول وتجارتهم في الامارة على قدم مساواة تامة وتبقى امتيازات وخصائص الاجانب المقررة في المعاهدات ( التي أمضيت بين الدول والباب العالي ) مرعية الاجراء في الامارة مادام لم يحصل تعديلها برضى الدول

المادة ٩ \* الويركو السنوي الذي يجب على امارة البلغار ان تدفعه في كل سنة الى متبوعها الحضرة السلطانية يكون دفعه الى البنك الذي يعينه الباب العالي ويكون تعيين المبلغ عند ختام السنة الاولى من جريان نظاماتها الجديدة باتفاق بين الدول الموقعة على هذه المعاهدة وهذا الويركو يحسب بمناسبة ايراد الامارة وحيث انها ستحمل جانباً من ديون السلطنة العمومية يلزم للدول أيضاً أن يتذاكروا على مقدار الدين الذي يعين على الامارة وذلك عند مذاكرتهم في أمر الويركو

المادة ١٠ \* جميع التعهدات والاتفاقات التي وعدت السلطنة العثمانية باجرائها مع شركة سكة الحديد بين وارنه وروسجق تدخل في عهدة امارة البلغار اعتباراً من مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة أما تسوية الحسابات السابقة التي كانت بين الشركة المذكورة

مقسم المياه ويدورتل (ودينجه بلانينا) وينزل الى وادى (استروما) فى المحل الذى يختلط به نهر استروما مع نهر ريلسماقرا ويدع قرية (براقل) للدولة العلية وبصعد من جنوب قرية (بلشينقه) الى فوق ويمر من أقصر خط الى سلسلة (غيبلا بلانينا) وتل (غينقه) ويتصل بحدود لواء صوفيه ويترك كامل منشأ صوهارقا للدولة العلية ويلتفت الى جهة الغرب من جبل (رجينقا) ويدور جبال قارونايا بوقا وحدود لواء صوفيه القديمة من جبل (قرنى وره) ويمر من فوق مياه (اكر يصر) و (لبنيه) ويطلع الى تلال (بابنا بولانا) حتى ينتهى أيضاً الى جبل قرنى وره المذكور ومن هذا الجبل يمر من تلال (استرز) و (ويله غوصو) و (مسيد بلانينا) ومن بين (اوستروما) و (موراوه) مع خط مقسم المياه الى غاسينا وقرنه طراوه ودار قوسقه ودرانيقه بلان وبعدها من فوق دوشاقلا داتق ومن مقسم أنهر صوقوه وموراوه ويذهب رأساً الى المحل المدعو (استول) ومن هنا ينزل الى الطريق الموصلة الى صوفيه وبيروته ويقطع فى هذه الطريق ألف متر ومنه عن طريق وبدليا بلانينا ويصعد على خط مستقيم الى جبل (رادوجينا) الكائن فى سلسلة البلقان الكبير ويترك قرية دويقنچى الى صربستان وقرية (سناقوس) الى البلغار ثم يلتفت الى جهة الغرب ويدور تلال البلقان المسمى (سبروق) من صوب استاره بلانينا ويتصل بشرقى حدود اماره الصرب القديمة بجوار (تولا اسميلوه قوفه) ويسير على هاته الحدود حتى ينتهى الى نهر الطونه عند (راقويجه) ثم ان هذه الحدود جميعها سميحير تعيينها بمعرفة لجنة مركبه من وكلاء الدول الممضيه على المعاهده وحصل الاتفاق أولاً على ان هاته اللجنة تنظر بالاعتناء فى خصوص محافظة حدود بلقان شرقى الروم ايلي الكائن تحت سيطرة الدولة العلية وثانياً أن لا يصير انشاء استحكام فى اطراف (صماقو) بمسافة ١٠ كيلو متر

المادة ٣ \* يكون انتخاب أمير البلغار من أهلها بحرية تامة وإقرار الباب العالى برضى دول أوروبا العظام ولا يصح انتخاب أمير عليها من بيوت الدول المذكورة فإذا توفى عن غير ولد يكون انتخاب أمير بعده على الشروط والاصول المقررة

المادة ٤ \* بعد انتخاب الامير تجتمع أعيان البلغار بين فى طرنوى لترتيب أحكام ونظامات تخص الامارة وفى الجهات التى يكون سكانها من الترك وأهل رومانيا والروم وغيرهم يلزم مراعاة حقوقهم ومصالحهم فيما يتعلق بقضية الانتخاب وترتيب الاحكام الاساسية

المادة ٥ \* المواد الآتية تكون أساساً للحقوق العمومية فى البلغار وهى ان الاختلاف فى المذاهب والاعتمادات لا يخرج أحداً من الاهلية والجدارة من تمتعه بالحقوق المدنية والسياسية أو بدخوله فى الوظائف الميرية أو العمومية ونواله الشرف أو استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فان الحرية أو مباشرة جميع الاعمال الدينية ينبغى تأمينها لجميع الناس القاطنين فى البلغار من أهلها ومن الاجانب

المادة ١ \* صارت الآن البلغار امارة مستقلة في أمورها الداخلية (ادارة مختارة) تدفع خراجا في كل سنة الى الباب العالي وتكون تحت تابعة الحضرة السلطانية ويكون لها حكومة مسيحية وعساكر وطنية

المادة ٢ \* تكون امارة البلغار عبارة عن الاراضي الاتي ذكرها وهي ان حدود تلك الاراضي من جهة الشمال يبتدىء من حدود الصرب القديمة وتمر عن يمين ساحل نهر الطونة وتنتهي الى محل في شرق سيملاستريا وهذا المحل سيضرب تعيينه من طرف المؤتمر الذي يشكل من مأموري دول أوروبا ومن هنا أيضا يتصل الحد في البحر الاسود ويمر من جنوب منقاليا التي صار الحاقها برومانيا أما من جهة الجنوب فانه يبتدىء من مصب النهر ويمر من جوار القرى المسماة (هوجج كوي) و (سلامكوي) و (ابواجق) و (قوليه) و (صوحياق) على شاطئ النهر الى جهة فوق الحاذية لوادى (قاجق) ومن جنوب (بلييه) و (كجالحق) على بعد من (جنكه) مقدار مترين ونصف ويتجاوز (دلي قاجي) ويمر من شمال (حاجي محله) ويصعد الى ذروة المحل السكائن فيما بين (تيكناك) و (ايدوس بره سا) ومنه الى بلقان قرين اباد (وبلقان) (ويده زويقه) ومن بلقان (قرغان) الواقع في شمال المحل المسمى (قوتل) الى أن يتصل بمحل (نيمورقبو) وعلى هذا يكون مروره من سلسلة البلقان الكبير الاصلية ويمتد على جميع مساحته الى أن ينتهي الى ذروة (قوز يته) ومن هنا يترك ذروة البلقان وبلغت الى جهة الجنوب ويسير من بين قريتي (بيرتوب) و (دوزنجي) ويغادر قرية (بيرتوب) المذكورة الى البلغار وقرية دوزنجي الى شرق الروم ايلي ويتصل بنهر (طوزلي دره) ويسير مع مجرى النهر الى مصبه في نهر (طوبولينجه) ثم الى نهر (اسموسكيو) الذي يصب في نهر طوبولينجه المذكور بجوار قرية (بترنجوه) ويترك من الاراضي السكائنة في نهر اسموسكيو المذكور مقدار كيلو متر و ٢ الى شرق الروم ايلي ويمر من مقسم المياه فيما بين اسموسكيو ونهر (قامنيقه) وبلغت الى الجنوب الغربي من التل المسمى (وونجاق) وينتهي رأساً الى النقطة المذكورة في خريطة أركان حرب دولة اوستريا عدد ٨٧٥ ومن هنا يقطع بخط مستقيم الجهة العليا من وادي اتمان ويمر من بين بوغدينه و (قره ولى) ويتصل بالخط في مقسم أنهر المريج فيما بين اسقر وقرلى وحاجيار ويسير مع الخط المذكور من تلال و (لنيا) و (موغيا) الى الممر الواقع في نقطة عدد ٥٣١ والى المحلات المسماة (ازمايلقا) و (رهوسوماتيقه) ويدخل من بين (سيورى طاش) و (قادرته) ويتصل بحدود لواء صوفيه ومن هنا يبتدىء من (قادرته) الى جهة الجنوب الغربى ويمر من بين نهر قره صو ونهر (استروماقره صو) ويسير مع خط مقسم المياه ومن تلال الجبال المسماة (تيمورقبو) و (اسقوفنيه) و (قاضي مسار بلقان) و (حاجي كدك) تجاه بلقان قابتنبيق ويتصل بحدود لواء صوفيه القديمة وكذلك يمر من بلقان قابتنبيق المذكور ومن بين وادى (ريستقارقا) و وادى (بستقارقا) ويسير مع خط



وملك بوهيميا وملك هنكاليا وحضرة رئيس جمهورية فرنسا وحضرة ملك ايطاليا وحضرة امپراطور جميع روسيا يريدون لاجل اقرار الراحة العامة في اوروبا انهاء المسائل التي ظهرت في الشرق بسبب تعقبات الاحوال فيها في هذه السنين الثلاث وبسبب الحرب التي اعمتها معاهدة ايسطفانوس استقر رأيهم جميعا على عقد مؤتمر يكون احسن الوسائل لاجل الاتفاق بحسب ما تقرر في معاهدة ايسطفانوس وبناء على ذلك عينت الذوات الملوكية المشار اليهم وحضرة رئيس جمهورية فرنسا مرخصين وهم

حضرة ملكة مملكة بريطانيا العظمى وارلانده وامپراطورة الهند عينت الاونورابل بنيامين دزرائيلي الذي هو كبير وزراء انكلترا والاونورابل روبرت ارثر تالبت عاسكون سيسل مركيز سالسبورى الذي هو ناظر خارجية انكلترا والاونورابل لورد اودوليم ليوبولدوسل الذي هو سفير من الطبقة الاولى لانكلترا لدى حضرة امپراطور جرمانيا وملك بروسيا

وعين حضرة امپراطور جرمانيا وملك بروسيا البرنس بسمارك كبير الوزراء في بروسيا ورنارد ارنست دوبولوى مستشار الخارجية والبرنس هو هنلوه شلنغن فورست سفير ألمانيا لدى رئيس جمهورية فرنسا

وعين حضرة امپراطور اوستريا وملك بوهيميا وملك هنكاليا الكونت اندراسى وزيره الخاص ووزيره في الامور الخارجية والكونت لويس كاروليني سفيره لدى امپراطورة جرمانيا وملك بروسيا والبارون هنرى دوهامبول سفيره لدى ملك ايطاليا وعين حضرة رئيس جمهورية فرنسا مونسيو وليم هنرى وانجبتون أحد أعضاء مجلس الاعيان ووزيره في الامور الخارجية وشارلس رايغوند كونت دوصان فاليه من أعضاء مجلس الاعيان وسفير فرنسا لدى امپراطور جرمانيا وملك بروسيا وفيالكس دسيرز المكلف بادارة الامور السياسية في دائرة الخارجية

وعين حضرة ملك ايطاليا الكونت لويس كورتى أحد أعضاء مجلس الاعيان ووزيره في الامور الخارجية وادورد كونت دولوني سفيره لدى امپراطور جرمانيا وملك بروسيا وعين امپراطور جميع روسيا البرنس الكسندر غورجيف وزيره في الامور الخارجية والكونت دوشوفالوف من قراء الحضرة الامپراطورية ومن أعضاء المجلس الخاص وسفيره لدى دولة بريطانيا وول دوبريل سفيره لدى امپراطور جرمانيا وملك بروسيا وعين حضرة سلطان العثمانيين الكسندر قره تيودورى باشا وزيره في الامور النافعة ومحمد على باشا المشير في عساكره وسعد الله بك سفيره لدى امپراطور جرمانيا وملك بروسيا فاجتمعوا في برلين بحسب اشارة دولة اوستريا وهنكاليا وبموجب استدعاء دولة جرمانيا ومعهم سائر المحررات المؤذنة بالترخيص فبعد ان وجدت مطابقة للاصول وقع بينهم الاتفاق على المواد الاتية



وفي الجلسة الخامسة عشرة المنعقدة في ٨ منه تداول المؤتمر في وجوب تنازل الدولة العلية عن وادى قوتور لبلاد المعجم وتم اتفاق أعضائه على مسألة الارمن وتحسدت تخوم رومانيا والصرب والبلغار والروملى الشرقية واستمرت المناقشة في مسألة الطوائف الغير اسلامية الاخرى وتبودلت الآراء في الطرق الواجب اتخاذها لتنفيذ قرارات هذا المؤتمر وفي الجلسة السادسة عشرة المنعقدة في ٩ منه استمرت المداولة في اعطاء قوتور للمعجم وفي طرق تنفيذ قرارات المؤتمر وتنوقش في تحديد سنجق صوفيا وفي كيفية تحرير المعاهدة النهائية

وفي الجلسة السابعة عشرة المنعقدة في يوم ١٠ منه تحسدت تخوم الروسيا في جنوب باطوم وحصلت المسكلمة في اخلاء الاراضى الباقية للدولة من الجيوش الاجنبية وغرض مشروع قاض يجعل مضيق شيبكا المشهور خراً غير تابع لدولة أو امارة ليقام فيه بناء لدفن كل من قتل فيه من الجنود وجددت المداولة في الطرق الضامنة نفاذ هذه القرارات وتلى جزء من مشروع المعاهدة المراد التوقيع عليها

وفي الجلسة الثامنة عشرة المنعقدة في يوم ١١ منه استمرت المداولات في طرق تنفيذ المعاهدة وتلى جزء من مشروعها وتحسدت تخوم الروسيا من جهة آسيا وسمعت اقترحات انكثرا بالنسبة لبوغازى البوسفور والدردنيل وتبودلت الآراء فيما كانت تدفعه الصرب ورومانيا من الجزية التقدية وفي توزيع دين الدولة العلية العمومى وفي ارسال لجنة أوروية لتسكين الثورة في البلغار

وفي الجلسة التاسعة عشرة المنعقدة في يوم ١٢ منه تلى جواب الروسيا على اقترحات انكثرا المختصة بالبوغازين وتمت تلاوة المعاهدة

وفي الجلسة التهمة للعشرين المنعقدة في يوم ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ الموافق ١٠ رجب سنة ١٢٩٥ وقع جميع المندوبين على صورة المعاهدة النهائية وكان توقيعهم باعتبار ترتيب حروف المعجم الافرنكى من أول اسم كل دولة من الدول العظام بان وقع أولا مندوبو ألمانيا ثم النمسا والمجر ثم فرنسا ثم بريطانيا العظمى ثم ايطاليا ثم الروسيا ثم الدولة العثمانية وقد جمعت محاضر هذه الجلسات باجمعها ونشرت في الكتاب الازرق الانكليزى في مجلد لا ينقص عدد صفحاته عن ٢٥ فعلى من أراد الوقوف على ما حصل فيها تفصيلا من المناقشات والمداولات الاطلاع عليها حيث يجد بها ما يشفى غليله ويقف على آراء الدول أجمع فيما يختص بالمسألة الشرقية واليك نص معاهدة برلين نقلا عن مجموعة الجوائب

بسم الله القادر على كل شيء

لما كان حضرة سلطان العثمانيين وحضرة ملك مملكة بريطانيا العظيمة وارلانده وامباطورة الهند وحضرة امباطور جرمانيا وملك بروسيا وحضرة امباطور اوستريا

في آخرها اللورد بيكونسفيلد أن تسحب روسيا عساكرها من ضواحي الاستانة فعارضه  
البرنس غورشا كوف وطلب انسحاب الدونامة الانكازية أولاً من مياة البوسفور  
واشتد الخلاف بينهما اشتداداً كاد يفضي الى عدم نجاح المؤتمر لولا تدخل البرنس بسمارك  
بحكمته وتقريره ان هذه مسألة يجب الاتفاق عليها بين روسيا وانكلترا خارجا عن المؤتمر  
فانتهى الاشكال ويظهر انه لم تحصل مكالمة بهذا الشأن فيما بعد لقاء الجيوش والدونامة  
في مركزيهما وفي الجلسة الثانية المنعقدة في ١٧ يونيو عرض المركز دي سالسبورى على  
المؤتمر قبول مندوبى اليونان وتنوقش في حدود امارة البلغار

وفي الجلسة الثالثة المنعقدة في ١٩ منه تنوقش في مسألة قبول مندوبى اليونان في  
المؤتمر

وفي الرابعة والخامسة والسادسة المنعقدة في ٢٢ و ٢٤ و ٢٥ منه استمرت المناقشة  
في مسألة البلغار

وفي السابعة المنعقدة في ٢٦ منه تمت المناقشة في مسألة البلغار وتنوقش في حدود  
الصرب

وفي الثامنة المنعقدة في ٢٨ منه تداول المؤتمر في احتلال دولة اوستريا والمجر لولايتى  
البوسنه والهرسك وتوسيع حدود الصرب والجبل الاسود

وفي التاسعة المنعقدة في ٢٩ منه حصلت المداولة فيما يختص بمملكة اليونان والولايات  
اليونانية الباقية للدولة العلية وولاية الرومللى الشرقية

وفي العاشرة المنعقدة في أول يوليو استمرت المناقشة في الرومللى الشرقية

وفي الحادية عشرة المنعقدة في ٢ منه تداول المؤتمر في حرية الملاحة في نهر الطونة وفيما  
يختص بالحصون والمعازل القائمة على ضفتيه وفي الغرامة الحربية

وفي الثانية عشرة المنعقدة في ٤ منه اعترض مندوبو الدولة العلية على احتلال دولة  
اوستريا والمجر لاقليمى البوسنه والهرسك وتحددت امارة الجبل الاسود واستمرت

المداولة بمسئلة نهر الطونة وابتدأت المناقشة في مسائل الطوائف الدينية الغير اسلامية عموماً  
ومسئلة الارمن خصوصاً

وفي الجلسة الثالثة عشرة المنعقدة في ٥ منه تداول المجلس في توسيع حدود مملكة  
اليونان وبقاء امتيازات قبائل المرديت

وفي الرابعة عشرة المنعقدة في ٦ منه تنوقش في وجوب قبول مندوب العجم وسماع  
أقواله في حدود روسيا من جهة آسيا وفي مسألة الارمن والبوغازات (البوسفور

والدردينيل) وجلاء العساكر الروسية عن الولايات المحتلة لها وروبا وآسيا وفي البند الخامس  
عشر في معاهدة سان اسطفانوس المختص بالاصلاحات المراد اجراؤها لتحسين حالة المسيحيين

الباقين تحت حكم سلطان العثمانيين

سادساً ﴿ إذا كانت روسيا تعيد الى تركيا قارص أو بقيمة الجهات التي انتصرت عليها ودخلت في حوزتها في ارمينيا في الحرب الاخيرة تخلى انكلا ترا جزيرة قبرص فتكون المعاهدة المذكورة الممضاة في ٤ جون منسوخة وملغاة الاجراء تحريراً في قسطنطينية في ١ جولاي ( تموز ) سنة ١٨٧٨

الامضا ١ . هـ . ليارد

صفحات

ومن الغريب ان خبر هذه المعاهدة لم يشع الا في ٧ يوليو لما أشرفت أعمال مؤتمر برلين على النهاية وكنتم انكلا ترا خبرها بكل اجتهاد ولم تعرضها على البرلمان الا بعد ان تحققت ان العلم بها أصبح لا يضر بسير مداولات المؤتمر ولا يتسبب لندوب الدول الاعتراض عليها خوفاً من انقصام عرى المؤتمر ورجوع الامور الى ما كانت عليه من الشدة واقترب الحرب وكذلك أخفت الاتفاق الذي أمضى بينها وبين روسيا في ٣٠ مايو الى ان اجتمع المؤتمر كما سيأتي

هذاولما أبلغت انكلا ترا البرنس بسمارك انها قد اتفقت مع روسيا ولو لم تطلعه رسمياً على صورة الاتفاق دعا بسمارك كافة الدول العظام لتغرافياً في ٣ يونيو سنة ١٨٧٨ لارسال مندوبهم للاجتماع في برلين في يوم ١٣ يونيو وأجابت الدول بالقبول في اليوم نفسه أو في صبيحة اليوم التالي واشترطت فرنسا في قبولها عدم تعرض المؤتمر للمسائل التي لم ينص عنها في معاهدة سان اسطفانوس وخصصت بالذكر القطر المصري وبلاد الشام وفي يوم ١٣ يونيو انعقد المؤتمر تحت رئاسة البرنس دي بسمارك وعضوية كل من السياسيين المذكورة أسماؤهم في أول المعاهدة وأرسلت بعض الامم ذوات الشأن مندوبين من طرفها لتقديم طلباتها ورغباتها الى المؤتمر ولو لم يكن مصرح لهم بحضور الجلسات الا اذا طلبوا للاستفتاء منهم عن بعض أمور تخص من أرسلهم فأرسلت حكومة رومانيا الميسيو براسيانو والميسيو كوجولنيسيانو وأرسلت الصرب الميسيو رستيش وأتاب أمير الجبل الاسود البرنس بيتروفتش والميسيو رادوفتش وحكومة اليونان الميسيو دلياني والميسيو رنجابي وكذلك طائفتا الارمن واليهود وشاه العجم الذي أرسل الى برلين أحد سفراء دولته ليدافع عما قرر اعطاؤه اليه في معاهدة سان اسطفانوس

وفي أول جلسة قدّم مندوبو الدول العظام الاوراق المؤذنة بتعيينهم وقرر المؤتمر بعض الاجراءات الابتدائية مثل تعيين الكتبة وكاتب السر وحافظ الاوراق الى غير ذلك ثم توالى جلساته الى يوم ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ أي مدة شهر كامل انعقد المؤتمر في خلاله عشرين مرة وليكون المطالع على بيئة مما حصل في هذه الجلسات نذكر له ما حصلت فيه الدولة في كل جلسة من الامور المطروحة أمامه بكل اختصار

ففي الجلسة الاولى عين الرئيس وباقي موظفي المؤتمر وتليت بعض خطب شكروثناء وطلب

كما تقرر أمرها في المعاهدة الصلحية الباتة فان انكاثرا تتعهد بان تتحد مع الحضرة العلية السلطانية لحماية تلك الاراضي بقوة السلاح وفي مقابلة ذلك تعدا الحضرة السلطانية انكاثرا بان تجري في ممالكها الاصلاحات اللازمة التي سيحصل الاتفاق بعد هذا بينهما على كيفية اجرائها وان تحمي المسيحيين وغيرهم من رعيتهما القاطنين في بلادها ولغاية تمكين انكاثرا من اتخاذ الوسائط والتدابير اللازمة لاجراء ما تعهد به رضى السلطان المعظم بان انكاثرا تستولى على جزيرة قبرص وتدير أمورها

﴿ المادة الثانية ﴾ تجديد امضاء هذه المعاهدة من طرف الدولتين المذكورتين يكون بعد تاريخ امضاء هذا بشهر واحد أو أقل اذا أمكن وقد صار امضاء هذه المعاهدة وختمها في قسطنطينية في الرابع من شهر جون الافرنكي من سنة ١٨٧٨  
الامضاء ا . ه . ليارد

صفوت

قد حصل الاتفاق بين كل من الانورابل سراوستن هنرى ليارد وحضرة نخامتلو دولتو صفوت باشا الصدر الاعظم للحضرة العلية السلطانية حالة كونهما مرخصين من دولتهما على تذليل المعاهدة المذكورة التي أمضيت في ٤ جون سنة ١٨٧٨ صار من المعلوم بين الدولتين المذكورتين بان دولة انكاثرا رضيت بالشروط الاتية فيما يتعلق بالاستيلاء على قبرص وادارتها

﴿ أولاً ﴾ يبقى في الجزيرة محكمة شرعية يناط لعهدها النظر في متعلقات المصالح الدينية التي تخص مسلمي الجزيرة لا غير  
﴿ ثانياً ﴾ ان نظارة الاوقاف بالاستانة تعين أحد المأمورين المسلمين ليقم في الجزيرة لينظر باتفاقه مع مأمور تعينه دولة انكاثرا على ادارة الاملاك والعقارات والجوامع والمساجد والمقابر والمدارس والمكاتب وغيرها من الادارة الدينية في الجزيرة

﴿ ثالثاً ﴾ ان دولة انكاثرا تدفع الى الباب العالي الزائد من ايراد الجزيرة بعد أداء مصاريفها وهذه الزيادة تعتبر بمناسبة الزيادة التي تحصلت في الجزيرة في السنين الخمس الماضية وقدرها سنوى ٢٢٩٣٦ كيساً ( ١١٤٦٨٠ ليرة عثمانية ) وبعد هذا يبالغ في تحقيقها ويستثنى من ذلك ايراد الاملاك الميرية التي تباع أو تؤجر في المدة المذكورة  
﴿ رابعاً ﴾ يسوغ للباب العالي أن يبيع أو يؤجر بدون مانع الاملاك أو الاراضي وغيرها من العقارات التي هي أملاك ميرية أو أملاك هايونية التي ايرادها غير داخل ضمن ايراد الجزيرة

﴿ خامساً ﴾ يسوغ لمأموري دولة انكاثرا في الجزيرة أن يشتروا جبراً بأسعار مناسبة الاراضي أو الاملاك التي يرون شراءها لازماً لاجراء أشغال نافعة



كانت بعيدة لكن لما كانت طريق مصر والسويس أخصر الطرق الموصلة لهندها  
العزيرة احتلت بوزاج جبل طارق فسادت على الجزء الغربي من البحر الأبيض المتوسط  
ثم باحتلالها جزيرة مالطة سادت على الجزء الأوسط منه وكان إذاً من الحتم عليها احتلال  
أحدى النقط المهمة في شرق هذا البحر لتسود عليه من جميع أطرافه وتجعله بحيرة  
انكليزية ولما رأت ارتباك الدولة العلية بعد هذه الحرب التي كان يمكن لدول أوروبا  
منعها لو اتبعوا نصوص معاهدة باريس وكانوا لها مخلصين أرادت انتهاز هذه الفرصة  
العديمة المثال لاخذ هذه الجزيرة لتكون على مقربة من بوزاج السويس واسكندرية  
مصر من جهة ولبنيا اسكندرونة التي في عزمها انشاء خط حديدى منها الى خليج فارس  
لتتقيص المسافة بينها وبين مستعمراتها الهندية من جهة أخرى وقد تم لها ذلك بحسن  
سياستها وحذق رجالها واحتياج الدولة لمساعدتها في هذه الظروف الخطيرة ولم تحدد  
انكارتا في هذا الاتفاق ميعاداً لجلائها عنها ثم في أول يوليو أثناء انعقاد مؤتمر برلين اتفقت  
انكارتا مع الباب العالي على اضافة ذيل الى اتفاق ٤ يونيو يبين فيه كيفية ادارة الجزيرة  
والخراج الذى يدفع عنها وحددت أجل خروجها منها تحديداً جعلت به احتلالها أبدياً  
اذ انما علق خروجها منها على خروج روسيا من مدينتى باطوم وقارص اللتين أضيفتا  
الى أملاك روسيا اضافة قطعية فصار احتلال قبرص بذلك احتلالاً قطعياً ومع  
ذلك أى ضمان لدى الدولة العلية على خروج الانكاز من قبرص لأخلت روسياها تين  
المدينتين أو احدهما مع استحالة ذلك تقريباً واليك نص معاهدة ٤ يونيو سنة ١٨٧٨  
نقلاً عن مجموعة الجوائب

لما كان كل من ملكة مملكة بريطانيا وارلانده المتحدة وامبراطورة الهند وجناب  
السلطان المعظم متصفين بينهما بالمقاصد الودادية لاحكام وتوسيع العلاقة الحبية  
السائدة الآن بين السلطنتين جزماً بعقد معاهدة دفاعية لتأمين الاراضى فى آسيا  
(الاناطول) فيما بعد التى تخص الحضرة العلية السلطانية وبناء على هذه الغاية اتحبا  
وعينا المرخصين الاتى بيمانها

عينت ملكة مملكة بريطانيا وارلانده المتحدة وامبراطورة الهند حضرة الانور ابل  
وستين هنرى ليارد سفيرها الاعلى لدى الباب العالي  
وعينت الحضرة العلية السلطانية حضرة دولتو صفوت باشا ناظر الخارجية للدولة  
العلية

وبعد ان أظهر كل منهما المحررات المرخصة لهما فى اجراء هذه المصاحبة ووجدت  
مطابقة للاصول اتفقا على المواد الآتية

المادة الاولى \* اذا كانت روسيا تستولى على باطوم أو أردهان أو قارص أو احدها  
وأرادت بعد ذلك أن تستولى على بعض الاراضى السائدة فى آسيا التابعة للحضرة السلطانية

واللورد سالسبورى على ما تريد انكثرا ادخاله على معاهدة سان اسطفانوس من التعديلات وحررت بذلك لائحة أمضى عليها الفريقان وأضيف عليها ذيل بناء على طلب النمسا الى سبق عرض هذا الاتفاق عليها قبل التوقيع عليه ويظهر من الاطلاع على هاتين الورقتين الرسميتين أن انكثرا صادقت على أهم شروط معاهدة سان اسطفانوس وقبلت تشكيل اماره البلغار الجديدة بعد تقليل مساحتها وتشكيل الجزء الجنوبي منها بهيئة ولاية مستقلة تقريبا لا تلبث أن تنضم الى اماره البلغار وأبقت سواحل بحر الروم تابعين للدولة العلية بما فيها مدينة قوله خوفا من أن تتخذها روسيا مع الزمن مرسى لراكبها وهو الامر الذى تسعى انكثرا جهدها فى منعه حفظا لسيادتها على البحار

احتلال انجلترا  
جزيرة قبرص

لكنها مع ذلك لم تسكن مطمئنة البال مرناحة الليل من قوة الروسية بل لم تنزل تخشى تقدمها نحو الاستانة مرة أخرى أو نحو بلاد الاناطول فتمتلك منابع نهري الفرات والدجلة ثم تسير شيئا فشيئا الى الجنوب متبعة بحرى هذين النهرين العظيمين فتصل الى بغداد فالبصرة فخليج فارس الموصل لبحر الهند ولذلك ظهرت للدولة العلية في مظهر الصديق المخلص وكتبت الى الميسو (ليارد) سفيرها بالاستانة فى أتمال الفكرة للوصول الى اقناع الباب العالي بوجود ابرام معاهدة دفاعية مع حكومة انكثرا لصدد روسيا لو تقدمت نحو بلاد الاناطول ويتعهد الباب العالي حكومة جلالة الملكة باجراء الاصلاحات اللازمة لتحسين حال المسيحيين بهذه الجهات حتى لا يميلوا للروسيا ولا يقبلوا عساكرها بصفة منتدبين كما حصل فى بلاد البلغار وأن تسمح الدولة العلية لانكثرا باحتلال جزيرة قبرص وادارة شؤونها لتكون على مقربة من حدود روسيا ويتسنى لها صدد هجماتها لو مست الحاجة وتعدت الجيوش الروسية الحدود التى ستحددها فى مؤتمر برلين المزمع انعقاده قريبا فقام المستر ليارد بهذه المأمورية ور بما كانت ابتدأت المخبرات بهذا الشأن قبل ذلك حتى لم يأت يوم ٤ يونيو سنة ١٨٧٨ الذى تولى فيه صفوت باشا منصب الصدارة العظمى كما مرفى موضعه الا وتم الاتفاق على هذه المعاهدة الدفاعية وقبل الباب العالي تسليم انكثرا جزيرة قبرص غنيمة باردة اعتماداً على وعد هيات أن تقوم به انكثرا لو دعت الضرورة الا ان وجود الاضطراب بالاستانة والخوف من احتلال الروس وظروف الحال هوتت على الدولة قبول هذا الاقتراح وتضحية هذه الجزيرة رغبة فى حفظ باقى أملاكها وتعديل معاهدة سان اسطفانوس بكيفية أرجح لصالحها أما صالح انكثرا فى احتلال هذه الجزيرة فظاهر لمن له أقل اطلاع على الماكرات السياسية وسياسة انكثرا الاستعمارية وعلى موقع الجزيرة المذكورة فلا يخفى أن الهند بالنسبة لانكثرا بمنزلة الروح من الجسد وسياستها دائرة على حفظ هذه المستعمرة من التعدي وحفظ الطرق المؤدية لها باحتلالها اقليم رأس الرجاء الصالح فى طرف أفريقيا الجنوبية صارت آمنة على هذا الطريق وان

إبريل أجاب البرنس غورشا كوف على لائحة سالسبورى بمشور أرسله الى جميع سفراء دولته لدى الدول العظام وكلفهم بتبليغه اليها فى أقرب وقت وأرفق هذا المنشور بلائحة دحض فيها جميع اعتراضات اللورد سالسبورى على معاهدة سان اسطفانوس مراعىا فى ذلك صالح روسيا تاركا باقى المصالح ظهريا

وبعد ذلك انقطعت المخبرات وأخذ كل من الفريقين يستعد للحرب وأحضرت انكلترا الى مالطة عدة أليات من الجنود وكانوا لم يسبق لهم الحضور لاوروبا قبل هذه الدفعة واشتغلت روسيا باخمادهيجان مسامى البلغار الذين أخذوا يؤذون كل من يعثروا به من جنود روسيا ويدافعون عن أنفسهم ضد تعديات مسيحيي البلغار ويقاتلونهم مثل مايرتكبه البلغاريون معهم من أنواع التعدي والظلم اعتماداً على مساعدة الروس لهم ولاحتماء هؤلاء الوطنيين فى الجبال صعب على روسيا قمعهم فامتدت هذه الحركات الثورية الى جميع جهات البلغار وضواحي صوفيا الى حدود الصرب واستمر الحال على هذا المنوال الى أواخر شهر مايو والجنود الروسية محتلة جميع ضواحي الاستانة والمراكب الانكليزية أمامها من جهة البحر ولما أقبل فصل الصيف فشت الأمراض بين عساكر العدو ومات منهم عدد كثير فلهم هذه الأسباب ولضروب خزينة روسيا وعدم امكانها احتمال هذه الحالة التى وان لم تكن حالة حرب بالمرّة فلم تكن أيضاً حالة سلمية ولمناسبة اشتداد المرض على البرنس غورشا كوف وزير روسيا الاول استقل الامبراطور بسياسة بلاده وكتب الى خاله غليوم الاول (١) امبراطور ألمانيا بالمناخبة على التوسط بينه وبين انكلترا للوصول الى وضع حد لهذه الحالة الغير مرضية التى لو استمرت لجهت روسيا على شفا الا فلاس وأوعز الى الميسو وشوفالوف سفيره بلوندره بأن يفتح اللورد سالسبورى بأنه مستعد للتساهل مع انكلترا مبدئياً فى نظر جميع بنوده معاهدة سان اسطفانوس الا أنه يود أن يعلم قبلا ما تريد انكلترا ادخاله عليها من التعديلات حتى تكون على بينة من الامر قبل ارسال مندوبها الى المؤتمر

فجددت المخبرات وانقشعت الغيوم المتراكمة فى جو أوروبا السياسى وبعد أن توجه الميسو وشوفالوف الى سان بطرسبورج للمفاوضة مع أرباب السياسة هناك وعرض طلبات انكلترا عليهم شفاها اذ أن المسكبات ربما تكون نتيجتها تأخير هذه الحالة السيئة عاد الى لوندريه وفى ٣٠ مايو سنة ١٨٧٨ تم الاتفاق بين هذا السفير

(١) ولد هذا الامبراطور سنة ١٧٩٧ وعين وصيا على أخيه فريدريك غليوم الرابع حين أصيب بضعف قواه العقلية سنة ١٨٥٧ ثم عين ملكا على بروسيا بعد موت أخيه المذكور فى سنة ١٨٦١ وحارب الدانمارك سنة ١٨٦٢ والنمسا سنة ١٨٦٦ وانتصر عليها فى واقعة (سادوا) وفى سنة ١٨٧٠ حارب فرنسا الحرب المشهورة وفاز على نابليون الثالث فى سيدان فى أول سبتمبر سنة ١٨٧٠ وفى ١٨ يناير سنة ١٨٧١ توج امبراطورا على ألمانيا بسرائى فرساي بضواحي باريس أثناء حصار هذه المدينة وفى اكتوبر من السنة المذكورة أمضى معاهدة فرانكفورت التى أخذ بمقتضاها اقليمى الايزاس واللورين وكان من أكبر مساعدته فى هذه الامور البرنس دى بهمارك والدوك دى مولتك وتوفى سنة ١٨٨٨



مختصة بمنفعة عمومية أوروية أولا وعارضت الروسية في هذا الاشتراط ودارت المخابرات بينهما والنمسا للتوفيق بين الطرفين واشتدت العلاقات بين روسيا وانكلترا وأخذت هذه تستعد للحرب وعينت اللورد ناير أوف مجدلا قائد أعاما للجيش البرية واللورد واسلي (١) رئيساً لأركان حربها وأمرت بجمع الرديف واستعداد المراكب الحربية واشترت أربع مدرعات كانت أوصت عليها بعض الدول في معاملها وجمعت أغلب سفنها الحربية في جزيرة مالطة لتكون على مقربة من الاستانة وكذلك أمرت باحضار عدد ليس بقليل من جيوشها الهندية الى هذه الجزيرة للغاية نفسها ذلك مادعا اللورد دربي وزير الخارجية الى تقديم استعفاؤه بما انه كان ميالا لسياسة الملاينة معارضا لكل ما من شأنه ازدياد النفور بين دولته والروسيا اخلاقا للورد بيكونسفيلد (٢) كبير الوزراء وباقي زملائه ولما قبل استعفاؤه عين اللورد سالسبوري وزيراً للخارجية وكان أشد الناس ميالا لأكراه الروسية على تعديل معاهدة سان اسطفانوس ولو بالقوة لاضرارها بالمصالح الانكليزية وفي صبيحة تعيينه أى في اليوم الاول من شهر ابريل سنة ١٨٧٨ أرسل الى جميع سفراء انكلترا لدى الدول العظام منشوراً بين فيه مضار المعاهدة المذكورة وأوجه خللها وضرورة نظرها برمتها في مؤتمر دولي وكانت هذه النشرة سبباً لعدم نجاح مأمورية التجوال اغتاتيف في ويانه وكان أرسل اليها للسعي في الاتفاق مع النمسا على عدم اشتراكها مع انكلترا لو انتشبت الحزب بينها وبين الروسية بسبب معاهدة سان اسطفانوس وهي أى الروسية تعهد لها باعطائها اقليمى اليوسنه والموسك فلما رأت النمسا من انكلترا هذا الثبات والاستعداد للحرب برأ وبجراً لم تحب مندوب الروسية بجواب شاف حتى ترى ما تنقضي السياسة الانكليزية بعرضه عليها فتتجاوز الى الطريق الذي تكون سياسته أكثر ملائمة لمصالحها الخصوصي

وحينما وصل منشور اللورد سالسبوري الى سان بطرسبورج وعرض السفير الانكليزي صورته على البرنس غورشا كوف أخذ يفكر في طريقة للتخلص من هذه المشكلة بدون وصول الى الحرب والقتال مع استمرار الاستعداد له اذا دعت الحاجة واكتب كثير من البلديات وأغنياء الروس بل وعموم الاهالي بمبالغ وافرة لانشاء عمارة بحرية وتسليح المراكب التجارية بالمدافع للقبض على سفن انكلترا التجارية والاضرار بمصالحها ثم في

(١) اللورد ناير هو الذي حارب طيودوس ملك الحبش وفتح حصن مجدلا الشهير فأضيف الى اسمه تذكراً لآلتصاره وأما اللورد واسلي فهو الذي حارب العراقيين في التل الكبير واتصر عليهم في سبتمبر سنة ١٨٨٢ (٢) سياسي انكليزي شهير ولد سنة ١٨٠٥ واشتغل أولاً بتأليف الروايات ثم بالكتابة في الجرائد وأخيراً ترشح للانتخاب فدخل مجلس العموم وامتاز فيه بالبراعة في الخطابة وكان من حزب المحافظين ثم دخل في الوزارة وعين وزيراً للمالية في سنة ١٨٥٢ و١٨٥٩ و١٨٦٦ وصار رئيساً لحزب المحافظين بعد موت اللورد دربي وعين رئيساً للوزارة في سنة ١٨٦٨ ثم خلفه غلاستون وحده الى رئاسته ماينا سنة ١٨٧٤ وبقي الى سنة ١٨٨٠ وحضر مؤتمر برلين في سنة ١٨٧٨ وتوفي سنة ١٨٨٦ وصار بعده اللورد سالسبوري رئيساً لحزب المحافظين ولم يزل كذلك حتى الان



جيوشها ستحتلها مدة سنتين وهيئات ان أخلتها بعد هذا الميعاد  
أما انككترا فكانت أكثر الدول تخوفاً من نتائج هذه المعاهدة لوجود عساكر روسيا  
على مقربة من بوغاز البوسفور وخوفاً من ازدياد نفوذ روسيا في الهند بعد ظهورها على  
الدولة العلية

ولذا كانت أشد معارضة من غيرها في معاهدة سان اسطفتوس وتودّ تعديلها رغماً  
عن روسيا لتظهر أمام الهنود بمظهر القوة والباس ونفوذ الكلمة في أوروبا بما أن سلطتها  
على بلاد الهند مبنية على الوهم أكثر من قوة السلاح ومعارضة النمسا كان سببها رغبةا  
في مشاركة روسيا في بقايا دولة الاسلام بأوروبا باحتلالها اقليمى البوسنة والهرسك  
ليكون لها بذلك سبيل في المستقبل الى الاستيلاء على مينا سلافيا الضرورية لها لعدم  
وجود مين بحرية لمملكته اسوى مدينة ( تريسته ) التي تدعى ايطاليا أحقيتها فيها وتطمح  
أظهارها الى احتلالها يوماً ما

أما ألمانيا فكانت مساعدة أديا للروسيا ويقال انها عرضت على النمسا احتلال  
البوسنة والهرسك برضا روسيا لكنها رفضت هذا الاحتلال ما لم يكن بقبول جميع الدول  
اذا أنها كانت ترى احتلالها لهما بدون رضا الباب العالي وباقي الدول يسبب لها عراقيل  
كثيرة في المستقبل وكانت فرنسا على الحيادة المطلقة لقرب انخراطها في حرب البروسيا  
وميلها الى السكون لتعويض ما فقدته من المال والرجال في هذه الحرب المشؤمة  
وكذلك ايطاليا لم يكن لها صالح في هذه المسئلة ولا تودّ الاشتباك في حرب أوروبية  
لقرب عهد تمام استعلائها وسعيها في تقوية وحدتها السياسية فيتضح من ذلك ان المعارضة  
كانت منحصرة أولاً في انككترا لاحقاً في الدولة العلية الاسلامية بل خوفاً على نفوذها  
في الهند وثانياً في النمسا لعدم اشتراكها في منافع هذه المعاهدة

ولهذه الاسباب كانت انككترا أول منبه للروسيا على ان كل شرط يتفق عليه بينها  
وبين الدولة ويكون مخالفاً لنصوص معاهدة سنة ١٨٥٦ المبرمة في باريس أو يختص  
بمنفعة عمومية أوروبية لا يعمل به الا بعد تصديق الدول الضامنة لمعاهدة باريس المذكورة  
وكتبت بهذا المعنى الى الحكومة الروسية بتاريخ ١٤ و ٢٩ يناير سنة ١٨٧٨ أى  
قبل التوقيع على الاتفاقيات التي أمضيت في مدينة أدرنه في ٣١ من الشهر المذكور بين  
الدولة والروسيا وقبلت بكل انشراح اقتراح النمسا في ٥ فبراير القاضي باجتماع مؤتمر دولي  
في مدينة بادن للنظر في اتفاقيات أدرنه كما سبق في موضعه

ثم في ٧ مارث دعت النمسا جميع الدول ثانية لعقد مؤتمر في مدينة برلين للغاية نفسها  
واختارت برلين ليكون المؤتمر تحت رئاسة الرئيس بسمارك المعضد لها على احتلال البوسنة  
والهرسك فقبلت الدول هذه الدعوة الا انككترا فانها علقت قبولها على أن يكون من  
اختصاص المؤتمر المزمع انعقاده النظر في جميع بنود معاهدة سان اسطفتوس سواء كانت

## (محل الامضا)

كونت اغنائيف صفوت نليدوف سعد الله

ان معاهدة مقدمة الصلح التي صار امضاؤها في هذا اليوم أعنى ١٩ شباط و٣ ادار سنة ١٨٧٨ قد حصل سهو بها في الجملة الاخيرة من المادة الحادية عشرة فلذلك زيدت العبارة الآتية واعتبرت جزءاً متمماً للمعاهدة المذكورة وهي ( ان الذين يقيمون أو يسبحون في الممالك العثمانية من أهالي البلغارستان يكونون تابعين للقوانين العثمانية )  
ايستفانوس في ١٩ شباط و٣ ادار سنة ١٨٧٨

صفوت اغنائيف سعد الله نليدوف

ومن تأمل الى خريطة الدولة العلية يتضح له ان الروسية قد مدت تركية أوروبا بأجمعها تقريباً من العالم السياسي ولم يبق للدولة بها إلا أربع قطع صغيرة لا اتصال بين ثلاثة منها إلا بطريق البحر ولا بين الثالثة والرابعة إلا بطريق ضيقة تمر بين أراضي الصرب والجبل الاسود ولا يزيد اتساعها في بعض المواضع عن خمسة كيلو مترات بحيث يتيسر لأحدى الامارتين منع الجيوش العثمانية من المرور وقطع الطريق عليها كلية والقطعة الاولى هي مدينة الاستانة وضواحيها والثانية مدينة سلاينك والبحيث جزيرة القريية منها والثالثة مكونة من بلاد ابيروس وجزء من بلاد الارنؤود والرابعة من اقليمى البوسنة والهرسك وما بقي من أملاكها أعطى منه جزء للصرب وآخر للجبل الاسود وشكل الباقي بصفة اماره مستقلة اداريا تسمى اماره بلغاريا تمتد من الطونه الى البحر الاسود شرقا وبحر الارخبيل جنوبا وتحيط بمدينة الاستانة من جميع جهاتها البرية وزد على ذلك ما اشترط من احتلال الجنود الروسية لبلاد بلغاريا مدة سنتين لاستتباب الامن بها  
أما في آسيا فاخذت قلاع قارص وباطوم وبايزيد الى حدود أرضهم تقريباً

واعترف الباب العالي ضمن هذه المعاهدة باستقلال كل من الصرب والجبل الاسود ورومانيا استقلالاً سياسياً تاماً وبالتنازل لمملكة رومانيا عن اقليم الدبروجه مقابل سلبخ اقليم بساربيا من رومانيا وضمها الى الروسية لتنظيم حدودها حتى يكون كل من نهري البروث والطونه من ابتداء اتحاد البروث معه الى البحر الاسود فاصلاً بين رومانيا والروسية ولم يراع في هذه التقسيمات صالح الامم المراد سلبخها عن الدولة ولا حدودها بل أضافوا الى اماره البلغار بلاداً كثيرة أغلب سكانها من الاروام والصرب والى الصرب والجبل الاسود بلاداً بها كثير من الارنؤود المسيحيين والمسلمين ولذلك كان كل من هذه الامم غير راض عن هذه المعاهدة التي لم يراع فيها الا صالح سياسة الروسية وحرروا عدة مكاتبات موقع عليها من كثير من أعيانهم وارسلوها الى سفراء الدول طالبين النظر في هذه المعاهدة وصون حقوقهم وكذلك كان الرأي العام الاوروبي ناقماً على الروسية لوجود اماره البلغار المراد انشاؤها محيطة بالاستانة من كل جهة مع انها عبارة عن ولاية روسية خصوصاً وان

الكائنة في أوروبا (الروم ايلي) ماعدا البلغارستان وذلك من تاريخ انعقاد الصلح القطعي الى ثلاثة أشهر هذا وان العساكر المذكورة لهم ان يأتوا الاساكل الموجودة في البحر الاسود وبحر مرمرة عند السفر للركوب في السفائن التي تحضرها أو تستاجرها دولة روسيا حتى لا يكونوا مجبورين على تمديد مدة الاقامه في الممالك العثمانية وفي رومانيا وأما خروج عساكر روسيا من الاناطول فيكون بعد انعقاد الصلح القطعي بستة أشهر ولهم أن يأتوا الى طرابزون لاجل الركوب في السفن ومن هناك يسافرون الى القريم أو القوقاس

﴿ المادة السادسة والعشرون ﴾ ان اصول الادارة والاوامر التي وضعتها دولة روسيا في البلاد التي دخلتها عساكرها والتي ينبغي تسليمها الى الدولة العلية بموجب هاته المعاهدة تكون باقية وجارية الى حين توجه العساكر منها وليس للباب العالي المشاركة في الاحكام ولا للعساكر العثمانية الدخول اليها قبل ذلك بناء على هذا فان أمير عساكر روسيا يجبر الضابط الذي يعينه الباب العالي عن سفر عساكر روسيا وليس للباب العالي ان يجري الاحكام من قبل ان تسلم له القلاع والابالات

﴿ المادة السابعة والعشرون ﴾ ان الباب العالي لا يجازي أحداً بسوء من تبعته الذين دخلوا في المناسبات مع دولة الروسية في زمن الحرب وليس للأموري الدولة العلية ان تمنع أو توقف أحداً من الاهالي الذين يرغبون ان يسافروا مع العساكر

﴿ المادة الثامنة والعشرون ﴾ ان أسرى الحرب يصبر ارجاعهم تحت نظارة مامورين مرتبين من طرف الدولتين وذلك عقب تعاطي مقدمات الصلح وهؤلاء المامورون يسافرون الى اودسه وسيواستابول وأما مصروف أسراء العساكر العثمانية فتدفعه الدولة العلية في ظرف ستة سنوات على ثمانية عشر قسطاً بموجب الدفتر الذي يحرره المامورون المذكورون وأما قضية مبادلة الاسرى فيما بين حكومتى رومانيا والصرب وامارة الجبل الاسود فيصير اجرائها على هذا الاساس الا انه يصير تنزيل العدد الذي تسلمه الدولة العلية من العدد الذي تسلمه من الاسرى

﴿ المادة التاسعة والعشرون ﴾ ان حضرة امبراطور روسيا والحضرة السلطانية سيثبتون هذه المعاهدة ووثائق التثبيت تكون معاطاتها في سان بطرسبورج بظرف خمسة عشر يوماً أو بوجه أسرع من ذلك ان أمكن وكذلك يجري التصديق رسماً على الشروط المذكورة في هذه المعاهدة على حسب الاصول الجارية في المعاهدات الصلاحية ان الدولتين المتعاهدين من تاريخ تعاطي المعاهدة يعدون أنفسهم رسماً بانهم متعهدون بان مرخصين الطرفين قد أعضوا هذه المعاهدة كما يأتي تصديق المضمونها

حرر في اباستفانوس في ١٩ شباط الرومى و ٣ اذار (مارس) الافرنجى سنة ١٨٧٨



مستدعيات أرباب العلاقة وتعرض الكيفية الى الباب العالى والباب العالى يجرى التسوية على مقتضى عرض السفارة

﴿ المادة العشرون ﴾ ان الباب العالى يتعهد بأن يستعمل التدابير المؤثرة سريعاً فى خصم الدعاوى المنازع فيها منذ سنين عديدة المتعلقة بتبعة روسيا وانه اذا اقتضى الامر يدفع تضمينات وينفذ احكام الاعلامات

﴿ المادة الحادية والعشرون ﴾ ان أهالى البلاد التى تسلمت الى روسيا ان أرادوا الهجرة منها لهم أن يبيعوا أملاكهم وأراضهم ويهاجروا وقد أعطى لهم مهلة فى ذلك ثلاث سنين من تاريخ تعاطى هاته المعاهدة فالذين لا يبيعون أملاكهم فى هذه المدة ولا يهاجرون يدخلون فى حكم روسيا عند انقضاء تلك المدة والاملاك الميرية والموقوفة يصير يبيعها على حسب الاصول التى يعينها مامور روسيا ومامور الدولة العلية فى بحر السنين المذكورة وهما يتتمان أيضاً كيفية نقل الادوات الحربية الموجودة فى المحلات التى هى الآن فى يد الروس سواء كانت من البلاد التى تسلمت الى دولة روسيا أو غيرها

﴿ المادة الثانية والعشرون ﴾ ان القسيسين والزوار الذين يسكنون أو يسبحون فى الممالك العثمانية فى الروم ايلي والاناطول من تبعة روسيا سينالون الحقوق والامتيازات التى ينالها القسيسون والزوار من تبعة سائر الدول سوية وسفارة روسيا الكائنة فى الاستانة وقناصلها يحمون حقوق الاشخاص المذكورة وذواتهم ومؤسساتهم والرهبان وغيرهم الموجودين فى الاماكن المقدسة وبالحصوص فى (اينوروز) فهم حائزون حقوقهم التى كانوا حائزين عليها فى السابق ويحفظون الديورة الثلاثة الكائنة فى (اينوروز) مع مشتملاتها المتعلقة بهم كسائر الديورة والمؤسسات المذهبية الكائنة لغيرهم هناك سوية

﴿ المادة الثالثة والعشرون ﴾ ان المعاهدات والمقاولات التى كانت موجودة فيما بين الدولة العلية وروسيا المتعلقة بالتجارة والمحاكمة وبتبعة روسيا المقيمين فى بلاد الدولة العلية وتعطلت احكامها بسبب هذه الحرب ينبغي أن تجرى احكامها كما فى السابق وان دولتى روسيا والعثمانية قد أعادوا المناسبات التى كانت قبل هذه الحرب فى الامور التجارية وغيرها بمقتضى احكام المعاهدات والمقاولات المذكورة ما عدا المواد التى نسختها هاته المعاهدة

﴿ المادة الرابعة والعشرون ﴾ ان خليج الاستانة وخليج جناق قلعه سواء كان فى زمن الحرب أو زمن الصلح يكون مفتوحاً للسفن التجارية التى تريد المرور منه الى بلاد روسيا من الدول التى تكون على الحيادة والباب العالى ليس له من بعد هذا أن يضع الحصر الغير المؤثر على الشطوط الموجودة فيما بين البحر الاسود وبحر الازاق والمخالف لمضمون معاهدة باريس التى صار امضاؤها فى ٤ ابريل سنة ١٨٥٦

﴿ المادة الخامسة والعشرون ﴾ ان عساكر الروس يخرجون من بلاد الدولة العلية



من جهة المال وتامل في مقاصدها التي نوهت عنها في هذا الشأن ووافق بالقبول على أن تترك الدولة العلية الاراضى الحرة أسماؤها أدناه عوضاً عن القسم الاكثر من المبالغ المذكورة

أولاً لواء طولجى يعنى قضاء كيلياوسنه ومجوديه وايساقجى وطولجى وماجين وباباطاغى وخرسوه وكوستيجيه ومجيديه والجزائر السكائنة في نهر طونه قد تركتها الدولة العلية جميعاً الا ان الدولة الروسية ليس لها فكر بالحاق هاته البلاد الى ملكها بل انها تحفظ حق مبادلة هذه البلاد بقطعة بساريا الى التي أخذت منها بموجب معاهدة سنة ١٨٥٦ خدود قطعة بساريا من جهة الجنوب طرف من اراضى كيليا ومصب نهر الطونه والجهات التي يصطادون بها السمك في النهر يصير تفريقها بمعرفة مامورين من طرف روسيا ومن حكومة المملكتين في برهة سنة واحدة اعتباراً من تاريخ تعاطى هذه المعاهدة

ثانياً اردهان وقارص وباطوم وبايزيد مع الاراضى الحاوية عليها الى جبل صوغانلى سيصير تسليمها الى دولة روسيا وحينئذ الحدود الفاصلة تكون هكذا أعنى يبتدىء الخط الفاصل من الجبال التي فيما بين المياه الجارية والمنصبية في نهري (هوبا) و(جورق) ويمر من الجبال المتسلسلة الواقعة في جنوب قضاء وارتوين ومن جوارق ريتى (والات) و(بشاكت) ومن فوق (درونيك) و(كقى) و(هوجه زار) و(بحقين طاغ) ومن الجبال الفاصلة للمياه التي تحتلظ بنهرى (تورقم) و(جورف) ومن فوق قراء (بالى) و(هين) و(لمكلسا) الى أن ينتهى لنهر تورم ومن هنا يمر من سيورى طاغ ويتصل بقرية نريان ويلتفت الى وجهة الجنوب حتى يصل الى (زوين) ومن زوين يمر من غربى طريق اردوست خراسان الى جنوب جبل صوغانلى ويتصل بقرية (كياجمان) ومنها يمر من جبل (ثريا) ومن قرية خمير ومن اون رست مسافه ومن تلال (طاندور) ومن جنوب وادى بايزيد وينتهى في الجهة الجنوبية من (قازلى كول) وهذا المحل هو الحد الفاصل قديماً فيما بين حدود اراضى الدولة العلية وارضى دولة ايران وان الاراضى التي صار الحاقها بممالك روسيا ومذكورة في الخريطة المربوطة لهذه المعاهدة يصير تعيين حدودها قطعياً بمعرفة مامور من طرف روسيا ومامور من طرف الدولة العلية وهما يلاحظان قواعد تخطيط الاراضى وقضية تأمين حسن ادارة القضاوت

ثالثاً ان الاراضى التي صار تركها لدولة روسيا كما هو محرز أعلاه قد اعتبرت بمبالغ ١٨١٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل وأما الباقي من التضمينات وهو ٣٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل ماعداً ١٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل التي هي في متابلة خسائر تبعة روسيا وتأسيساتها ستبقى دولة روسيا مع الدولة العلية على قضية دفعها وتأمين ايفائها

رابعاً ان العشرة ملايين روبل التي تخصصت لتبعة روسيا ومؤسسانها يصير تسويتها هكذا أعنى ان سفارة روسيا في الاستانة تجري التدقيقات اللازمة بهذا الشأن على

جلسة مؤتمر الاستانة ينبغي حالا وضعها في موقع الاجراء في بوسنه وهرسك مع التعديلات التي سستقرر فيما بين دولة روسيا وأوستريا ويجب أن لا يطلب من هاتين الايالتين بقايا الاموال الميرية وأن لا يؤخذ شيء من الواردات الى ابتداء شهر مارث سنة ١٨٨٠ بل تصرف كلها في الاحتياجات المحلية ويسد بها عوز الاهالي والعيال الذين أصيبوا في الاحوال الاخيرة ومن بعد انقضاء المدة المذكورة يتعين المبلغ الذي يلزم على الاهالي دفعه في كل سنة الى الحكومة المركزية بالاتفاق فيما بين الدولة العلية ودولتي روسيا وأوستريا

المادة الخامسة عشرة \* يتعهد الباب العالي باجراء أحكام النظام الاساسي الذي وضع في سنة ١٨٦٨ المختص بحجزة كريد طبق مطلوب الاهالي الذي يبنوه مقدما ويلزم اجراء الاصلاحات المماثلة لنظامات كريد في (ترحالة) و(يانيه) وفي سائر جهات الروم الي التي ليس لها نظامات مخصوصة ويصير تشكيل لجنة مركبة من الاهالي المحلية في كل ايالة لاجل ترتيب وتأليف النظامات الجديدة ثم يصير تقديمها الى الباب العالي والباب العالي يتذكر مع دولة روسيا في ذلك

المادة السادسة عشرة \* ان خروج عساكر روسيا من الارمنستان وارجاع تلك البلاد الى الدولة العلية يمكن أن يفضي الى المناقشة والاختلاف فيما بينهما فلهذا يتعهد الباب العالي حالا باجراء الاصلاحات على حسب الاحتياجات المحلية في الولايات التي سكانها أرمن وتأمين المسيحيين من تعدى الاكراد والجرأكسة

المادة السابعة عشرة \* ان الباب العالي سيعلم العفو العمومي عن المتهمين في الاحوال الاخيرة وبطلق سبيل المحبوسين والمنفيين بسبب ذلك

المادة الثامنة عشرة \* ان الباب العالي يتعهد بالتبصر بعين الدقة الى ما بينه وكلاء الدول المتوسطة في خصوص قضاء قوتور وتعيين الحدود الايرانية على الوجه القطعي

المادة التاسعة عشرة \* ان مبالغ التضمينات الحربية التي طلبها حضرة قيصر روسيا هي في مقابلة الاضرار والخسائر التي تكبدتها دولة روسيا بسبب هذه الحرب والباب العالي قد تعهد بدفعها فن هاته المبالغ اولا ٩٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل في مقابلة مصروف العساكر والادوات الحربية والاشياء التي بليت وناينا ٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل لاجل الاضرار الحاصلة في سواحل بلاد روسيا الجنوبية وفي اخراجات البضائع التجارية وفي طرق الحديد وثالثا ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل في مقابلة الضرر الحاصل من الهجوم على قوقاس ورابعا ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل لاجل الخسائر التي حصلت لتبعة روسيا المقيمين في الممالك العثمانية ولتأسيساتها فعلى ذلك تكون هذه المبالغ من حيث المجموع عبارة عن ١٠٤١.٠٠٠.٠٠٠ روبل (يعني ٣٩١ ر ٢١٧ ر ٢٤٥ ليرة عثمانية وريال مجيدي أبيض ونصف) هذا وان القيصر المشار اليه قد لاحظ ضيق حال الدولة العلية

الشركة المذكورة ومسألة سكة الحديد الاخرى الموجودة ضمن الامارة يصير فصلها بمعرفة الدولة العلية وحكومة الصقالية وادارة الشركة

﴿ المادة العاشرة ﴾ ان الباب العالى له حق أن ينقل ويحلب عساكر ومهمات وذخائر من الطريق المعينة في داخل الباغارستان الى الايالات العثمانية التي وراء الباغارستان ولاجل عدم وقوع مشاكل في هذا الخصوص وتأمين الايجابات العسكرية العثمانية سيوضع نظام بالاتفاق مع الباب العالى والامارة من ابتداء تعاطى هذه المعاهدة الى ثلاثة أشهر في ذلك وهذا الحق المتعلق بالمرور والعبور يختص بالعساكر النظامية فقط دون الباشبوزوق والجراكس والعساكر المعاونة والباب العالى كذلك له أن يتعاطى البوسطة عن طريق الامارة ويستعمل مسالك التلغراف في مخبراته فهذان الامران كذلك يصير تعيينهما وتنظيمهما في المدة والشروط المحررة أعلاه

﴿ المادة الحادية عشرة ﴾ ان المسلمين وغيرهم من اصحاب الاملاك اذا ارادوا الاقامة في خارج الامارة لهم أن يحفظوا املاكهم ويؤجروها أو يفوضوا امرادرتها الى من يريدونه ثم ان مامور الدولة العلية ومامور الصقالية يجتمعان تحت نظارة مامور روسيا ويفصلون المسائل المتعلقة بتصرف الاملاك وفي منافع مسلمي الصقالية وذلك يكون في ظرف سنتين والاملاك الميرية والموقوفة يصير تعيين امرها أما بالبيع وأما باستعمالها على الوجه الذي يكون فيه النفع الزائد لجهة الباب العالى ويصير تعيين ذلك بمعرفة لجان مخصوصة محدودة في السنتين المذكورتين والاراضي التي تبقى بدون صاحب عند انقضاء السنتين يصير طرحها في المزاد وتباع ويؤخذ منها ويدفع الى أيتام وأرامل المصابين في الاحوال الاخيرة من المسلمين والمسيحيين

﴿ المادة الثانية عشرة ﴾ ان القلاع الكائنة على نهر الطونة يصير هدمها جميعاً ولا يبقى من بعد هذا على سواحل الطونة قلعة ما مطاقاً ولا يحوز وجود سفن حربية في مياه رومانيا والصرب والصقالية سوى السفن الصغيرة والفلكات المختصة والمستعملة في الامور الانضباطية فقط وحقوق ووظائف وامتيازات لجنة الطونة المختلطة تبقى بتمامها على أصلها

﴿ المادة الثالثة عشرة ﴾ ان الباب العالى يتعهد بتنظيف البحر في مضيق (سنه) وارجاعه الى حاله السابق ليصالح لمرور السفن منه ويتعهد أن يضمن العطل والضرر الذي حصل للتجار بسبب منع مرور السفائن من نهر الطونة مدة الحرب وسيصير خصم ٥٠٠٠٠٠ فرنك من أصل دين لجنة الطونة الى الباب العالى لاجل هذا الامر

﴿ المادة الرابعة عشرة ﴾ ان الاصلاحات التي تبلغت الى مرخصى الباب العالى في أول



الامير الجديد على هذا المنوال وهاته الشروط وقد تقرر انه ينبغي من قبل انتخاب الامير أن يجتمع مجلس معتبرى الصقالة امانى (قلبه) واما فى (طرنوى) تحت نظارة مأمورين من طرف روسيا وفى حضور مأمورين من طرف الدولة العلية وتؤسس نظمات هذه الادارة المستقلة توفيقاً لامثالها أعنى لنظمات المملكيتين التى تنظمت فى سنة ١٨٣٠ غب انعقاد مصالحة (أدرنه) وعند تأسيس تلك النظمات ستصير وقاية حقوق ومنافع الاهالى من المسلمين والروم والاولاخ وغيرهم الموجودين والمختلطين مع الصقالة وتقرر أيضاً احالة تأسيس هذه الادارة الجديدة فى البلغارستان مع ما يلزم من النظر فى صور اجرائها لعهدة مأمورين موظفين من طرف دولة روسيا من هنا الى سنتين وفى اقتضاء السنة الاولى من تأسيس الادارة الجديدة اذا لم يحصل اتفاق فى هذا الشأن فيما بين روسيا والباب العالى ودول أوروبا يكون للدول المشار اليهم حق أن يوظفوا مأمورين برفق مأمورين روسيا

المادة الثامنة **✽** ليس لعساكر الدولة العثمانية حق بعد هذا للاقامة فى البلغارستان وسيصير هدم القلاع القديمة الكائنة هناك بمعرفة الحكومة المحلية وان الباب العالى له حق أن يتصرف بالادوات الحربية الموجودة فى قلاع الطونه التى صار اخلاؤها من العساكر بموجب سند التاركة الذى تحرر فى ٣١ كانون الثانى والالات الحربية الكائنة فى مدينتى شمنى ووارنه وجميع الاملاك المتعلقة بالحكومة العثمانية كبقما شاءت وتبقى عساكر روسيا فى البلغارستان مقيمة الى أن ينتهى ترتيب العساكر المالية المحلية الكافية لحفظ الراحة وتوطيد الامنية واذا اقتضت الحال يقومون فعلاً باعانة المأمورين وسيصير تعيين عدد العساكر المالية بالاتفاق فيما بين الدولة العلية ودولة روسيا وان مدة اقامة عساكر روسيا فى البلغارستان تكون سنتين والعساكر التى تبقى هناك بعد خروج جميع عساكر روسيا من بلاد الدولة العلية تكون عبارة عن ست فرق مشاة وفرقتين خيالة وجميعها خمسون ألفاً ومصروف هؤلاء العساكر يكون على بلاد الصقالة ويكون لها طرق مراسلات فى المملكيتين فى شطوط البحر الاسود من جهة وارنه وبرغوس وفى مدة اقامتها هناك يكون لها المخازن المقتضية على الشطوط المذكورة

المادة التاسعة **✽** ان المرتب السنوى الذى يلزم على البلغارستان انفاؤه الى الدولة العلية يتسلم الى البنك الذى يعينه الباب العالى وهذا البنك يصير تعيينه بمعرفة دولة روسيا والدولة العلية وسائر الدول وذلك فى انتهاء السنة الاولى من ابتداء اجراء اصول الادارة الجديدة ومقدار ذلك المرتب بتأسيس بالنظر لايراد البلاد والاراضى التى تكون فى ادارة الامارة على الحساب المتوسط والبلغارستان تتعهد بالتعهد الذى على الدولة العلية الى شركة سكة الحديد فى طريق وارنه وروسجق غب المذاكرة مع الباب العالى وادارة



الصالح الى خمسة عشر يوماً يجب على عساكر الصرب أن تخرج من البلاد التي ليست داخلية في ضمن الحدود المذكورة أعلاه

﴿ المادة الخامسة ﴾ ان الباب العالي قد أثبت استقلال رومانيا أعني المملكتين ولها أن تطلب من الدولة العلية تضمينات الحرب وتجري المذاكرة بهذا الشأن فيما بينهما وعند ما تتعقد المعاهدة بين الدولة العلية ورومانيا رأساتال تبعه رومانيا الأمن والامتياز طبق تبعه دول أوروبا

﴿ المادة السادسة ﴾ تقرّر أن تكون البلغارستان أعني بلاد الصقالية اماره مختارة في ادارتها تدفع مبلغاً معلوماً الى الدولة العلية ويكون مأمورو الحكومة والعساكر الملية من المسيحيين ويصير تعيين حدودها على الوجه القطعي بمعرفة لجنة مركبة من مأموري الدولة العلية والروسيا وذلك قبل خروج عساكر روسيا من الرومالي وهذه اللجنة تبين هناك في الخريطة التعديلات التي ينبغي اجرائها وتلاحظ مليه أكثر الاهالي وتوضح المنافع المحلية تطبيقاً لفن تخصيص الاراضي وتقرّر تعيين وتبيين مقدار اتساع ملك الصقالية في خريطة وجعلها أساساً في قطع الحدود وخط الحدود يبتدىء من حدود الصرب الجديدة ومن غرب ( وراثره ) الى سلسلة الجبل الاسود ومن جهة الغرب يمر من غرب ( قومانو ) و ( قوجاني ) و ( قلفان دان ) الى جبل ( قوارب ) ومن هناك يمر من نهر ( ووجيجه ) الى درينه و يلتفت الى جهة الجنوب الى حدود غرب قضاء ( أخرى ) حتى ينتهي الى جبل ( ليناس ) ومنه يمر من غربي كوريجيه واستاوره ويتصل بجبل ( غراموس ) وكذلك يمر من ماء ( قاستريا ) و يلتصق بنهر ( موغليمنجه ) و يسير مع النهر الى ( يكيجه ) ويمر عن نهر ( واراد يكيجه ) ومن مصب نهر ( واردار ) و قرية ( غاليقو ) الى قراء ( بارغه ) و ( صاري كوي ) وهناك يمر من وسط عين الماء المعبر عنه ( بشيك كل ) الى مصب نهر ( استروما ) و ( قره صو ) ومن السواحل الى ( بوروكل ) ويمتد الى الشمال الغربي ويمر من سلسلة جبل ( رودوب ) الى جيلي ( جالتيه ) و ( اوشوه ) ويمر من جبال ( اشك قولاج ) و ( جيمليون ) و ( قره قولاس ) و ( جيقيل ) الى نهر ( ارده ) و يلتفت لجهة الجنوب ويمر من قراء سوكونلي وقره حمزه وارناد كوي واقارجي وايجه الى ( تسكه دره سي ) في قرب ( أدرنه ) ومن ( تسكه دره سي ) و ( جورلي دره سي ) الى ( لوله برغوسي ) ومن هنا وعن نهر ( صوجق دره ) الى قرية ( سوركن ) ومنها من التلال ويقطع ( حكيم طابيه سي ) حتى يتصل في ساحل البحر الاسود و يبتدىء أيضاً من ( منقاليه ) ويترك السواحل ويمر من شمال حدود لواء طولجي ومن فرق راسوه الى نهر الطونه

﴿ المادة السابعة ﴾ ان أمير الصقالية يصير انتخابه من طرف الاهالي بالحرية التامة والباب العالي يثبت بانضمام آراء الدول ولا يجوز انتخاب أحد من أقارب دول أوروبا الجالسين على سرير الملك للامارة المذكورة وحينما تخلص الامارة كذلك يكون انتخاب

يجب على عساكر الجبل الاسود أن تخرج من البلاد الغير داخلية في ضمن الحدود المذكورة أعلاه

المادة الثالثة ( ) ان امارة الصرب تكون مستقلة ويكون حدها بموجب الخريطة المربوطة لهذه المعاهدة بحرى نهر ( درين ) وتبقى ( كوجك اوزورنيق ) و ( سقار ) في ادارة الصرب ويمتد هذا الحد الى منبع نهر ( رازوه ) الكائن جوار ( استايلاق ) على حسب الحدود القديمة وتبتدىء الحدود الجديدة من هنا أعنى مع بحرى نهر ( رازوه ) الى نهر ( راسقه ) ومنه الى يكي ( بازار ) ومن يكي بازار يصعد الخط الفاصل ويمر من جوار قريتي ( مهنته ) و ( ارغويج ) الى أعلى النهر المذكور حتى ينتهى الى منبعه ويمتد الى ( بوسور بلايتنا ) الكائنة في واد ( ايبار ) وينزل مع الماء الجارى الذى يصب في النهر المذكور ومنه يسير مع أنهر ( ايبار ) و ( سيديج ) و ( لاب ) الى منبع نهر ( ياتنسه ) الكائن في جبل ( غراپاشينجه بلايتنا ) وبعدها يمر من التلال الفاصلة بين نهري ( قريوه ) و ( تريجه ) ومن أقصر الطرق الموجودة على مصب نهر ( ميرواجقه ) حتى ينتهى أيضاً الى نهر ( ورنجه ) ويسير مع هذا النهر ويقطع ميرواجقه و بلايتنا ويصل الى جهة موراوه في قرب قرية ( قاليانس ) ومن هنا يسير الى قرب قرية ( استاقوجي ) ويجتمع هناك مع نهر ( بلوسينه ) وهكذا مع النهر الى موراوه ويمتد من النهر الى جهة فوق حتى يصل الى ( قوتقاويجه ) ويقطع سوق بلايتنا ويجتمع بنهر ( نيساوه ) ويتصل بقرية ( قرونراج ) ومنها يمر من أقصر الطرق ويمتد على حدود الصرب القديمة الى جنوب شرق ( قرهول بور ) وعلى هذا الخط يتصل بنهر الطونه وتقرر اخلاء ( اطه قلعه ) وهدمها وترتيب لجنة مركبة من مامورى الدولة العلية والصرب لاجل تعيين خط الحدود على الوجه القطعى في برهة ثلاثة أشهر ويكون ذلك بمعاونة مامورين من طرف دولة روسيا وهذه اللجنة تفصل أيضاً المسائل المتعلقة بمجائر نهر ( درين ) وتقطعها وحينها تبتدىء هذه اللجنة بتعيين الحدود الفاصلة بين بلاد الصرب والصقلية ينبغى أن يكون وكيل واحد من طرف الصقلية يشترك معهم في هذا الامر

المادة الرابعة ( ) ان المسلمين الذين لهم أملاك في البلاد التي صار الحاقها بالصرب اذا لم يريدوا الإقامة هناك فلهم الخيار ان أحبوا أجروا أملاكهم وان أحبوا أقاموا وكلاء من طرفهم لاجل حفظها واستغلالها والمسائل المتعلقة باموالهم الغير منقولة تفصلها لجنة مركبة من مامورى الدولة العلية والصرب باعانة مامورين من طرف دولة روسيا في ظرف سنتين وهذه اللجنة تفصل أيضاً في برهة ثلاث سنين أمر فراغ الاملاك الميرية والموقوفة والمسائل المتعلقة ببعض الاشخاص الذين لهم علاقة ونفع في الاملاك المذكورة وذلك يكون غب انعقاد المعاهدة فيما بين الدولة العلية والصرب والاناس المقيمون أو الذين يجولون في بلاد الدولة العلية من تبعة الصرب تكون المعاملة معهم على القواعد الكلية بمقتضى الحقوق الكائنة بين الدول وقد تقرر انه من بعد امضاء مقدمات

الجديد يستطيل الى (غاجقه) وعلى هذا (متوتركيا غاجقو) تبقى في تصرف الجبل الاسود وتمتد الحدود أيضاً من مجمع أنهر (بيوه) و (تاره) وتغر من نهر (درين) الى جهة الشمال وتنتهى الى مجمع هذا النهر مع النهر المسمى (فيم) وأما حدود الجبل المذكور الشرقية فتبتدىء من نهر (فيم) الى (بريرة بولاره) ومن (روستراق) الى (سوق بلانينا) و بهوروروستراق تبقيان داخل الجبل فعلى ذلك يكون تخطيط الحدود هكذا أعنى من الجبال المتسلسلة الجامعة لروغو و (بلاوا) و (كوزرة) الى شلب (باقلنى) ومن رؤوس جبال (قوبريونيق) و (باباور) و (بورور) حذاء حدود بلاد الارناؤوط الى أعلى ذروة جبل (بروقاى) فمن هذه النقطة الى كتيب (بيسقاشيق) وينتهى الحد على الخط المستقيم الى عين الماء فى (جيسنى هوتى) ويفصل فيما بين جيسنى هوتى و (جيسنى قاسترانى) ويتجاوز ماء (اشقودره) الى أن ينهى لنهر (بويانه) وهكذا مع النهر الى مصبه فى البحر وبموجب ذلك تبقى نسكسيك وغاجقه واشبوزى ويودغوريج و زابلياق و بار ضمن الجبل المذكور وقد يصير تعيين حدود امارة الجبل قطعياً بمعرفة لجنة مركبة من بعض مامورى دول أوروبا بشرط أن تكون وكلاء الباب العالى والجبل معهم أيضاً فهذه اللجنة تلاحظ منافع الطرفين وأمنية البلاد السكائنة فى الجهتين ثم تشير فى الخريطة الى التعديلات التى ترى لها لزوماً وتعلم أنها هى الحق وتوضح فى ذلك مارأه من صالح الجهتين ثم لا يخفى ان أمر سير السفن فى نهر بويانه لم يزل يحلب النزاع فيما بين الباب العالى والجبل الاسود فلاجل قطع هذا النزاع سيصير تحرير نظام ذلك بمعرفة اللجنة المذكورة

المادة الثانية ان الباب العالى يثبت استقلال امارة الجبل الاسود على الوجه القطعى ثم فيما يأتى تقرّر فيما بين دولة روسيا والدولة العلية والامارة المذكورة كيفية المناسبات التى ستكون بين الباب العالى والجبل الاسود وقضية تعيين وكلاء من طرف الامارة فى الاستانة والبلاد العثمانية المقتضية ويتقرر أيضاً أمر إعادة أرباب الجنائيات الذين يفرون من بلاد الدولة العلية الى الجبل ومن الجبل الى بلاد الدولة وأمر اطاعة أهل الجبل المقيمين أو المارّين فى بلاد الدولة العلية و انقيادهم الى نظمات ومامورى الدولة طبق الحقوق الجارية بين الدول والعادات والمعاملات القديمة التى كانت تجرى بحقهم فى بلاد الدولة وستنقّد أيضاً مقالة فيما بين الباب العالى والجبل الاسود لاجل توضيح وتنظيم المسائل المتعلقة بالانشآت العسكرية فى قرب الحدود وأحوال ومناسبات الاهالى المتجاورة هناك واذا اختلف الباب العالى مع الجبل الاسود فى بعض مسائل ولم يمكن فصلها باتفاقهما فتحكم بينهما دولتا روسيا وأستريا ومن بعد هذه المعاهدات اذا وقعت مباحثة أو مصادمة فيما بين الباب العالى والجبل ماعدا المطالبات الملكية الجديدة ينبغى أن يفوض أمرها الى دولتى روسيا وأستريا وهما باتفاقهما يفصلانها بينهما وقد تقرّر انه من بعد امضاء مقدمات الصالح الى عشرة أيام



الاستانة في مساء اليوم المذكور فاضطرّ المندوبان العثمانيان الى التوقيع عليها بدون حصول مداولة في كثير من بنودها وفي الساعة الخامسة مساء خرج الجنرال اغنانيف ومعه صورة المعاهدة ممضاة من مندوبي الدولة الى الفراندوك وكان واقفاً أمام الجيوش تحف به أركان حر به وسلمه الصورة فصاح الجند بصيحة الاستبشار وأقام لهم أحد القسوس صلاة حافلة في ميدان الاستعراض نزل في أثنائها جميع القواد والضباط عن ظهور خيولهم وجثوا على الارض هم وجميع الجنود شكراً لله على هذا الفوز الغير منتظر ومن غريب ما يحكى عن الجنرال اغنانيف أنه طلب في ٣ مارات المذكور أن يضاف الى الشروط بند يقتضى بان الدولة العلية تكون ملزمة بالدفاع عن صالح الروسيا لو تشبثت الدول في عقد مؤتمر لتحوير هذا الصلح فرفض المندوبان العثمانيان هذا الطلب بعد أن كتبوا بذلك تلغرافياً الى الباب العالي واناهاها الجواب بالرفض وبذلك تم الصلح وفي مساء ذلك اليوم كتب جلالة السلطان تلغرافاً الى القيصر بهنته بعيده وورد اليه الرد من القيصر بالشكر والثناء والدعاء باستمرار المحبة والاتحاد بين الدولتين وهالك نص معاهدة سان اسطفانوس نقلاً عن منتخبات الجوائب

ان حضرة قيصر روسيا وحضرة سلطان المملكة العثمانية قد عين كل منهما ممرخصين لاجل تقرير وعقد مقدمات الصلح رغبة في تأمين بلادهما ورعاياهما من وقوع ما يخل بالراحة والامنية فيما بعد وطلباً للحصول وفوائد المسالمة والراحة العمومية حالاً فالمرخصان اللذان نصهما القيصر أحدهما الكونت نقولا اغنانيف وهو حائز رتبة أمير الملوأ وياور القيصر ومن أعضاء المجلس الخصوصي وعنده نشان روسي مرصع وهو نيشان (صان على كساندرو بسكي) ونياشين أجنبية متعددة والمرخص الآخر مسيو نليدوف من قراء الدائرة الامبراطورية ومن أعضاء شورى الدولة وعنده نشان (صانت ان) من الطبقة الاولى مع السيوف المخصصة به وعدة من النياشين الروسية والاجنبية المرخصان اللذان عينهما حضرة السلطان أحدهما صفوت باشا ناظر الامور الخارجية الحامل النيشان العثماني المرصع والنيشان المجيدى كلاهما من الطبقة الاولى والنياشين الاجنبية المتنوعة والثاني سعد الله بك سفير الدولة العلية في مركز امبراطورية ألمانيا وهو حامل النيشان المجيدى من الطبقة الاولى والنيشان العثماني من الطبقة الثانية فهؤلاء المرخصون من بعد أن اطلعوا على المحررات الرسمية المتعامة بكيفية ترخيصهم ووجدوها مطابقة للاصول والعادة قرروا المواد الآتية ذكرها فيما بينهم

(المادة الاولى) انه بموجب الخريطة المربوطة بهذه المعاهدة وبمقتضى الشروط والوجوه الآتية ذكرها تقرر تصحيح حدود ممالك الدولة العلية والجبل الاسود وذلك لاجل انهاء المنازعات والمصادمات المتابعة الوقوع فيما بينهما فالحدود تمتد من جبل (دوبر وزبجه) على الوجه الذي عينه المؤتمر الذي كان عقب الاستانة الى (غور يتو) (وييلسكه) والحد



لودخلت العساكر الروسية اليها تكون مسؤولة عما ينجم عن ذلك من الاخطار ولما وصلت هذه الرسالة الى مسامع البرنس غورشا كوف أحجم عن مشروعه وبعد مخبرات طويلة قال انه لا يدخل عساكره الى الاستانة الا لو أنزلت انككترا بعض عساكرها الى البروما دامت دولة الممكة لا ترغب ذلك فلا خوف على الاستانة من احتلال الروس وبذلك انتهى هذا الاشكال وبقيت الجنود الروسية معسكرة خارج المدينة لا تتعدى الحدود التي رسمت لها بمقتضى اتفاقية ٣١ يناير الماضى

وفى أثناء ذلك ابتدأت المخبرات بين الباب العالى والفراندوك نيقولا الذى عاد من سان بطرسبورج بمدينة أدرنه للوصول الى الصلح النهائى وعميت الدولة كلا من صفوت باشا الذى أعيد فى غضون ذلك الى نظارة الخارجية وسعد الله بك سفيرها لدى امبراطور ألمانيا بربلين لكن قبل وصولهما الى أدرنه كان توجه المهانامق باشا ليطالب من الفراندوك عدم دخول الجيوش الروسية الى الاستانة خوفا من حصول اضطراب بها يفضى الى الحرب بداخلها وتدميرها بما أن المسلمين لا يمكنهم رؤية الاستانة فى أيديهم بدون أن يتركوا السكون ويعولوا على الدفاع عنها الى آخره من حياتهم فظهر له الفراندوك بعض الصعوبات مع علمه بالمخبرات المتداولة بين روسيا وانككترا بهذا الشأن وأخيراً قبل عدم احتلال الاستانة بشرط أن تحتل مقدمة الجيش الروسى خط بيوك جكمجه وكوجك جكمجه من ضواحي الاستانة وأن تنسحب العساكر العثمانية الى ما وراء هذا الخط وأن ينقل مركز المخبرات من مدينة أدرنه الى قرية سان اسطفانوس الواقعة على بحر مرمره فقبلت الدولة هذين الشرطين منعا لاحتلال الاستانة وفى ٢٤ فبراير سافر الفراندوك الى هذه القرية التى علم اسمها فى جميع العالم ولم تكن قبل ذلك شيئاً مذكوراً وصحبه اليها نحو ألف جندى بصفة حرس ولم يلبث هذا القدر أن أخذ فى الازدياد بتوارد عدة أليات حتى بلغ من بها نحو عشرين ألف مقاتل بدون أن يكون للدولة سبيل لمنعهم

ثم ان المندوبين العثمانيين أتيا الى سان اسطفانوس وابتدأت المداولات بينهم وبين الجنرال اغنائيف الذى انتدبته روسيا لهذه الغاية وبعد عدة اجتماعات أخبرهما المندوب الروسى بوجوب التصديق على الشروط المتقدمة منه قبل يوم ٣ مارت سنة ١٨٧٨ الموافق عيد جلاله القيصر كما هى رغبة الفراندوك والا فتبطل الهدنة وتتقدم العساكر الروسية الى الاستانة ولذلك لم يتيسر للمندوبين العثمانيين أن يفحصوا ماجاء فى هذه الشروط فخصاً مدقماً لضيق الوقت وتهديد الجنرال اغنائيف لهم وقطع العلاقات وسوق العساكر عند أدنى معارضة تبدوا منهما وفى يوم ٣ مارت جمع الفراندوك عساكره الموجودة بسان اسطفانوس للاستعراض احتفالاً بعيد الامبراطور ولما أتت الساعة العاشرة صباحاً ولم يأت اليه خبر امضاء المعاهدة توجه الى قاعة اجتماع المندوبين وطلب منهم التصديق عليها فى هذا اليوم والا فتسير العساكر المنتظمة للاستعراض نحو

السياسية واضطراب الافكار بسبب احتلال الروس لضواحي الاستانة ووجود نحو ١٥٠٠٠ ألف نفس من المسلمين المهاجرين من البلاد التي وطئها عساكر الروس بانحيوها ومنهم من هو غير راض عن الحالة الحاضرة واتفق مع نحو مائتين منهم على تنفيذ ما يمكنه صدره من القتل واجتمعوا في اليوم المذكور قبل الظهر وانقسموا الى قسمين القسم الأول منهم قصد سراية جراغان من جهة البحر تحت رئاسة زعيم يقال له صالح بك والثاني تحت رئاسة علي سعاوي أفندي من جهة البر وكانوا جميعهم متزيين بزى المهاجرين ثم اجتمع القسان عند باب السراية وحاولوا الدخول فيها فنعهم الحارس فقتلوه ودخلوا السراية وصاروا يفتشون على السلطان مراد حتى عثروا عليه في حجرته وسلمه سعاوي أفندي طينجة وفي أثناء ذلك أتت فرقة من الجنود من سراي يلدز المقيم بها السلطان عبد الحميد وحاصرت النافرين من جهة البر كما حاصرتها قوارب المراكب البحرية من جهة البحر ولم يمس الا قليل حتى قتل الجند جميع من دخل السراية من النافرين وفي مقدمتهم رئيس العصابة علي سعاوي وبعدا طفاء هذه الفتنة والقبض على من بقي حياً منهم نقل السلطان مراد وعائلته الى قصر داخل ضمن سراي يلدز العامرة وبذلك هدأت الافكار وعادت الناس الى فحج دكاكينهم بعد ان أغلقوها وأمنت الدولة امتداد الفتنة ودخول عساكر روسيا الى الاستانة بدعوى حماية من بها من المسيحيين

حريق الباب  
العالي

وبعد ذلك بثلاثة أيام أي في يوم ٢٠ جمادى الاولى الموافق ٢٣ مايو انتهت النيران جزأً عظيماً من الباب العالي نفسه وأحرقت دائرة شوري الدولة وتوابعها ودائرة الاحكام العدلية والتشريفات والداخلية وغيرها مع جميع ما فيها من الامتعة والفروشات والاوراق الرسمية ومن المظنون ان هذا الحريق لم يكن الا بفعل أرباب الثورة انتقاماً مما أصابهم من الخذلان في حادثة جراغان

هذا ولترجع الى مخابرات الصلح فنقول ان بعد امضاء الهدنة ومقدمات الصلح في أدرنه ووصول المراكب الانكليزية الى مياه الاستانة خوفاً من احتلال الروس لها طلب القائد الروسي من الدولة ادخال بعض أورط من المشاة بالاستانة وكتب البرنس غورشا كوف بذلك الى جميع سفراء دولته لدى الدول العظمى في ١٠ فبراير قائلاً انه من حيث ان انكلترا أدخلت بعض مراكبها في البوسفور لحماية رعاياها وحذت هذا الحذو بعض الدول الاخرى وطلبت من الباب العالي التصريح لمراكبها بالدخول فالروسيا لا ترى بداً من ارسال جزء من جيوشها المسلحة حول الاستانة الى داخل المدينة لحماية جميع المسيحيين فاضطربت انكلترا لهذا البلاغ وكتبت الى سفيرها بسان بطرسبورج تحتج ضد هذا الطلب مينة ان لا تشابه بين ارسال السفن الانكليزية الى البوسفور واحتلال الاستانة عسكرياً بواسطة الجيش الروسي وكلفته أن يحجز حكومة روسيا بانها لا تسمح مطلقاً باحتلال الاستانة وانه

النامة في الخصوصيات المتعلقة بحالنا واستقبالنا ومن المعلوم أن جريان المناسبات مع الدول المتحاجة بصورة خالصة مما يوجب التشكر وقد بادرت هيئة المبعوثان بإداء ماوجب عليها من ايقاء مراسم الشكر ليكون في احاطة الحضرة المعظمة الملوكية والامر في كل حال لحضرة سيدنا ومولانا المعظم اه

حل مجلس  
النواب

واستمر اجتماع مجلس النواب العثماني الى أن قرر السلطان بالاتحاد مع جميع أعيان الدولة وجوب ارجاء اجتماعه لأجل غير محدد لعدم ملائمة الظروف لوجوده وأعلن ذلك رسمياً اليه في يوم ١٤ فبراير سنة ١٨٧٨ وعقب فضه ضميط كثير من أعضائه ونهوا خارج البلاد بسبب تنديدهم بأعمال الحكومة واعتراضهم على اجرا آتيا ولم يجتمع بعد ذلك الى الآن أما الوزارات فتعاقبت بسرعة غريبة مع ان الحكمة كانت تقضي بعدم تغييرها وبقاء الوزراء في مناصبهم في مثل هذه الظروف الخطيرة ففي ٧ محرم سنة ١٢٩٥ عزل أدهم باشا وعين مكانه أحمد حمدي باشا واستبدل أغلب النظار (الوكلاء) بغيرهم وفي غرة صفر من السنة المذكورة أى بعد ذلك بثلاثة وعشرين يوماً ألغى لقب الصدر الأعظم واستبدل بلقب رئيس الوكلاء ووجه هذا المنصب الى أحمد رفيق باشا الذي كان ناظراً للمعارف في الوزارة السابقة

وفي ١٥ ربيع الثاني سنة ١٢٩٥ الموافق ١٨ ابريل سنة ١٨٧٨ ولى الصادق محمد باشا مسند رئاسة الوكلاء

وفي ٢٧ جمادى الأولى الموافق ٣ مايو ألغى لقب رئيس الوكلاء وأعيد لقب الصدر الأعظم وأسند الى محمد رشدي الملقب بالترجم الذي تقلد هذا المنصب أكثر من مرة ولم يلبث في هذا المنصب الا ستة أيام وعزل في ٤ جمادى الأخيرة الموافق ٥ يونيه وعين مكانه صفوت باشا الذي كان وزيراً للخارجية أثناء انعقاد مؤتمر الاستانة قبل اعلان الحرب من روسيا واستمر هذا الوزير متقلداً منصب الصدر الأعظم الى ديسمبر سنة ١٨٧٨ حيث أحيل هذا المنصب الى عهدة خير الدين باشا

حادثة جراغان

وفي يوم ١٧ جمادى الأولى الموافق ٢٩ مايو حصلت بالاستانة حادثة كادت تكون سبباً لدخول عساكر الروس اليها واحتمالها عسكراً وذلك أن شخصاً يدعى علي سعاوى أفندي بخارى الأصل أتى الى الاستانة لطلب العلم وتحصيل على نصيب وافر من العلوم العربية حتى صار على جانب عظيم من الفصاحة في الانشاد والخطابة لكنه كان ميالاً الى اثاره الفتن والقاء الدسائس فنفي أولاً سنة ١٢٨٧ (١٨٦٧) ومكث خارجاً عن البلاد تسع سنوات ثم عاد الى الاستانة بمسعى مدحت باشا وعين ناظراً على المكتب السلطاني الذي يتعلم فيه أولاد جلالة مولانا السلطان عبد الحميد ثم عزل لعدم تحسن أحواله وتداخله في الامور السياسية وبعد عزله أخذ يدبر في طريقة لاثارة فتنة في الاستانة لعزل السلطان عبد الحميد واعادة السلطان مراد الى عرش الخلافة وانتهاز لذلك فرصة اشتغال الدولة بالخباير



متميزون بامتيازات واسعة مخصوصة وما فعلته روسيا وأرباب البغى التابعون لها في  
 أثناء ذلك من أنواع القدر والمظالم المحسرة للتلوب في حق كثير من أولاد الوطن هومن  
 الشقاوة الخائفة للحرية والحقوق المأمة والقواعد الانسانية والمدنية وحيث ان محافظة  
 الدولة وحماية حقوق الملة وتماجية استقلال المملكة على ضد الحالة الحاضرة موكل لعهدة  
 الحضرة السلطانية ولازم لها على كل حال وكانت المسئلة محتاجة للدقة فوق العادة  
 والمصارعة في التدابير العاجلة من كل نوع بلا ضياع وقت نقول ان جميع العثمانيين متحدو  
 الافكار في معرفة ان المبادرة في اجراء مقتضى الارادة الملوكية التي تصدر في هذا الباب  
 بغاية السرعة هي من الوجوب وقد تجاسروا على بذل ارواحهم في سبيل المدافعة عن الوطن  
 والملة في هذه الحرب زيادة عن الطاقة فما أبرزوه بمقتضى وظائفهم المرتبة عليهم من آثار  
 الخدمة والغيرة قد استحسن لدى الدولة السنية وكان ذلك موجباً لزيادة اشتياقهم واهتمامهم  
 أضعاق مضاعفة لان مابدا منهم من البسالة ضد الروسا حير أفكار الجميع وانما علوهمم  
 التي يقرها جميع العالم من كل وجه مقرون باليمن وهو لا يكون لودارت على حقها التدابير  
 السياسية والعسكرية والوسائط الاجرائية على حسب ما أبرزه مولانا المعظم وتبعته  
 الشاهانية من كل وجه وحيث ان تشكيل العساكر الملكية من المواد المهمة الواجبة  
 أساساً قد تشكر عموم تبعة الدولة العثمانية لما صدرت به الارادة السنية في هذا الباب  
 وستصير المبادرة في المذاكرة في هذا الأمر الى أن يرد قانون اللوائح المختص بكيفية  
 استخدام صنوف سائر العسكرية من الأهالي غير المسلمين على مقتضى أحكام القانون  
 الأساسي فعدم كمال اجراء نفوذ أحكام هذا القانون والتوفيق لبقاء الاصلاحات المهمة  
 كاصلاح أحوال أمور المالية وحصول سعادتها وتقسيم الويركو وتحصيله وتنظيم  
 الحاكم واصلاح الأوقاف وتسهيل تصرفات الأراضي وتشكيلات النواحي واتخاب  
 المأمورين وتنظيمات الضبطية والوظائف التي حالت بينها الغوائل الحاضرة من الحالات  
 التي توجب الأسف ومن المسلم أن حضرة مولانا المعظم لم يؤخر آثار نظر ما في الاصلاحات  
 الداخلية مع هذه الغوائل العظمى كما هو مشاهد من نيانه الحسنة وأفكاره الخالصة  
 ونلتمس من الالطاف الالهية دفع هذه الغوائل الحاضرة بعناية التوجهات الملوكية واتحاد  
 عموم العثمانيين وأقدامهم وغيرتهم على حسب وظائفهم وما هو غنى عن البيان انه  
 سيمصر الاجتهاد في التدقيق والمذاكرات في القوانين واللوائح الموعود بحالها على هيئة  
 المبعوثان الموجبة لعمار الملك ورعاية أهله والتدقيق في حل المسائل المختلفة في بعض  
 القوانين واللوائح التي بقيت من الاجتماع السابق وعموم الملة ناظرون الى حضرة مولانا  
 المعظم بنظر الاعتبار حيث رخص في ارادته السنية بهيئة المبعوثان الترخيص التام فيهم  
 مأمورون به في القانون الاساسي من اتخاذ أفكارهم بالحربة التامة في المسائل القانونية  
 والسياسية مع تجديد المساعدة في ذلك وهم سيشرعون في اتخاذ الافكار بغاية الدقة والحرية



العمومية ووظائف وكلاء الدولة ومجلسهم وقانون الديوان العالى وديوان الحسابات  
فقصارى ما أَدْعُوكُمْ لأمالة نظر اهتمامكم اليه انما هو المذاكرة على هذه اللوائح بافرادها وحل  
بعض المسائل المختلفة المتعلقة بقوانين الولايات والمطبوعات والاموال الاميرية والادارة  
العرفية اللوائى جرى عليها البحث فى الاجتماع السابق والمذاكرة كذلك على قانون ميزانية  
واردات ومصاريف السنة المالية

أما عدم تناسى دولتنا الاصلاحات الداخلية فى مثل هذا الزمان المشغولة فيه بحرب  
عظيمة أقيمته كدليل فعلى على نوابنا بالترقى

يا أيها المبعوثان

ان ايجاد الحقائق فى المسائل القانونية والسياسية وتأمين منافع البلاد يتوقفان على  
تماطى أرباب المشورة أفكارهم بالحرية التامة وبما أن القانون الاساسى يامركم بذلك فلا  
أرى احتياجا لامر أو لترغيب آخر

أما مناسباتنا مع الدول المتحابة فهى جارية على صورة اخلاص هذا ونسال الحق جل  
وعلا أن يجعل مساعدتنا مقرونة بتوفيقاته اه

وفى ١٧ ذى الحجة من السنة المذكورة قدّم نواب الامة عرضة شكر على الخطاب  
السلطانى المذكور ولبلاغته وأهميته ماجاء به من الافكار العالية والآراء الصائبة الدالة  
على المحبة والاخلاص الوطنى بين جميع الطوائف على اختلاف أجناسهم وأديانهم أتينا  
على ترجمته نقلا عن مجموعة الجواب

نسأل المولى خير الناصرين أن يثبت الحضرة الملوكة على سرير العدل مع التوفيق وعلو  
الشان وطول العمر ويكال الصحة والعافية فنطق تلك الحضرة فى أثناء رسم افتتاح المجلس  
العمومى اللازم اجتماعه فى هذه السنة على حسب حكم القانون الاساسى الذى هو فرمان  
حرية العثمانيين وبرهان صلاحهم وسلامتهم المتلو يوم الخميس ابتداء كانون الاول الموافق  
٧ ذى الحجة سنة ١٢٩٤ فى حضور الحضرة الملوكة صار سماعه من هيئة المبعوثان  
بغاية الدقة والتامل ولما كان من النعم الكبرى تمثل المبعوثان فى حضور الحضرة السامية  
وصدور الاوامر من جنابه العالى بالخطوظية من رؤياه المبعوثان حصل لعموم تبعة  
العثمانيين مزيد السرور مع الفخر والشرف ومن الوجوب المثابرة على محافظة الحقوق  
العثمانية المشروعة بمناسبة المحاربة التى فتحتها الروس فى هذه الاحوال الحاضرة فانها  
واجبة بالطبع لكل دولة وملة ولا سيما قد اشتدت مشا كل الحرب باعلان البغى والخصام  
من قسم من التبعة العثمانيين الغير المسلمين الذين هم فى غاية الراحة وسعادة الحال من  
كل الوجوه منذ أعصار مضت فانهم حافظون حقوقهم ومذاهبهم وألسنتهم ونائلون  
المساعدات والمساوات عموما على الدوام خصوصا أهالى المملكتين فانهم فى أعلى الدرجات

الشاملة كامل تبعتنا والمحافظة على ملتهم ولعنهم على الوجه الانم سلكوا كيفما كان الحال طريقا غير مشروعة فاضروا انفسهم والوطن واخوتهم الوطنيين وأهالي المملكتين كذلك أعلنوا الخصومة لدولتنا بدون سبب مشروع حالة كونهم في غبطة ببقاء استقلالية ادارتهم الداخلية ومع هذا جميعه قبالاد غير متاخرة عن صرف أسباب المقاومة التي اضطرت اليها على حسب مقدرتها وكما ان العثمانيين كافة أثبتوا بواسطة آثار الحمية التي أظهروها في هذه الحرب امتلاكهم الاحساسات الوطنية في صورة خارقة للعادة كذلك أضحي ثبات عساكرنا وبسالتهم مستوجبين تحسين العموم وتقديرهم ولم أزل أطلب معاونة تبعتنا وحميتهم لاجل المحافظة على حقنا المشروع

على ان حصول استعداد الوصول لا يكال ترتيبات العساكر الملكية وابرار العثمانيين غير المسلمين الشوق القلبي والاشتراك الفعلي في المحافظة على الوطن هو معدود من وقوعات دولتنا السارة وبما أن المساعدات التي نالها التبعة غير المسلمة قد تقوت بكليتها بالقانون الاساسي وأضحيت متساوية أمام القانون وفي حقوق البلاد ووظائفها فاشترأ كلها اذا في الخدمة العسكرية التي هي أعظم الوظائف والمدخل الموصل الى حق المساواة صار أمراً طبيعياً فاذا كانت آثار معرفة الوظيفة المبرزة في هذا المطلب حرية بالتحسين وأضحى ادخال الاهالي غير المسلمة كذلك في سائر الصنوف العسكرية أمراً مقررأ وبما أن اجراء فعل القانون الاساسي ونفذه على الوجه الانم انما هو بواسطة الوحيدة لسلامة دولتنا كانت أكبر آمالي معطوفة أولاً لاستفادة صنوف تبعتنا بالتمام من سعادة المساواة الكاملة ومن ترقيات بلادنا المدنية والعصرية ثانياً للاصلاحات المالية ولما سبب لبقاء تعهداتنا ولتقسيم كل نوع من أنواع التكاليف والمال الاميري (ويركو) وتحصيله في صورة موافقة لقواعد الثروة منزهة عن اضرار الاهالي ثم لتوفيق بعض مسائل الحقوق الأساسية لاحتياجات العصر لتقصد جريان العدل الكامل في المحاكم ولاصلاح الاوقاف ولتسهيل مطلب التصرف في الاراضي ولترتيب النواحي الذي هو أساس الادارة الملكية وتقرير وظائفها ولتكميل تنظيمات الضابطة لكن وأسفا ان الحرب الحاضرة قد عوقت اتمام مفاعيل مقاصدنا هذه الخالصة على ان مصائب هذه الحرب قد تجاوزت حدودها الطبيعية فكمن الاهالي غير المدافعين الذين بمقتضى القانون الحربي ليسوا بمسؤولين عن شيء وكمن النساء والصبيان أمسوا عرضة للمظالم الغادرة والدموية التي لا تتحمل سماعها المرحمة البشرية فأؤمل والحالة ما ذكر ان الزمان المستقبل لا يمانع رؤية الحقانية

أما قوانين اللوائح المتعلقة بترتيبات الدوائر البلدية ووظائفها في دار السعادة والولايات تلك التي تحولت في العام الماضي الى مجلسكم فقد تقرر أمرها وصادق مجلس الاعيان والمبعوثان على نظاماتها الداخلية ووضعت في موقع الاجراء وقد يوجد فيما بين لوائح القوانين التي هيأها شورى الدولة لوائح مهمة متعلقة بقوانين أصول حقوق الحاكمه والانتخابات

الصلح خوفاً من أن يكون بها ما يجحف بحقوق الدول الأخرى فقبلت انكسارها هذا الطالب واقترحت أن يكون اجتماع هذا المؤتمر في مدينة باد (١) ثم توقفت هذه المخبرات بسبب محاولة روسيا ورغبتها في انتهاء الصلح بدون توسط باقي الدول فانها لم تبلغ صورة هذه الاتفاقيات الى الدولة العلية ولا باقي الدول الا بعد امضائها بثمانية أيام ولم تنشر في الجريدة الرسمية الروسية الا في ١٥ فبراير سنة ١٨٧٨

وفي هذه الفترة اضطربت الافكار في أوروبا وأشيع أن الغساكر الروسية قد احتلت الاستانة ومع تكذيب هذه الاشاعة رسمياً فقد أمرت انكسارها وناعتها الراسية في خليج (بزيكا) بالتوجه الى الاستانة لحماية رعاياها وفي الحقيقة لمراقبة حركات روسيا ومنعها بالقوة لو أرادت احتلال الاستانة

ولما كان الباب العالي قد أباح للدونامة الانكليزية المرور من بوزاز الدردنيل أثناء مخبرات أدرنه أراد الاميرال الانكليزي المرور بمقتضى التصريح القديم فمنعه حكمدار القلعة (سلطانيه)

ولذا أرسل الاميرال الى نظارة البحرية بخبرها بذلك فامرته بالمرور بالقوة وكتب وزير الخارجية الى الباب العالي يعلمه بعزمها خوفاً من الطولة وضياع الوقت في المخبرات للحصول على هذا الجواز فجمع وزير الخارجية سرور باشا الذي اخلف صفوت باشا الوزراء الحاليين والاقدمين وبعد مباحثة طويلة اكتمت الباب العالي باقامة الحججة ضد انكسارها ودخلت المراكب الانكليزية أمام الاستانة في مياه البوسفور

ولذلك قبل شرح المخبرات السياسية التي كانت تتيجه ابرام معاهدة سان استيفانوس ثم تعديلها بمقتضى معاهدة برلين بعض ما حصل في الاستانة من الامور الخطيرة فنقول ان مجلس المبعوثان والاعيان دعيا للاجتماع للنظر في شؤون الدولة فاجتمعا معا بهيئة برلنت في ٧ ذي الحجة سنة ١٢٩٤ وألقى عليهما خطاب عن لسان جلالة مولانا السلطان الاعظم شارح حالة الدولة وما وصلت اليه من العسر بسبب الحرب القائمة بينها وبين روسيا واليك ترجمته نقلا عن مجموعة الجواب يا أيها الاعيان والمبعوثان

انني أكتسب الممنونية بفتح المجلس العمومي وبمشاهدة مبعوثي الملة وكما هو معلوم لديكم أنه لما أعلنت دولة روسيا الحرب على دولتنا في العام الماضي اضطرننا للمقابلة والمدافعة وما زالت الحرب قائمة على ان الوقوعات العظيمة الغير مسبوقة قد أثقلت جداً مشكلات الحرب لان الاختلال الذي شب في هرسك منذ عامين ونصف قد ظهر أيضاً في غيرهما من بعض المواقع وقسم من أهاليها المتمتعين بالمساعدات المخصوصة كالتساوي في الحقوق

(١) مدينة جيلة بامارة باد وتسمى بادن أو بادن بادن بالتكرار وبها حمامات معدنية حارة يقصدها كثير من الناس للاستحمام بها ولا يزيد عدد سكانها الاصلين عن ثلاث عشر ألف نسمة



كانوا يتنظرونه ووقع فيه فريق منهم من النهب والقتل وتركوا أملاكهم وأمتعتهم قاصدين ملجأ الخلافة الإسلامية أفواجا حتى غصت شوارع الاستانة بهم وأعيت الحكومة الحيلة في تقديم ما يلزم لها من الملبس والمأكل والوقود في هذا الشتاء القارس ولذلك تشكلت عدة جمعيات لمساعدتهم فجمعت أموالا طائلة من جميع الأهلالي مع اختلاف أديانهم ومذاهبهم ولم يلبس هؤلاء المساكين ان أصيبوا بداء التيفوس فمات كثير منهم ولولا اسراع الدولة في ابرام الصلح وتوزيعهم على ولايات الاناطول لهلكوا عن آخرهم اذ انهم كانوا يؤثرون الموت على العودة الى بلادهم التي احتلها الروس وساد فيها المسيحيون وكان ذلك منتهى أمل الروسية التي كانت تود مهاجرة المسلمين عن جميع الولايات المضممة على منحها الاستقلال

هذا أما ما حصل في بلاد مقدونية وتساليا وغيرها وفي جزيرة كريد من الفتن بدسائس مملكة اليونان فلا يعتد به لقلة أهميته ووعد قناصل الدول الثائرين بالنظر في طلباتهم عند اتمام الصلح مع روسيا

وفي أوائل شهر يناير سنة ١٨٧٨ عين الباب العالي كلا من نامق باشا وسرور باشا مرخصين من طرفه لمخاطبة الغراندوق نيقولا في أمر توقيف القتال وأرفقتهما بأمورين عسكريين وهما نجيب باشا وعثمان باشا (خلاف بطل بلغنه) لما يختص بالامور العسكرية

وفي ١٤ يناير سافر هؤلاء المندوبون الى قزاقق لمقابلة البرنس الروسي فوصلوا اليها في ١٩ منه لتعطيل السكك الحديدية وبعد ان عرضوا ملخص ماموريتهم أجابهم أنه سيطلب الاستعلامات اللازمة من جلالة القيصر ويعطيهم الجواب النهائي في مدينة أدرنه التي دخلها الروس في ٢٠ منه كما ذكرنا ولما وصلوا اليها في معية البرنس ابتدأت المخبرات وفي ٢٠ منه صار التوقيع على اتفاقين أحدهما بين الغراندوق نيقولا وسرور باشا ونامق باشا مفاده منح الاستقلال الاداري للبلغار والاستقلال السياسي للمملاكتين (رومانيا) ولليجبل الاسود مع تعديل في حدودهم واعطائهم بعض أراض من أملاك الدولة وتقرير غرامة حربية للروسيا تدفع نقداً أو يستعاض عنها ببعض القلاع والحصون والآخر بين نجيب باشا وعثمان باشا ومندوبين عسكريين من قبل الغراندوق يختص ببيان شروط المهادنة

وأوقفت الحركات العدوانية من الساعة السابعة من يوم ٣١ يناير سنة ١٨٧٨ ثم أعلن الباب العالي في ٥ فبراير برفع الحصار عن سواحل روسيا الواقعة على البحر الاسود ثم عاد الغراندوق نيقولا الى سان بطرسبورج عاصمة روسيا حيث قوبل بكل احترام واجلال

ولما علمت الدولة بالهدنة والاتفاق على مبادئ الصلح طلبت انفسها من انكلترا عقد مؤتمر من مندوبي الدول الموقعة على معاهدة باريس المبرمة في سنة ١٨٥٦ ينظر في شروط

الخبايرات  
الابتدائية والهدنة



ولا صديق وجيوشه أضناها التعب والنصب في محاربة الامارات والولايات المسيحية التي نارت قبل الحرب اطاعة للدسائس الخارجية ومع هذه المميزات فقد فازت الجيوش العثمانية أكثر من مرة ودافعت دفاعاً اضطر العدو قبل الصديق الى الاقرار بشجاعتها والاعتراف بثباتها وفي واقعة بلقنه وغيرها مما يعد منها ولا تعدما يكفي لقطع لسان كل مكابر خوّان

ولما توالى الحوادث المذكورة طلب الباب العالي من الدول التوسط بينه وبين روسيا لابرام الصلح وحقق دماء العباد وأرسل بذلك منشوراً الى الدول الست العظام فلم يرد له جواب شاف بل كانت كل منها تودّ انكسار الدولة تماماً قبل التداخل في الصلح حتى يمكنها التهام قطعة من أملاكها نظير توسطها

وبعد ذلك استمر القتال في قلب الشتاء بدون انقطاع رغم أن تكرار الثلج وصعوبة مرور المدافع وبسبب سقوط مدينة بلقنه وخلوّ الجيوش الروسية التي كانت محاصرة لها من الاشغال وجهت روسيا جميع جيوشها الى ماوراء جبال البلقان للاغارة على بلاد البلغار والروملية الشرقية واحتلال مدائن الحصينة بمساعدة الجيش الصربي فاجتاز الجنرال (جوركو) جبال البلقان ودخل مدينة صوفيا عاصمة البلقان في ٤ يناير سنة ١٨٧٨ ثم احتل مدينة فليبه في مساء ١٥ من هذا الشهر وأخيراً دخلت مقدمة فرقة الجنرال سكو بلف (١) مدينة ادرنه في ٢٠ منه ومنها سار الروس نحو الاستانة وتقدموا بدون أن يجدوا معارضة تذكر الى مسافة خمسين كيلو متر فقط من عاصمة الخلافة العظمى وفي هذه الاثناء كان اهالي الجبل الاسود قد احتلوا مدينة اتيباري ووصلوا الى ضواحي اشقودره ودخل الصربيون مدينة نيش ولذلك لم تر الدولة العلية بداً من طلب الصلح وقبول ما يطلبه العدو لعدم قدرتها على استمرار القتال وتبديد جيوشها ووصول العدو الى ضواحي الاستانة

وحيث قد اتهمنا من ذكر الوقائع الحربية بغاية الاجاز فلنشرح الآن ما جرى بين الطرفين المتحاربين والدول من المخابرات السياسية تاركين شرح تفصيلات هذه الحرب بخدايرها الى حضرات الضباط المصريين الافاضل الذين رافقوا المرحوم حسن باشا وحضروا أغلب وقائعها وعلموا أسباب انتصار الروس العسكرية وغيرها واننا نرجو أنهم لا يعدموننا ذلك وكلهم من الفضلاء النبلاء الذين يمكنهم بيان ما لا يمكننا ذكره لعدم خبرتنا في الامور العسكرية ويكونون بذلك قد قاموا بخدمة عظيمة نحو الملة الاسلامية عموماً

أما متحملو المسلمون من أنواع الايذاء والتعدي من قبل البلغار بين مجرّد سماعهم باقتراب الجيوش الروسية فما يعجز القلم عن وصفه ولذا هاجر أغلب المسلمين الى الاستانة هرباً بما

(١) قائد روسي ولد سنة ١٧٤٣ واشتهر في مجاربة وفتح عدة أقاليم بأواسط آسيا وفي سنة ١٨٧٣ احتل مدينة خيوة عنوة وامتاز في هذه الحرب الروسية الاخيرة وبعد انقضاءها عاد الى بلاد تركستان وحارب بعض قبائلها وتوفي بقتة في مدينة موسكو سنة ١٨٨٢ غير بالغ الاربعين من عمره

والحق تعالى لا يعزب عنكم نصرته البالغة الممدانية اه  
وبسبب ما ذكر اضطرب الغراندوك ميخائيل حكمدار عموم بلاد القوقاز وأرسل  
يطلب المدد والذخائر وظلت الجيوش الروسية تدافع حتى أتت إليها عدة لواءات من  
المشاة وعدد عظيم من المدافع

سقوط قارص

وفي أواخر شهر سبتمبر سنة ١٨٧٧ اتخذ الجنرال لوريس مليكوف خطة الهجوم  
ثانياً ولعدم ارسال جيوش جديدة الى مختار باشا واستشهاد عدد كثير من جنوده في هذه  
الوقائع المستمرة لم يمكنه مقاومة الجيوش الروسية الجديدة التي لم يضرها التعب بل رجع  
القهرمى قاصداً مدينة أرضروم فبعه القائد الروسى وهزمه في موقع يقال له (الاجه طاغ)  
ثم حاصرت مدينة قارص ثانياً وفتحتها عنوة في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٧ بعد ان حاول من بها  
الخروج من وسط المدافع الروسية وغنم منها ثلاثمائة مدفع تقريباً

أما مختار باشا فبعد ان حاول مساعدة قارص وانتصر عليه الاعداء في موقعة (دويميون)  
في ٤ نوفمبر عاد الى أرضروم حيث حصره العدو ومنع وصول المدد اليه

وبمجرد وصول خبر سقوط قارص في نوفمبر وبلغته في ١٠ ديسمبر أيقن الصربيون  
أن الفوز والنجاح سيكونان في جانب روسيا ولم يتأخروا في اعلان الحرب على الدولة  
صاحبة السيادة عليهم التي لم ترتكب نحوهم انما الاحترام دينهم ولغتهم وأوصل هذا الاعلان  
الى الباب العالي المسمى كريسطين سفير الصرب في الاستانة في ١٤ ديسمبر سنة ١٨٧٧  
اعنى بعد سقوط بلغته باربعة أيام وسارت عساكرهم على القور للانضمام الى جيوش روسيا  
التي بعثتهم الى هذه الحرب اذ أن البرنس ميلان لم يعلمها الا بعد أن تقابل مع امبراطور  
الروسيا واتفق معه على ما يعطى له بعد الحرب جزاء خيانتته

وقابل الباب العالي هذا العدو الجديد مقابلة عدو متتظر من يوم لا آخر

وفي ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٧٧ أرسل الباب العالي لاهالى الصرب منشوراً يظهر لهم  
فيه غدر حكومتهم وخيانتها وانها تسوقهم الى الدمار والبوار بدون سبب مطلقاً ويخبرهم  
بان جلالة السلطان متبوعه الاعظم قد أمر بـمـزله من منصب الامارة جزاء عدم محافظته  
على العهود بعد ان عفت عنه الدولة أكثر من مرة فلم يعبأ البرنس بهذا العزل بل استمر  
على محاربة متبوعه الى أن انتهت الحرب وثبت في وظيفته وزيدت امتيازاته بمساعدة  
الدول ومنح لقب ملك كاسترى ومن جهة أخرى فان اماره الجبل الاسود لم تتفق مع الباب  
العالي على الصلح قبل اعلان روسيا الحرب كما ذكرنا ولذلك اشترك جيشها في القتال بكيفية  
كانت نتيجةها تعطيل جزء ليس بقليل من عساكر الدولة في محاربه وعدم امكان هذا  
الجزء محاربة روسيا في جهات البلقان ومن ذلك يتضح للمطالع ما كان بين الجيشين المتحاربين  
من التفاوت هذا تساعده رومانيا والصرب والجبل الاسود جهاراً وجميع المسيحيين  
التابعين للدولة العلية باوروبا سرراً والدول تنمى له النجاح والفلاح وذلك بمفرده لا بمساعدة

الحرب الاخيرة ولكن النصر بيد الله يؤتیه من يشاء

الاعمال الحرب  
في الاناتول

أما في جهة آسيا فكان النصر أولاً في جانب العثمانيين حتى ردوا اغارة الروس عن بلادهم وتبعوهم الى داخل بلاد روسيا وذلك ان الجنرال (لوريس مليكوف) حاصر مدينة قارص والجنرال (دروجاسوف) وجه اهتمامه لفتح مدينة بايزيد بينما كان باقي الجيش الروسى يجرى عدة مناورات عسكرية لاسقاط مدينتى اردهان وباطوم ثم قام الجنرال لوريس مليكوف ببعض جيوشه لمساعدة الجنرال دوفيل على أخذ اردهان

وفي ١٧ مايو فتحتها عنوة وعادا لتشديد الحصار على قلعة قارص وقد احتل الجنرال دروجاسوف مدينة بايزيد في ٢٠ مايو وانتصر على العثمانيين في ١٠ يونيه وفي ٢١ منه وفي أثناء ذلك تمكن أحمد مختار باشا من ترتيب الجيوش التي أتت اليه من كل فج وأغلبها غير منتظم واحتل مرتفعات (زوين) وتسمى بالتركية (كروم دوزى) بقوة عظيمة وأرسل اسمعيل حتى باشا مع جيش الاكراذ لمهاجمة الجنرال دروجاسوف فاراد الجنرال لوريس مليكوف اسعافه فانتصر عليه مختار باشا انتصاراً عظيماً في ٢٥ أغسطس سنة ١٨٧٧ لم يسع الروس بعده الا التمسك ببقية الفشل ورفع الحصار عن مدينة قارص قاصدين مدينة السكسندروبول الروسية وتقهقر كذلك الجنرال دروجاسوف الى تخوم روسيا يتبعه اسمعيل حتى باشا بقوة عظيمة

وبعد ذلك انتصر العثمانيون على الروس في ستة وقائع مشهورة منها واقعة كدكلر التي لما بلغ السلطان خبرها أرسل الى احمد مختار باشا فرماناً باظهار ممنونيته تاريخه ١٨ شعبان سنة ١٢٩٤ وهالك ترجمته

مشيرى سمير الحمية أحمد مختار باشا

لقد زينتم مهم صحائف تاريخنا العسكرى بغالييتكم التي أحرزتموها في محاربة كدكلر أما جنودنا الذين مابرحوا نصب أعيننا فقد أثبتوا على الوجه الاتم في هذه الحرب التي أظهروا بها الثبات والاقدام في صورة خارقة للعادة امتلاكهم للخصلة العثمانية على أن مقابلتهم في جميع الوجوه للتدابير الماهرة التي أجراها العدو في ميدان الحرب بحيث أسفرت نتيجةها عن اكتسابهم حراً ذات شأن وظفر كانت برهاناً جلياً على كمال انتظامهم العسكرى فأضحت لدينا هذه المظفرات باعثة لى كمال التقدير والتحسين فأنشكر أنا وهيئة الدولة والملة معاً منكم جميعاً وقد أمرت بترفع رتب الامراء الذين شهدتم باستحقاقهم حسباً أنهم هم وسأ توفى ان شاء الله لان أعاق يمدى نياشين الظفر في صدور سائر أفراد الامراء والضباط وقصارى المسئول من جناب الناصر الحقيقى حضرة العادل المطلق الشاهد على صدق دعوانا الحققة في هذه الحرب الحاضرة أن يتعاهد بعد الآن أيضاً بعناية وبمدد روحانية سيدنا الرسول الأمين الذى هو العروة الوثقى في الحاجات عسكرنا بالنصر المبين في حروبهم وغزواتهم وأن يجعلهم مسرورين بحماية العلم الاسلامى هذا وأسلم على رفقاءكم في السلاح فرداً فرداً



يجزله الاتفاق على التسليم فاجابه ان عثمان باشا جريح ويود لو أنى اليه أحد قواد الروس للاتفاق معه فقبل القائد (جانتسكى) ذلك وأرسل الجنرال (استروكوف) فتوجه هذا الجنرال الى عثمان باشا في البيت الذي كان دخل فيه للاستراحة وقال له بعد التجهيز ان القائد الذي أرسله لا يمكنه أن يمنحه أى شرط ولا ان يقبل التسليم الا اذا ألقى العثمانيون أسلحتهم لعدم وجود أوامر عنده من القائد العام الغراندوك نيقولا أخى القيصر ولما أجابه عثمان باشا بالايحاب عاد الجنرال استروكوف الى مرسله وأخبره بذلك فأتى الى مقر عثمان باشا وبعد ان هنأه على مآثاه من الاعمال التى تشهد له بعلو المسكنة وتخلد له اسمافى التاريخ طلب اصدار أوامره الى جيوشه بالقاء السلاح فامر بذلك ثم سلم سيفه

وبعد ذلك أتى اليه بعربة فركبها قاصداً مدينة بلقنه وفي اثناء سيره قابله الغراندوك نيقولا ومعه البرنس شارل أمير رومانيا فاوقف العربة وسلمها عليه مصافحة وفي صبيحة اليوم الثانى توجه عثمان باشا الغازى متكبثا على طبيبه الخاص الى المحل الذى نزل به القيصر إسكندر الثانى بعد دخوله مدينة بلقنه لمقابلته وعندما دخل على الامبراطور قام اجلالا له وسلم عليه واطهر له اعجابه من دفاعه ومحاولته الخروج من بين صفوف المدافع المحيطة به ثم قال له انى اردت اليك سيفك علامة على احترامى لك واكبارى لشجاعتك وأجيز لك أن تحمله فى بلادى وعند انصرافه سلم اليه الجنرال ماجور استين سيفه ثم عاد الى منزله وفي ١٦ دسمبر أنزل فى قطار مخصوص الى مدينة كركوف حيث أمر بالاقامة الى انتهاء الحرب ولندكر هنا اظهارة لفضل عثمان باشا وجيوشه ان عددا من كان معه لا يزيد عن خمسين ألفا ولم يكن معهم من المدافع سوى ٧٧ مدفعا مع ان الجيش الروسى الذى خصص لحصار بلقنه بلغ ١٥٠٠٠ جندى و ٦٠٠ مدفعا ومن ذلك يظهر للاقارى عشجاعة العثمانيين وبناتهم أمام العدو وما يؤثر عنهم ايضا أنهم لم يسلموا اعلامهم مطلقا بل حرقوا بعضها ووضعوا البعض الآخر فى ضناديق من حديد ودفنوها فى باطن الأرض ومن قارن هذه الحادثة بحادثة مدينة (متس) التى سلمها المارشال الفرنساوى بازين (١) للعدو مع ان جيوشه ومدافعه كانت تعادل أو تزيد عن جيوش ومدافع العدو وسلمها مع ما فيها من الجيوش والمدافع بدون أن يسمي فى الخروج كما فعل عثمان باشا تحقق له انه لولا محاربة الدولة العلية البوسنة والهرسك والبلغار ثم الجبل الاسود والصرب قبل محاربتها الروسيا لافازت بلاشك ولا مريفة هذه

(١) مارشال فرنساوى ولد سنة ١٨١١ ولما بلغ العشرين من عمره دخل العسكرية بدرجة عسكري وسافر الى بلاد الجزائر فترقى فيها تدرىا حتى وصل الى رتبة لواء سنة ١٨٥٤ وأعطيت اليه رتبة فريق فى حرب القرم ثم رتبة مشير (مارشال) فى محاربة المكسيك وفى حرب سنة ١٨٧٠ جعل قائدا لما للجيش المحافظ على مدينة متس وضواحيها فله جيوشه وهما للبروسيا فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٧٠ ثم حوكم أمام مجلس عسكري فى سنة ١٨٧٣ وحكم عليه بالاعدام بعد لتجريد من جميع رتبته ونياشيته وعفت عنه الحكومة مستبدلة الاعدام بالسجن المؤبد فجرد وسجن ثم هرب وأقام بمدينة مدريد (السماة فى كتب العرب بحريط) حتى توفي سنة ١٨٨٨



للدفاع عنها والثانية تحت امره محمد علي باشا السردار الاكرم جعلت وجهتها محاربة الجيش  
العائد له البرنس اسكندر ولى عهد القيصر والثالثة تحت امره سليمان باشا الذى اشتهر  
أولاً فى محاربة نائرى البوسنة والهرسك وأخيراً فى محاربة الجبل الاسود ووجه اهتمامه  
لاسترداد مضائق شبيكا من أيدي الروس وكادت الفرقتان الاخيزان تتم ماموريتهما  
فتتحد الجيوش العثمانية وتسير معاً لارجاع الروس الى التخوم وقهرهم على اجتياز نهر  
الطونة خائبين لولا خيانة شارل دى هوهرزوارن أمير رومانيا ومجيئه الى ميدان القتال  
بنحو مائة ألف مقاتل ملئت قلوبها غلا للدولة العلية صاحبة السيادة ومجيء قيصر الروس  
بنفسه لتشجيع العساكر على الحرب وبث روح الثبات والاقدام فيهم فانقلبت الحال ولم  
تجد العثمانيون انتصاراتهم المتعددة على الروس حوالى بلفنه وأمام مضيق شبيكا لتوارد  
المدد يومياً من الروسية ثم صمم الروس على محاصرة بلفنه محاصرة أصولية لتتقنه من  
استحالة أخذها هجومياً نظراً لمناعة المعاقل والحصون التى أقامها عثمان باشا حولها وانا طوا  
هذه المامورية بالجنرال (تودلين) الذى اشتهر بالدفاع عن مدينة سباستوبول فى الحرب  
السابقة فجمعوا حولها العدد الكافى من العساكر والمدافع لاتمام حصارها والاحاطة بها  
احاطة السوار بالمعصم وبعد عدة وقائع تم حصارها فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٧٧ وصار  
وصول المدد اليها مستحيلاً وابتدأت الاعمال للاستيلاء على الحصون الامامية واستمر  
القتال حولها ولا شىء يثنى عثمان باشا وجيشه عن الدفاع حتى نفد ما كان عنده من الذخائر  
والمؤن فعزم على الخروج بجيشه والمرور من وسط الاعداء فيسلم معهم أو يموتوا  
شهداء الدفاع عن بيضة الاسلام ولما عقد النية على هذا العزم استعد لانفاذه حتى اذا  
كان يوم ١٠ ديسمبر سنة ١٨٧٧ أخذت العساكر العثمانية جميع القلاع المحيطة بالمدينة  
وخرجوا جميعاً من جهة واحدة مهالين ومكبرين فقا بلهم العدو بمقدوفاته الجهنمية أما الليوث  
العثمانية فسلم تعباً بهم بل استمرت فى سيرها عدواً نحو الاستحكامات التى كان أقامها  
الروس حول المدينة على ثلاثة خطوط متعاقبة ونفذوا كالسيل المنهمر من أعالي الجبال  
الذى لا يعوقه شىء فى اندفاعه على مدافع الخط الاول والثانى وكادت تستولى على الخط  
الثالث وتخلص من هذا الحصار وتفوز بالنصر المبين لولا ان أصيب قائدهم عثمان باشا  
الغازى برصاصة نفذت من ساقه الايسر وقتلت حصانه فسقط هذا الشجاع على الارض  
وظنت عساكره انه استشهد وبمجرد ما شاع خبر موته الغير حقيقى استولى الفشل على جميع  
الجنود وأرادت الرجوع الى المدينة وحيث كان قد احتلها الروس عقب خروجهم منها قابلهم  
العدو بالنيران من الخلف فصار العثمانيون بين نارين وبعد ان دافعوا عن أنفسهم دفاعاً شهيد  
الاعداء بانهم من خوارق الامور التزموا برفع الراية البيضاء علامة على التسليم فوقف الروس  
اطلاق النيران وتقدم للواتوفيق باشا رئيس أركان حرب الجيش العثمانى القائد له عثمان باشا  
وطلب مقابلة القائد الروسى ولما قابله تساله عما اذا كان معه اذن بالكتابة من عثمان باشا

واستدعى سليمان باشا الذي كان يحارب سكان الجبل الاسود وانتصر عليهم في عدة مواقع لحضوره مع جيوشه الهندية للمساعدة على صد الروس وعين محمود باشا داماد صهر الحضرة السلطانية ناظراً للحربية مؤقتاً ثم أحيل عبد الكريم باشا ورديف باشا وغيرهم من الضباط العظام الذين نسب اليهم اهمال أو تقصير وغير ذلك مما سهل على الروس اجتياز الدانوب فخيال البلقان ووحكم على أغلبهم بالنفي الى جهات مختلفة

وفي أثناء ذلك أتى الغازي عثمان باشا من معسكره بمدينة (ودين) لمساعدة مدينة نيكوبلي ولما وصله خبر سقوطها في أيدي الروس قصد مدينة (بلغنه) لاهمية موقعها الحربي ووجودها على ملتقى الطرق العمومية الموصلة بين مضائق جبال البلقان وبلغاريا الغربية والظننه وأقام حولها الماقل والحضون المنيعه التي جعلت الاستيلاء عليها من رابع الممتحيلات لكن لاستخفاف الروس بهذه الاستحكامات هاجوها في ٢٠ يولييه فارتاموا على أعقابهم خاسرين ثم أعادوا الكرة عليها في ٣٠ منه بقوة عظيمة مؤلفة من ثلاثين أورطة من المشاة وقدرها من الخيالة ومائة وستة وثلاثين مدفعا فعداوا بخفي حنين بعد ان خضبوا الارض بدمائهم وأفعموا الوديان بجثثهم وحينما وصل خبر هذا الفوز المبين تلغرافياً الى مسامع السلطان الشريفة أصدر في الحال فرمانا عالياً باظهار الممنونة له وجميع الجيوش المؤتمرة به تاريخه ٢٠ رجب سنة ١٢٩٤ الموافق أول أغسطس سنة ١٨٧٧ وهاك ترجمته

#### مشيرى سمر الصداقة عثمان باشا

أقد أعليت الشأن العثماني وصيت عساكرنا وناموسهم بغزوك الجديد المضاف الى خدماتك السالفة الموسومة بشعار البسالة فالحق تعالى ومخير الانبياء يعضداندك في الدارين وسلم على كافة الامراء والقواد وعلى جنودي المتصورة بالافراد أولئك الجنود قرة باصرة افتخارى والمقدمون على أولادى فلاجرم أنهم بغزوانهم الغضنفرية يستفزون سلطانهم للسرور والممنونية والله المستول أن ينيلهم النجاح والسعادة الابدية وبوقتهم في سبيل المحافظة على اللواء العثماني لمثل هذه الغزوات ويوصلهم صور ياومعنو بالمراتب المكافآت العاليات وقد منحتكم النيشان العثماني مكافأة لخدمتكم وأمرت بتوجيه الرتب واجراء التلطيفات للامراء والضباط كما عرضتم وأتم مأذونون بأن تعدوا فيما بعد الامراء والقواد وتبشروهم فوراً بالمكافآت التي يستحقونها متى امتازوا بأثر فداء خارق للعادة وأن تعرضوا ذلك لدار السعادة على أنه تقرر لدى أن يرسل لطرف حميتكم مأمور مخصوص ليبين لكم جميعاً ممنونيتي وتشكرى اه

وبعد تقهر الروس أمام بلغنه ووصول المدد من جميع الجهات أمكن العثمانيين الهجوم بعد الاقتصار على الدفاع واقسم الجيش الى ثلاث فرق الاولى انضممت الى عثمان باشا في بلغنه

ان ما حصل بين الجيوش العثمانية وعساكر الروسية من الوقائع الحربية لم يزل مسطوراً في ذهن القراء لقرب عهده فان جميعنا يعلم ما أناه الغازي عثمان باشا عند محاصرته جنود روسيا في مدينة (بلغنه) من الاعمال التي شهد له بها العدو قبل الصديق وما أناه الغازي أحمد مختار باشا في جهات قارص وأرضروم ولذلك كان يمكننا أن نضرب صفحاً عن تفصيل هذه الوقائع بدون اخلال بموضوع هذا الكتاب لكن آثرنا تيمناً للفائدة أن نأتي على تلخيصها بغاية الإيجاز فنقول

انه قبل اعلان الحرب رسمياً باربوع وعشرين ساعة اجتازت عساكر الروسية اخلافاً لاصول الحرب تخوم رومانيا قاصدة بلاد الدولة العلية التي يفصلها عن رومانيا نهر الدانوب فاحتجت الدولة ضد تحالف رومانيا مع روسيا مع انها لم تزل صاحبة السيادة عليها ولكن أين الجيب والكل يد واحدة ولما لم نجد الدولة من أوروبا أذناً مصغية أرادت معاقبة رومانيا على هذه الخيانة فأرسلت بعض سفنها الحربية في الطونة لاطلاق قنابلها على سواحلها فكان هذا الجزء حاملاً لها على التظاهر بالعدوان والمناداة بالاستقلال في ١٤ مايو سنة ١٨٧٧ والاشتراك فعلاً مع روسيا في الحرب وانضمام جيشها البالغ ستين ألف جندي تقريباً الى الجيش الروسي

هذا ومن تأمل في خريطة الدولة العلية يرى أنه يفصلها عن روسيا ورومانيا حاجزان طبيعيان أهم من الحواجز والمعاقل الصناعية وهما نهر الدانوب وجبال البلقان فلو اجتيز الاول أمكن جيوش الدولة التحصن في الثاني ولذلك كانت الحرب أولاً على شاطئ الدانوب وبعد عدة وقائع حربية ومناورات عسكرية اجتاز الجنرال (زمرمان) الطونة في ٢٢ يونيو

وفي ٢٧ منه عبر الجيش الروسي بأجمعه النهر وقصد مدينة (ترنوه) فاحتلها وفي أواسط يوليو احتل البارون (دي كرودر) مدينة نيكوبلي واحتل الجنرال (جوركو) مضائق البلقان الموصلة لمضيق شيبكا الشهير وعند وصول هذه الاخبار الى الاستانة استولى الرعب والقلق على سكانها اذ لو اجتاز الروس مضيق شيبكا لحيف على دار السعادة نفسها من الوقوع في قبضة العدو لا قدر الله ولولا وضع الاستانة في ١١ جمادى الاولى سنة ١٢٩٤ الموافق ٢٤ مايو سنة ١٨٧٧ نحت الاحكام العرفية وتوقيف سير القوانين النظامية لحصل بها من الفتق والقلاقل ما يكون عوناً ومعيناً للعدو على التقدم للامام لكن انتباه القوة الضابطة منع كل أمر مخل بالراحة وقد نسب هذا التمهقر المستمر أمام جيوش روسيا الى عدم كفاءة المرردار الاكرم عبد الكريم باشا وناظر الحربية رديف باشا فعزل في ٢٢ يولييه وتعين محمد علي باشا (١) قائداً عاماً للجيوش العثمانية

(١) هو روسي الاصل ومسيحي الدين ثم اعتنق الدين الاسلامي وفي سنة ١٢٦١ دخل في سلك العسكرية وفي سنة ١٢٨٧ وصل الي رتبة فريق ولما ابتدأت الحرب الروسية أحسن اليه برتبة المشربة وأرسل الي جهات الروماني



في سان بطرسبورج كتابا يقول فيه ان سيده الامبراطور رأى نفسه مضطرا بكل أسف  
أن يعتمد على قوة السلاح لتنفيذ مطالبه وكلفه بان يخبر دولته بان الروسية تعتبر نفسها  
من هذا اليوم في حالة الحرب مع الدولة وأن يخبره عن عدد مستخدمى السفارة ليعطى لهم  
جواز السفر علامة على قطع العلاقات بسبب الحرب فابلاغ توفيق بك هذا الخطاب الى  
الباب العالى وكان المسمى نيليدوف الذى نيظت به أعمال السفارة الروسية بعد سفر الجنرال  
اغنايف قد ترك الاستانة في اليوم الذى قبله قطعاً للعلاقات السياسية فكتب الباب  
العالى نشرة لتعريفية الى سفرائه لدى الدول الموقعة على معاهدة باريس في سنة ١٨٥٦  
بتاريخ ٢٥ ابريل يكلفهم باخبار الدول المعينين لديها باعلان الروسية بحاربتها للدولة بدون  
توسط الدول طبقاً للمادة الثامنة من معاهدة باريس المذكورة انى نصها ( اذا حدث بين الباب  
العالى واحدى الدول المتعاهدة خلاف خيف منه على اختلال ألفتهم وقطع سلطتهم فمن  
قبل أن يعتمد الباب العالى وتلك الدولة المنازعة له على أعمال القوة والجبر يقمان الدول  
الآخرى الداخلة في المعاهدة وسطاً بينهما منعاً لما ينشأ عن ذلك الخلاف من الضرر )  
و بعد ذلك أصدرت الدولة أوامرها الى جميع رؤساء الجيوش بملاقة العدو بما جهلت  
عليه العساكر الشاهانية من البسالة والثبات وأصدر سيدنا شيخ الاسلام فتوتين بتاريخ ٨  
جمادى الاولى سنة ١٢٩٤ الموافق ٢١ مايو سنة ١٨٧٧ احدهما بوجوب القتال على  
كل مسلم والثانية باضافة لفظة (غازى) على اسم جلالة السلطان فى الاوامر وعلى المنابر  
بناء على مجاء فى الحديث الشريف ( من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا )  
أمدول أوروبا فظهروا جميعاً عدم المساعدة للدولة ولو أدبياً وقلبوا لها ظهر الجن بعد  
ما أوصلوا المسئلة الى الحرب بتدخلهم الغير شرعى واقترحهم على الباب العالى ما لا يمكنه  
قبوله وان قال معترض مخايل أن انكثرتا اعتضت على هذه الحرب بجواب أرسله اللورد  
دربى الى اللورد اوغستوس ليفتوس سفير انكثرتا فى عاصمة الروسية بتاريخ أول مايو سنة  
١٨٧٧ فنقول ان ذلك لم يكن حبا للدفاع عن الدولة العلية فانها لم تحرك مركبا ولا جنديا  
لمؤازرتها انما كان احتجاجها خوفا على مصالحها التجارية وعلى حرية الملاحة فى بوغاز  
السويس من أن تعيث بها أيدي الروسية بحجة أن مصر جزء من الدولة العلية وعساكرها  
متحدة مع جيوش الدولة فى محاربها لكنها كفت عن المعارضة والتزمت الحيادة كباقي  
الدول بمجرد ما أجابها البرنس غورشا كوف بتاريخ ٧ مايو أن الروسية ليس من قصده  
أن تحصر خليج السويس ولا أن تتعرض لمنع سير السفن فيه فانها تعتبره بمنزلة مصلحة  
عمومية تشترك فيها تجارة جميع الأمم فيجب أن يبتى دائما سالما من التعرض أما مصر  
فانها جزء من الممالك العثمانية وعساكرها مختلطة بالعساكر التركية ومن ثم يسوغ للروس  
ان تعتبرها محاربة لها ومع ذلك فان الروسية لا تتخذها هدفا لأعمالها الحربية لما فيها  
لأوروبا عموما وانكثرتا خصوصا من المصالح



مفردة كانت أو مجموعة لأنها لما كانت علاقتها مع الدول المتحابة مبنية على الحقوق المتعارفة بين الأمم وعلى المعاهدات لم يكن لها أن تعترف أن سفراء الدول وعمالها الذين وظيفة الحماية عن مصالح رعاياهم يكون لهم حق المراقبة على وجهه رسمى فهذا أمر مهمين لها ولم يعهد له نظير لدى سائر الدول وهو أيضاً مناقض لما تقرر في معاهدة باريس التي اتفقت عليها الدولة العلية مع سائر الدول فانها تصرّح بعدم المداخلة وتتخذ أصلاً من أصول السياسة فلا يصح إذاً إلغاء شىء منها من دون موافقة الباب العالى فاذا كانت الدول تخرج بتلك المعاهدة فليس لسكونها نخولها حقوقاً ليست في حيازتها من دونها ولكن لتذكر الدول بالاسباب الخطيرة التي حلتها منذ عشرين سنة حباً لبقاء السلم العام في أوروبا على أن تتعهد بحفظ حقوق سلطنة الدولة العلية عن الانتهاك أما ما تقرر في البروتوكول من أن الدول اذا رأت الاصلاح غير منجز يكون لها أن تنشب بالوسائط الفعالة لانهجازه فان الدولة ترى في ذلك اجحافاً بشرفها وحقوقها ونحوها من شأنه أن يجرد أفعالها التي تأتتها عن رضا ومبادرة عمالها من الاستحقاق وسبباً يزيد في ارتباكاتهما في الحال والاستقبال فعلى كل حال لا يعوق الدولة العلية شىء عن أن تجزم باقامة الحججة على البروتوكول المذكور وأن تعتبره بالنظر الى ما يتعلق بها خالياً من الانصاف ومجرداً عن الاوصاف التي تجعله موجباً وحيث ظهر لها أن موضوعه اثاره الظنون والانهام وتقض حقوق الدولة الذي هو نقض أيضاً لحقوق الناس عموماً وطنت نفسها على الدفاع صوناً لوجودها فهي تعلن الآن اكتمالاً على البارى تعالى واعتماداً على العدل أنها تنكر كل ما يحكم به عليها أحد من دون موافقتها وجازمة بان تحافظ على المقام الذي أقامها فيه الفادعز وجل وقدره لها فلا تزال تدفع كل ما من شأنه أن يجحف بالاصول العمومية وبصحة ذلك العهد الذي أوجبته الدول على أنفسها ولاعتقادها بان البروتوكول من قبيل المعدوم تراجع ضمائر الدول الذين تعتقد فيهم بقاء الصداقة والمودة كما كان في سالف الزمن وفي الجملة فان الوسيلة الوحيدة لازالة الخطر الذي يخاف منه على السلم هي المبادرة الى وضع السلاح والجواب الذي صرّحت به الدولة آنفاً عن كلام سفير روسيا ليسهل للدول الحصول على هذه النتيجة ولا شك أن الدول لا تريد أن تكلف الدولة بما يحل بحقوقها وبوجب عليها الاضرار والخسائر فانت مكلف بقراءة اللائحة على ناظر الخارجية وترك نسخة منها عنده اه

لم يسع روسيا بعد رفض الباب العالى للائحة لوندردو وتصميمه على الدفاع عن شرف الدولة وعدم الانصياع لطلبات أوروبا المسيحية الغير حقّة الاعلان الحرب ولكن قبل اعلانه أمضت مع امارة رومانيا (الافلاق والبعدان) معاهدة سرّية بتاريخ ١٦ أبريل سنة ١٨٧٧ وضعت رومانيا بمقتضاها جميع مخازنها ومؤنّها وذخائرها تحت تصرف روسيا ثم في ٢٤ منه كتب البرنس غورشاكوف الى توفيق بك المكلف بمصالح الباب العالى

اعلان الحرب

في بعض الولايات وكذا راحوا لها انما نشأ من اغواء المغوين من الخارج فالدولة العلمية غير مسئولة عنه ولا مطالبة به فلا حق لدولة روسيا في أن تعلق صرف عما كرها على حدوث الاختلال (هـ) أما ارسال مامور مخصوص من الدولة العلمية الى سان بطرسبورج للمفاوضة في صرف العساكر فان الدولة لا ترى سبباً لرفض فعل يدل على المجاملة والملاطفة مما توجه به طريقة المعاملات السفارية من كلا الطرفين لكنها لا ترى تناسباً بين هذا الفعل وبين وضع السلاح الذي لا يجب تأخيره لاي سبب كان اذ يمكن انجاز به بمجرد خبر بالتلغراف فالدولة العلمية تطلب من الدول أن تبصر فيما أوجب رقم البروتوكول وفي خطر هذه الحال الحاضرة التي لا مسئولية منها عليها ومن الغريب أن الدول رأت من الزوم أن تذكر في البروتوكول أن من مصاحبتها المشتركة اجراء الاصلاح في بوسنه وهرسك والبلغار وانه بالنظر الى حسن مقاصد الباب العالي والى ظهور الفائدة له من الاصلاح تؤمل أن يبادر الى اجرائه فعلاً في تلك الولايات من دون امهال كما جرت عليه المذاكرة في المؤتمر وانه متى شرع فيه أول مرة يكون معلوماً عنده ان شرفه ومصالحته يقضيان بالاستمرار فيه فالباب العالي لا يقبل الاصلاح المخصوص بالولايات الثلاث المذكورة وليس عنده شك أيضاً ان مصالحته ومن الواجب عليه أن يقضى حقوق رعيته من النصارى قضاء كافياً ولكن لا يسلم أن الاصلاح يكون مقصوراً على النصارى فقط بل يجب أن يكون شاملاً لجميع سكان الممالك المحروسة رعية الدولة العلمية المتصفين بالولاء والطاعة حتى يكونوا بمنزلة جسم واحد وعلى هذا فالباب العالي مخوق بان يدفع الاوهام التي تثيرها عبارة البروتوكول من جهة اخلاص قصده ونيته نحو رعيته المسيحيين وأن يعترض على عدم المبالاة المفهومة من خوى هذه العبارة بباقي رعيته من المسلمين وغيرهم فمن المنكر ان الاصلاح الذي من شأنه ان يشمل المسلمين بالراحة والمنفعة يكون في عيون أهل أوروبا البصيرة المنصفة مما لا يبالى به ولا يلتفت اليه ولذا كان من قصد الدولة ( وفي الاصل تركية ) اليوم احداث تنظيمات مخصوصة يحصل بها جميع رعاياها التأمين على حقوقهم ومنافعهم المعنوية والمادية على التساوى من دون فرق وتحسب من موجبات شرفها أن تحافظ على القانون الاساسي وذلك أكد ضمان وعهد ولكن اذا رأت نفسها مضطرة الى دفع المقاصد المراد بها ابقاء العداوة بين رعاياها وحملهم على عدم الثقة بها لم تكن مخوقة بإيجاب ما بنى عليه البروتوكول من قصد الاصلاح كيف وقد قال ان قصد الدول أن تراقب بواسطة سفرائها بالاستانة وعمالها في الولايات المتوال الذي تخبز به مواعيد الدولة العثمانية وقال ايضاً اذا كان هذا الامل يخيب مرة اخرى فانها ( اى الدول ) تستيق لنفسها أن تتخذ بالاتفاق الوسائل التي تراها أولى وأحرى لتأمين منافع النصارى واستتباب السلم عموماً فهذا يوجب على الدولة العلمية أن تقيم الحجة عليه وتنكره أشد الانكار فان الدولة من حيث كونها دولة مستقلة لا تدع أن تكون تحت مراقبة الدول

فرق في لغات أهلها ولا في مذاهبهم ثم عقد مجلس المشورة العثماني في الاستانة فاجتمعت فيه أعضاؤه بانتخاب جرى على وجه الاختيار والحرية فان كان أحد يعارض في طريقة هذا الاصلاح الذي اغرب عهده يظن تأخير الثمرة المطلوبة منه يقال له ان هذه المعارضة هي ضد مرامته الدول من الاصلاح أما التأمين في داخل المملكة فان الصلاح استقر بين الباب العالي والصرب ومازالت المفاوضات جارية مع وفد الجبل الاسود وفيها أظهر لهم الباب العالي مساهلة عظيمة وفي خلال ذلك طراً من سوء البخت أمر جريد وهو مبالغة دولة روسيا في تجهيز عساكرها فاجب ذلك على الباب العالي أن يستعد لدفع الخطر عنه مع أن أقصى مرامه أن يتسبث بالوسائل المؤدية الى السلم والسلامة وأن يوافق الدول على قدر ما يمكنه وأن يزيل من خواطر الناس الريب في اخلاص ما نواه من الاصلاح وأن يستريح من الفتق التي توجب عليه بذل المال لغير طائل فاضطراره الى الاستعداد للدفاع والحالة هذه أوجب عليه أن يستعين بسكان الممالك على غير مراده وأن يقدم على حرب ربما تكون سبباً في تسكير سلم جميع الاقطار والامصار وكان من الضروري أن الدول العظام تهتم بهذه الحال وكان مما استصوبه الباب العالي لبعض أسباب أن لا يطالب منها طلباً رسمياً أن تعتنى بهذه المسألة المهمة ولكن بعدان بين اللورد دربي والسكوت شوفالوف ما بيناه عند توقيعهما على البروتوكول رأى الباب العالي لزوم مطالعة الدول في انهاء هذه الارتباك التي تقضى الى الخطر مما ليس في طاقته انهاءه فأول ذلك أن يبين لها جواباً عما قاله السكوت شوفالوف في البروتوكول هذه الملاحظات الالتمية (١) ان الباب العالي في نهجه طريقة المصالحة مع أمير الجبل الاسود على نحو ما نهجه مع حكومة الصرب افاد عن طيب نفس منذ نحو شهرين ان الدولة العلية تبذل جهدها في الاتفاق معه ولو كان في ذلك بعض خسارة عليها وحيث ان الباب العالي يرى ان الجبل جزء من الممالك العثمانية خيره في تعديل التخوم بما فيه نفع لحكومة الجبل وطمع في ان ذلك ينهي الخلاف في المستقبل فصار الحصول على المأمول متعلقاً بالجبل (٢) ان الدولة العلية شرعت فعلاً في اجراء الاصلاحات التي وعدت بها لكن هذا الاجراء لا يكون على وجه التخصيص والترجيح وفاقاً لما تقرر في القانون الاساسي فهوى حرية الدولة ان تهتجه على الوجه المذكور (٣) ان الدولة مستعدة لأن تجعل عساكرها على قدم السلم عند ما ترى ان دولة روسيا فعلت مثل ذلك وان المراد من حشد عساكرها مجرد الدفاع وانها ترجو من علاقة المودة والمراعاة الحاصلة بينهما ان دولة روسيا لا تنصر وحدها على ان تظن ان رعية الدولة العلية من النصاري معرضون من طرف حكومتهم لخطر يوجب غزو بلادها وما يعقبه من الغوائل (٤) امامن جهة ما يمتثل حدوثه من الاختلال مما يمنع صرف عساكر روسيا فان الدولة العلية تحيب عن هذا الشرط الاليم الذي نشأ عن هذا الظن بان تقول انه قد ثبت عند دول أوروبا ان الاختلال الذي حدث



تداخلت الدولة في شؤون احداها وطابت من فرنسا مثلاً عدم التعرض لما يمس الامة الاسلامية بالجزائر أو مساواة المسلمين بها بالمسيحيين واليهود لشدوا النكير عليها ورموها بالتعصب الديني المتصفين هم به دون غيرهم ولكن هي القوة قضى التمدن الغربي الحديث أن تسود على كل حق تحت راية الانسانية والمساواة وما هي الألفاظ لا معاني لها الا فيما يلائم مصالحهم وما نحن بمغرورين

ولما وصلت هذه اللائحة الى الباب العالي وانتشر خبرها بين العموم أيقن الكل ان لابد من الحرب اذ من المستحيل أن توافق عليها أى دولة تغار على شرفها ووجودها بين العالم السياسى وأصدرت الدولة منشوراً الى سفرائها لدى الدول الست بقصد تبليغه لها يشف بعبارة صريحة عن عدم تصديقها على هذه اللائحة وقد أتى فيه محرووه من العبارات المؤثرة الدالة على تعصب الدول ما رأينا معه ضرورة نشره برمته وها هو نقلاً عن مجموعة الجواب

قد وصل الى الباب العالي البروتوكول الذى وقع عليه في لندرد في ٣١ مارس سنة ١٨٧٧ ناظر الخارجية بلندره وسفراء ألمانيا وأستراليا وفرنسا وإيطاليا والروسيا مع الاعلام الذى ألحق به من ناظر الخارجية الموما اليه ومن سفيرى إيطاليا والروسيا وبعد اطلاع الباب العالي على ذلك تأسف جداً على انه رأى ان الدول العظام لم ترم من الواجب أن تشرك الدولة العلية في المذكرات التى تثار فيها المسائل المهمة المتعلقة بالدولة مع ان المراعاة التى أبدتها الدولة في جميع الاحوال لنصائح الدول والتكفل الذى قرن مصالحها بمصالحهم وأصول الانصاف التى لانزاع فيها والتعهد الخطير الشان تحمل الدولة على أن تقن أنه كان من اللازم أن الدول تدعوها الى هذا العمل المراد به ان اجراء الصالح في الشرق والاتفاق العام بينان على أساس راسخ عادل وحيث جرى الامر على خلاف المامول رأى الباب العالي أنه من الواجب عليه أن يعارض فيه وأن يبين ما عسى أن يحدث منه في المستقبل من الخذور ولو أن الدول أمعنت النظر فيما اعترض من الخطر ومن تغيير الحال بعد انعقاد المؤتمر في استانبول لأمكن الوصول الى هذا الاتفاق المروم أما في اثناء انعقاد المؤتمر فان الباب العالي كان معتمداً على القانون الاساسى ( وفي الاصل كونستيتوسيون ) الذى تفضل به سلطاننا المعظم متكفلاً بتحقيق اصلاح عام لم يعهد له نظير منذ ابتداء الدولة السلطانية فرأى انه من الواجب عليه أن ينكر الطلب المشطى في تمييز بعض الولايات بالاصلاح دون غيرها وينبذ أيضاً كل ما من شأنه ان يحجب باستقلال الدولة العلية وبسلامة ممالكها وهذا عين ما أعلنته دولة انكلترا وقبلته سائر الدول فان هذا الاعلان بنى على استقلال الدولة وعلى ان يكون في بعض الولايات تنظّمات تتكفل بمنع سوء الادارة من قبل المامورين وقصرهم عن التصرف المطلق فهذه التنظيمات المطلوبة محققة فعلاً في المنهاج السياسى الجديد الذى أنشئ في الممالك من دون



ان الدول التي اتفقت على اجراء الصلح في الشرق واشتركت في مؤتمر الاستانة تعترف ان آكد الوسائل للحصول على هذه الغاية التي وطنت أنفسها عليها هو دوام الاتفاق الذي حصل بينها ومن لوازم هذا الاتفاق تحقيق المنفعة التي قصدوها لتحسين أحوال النصارى سكان الممالك العثمانية ( وفي الاصل تركية ) ولاجراء الاصلاح في بوسنة وهرسك والبلغار الذي قبله الباب العالي بشرط انه هو الذي يجريه فعلا وكذلك عندها علم باجراء الصلح مع الصرب أما من جهة الجبل الاسود فان الدول ترى أن تعيين الحدود وحرية السفر في البوجانا أمر مرغوب لاحكام الاتفاق وادامته كما انها ترى ان هذا الاتفاق الذي تم أو سيتم بين الباب العالي وهاتين الولاياتين هو وسيلة الصلح الذي هو غاية تهمها ولهذا تدعو الباب العالي لاحكامه وتوكيده بان يجعل عساكره في حالة السلم ماعدا العساكر التي لا بد منها لإبقاء الأمن والطمأنينة وأن يسرع من دون تاخير في اجراء الاصلاح لتطمين سكان الولاياتين وغيرها مما جرت المذاكرة على شروطه في المؤتمر وكذلك تعترف أن الباب العالي صرح بانه يجري من هذه الاصلاحات ما هو الاهم وعندها علم أيضا باللائحة التي نشرها الباب العالي في ١٣ من فبراير ( شباط ) سنة ١٨٧٦ وبالاعلان الذي أصدره مدّة انعقاد المؤتمر بواسطة سفرائه وبناء على هذه المقاصد الحسنة التي أبداهها ومنفعته الظاهرة في اجراء الاصلاحات حالا قام بخاطر الدول أن لها أسبابا تجعلها على أن ترجو أن الباب العالي يستفيد من هذه الفترة الحاضرة فيبذل همته في اتخاذ الوسائل التي يحصل بها تحسين أحوال النصارى التي اتفقت الدول على وجوبها لاجل بقاء السلامة والطمأنينة بأوروبا فاذا أخذ في هذا المشروع يكون معلوما عنده أن شرفه ونفعه أيضا بوجبان المحافظة عليه بالوفاء والاخلاص والانجاز فمن رأى الدول والحالة هذه أن تكون مراقبة بواسطة سفرائها بالاستانة وأعمالها في الولايات للمنوال الذي يجزبه مواعيد الدولة العثمانية فاذا خابت آمالها مرة أخرى ولم تحسن حال رعية السلطان على وجهه يمنع من اعادة الارتباك التي تتعاقب في الشرق وتكثر موارد السلم فيه ترى من الصواب أن تعلق أن مثل هذه الامور لا تناسب مصالحها ومصالح أورپا عموما ففي مثل هذه الحال تستبقي لنفسها أن تنتظر بالاتفاق في اتخاذ الوسائل التي تراها الاصلاح لتأمين خير النصارى ولإبقاء السلم عموما حرر في لوندرة في ٣١ مارت سنة ١٨٧٧

دربي  
ل . ف . مينارايا  
شوقالوف

مونستر  
بوست  
ل . داركور

وقد أتينا على ذكر هذه اللائحة ليرى القارىء تعصب الدول لحماية المسيحيين بالدولة مع انه لو

لما انقض مؤتمر الاستانة بعد رفض الدولة والامة لطلباته الغريضة وانسحاب أعضائه مع جميع القناصل من الاستانة ماعدا الجنرال اغنايف الروسى كتب البرنس غورشا كوف الى سفراء روسيا لدى فرنسا وانكلترا والنمسا وألمانيا وايطاليا نشرة بتاريخ ٣١ يناير سنة ١٨٧٧ يشرح فيها رفض الدولة العلية لقرار المؤتمر ويطلب منهم الاستفسار من الدول عما يرغبون اجراءه مع الدولة بعد ذلك حتى يكون عملهم باتفاق قبل أن يجزم سيده الامبراطور بما يجب عليه اتباعه لتحسين حال المسيحيين ويصمم على تنفيذ رغبته بالقوة وكذلك أرسل صفوت باشا الى سفراء الدولة لدى الدول منشوراً بتاريخ ٢٥ منه بأن فيه ما أناه أعضاء المؤتمر من عقد عدة جلسات ابتدائية بدون حضور مندوبى الدولة واتفاقهم على مايجب عرضه على الباب العالى قبل انعقاد المؤتمر بصفة رسمية حتى كأن المجلس لم يعقد الا لعرض طلبات متفق عليها من قبل وطلب التصديق عليها ليس الا أن قال فى ختامه ان الدولة لا يمكنها ولن يمكنها التصديق على شىء من هذه الاقتراحات المزرية بشرطها ومحطة بقدرها أمام أمته وطلب منهم تسليم صور منه الى الدول المعنيين لديها فاحتار وزراء الدول فى كيفية حسم هذه النازلة أمام اصرار الدولة على عدم الرضوخ لطلباتهم وبينما هم يضربون أحماساً لاسداس أبرمت الدولة الصلح مع اماره الصرب على شروط أهمها أن تخلى العساكر العثمانية بلاد الصرب فتعود الى ما كانت عليه قبل الحرب بشرط أن لا تبني الامارة قلاعاً جديدة ببلادها وان يرفع عليها العلم العثمانى بجوار العلم الصربى علامة على بقاء السيادة

اما الجبل الاسود فلم يتم معه الصلح لطلبه تنازل الدولة له عن بعض الاراضى بحيث يصير له ميناء على البحر الادرياتيكي بل اكتفت الدولة بتجديد اجل الهدنة معه وفى مارت سنة ١٨٧٧ لما رأت روسيا عدم ورود جواب اليها من الدول عما تنوى اجراءه مع الدولة وانها ان لم تبادر باشغال نيران الحرب تضيع منها الفرصة بعد ان تجشمت المصاريف الطائلة فى الاستعداد اليه اذ قد تم الصلح مع الصرب وربما تصالح الباب العالى قريباً مع الجبل الاسود فتسود السكينة ولا يعود لها وجه المداخلة لاسما وان مسيحى الدولة يصحون عما قليل راضين عنها بسبب مساوانهم مع المسلمين بمقتضى القانون الاساسى ارسل البرنس غورشا كوف الى سفيره فى لندره فى ١١ مارت صورة لائحة لاطلاع الحكومة الانكليزية عليها حتى اذا صادقت عليها عرضها على باقى سفراء الدول بلندره واذا حازت لديهم قبولا يصير التوقيع عليها منهم وارسالها للباب العالى للعمل بها والافتصير الدول حرة فى اجراء ما يلزم لراحة رعايا الدولة المسيحيين فصدمت عليها انكلترا ابتداء ثم اجتمع جميع السفراء فى ٣١ منه بنظارة الخارجية ماعدا سفير الدولة العلية ذات الشأن ( تأمل ) وأمضوا هذه اللائحة بعد تعديلها قليلا وارسالها الى الباب العالى وهذا نصها نقلا عن منتخبات الجواب

الجمعية العمومية في يوم ١٨ منه ثم قال لهم ان الدولة مستعدة لقبول تشكيل مجالس انتخابية في البوسنة والهرسك والبلغار يكون انتخابهم لمدة سنة فقط ونصف أعضائها من المسلمين والنصف الآخر من المسيحيين وانها مصرّة على رفض اللجان المختلطة كل الرفض لان ذلك يدل على عدم ثقة الدول بوعود جلالة السلطان ومصرّة أيضاً على عدم اعطاء الصرب والجبل الاسود شيئاً من أراضيها

وبعد ان تكلم بعض الاعضاء مهدداً الدولة العلية انقض المؤتمر ثم اجتمع في مساء يوم ٢١ بدون حضور مندوبي الدولة العلية وأمضوا مضبطة أعمال المؤتمر وفي ٢٣ منه سافر المندوبون والسفراء علامة على قطع العلائق بدون أن يقابلوا جلالة السلطان وتأخر الجنرال اغنايف قليلا عن اخوانه بسبب الزواجر في البحر الاسود وأخذ كل من الطرفين يستعد للقتال والحرب والنزال

وما بحسن ذكره في هذا المقام أن أهالي المجر مع بقائهم أجيالا تابعين للسلطنة العثمانية كما مر كانوا أشد الامم اخلاصاً للدولة العلية بل كان المجر يون الأمة المسيحية الوحيدة التي خالجه فؤادها الاخلاص والولاء للأمة العثمانية في هذا الوقت الحرج الذي كانت فيه جميع الدول المسيحية متالبة عليها وما ذلك الا لكون الدولة حجت من التيجاء اليها من رؤساء الثورة المجرية سنة ١٨٤٨ وامتنعت عن تسليمهم الى النمسا والروسيا رغما عن تهديداتهم ولولا ذلك لأعدم جميع زعماء المجر وخصوصاً الوطني الشهير (كسوت) بخلاف الروسيا فانها ساعدت النمسا بخيلها ورجلها على اقناع الثورة واذلال الأمة المجرية بعد ان كادت تفوز بالنجاح وتمتع بالحرية وتنفصل عن النمسا تمام الانفصال كما كانت أمنيتها

فلما ظهر عداء الروسيا للدولة العلية جهاراً أثناء انعقاد مؤتمر الاستانة تجمهر تلامذة المدارس العليا في بودابست عاصمة المجر وتباحثوا في الكيفية التي يعربون بها عن ولائهم للدولة العلية فأقروا على ارسال وفد من اثني عشر تلميذاً منهم ليقدّم سيقاً ثميناً لعبد الكريم باشا قائد عموم الجيوش التركية

فأتى الوفد الى الاستانة في أوائل يناير سنة ١٨٧٧ وطلب مقابلة السردار الاكرم فاذن لهم ولما مثلوا أمامه فاه أحدهم بخطبة مناسبة للمقام ذكر فيها ما للدولة من الايدى البيضاء على بلادهم بحمايتها زعماء حريتها وتمنى له ولدولته العلية الفوز والنجاح على الروس أعداء الحرية ومبيديها في بلاد هستان (بولونيا) والمجر ثم قدم له السيف فقبل عبد الكريم باشا السيف بكل ارتياح وارتجل صفوت باشا ناظر الخارجية الذي كان حاضراً هذه المقابلة خطاباً بليغاً أتى فيه على سابقة ارتباط الامتين العثمانية والمجرية وتأسف على اصغاء المجر للدسائس الاجنبية وانفصالها عن الدولة العلية وقال في الختام ان انفصال الايلات المسيحية عنها واحدة بعد الاخرى لم يكن النتيجة حسن معاملتها للسكان المسيحيين وعدم اجبارهم على اعتناق الدين الاسلامي وترك دين وعوائد أجدادهم الاولين



المخابرات السياسية لا تمكن الدولة من جمع جيوشها من جميع ولاياتها بآسيا وأفريقيا  
أذعن جميع الدول لطلب انكترا وأرسلت كل منها مندوباً أو مندوبين وأرسلت  
انكترا اللورد سالسبورى وكلفته بان يمر على باريس وبرلين وويانه ورومه عند ذهابه  
للاستانة ليستطلع أفكار وزرائها قبل انعقاد المؤتمر ويجرى الجميع على أنهم وفاق ولما وصل  
المندوبون الى الاستانة عقدوا جملة اجتماعات ابتدائية من ١١ ديسمبر الى ١٧ منه لتقرير  
ظيانتهم قبل عرضها بصفة رسمية في المؤتمر ولم يقبلوا مندوبى الدولة العلية في هذه المداولات  
الأمر الذى يشف عن تحيزهم الى روسيا التى كانت هذه الاجتماعات فى سفارتها فقرر  
المندوبون أن تقسم بلاد البلغار الى ولايتين يكون ولانها من المسيحيين الاجانب أو  
التابعين للدولة وأن الجنود العثمانية لا تحتل الا القلاع وبعض المدن الكبيرة وأن تشكل  
قوة (جندرمه) من المسيحيين يكون ضباطها بين مسيحيين ومسلمين تعيينهم للدولة وأن تشكل  
لجنة دولية لمدة سنة لمراقبة تنفيذ الاصلاحات الملبنة فى لائحة الكونت اندراسى وأن  
تعطى هذه الامتيازات الى ولايتى البوسنه والهرسك وأن يشترط فى الصلح الذى يعتمد مع  
الصرى والجليل الاسود أن تتنازل لهما الدولة عن بعض الأراضي وأخيراً اذ لم تقبل الدولة  
هذه الاقتراحات (المستحيل قبولها) ينسحب جميع أعضاء المؤتمر من الاستانة علامة على  
قطع العلاقات السياسية مع الدولة العلية والشروع فى اتخاذ الطرق الاجبارية لاكمالها على  
قبول اقتراحتها

وفى يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٧٦ اجتمع المؤتمر بصفة رسمية فى سراى البحرية تحت  
رئاسة صفوت باشا ناظر خارجية الدولة وانتخب هورئيساً له لانعقاد المؤتمر فى الاستانة  
وعضوية كل من أدحم باشا سفير الدولة العلية ببرلين والكونت (فرنسوا دى بورجوان)  
والكونت (دى شودوردى) عن فرنسا والبارون (وزر) عن ألمانيا والكونت (كورنى)  
عن ايطاليا والكونت (زىكى) من اشراف البحر والبارون (كالىس) لثمنساوى عن النمسا  
والجنرال (اغنايف) عن روسيا واللورد (سالسبورى) والسير (هنرى ليوت) عن انكترا  
وفى يوم انعقاده أطلقت المدافع من جميع القلاع والمراكب ايذاناً باعلان القانون الاساسى  
الذى ساوى بين جميع رعايا الدولة كما سبق ذكره فى بابيه وبعد ان اجتمع عدة دفعات  
جمعت الدولة مجلساً عاماً من ذوات الدولة وأعيانها ورؤساء الديانات فى ١٨ يناير سنة  
١٨٧٧ وعرضت عليهم اقتراحات المؤتمر فقال الكل بوجوب رفضها ومن الغريب أن  
وكيل بطريق الارمن وخابام اليهود كانا من أشد المعارضين فى قبولها وقالوا بماؤدأ أن  
جميع أبناء طوائفهم مستعدون للدفاع عن شرف الدولة العلية واستقلالها استعداد المسلمين  
لذلك اذ الكل صاروا عثمانيين متساوين أمام القانون طبقاً للقانون الاساسى ثم أرفض  
الجمع وبلغ عدد الحاضرين نحو مائتين أجمعوا على وجوب الحرب حفظاً لشرف الدولة  
وفى يوم ٢٠ من الشهر المذكور اجتمع المؤتمر الدولى فتلا صفوت باشا على الحضور ما قرره



مستقلة في البوسنة والهرسك حتى يكون للاهالي حق مراقبة أعمال مامورى الحكومة وموظفيها وكذلك في بلاد البلقان وايقاف الحرب فوراً مع الصرب و بعد ان تداول وزراء الدولة في هذه الطلبات التي لا تقبلها أى دولة فازت على عدوها بالنصر في ميادين القتال واهرقت دماء رجالها حفظاً لكرامتها وشرفها من تعدى هذا العدو ونحوها بدون ان تبدى الدول حراً كأجاب الباب العالى على هذه المذكرة السياسية بانه لا يرى وجها لا اعطاء هذه الولايات امتيازات ادارية بما ان مجلس المبعوثان سيشكل قريباً ويكون فيه مندوبون منتخبون من جميع الولايات بدون استثناء وان الدولة لا ترى ضرورة لابرار اتفاق جديد مع الدول بهذا الخصوص ولم تذكر شيئاً عن الهدنة مطلقاً ولما لم تصغ الدول لهذه الطلبات العادلة أوعز الباب العالى الى السر عسكر عبد الكريم باشا باستمرار القتال فاستدعى السر عسكر القائد درويش باشا الذى كان معسكرأ بفرقة في نيش ولما حضرت العساكر أمر بالهجوم على مدينة جونيس التي جعلها الجنرال تشرنايف مقراً لمعسكره فهجمت عليها الليوث الاسلامية في ١٢٩ أكتوبر سنة ١٨٧٦ وبعدها قتال عنيف تفهقر الصربيون وأنصارهم واخلوا هذه المدينة ومدينة (دليجراد) وزحفت الجيوش العثمانية محفوفة بالنصر على مدينة بلغراد عاصمة بلاد الصرب

ولما وصل خبر هذا الفتح المبين الى آذان ولاية الامور في روسيا وهو خلاف ما كانوا يتوقعونه أرسل البرنس ( غورشا كوف ) الى الجنرال اغنانيف بالاستئانة بعد ان اتفق مع باقى الدول رسالة برقية في مساء ٣٠ أكتوبر يأمره بأن يطلب من الباب العالى ايقاف الحرب فوراً ومهادنة الصرب والجبل الاسود مدة ستة أسابيع أو شهرين وان لم يجب هذا الطلب في مسافة ثمانية وأربعين ساعة ينسحب هو وجميع موظفي السفارة من الاستئانة فقبلت الدولة هذا الطلب منعاً للعراقيل السياسية ومنحت لحوار بها هدنة مدة شهرين مدت فيما بعد الى شهر مارت سنة ١٨٧٧

وفي ٥ أكتوبر سنة ١٨٧٦ عرض وزير خارجية انكلترا على باقى الدول المتحالفة لنفسها حق التداخل في شؤون الدولة العلية اجتماع مؤتمر في مدينة الاستئانة لتسوية حالة مسيحيي الدولة بكيفية ثابتة منعاً لحصول الحرب بينها وبين روسيا التي كانت شارعة في جمع جيوشها والاستعداد للحرب فلم تجاوب الدول على هذا الاقتراح بجواب صريح لخوفها من عدم امتثال أحد الطرفين لقرارات المؤتمر فتضايق للتأنيب ضده كما حصل في حرب القرم سنة ١٨٥٦ لكن لما رأت ان الخطر قد ازداد والحروب قد قربت حتى صارت قاب قوسين أو أدنى خصوصاً وان قيصر روسيا أتى في مدينة موسكو خطاباً في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٧٦ أثنى في خلاله على شجاعة أهالي الجبل الاسود وثبات الصربيين ولما وصل اليها منشور بتاريخ ١٣ منه من البرنس غورشا كوف مفاده أن روسيا قد أمرت بجمع جزء من جيوشها على الحدود لحماية المسيحيين ببلاد الدولة باى طريقة كانت بما أنها لم تر نتيجة من

من القواد على عدم اضاعة الوقت أمام هذه المدينة الحصينة ومدينة دليجراد وانتقال  
الجيش على ضفة نهر (موراوا) اليسرى بدون أن يشعر بهم العدو والسير نحو مدينة بلغرادتوا  
وبعد هذا القرار أمر أحمد أيوب باشا بعبور هذا النهر

وفي أثناء هذه المناورة المهمة التي ربما كان يتوقف عليها النجاح استمرت المناوشات  
مع الجيش الصربي من ٢٥ الى ٢٩ أغسطس حتى تمت بدون أن يشعر العدو مطلقاً  
بذلك الا لما اجتازت جميع الجيوش العثمانية النهر ولم يجد أمامه أحداً فلما علم بأنهم هذه  
الحركة العسكرية المهمة عبر النهر بجيوشه خلف العثمانيين في أول سبتمبر سنة ١٨٧٦  
فلاقوه لقاء العدو القادر وصوبوا اليه مدافعهم حتى اوقعوا الفشل في صفوف الصربيين  
وولى كثير منهم الدبار وركنت الآليات برمتها الى القرار قبل أن يصاب منها فرد واحد  
وفي مساء هذا اليوم الذي لم يقم بعده للصرب قائمة والذي جعل الجيوش على مقربة  
من بلغراد لم يعد يمنعها مانع عن الوصول اليها واحتلالها وردت أوامر سرية من الاستانة  
الى عبد الكريم باشا بتوقيف القتال وعدم الزحف على عاصمة الصرب ربما تأتيه أوامر  
جديدة لتداخل الدول بين الفريقين وبيان ذلك أن البرنس ميلان أمير الصرب طلب  
من قناصل الدول لديه في ٢٤ أغسطس سنة ١٨٧٦ مخبرة دولهم بأن تتوسط بينه  
وبين الدولة العلية منعا لسفك الدماء وخوفاً من أن يلحقه عار الغلبة فابلغت القناصل  
دولهم هذا الطلب وهي فاتحت الباب العالي في هذا الخصوص فلم يجبهما حتى فرق عبد الكريم  
باشا جميع الجيوش الصربية ولم يبق له معارض في طريق بلغراد فاعزأ اليه سراً بالتوقف  
موقتاً وابلغ سفراء الدول في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٧٦ انه لا يقبل الصلح الا بعدة شروط  
اهمها أولاً أن يأتي أمير الصرب الى مقر الخلافة العظمى ليقدم واجبات الخضوع والعبودية  
الى السدة العلية السلطانية ثانياً ان القلاع الاربع التي خول حق احتلالها الى الصرب في  
سنة ١٨٥٢ م ١٢٨٣ هـ مع بقائها تابعة للدولة تحتلها ثانياً الجيوش العثمانية ثالثاً أن يلغى  
الرديف في بلاد الصرب وأن لا يزيد عدد الجيش الصربي عن عشرة آلاف مقاتل  
وبطاريق مدافع لحفظ الامن الداخلي ليس الا فلما واصل هذا الجواب الى الدول لم تقبل  
هذه الاقتراحات قولاً بانها مجحفة بامتيازات الصرب اجدحافاً كلياً وزيادة على رفضها زادت  
على ما اقترحتة بخصوص الصرب طلبات أخرى بخصوص البوسنة والهرسك والبلغار التي  
أطفئت ثورتهم من مدة وبعد ان اتفقت جميع الدول الست الموقعة على معاهدة سنة  
١٨٥٦ القاضية بالحفاظة على سلامة الدولة العلية (التي معناها في عرفهم تقسيمها) ارسل  
اللورد درني وزير خارجية انكترا الى السير هنري ليوت سفيرها في الاستانة رسالة بامضائه  
امره بتوصيلها الى الباب العالي فاوصلها اليه في ٢٥ سبتمبر المذكور مضمونها ان طلبات  
الدولة العلية لا يمكن قبولها بالكلية وان الدول ترغب ارجاع حالة الصرب والجبل الاسود الى  
ما كانت عليه قبل الحرب وان ترضى الدولة مع الدول الست اتفاقاً بتأسيس ادارة وطنية

تعرض لهم الدول أن تقوم الحجة على هذا العمل العدائي بل تربصت حتى اذا فاز أعداء الدولة عضدت الدول طلباتهم وان باؤا بالخسران حفظت لهم بلادهم ومنعت الدولة من مجازاتهم على تعديهم بدون سبب الا دسائس الروسية والدول المعضدة لها ولاندكر هنا بكل اختصار ملخص الاعمال الحربية والوقائع العسكرية التي حصلت بين جيوش الدولة المظفرة والعساكر المصرية التي أرسلت للاشتراك معها في الحرب ومقاسمتها النصر والفخر من جهة وعساكر النافرين وضباطهم الروسين من جهة أخرى فنقول

ان الحرب مع الجبل الاسود لم يتسع نطاقها لوعورة جبالها ولعدم امكان حصول وقائع مهمة بها بين جيوش منتظمة بل كان كل ما حصل بها عبارة عن مناوشات يكون فيها كل من الفريقين طوراً غالباً وتارة مغلوباً فانه كان يتعذر على الجيوش العثمانية اقتفاء أثر النافرين في المغاوز الوعرة ويستحيل على الجبلين اجتياز صفوف الجيوش المحدقة ببلادهم من كل فجج ولذلك فلم تعد مساعدة الجبلين بفائدة تذكر على الصرب أما من جهة الصرب فقد أجمع المؤرخون العسكريون أن الجنرال تشرنايف ارتكب خطأ عظيماً وانما كبراً في عدم جمع جيوشه في النقطة الوحيدة التي تصل بلاد البوسنة والهرسك بباقي بلاد الدولة العلية فيتحد مع نائري هاتين الولايتين ويمكنه بكل سهولة الانضمام الى عساكر الجبل الاسود الا أنه لم يتبع هذه الخطة التي اشار بها عليه بعض القواد بل جزأ قوته الى أربع فرق أغار هو باحداها على الطريق المؤدية الى صوفية عاصمة بلاد البلغار الا أن وكان ينسب اليه أنه يريد أن يعين والياً مختاراً عليها لكن ماشه البلغاريون من بسالة رجال الدولة منهم عن مساعدته فخاب مسعاه وبسبب تفريق جيوشه لم يأت يوم عاشر يولييه الا وقد انهزمت الفرق الاربع بهمة وشجاعة عثمان باشا الغازي وعبد الكريم باشا السردار الاكرم

وبعد ان ردت جيوش النافرين على عقبها فكر عبد الكريم باشا في توجيه قواه لافتتاح مدينة بلغراد عاصمة الصرب ولذلك صمم أولاً على احتلال مدينتي الكسينيناس وديليجرار الواقعتين على طريق العاصمة وفصل الفرقة القائد لها تشرنايف عن الفرقة التي كانت معسكرة بمدينة زابيتساد تحت قيادة (لاشانين) وحيث أن فصل هاتين الفرقتين وقطع كل اتصال بينهما لا يكون الا باحتلال مدينة (نياشيواز) صدرأوامره الى أحمد أيوب باشا وسلمان خيرى باشا بالتوجه نحو هاتين جهتين مختلفتين وفتحها بعد الانضمام الى بعضهما فصدعوا بأمره وفتحوا المدينة عنوة في يوم ٣ أغسطس بعد ان انتصروا في عدة وقائع مشهورة ثم استراحت الجيوش نحو أسبوعين بدون محاربات مهمة ومن ٢٠ أغسطس استؤنفت الحرب ثانية بكل شدة واستمرت أربعة أيام متوالية لم يمكن الجيوش المظفرة في أثناءها فتح مدينة الكسينيناس ولذلك أقر رأيه بعد مشاوره من معه



والجبل الاسود تداخلت روسيا بجيوشها لمساعدتهما ضد الدولة صاحبة السيادة عليهما فكان قصد الروس حينئذ اعلان الحرب على الدولة باتفاق الدول ان لم تكن جميعها فالمانيا والنمسا بالتحقيق اذ كانت أنظار الاخيرة تطمح الى توسيع حدودها من جهة بلاد البوسنة والهرسك ويساعدها البرنس دي بسمارك وزير ألمانيا الاول على ذلك ليوجد للنمسا مصالح في الشرق ويجعل لها فائدة في المدافعة عن الاستانة من أن تحتلها روسيا ولا يظن القارىء أن عمل بسمارك هذا مبني على اخلاص للدولة العلية معاذ الله بل انه يريد معاكسة روسيا في الشرق وعدم تمكنها من احتلال الاستانة انتقاما منها لمتعجه عن محاربة فرنسا ثانيا سنة ١٨٧٥ للاجهاز عليها حين ما رأى نشاتها بعد حرب سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٧١ وقيامها بدفع الغرامة الحربية البالغ قدرها مائتي مليون جنيتها قبل المواعيد المحددة في معاهدة فرانكفورت

هذا ولما أوعز الى الصرب والجبل الاسود باعلان الحرب على الدولة أخذ أميراهما بالاستعداد وشراء الاسلحة والمدافع وجمع الجيوش وتدريبها وأرسلت روسيا أحد قوادها الجنرال (تشرنايف) الذي فتح مدينة (تشفاند) (١) في أواسط بلاد آسيا الى بلاد الصرب ليقود زمام جيوشها فذهب اليها مع كثير من الضباط الروسين الموظفين في الجيش العامل وكانوا يقولون مؤقتا من خدمة الجيش الروسي للالتحاق بالجيش الصربي وبذا كانت روسيا هي التي تحارب الدولة العاية باسم الصرب وكان الحل كذلك في امارة الجبل ولما رأت الدولة هذه الاستعدادات جمعت جيشا جرارا مؤلغا من أربعين ألف مقاتل بمدينة (نيس) لصدد الصربيين لو تعدوا الحدود

وفي ٨ يونيو سنة ١٨٧٦ أرسل الباب العالي الى أميرى انصرب والجبل يطلب منهما الافادة عن سبب جمع هذه الجيوش فاجاباه بان ذلك لمنع تعدى قبائل الأرثوود على حدودهم وحفظ الامن في الداخل من جهة ولجمع الدولة جيوشها على حدود بلادهما من جهة أخرى مع ان الدولة لم تجمع عساكرها الا بعد ان آنست منهما العداة ومع ذلك فاكثفت الدولة بهذا الجواب الركيك المعنى والمبني

ثم لما اكملت استعدادات الامارتين الحربية طلب البرنس ميلان أمير الصرب من الدولة أن تناط جيوشه باخماد الثورة في البوسنة والهرسك بمأن وجود العساكر العثمانية بهما مهدد لامن بلاده وطلب البرنس نقولا أمير الجبل أن تتنازل له الدولة عن جزء من أراضي الهرسك ولما تم قبل الدولة هذه الطلبات التي لم يقدم على طابها الا كل عالم برفضها جعلها سببا للحرب المصمم عليها اجتازت الجيوش الصربية الحدود تحت قيادة الجنرال (تشرنايف) الروسي في أول يولييه سنة ١ٸ٧٦ وكذلك جيوش الجبل الاسود بدون أن

(١) مدينة قديمة اسلامية بأواسط آسيا كثيرة العمارة والتجارة يباع بمقدارها ١٢٥ ألف نسمة واحتلتها الجبال لشرنايف الروسي سنة ١٨٦٥ ولم تنزل تابعة روسيا



مواجهته وتبلغه على وفق مراد الدولة خلاصة تقرير مستر بارنغ وتذكروا له أسماء  
شوكت باشا وحافظ باشا وطوسون بك وأحمد أغا وغيرهم من المأمورين الذين صرح  
بأعمالهم المنكرة وطلبوا باسم الملكة ودولتها التعويض والعدالة وألحوا ببناء ما هدم من  
الكنائس والبيوت وبإسداء المساعدة اللازمة لأعادة الاعمال والاشغال ولاغاثة الذين حاق  
بهم الفقر واذكروا على الخصوص انه لا بد من البحث عن الثمانين امرأة واعادتهن الى  
أهلن وكذلك ألحوا باجراء عبرة على الذين اشتكوا في تلك الأفعال الشنيعة أو تساهلوا  
فيها وينبغي أن يمتحن أولئك الذين أعطوا نياشين ورتباً لأوهام باطلة في حقيقة سلوكهم  
وتصرفهم ويجردوا عن منزلتهم ان كان ذلك لم يقع فعلا ويبدل السعي البليغ في إعادة  
الثقة والأمن ولهذا الغاية يظهر من الصواب أن تلك الجهات التي جرى فيها الهرج  
والمرج تجعل تحت مأمور ذي همة واقدام يعين لهذا الخصوص فاذا لم يكن من النصارى  
يلزم ان يكون معه مشيرون منهم بحيث تركز اليهم النصارى وتثق بهم وهذا الامر يكون  
مؤقتاً من دون أن يكون مانعاً لما تتفق عليه الدول في المستقبل واذكروا أيضاً بكلام  
أكيد بليغ تهامل المأمورين في تلك الجهات وعدم الكفاية من استقصاء أديب أفندى  
ومن تقريره الذي أبلغ الى الدول ابلاغاً رسمياً اذ لا يعتمد عليه ومن أجل ان يكون  
طلبكم مفهوماً تركوا مع المصدر الأعظم عند انتهاء محاورتكم معه تذكرة هذه الملاحظات  
التي فوضت اليكم بأمر الملكة لتعرضوها على مسامع السلطان

#### الامضا دري

فليتأمل القارئ الى نسبة التوحش للدولة التي لم تات غير ما تاتيها غيرها من الدول لو  
حصلت بها ثورة داخلية مع ان روسيا ارتسكت وما زالت الى الآن ترتكب مع يهود  
بلادها ما لم يسمح به أيام تيمورلنك من الطرد والنهب والمصادرة وكذلك مع أهالي بولونيا  
وليتذكر المطالع ما فعلته فرنسا في الجزائر والنمسا والروسيا معاً في بلاد المجر سنة ١٨٤٨ وما  
فعلته انكارتا نفسها في ايرلاندا ويحكم بعد ذلك بان دعوى دول أوروبا بنشر الحرية  
والمدافة عنها حقيقة بالاعتبار أو انها مجرد شباك لا تقصدها الا التداخل في الشرق والتهامه  
قطعة بعد أخرى وتحليص المسيحيين منهم من سلطان المسلمين الذين مارتكبوا معهم أفعالاً  
عدم التعرض لدينهم ولغتهم والحفاظة على جنسيتهم فقبولوا بالكفران

قد علم القارئ عما سلف أن روسيا كانت تسعى بالاشتراك مع باقي الدول المسيحية  
لايجاد الاضطرابات الداخلية في بلاد الدولة العلية الاسلامية لضعافها ولما رأته أن مساعيها  
في البوسنة والهرسك من جهة وبلاد البلقان من جهة أخرى كادت تعود بالخيبة والفشل  
أوعزت الى أميري الصرب والجبل الاسود باعلان الحرب على الدولة حتى اذا حاربها وفاقا  
علمها بالغلبة ( الامر لا يتصوره العقل ) دخلت بجيوشها الجارة في ميدان القتال وأتمت  
اذلال الدولة العلية حماها الله من مكابدهم وان نصر الله الجيوش الاسلامية على الصرب

فيسوءها الآن أن تعلم من هذا التقرير التام ان ما كانت تترقبه كان في محله ثم ان بعض الاخبار التي شاعت بخصوص هذه الجرائم وان كان غير صحيح الا انه لم يقر ريب في ان تصرف والى أدرنه بكونه أمر جميع المسلمين بان يتقلدوا السلاح هو الذي سبب حشد قوم من الفتاك وللصوص فارتكبوا الجرائم بدعوى انهم يحاولون اطفاء الفتنة وهذه الجرائم وصفها المستر بارنغ بانها أفضع شيء شائن تواريخ هذا القرن وقد تبين أيضا ان أكثر أصحاب الامر والنهي في الولاية قد أجازوا هذا المنكر أو غضوا النظر عنه فلم يبالوا باصلاح الحال أو أنهم أصلحوا مالا يعاب به ومع انه قبض على ١٩٥٦ نفس من البلغاريين لاشتراكهم في العصيان الذي لم يقارنه خطر فلم تجر عقوبة على قتلة الرجال الذين لم يوجد معهم سلاح وعلى قتلة النساء والاولاد الا عشرين نفسا منهم فلظاهر ان أصحاب الامر والنهي في الاستانة لم يطع لهم أمر وانهم لم يطلعوا على حقيقة الحال وما كان لدولة المملكة ان تظن انه من الممكن ان الباب العالي يرقى أولئك المأمورين الذين أفعالهم معروفة وضرر على المملكة العثمانية أو انه يمنحهم نياشين وقد روى ان القتل الذي جرى في باناق كان في ٩ مايو الماضي وبقي الى ٢١ من جولاي (تموز) مكتوما عن الباب العالي أو غير مبال به فلم يعرف هذا الامر الا من تقرير مستر بارنغ المذكور حيث علم منه ان ثمانين نفسا من النساء والبنات أخذن الى قرى المسلمين وذكر أسماءهن ولم يزلن فيها وان جثث القتولين بقيت غير مدفونة وما أحد بذل الجهد في الاطلاع على مرتكب هذه الشرور ولا حاجة الى هنا الى ايراد مافضله مستر بارنغ في تقريره مما يدل على ان أهل هذه الولاية المنحوسة كانوا هدفًا للأعمال الصادرة عن غلو ونهب وسلب وما بدا حتى الآن سعی بليغ في تعويض هؤلاء المضيمن عن الضرر الذي لحق بهم ولا في تأمينهم في المستقبل اذ لم يرجع اليهم ما فقدوه من الماشية والامعة ولم يزل كائناتهم وبيوتهم خرابا وهم يتضورون جوعا وقد هلك عنهم رزقهم من الحرث والأعمال وما بقي من قراهم سالما الا ما من من أن يأتي عليه ما أتى على القرى الخربة ولم يزل العدوان فاشيا كما اعترف به مدير عورت الآن والباب العالي عاجز أو متعاس وقد أخبرت جنابكم بما أحدثه شيوع هذه الشنائع في أهل بريطانيا من الغيظ الحقيق وعندى من اليقين ان مثل هذا الاحساس سرى أيضا الى جميع سكان أوروبا لان أقول ان الباب العالي ليس في وسعه أن يغالب الافكار العمومية في غير ممالكه ولا أن يظن ان دولة بريطانيا أو غيرها من الدول التي وقعت على معاهدة باريس تظهر عدم المبالاة بما أصاب فلاحي البلغار من الرزء والجور الناشئ عن الاتقام ومهما يكن من الملاحظات السياسية فلا يمكن اباحة هذه الافعال فلا بد من التعويض على من أصيبوا بهذا الرزء وكفالة تأمينهم وسلامتهم في المستقبل وهذا أحد الشروط التي ينبغي علمها حل المسائل المعترضة الآن فمن أجل ابلاغ رأى دولتنا بنوع مؤثر الى حضرة السلطان الذي جلس منذ قريب على تحت سلطنة العثمانية ينبغي أن تطالبوا

ثلاثة آلاف نفر على مدينة بازار جق

وفي أول مايو سنة ١٨٧٦ نفذ أغلب هذا القرار وحصلت عدة مذابح في كثير من القرى قتل فيها كثير من المسلمين لتجردهم عن السلاح وعدم امكانهم رد القوة بمثلها ولما وصل هذا الخبر الى الوالى أرسل الى الاستانة يطلب الجيوش لاتساع نطاق الثورة شيئا فشيئا وعدم كفاية العساكر الموجودة تحت أمره ثم وزع كثيرا من الاسلحة على المسلمين ونظمهم بهيئة رديف ولما أتى اليه المدد أمكنه قمع الثورة بواسطة الاليات المنتظمة والباشبوزوق والرديف واستعمال الشدة مع من يضبط من الثائرين ولما كادت تخيب مساعي دعاة الفساد أشاعوا باوروبا ان العساكر العثمانية ارتكبت مالا يرتكبه المتبرون وأسدلوا غطاء الغرض على ما اقترفه البلغار يون من قتل المسلمين في بادىء الأمر وهولوا في المسئلة وجعلوا الحجة قبة ليستميلوا الرأى الاوروبى اليهم وفتح المسئلة الشرقية وتكلم بعض وزراء الدول بما يمس كرامة الدولة العلية في مجالس نوابهم وشددوا عليها النكير خصوصا المستر غلادستون زعيم حزب الأحرار ببلاد الانكليز فانه أتى الخطب الرنانة وألف الرسائل المطولة طعنا على الدولة ناسبا اليها ما لم يسمع بمثله في التاريخ ناسيا ما فعلته حكومة بلادهم مع الايرلنديين وأهالى اوسترااليا الاصيلين اللذين أعدمتهم عساكرها والمهاجرون من سكانها رميا بالرصاص وبهذه المساعي الخبيثة هاج الرأى العام خصوصا في انكلترا ضد الدولة العلية حتى أرسل اللورد دربى ناظر خارجية انكلترا رقبا الى السير هنرى ليوت سفيرها بالاستانة بتاريخ ١٨ سبتمبر سنة ١٨٧٦ ضمنه خلاصة تقرير كان أرسله المستر بارنج سكرتير سفارة انكلترا بالاستانة الذى كلف بتحقيق ما نسب للمسلمين وأمره في آخر هذا الرقيم بعد لوم الدولة على ما ينسبه الاجانب اليها من التقصير أن يطلب مواجهة السلطان عبد الحميد الذى جلس منذ قريب على تخت السلطنة العثمانية و يطلب منه باسم ملكة دولة انكلترا التعويض على الثائرين و بناء ما هدم من الكنائس والبيوت على مصاريف الدولة ومساعدة الاهالى الذين اشتد بهم الفقر على اعادة الاعمال ومجازاة المامورين الذين أمروا باجراء هذه الفظائع واناطة ادارة هذه البلاد لوال عادل ذى همة ونشاط بشرط ان يكون مسيحيا وان كان مسلما فيكون له مستشارون من المسيحيين يمكن النصارى من السكان الاعتماد عليهم والثقة بهم الى آخر ما جاء بهذا الرقيم المسطر في الكتاب الازرق واليك نصه نقلا عن مجموعة الجواب

قد وصل الى دولة سعادة الماسكة محرراتكم عدد ٩٦٤ فى خامس هذا الشهر من جهاتنا نسخة من تقرير مستر بارنج المشتمل على استقصائه عن المنكر الذى جرى منذ قريب على النصارى سكان البلغار وكانت الدولة مترقبة من سابق تقرير الموما اليه الذى بعثتم به أن تسمع بان الجرائر التى اقترفها الباشبوزوق والجراكسة فى تلك البلاد كانت فظيعة



شهران أو ستة أسابيع على الأقل للوصول الى اتفاق مرض لهم وانه ان لم تتفق مع الثائرين في خلال هذه الهدنة تكون الدول الموقعة عليها مضطرة لاستعمال القوة لاجبار الباب العالي على تنفيذ هذه اللائحة فيرى من ذلك للمطالع أن الدول كانت متفقة على محاربة الدولة لتقسيم أملاكها فيما بينهم أو بالأقل سلخ جميع الولايات التي بها مسيحيون اذ أن الدول المسيحية لا يمكنها أن تحفى تأملها من وجود بعض المسيحيين تحت سلطة المسلمين فالمسألة اذن كما ذكرنا وكررنا سياسية دينية أو بالحري دينية أكثر منها سياسية هذا أما الباب العالي فلم يقبل هذه الطلبات المجحفة بمحقوقه على رعاياه ولم يرعه هذا التهديد والوعيد لعلمه أنه يبعد اتفاق الدول على العمل لاختلاف أطماعها ولعدم موافقة انكثرا على هذه اللائحة

### ثورة البلغار وجواب اللورد درني

لا يخفى أن كثيراً من أعيان الروس وأعضاء العائلة الملكية بها شكوا عدة جمعيات لنشر النفوذ الروسي بين الطوائف التي تنسب حقيقتة أو قولاً الى العنصر الصقالى ومن أكبر رؤسائها الجنرال اغنايف الشهير وقد بذلت هذه الجمعيات المعضدة من نفس الامبراطور والحكومة مساعيها لاثارة البوسنة والمهرسك فنجحت كما رأيت وسترى وكان لها عدة فروع في بلاد البلغار لتوزيع المال والسلاح سرّاً على المسيحيين من سكانها وتحريرهم على عصيان الدولة وطلب الاستقلال ولها أيضاً مركز مهم في مدينة ويانه عاصمة النمسا كانت ترسل منها الاسلحة وغيرها عن طريق رومانيا مما يثبت أن للنمسا ضلعاً في هذه الحركات العصيانية وبهذه المساعي الخبيثة الشيطانية كفر البلغاريون نعمة الدولة عليهم التي لم تصدّ لهم في بادئ الامر بتغيير دينهم أو امانة لغتهم بل ساعدتهم بعدم تعرضها لهم على حفظ جنسيتهم وقاموا يطالبون بالاستقلال بناء على ايعاز أرباب الدسائس من الاجانب وحيث كانت الدولة أنزات ببلاد البلغار بعض عائلات الجركس المهاجرين هرباً من حكومة روسيا والاحتماء تحت ظل جلالة الخليفة الاعظم فقد أفهم المهبجون البلغاريين أن الدولة تبغى اقطاع اراضيهم لهؤلاء الجراكسة واستبعاد المسيحيين لهم فحصلت عدة حركات عصيانية في سبتمبر و اكتوبر سنة ١٨٧٥ اظفئت بمرعة وارسلت الدولة عدة أليات من الباشبوزوق منعاً لعودة الثائرين للعصيان وفي اوائل شهر ابريل سنة ١٨٧٦ أتى الى البلغار عدد عظيم من دعاة الثورة والفساد وعمدوا الاجتماع في احدى مدنها حضره مندوبون من اللجان المركزية في ويانه وبخارست عاصمة رومانيا التي كانت لم تزل تحت سيادة الدولة العلية وقرروا جميعاً في هذا النادى وجوب المبادرة الى اثاره العصيان مقررين البلغاريين بان روسيا مستعدة لمدّهم بالجيوش لو تغلبت عليهم جيوش الدولة وتدفع لهم أيضاً قيمة ما يتلف من مساكنهم ومزروعاتهم ومقتنياتهم وأن يكون ابتداء الثورة قتل المسلمين وايقاد النار في مدينة أدرنة في مائة موضع وفي مدينة فيليبس في ستين موضعاً ثم يهجم



على ما بها حسماً للنزاع وحتى لا يكون للدول سبيل للتداخل بصفة أشدّ وزيادة على ذلك فقد أصدر الخليفة الاعظم عفواً عاماً عن جميع المتهمين والمشاركين في هذه الثورة ومن الغريب أن أهالي البوسنة والمهرسك لم يقبلوا هذا العفو العمومي بل أصرّوا على طلب انجلاء الجنود الشاهانية عن بلادهم أو بالأقلّ يكون احتلالها قاصراً على بعض قلاع وحصون معينة وأن يملك ثلث الأراضى للمسيحيين وأن يعفوا عن الضرائب مدّة ثلاث سنوات وأن تدفع لهم الحكومة العثمانية تعويضاً عما هدم من البيوت والسكنائس أثناء الحرب بشرط أن يكون دفع هذه التعويضات للجنة أوروباوية

وعقب ذلك بقليل حدث بمدينة سلانيك حادثة نسبها الأوربيون الى تعصب الاسلام الديني مع أن منشأها تعصب المسيحيين ضدّ المسلمين وتعرّضهم للحرية الدينية التي يتظاهرون دائماً بالدفاع عنها ايهاا وتغريراً لتكون لهم حجة للتدخل في بلاد الشرق وتفريق الحكمة بين الشرقيين فيسهل استيلاؤهم على بلادهم

وتفصيل هذه الحادثة أن فتاة بلغارية مسيحية اعتنقت الدين الحنيفي الاسلامي طائعة مختارة وأتت الى سلانيك في ٥ مايو سنة ١٨٧٦ لا ثبات اسلامها شرعاً فتعرّض لها بعض أوباش الاروام في الطريق حين توجهها الى دار الحكومة واختطفوها من أيدي المحافظين عليها بالقوّة وأخفوها أوّلاً في محل قنصلاتو أميركا ثم في أحد بيوت كبارهم ولما اشتهر هذا الخبر بين المسلمين هاجوا وهاجوا وتجمعوا في فسحة دار الحكومة طالبين البحث عن البنت وتخليصها من أيدي المخفين لها فوعدهم الوالي بإجراء شؤون وظيفته ثم لما رأى المسلمون عدم نجاح بحث الحكومة تجمعوا ثانياً في اليوم الثاني في أحد الجوامع مشدّدين النكير على الحكومة وفي أثناء هذا الهياج حضر قنصل فرنسا وألمانيا ويقال انهما دخلا الجامع وتوازرا الاشاعة بان البنت في بيت قنصل ألمانيا ازداد الهياج وفي أقل من القليل بلغت الحدة منهاها من المجتمعين وتعدّوا على القنصلين بالقتل

ولما وصل خبر هذه الحادثة الى الدول اضطرب وزرائها وتبادلوا المخابرات البرقية للاتفاق على اتخاذ سبيل للتدخل

وفي ١١ منه اجتمع البرنس غورشا كوف وزير روسيا والكونت اندراسي وزير النمسا بالبرنس دي سمارك بمدينة برلين وأخذوا في المداولة معاً يومى ١١ و ١٢ منه وفي ١٣ منه حرروا لائحة الى الباب العالي معروفة في كتب السياسة بلائحة برلين وصدّقت عليها دولتا إيطاليا وفرنسا مفادها التشديد على الباب العالي بتنفيذ ما جاء في فرمان السلطاني المؤرخ ١٢ ديسمبر سنة ١٨٧٥ وتعيين مجلس دولي لمراقبة تنفيذه واجراء كل ما فيه اصلاح حال المسيحيين في هذه الولايات وأن تبرم الدولة مع الثائرين هدنة قدرها

حادثة سلانيك  
ولائحة برلين

وفي أوائل سنة ١٨٧٥ هاجت الخواطر في بلاد الهرسك بناء على تحريض مجاورها من الصرب وسكان الجبل الأسود طلباً للاستقلال الإداري مثل الامارتين المذكورتين وربما كان للنمسا يد في هذه الفتنة اذ كان مطمح أنظارها الاستيلاء على ولايتي البوسنة والهرسك معاً لمجاورتها بلادها فقدّم أهالي الهرسك أولاً عريضة للباب العالي يطلبون تخفيض الضرائب الحالية عموماً وبذلية العسكرية خصوصاً وأن بعدم السلطان وعداً صريحاً بعدم ترتيب ضرائب جديدة عليهم في المستقبل وأن يشكل بلادهم بوليس خصوصي (جندرمه) من أهالي البلاد فلم يحجبهم الباب العالي لطلباتهم بل عزز الحامية ولما تظاهر الأهالي بالعصيان وأشهروا السلاح ضد عساكر الدولة أصدرت أوامرها بجمعهم فوراً فامتدت الثورة رغماً عن مساعدة الصرب والجبلين لهم سرّاً وعلناً وتعضيد جمعيات الصقالية ايام بالمال والسلاح

وفي ١٢ ديسمبر سنة ١٨٧٥ قضت المراسم السلطانية بتسكين خاطرهم فأصدر فرماناً بفصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية وتعيين قضاة من الأهالي بطريق الانتخاب وتوحيد الضرائب والمساواة فيها بين المسيحيين والمسلمين لكن أبت الدسائس الخارجية وعصب الصقالية الاستمرار القتال لاشتغال الدولة في الداخل واضعاف جيوشها فلم يدعن الثائرون بل تآدوا في غيهم وطلبوا أول كل شيء الانجلاء العساكر التركية عن جميع بلادهم كما انحلت عن بلاد الصرب واستمرّ قتال بينهم وبين الجنود العثمانية التي كان يقودها دولتو الغازي مختار باشا إلى النصر حتى لم يقو الثائرون على الوقوف أمامهم ولما رأت النمسا أن الثورة قد انطفأت أو كادت ولم يعد لها سبيل للتدخل عسكرياً تنفيذا لما تآمر بها كما ستري أوعز الكونت اندراسي وزيرها الأول إلى ألمانيا والروسيا بالاشتراك معها في تحريك لائحة سياسية إلى الباب العالي بتعضيد طلبات الثائرين

وبعد تبادل المخبرات بين هاته الدول اتفق رأيها على تحرير هذه اللائحة المسماة في كتب السياسة بلائحة الكونت اندراسي لكن تقرر ان يكون ارسالها للدول الغربية اعنى فرنسا وانكلترا لا للباب العالي وارسلت لهما فعلاً مؤرخة ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٧٥ فطلبت الدولة العلية من انكلترا تبليغها الصورة المرسلة اليها لترى فيها رأيها فبلغتها اليها سفارة انكلترا في الاستانة بصفة غير رسمية

واعم ما جاء بها ان الدول ترغب تشكيل قومسيون من أهالي الهرسك يكون نصفه من المسيحيين والاخر من المسلمين لمراقبة تنفيذ ما جاء في فرمان السلطان المؤرخ ١٢ ديسمبر السابق ذكره وان يتعهد السلطان لجميع الدول باجراء ما ذكر في فرمان المذكور من الاصلاحات

وبعد اطلاع ارباب السياسة في الاستانة على هذه اللائحة ارتأى السلطان الموافقة

مع الصرب والجبل الاسود على أن تشبثنا المجردة لمحافظة حقوقنا في هذه الحوادث قد  
 أنتجت استحصال قرار مصلحة الصرب والمذاكرات الجارية مع الجبل الاسود وسيتحول  
 لمطالعتكم في اجتماع مجلسكم المرة الاولى ما اتخذ من المعاملات بناء على تلك المذاكرات  
 فأوصيكم اذا بتعجيل قراراتها أما السلوك مع الدول المتحابة بالصدقة والرعاية لما كان من  
 أهم المعاملات المألوفة والمعنى بها لدى دولتنا فلم نزل اليوم حريصين على مراعاة هذه  
 القاعدة الودادية ولما طلبت انكسرت منذ بضع شهور عقد مؤتمر في مقر سعادتنا لاجل  
 المسائل الحاضرة وروجت كافة الدول المعظمة أيضاً أساسات هذا الطلب والاقتراح  
 وافق بينا العالى على عقده نعم انه لم يأت هذا الاجتماع باتفاق قطعى ولكن ماتاخرنا عن  
 اثبات نوايانا الخالصة واظهارها باجراء مآثوراتهم ونصائحهم الموافقة لأحكام معاهدات  
 الدول ولقواعد الملل وحقوقها ولتضميات أحوالنا وحقوقنا المبرمة أما أسباب عدم  
 الاتفاق فلم تكن في الأساس وانما بالأحرى كانت في صور الاجراءات وأشكالها  
 لاستحساننا أساسياً لزوم ايصال الترقيات السككية التى وقعت منذ بداية التنظيمات حتى  
 الآن في أحوال مملكتنا العمومية وفي ادارة كل شعبة من شعب دولتنا الى حال أكل  
 ولم نزل مساعيناً حتى اليوم مصروفة لهذا المقصد على أن وظيفتى التوفى من الاحوال  
 التى نحل بشأن مملكتنا واستقلالها وقد تركت اثبات صدق نيتى وسلامتها لدى الجميع  
 الى تمادى الايام والزمان أما النتائج التى وادتها هذه الحال فقد أفضت الى زيادة التأسف  
 وزوالها سريعاً مما يكفل بكمال ممنونيتى على أن مقصدينا فى جميع الاوقات مقصور على  
 دوام السلوك فى منبج المحافظة على استقلالية حقوقنا وسيكون هذا المسالك مركز النظر  
 فى أنصرفتانا الاتية وؤمل ان مآثر الاعتدال وحسن النية التى أظهرتها دولتنا قبل  
 انعقاد المؤتمر وبعده تتكفل بمضاعفة حسن المعاشرة والمناسبات الودادية الرابطة  
 سلطنتنا السنية بجمعية الدول الاوروبية ونسأل حضرة الحق المتعال أن يجعل مساعينا  
 جميعاً مظهرًا للتوفيق فى كافة الاحوال اه

### ﴿ حرب روسيا وبيان أسباب لائحة الكونت اندراسى ﴾ (١)

(١) سياسي مجرى شهر ولد سنة ١٨٢٣ وتربى في مدرسة (بودابست) الكلية واشتغل بالسياسة  
 وفي سنة ١٨٤٨ كان من أهم دعاة الثورة وساعد المسيو (كسوت) على طلب الحرية والمحاربة للحصول  
 عليها وفي أثناء الثورة سافر الى الاستانة وتحصل من جلالة السلطان عيد الجيد على وعد بالمساعدة ومنها  
 قصد بلاد الانكليز وهناك وصله خبر الحكم عليه بالاعدام غييا فلم يحجر بالعودة الى بلاده وبعد أن  
 أقام خارجها نحو عشرة سنوات أذن له بالرجوع اليها فماد الى وطنه سنة ١٨٥٩ ولما تم الوفاق بين  
 المجر والنمسا على أن يكون لكل من الامتين حكومة مستقلة ومجلس نواب مخصوص انتخب اندراسى  
 وكيلًا لمجلس الامة ثم رئيسا لمجلس وزراء المجر وحضر بهذه الصفة توقيع فرنسوا جوزيف ملكا على المجر  
 ثم عين وزيرًا للخارجية النمسا والمجر سنة ١٨٧١ ولما انتشبت الحرب التركية الروسية سنة ١٨٧٧ لزم  
 الحيادة ولم يساعد الدولة العثمانية حسب رغبة أهالى المجر ففقر أبناء وطنه منه ودعوه بخائن الوطن  
 لاختلاسه ولا يبقى البوسنة والهرسك منها بدون حق ثم أبرم مع ألمانيا التحالف الذى صار ثلانيًا بانضمام  
 ايطاليا اليه واستقال من الاشغال سنة ١٨٧٨ طلبًا للراحة وتوفي سنة ١٨٩٠



دولتنا ومملكتنا وسعادتتهما لان ما يعوزنا اليوم من الاصلاحات وما يترقب الجميع اتخاذ  
 في ملكتنا من التنظيمات هو في غاية الاهمية والاعتناء وبما أن وضع ذلك على الفور في  
 موقع الاجراء مرهون على اتفاقكم بالفكر والآراء فلذا شورى الدولة مثابر الآن على  
 تنظيم لوائح القوانين اللازمة لكي تحول في اجتماعكم في هذه السنة الى مجلسكم لاجل  
 المذاكرة وهي لائحة نظامات داخلية مجلسكم ولوائح قانون الانتخاب وقانون الولايات  
 وادارة النواحي العمومي وقانون الدوائر البلدية وقوانين أصول المحاكمات المدنية  
 وترتيب المحاكم وصورة ترقى المحاكم وتقاعدهم ووظائف عموم المأمورين وحق تقاعدهم  
 وقوانين المطبوعات وديوان المحاسبات ولائحة قانون ميزانية السنة السابقة فمطلوبنا  
 التقطى والحالة هذه مطالعة هذه القوانين بالتتابع والمذاكرة عليها واعطاء قراراتها  
 وكما ان النظر عاجلا في اصلاحات وتنظيمات المحاكم والعساكر الضبطية اللتين هما  
 الواسطة المستقلة لتأمين حقوق العموم من أهم ما يلزم فوضع ذلك في موقع الاجراء  
 أيضاً متوقف على توسيع خصصاتها المقررة وتزويدها ومن حيث أن ادارتنا المالية  
 قد أمست عرضة للعسر والمشاكل الكثيرة حسبما يتضح لديكم من الميزانية المعطاة الى  
 مجلسكم فإوصيكم أن تسعوا مهتمين بالاتفاق لتعيين التدابير التي تهدينا قبل كل شيء الى  
 التخلص من هذه المشاكل والى وسائل اعادة اعتبار ماليتنا ومن ثم لتعيين تلك التخصيصات  
 التي تخرج هذه الاصلاحات المستعجلة الى الفعل ولما كان ترقى الزراعة والصناعة اللتين  
 هما من اعظم الاصلاحات والاحتياجات في ملكتنا وتبعتنا وايصال المدينة والثروة الى  
 درجة الكمال موقوفاً على قوة المعارف والعلوم فستعطى بمنه تعالى الى مجلسكم في اجتماع  
 السنة الآتية لوائح القوانين المتعلقة باصلاح المكاتب وتنظيم درجات التحصيل وبما  
 أن حصول تأثيرات أحكام القوانين على الوجه الاتم سواء كانت القوانين المذكورة أعلاه  
 أو القوانين التي توضع من الآن فصاعداً في موقع الاجراء يتوقف على وضع أقضية  
 انتخاب مامورى الادارة تحت أهمية عظيمة في هيئة دولتنا سمعن نظر التدقيق المخصوص  
 في هذا المطلب وفي مطلب صورة مكافاة وحماية المامورين المتصفين بالعفة والاستقامة  
 اللتين ضمنهما القانون الاساسى وحيث كانت قضية انتخاب المامورين ذات بال وأهمية  
 لدينا اعتمدنا على تاسيس مكتب مخصوص تكون مصاريفه من خزيرتنا الخاصة لمقصد  
 الحصول على مامورين جديرين بالادارة العمومية على وجهه أن تلامذته تتبل في  
 ماموريات الادارة والسياسة حتى الدرجة العليا ويدخل اليه من كل صنوف تبعتنا  
 بدون استثناء مذهبي وترقيهم يكون بحسب درجة أهليتهم كما يتضح من نظامه الاساسى  
 المعلن قبلاً وقد وقع لدينا موقع التقدير والتحسين في صورة خارقة للعادة ما أبدته عموم تبعتنا  
 الصادقة من آثار الحمية وما تحمته جنودنا من أنواع المتاعب والمشاق المشفوعة بالغيرة  
 والبسالة في أثناء الغوائل الداخلية التي تهوّرنا بها منذ عامين تقريباً ولا سيما في أثناء الحرب



الحفاظة قبل كل شيء على حقوقنا أن أزيد معسكراتنا في جميع الجهات حتى وضعت تحت السلاح نحو ستمائة ألف عسكري لاعتقادي بان ملاشاة هذه الاختياطات بالكلية واستنصاها بعون الله تعالى والتفتيش على طريقة لاصلاحات مهمة في دولتنا نضع بواسطتها مستقبنا تحت الأمانة المتبادية انما هو فرض على ذمتي وأمر واضح بانه اذا نهجنا في الادارة سبيلا حسنا ستقدم باقرب وقت تقدما كبيرا في النجاح بحسب القابلية التي احسن بها الحق تعالى على ملكتنا وبحسب الاستعداد المتصرفة به أهاليها وأمر محقق ان تاخرنا عن الحقوق والترقيات الحاضرة في عالم المدنية كان لأهالنا المداومة على الاصلاحات المحتاج ملكنا اليها ولعدم المناورة على القوانين والنظامات المتعلقة بها ومنشأ ذلك ليس هو الا صدور هذه الاشياء من بد الحكومة الاستبدادية بدون استناد على قاعدة المشورة والحال أن ترقى الدول المتمدنة ونجاحها وأمانة الممالك وعمرانها انما هو ثمر تاسيس مصالحها وقوانينها العمومية بالاتفاق واجماع الآراء كما هو مبين فبناء عليه رأيت أن تحرر أسباب الترقى في هذه الطريق واستناد قوانين المملكة على الآراء العمومية هو أزم ما لدينا فلذا قد أعلنت القانون الاساسي أما مقصدنا من تاسيسه فليس هو عبارة عن دعوة الاهالي للحضور في رؤية المصالح العمومية وانما بالاحرى لاعتقادنا القطعي بان هذه الاصول هي وسيلة مستقلة لاصلاح ادارة ملكتنا ومحو سوء الاستعمالات واستئصال قاعدة الاستبداد وفضلا عما في هذا القانون الاساسي من الفوائد الأصلية فهو كذلك مهد لأساس حصول الاتحاد والاخوة بين الانام وجامع لمقصد تاسيس أمر الائتلاف والسعادة بين الخاص والعام أما أجدادنا العظام في الفتوحات التي وفقوا اليها قد جمعوا تحت حكومتهم في هذه الدولة الوسيعة الممالك أقواما عديدة فلم يبق سوى أمر واحد فقط وهو ربط هذه الاقوام المختلفة اختلافاً كلياً في الأديان والاجناس بقانون مفرد وحسن مشترك وحيث قد تبصر الآن هذا الأمر بعون جناب الحق الذي لانهاية لألطافه ومقدرته الالهية فيقتضي اذاً من الآن فصاعداً ان تكون كافة تبعتنا أولاد وطن واحد يعيشون بأجمعهم تحت جناح حماية قانون واحد وينعتون بالعنوان الخصوص منذ ما ينيف عن ستمائة سنة لاهل بيت سلطنتنا السنية المسطر كثير من آثار شوكتهم في صحف توار يخ البرية مؤملا أن الاسم العثماني الذي ما برح حتى الآن علم القوة والاقتدار المشتهر يكون من بعد الآن شاملا لدوام المنافع المختلفة الموجودة بين جميع تبعتنا وحفظها وحيث انني بناء على ما ذكر من الأسباب والمقاصد قد عزمت عزما ثابتا على أن أنهج السبيل الذي سلكته ولا أكو جهداً في توطيده وتشجيده فارتقب منكم اذا المعاونة فعلا وعقلا للاستفادة من مشروع القانون الاساسي الذي بني على قاعدة العدل والسلامة والمقروض عليكم اذا القيام باعباء الوظائف القانونية الحولة لعهدتكم وحيثكم بصداقة واستقامة بدون احتراز من أحد غير ملتفتين الى شيء آخر سوى سلامة

وزراعتها وزادت وأرادت دولتنا اضعاها في أمد قليل ومن ثم وضعت القوانين والنظامات التي هي مدار لما يعوزنا من الاصلاحات. وأخذت تحصيل المعارف والقنون بالامتداد وديننا شب في دولتنا أمل النجاح بناء على هذه المقدمات الحسنة ولا سيما بناء على الامنية الداخلية ظهرت حرب الترميم فكان ظهورها مانعا لدوام المساعي بتنظيم أحوال الملك والتبعة ومع أن خزينة دولتنا كانت حتى ذلك الوقت غير مديونة للخارج بقرش واحد اضطررنا للاستعراض الخارجي دفعا للاحتياج والضرورة فتعذر والحالة هذه تقابل وارداتنا مع مصاريف الحرب المبرمة وبهذا السبب فتح باب الدين نعمانه في هذه المسألة بواسطة اتفاق الدول المتخمة التي صادقت على مشروعية حقوقنا وبانضمام معاوناتها الكاملة الفعلية التي لا تبرح مدى الدهر زينة لصحائف التواريخ قد أنتجت الحرب تلك المصالحات التي وضعت تمام ملكية دولتنا واستقلالها تحت ضمان دول أوروبا العهدي وغلب على الظن أن هذه المصالحات قد مهدت لمستقبلنا زمانا مساعدا على وضع أعمالنا الداخلية في طريقها وسلوك جادة الترقى الحقيقية انما الاحوال المتعاقبة ساقتنا بكليتنا الى عكس ذلك الانتظار والامل أن توالى الحوادث الداخلية المتتابعة الظهور بمفاعيل التحريكات والتسويات لم نحولنا وقتا للنظر في اصلاحات ملكتنا وتنظيماتها بل أوقعت زراعتنا وتجارتنا في وقوف عظيم لا يضطرارنا في كل عام لجمع معسكرات فوق العادة في أنحاء مختلفة ووضع الصنف الاكثر نفعا من أهاليها تحت السلاح وأمر مسلم ومعلوم أنه مع كل ما صادفنا من المشاكل والموانع قد قطعنا ماديا وأدبيا مسافة كلية في سبيل النجاح وتزايد وارداتنا على التوالي منذ عشرين عاماً دليل على ترقى المملكة وازدياد رفاهية حال الاهالي ثم وان كانت المضايقة الحاضرة قد تولدت من الاحوال التي عدناها فمع هذا كان ممكنا تخفيف غائلة الضرورة وحفظ الاعتبار المالى لو سلكتنا في الادارة المالية طريقا قويا يبدئه كل ما اتخذ من التدبير المالى في صورة الاصلاحات لم يصلح الحال وانما زاد العمل انقلا وقد طلبت الاستفادة من الحال قبل التفكير ماذا يكون الاستقبال فدوام هذه الغوائل وتعاقبها من الجهة الواحدة ومداركة وانشاء الادوات والاسلحة الجديدة الحربية التي هي أعظم أسباب شوكة دولتنا واقتدارها وعدم وضع وارداتنا ومصاريفنا تحت موازنة اقتصادية من الجهة الأخرى أفضت الى انتفاض ادارتنا المالية درجة فدرجة فاتجت مانحن فيه الآن من المضايقة الخارقة للعادة وأعتب ذلك ظهور وقوعات هرسك المنبعثة من أثر الفساد والتحرريك التي تجسمت أخيراً ثم افتتحت بفتة محاربات بلاد الصرب والجبل الاسود وظهرت في عالم السياسة أيضاً فتن واختلالات كبيرة وفي ذلك الزمان الذي فيه تهوّرت دولتنا في بحران عظيم وقع جلوسنا بارادة جناب الحق الازلية على تحت أجدادنا العظام ولما كانت درجة المخاطر والمشكلات التي حاقت بأحوالنا العمومية غير قابلة القياس مع ما تقدّمها من الغوائل التي تهوّرت بها دولتنا حتى الآن قد اضطررت لاجل

الامة العثمانية ليس الا وبنى نفيه بناء على المادة ١١٣ من القانون الاساسى التى جاء فى آخرها بعد التكلم على اعلان الادارة العرفية أى تعطيل القوانين والنظمات الملكية مؤقتاً فى كل جهة ظهرت فيها أمارات الاختلال والعبث بالأمن العام مانصه (ومن ثبت عليهم تحقيقات ادارة الضابطة الموثوقة أنهم أدخلوا بأمنية الحكومة يكون اخراجهم من الممالك المحروسة وتبعيدهم عنها منحصراً بيد اقتدار الحضرة السلطانية) ثم وجهت الصدارة الى محمد أدهم باشا مع تغيير وتبديل فى أغاب الوكلاء وأرباب الوظائف المهمة

البرلمان العثماني  
الاول

وفى ٤ ربيع الاول سنة ١٢٩٤ فتح البرلمان العثماني الاول فى سراى بشكطاش وعند افتتاحه تليت خطبة أنيقة عن اسان جلالة السلطان وبحضوره شرحت فيها جميع الاسباب التى أدت الى انحطاط الدولة وتأخرها سلمياً وسياسياً وبعد تشخيص الداء بين فيها الدواء وما يلزم للمملكة من الاصلاحات ونشر التعليم والمساواة بين الجميع والعدل فى الاحكام ولاهميتها فى بابها وجمعها كل ما يمكن أن يقال فى مثل هذا الحال أتبنا على درجتها هنا وقد صدق من قال ان كلام الملوك ملوك الكلام وهامى  
يا أيها الاعيان والمبعوثان

اننى أثبت الممنونة بافتتاح المجلس العمومى الذى اجتمع المرة الاولى فى دولتنا العلية وجميعكم تعلمون أن ترقى شوكة واقتدار الدول والممالك انما هو قائم بواسطة العدالة حتى ان ما انتشر فى العالم من قوة دولتنا العلية وقدرتها فى أوائل ظهورها كان من مراعاة العدل فى أمر الحكومة ومراعاة حق ومنفعة كل صنف من صنوف التبعة وقد عرف الناس أجمع تلك المساعدات التى أبداها أحد أجدادنا العظام المرحوم السلطان محمد خان الفاتح فى مطلب حرية الدين والمذهب وكافة أسلافنا العظام أيضاً قد سلكوا على هذا الأثر فلم يقع فى هذا المطلب خلل بوقت من الاوقات وغير منكر أن المحافظة منذ ستائة عام على السنة صنوف تبعتنا ومليتهم ومذاهبهم كانت النتيجة الطبيعية لهذه القضية العادلة والحاصل بيننا كانت ثروة الدولة والملة وسعادتهما صاعدتين فى درجة الترقى فى تلك الاعصار والازمان بظل حماية العدالة ووقاية القوانين أخذنا بالانحطاط تدريجاً بسبب قلة الانقياد للشرع الشريف والقوانين الموضوعة وتبدلت تلك القوة بالضعف وقصارى الامر أن المرحوم والدى الاكبر السلطان محمود خان أزال عدم الانتظام الذى هو العلة الكبرى للانحطاط الذى طرأ منذ أعصار على دولتنا ورفع من الوجود عائلة الانكشارية المتولدة منه وقلع شوكة الفساد والاختلال الذى مزق جسم الدولة والملة وكان هو السابق لفتح باب ادخال مدينة أوروبا الحاضرة الى ملكتنا وهكذا والدى الماجد المرحوم عبد المجيد خان قد اقتفى هذا الأثر فأعلن أساس التنظيمات الخيرية المتكفلة بالمحافظة على نفوس أهاليها وأموالهم وأعراضهم وناموسهم ومنذ ذلك اليوم اتسعت تجارة ممالكنا



على تأمين هذه الفوائد وتقريرها بمعنى أن قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمشروعة وعلى منع الحركات غير المشروعة أعني ممانع ومحو الخطيئات وسوء الاستعمالات المتولدة من الحكم الاستبدادي الفردي أو الأفراد القلائل ليستفيد جميع الاقوام المركبة هيئتنا منهم نعمة الحرية والعدالة والمساواة بلا استثناء وذلك حق ومنفعة حريان بالهيئة الاجتماعية المدنية

ولما كان ربط القوانين والمصالح العمومية بقاعدتي المشورة والمشروطة المشروعتين والثابت خيرهما مما تحتاج اليه هذه الاصول أو عزنا في خططنا الذي أذعننا به جلوسنا لزوم ترتيب مجلس عمومي وبما أن القانون الاساسي يقتضى بتنظيمه في هذا المطلب قد ترتب بالمذاكرة في الجمعية المخصوصة التي تعينت مركبة من متجيزى الوزراء وصدور العلماء ومن سائر رجال ومأمورى دولتنا العلمية وجرى عليه التصديق في مجلس وكلائنا بعد امعان نظر التدقيق وكانت المواد المندرجة فيه انما هي متعلقة بحقوق الخلافة الاسلامية الكبرى والسلطنة العثمانية العظمى وحرية العثمانيين ومساواتهم وصلاحيات الوكلاء والمأمورين ومسؤوليتهم وبما للمجلس العمومي من حق الوقوف وباستقلال المحاكم الكامل وبصححة الموازنة المالية وبالحفاظة على مركز الحقوق في ادارة الولايات واتخاذ اصول توسيع الماذونية وكان جميع ما ذكر مطابقاً لاحكام الشرع الشريف ولاحتياج الملك والملة وقابليتهما في يومنا هذا وكانت أخص آمالنا في طلب سعادة العامة وترقياتها مساعدة لهذا الفكر الخيري وموافقة له فاستنداداً على عون الله وامداد روحانية جناب رسول الله قد قبلنا هذا القانون الاساسي وأرسلنا به لطرفكم بعد ان صادقنا عليه فبادروا لاعلانه في جميع أنحاء الممالك العثمانية وأطرافها ليكون دستوراً للعمل الى ما شاء الله وبأمره باجراء أحكامه منذ اليوم متخذين أسرع التدابير لتنظيم ما تقرر فيه وتسطر من النظمات والقوانين كما هو مطلوب بنا القطعي ونسال جناب الحق المتعال أن يجعل مساعي المجتهدين في سعادة حال ملكتنا وملتنا مظهرراً للتوفيق في كل الاعمال  
نحر برأفي ٧ ذى الحجة سنة ١٢٩٣

لكن لم ير أحمد مدحت باشا هذه الهيئة الشوروية التي بذل جهده لمنحها البلاده فانه عزل من منصب الصدارة في ٢١ محرم سنة ١٢٩٤ أعني بعد تعيينه بأقل من شهرين ونفى خارج الممالك المحروسة بناء على ما ألقى في حقه من الدسائس لدى جلالة السلطان الأعظم من انه يود ارجاع السلطان مراد الى عرش الخلافة العظمى بدعوى ان عزله كان على غير وجه شرعي وانه حافظ لقواه العقلية لا يمنعه مانع عن القيام بهام الدولة وعزى اليه أيضاً أنه يسعى في فصل السلطة الدينية عن السلطة الدنيوية اي الخلافة الاسلامية عن السلطنة العثمانية بحيث لا يكون السلطان خليفة جميع المسلمين في المعمورة بل يكون سلطانا على



ومباشرة العمل باحكامه من يوم نشره وأعلن القانون الاساسى بالاستانة وقرى عفى جميع  
 حافل في يوم ٢٣ دسمبر سنة ١٨٧٦ وأطلقت المدافع من جميع القلاع والمراكب استباشراً  
 وهو قانون قد جمع فاعى أهم ما به أنه ضمن لجميع رعايا الدولة الحرية والمساواة أمام  
 القانون وأباح حرية التعليم مع جعله اجبارياً على جميع أفراد العثمانيين وحرية المطبوعات  
 وبين اختصاصات مجلسى المبعوثان والاعيان وكيفية الانتخاب ومن يجوز ان ينتخب أو  
 ينتخب وان جميع الرعايا يطلق عليهم اسم عثمانى ومن هو ذاك العثمانى وان الدين الرسمى  
 هو دين الاسلام واللغة الرسمية اللغة التركية وان الدولة جسم واحد لا يمكن تفرقه او تجزئته  
 ومما فيه أيضاً ابطال المصادرة فى الاموال على العموم والتعذيب فى التحقيق والسخرية على  
 وجه العموم ووضع ميزانية سنوية تعرض على هيئة المبعوثان ثم الاعيان واذا أقر كلاهما  
 عليها تكون واجبة الاجراء وعدم جواز عزل النضاة الا بسبب شرعى وكيفية نظام  
 الولايات وحدود المأمورين الخ مما يطول ذكره هنا وهالك صورة الخط الشريف الهمايونى  
 الصادر بتنفيذ القانون الاساسى

وزيرى سميع المعالى مدحت باشا

ان التدنيات العارضة منذ أزمان على قوة دولتنا العلية قد نشأت من الانحراف عن  
 الطريق المستقيمة فى ادارة الامور الداخلية أكثر مما نشأ من الغوائل الخارجية ومن ميل  
 الاسباب الكافلة أمنية التبعة من حكومتهم المتبوعة الى الانحطاط فلذا كان والدى الماحد  
 المرحوم عبد الحميد خان أعلن مقدمة للاصلاحات خط التنظيمات الذى منح فيه للعموم  
 الامن على نفوسهم وأموالهم وأعراضهم وناموسهم كما يوافق أحكام الشرع الشريف  
 المقدسة فما عشناه الى الآن ضمن دائرة الامن وما وقفنا به اليوم بوضع واعلان هذا القانون  
 الاساسى الذى هو ثمره الآراء والافكار المتداولة بالحرية المستندة على تلك الامنية ما هو  
 الا من جملة آثار تلك التنظيمات الخيرية فلذلك أردد خاصة فى هذا اليوم المسعود اسم  
 المرحوم المشار اليه وموقفيته بعنوان محي الدولة ولا ريب بأنه لو كان الأوان الذى تأسست  
 فيه التنظيمات المذكورة موافقاً لاستعداد زماننا هذا والجا آتة لكان المرحوم المشار اليه  
 أسس اذ ذاك أحكام هذا القانون الاساسى الذى نشرناه الآن وأجره ولكن جناب  
 الحق علق حصول هذه النتيجة المسعودة الكافلة بآعام سعادة حال ملتنا لعهد سلطنتنا  
 فنقدم بناء على هذه الدلالة لجناب الرب الكريم الحمد والشكر العظيم على ان التغييرات التى  
 وقعت بالطبع فى أحوال داخلية دولتنا العلية والتوسعات التى حصلت فى مناسباتها الخارجية  
 أوصلت عدم كفاءة شكل ادارة الحكومة لدرجة البدهاء ولما كان أقصى مقاصدنا  
 الخيرية ازالة الاسباب المانعة للآن الاستفادة الواجبة من ثروة مملكتنا وملتنا الطبيعية  
 ومن قابليتها الفطرية وتقدم صنوف التبعة فى طرق الترقى بالتعاون والاتحاد اقتضى  
 لاجل الوصول الى هذا المقصد ان تتخذ الحكومة قاعدة سالمة ومنظمة وهذا أيضاً يتوقف

للتريقات واهم ما لدينا من الأمور الاسراع بتعميم المعارف فاخص ما نتمناه والحالة هذه ان يحصل الاجتهاد ببلاغ تخصيصات المعارف الى الدرجة الكافية حسبما يساعد الامكان وان تستحصل الوسائل الموصلة لتعميم نشر أصول المعارف على القور ويبادر عاجلاً لاصلاح الأصول الملكية والمالية والضبط في الولايات بحيث توضع ضمن دائرة الانتظام في صورة مناسبة للقاعدة التي تتخذ في المركز وحيث ان الحادثة التي ظهرت في العام الماضي في اطراف هرسك وبوسنه باغراء ارباب الاغراض قد انضم لها ايضاً مسألة عصيان الصرب والدم المهرق من الطرفين انما هو دم أولاد وطن واحد وكان دوام هذه الحال التي يرى لها موجبا لسكدرنا وتأثرنا الشديد يلزم التشبث بالتدابير المؤثرة المفضية لاستئصالها وفيما نؤيد مجدداً كافة احكام المعاهدات المنعقدة مع الدول المتحابة تؤثر رعايتها على الوجه الحسن فينبغي المتابعة بالاجتهاد على ازدياد روابط الحب والمسالمة المتبادلين بيننا وبين الدول ونسأل حضرة الرب المتعال أن يقرن مساعينا جميعاً بتوفيقاته السبحانية في كافة الأخوال آمين

في يوم الاحد ٢١ شعبان سنة ١٢٩٣

ثم اصغى لمشورة نهاء وزرائه الميالين لمنح الدولة العثمانية نظاماً دستورياً شوروياً يحفظ لجميع رعايا الدولة حقوقهم ويكون بمثابة رابطة بين جميع الشعوب والممل المكوّنة منها الممالك العثمانية فيكون الجميع سواء في الحقوق والواجبات وتبطل بذلك المناقسات والضغائن الجنسية والدينية لاشتراك الجميع في نظر شؤون الدولة ووضع القوانين الملزمة لحالة الاهالي ودرجة ارتقاؤهم في سلم المدنية والعمران ويتنبه كل منهم الى الدسائس الاجنبية ولفظ الخائنين من بينهم لفظ النواة

ولهذه الدواعي اصدر حفظه الله ارادة سنية بموجب قرار سائر الوكلاء (النظار) في ٥ شوال سنة ١٢٩٣ الموافق ٢ نوفمبر سنة ١٨٧٦ بتنظيم مجلس عمومي (برلمان) يكون من مجلسين احدهما ينتخب الاهالي اعضاءه ويسمى مجلس المبعوثان والاخر تعين اعضاءه من طرف الدولة ويسمى مجلس الاعيان

وقد ازداد تعلق جلالة السلطان الأعظم بتأييد النظامات الجديدة الشورية ووثق الاهالي ببلوغ امانهم ولمّ شعث الامم المختلفة ويجاد أمة واحدة عثمانية تكون كرجل واحد أمام العدو وحاجزاً حصيناً ضدّ تداخل الدول بحجة اصلاح احوال الشعوب المسيحية بما أن كل شعب يسن له معرفة النواب عن الجميع قوانين تلائم أحواله المذهبية ويعيش الكل في راحة بال ورغد عيش ثم لما استعفى محمد رشيد باشا من منصب الصدارة بسبب تقدمه في السن ووهن قواه عن مزاوله الأعمال في هذه الظروف المهمة وجهت الصدارة الى أحمد مدحت باشا أول القائلين بهذه الاصلاحات في ٤ ذي الحجة سنة ١٢٩٣ الموافق ١٣ ديسمبر سنة ١٨٧٦ وبعد تعيينه باربعة أيام صدر اليه فرمان سلطاني مرفق معه القانون الاساسي للدولة مشتمل على مائة وتسع عشرة مادة يأمره بنشر هذا القانون في جميع أنحاء الدولة

الصمدانية وقصارى آمالى ومقاصدى معطوفة بالخصر لتأيد أساس شوكة دولتنا ومكانتها بحيث تنال صنوف تبعتنا بلا استثناء الحرية ويتعمون جميعاً بنعمة العدالة والرفاهية فأؤمل في هذا الأثر ويعاونونا عليه وقد عرف الناس أجمع بان حال البحران والاعغشاش الملم بدولتنا له جهات وأسباب متنوعة وصور وأشكال متعددة فإذا أمعنا النظر في ذلك من أى جهة كانت نجتمع مبادئه وأسبابه في نقطة واحدة وهى عدم جريان القوانين والنظامات المؤسسة على الاحكام الجلية والشرعية التى هى المسند الاساسى فى دولتنا على حقها وتامها واتباع كل فرد أهواء نفسه فى ادارة الامور أما اتساع ميدان عدم الانتظام الطارىء على ادارة دولتنا ملكا ومالا وما حصلت عليه أمور مملكتنا من عدم الأمانة فى الأفكار العمومية وتعدر وصول الحاكم الى الدرجة المتكفلة بتأمين حقوق الناس وتأخر استفادة مملكتنا حالة كونها قابلة الانواع وسائل العمران كالخرف والصنائع والتجارة والزراعة كما هو مسلم فهو من عدم الثبات الذى وقع على كل ماسرع به من الاجراآت وكل ما حصل من التثبثات الصادرة عن نية خالصة لمقصد أعمار مملكتنا ورفاهية حال رعاينا وتبعتنا وسعادة حالهم ونواهم بدون استثناء الحرية الشخصية وكون ذلك باجمعه صار عرضة لتغيرات متنوعة منعت انتاج المقصد الاصلى فلا ريب فى أنه تولد ونشأ عن عدم الثبات باتباع القانون والنظام وإذا كان من أهم ما يلزم ان التدابير الواجب وضعها أولا فاولا فى مطلب قوانين المملكة المتقاضى وضعها وتنظيمها فى صورة تكفل بامنية العموم وثقتهم ينبغى أن يبتدأ بها من هذه النقطة المهمة وهى أن يترتب مجلس عمومى تكون أفعاله وآثاره مستوجبة لثقة العموم واعتمادهم ويكون موافقا لقابلية مملكتنا وأخلاق أهلها كافلا بالتام تأمين اجراء القوانين حرفاً فخر فاسواء كانت القوانين الموجودة أو التى تتأسس من الآن فصاعداً توفيقاً لأحكام الشرع الشريف المقدسة ولما هو بالحقبة ضرورى ومشروع لمملكتنا وملتنا وناظرأ فى موازنة واردات الدولة ومصاريفها فليبحث الوكلاء فى هذا المطلب ويتذاكروا فيه بتدقيق وتأمل ويعرضوا قراراتهم لدينا ويستأذنوا عنه ثم لما كانت مسألة توديع المأموريات الى غير أهلها من المأمورين وتبدلهم المتوالية من غير سبب مشروع هى من جملة الامور الباعثة على ايقاع جريان القوانين والنظامات كما ينبغى فى حيز الاشكال وهذا مما يأتى بكبير المضرة ملكا ومصاحبة فينبغى ان يتعين من الآن فصاعداً مسلك مخصوص لكل نوع من الخدم والمأموريات وتخذ قاعدة ثابتة ليستخدم بمقتضاها فى كل عمل من يكون أهلا له ولا يعزل أحد أو يبدل من مأموريته بلا موجب على وجه ان تكون كافة الوكلاء ومأمورى الدولة كباراً وصغاراً مسؤولين عن الوظائف الموكولة لهم كل بحسب درجته وكما هو معلوم لدى الخافقين ان ترقية مثل اوروبا المادية والمعنوية انما هى حاصلة بقوة الفنون والمعارف ولما كان استعداد كافة صنوف تبعتنا وما فطروا عليه من الذكاء والحمد لله يؤهلهم من كل وجه



الوزراء ثانية واستدعوا شيخ الاسلام خير الله أفندي وجميع الذوات والعلماء والامراء  
والاعيان واستفتوا مولانا شيخ الاسلام في الامر فأفتى بوجوب عزله وهالك نص  
الفتوى

صورة استفتاء الوزراء في وجوب خلع السلطان مراد خان الخامس  
إذا جنّ امام المسلمين جنونا مطبقاً فقات المقصود من الامامة فهل يصح حل الامامة من  
عهده (الجواب) يصح والله أعلم  
كتبه الفقير حسن خير الله  
عفي عنه

وبعدها أرسلوا في طلب مولانا

### ٣٤ السلطان الغازي عبد الحميد فانه الثاني

فخضر الى سراي طوبقبو وباعه الحاضرون ومنها الى سراي بشكطاش حيث بايعه  
جميع من حضر من رؤساء روحانيين وغيرهم  
اما السلطان مراد فتوجه الى سراي چراغان التي كان بناها المرحوم السلطان عبدالعزيز  
واستشهد بها ثم أخطرت الولايات وزينت المدينة ثلاثة ايام توالى فيها اطلاق المدافع في  
الاقوات الخمس من الطواني والمراكب الحربية  
وفي يوم ١٨ شعبان سنة ١٢٩٣ الموافق ٦ سبتمبر سنة ١٨٧٦ تقلد مولانا السلطان  
اعزه الله السيف المنيف في جامع أنى أيوب الانصارى على ماجرت به العادة وكان ذهابه  
الى هذا الجامع في موكب حافل لم يسبق له مثيل وزار جلالته اثناء عودته جدث والده  
المرحوم السلطان الغازي عبد الحميد المدفون بجامع السلطان سليم ثم زار ضريح السلطان  
محمد الفاتح رحمه الله فقمبر جده السلطان محمود مبيد الانكشارية طيب الله رآه واخيراً قمبر عمه  
شهيد الشهداء السلطان عبد العزيز غفر الله له

وبعد ذلك استلم ادارة الاعمال بهمة ونشاط واطهر للوزراء رغبته في اصلاح الامور  
في خط همايوني ارسله جلالته الى الباب العالي اشعاراً بجلوسه مؤرخاً ٢١ شعبان سنة  
١٢٩٣ الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٢٧٦ واليك نصه

وزيرى سميع المعالى محمد رشدى باشا  
انه لما اعتزل اخي الاكرم حضرة السلطان مراد الخامس عن مشاغل السلطنة والخلافة  
وفرغ منها جلسنا بموجب القانون العثماني على تخت اجدادنا العظام  
وقد وجهنا لعهدتكم مسند الصدارة العظمى ورئاسة مجلس الوكلاء ابقاءً وتجديداً  
بناء على ما لاذنكم من الروية المسلم بها والحمة الجربة ومالككم من الوقوف والاطلاع على  
مهام امور الدولة وكذلك اقررنا جميع الوكلاء في مناصبهم  
واننى شديد الاتكال في جميع الاحوال على تسهيلات جناب موفق الامور وتوفيقاته



استثناء وتوهمهم لأنواع الترقى وتعمل كل فرد منهم للاتحاد بالسكر والنية على المحبة  
والحفاظة على الوطن والدولة والملة فيبادرون للاستئذان على ما يقرّ عليه القرار (ثانياً)  
ان المهم اللازم نظراً لهذه النية الاساسية انما هو تجديد تنظيم نظامات وادارات شورى  
الدولة والاحكام العدلية والمعارف العمومية وأمور المالية وسائر المأموريات فينبغى  
إذا النظر في تنظيم ذلك بالتتابع (ثالثاً) لما كانت المصالح الاميرية هي احدى الأحوال  
المعظمة التي أوقعت أمور الدولة في اشكال كان من الواجبات وعلى حساب ماسبشرع  
به من التنظيمات ادخال المعاملات المالية تحت التأمين أى انها تربط بقاعدة وثيقة  
وتوضع تحت نظارة قوية تمنح العموم تأميناً على عدم وقوع مصروف خارج عن الميزانية  
واعانة لهذا المدير قد نزلنا من تخصيصات خزينتنا الخاصة ستين ألف كيس وتركنا  
كذلك الى خزينة المالية ادارة معدن الفحم فى اركلى وسائر المعادن وبعض المعامل  
وحاصلاتها بأجمعها فبناء عليه يلزم الاعتناء كذلك باجراء مثل هذه التعديلات  
والتصرفات فى سائر الجهات تسهيلاً ولحصول الموازنة فى الامور المالية (رابعاً)  
فلتندم كافة معاهدتنا مع الدول المتحابة مرعية الاجراء ويصرف الجهود بتأكيد  
الحب والمواالة وتزويد المصفاة فيما بين دولتنا العلية وجميع الدول فنسأل جناب الحق  
المعين أن يوفقنا للخير أجمعين فى ١٦ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ هـ

لكن لم يتح له الدهر اتمام هاتيك المشروعات الجليلة ذات الفوائد الجزيلة بل ظهرت  
عليه علامات الاضطراب العصبي عقب توليته بنحو أسبوع ثم ازدادت شيئاً فشيئاً  
خصوصاً بعد ما بلغه خبر قتل حسين عوى باشا ومحمد راشد باشا بالصفة التى سبق شرحها  
حتى لم يتمكن من تمييز الوزراء عن بعضهم ومع ذلك فكان الصدر الأعظم يخفى هذا الامر عن  
العموم لكن ذاع خبره لعدم اجراء الاحتفال بتسليمه السيف السلطاني فى جامع أنى أيوب  
الأنصارى حسب العادة ولعدم مقابلته قناصل الدول ليقدموا اليه أوراق تجديد تعيينهم لدى  
حكومته وأخيراً لما اشتد عليه الحال استدعى الوزراء الطبيب ليدزورف النمساوى الشهير بمداواة  
الامراض العقلية فحضر وبعد أن فحص جلالته ولازمه عدة أيام متفرساً كل ما يبدو منه  
من الاقوال والاشارات واستعلم عن عادته وكيفية معيشته قال بتعسر برئه من هذا المرض  
فتشاور الوزراء فى الامر ثم عرضوا على أخيه عبد الحميد افندى ان تسلم اليه مقاليد  
الاحكام حيث حكم الاطباء بعدم لياقة اخيه السلطان مراد لادارة مهامها فاجابهم حفظه  
الله واطال عمره ان الاولى عدم التسرع فى الامور ربما يمن الله عليه بالشفاء ويعود الى  
ما كان عليه من شدة الذكاء وتوقد الذهن فامثل الوزراء لكن لما رأوا ان الحالة فى  
ازدياد اجتمعوا فى يوم الاربع ١٠ شعبان سنة ١٢٩٣ الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٨٧٦  
وقرروا بوجوب المبايعة لمولانا السلطان عبد الحميد خان الثانى ادام الله وارسلوا رقيماً لوالدة  
السلطان مراد يخبرونها بذلك فأجابت باستحسان ماقرروه ثم فى صباح يوم الخميس اجتمع

باشا (١) بل على من قتلهم من الجند والضباط وعدم تمكنه من قتل ناظر البحرية أحمد باشا قيصرلى

هذا ولا يعقل أن الباعث لحسن بك على قتل الوزراء مجرد الانتقام لارساله الى بغداد اذ لو كان الامر كذلك لا كفى بقتل ناظر البحرية مع ان هذا الامر بعيد الاحتمال أيضاً ويغلب على الظن أن ما حمله على هذا الفعل الا تعلقه بالسلطان الشهيد وعائلته ولتواتر الاشاعات أن السلطان عبد العزيز مات مقتولا بدسياسة هؤلاء الوزراء بايعاز من بعض الدول ذوات الصالح الا كبر في الشرق أراد قتلهم انتقاماً لسلطانه المرحوم الذى ذهب فريسة الدسائس الاجنبية

السلطان مراد الخامس هو ابن السلطان عبد المجيد خان ولد في ٢٥ رجب سنة ١٢٥٦ وارتقى منصب الخلافة في ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٩٣ وكان متعلماً مهذباً ميالاً للإصلاح محباً للمساواة بين جميع أصناف رعيته مقتصداً في مصرفه غير ميال للسرف والترف يشهد بذلك فرمان الذى أرسله الى الباب العالى بابقاء الوزراء وجميع المأمورين في وظائفهم ومبيناً فيه خطة الإصلاح الذى يريد اجراءه وها هو بنصه وزيرى سميع الحمية محمد رشدى باشا

انه لما وقع الآن بأرادة جناب مالك الملك الازلية و باجماع الرعية ورغبة جلوسنا على تخت أجدادنا العظام جدنا ابقاء خدمة الصدارة في عهدتكم اعتماداً على ما جرب من رؤيتكم وحيثكم وأقررنا جميع الوكلاء والمأمورين في مأموريتهم وخدمتهم وقد عرف الناس أجمع ان ما طرأ من مشكلات الاحوال على الدولة في أمورها الداخلية والخارجية ولد في أفكار العاملة قلة الامنية فافضى ذلك لمضرتهم مالا ومساكنة وتنوعت بناء عليه اشكال عدم استراحتهم فكان من الواجب أن نتخذ على الفور طريقاً لاستئصال هذه الحال واصلاحها تأميناً وتنشيطاً للملكة وعموم تبعة الدولة في صورة تتكفل مادياً ومعنوياً بسعادتهما وسلامتهما ولا شك أن هذا يتوقف على تأسيس اصول ادارة الدولة على اساس صحيح ومتين وهو الذى ما برحت أفكارنا محصورة في النظر اليه ونواياه معطوفة عليه فلذا كان جل مانورنا الخالص (أولاً) اجراء الاجكام الشرعية وقيمتها ادارة الدولة العمومية بقوانين قوية موافقة لنفس الأمر ولقابلية الأهالى فيقتضى والحالة هذه ان يتذاكر الوكلاء في كيف يلزم أن تكون تلك القاعدة السالمة الثابتة وما هو الاساس الذى تبني عليه لتكون كافلة وعموم رعيتنا السلطانية التمتع بتمام الحرية بدون

عزل السلطان  
مراد

(١) هو ابن حسن حيدر باشا من أعيان دراهه وكان والده مستخدماً بالحكومة المصرية ثم سافر الى الاستانة أيام ولاية المرحوم عباس باشا الاول وأرسله والده الى أوروبا مع الخديو اسمعيل باشا السابق وأخوه وللاعداد منها عين بوظيفة مترجم ثم ترقى في الوظائف الملكية الى أن بلغ رتبة الوزارة وأحسن عليه بالنيشان العثماني الاول المرصع وتقلد عدة وظائف مهمة وقتل وهو وزيراً للخارجية

﴿ قتل حسن بك لكل من حسين عوني باشا ومحمد راشد باشا ﴾  
حسن بك المذكور هو ابن اسمعيل بك أحد أعيان الجراكسة المهاجرين من بلادهم بعد دخولها ضمن أملاك روسيا وكان ياوراً ليوسف عز الدين أفندي نجل السلطان عبد العزيز الذي كان مشيراً للأوردي الهمايوني الخاص ولما توفي السلطان عبد العزيز أراد حسين عوني باشا السر عسكر ابعاده عن الاستانة فالحقه بأحد الأليات بمدينة بغداد وأمره بالسفر على عجل فامتنع فجلس بحسب الاصول العسكرية ثم أظهر الرغبة في السفر وطلب اماله يومين لا غير للتأهب للسفر فأفرج عنه وفي مساء يوم الخميس ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٢٩٣ الموافق ١٥ يونيه سنة ١٨٧٦ تسليحاً بربعة رفولفات وخنجر ماض ووقصد منزل عوني باشا فقبل له أنه بمنزل مدحت باشا فذهب اليه ولما سأل الخدم عن حسين عوني باشا قالوا له أنه مع سائر الوكلاء (النظار) في مجلس مخصوص فأوهمهم ان معه تلغرافاً مهماً يختص بالحربية يريد توصيله فوراً للسر عسكر ثم انتظر برهة وطلع الى المحل المجتمع فيه الوكلاء فوجد حارساً بالباب منعه عن الدخول فقال له من أنت قال سالم أغا خادم الصدر الاعظم فقال اذهب وناد خادم حسين عوني باشا لاني مستعجل فنزل سالم أغا وعندهما دخل حسن بك الغرفة وأطلق غداً رته على حسين عوني باشا فأصابه برصاصتين فقام للدفاع عن نفسه فاجز عليه بالخنجر وأصاب محمد راشد باشا ناظر الخارجية برصاصة في عنقه أفقدته الحياة ثم قام احمد باشا قيصرى ناظر البحرية وقبض على يد حسن بك فأتخته جراحاً حتى فر مع باقي الوزراء الى غرفة أخرى تابعة لدائرة الحريم ووضعوا خلف الباب بعض أمتعة ثقيلة ثم جاء احمد أغا رئيس خدم مدحت باشا وأراد القبض عليه فقتله ثم حاول فتح الباب الذي اختفى باقي الوزراء خلفه ولم يمكنه إطلاق رصاصتين نفذتا من الخشب بدون أن تصيبا أحداً ثم أخذ كرسيّاً وصار يكسر في الثريات لاطفاء النور وأخذ شمعداناً ليحرق به الاستار ويوقد النار في المنزل ليتمكن الهروب لكن لم يتمكن من ذلك إذ حضرت عدة من عساكر الضبطية فقبضوا عليه بعد ان قتل شكرى بك باور الصدر الاعظم وأحد انفار العساكر ثم سيق الى ديوان السر عسكرية وفي صباح الجمعة تشكل مجلس حربى تحت رئاسة رديف باشا فحكم عليه بالتجريد من الرتب والقتل شتقاً ووجد في الحال من الرتب وعلامات الشرف وفي فجر يوم السبت شتق على شجرة في ساحة بايزيد وبقي مشنوقاً الى صباح الاثنين وعلى صدره ورقة تبين أسباب شتقه ليكون عبرة لغيره ويقال أنه عند استجوابه أمام المجلس لم يبدأ أقل تأسف على قتل عوني باشا (١) وراشد

(١) ولد عوني باشا في ولاية قونية سنة ١٢٣٦ هجرية وبعد أن تلم المبادئ اتي الاستانة ودخل المكتب الحربى سنة ١٢٥٣ وفي سنة ١٢٥٨ صار ملازماً ثم أخذ يترقى شيئاً فشيئاً الى ان وصل لرتبة فريق في أواخر شعبان سنة ١٢٧٨ هجرية وفي سنة ١٢٨٠ وجهت اليه قائدة السراي مع مشيرة الاوردي الهمايوني الخاص وفي سنة ١٢٨٥ عين سر عسكر عموم الجيوش الشاهانية وفي سنة ١٢٩٠ عين صدراً أعظماً ثم بعد تقلبه في عدة مناصب مهمة رجع الى السر عسكرية في ربيع الاخر سنة ١٢٩٢ وقتل وهو بهذه الوظيفة



يتوهم أن عدوّ آهاجم عليه وأنه يجب على العساكر أن تمنعه وتطارده وعلى البواخر أن توجه نيرانها على هذا العدو المفاجيء

وأخيراً طلب من احدى الجوارى مقصاً ومراً ليقص أطراف لحيته كما كانت عادته فاحضرتها له من والدته وانصرفت ثم رأى والدته تنظره من وراء الباب فغضب وأمره بالانصراف وبعد ذلك حضر أحد اعدائه فأخذ يحادثه في مسألة مهاجمة العدو التي كان تخيلها وفي أثناء الحديث اخذ المقتص وقطع به عرقاً من ذراعه الأيمن فحاول العون منعه ولم يتمكن ذهب وأخبر والدته ولما خرج العون قتل السلطان الشبايك والابواب وقطع عرق ذراعه اليسر واضطجع على متكأ حتى تصفى دمه ولما شاع هذا الخبر وعلا صريخ الجوارى أتى الوزراء وبعد ان شاهدوا الحالة استدعوا لجنة طبية من مشاهير الأطباء ومن ضمنهم أطباء سفراء الدول وبعد الكشف عليه طبع الكشف ووزع على العموم ونشر في الجرائد ليعلم الناس كيفية موته

وفي الساعة الخامسة عريياً نقلت جثته الى سراى طوبقو (وكان رحمه الله قد نقل منها الى سراية أخرى في يوم السبت السابق لوفاته بناء على طلبه) وهناك غسلت وجهازت

وفي الساعة العاشرة شيعت جنازته ودفن بجوار أبيه السلطان محمود رحمه الله وما يوجد شكافي أنه قتل نفسه بسبب اختلال قواه العقلية ما كتبه للسلطان مراد قبل وفاته بيوم واحد يطلب منه الانتقال من طوبقو فانه لا يؤخذ من عبارته أن به أقل اضطراب عقلي واليك صورة هذه الكتابة نقلاً عن منتخبات الجواب

بعد اتكالى على الله تعالى وجهت اتكالى عليك فأهنتك بجلوسك على تحت السلطنة وأبين لك ما بيني من الأسف على انى لم أقدر على ان أخدم الامة حسب مرادها فأؤمل أنك أنت تبلغ هذا الأرب وأنت لا تنسى انى تشبشت بالوسائل الفعالة لصيانة المملكة وحفظ شرفها وأوصيك بان تتذكر أن من صيرنى الى هذه الحالة هم العساكر الذين سلبحتهم أنا بيدى وحيث كان من دأبى دائماً الرفق بالظلمين وشملهم بالمعروف الذى تقتضيه الانسانية أرغب اليك أن تنقذنى من هذا المسكان الضيق المعنى (بتشديد النون) الذى صرت اليه وتعين لى محلاً أكثر ملاءمة لى وأهنتك بان الملك انتقل الى ذرية أخى عبد المجيد خان الامضا (عبد العزيز)

ومن جهة أخرى فان استدعاء الوزراء لا طباء القناصل يدل أيضاً انهم كانوا معتقدين أن الامة تصدق قولهم بانه قتل نفسه فعمدوا الى تقوية قولهم بهذا الكشف الطبى الموقع عليه أطباء السفارات مما يعتبر اقرار من الدول وتصديقاً لروايتهم ومع ذلك فلا يمكن الجزم الآن بانه قتل شهيد الدسائس أو انتحر تخالفاً من الحياة بعد خلعه لعدم وجود الأدلة الكافية على القطع فى هذه المسئلة حتى اليوم



هذا ولما تم أمر المباينة ارسل مخصوص الى رديف باشا يخبره بذلك ويسلمه صورة الفتوى القاضية بعزل السلطان عبد العزيز فقصد رديف باشا باب الحريم واستدعى جوهر آغا رئيس أغوات السراى وكلفه بأن يبلغ السلطان أن الأمة قد عزلته وأنه مأمور بتوصيل السلطان المخلوع الى سراى طوبقو وسلمه صورة الفتوى ليطلعها عليها فلم يصدق السلطان الخبر الا بعد أن نظر من الشبايك ورأى العساكر محيطة بسرايته براً وبحراً احاطة السوار بالمعصم

وعند ذلك أيقن ان التوقف لا يكون وراءه الا الاكراه على الخروج فنزل مستسلماً وبمجرد خروجه أحاطت به العساكر وأنزلوه مع ابنه يوسف عز الدين أفندى في زورق ووالدته في ثان وباقي أولاده وأمهاتهم في ثالث ثم خفرتهم الزوارق الحربية الى أن أوصلتهم الى سراى طوبقو حيث كانت العساكر مصطفة على حافى الطريق من البر الى باب السراى

وفي الساعة الحادية عشرة ليلاً أطلقت المدافع من البر والبحر ايذاناً بنجوع السلطان عبد العزيز وتنصيب السلطان مراد الخامس ونادى المنادون بذلك في الشوارع فخرج الاهالى أفواجا الى سراى السر عسكرية ويايعوا السلطان مراد ولم يحصل أدنى مقاومة من أحد ولم تحتاج احدى الدول على هذه الثورة الداخلية وذلك مما يؤيد أن جميع القناصل كان عندهم علم بما حصل قبل وقوعه وأنه ربما كان ذلك باتفاقهم

وفي الساعة الثالثة صباحاً ذهب السلطان مراد في عربة بين صفوف الاهالى الى سراى بشكطاش حيث استمرت المباينة ثلاثة أيام متوالية

ولقد اختلفت الاقوال في كيفية موت هذا السلطان وكثرت الروايات عن ذلك فمن قائل أنه قتل نفسه لعدم انتظام قواه العقلية بعد خلعه ومن قائل أن الذين تأمروا على خلعه ارتكبوا هذا الامر الفظيع فقتلوه خيفة أن يسعى في الرجوع الى منصة الاحكام أما الحقيقة فغمضة نترك كشف الستار عنها لمن يأتي بعدنا ونكتفى بذكر الرواية التي تناقلتها الاسن والجرائد في ذلك الحين

وذلك أنه شاع أو أشاع أرباب الغايات ان قد أصابته رحمة الله أمراض دماغية يوم خلعه فاضطربت أحواله وكان يخيل أن البواخر الراسية في البوغاز تطلق النار على العدو فراده ذلك قلقاً ولم يستطع الرقاد في ليلة الاحد التالية لعزله فلما أصبح الصباح ذهب الى الحمام كعادته ثم الى البستان ثم رجع الى حجرة وصار يأمر بفتح الشبايك والابواب ثم يخرج الى البستان ويعود ثم يخرج ثانياً كأن الدنيا ضاقت امامه برحبها ثم حاول الخروج الى شاطئ البحر فرآه الضابط الذى كان يحرس الباب فقال له بلطف لا اذن بالخروج ياسيدى فهدده بغارة كانت في يده ثم دخل ويقال ان هذه الحادثة كانت سبباً في ازدياد أعراض الخلل واستشهد أصحاب هذا رأى ببعض خدامه وحجابه فقالوا أنه رحمه الله كان

وفاته السلطان عبد  
العزيز

الحور المستقيم وصادفت دسائسهم أذنا صاغية عند بعض العلماء لما خالج صدورهم من عدم الميل للسلطان بسبب عدم اتباعه بعض العوائد المألوفة لديهم مثل خروجه من مالمسكه وزيارة معرض باريس وحضوره التشخيصات التياراتية والبالوات (المراقص) وكيفية خلعه على أصح الروايات ان المؤامرة التي أوصلت الى هذه النتيجة حصلت بين كل من محمد رشدي باشا الصدر الأعظم وحسين عوني باشا ناظر البحرية وأحمد باشا قيصرلى ناظر البحرية وأحمد مدحت باشا وشيخ الاسلام حسن خير الله أفندى وقبل الشروع في تنفيذ ماصمموا عليه أصدر شيخ الاسلام فتوى بوجوب ذلك هذا نصها

الفتوى بعزله

إذا كان زيد الذي هو أمير المؤمنين مختل الشعور وليس له المام في الأمور السياسية وما برح ينفق الأموال الميرية في مصارفه النفسانية في درجة لا طاقة للملك والملة على تحملها وقد أخل بالأموال الدينية والديوية وشوشها وخرب الملك والملة وكان يتأوه مضرباً فهل يصح خلعه - الجواب يصح

كتبه الفقير حسن خير الله

عفى عنه

ثم أناطوا حسين عوني باشا بأمر خلع السلطان عبد العزيز وشيخ الاسلام وباقي الوزراء بمبايعة السلطان مراد وفي يوم الاثنين ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ الموافق ٢٩ مايو سنة ١٨٧٦ أخذ ناظر البحرية في تجهيز المراكب لحصر السراية السلطانية بجزرأ فاستغرب السلطان حصول المناورات بالبحر تحت شبايكه بدون سابقة علمه فأرسل يستعلم عن السبب فأجيب بأن دواعي الحال أوجبت ذلك ثم أخبر أحمد باشا قيصرلى الصدر الاعظم ومدحت باشا بسؤال السلطان فعزموا على تنفيذ مشروعاتهم في مساء ذلك اليوم خوفاً من أن يكون السلطان قد شعر بىء قصدهم واتفقوا على تكليف من يدعى ارديف باشا بحصر السراية برأوتعهد أحمد باشا قيصرلى بحصرها بجزرأ وفي الساعة الثانية بعد غروب ذلك اليوم اجتمع المتآمرون في ديوان السر عسكرية وتوجه رديف باشا مع ألامى من الجند مؤلف من ٢٥٠٠ عسكرى وأمر سليمان باشا رئيس المدرسة الحربية بخفر باب السراى مع مائة من تلامذة هذه المدرسة راكبين خيولهم ومسلحين بالبنادق الجديدة ولما تم حصارها برأوبجزراً وأخبر المتآمرون بذلك توجه حسين عوني باشا في عربة الى مقر السلطان مراد وأركبه معه وعادامعاً الى السر عسكرية حيث كان بانتظارها شيخ الاسلام والشريف عبد المطلب وجميع أعيان الدولة من عسكرىين ومليكين ولما دخلها أحاطت بالسراية فرقة من الجنود لمنع من فيها من الخروج ثم حصلت المبايعة

٣٣ للسلطان مراد فانه الخاصى

من جميع الحاضرين على الأسلوب المتبع وهو ابن السلطان عبد الحميد وكانت ولادته في ٢٥ رجب سنة ١٢٥٦

وابا فأنها كانت على الحكومة أيضاً وقد بلغ ما صرف على هذا المهرجان من أجر سفر أشخاص وممتلكات ومأكولات وغير ذلك مليوناً و١١٩٣ جنياً إنكليزياً فلو أضيف إلى ذلك أجر سكة الحديد وما صرف على وأبورات البحر في النيل والخليج المالح مع ما صرفته الحكومة على المباني في مدن القنال والقاهرة وبنجر الاسكندرية وغيرها وما صرف في الزينة ومهماتا وشراء عربات ومهمات للسكة الحديدية لأجل المهرجان المذكور لبلغ مصرف هذا المهرجان ما يزيد عن مليون ونصف من الجنيهات وذلك قدر السدس من إيراد مصر سنة كاملة اه (١)

هذا ولتأت هنا على ذكر هذه الحادثة المفجعة مع بيان الأسباب التي تنسب لها بقدر ما وصل إليه بحث هذا العاجز فنقول

ان بعد الحوادث التي مر ذكرها اقتنع السلطان رحمه الله ان تحالف الدول مع الدولة في حرب القرم وما بعدها لم تكن نتيجة الا اضعافها بالتدخل في شؤونها الداخلية ومساعدة الطوائف المسيحية الخاضعة لها على الانشقاق عنها وبث روح الفتق والفساد في ممالكها تحت غطاء الحرية ونشر العلوم وأن كل ذلك يعود بالنفع على روسيا جارتها القوية وعدوتها القديمة لاسيما وقد عدل الدول بعد الحرب الفرنسية البروسية أهم بنود معاهدة باريس التي أبرمت بعد حرب القرم لحفظ التوازن في البحر الأسود وعدم مراعاتها عقب ابرامها في حق ولايتي الافلاق والبلغدان فلهذه الاسباب علم جلالة السلطان أن الأولى والأصح لسياسة الدولة هو التبعاد عن الدول الغربية والتحالف مع روسيا وعضده في هذا الفكر الصدر الأعظم محمود نديم باشا فكثر السلطان من الاجتماع مع الجنرال اغنايف سفير روسيا بالاستانة والمتوار وان لم تثبته أوراق رسمية انهما كانا يسعيان لوضع أساس معاهدة هجومية ودفاعية يكون من أهم بنودها الاختصاص بجميع بلاد الشرق وتبعية الولايات الاسلامية أو التي يغلب فيها العنصر الاسلامي للدولة العلية الاسلامية وضم جميع الاقاليم المسيحية أو التي يسود فيها هذا العنصر للدولة الروسية ولما شاع هذا المشروع لم يرق في أعين الدول الأوروبية التي لها مصالح في الشرق وخصوصاً انكلترا فأخذ عملهم وسفرائهم الظاهرون والسريريون يلقون الوسواس في عقول السذج من أهل الأستانة وينسبون السلطان للتبذير والاسراف وعدم الاهلية لإدارة مهام الملك وربما استعان هؤلاء المغررون بطرق أخرى المطالع بها أدري وما زالوا يوسوسون ويلقون بذور الفساد حتى أقنعوا الوزراء بوجود عزله وأن اقلته من الأعمال واجبة لانتظام الدولة وسيرها على

(١) وما يوجب الاستغراب أكثر مما مر أن الحديو الاسبق لم يكتف بما صرفه عند الاحتفال بهذا الخليج بل باع الاسهم التي كان اشتراها المرحوم سعيد باشا إلى انكلترا بأربعة ملايين جنيه مع أنها تساوي الآن ثمانية عشر مليوناً وحيث انه كان قدرهن أربعاً مائة مئة طويلة تنتهي في يوليو سنة ١٨٩٤ فتعهد للحكومة الانكليزية بان يدفع لها سنوياً فائدة عن ثمن هذه الاسهم تبلغ قيمتها سنوياً نحو مائتي ألف جنيه ولم تزل الحكومة تدفع هذه الفوائد وتستمر على دفعها إلى منتصف السنة القابلة سنة ١٨٩٤

عزل السلطان  
عبد العزيز



## من القرنكات

وفي ١٧ سبتمبر سنة ١٨٦٩ قدم الوافدون على البرخ وفي مقدمتهم امبراطورة فرنسا (١) وامبراطور النمسا ووليا عهد ألمانيا وإيطاليا فقصوا الليلة في مدينة بورت سميد في غابة السرور وفي صباح اليوم التالي قام الجميع على الواورات البحرية التي أعدت لذلك ونزلوا في مدينة الاسماعيلية حيث قضوا الليلة فيما لا يوصف من الملاهي والمراقص والزينات وفي اليوم الثالث ساروا جميعاً الى السويس ثم أنوا الى القاهرة ومنها رجع كل الى بلاده الا من أراد السياحة الى الجهات القبيلة لمشاهدة آثار مصر القديمة وقد وجه الخديو كل همته الى اكرام امبراطورة فرنسا وتوفير أسباب الراحة لها أثناء سياحتها في صعيد مصر فاصحبها بنجله دولو حسين باشا وبأعظم رجال هذا العصر صاحب الدولة والوطنية رياض باشا وعين لخدمتها ستة عشر وابوراً بحرياً اختص بعضهم الركون بها ومعيتها والبعض الآخر لاحضار كل ما يلزم لها من الماء والسكر والمشرب والفواكه وغير ذلك من القاهرة يومياً واستمرت مشمولة بالتفات الحضرة الخديوية مدة الاثنتين وعشرين يوماً التي قضتها في هذا السفر ولم تزل كذلك حتى عادت الى بلادها مسرورة شاكراً وقد قال سعادة المرحوم على باشا مبارك في الصحيفة الأخيرة من الجزء الثامن عشر من الخطوط الجديدة التوفيقية ما يأتي وقد طار ذكر هذا المهرجان حتى ملأ البقاع وتحدث الناس في ترتيبه ونظامه ومصرفه لانه فريد في ذاته لم يجز على مثال سابق عليه والذي تعجب الناس منه غاية العجب هو استعداد موسيو يوسف بنظمتي التلياني المتعهد بما كول جميع من حضر هذا الحفل كل انسان على حسب مقامه فكان هو ورجاله يؤدون الخدمة بقاية النشاط والانتظام مع مراعاة الواجب والأدب وكان الناس يتعاقبون على السفر الإفريقية والعربية فوجاً بعد فوج وفي كل مرة تتغير أدوات السفرة بغيرها وتقدم ألوان الأطعمة على التعاقب في أسرع زمن مع مراعاة مقتضيات خدمة كل سفرة عربية كانت أو إفريقية واستمرت هذه الحالة في الخيم والصوابن والواورات وجميع المحلات المعدة لذلك مدة أربع عشرة ساعة والذي صرفته الحكومة للمتعهد المذكور في مقابلة الماء كول والمشروب ولوازمها من أدوات ومهمات وخدمة وخدم هو مبلغ مائتين وخمسين ألف بنتو وهذا خلاف أجر نقل مهماته ورجاله ذهاباً

(١) ولدت هذه الامبراطورة السمية (أوجيتي) بمدينة غرناطه بإسبانيا في ٥ مايو سنة ١٨٢٦ من عائلة أئيلة في الشرف عريقة في المجد اسمها عائلة (موتينغو) ولشهرتها في الجمال والزينة والكمال تزوجها الامبراطور نابوليون الثالث في ٢٤ يناير سنة ١٨٥٢ وولدت منه غلاماً في ١٦ مارس سنة ١٨٥٦ ولم يعمل اليها الفرنسيون لحبها الاستبداد ومساعدتها زوجها على الاستئثار بالسلطة وينسب لها تحريضه على محاربة البروسيا في سنة ١٨٧٠ ولما هزم نابليون الثالث في واقعة (سيدان) واعلنت الجمهورية الثالثة الحالية في ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٠ هاجرت الى انكلترا مع ابنها ثم لحقها زوجها وأقام معها الى أن توفي في ٩ يناير سنة ١٨٧٣ وفي أول يونية سنة ١٨٧٩ قتل ابنها الوحيد في محاربة الزولوس بجنوب أفريقيا حيث كان ضابطاً في الجيش الانكليزي وبعد ان احتفلت بدفنه في بلاد الانكليز سافرت الى بلاد الزولوس لزيارة المحل الذي قتل فيه ولم تزل عائشة حتى الان



وأربعين ألف جنيه سنوياً

ولما تم الحكم على الوجه المذكور الظاهر اجحافه بحقوق مصر حررت الشروط النهائية بين الحضرة الخديوية الاسماعيلية والمسيو دى ليسبس رئيس الشركة والنائب عنها في ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦ وتقدمت للباب العالي فصدر عليها فرمان السلطاني مؤرخاً ١٩ مارت سنة ١٨٦٦ الموافق ٢ ذى القعدة ١٢٨٢ هـ

وبعد ذلك عدلت مواعيد الدفع بكيفية أرجح للشركة وزيادة على ذلك جميعه تنازلت الشركة للحكومة عن أرض الوادى التى قدر مساحتها ثلاثة وعشرون ألفاً وسبعمائة وثمانون فدانا في مقابلة عشرة ملايين من الفرنكات وكانت قد اشترتها الشركة قبلاً من الحكومة بمبلغ مليون واحد وسبعمائة وسبعين ألف فرنك تقريباً فيكون ربحها من هذه المسئلة فقط زيادة عن ثمانية ملايين ولذلك فيمكننا القول بأنه لولا نقود مصر وفلاح مصر الذى مازال يجبر على الاشتغال قهراً بأجرة زهيدة رغمًا عن الشروط السالفة الذكر لما أمكن دى ليسبس أن يتم هذا المشروع الذى كان سبباً فيما نحن فيه من الاحتلال الاجنبى وما ستره نحن وأولادنا ان لم تساعدنا المقادير

والاغرب مما ذكر أنه لما تم فتح البرزخ أرادت الحكومة الاستيلاء على كرك بورك بور سعيد كما تسمح لها المعاهدات الابتدائية فامتعت الشركة وتدخلت حكومة فرنسا وقبلت الحكومة المصرية أن تدفع لها ثلاثين مليون فرنك لمنع هذه المعارضة العارية عن الأساس وبذلك يكون ما دفع من الحكومة المصرية بسبب عدم تبصر رجالها مائة واثنين وعشرين مليون فرنكاً منها أربعة وثمانون قيمة ما حكم به نابليون للشركة وثمانية قيمة ربحها من أراضي الوادى وثلاثون في مقابل تنازلها عن المعارضة في كرك بورك بور سعيد

ولما توفر المال لدى الشركة أخذت في بذل الهمة لانجاز القنال وفي شهر مارت سنة ١٨٦٩ توجه الخديو اسمعيل باشا الى أوروبا لدعوة ملوكها لحضور الاحتفال الذى صمم جنباه على اجرائه اظهاراً لسروره من اتمام هذا العمل المضرب بمصر مالياً وسياسياً ومادعاهم الا ليستميلهم لاغراضه السياسية

ولما عاد الى بلاده أخذ في الاستعداد لاستقبال الزائرين بما يليق بمقامهم ولما لم يكن بمصر تياترو وكان وجوده أمراً لا بد منه على زعمه لتقام الانتظام أمر المهندس فرنس النمساوى الذى رقى فيما بعد الى رتبة باشا ببناء تياترو الاوبرا والتياترو الصغير الذى كان بالقرب من الاول وهدم عند بناء عمارة البوسطة الجديدة ولضييق الوقت استمر العمل ليلاً ونهاراً حتى تم بناءهما وجعل أكثر بناء التياترو الكبير من الخشب ثم أرسل درانت باولينو باشا لمقابلة أحسن جوق من الممثلين والممثلات

وأخذ أيضاً يجهز ما يلزم لاقامة الملوك والوزراء من السرايات اللاتفة بمقامهم وأنشأ لهم سراية في مدينة الاسماعيلية الجديدة أنشأها الشركة على نفقة الحكومة باثنين مليون

الاحتفال بفتح  
قنال السويس

أجابه ان هذه أعمال ابتدائية ضرورية لتخطيط المشروع ولا تعتبر بدأ في العمل وأخيراً بعد ان دارت المحادثات عدة سنوات بين الشركة والباب العالي والحكومة الفرنسية التي تدخلت لحماية هذا المشروع الفرنسي أرسل الباب العالي الى المسيودي ليسبس بلاغا في ٦ ابريل سنة ١٨٦٣ مفاده أن الدولة ترى أن امتلاك الشركة للأراضي الواقعة على ضفتي الترععة الحلوة وزراعتها بمعرفة مما يضر بحقوق السلطنة في مصر اذ يجعل لدولة أجنبية حقوقاً في مصر خصوصاً اذا أنشئت بها مستعمرات زراعية يؤتى لها بالزراع من الخارج ولذلك لا تصدق على هذا المشروع الا اذا ضمنت جميع الدول حرية القتال المراد انشاؤه كما ضمنت بوغازي الاستانة وان تترك الشركة حقوقها في الترععة العذبة وما على ضفافها من الأراضي وأن لا يستعمل المصريون قهراً في أشغال الشركة اذ كان يستغل بها في هذه الاثناء نحو ستين ألف مصري بطريق السخرة وأمهلّت الدولة الشركة ستة أشهر لأعطاء الجواب والا يسقط حتمها في جميع الأراضي الممنوحة لها

ولما انقضى هذا الاجل ولم تجب الشركة بشيء أعلنتها الحكومة المصرية بسقوط حقها في ١٢ اكتوبر سنة ١٨٦٣ فارعد المسيودي ليسبس وأزبد وتدخلت فرنسا وكاد الامر يفضى الى ارتباطات سياسية فقبلت الحكومة المصرية بحكم نابوليون الثالث امبراطور فرنسا ظناً منها أنه ينصفها ضد الشركة وغاب عنها انه لا بد أن يعامل الى الشركة بعامل الجنسية والسياسة ولولم يكن الحق من جانبها وحقيقة أنه اتخذ هذه القرصة وسيلة للحكم للشركة بمبالغ وافرة كانت سبباً في اتمام المشروع فأصدر حكمه في ٦ يولييه بعد أن استشار لجنة من أهل الدراية بالأحكام القانونية حضرها نوبار باشا بصفة مندوب عن خديو مصر ولا حاجة لذكر الحكم بسبابه بل يكفي بالقول أنه حكم بما يأتي

﴿أولاً﴾ أن تدفع الحكومة المصرية للشركة مبلغ ثمانية وثلاثين مليون فرنكاً في مقابلة ابطال الشرط القاضي عليها باحضار العمال

﴿ثانياً﴾ ثلاثين مليون فرنكاً نظير ترك الأراضي التي رخصت للشركة باحيائها وزراعتها  
﴿ثالثاً﴾ ستة عشر مليون في مقابلة تحلى الشركة عن الترععة الحلوة وفوائدها وتلزم الحكومة زيادة على ذلك بحفرها من القاهرة الى الوادي وجعلها صالحة للملاحة في جميع أوقات السنة وعلى الشركة تطهيرها سنوياً بمعرفة في مقابلة ثلثمائة ألف فرنكاً تأخذها من الحكومة ويكون للشركة الحق في أخذ سبعين ألف متر مكعب من المياه في كل أربع وعشرين ساعة فيكون مجموع هذه المبالغ أربعة وثمانين مليون فرنكاً عبارة عن ثلاثة ملايين جنيه وأربعمائة وثلاثة وستين ألف جنيه يدفع على جملة أقساط بالكيفية الآتية من ابتداء سنة ١٨٦٤ لغاية سنة ١٨٦٧ يدفع مبلغ ستة ملايين ونصف من الترنكات سنوياً وفي كل من سنتي ١٨٦٨ و ١٨٦٩ مائتان وأربعون ألف جنيه ومن سنة ١٨٧٠ لغاية سنة ١٨٧٩ ثلاثة ملايين وستمائة ألف فرنكاً سنوياً عبارة عن مائة

وأخيراً بمعرفة لبنان باشا في سنة ١٨٥٣ ولما تحقق لدى العموم باجماع العلماء أن مسطح البحرين متساو سعى المسيو فردينان دى ليسبس قنصل فرنسا في مصر لدى المرحوم سعيد باشا (١) وإلى مصر إذ ذلك للحصول على فرمان يحوله امتياز تشكيل شركة عمومية لاتمام هذا العمل

وبعد مساع لا مزيد عليها تحصل على هذا فرمان مؤرخا ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ ومما جاء فيه أن يكون الخليج المزعم انشاؤه ملكا للشركة مدّة ٩٩ سنة بتبدى من يوم فتحه للملاحاة وأن يجوز لها انشاء خليج آخر يصل بين النيل والخليج المالح وأن تتنازل لها الحكومة عن الاراضى الاميرية الغير صالحة للزراعة التى تمر التربة الحلوة فيها بشرط أن تزرعها الشركة على مصاريفها وأخيرا أن لا يعمل بهذا فرمان ولا يبتدأ فى العمل الا بعد تصديق الباب العالى عليه

وفى ٢٠ يوليو سنة ١٨٥٦ تعهدت الحكومة للشركة باحضار من يلزم لها من العملة من المصريين قهرا بالطريقة التى كانت متبعة فى الاعمال العمومية وأن تدفع لهم الشركة الأجر من طرفها لمن عمره أقل من اثنى عشرة سنة قرشا صاغا يوميا ومن زاد سنه عن ذلك تكون أجرته من قرشين ونصف الى ثلاثة قروش وذلك خلاف الجزية التى تعطى لكل واحد منهم وقيمة قروش صاغا واشترط على الشركة انشاء اسبستاليات وترتيب أطباء لمعالجة المرضى على طرفها ولولا هذه الشروط لما أمكن الشركة اتمام هذا المشروع وعدم وجود شرط مثله كان سببا فى عدم نجاح مشروع فتح برزخ بناما لان الشركة لم تجد عمالا بهذه الصفة يكونون موجودين دائما فى العمل باجرة نافهة كهذه ولما أصدرت سهام الشركة لم يقبل الجمهور على شرائها لمعارضة الجرائد الانكليزية لهذا المشروع فبقى فى أيديها مائة وسبعة وسبعون ألف وستمائة واثنان وأربعون سهما قيمة كل منها خمسمائة فرنك أى ان ثمنها عبارة عن ثلاثة ملايين وخمسمائة وخمسين ألف جنيه مصرى وزيادة فحسن المسيودى ليسبس للمرحوم سعيد باشا أن يشتريها للحكومة المصرية فاشترها ولما طلب منه عشرى ثمنها عند الابتداء فى العمل اقترضه له ورمما كان هذا أول ديون مصر التى تربو الآن على مائة مليون وستة ملايين من اجنبيات المصرية ولم ينتظر المسيودى ليسبس تصديق الدولة بل ابتدأ فى العمل

ولما لاحظت الدولة العلية على أن ذلك مخالف لنص فرمان المعطى للشركة من سعيد باشا

(١) هو رابع أولاد محمد على باشا الكبير تولى على مصر سنة ١٢٧٠ هـ الموافقة سنة ١٨٥٤ ميلادية وكانت ولادته سنة ١٨٢٢ ميلادية وتوفى سنة ١٢٧٩ هـ الموافقة سنة ١٨٦٣ ميلادية ومن آثاره لا يحصى الاطيان الخراجية وقانون المعاشات لجميع الموظفين ومنح الاهالى حرية التجارة بمعد أن كانت خاصة بالحكومة لكن هذه المنح الجلبية لم تعادل مالخ مصر من الضرر المالى والسياسى بايجازاته حفر قنال السويس الذى قرب المسافة بين أوروبا والشرق وكان سببا فيما نطلب منه تعالى ان يخلصنا منه وهو الاحتلال الاجنبى



ان أهمية اتصال البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط لم تخف على أحد بل الكل مسلم بها ولذلك فطن لها قدماء المصريين وأوجدوا اتصالاً بين البحرين اسكن على غير الصورة التي عليها قنال السويس الآن فقد قال هيرودوت (١) المؤرخ اليوناني الشهير حين زار وادى النيل ان طول الخليج الموصل بين البحرين مسيرة أربعة أيام وعرضه كاف لمرور سفينتين من أكبر السفن في آن واحد بكل سهولة وهو يتفرع عن فرع النيل الذي يصب عند مدينة بيلوزه ( القائمة مدينة بورسعيد بالقرب من اطلالها ) وابتدىء عند مدينة بوباستيس ( الموجودة اطلالها بالقرب من الزقازيق و يطلق عليها اسم تل بسطة ) ويتجه شرقاً حتى يصل الى البحر الأحمر

فيظهر من هذا الشرح أن المراكب كانت تأتي من البحر الأبيض فتصعد فرع النيل الشرقى الى قرب الزقازيق ثم تدخل في الخليج حتى تصل الى البحر الأحمر وظل هذا الاتصال باقياً حتى انتهت رمال الصحراء الشرقية على الخليج فردمته ويقال ان أبا جعفر المنصور العباسي أمر بإبطاله عند ما خرج عليه الحجاج وتحصن في المدينة المنورة حتى لا تأتي اليه المؤن بسهولة عن طريق هذا الخليج

ثم خطر ببال السلطان مصطفى الثالث العثماني أن يعيد الاتصال كما كان وكلف البارون دي توت بدرس هذا المشروع ولم يتم بسبب موت السلطان وترك من خلفه له ولما أتى بونابرت القرنساوى الى مصر أرسل لجنة علمية للتحقق من امكان اتصال البحرين بخليج يصل بينهما بدون أن تمر المراكب في وسط البلاد المصرية فاجابته اللجنة بالإيجاب ولداعى خروجه من مصر سرعاً كما سبق شرحه لم يمكنه تنفيذ مشروعه

وكان يظن قبلاً أن حفر خليج يصل بين البحرين مباشرة أمر مستحيل بسبب ادعاء بعض العلماء أن سطح مياه البحر الأحمر أعلى بنحو عشرة أمتار عن سطح مياه البحر الأبيض كما قرّرتة بعثة علمية فرنساوية في سنة ١٧٧٩ ولم يخالفها في هذا الرأي الا الرياضي الشهير لابلاس (٢) لكن أسقط هذا القول البحث الذي أجري في أواسط هذا القرن بمعرفة بعض ضباط من الانكليز في سنة ١٨٤٠ ولجنة من عدة مهندسين فرنساويين في

سنة ١٨٤٧

(١) هو المؤرخ اليوناني الشهير الملقب بابي التاريخ ولد سنة ٤٨٤ قبل الميلاد وراى بلاد اليونان ومصر وآسيا ليطلع على عوائد أهلها وأخلاقهم حتى يكتب تاريخهم عن روية وخبرة وتوفي حوالي سنة ٥٠٦ قبل الميلاد

(٢) رياضي شهير ولد سنة ١٧٤٩ بفرنسا ونبغ في الرياضة من صغره حتى عين أستاذاً لها في إحدى المدارس الحربية ولم يتجاوز سنه ١٩ سنة واليه يرجع فضل تميم اكتشاف نيوتن الانكليزي المختص بدوران العوالم حول بعضها وله عدة مؤلفات شهيرة في جميع العلوم الرياضية وما يتعلق بها ورافقه نابليون الاول الى درجة كونت ومنحه لويس الثامن عشر لقب مركز و انتخب عضواً في جمعية العلوم الفرنسية (اكاديميه) وفي مجمع الانستيتوت واشتغل قليلاً بالسياسة وانتخب عضواً في السناتو سنة ١٧٩٩ ونيطت به رياسته مدة وتوفي سنة ١٨٢٧



من مساعدتها ولو سياسياً  
وأخيراً بإبطال أهم شروط معاهدة باريس المزرية بشرفها فأبطلت نتائج تلك الحرب  
وجعلت كل ما صرف فيها من أموال وأهرق فيها من دماء هباء منثوراً واليك نص  
التعديل

مما تقرّر في معاهدة سنة ١٨٧١ التي أمضيت في لندره في ١٣ مارث من السنة  
المذكورة فيما يتعلق باعادة النظر في معاهدة سنة ١٨٥٦ المنعقدة في باريس فيما يتعلق  
بالسفر في البحر الاسود والظونه

﴿١﴾ فصل ١١ و ١٣ و ١٤ من معاهدة ٣٠ مارث سنة ١٨٥٩ المنعقدة في  
باريس يكون تعديلها بالصورة الآتية

﴿٢﴾ يبقى منع السفن الحربية من المرور في جنّاق قلعه والبوغاز كما هو منصوص  
في معاهدة ٣٠ مارث سنة ١٨٥٦ الا أنه يسوغ للحضرة السلطانية أن تأذن بمرور السفن  
الحربية للدول المتحابة اذا رأت لزوم مرورها مع المحافظة على نص معاهدة باريس التي  
انعقدت في ٣٠ مارث سنة ١٨٥٦

﴿٣﴾ البحر الاسود يبقى مفتوحاً كما في السابق لتسير فيه السفن التجارية الاجنبية  
انتهى

وعقب التوقيع على اتفاق ١٣ مارث السالف الذكر توفي القائد الشهير عمر باشا في  
١٨ ابريل ثم الصدر الاعظم محمد أمين على باشا وبعده موته وجه هذا المنصب الخطير الى  
محمود نديم باشا في ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٨٧١ وليث  
في الوزارة الى ٢٣ مارث سنة ١٨٧٣ ثم عتبه أحمد مدحت باشا ثم محمد رشدي باشا  
فأحمد أسعد باشا فحسين عوني باشا

وأخيراً عادت الصدارة الى محمود نديم باشا في ٢٥ رجب سنة ١٢٩٢ الموافق ٣٢  
أغسطس سنة ١٨٧٥

ومن أعماله المضرة عدم ضبط المالية حتى عجزت عن سدّادالكوبونات في أوقاتها  
واضطر الى الاعلان رسمياً بتوقيف دفع الفوائد في ٦ أغسطس سنة ١٨٧٥ وهو  
ما يسمونه في عرف المالية اشهار الافلاس كما فعلت ممسكة البرتغال في سنة ١٨٩٢ واسوء  
ادارته تألب العلماء والطلبة وطلبوا عزله فعزل في ١٧ ربيع الثاني سنة ١٢٩٣ الموافق  
٢٤ مايو سنة ١٨٧٦ وأسند منصب الصدارة الى محمد رشدي باشا وهو الملقب بالمترجم  
الذي سبق تعيينه في هذا المنصب عدة مرات وعينه معه بفرمان واحد حسن خير الله  
أفندي شيخاً للإسلام وبما أن عزل السلطان عبدالعزيز كان بدنياسة هذين الشخصين  
وغيرهم فسزجى الكلام على كيفية عزله وموته الى بعد ذكر مسألة برزخ السويس الذي  
تم فتحه في سنة ١٨٦٩

فانه يأمر بترتيب العسكر النظامى بالولاية على نمط الترتيب العسكرى النظامى العثمانى وأيضاً قد أتى مكتوب معين بالطاعة من الباشا التونسى لجلالة السلطان فى سنة ١٨٦٠ وذلك الباشا هو الذى سماه السلطان والياً عاماً وقد انتشر هذا المكتوب فى جميع صحف أوروبا من غير أن يعارض ولا من جهة واحدة وتزيدكم شيئاً آخر وهو أنه فى سنة ١٨٦٣ فى واقعة القرض التونسى الذى وقع فى باريس من غير رضا الباب العالى كان رسيودواروان دولويس وزير خارجية الإمبراطور نابليون الثالث قد أعلن رأيه بناء على شكايات الدولة العثمانية وقال انه يلزم اما الباشا بتونس أو الصراف الذى يريد عقد القرض معه أن يطلب رضا الباب العالى ليصبح هذا القرض وللمدافعة عن حقوق الباب العالى فان الوزير الفرنساوى أرسل يقول هذا الكلام للصراف المشار اليه وهانحن نضع بثبات الكلام السابق لدى ميزان العدل والحق الذى للدول الممضين على معاهدة برلين وانا لمتحققون بان فكر الدول محيطة بدلائل كثيرة فى الواجبات العمومية التى يقتضيها المؤتمر المحترم وانهم يريدون أن يفصلوا بالعدل قولنا الذى قدّمناه وانهم يحتفظون على حقوق الباب العالى الاخرى المحفوظة بالمعاهدة المذكورة وبصلحون الحال بين الدولتين فرانسا وتركيا فى علاقتهما التى لهما فى هاتى الولاية المروّف بها التأسيسية المتممة للسلطنة العثمانية والمرغوب من جنابكم أن تتكلم مع وزير الخارجية فى مضمون هذا التلغراف وتشرح له ماتراه نافعا ولكم الأذن بان تعطوا نسخة من هذا الجواب الوزير اذا طلبكم اه  
الامضا

(مصطفى عاصم)

ولنذكر هنا أنه بسبب انخزال فرنسا فى حربها مع بروسيا فى سنة ١٨٧٠ وتشكيل الامبراطورية الالمانية ومساعدة روسيا لالمانيا مساعدة معنوية كانت من أقوى أسباب نجاحها طلبت روسيا من الدول ابطال الشروط المقيدة لحريةها فى البحر الاسود من معاهدة سنة ١٨٥٦ التى أمضيت بباريس عقب حرب القرم ولضعف فرنسا عن معارضة هذه الطلبات انعقد مؤتمر فى مدينة لوندرد للنظر فيها وأيد مطالب روسيا بمقتضى وفاق تم بين مندوبى الدول فى ١٣ مارث سنة ١٨٧١ قبل توقيع فرنسا على معاهدة فرنكفورت (١) بقايل وبذلك انتقمت روسيا من فرنسا أى انتقام لمساعدتها انكسرت الدولة العلية عليها فى حرب القرم بأن تركتها وحيدة أمام قوى ألمانيا ومنعت الدول

(١) مدينة بالمانيا واقعة على نهر ماين كانت احدى المدائن الاربع الحرة ومقر الاجتماع الجرماني العمومي وبها كنيسة شهيرة كانت امبراطورة ألمانيا تتوج فيها وبها الآن كثير من المدارس العالية وتجارتها عظيمة جداً وبها نشأت عائلة روتشلد الشهيرة بالثروة واجتمع بها عدة مجامع دينية وفي ١٠ مايو سنة ١٨٧١ أمضيت بها معاهدة صالح بين فرنسا وألمانيا أهم شروطها سلخ اقليم الارزاس وجزء من اقليم اللورين من فرنسا وضماها الى ألمانيا وتعهد فرنسا بدفع غرامة حرية قدرها خمسة مليارات من الفرنكات عبارة عن مائتي مليون جنبها

فان الباب العالى من استحقاقه على حقوقه زيادة على كونه يسمى الوالى العام فانه يرسل من القسطنطينية الى تونس قاضياً وباشكاتب الولاية ولم يكن الامن ترحم الدولة العلية ان منحت الوالى أن يسمى هو بنفسه هذين المتوظفين وأيضاً قاتباً عاماً للمذهب وخصوصية سيادة السلطان فان الخطب يذكر فيها اسم جلالتة ويضرب على المسكة أيضاً وفي وقت الحرب ترسل تونس الاعانة الى التخت وعلى حسب العادة القديمة يأتى الى القسطنطينية دائماً أناس رسميون ليقدموا تعظيمات الوالى وخضوعه لأعتاب السلطنة وليقبلوا أيضاً الاذن اللازم من الباب العالى لأمر عزيمة فى الولاية ثم ان الباشا الموجود الآن والأهالى التونسيين طالبوا زيادة فى التفضل وأعطى ذلك لحضرته السامية بالقرمان المؤرخ فى سنة ١٨٧١ وتعرف به جميع الدول والآن قد استعانت الوالى بمجده سيده الحقيقى ليعينه على الحالة الرديئة التى وقعت فيها تونس الآن وهاته الاشياء التحقيقية لا ينكرها أحد فهل تريدون أن تعرفوا الآن تقريرها بالتاريخ وبالمكاتبات الرسمية هو سهل لكن تقتصر على المهم منها لئلا يطول الكلام فى هذا التلغراف فى المعاهدات القديمة التى بين تركيا وفرنسا تعدد ألقاب الحضرة السلطانية ويكون منها لقب سلطان تونس ( فانظر مثلاً ) معاهدة ١٠ صفر سنة ١٠٨٤ هـ ١٦٦٨ م وفى هاته المعاهدات أيضاً يوجد بان كل المعاهدات التى بين الدولتين تجرى أيضاً فى تونس وفى نصف القرن السابع عشر أى فى ١٥ صفر سنة ١١٦٦ أرسل السلطان فرمانا للباى والحاكم الكبير بالولاية فى رضاء الباب العالى بان قنصل فرنسا يجمع خدمات قناصل الدول الذين لم يكن لهم اذ ذاك نواب بالقسطنطينية كالبرتقال وكاتالونى واسبانيا وفينيسيا وفرنسا وغيرهم والقنصل وكلته هى حماية السفن تحت الراية الفرنسية فى المراسى المشهورة بالولاية والقرمان يمنع تداخل قناصل الانكليز والهولنديين وغيرهم من التداخل فى خدمة نائب فرنسا وكذلك سند منع التعدي بين الباب العالى والنمسا المؤرخ فى رمضان سنة ١١٩٧ هجرية الممتد بمعاهدة ستوفا فى ١٢ ربيع الآخر سنة ١٢٠٥ فانه يأذن لحكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب بان يجمعوا على اسم السلطان سفن المتجيرة لسلطنة الرومان الفخيمة وأيضاً فان الاتفاق الذى تقدم هذا السند وتم فى ١٥ شوال سنة ١١٦١ هـ بالاذن من السلطان وكان هذا الاتفاق وقع بين الحكام المذكورين والسلطنة فان الوالى العام بتونس وهو اذ ذاك فى رتبة بكاريك ونال اسم على باشا يذكر فى مقدمة كل مكتوب مضى عليه منه هاته الكلمات بعينها وهى (مولانا السلطان الغازى محمود) وعلى ذكر واقعات ذاك الزمان استطرادكم الاذن الصادر من الباب العالى فى ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٢٧ م لحكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب فانه يأمرهم أن لا يتدخلوا فى الخلاف الواقع بين سلطنة النمسا وملكة المغرب وكذلك الاذن الصادر من القسطنطينية لوالى تونس فى ١٤ صفر سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣٠ م

بتلك الايالة المودعة بعهدة صداقتك من حيث النفس والعرض والمال وسائر الحقوق العمومية شرائط امتياز الوراثة الأساسية المقررة فيتمضي أن تتأكد محافظتها عن تطرق الخلل دائماً سرمداً ويتباعد عن وقوع الخلل والحركة على خلافها اذا علمت ذلك فلا بد ان تعرف أنت ومن يقام في أمر الولاية بالتوارث من أعضاء عائلتك قدر هاته النعمة العلية الشاهانية وتشكروها فعلى ذلك نسعى لتحقيق رضاي السلاطاني بالغيرة ومزيد الاهتمام باجراء هذه الشروط المؤسسة حرر في اليوم التاسع من شهر شعبان المعظم سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف اه

هذا ومن أراد الوقوف على علاقات الولاية التونسية مع الدولة العلية العثمانية فليراجع الجزء الأول والثالث من كتاب صفوة الاعتبار تأليف الشيخ محمد بريم أما نحن فقد اكتفينا بنقل صورة فرمان ٩ شعبان سنة ١٢٨٨ السالف الذكر نقلا عن منتخبات الجواب واللائحة المؤرخة ١٠ مايو سنة ١٨٨١ التي أرسلها الباب العالي الى سفرائه لدى الدول الأوروبية احتجاجاً على احتلال فرنسا لتونس وذلك نقلا عن كتاب صفوة الاعتبار واليك نص تعريبها

القسطنطينية ١٠ مايو سنة ١٨٨١ ان اعلاماني المختلفة عرفت فصانتكم الوقائع التي صارت في المسئلة التونسية وقد نسبت بهجوم بعض القبائل البدويين جهة الجزائر ولهذا الهجوم فالحكام التونسيون أعلنوا بانهم حاضرون ليضبطوه من غير تراخ فالدولة الفرنسية حكمت بانه يلزمها ارسال عدد وافر من العساكر الذين قد استولوا على جزء كبير من الولاية ولم يعدوا عن المركز الا بعض فرسخ فن غير انتفعت الى ما كنا أكدنا به على حضرة الباشا لياخذ التدابير اللازمة تمهيد الراحة في المواضع المثرة فدولة الجمهورية لا تريد أن تنظر للمخالطة الاقترانية بتونس مع السلطنة العثمانية التي هي محسوبة جزأً متمماً للسلطنة المذكورة وأظهرت بانها لا تقبل قولنا للاتفاق الودادي معها لقطع الاختلاف الذي وقع وترتيب حقوق الباب العالي مع منافع فرنسا في ذلك الحل وترتيب الاشياء الموجودة من زمن قديم ولا تقدر ان تزيد في ايضاحها كما يلزم وهي سيادة السلطان التي ليس فيها اختلاف على هاته الولاية وهي سيادة لا تنكرها ولا دولة عموماً وهذا الحق بقي الى الآن صحيحاً ولم ينقطع من زمن فتحها وهو اذ ذلك سنة ١٥٣٤ بخير الدين باشا وفي سنة ١٥٧٤ بتقليج علي باشا وسنان باشا وكانت الدولة العلية أرسلت الى تلك المواضع قوة عظيمة برأً وبحراً ومن زمن ذلك افتتح فالتاسيسات التي فعلم الباب العالي هي أن جميع ولاية تونس يتوارثون الولاية من ذرية الوالي الأول المسمى من السلطان ويتقلدون الى الآن المنصب منه وفرمانات الولاية تبقى في خزنة الدewan وكذلك جميع المكاتب التي تأتي منهم للباب العالي فانها تارة تكون في شأن خالطهم مع الدول الأوروبية وتارة تكون في شأن أحوالهم الداخلية والتي لهاته المدّة الاخيرة



ارتقاء طمانينة الولاية المهمة الراجعة لدولتنا العلية ونمو عمرانها وتأسيس أبنية الأمن والراحة لسكانها يوما فيوما وكان من البديهي أن السلطنة العزيزة لا يعزها ولا يؤيدها الا صرف المهمة والعناية العائدة الى حقوقها الاصلية لتتمام استحصال هاته المطالب وورد الطلب المدرج بكتابك بخصوص الموجه من طرفك أخيراً الى جانب الخلافة العلية قررت وأبقيت ايلة تونس المحدودة بمحدودها القديمة المعلومة بعهدتك بضم امتياز الوراثة وبالشرائط الآتية وحيث ان مرغوبنا السلطاني على ما تقدم بيانه انما هو تزايد عمران تلك المملكة الشاهانية وثروة أهاليها وهي الآن في حالة مضايقة وتأخر في الواردات لكل من الحكومة والاهالي قد سمحت السلطنة السنية بعدم ارسال ما كان يرسل باسم معلوم من الولاية لطرف دولتنا العلية بموجب التبعية المقررة المشروعة رحمة لاهالي تلك الولاية ولما كانت الولاية المشار اليها من الاجزاء المتممة لمملكةنا الملوكية صدرت ارادتنا السنية بان يكون الوالي بتونس مرخصاً له في تولية المناصب الشرعية والعسكرية والملكية والمالية والسياسية لمن يكون متاهلاً لها وفي العزل عنها بمقتضى قوانين العدل وفي اجراء المعاملات المعلومة مع الدول الأجنبية كما كانت سابقاً عدا المواد السياسية العائدة الى حقوقنا المقدسة الملوكية ونعني بها ما كان كعقد الشروط المتعلقة بأصول السياسة والحرب وتغيير الحدود ونحوها مما يكون اجرائه راجعاً الى حقوق سلطنتنا السنية وعند حلول القدر المحتوم في الولاية وتقديم المعروض بطلب الفرمان الشريف من الوارث الاكبر من عائلتك لطرف سلطنتنا السنية يرسل له الفرمان الشريف مع منشور الوزارة والمشيروية الهمايوني كما استمر العمل بذلك الى الآن بشروط أن تستمر الخطبة باسمنا السلطاني وتزين به السكة التي تضرب هناك علامة علنية للارتباط القديم الشرعي لولاية تونس بمقام الخلافة الجليل وأن يبقى السنجق على لونه وشكله ومهما وقع حرب لسلطنتنا السنية مع أجنبي يرسل العسكر من تلك الولاية الشاهانية بقدر الاستطاعة طبق ما جرت به العادة القديمة في الجميع ومع تلك المواد يكون أمر الولاية بطريق الوراثة مخصوصاً بعائلتك على أن تبقى سائر المعاملات الارتباطية مع دولتنا العلية جارية مرعية كما كانت سابقاً وأن تجري الادارة الداخلية لتلك الولاية مطابقة للشرع الشريف وموافقة لقوانين العدل التي يقتضيها الوقت والحال الكافلة بتأمين السكان في النفس والعرض والمال فاعلما لما ذكر أصدر هذا الفرمان الشريف الجليل القدر من ديواننا الهمايوني وأرسل موشجاً أعلاه بخطين الميمون السلطاني فخلاصة نيأنا الشاهانية انما هي اصلاح حالة تلك المهمة ومالاً ليلتكم وتقوية ذلك حالاً ومالاً واستكمال أسباب السعادة والرفاهية والأمنية لصنوف تبعتنا المستظلين بظل عدلنا السلطاني ومأمولنا القطعي الملوكي أن يبذل من جهتك الجهد في حصول ما ذكرتم حيث كان تمام المحافظة على حقوق سلطنتنا السنية المحقة بتونس من قديم الأزمان وعلى أمانة الاهالي القاطنين

وأداء المائة وخمسين ألف كيسة التي هي ويركو مصر المقطوع سنوياً بأوقاتها وزمانها الى خزينة الجلييلة الشاهانية على الترتيب والقاعدة المرعية في ذلك تحريراً في سنة ١٢٩٠ هـ

ثم وهب جلالة السلطان الاعظم الى جناب خديو مصر مدينة زليغ وملحقاتها التابعة للواء الحديد وأصدر له فرماناً بذلك في ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٢٩٢ هجرية وذلك بخلاف قائمقامي سواكن ومصروع المذكورتين في فرمان السابق

وما يذكر من أعمال السلطان عبد العزيز الماثورة توثيقه ر بط التبعية بين ايلالة تونس والخلافة الإسلامية العثمانية ليثبت حقوق الدولة عليها وذلك أنه لما بلغ مسامع جلالتة أن بعض الدول تطمح الى الاستيلاء عليها فأراد رحمه الله أن يؤيد حقوق دولته عليها جهاراً ليرتدع من ينظر اليها بسوء اذ تصير جزءاً من ممالك المحروسة التي تعهدت الدول بضمياتها في معاهدة باريس المبرمة في سنة ١٨٥٦ فارسل هذا فرمان مؤرخاً في شعبان سنة ١٢٨٨ الموافق ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٧١ لكن لم يمنع ذلك الحكومة الفرنسية من دخولها بجيها ورجلها واشهار حمايتها عليها في سنة ١٨٨١ اذ لا قيمة للحقوق في عصرنا هذا الموسوم بعصر التمدن والحرية وها هو بحروفه نقلاً عن الرائد التونسي أردنا درجه في هذا الكتاب اذ خالاً شياع فرنسا في هذه الديار الذين يدعون ان فرنسا لم تهتضم للدولة العلية حقوقاً برفع حمايتها على الايالة التونسية بدعوى انها لم تكن تابعة لها مطلقاً الدستور المكرم المشير المفخيم نظام العالم مدير أمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهمات الانام بانراى الصائب ممد ببيان الدولة والاقبال مشيداً بركان السعادة والاجلال المحفوظ بصنوف عواطف الملك الأعلى الى الوالى بتونس الآن الحائز الحامل للنيشان المجيد الشريف من رتبته الأولى مع النيشان الهمايوني العثماني المرصع وزيري محمد الصادق باشا أدام الله تعالى اجلاله آمين

ليكون معلوماً عند ما يصل توقيعى الرفيع الهمايوني أنه منذ وجهت وأودعت من جانب سلطنتنا السنية ادارة الأيالة التونسية التي هي من ممالك دولتنا العلية المحروسة المتوارثة الى عهدتك ذات البياقة والاهلية كما وجهت سابقاً الى عهدة أسلافك لم نزل تظهر حسن السيرة والخدمة ونهتلى الى طرفنا الملوكي الأشرف خلوص النية والاستقامة حتى صار ذلك قريناً لعلمنا الماضي بالعالم فأمولنا السلطاني على مقتضى الشيم المرضية التي جبلت عليها هو الدوام في ذلك المسلك المرضي والجذ والاجتهاد في كل ما ينبغي عمران مملكتنا الشاهانية وسعادة أهاليها تبعه دولتنا العلية ورفاهيتهم وراحهم حتى تستديم بذلك استحقات عنايتي الشاهانية واعتمادى السلطاني المبذولين في حقك آنافانا وتعرف قدر تلك العناية والاعتماد وتشكرهما ولما كان المقصود الأصلي والمراد القطعي لسلطنتنا السنية هو

علاقت تونس  
مع الدولة العلية

بتوفيق معاملاتها وتطبيق اجرائاتها العمومية بالاحوال والموقع وأمزجة الاهالى وطبائعها  
فقد أعطينا لـكم الرخصة الكاملة في أعمال قوانين ونظامات داخلية على حسب  
لزوم المملكة وكذا لأجل تسهيل تمشية وتسوية كافة المعاملات سواء كانت من طرف  
الحكومة أو من طرف الاهالى مع الاجانب وترقى وتوسع الصنائع والحرف وأمور التجارة  
وامور الضبطية مع الاجانب قد أعطينا لـكم الرخصة الكاملة في عقد وتحديد المقاولات  
( المعاهدات ) مع مأمورى الدول الأجنبية في حق الكمرك وأمور التجارة وكافة  
المعاملات الجارية مع الاجانب في أمور المملكة الداخلية وغيرها بصورة لا تستلزم  
اخذل معاهدات الدولة العلية البولتيقية ( السياسية ) وكذا لكون خديو مصر حائز  
التصرفات الكاملة في الأمور المالية قد صار اعطاء الماذونية التامة له في عقد استقراض  
من الخارج بلا استئذان من الدولة العلية في أى وقت يرى فيه لزوم للاستقراض  
بشرط أن يكون باسم الحكومة المصرية وكذا لكون أمر محافظة وصيانة المملكة الذى  
هو الأمر المهم والمعتنى به زيادة عن كل شىء من أقدم الوظائف المختصة بخديو مصر فقد  
أعطيت له الرخصة الكاملة في تدارك كافة أسباب المحافظة وناسيسها وتنظيمها بنسبة  
الجات الزمن والموقع وكذا في تكثير أو تقليل مقدار العساكر المصرية الشاهانية بلا تحديد  
على حسب الايجاب والوزوم وكذا أبقينا خديو مصر الأمتياز القديم في حق اعطاء رتبة  
اميرالاي من الرتب العسكرية واعطاء رتبة ثانية من الرتب الديوانية بشرط أن المسكوكات  
الجارى ضربها بمصر تكون باسمنا الملوكى وأن تكون أعلام وصناجق العساكر البرية  
والبحرية الموجودة في الخطة المصرية كأعلام وصناجق سائر عساكرنا الشاهانية بلا  
فرق وبشرط عدم انشاء سفن زرخ أى مدرعة بالحديد فقط بدون استئذان لا غيرها  
من السفن الحربية فنها جائز انشاؤها بلا استئذان ولأجل اعلان المواد المشروحة أعلاه  
وتأيدها أصدرنا لـكم أمرنا هذا الجليل القدر من ديواننا الهمايونى بمقتضى ارادتنا  
الملوكية وصار توشيح أعلاه بخطنا الهمايونى واعطاؤه لـكم متممًا ومكملا ومعدلا ومصرحا  
للخطوط الهمايونية والاوامر الشريفة الصادرة لحد هذا التاريخ سواء كان في تاسيس  
وترتيب ورائة الحكومة المصرية أو في تشكيل هيئة الوصاية او في ادارة الأمور الملكية  
والعسكرية والمالية والمنافع المادية والمواد السائرة بشرط ان تكون الاحكام المندرجة  
بهذا فرمان الجديدة نافذة وباقية ومرعية الاجراء على ممر الزمان وقائمة مقام احكام  
الفرمانات السابقة على ما اقتضته ارادتنا الملوكية فيلزم ان تعاملوا قدر لطف عنايتنا  
الملوكية واداء شكرها بصرف جـل هممكم في حسن ادارة امور الخطة المصرية  
واستكمال اسباب وقاية امنية الاهالى المنوطة بها واستحصال راحتهم على حسب  
ما جبتهم عليه من الشيم المرغوبة والغيره والاستقامة وما اكتسبتموه من الوقوف والمعلومات  
في احوال تلك الحوالى والاقطار وان تراعوا اجراء الشروط المقررة في هذا فرمان الجديد

وصياً ولم يرتب هيئة الوصاية على الوجه المذكور تشكل هيئة الوصاية من الذوات المأمورين على الداخلية والجمادية والمالية والخارجية ومجلس الأحكام المصرية وسردياته العسكرية وتفتيش الأقاليم ويصير انتخاب وصي في الحال من هؤلاء المأمورين على الوجه الآتي ذكره وهو انه في تلك الساعة يصير المذاكرة والمداولة ما بين هؤلاء الذوات في حق انتخاب وصي منهم فإذا حصل اتفاقهم أو اتفاق أكثرية آرائهم على تسمية وجعل ذات منهم وصياً يتعين ذلك الذات وصياً على الخديوية وإذا اختلفت الآراء بان رغب بعضهم في تعيين ذات والنصف الآخر في تعيين ذات آخر يكون اجراء وصاية الذات المأمور على المأمورية المهمة والمتقدمة في الذكر من تلك المأموريات أعني المأمور على المأمورية المتقدم ذكرها على الترتيب المحرر آنفاً من الداخلية الى آخره وتشكل هيئة الوصاية من الذوات الباقية بعده ويباشرون ادارة الامور الخديوية مع الوصي وتعرض الكيفية بمضبطة من طرفهم الى طرف سلطتنا السيدية ويصير التصديق عليها بالفرمان الشريف وكما انه لا يجوز تبديل الوصي وتغيير هيئة الوصاية قبل ختام مدتها في الصورة الاولى أعني فيما اذا كان تعيين الوصي وترتيب اوصيائه وتركيب أعضائها بمعرفة الخديو السالف فكذلك في الصورة الثانية أعني فيما اذا كان انتخاب الوصي بمعرفة المأمورين المذكورين لا يجوز تبديل الوصي ولا تغيير هيئة الوصاية ولا أعضائها في تلك المدة واذا توفي أحد من أعضاء هيئة الوصاية في ظرف تلك المدة يصير انتخاب واحد من المأمورين المصرية بمعرفة الباقين وتعيينه بدل المتوفى واذا توفي الوصي في تلك المدة يصير انتخاب واحد من أعضاء هيئة الوصاية بمعرفةهم على الوجه السابق وجعله وصياً وانتخاب واحد من المأمورين المصرية والخاصة بأعضاء هيئة الوصاية بدل الذي نصب وصياً وبمجرد بلوغ الخديو الصبي الى سن ثمانية عشر سنة صار رشيداً وفاعلاً مختاراً فيأمر هو بنفسه ادارة أمور الخديوية المصرية مثل سلفه وهذا حسبما تقرر لدينا واقتضته ارادتنا الملوكية

ولما كان تزايد عمارة الخديوية المصرية وسعادة حالها وتأمين رفاهية الاهالي وسكان وراحتهم من هم المواد المترمة المرغوبة لدينا وادارة المملكية الملكية والمالية ومنافع المدنية وغيرها المتوقف عليها تأسيس واستكمال وسائل الرفعية وأسبابها عائدة على الحكومة المصرية فنذكر بيان كيفية تعديل الامتيازات وتوضيحها بشرط بقاء كافة الامتيازات المعطاة قديماً وحديثاً من طرف الدولة العلية الى الحكومة المصرية واستمرار جرياتها خلفاً عن سلف وتلك الكيفية هي انه لما كانت ادارة المملكية بكل انصاف والحالات سواء كانت ادارتها الملكية أو المالية أو كافة منفعها امدية وغيرها هي من المواد المأثمة على الحكومة المصرية والمتبعة بها ومن المعلوم أن امر ادارة أي مملكة كانت وحسن انتظامها وتزايد معموريتها وثروة اهاليها وسكانها لا يتيسر لا



لكم أحكامها على الوجه الآتى

لما تحقق لدينا أن تعديل أصول توارث الخديوية المصرية التى صار تعيينها بالفرمان العالى الصادر فى اليوم الثانى من شهر ربيع الاول من شهور سنة ١٢٥٧. الموشح أعلاه بالخط الهمايونى وتبديلها بأصول حصر الورثة الخديوية فى أكبر أولاد خديو مصر بطريق ساسلة النسب المستقيم بان يصير تخصيص مسند الخديوية الجليل وتوجيهه الى أكبر أولاد الخديو الذكور وبعده الى أكبر أولاد هذا الاكبر الذكور وهكذا على النسب المستقيم الذكورى على الدوام يكون مستلزماً لحسن ادارة الخديوية المصرية وجالباً لاستكمال سعادة أحوال أهاليها وسكانها هذا مع ما حصل لدينا من استحسان مساعيك الجميلة المصروفة فى استحصاى معمرية الاقطار المصرية المهمة الجسيمة ورفاهية أهاليها وحصول وثوقنا بكم واعتمادنا الكامل عليكم فلاجل أن يكون دليلاً باهراً على ذلك قد أجرينا تعديل توارث الخديوية المصرية وتعيين وصايتها على الطريق الآتى بيناها وهى أن خديوية مصر الجلييلة وملاحقاتها وجهاتها المعلومة الجارية ادارتها بمعرفتها مع ماصار الخاقها بها أخيراً من قائمقامتى سواكن ومصووع وملاحقاتها يصير توجيهها بعدكم على الطريق المار ذكرها الى أكبر أولادكم الذكور وبعده الى أكبر أولاد من يكون خديويا على الاقطار المصرية من أولادكم واذا انحلت الخديوية المصرية بان لا يكون للخديو ولد ذكر يصير توجيهها الى أكبر اخوته الذكور واذا لم يوجد له أخ بقيد الحياة فالى أكبر أولاد الاخ وهكذا اتخذ هذه الاصول قانوناً مستمراً وقاعدة مرعية أبدية فى توارث الخديوية المصرية ولا يصير انتقال الورثة الخديوية الى الأولاد الذكور المتولدة من أولادكم الأنثاء أصلاً

ولأجل تأمين أصول توارث الخديوية المصرية سنذكر صورة تشكيل الوصاية المقتضية فى ادارة أمور الخديوية فيما اذا انحلت الخديوية وكان الوارث الذى هو أكبر أولادكم الذكور صغيراً وصبياً وهى ان الخديوية المصرية اذا انحلت وكان أكبر أولادكم الذكور أعنى الوارث صغيراً وصبياً بان يكون عمره أقل من ثمانية عشر سنة ولو انه يصير خديو بالفعل حسب استحقاق الوراثة فى الحال يصدر فرمان من طرف السلطنة السنية بتوليته على الخديوية لكن اذا كان الخديو السالف عين ونصب وصياً ورتب هيئة وصاية لأجل ادارة أمور الخديوية لحين بلوغ الخديو اللاحق الصبى الى سن الثمانية عشر سنة وكتب سند وصاية بذلك وختم عليه هو وختم أيضاً اثنان من الامراء المصرية المأمورين باحدى المأمورات المصرية على طريق الاشهاد واجراء الوصاية هكذا فالوصى مع هيئة الوصاية المذكورة يأخذ بزمام الادارة فى الحال وبعد ذلك تعرض الكيفية الى الباب العالى ويصير التصديق على ذلك الوصى وهيئة الوصاية من طرف الدولة العلية بفرمان على وبقى الوصى وهيئة الوصاية على ما هم عليه لحين البلوغ وأما اذا انحلت الخديوية ولم يعين الخديو السالف

من أعضاء شورى الدولة      من أعضاء ديوان الاحكام العدلية  
 سيف الدين      السيد أحمد خلوصى  
 من أعضاء ديوان الاحكام العدلية      من أعضاء شورى الدولة  
 السيد أحمد حابى      محمد أمين الجندى  
 من أعضاء الجمعية علاء الدين بن ابن عابدين

هذا ومن جهة الامور المتعلقة بالامارات الممتازة فقد ابتدأت دسائس جمعيات الصمقالية فى بلاد البلغار الواقعة بين نهر الطونه وجبال البلقان لسلخها عن الدولة وكذلك فى ولايتى البوسنه والمهرسك بدعوى الاشتراك مع الروسين فى الجنس والدين وكانت رومانيا من أقوى المساعدين لهذه الجمعيات فكانت تأوى اليها العصب المتسلحة وتشن الغارة على بلاد البلغار لتحرىضهم على العصيان وطلب الاستقلال لكن لم تمتد بها الفتن بل كان بطناً شرارها أولاً بأول قبل أن يصير لها بهمة أحمد مدحت باشا الشهير والى هذا الاقليم وكذلك الحال فى بلاد البوسنه والمهرسك

أما قطرنا المصرى السعيد فحصل على جملة امتيازات فى عهد السلطان عبد العزيز لما كان بينه وبين اسمعيل باشا من الروابط الخصوصية وما كان له بين حاشية السلطان ووزرائه من المساعدين جعلت ولاية مصر خديوية بمقتضى فرمان تاريخه ٥ ربيع الاول سنة ١٢٨٤

وفى سنة ١٢٨٣ غيرت طريقة التوارث فى الخديوية المصرية وحصرت فى ذرية اسمعيل باشا المذكور ثم فى سنة ١٢٨٩ أعطيت له عدة امتيازات جديدة وفى ١٣ ربيع الآخر سنة ١٢٩٠ الموافق ٨ يونيو سنة ١٨٧٣ أرسل اليه فرمان جديد شامل لجميع امتيازات مصر وكيفية التوارث فى منصب الخديوية ولكونه جامعاً لكافة ماسبق آثرنا نشره حرفياً اكتفاء به عن باقى الفقرانات السابقة الداخلة معناها ضمن هذا فرمان وهاهو

الفرمان الشامل  
 جميع امتيازات  
 الخديوية المصرية

فن المعلوم لديكم أنكم استدعيت منا جميع الخطوط الهمايونية والاوامر الشريفة السلطانية التى صدرت من منذ توجيه الخديوية الجليلة بطريق التوارث الى عهدة والى مصر الاسبق محمد على باشا المرحوم الى يومنا هذا سواء كانت بخصوص تعديل توارث الخديوية المصرية أو بخصوص اعطاء بعض امتيازات حسبما استوجبه موقع الخديوية وأمزجة الاهالى وطبائعها الخصوصية وجعلها فرماناً واحداً مع التعديلات اللازمة فى أحكامها والتفصيلات المقتضية فى عباراتها بشرط أن يكون هذا فرمان الجديد قائم مقام الفقرانات السابقة وأن تكون الاحكام المندرجة فيها معمولاً بها ومرعية الاجراء على الدوام والاستمرار فقد قورن استدعائكم هذا بمساعدتنا الجليلة الملوكية وها نحن نذكرونين

بصفقة واحدة ولذا جوزا الامام محمد بن حسين الشيباني رحمه الله تعالى هذا البيع استحسننا وقال اجعل الموجود أصلاً والمعدوم تبعاله وأفتى بقوله الامام الفضلي وشمس الائمة الحلواني وأبو بكر بن فضل رحمهم الله تعالى وحيث ان ارجاع الناس عن عادتهم المعروفة عندهم غير ممكن كما ان حمل معاملاتهم بحسب الامكان على الصيغة أولى من نسبتها الى الفساد وقع الاختيار لترجيح قول محمد رحمه الله في هذه المسألة كما هو مندرج في المادة السابعة بعد المائتين

وفي بيع الصبرة كل مدّ بكذا عند الامام الاعظم رضى الله عنه يصح البيع في مدّ واحد فقط وعند الامامين رحمهما الله تعالى يصح في جميع الصبرة فهما بلغت الصبرة يأخذها المشتري ويدفع ثمنها بحسب المدّ بسعر ما جرى عليه العقد وحيث أن كثير أمن الفقهاء مثل صاحب الهداية قد اختاروا قول الامامين في ذلك تيسيراً لمعاملات الناس حررت هذه المسألة في المادة العشرين بعد المائتين على مقتضى قولهما وأكثر مدّة خيار الشرط عند الامام رحمه الله تعالى ثلاثة أيام وعند الامامين تكون المدّة على قدر ما شرط المتعاقدان من الايام ولما كان قولهما هنا أيضاً أوفق للحال والمصلحة وقع عليه الاختيار وذكر بدون مدّة الايام الثلاثة في المادة الثلاثمائة وهذا الخلاف جار أيضاً في خيار النقد الا أن عدم تقييد المدّة بثلاثة أيام وصحة تقييدها بأكثر من ذلك هو قول محمد رحمه الله تعالى فقط وانما أختير قوله في هذه المسألة أيضاً مراعاة لمصلحة الناس كما ذكر في المادة الثالثة عشرة بعد الثلاثمائة

وعند الامام الاعظم ان المستصنع له الرجوع بعد عقد الاستصناع وعند الامام أبي يوسف رحمه الله انه اذا وجد المصنوع موافقاً للصفات التي بينت وقت العقد فليس له الرجوع والحال انه في هذا الزمان قد اتخذت معامل كثيرة تصنع فيها المدافع والبواخر (القابورات) ونحوها بالمقولة وبذلك صار الاستصناع من الامور الجارية العظيمة فتخير المستصنع في امضاء العقد أو فسخه يترتب عليه الاخلال بمصالح جسيمة وحيث ان الاستصناع مستند الى التعارف ومقيس على السلم المشروع على خلاف القياس بناء على عرف الناس لزم اختيار قول أبي يوسف رحمه الله تعالى في هذا مراعاة لمصلحة الوقت كما حرر في المادة الثانية والتسعين بعد الثلاثمائة من هذه المجلة

فاذا أمر امام المسلمين بتخصيص العمل بقول من المسائل المجتهد فيها تعين ووجب العمل بقوله واذا صارت هذه المعروضات المبسوطة لدى خضر تكم العلية قرينة التصويب يجرى توشيح أعلى المجلة الملفوفة بالخط الشريف الهمايوني والأمر لولى الامر

مفتش الاوقاف الهمايونية

ناظر ديوان الاحكام العدلية

السيد خليل

احمد جودت

على الوجه الآتى

فقول ان أقوال أكثر المجتهدين فى حق البيع بالشرط يخالف بعضها بعضها فى مذهب المالكية اذا كانت المدّة جزئية وفى مذهب الحنابلة على الاطلاق يكون للبائع وحده أن يشترط لنفسه منفعة مخصوصة فى المبيع لكن تخصيص البائع بهذا الامر دون المشتري يرى مخالفاً للرأى والقياس أما ابن أبى ليلى وابن شبرمة ممن عاصروا الامام الاعظم رضى الله عنه واقترضت أتباعهم فكل منهما رأى فى هذا الشأن رأياً يخالف رأى الآخر فابن أبى ليلى يرى أن البيع اذا دخله أى شرط كان فقد فسد البيع والشرط كلاهما وعند ابن شبرمة ان الشرط والبيع جازان على الاطلاق فذهب ابن أبى ليلى يرى مبيناً لحديث (المسلمون عند شروطهم) ومذهب ابن شبرمة موافق لهذا الحديث موافقة تامة لكن المتبايعين ربما يشترطان أى شرط كان جائز أو غير جائز قابل الاجراء أو غير قابل ومن الامور المسلمة عند الفقهاء أن رعاية الشرط انما تكون بقدر الامكان فمسألة الرعاية للشرط قاعدة تقبل التخصيص والاستثناء ولذا اتخذ طريق متوسط عند الحنفية وذلك ان الشرط ينقسم الى ثلاثة أقسام شرط جائز وشرط مفسد وشرط لغو بيان هذا ان الشرط الذى لا يكون من مقتضيات عقد البيع ولا مما يؤيده وفيه نفع لاحد المتعاقدين مفسد والبيع المعلق به يكون فاسداً والشرط الذى لا نفع فيه لاحد العاقدين لغو والبيع المعلق به صحيح لأن المقصود من البيع والشراء التمليك والتملك أى ان يكون البائع مالكا للثمن والمشتري مالكا للمبيع بلا مزاحم ولا مانع والبيع المعلق به نفع لاحد المتعاقدين يؤدى الى المنازعة لان المشروط له النفع يطلب حصوله والاخر يريد القرار منه فكان البيع لا يتم لكن بما أن العرف والعادة قاطع للمنازعة جوز البيع مع الشرط المتعارف على الاطلاق أما المعاملات التجارية فهى من أصلها فى حال مستثنى كما تقدم وأكثر ذوى الحرف والضمان قد تعارفوا على معاملة مخصوصة تقررت بينهم والعرف الطارى معتبر فلا يبقى ما يوجب البحث الا بعض شروط خارجة عن العرف والعادة تشترط فى المعاملات المتفرقة فى الاخذ والعطاء وليس لهذه المعاملات شأن يوجب الاعتناء بالبحث عنها فما مست الحاجة فى تفسير معاملات العصر الى اختيار قول ابن شبرمة الخارج عن مذهب الحنفية ولهذا حصل الاكتفاء بذكر الشروط التى لا تفسد البيع عند الحنفية فى الفصل الرابع من الباب الاول كما وقع فى سائر الفصول قد ذكر فى المادة السابعة والتسعين بعد المائة والمادة الخامسة بعد الثمانين أنه لا يصح بيع المعدوم والحال ان ما كان مثل الورد والخرشوم من الازهار والخضراوات والقواكه التى يتلاحق ظهور محصولاتها بفتح فيه البيع اذا كان بعض محصولاتها ظهر وبعضها لم يظهر لانه لما كان ظهور محصولاتها دفعة واحدة غير ممكن وانما تظهر أفرادها وتتناقص شيئاً بعد شيء اصطلاح الناس فى العامل على بيع جميع محصولاتها الموجودة والمتلاحقة



الشریف فیصیر هذا الكتاب معتبراً مری الاجراء فی الحاکم الشرعیة مغنیاً عن وضع قانون  
لداوی الحقوق التي ترى فی الحاکم النظامیة ومن أجل الحصول علی هذا المأمول عقدت  
سابقاً جمعیة علمیة فی إدارة مجلس التنظيمات وحرر حينئذ كثير من المسائل ولكن لم تبرز الى  
حيز الفعل فصدق مضمون قولهم ان الأمور مرهونة لأوقاتها حتی شاء الله تعالی بروز ما فی  
هذا العصر الهامونی الذی صار مغبوطاً من جمیع الاعصار بظهور مثل هذه الآثار  
الخیریة المهمة ولاجل حصول هذا الامر مع سائر الآثار الحسنة الكثیرة التي هی من  
التوفیقات الجلیلة السلطانیة المشهودة بعین الافتخار للبریة أخیل علی عهدتنا مع ضعفنا  
وعجزنا اتمام هذا المشروع الجمیل والاثر الخیری السدید لتحصل به الكفایة فی تطبیق  
المعاملات الجاریة علی القواعد الفقهیة علی حسب احتیاجات العصر وبموجب الارادة  
العلیة اجتمعنا فی دائرة دیوان الاحكام وبادرنا الى ترتيب مجلة مؤلفة من المسائل والامور  
الكثیرة الوقوع اللازمة جداً من قسم المعاملات الفقهیة بمجموعة من أقوال السادة  
الحنفیة الموثوق بها وقسمت الى كتب متعددة وسمیت بالاحكام العدلیة وبعد ختام  
المقدمة والكتاب الاول منها أعطیت نسخة منهما للمقام مشیخة الاسلام ونسخ أخرى لمن له  
مهاره ومعرفه كافیة فی علم الفقه من الذوات الفخام ثم بعد اجراء ما لزم من التهذیب  
والتعديل فیها بناء علی بعض ملاحظات منهم حررت منها نسخة وعرضت علی حضرته  
العلیة والآن حصلت المبادرة الى ترجمة هذه المقدمة والكتاب الى اللغة العربیة وما زال  
الاهتمام مصروفاً الى تألیف باقی الکتب أيضاً فلدی مطامعكم هذه المجلة یحیط علمكم  
العالی بان المقالة الثانیة من المقدمة هی عبارة عن القواعد التي جمعها ابن نجیم ومن سلك  
مسلكه من الفقهاء رحمهم الله تعالی فحكم الشرع ما لم یقوا علی نقل صریح لا یحكون  
بمجرد الاستناد الى واحدة من هذه القواعد الا أن لها فائدة کلیة فی ضبط المسائل فمن اطلع  
علیها من المطالعین یضبطون المسائل بادانها وسائر المأمورین یرجعون الیهافی كل خصوص  
وبهذه القواعد یمكن للانسان تطبیق معاملاته علی الشرع الشریف أو فی الاقل التقرب  
وبناء علی ذلك لم تكتب هذه القواعد تحت عنوان كتب أو باب بل أدرجناها فی المقدمة  
والاکثر فی الکتب الفقهیة أن تذكر المسائل مخلوطة مع المبادئ ولكن فی هذه المجلة حررت فی  
أول كل كتاب مقدمة تشتمل علی الاصطلاحات المتعلقة بذلك الكتاب ثم تذكر بعدها  
المسائل الساذجة علی الترتیب ولاجل ایضاح تلك المسائل الاساسیة أدرج ضمنها كثير من  
المسائل المستخرجة من كتب الفتاوی علی سبیل التمثیل

ثم ان الاخذ والعطاء جاری فی زماننا أكثره مربوط بالشروط وفی مذهب الحنفیة ان  
الشروط الواقعة فی صلب العقد أكثرها منفسد للبیع ومن ثم كان أهم المباحث فی  
كتاب البیوع فصل البیع بالشروط وهذا الامر أوجب مباحثات ومناظرات كثیرة  
فی جمعیة هؤلاء العاجزین ولذا رؤی مناسباً ابراد خلاصة المباحثات الجاریة فی ذلك

كثيرون متفاوتون في الطبقة ووقع فيه اختلافات كثيرة ومع ذلك فلم يحصل فيه تنقيح كما حصل في فئة الشافعية بل لم يزل مسائله أشد متشعبة فتميز القول الصحيح من بين تلك المسائل والاقوال المختلفة وتطبيق الحوادث عليها عسير جداً وماعدا ذلك فإنه يتبدل الاعصار بتبدل المسائل التي يلزم بناؤها على العادة والعرف مثلاً كان عند المتقدمين من الفقهاء إذا أراد أحد شراء دار! كتفي برؤية بعض بيوتها وعند المتأخرين لابد من رؤية كل بيت منها على حدته وهذا الاختلاف ليس مستنداً الى دليل بل هو ناشئ عن اختلاف العرف والعادة في أمر الانشاء والبناء وذلك ان العادة قديماً في انشاء الدور وبنائها أن تكون جميع بيوتها متساوية وعلى طرز واحد فكانت رؤية بعض البيوت على هذا تنفي عن رؤية سائرها وأما في هذا العصر فحيث جرت العادة بان الدار الواحدة تكون بيوتها مختلفة في الشكل والقدر لزم عند البيع رؤية كل منها على الافراد وفي الحقيقة فاللازم في هذه المسألة وأما هنا حصول علم كاف بالمبيع عند المشتري ومن ثم لم يكن الاختلاف الواقع في مثل المسألة المذكورة تغييراً للقاعدة الشرعية وإنما تغير الحكم فيها بتغير أحوال الزمان فقط وتفرق الاختلاف الزماني والاختلاف البرهاني الواقع هنا وتميزهما بحوج الى زيادة التدقيق وامعان النظر فلا جرم أن الاحاطة بالمسائل الفقهية وبلوغ النهاية في معرفتها أمر صعب جداً ولذا انتدب جمع من فقهاء العصر وفضلائه لتأليف كتب مطبوعة مثل كتاب الفتاوى التاريخية والعالمية المشهورة الآن بالفتاوى الهندية ومع ذلك فلم يقدروا على حصر جميع الفروع الفقهية والاختلافات المذهبية وفي الواقع فان كتب الفتاوى هي عبارة عن مؤلفات حاوية لصور ما حصل تطبيقه من الحوادث على القواعد الفقهية وأفتيت به الفتاوى فيما مر من الزمان ولا شك أن الاحاطة بجميع الفتاوى التي أفتى بها علماء السادة الخنفية في العصور الماضية عمر للغاية ولهذا جمع ابن نجيم رحمه الله تعالى كثيراً من القواعد الفقهية والمسائل البكية المندرج تحتها فروع الفقه ففتح بذلك باباً يسهل التوصل منه الى الاحاطة بالمسائل ولكن لم يسمح الزمان بعده بعلم فقيه يحذو حذوه حتى يجعل أثره طريفاً واسعاً وأما الآن فقد ندر وجود المتبحرين في العلوم الشرعية في جميع الجهات وفضلاً عن انه لا يمكن تعيين أعضاء في المحاكم النظامية لهم قدرة على مراجعة الكتب الفقهية وقت الحاجة لحل الاشكالات فقد صار من الصعب أيضاً وجود قضاة للمحاكم الشرعية الكائنة في الممالك المحروسة

بناء على ذلك لم يزل الأمل معتماً بتأليف كتاب في المعاملات الفقهية يكون مضبوطاً سهلاً المأخذ عارياً من الاختلافات حاوياً للاقوال المختارة سهلاً المطالعة على كل أحد لانه اذا وجد كتاب على هذا الشكل حصل منه فائدة عظيمة عامة لكل من نواب الشرع ومن أعضاء المحاكم النظامية وللامورين بالادارة فيحصل لهم بمطالعة انتساب الى الشرع ولدى الإيجاب تصير لهم ماسكة بحسب الواسع يتقنون بها على التوفيق ما بين الدعاوى والشرع

التجارية في هذه الاعصار مست الحاجة الى استثناء كثير من المعاملات كالسفتجة التي يسمونها حوالة وكاحكام الافلاس وغيرها من القانون الاصلى ووضع هذه المستثنيات قانون مخصوص يسمى قانون التجارة وصار معمولا به في الخصوصيات التجارية فقط وأما سائر الجهات فما زالت أحكامها تجري على القانون المدنى ومع ذلك فالدعاوى التي ترى في محاكم التجارة اذا ظهر شئ من متفرعاتها ليس له حكم في قانون التجارة مثل الرهن والكفالة والوكالة يرجع فيه الى القانون الاصلى وكيفما وجد مسطورا فيه يجرى الحكم على مقتضاه وكذا في دعاوى الحقوق العادية الناشئة عن الجرائم تجرى المعاملة بها على هذا النوال أيضاً وقد وضعت الدولة العلية قديماً وحديثاً قوانين كثيرة تقابل القانون المدنى وهى وان لم تكن كافية لبيان جميع المعاملات وفصلها الا أن المسائل المتعلقة بقسم المعاملات من علم الفقه هى كافية وافية للاحتياجات الواقعة في هذا الخصوص ولعلنا يرى بعض مشكلات في تحويل الدعاوى السابق الى الشرع والقانون غير أن مجالس تميز الحقوق لما كانت تحت رئاسة حكام الشرع فكما ان الدعاوى الشرعية تصير رؤيتها وفصلها لديهم كذلك كانت المواد النظامية التي نحال الى تلك المجالس ترى وتفصل بمفرقتهم أيضاً وبذلك يجرى حل تلك المشكلات من حيث أن أصل القوانين والنظامات الملكية ومرجعها هو علم الفقه وكثير من الخصوصيات المتفرعة والامور التي ينظر فيها بمقتضى النظام يفصل ويحسم على وفق المسائل الفقهية والحال أن أعضاء مجالس تميز الحقوق لا اطلاع لهم على مسائل علم الفقه فاذا حكمت حكام الشرع الشريف في تلك القروع بمقتضى الاحكام الشرعية ظن الاعضاء انهم يفعلون ما يشاؤون خارجا عن النظامات والقوانين الموضوعية وأساءوا بهم الظن فيصير ذلك باعثاً على التميل والقال

ثم ان قانون التجارة الهمايونى هو دستور العمل في محاكم التجارة الموجودة في ممالك الدولة العلية وأما الخصوصيات المتفرعة عن الدعاوى التجارية التي لاحكم لها في قانون التجارة فيحصل بها مشكلات عظيمة لانه اذا صارت المراجعة في مثل هذه الخصوصيات الى قوانين أوروبا وهى ليست موضوعة بالارادة السنية فلا تصير مدار الحكم في محاكم الدولة العلية واذا احيل فصل تلك المشكلات الى الشريعة الغراء فالحاكم الشرعية تصير مجبورة على استئناف المرافعة في تلك الدعاوى وحينئذ فالحكم على قضية واحدة في محكمتين كل منهما تغاير الاخرى في أصول الحاكمة ينشأ عنه بالطبع تشعب ومباينة ففي مثل هذه الاحوال لا يمكن لمحاكم التجارة مراجعة الحاكم الشرعية واذا قيل لاعضاء محاكم التجارة أن يراجعوا الكتب الفقهية فهذا أيضاً لا يمكن لان هؤلاء الاعضاء على حد سواء مع أعضاء مجالس تميز الحقوق في الاطلاع على المسائل الفقهية

ولا يخفى أن علم الفقه بحر لا ساحل له وامتنباط درر المسائل اللازمة منه لحل المشكلات يتوقف على مهارة علمية وملاكمة كلية وعلى الخصوص مذهب الحنفية لانه قام فيه مجتهدون



دفع أموال سنتين كانت متاخرة عليهم ومن الخدمة العسكرية وبذلك انتهت هذه الثورة مؤقتاً اذ اليونان لا تترك أى فرصة لتحريرها على الثورة لضمها اليها

ومما امتاز به السلطان عبد العزيز خان عماده من السلاطين العثمانيين تفقده ممالكه الخروسة بنفسه وسياحته خارجها فقد سافر رحمه الله الى الى وادى النيل فى ١٤ شوال سنة ١٢٧٩ يصحبه فى معيته الشريفة الامراء الاماجد مراد افندى الذى تولى منصب الخلافة بعد المرحوم السلطان عبد العزيز وعبد الحميد افندى خليفة الخالى ورشاد افندى ويوسف غز الدين افندى والوزيران فؤاد باشا ومحمد باشا فزار الاسكندرية ومحروسة مصر ثم عاد الى دار السعادة باليمن والاقبال وكان سفره من الاستانة بعد ان افتتح المعرض العثمانى الذى أقيم بها لتنشيط الصنائع الوطنية فى ١٠ رمضان سنة ١٢٧٩ بحضور ضيفه الكريم اسمعيل باشا خديوينا السابق

سفر السلطان عبد  
العزيز لمصر

وفى ١٩ صفر سنة ١٢٨٤ الموافق ٢٥ يونيو سنة ١٨٦٧ سافر قاصداً مدينة باريس الزاهية الزاهرة بناء على دعوى الامبراطور نابوليون الثالث لحضور المعرض العام الذى أقيم فيها ودعا اليه الامبراطور أغلب ملوك الدنيا وكان من ضمن المدعويين خديو مصر اسمعيل باشا فاجبر من الاسكندرية فى ٧ من شهر صفر المذكور على سفينة الخروسة ليكون بباريس حين قدوم جلالة السلطان عبد العزيز اليها ثم عاد جلالة السلطان المعظم الى مقر خلافته عن طريق وارنه فى ٦ ربيع الثانى سنة ١٢٨٤ بعد ان تغيب عنها ستة أسابيع ألقى فى خلالها من حسن الملاقة وكرم الوفادة ما طبع عليه الفرنسيون واشتهر عنهم

سفر السلطان  
باريس

أما الاصلاحات التى اجريت فى داخلية الممالك الخروسة فى خلافته فيعد منها ولا تعد فيها القانون القاضى بجواز انتقال الاراضى الميرية (الخراجية) والموقوفة لورثة صاحب المنفعة الصادر فى ١٧ محرم سنة ١٢٨٤ وهو يشبه لأئحة الاطيان السعيدية المصرية

وضع مجلة  
الاحكام العدلية

والقوانين التى أجازت للاجانب امتلاك العقارات وكافة الحقوق العينية والتصرف فيها بجميع الممالك الخروسة بعد ان كانت ممنوعة عنهم كلية وذلك فى سنة ١٢٨٥ الموافقة سنة ١٨٦٩ ومنها وضع مجلة الاحكام الشرعية ليعمل بها فى الحاكم النظامية التى أنشئت وكان جارياً اصلاحها وكان وضع هذه المجلة بمعرفة لجنة من أشهر متشرعى هذا العصر واليك نص التقرير الذى قدمته الى محمد أمين على باشا الصدر الاعظم فى غرة محرم سنة ١٢٨٦ منقولاً من منتخبات الجوائب

لا يخفى على حضرة الصدر العالى أن الجهة التى تتعاقب بامر الدينان علم الفقه كما انها تنقسم الى مناحات ومعاملات وعقوبة كذلك القوانين السياسية للامم المتمدنة تنقسم الى هذه الاقسام الثلاثة ويسمى قسم المعاملات منها القانون المدنى لكونه لما زاد اتساع المعاملات



الاقبل والحرب للرجل العسكري والبطل الجريء سوق عظيم وموسم كريم تشتري فيه غوالي المعالي بأعلى الغوالي وتنال فيه منازل الاكارم في ظلال السيوف الصوارم ويدرك الفخر الصادق بمرامي المدافع والبنادق وقد علمتم ان الشجاعة وان كانت تبلغ الامال لا تقصر الاجال كما ان الجبن وان كان يورث العار لا يؤخر الاعمار وانما هي آجال محدودة وأنفاس معدودة لا تقبل التغيير ولا التقديم والتأخير والشجاعة صبر ساعة ثم ينكشف الغبار وتسفر الاخبار ويتناقل حديث الشجعان ويخلد في توار يخ الزمان فدوموا على ابداء الاجتهاد وقوموا بأداء حقوق الجهاد واثبتوا على الشجاعة والاقدام وثبات القلوب والاقدام وانجزوا بمعونة الله تمام هذا المرام وكما جودتم براعة المطلع فاحسنوا براعة الختام اه

ولم يكن اهتمام الدولة العلية ورجلها باقل من اهتمام الجنود المصرية المظفرة فبعد ان وجهت اليها الجيوش أرسلت اليها مندوباً سامياً للمفاوضة مع الثائرين اسمه كريدلي محمد باشا لمعرفة أحوال البلاد لكن لم ينجح في مأموريته لما كان بينه وبين أعيان الجزيرة من الشحناء بسبب ولايته السابقة على تلك الجزيرة

ثم في ٦ شوال سنة ١٢٨٣ الموافق ١١ فبراير سنة ١٨٦٧ استقال محمد رشدي باشا من منصب الصدارة فعين السلطان مكانه محمد أمين علي باشا ثانياً وأبقى محمد رشدي باشا المذكور في وظيفة السكرتيرية وأعاد محمد فؤاد باشا الصدر السابق الى نظارة الخارجية وكانت أول أعمال هذه النظارة ان استدعت كريدلي محمد باشا من جزيرة كريد وأرسلت عمر باشا بطل القرم اليها بوظيفة قائدهم لجميع الجيوش المحاربة بها فخارب الثائرين بكل شدة وصرامة وعند ذلك تدخلت بعض الدول وطلبت ارسال لجنة دولية الى الجزيرة لتسوية الاحوال فرفض الباب العالي هذا الطلب لعدم اتفاق الدول عليه واقترح من نفسه ارسال مندوب سام سياسي للنظر في شؤون الجزيرة وسافر اليها بهذه الصفة الصدر الاعظم علي باشا في ١٤ اكتوبر سنة ١٨٦٧ وهناك بذل جهده في تسكين خاطر الاعيان بمنحهم الرتب والنياشين ثم أقال عمر باشا لعدم اتفاقه مع رجال البحرية المراقبين لشواطئ الجزيرة وأقام حسين عوني باشا مكانه وعينه والياً للجزيرة وبعد ان رتب الاحوال عاد الى الاستانة في أوائل سنة ١٨٦٨ لاضطراد الاخبار السياسية بشأن تظاهر مملكة اليونان لمساعدة الثائرين وطلبها ضم الجزيرة اليها بأي طريقة ولو أدت الحال الى الحرب لكن لم تساعد الدول على ذلك وأظهرت لها الجفاء وتهديتها بما لا تحمد عقباه لو أثارت نار الحرب

وأخيراً انعقد بباريس مؤتمر مندوبي الدول الموقعة على عهدة سنة ١٨٥٦ وبعد مداولات وتبادل عدة محررات أصدر السلطان ارادة سنوية بتاريخ ١٢ جماد الثاني سنة ١٢٨٦ الموافق ١٩ سبتمبر سنة ١٨٦٩ بمنح الجزيرة بعض امتيازات واعفاء أهلها من

متمتضى فرمانات وأظهرت الجيوش المصرية بهاشجاعتها المعتادة وفازت بالنصر في عدة مواقع مهمة خصوصاً في واقعة ارقاذى ( اركاديون ) حتى استحقوا ثناء خديوهم عليهم وشكره لهم فارسل لهم بكريد رسالة قرئت على جميع العساكر والضباط المصريين وكان الحرر لها المرحوم عبد الله باشا فكري الذي كان اذذاك ناظر قلمى التجريبات والعرض حالات وقد أردنا إيرادها حرفياً لرفعة مبادئها ودقة معانيها شاهدة بفضل المصريين في براعة التجريب كما تشهد لهم بالانصر والفوز العظيم وهامى بحروفها

الى من باشرنا واقعة ارقاذى من الضباط الجهادية وأفراد العساكر المصرية سلام من الله وتسليم ورضوان كريم يهدى لأوائكم وآخركم ويسدى لمأموركم وأمركم لازام محفوفين من الله بنصره محفوظين بأمره غالبين على عدوكم بقهره متعلمين في نعمته وبره ولا انفكت عزائمكم في كرب الحرب عزائم وصوارمكم في قطوب الخطوب بواسم وأعلامكم للنجاح والتمكين علائم وأيامكم للفتح المبين مواسم ورياح الفجر والدمار على عدوكم سائم ونسمات النصر والفخر في رواحكم وغدوكم نواسم ( وبعد ) فإزالت أتشوق من اخبار شجاعتكم ما يبرر الخواطر وأشوف من آثار براعتكم ما يقرر النواظر وإثما بعزمكم وحزمكم في المضايق مبتهجا بما أبدىتموه من حسن السوابق حتى ورد فإبور الشرقية من طرف حضرة الباشا ناظر الجهادية بيوميات الوقائع العسكرية مشتملة على واقعة ارقاذى وتفصيلاتها وما كان من رسوخ أقدامكم وثباتها وأقدامكم في جهاتها واقتحامكم مضايق حصونها واستحكاماتها وتسخير مستعصماتها وتدمير أشقياء العصاة وكلماتها حتى زلزلت صياصيحها وذلت نواصيحها ودنالك قاصيها ودان عاصيها فهكذا تكون رجال الجهاد وأبطال الجدل والجلاد وهكذا تفتح الحصون ويبرز سر النصر المصون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فقد أسفر لكم بحمد الله وجه التهاني وأمر فيكم بعون الله غرس الامانى وأيدتم ما ثبت للعساكر المصرية من حسن الامور العسكرية فحصل لى من الانس والسرور بهذه البشارة ما لا تقدر الالسن أن تصف مقداره ولا يتسع له مجال الاشارة وتأيد فيكم حسن أنظارى وظهرت ثمرات أفكارى وتحققتم انكم الآن بعون الله الكريم لا تزالون عن هذا الطريق القويم ولا تزالون في تأييد ما لكم من الجمد القديم وقد شاع حديث نصرتم بين الاهل والديار وسارت الركبان بحاسن هذه الاخبار كما نقتله سخائف الوقائع الى جميع الاقطار فانشرح صدور أهلكم واخوانكم وفرحت بكم جميع أهل بلدانكم وابتسمت ثغور أوطانكم وافتخرت باحاديث شجعانكم وارتاحت أرواح الشهداء من أقرانكم والمأمول فى ألطف الله العلية وبركات السلطنة السنية ثم فى حمتكم المليية وغيرتكم الوطنية أن يزول حال الاختلال عن قرب وينتهى امر القتال والحرب ويطيع الجميع ويسهل كل صعب منيع وتعودوا لوطننا العزيز ظافرين بالنصر والتعزير وقد قرب حصول الامل ونجاح العمل ومضى الاكثر وبقي

الكويون والاخرينة ناضبة لا يوجد بها ما يكفي لدفعه فاضطرت الدولة الى اصدار سهام جديدة بواسطة البنك العثماني بمدينة باريس ولوندره فأصدرها البنك في شعبان سنة ١٢٨٢ الموافق ديسمبر سنة ١٨٦٥ بفائدة ١٢ في المائة ولضعف الثقة بمالية الدولة لم يقدم أصحاب الاموال على الاكتتاب ولم تحصل من هذه السهام الجديدة الا ما يكفي لدفع الكويون المستحق فقط ولا استمرار هذا الضيق وعدم وجود النقود الكافية للمصروفات الضرورية سعى به أر باب الغايات لدى جلالة السلطان وأفهموه ان هذا العسر ناشى عن سوء تدابير فؤاد باشا للمالية فعزله واستبدله بمحمد رشدى باشا وأصدرله فرماناً بذلك بتاريخ ٢١ محرم سنة ١٢٨٣ الموافق ٤ يونيو سنة ١٨٦٦ فسمى مرتين فى اصدار قرض لتسوية الديون السائرة ولم يخرج وأخيراً اتفق مع البنك العثماني على أن يدفع البنك فوائد الديون المتقدمة فى السجل العمومى كل ثلاثة أشهر وتتنازل له الدولة لوفائها عن بعض ايرادات معينة وبذلك أمكن دفع الكويونات أولاً فاولاً واتقى شر تأخير دفعها الذى يعد فى عرف المالية افلاساً وصارت الدولة تقتضى ما يلزمها من البنوك بدون اصدار اسهم عمومية بعد ان استقرت أحوال الدولة المالية أو كادت تحركت الفتن السياسية أولاً بسبب عدم قبول حكومة الصرب باتفاق ١١ ربيع الاول سنة ١٢٧٩ الموافق ٨ سبتمبر سنة ١٨٦٢ (راجع صحيفة ٢٩١) القاضى ببقاء الجيوش العثمانية محتلة لاربع قلاع بداخل بلاد الصرب كما سبق ذكر ذلك وطلبها من الدول بكل الخاح ابطال هذا الشرط وانجلاء عساكر الدولة عنها قطعياً فلم تقبل الدولة بل هدّدت الصرب بالحرب لومست عساكرها المحتملين بسوء ولكن اشتعال نار الفتن بكريد أشعلها عن اخضاعها وقبلت أخيراً فى القعدة سنة ١٢٨٣ الموافق مارت سنة ١٨٦٧ سحب عساكرها فأكمل استقلال الصرب ولم يبق على أميرها الا لقب ملك

ومثل ذلك حصل بخصوص الاعتراف باختيار البرنس شارل دى هو هنزلون البروسى فان الدولة بعد ان جمعت جيشاً جراراً على حدود رومانيا لفسخ الانتخاب والزام الاهالى باتباع نصوص المعاهدات اضطرتها ثورة كريد الى العدول عن هذه الخطة والاعتراف باختياره ولقد أصابت الدولة فى ذلك لان وجود مثل هذه الامارة فى طريق روسيا يفيدها وقت الحرب خصوصاً اذا لم يكن أميرها مصافياً للروسيا ولا متحد معها فى المذهب والجنس

ثورة كريد  
اما ثورة جزيرة كريد فنشأت من دسائس اليونان بها وسعيهم فى ضمها اليهم لكن يظهر ان مصلحة الدول البحرية لم تسمح لهم هذه المرة بتأييد مطالب اليونان بل كانت كلها مضادة لسلخ هذه الجزيرة عن أملاك الدولة العلية ولذلك منعت الدول مملكة اليونان من مساعدة الجزيرة الثائرة وأرسلت الدولة العثمانية قمعها جيشاً عرماً وأرسل المرحوم اسمعيل باشا خديومصر الاسبق فرقة لمساعدتها على

نقول أنه لما انتشبت حرب استقلال اليونان ودمرت الدول دوناتها ظلمه وتعصبا التزمت الدولة لتجديد مراكبها وتقوية جيوشها الى اصدار القوائم المالية فاصدرت أولافى سنة ١٨٣٠ أوراقاً بمبلغ اثنين وثلاثين ألف كيسة بفائدة ثمانية فى المائة سنوياً تستهلك فى ثمانى سنوات ثم بسبب حروب الشام بين مضر والدولة ما تسر لها استهلاك هذا القدر بل أصدرت أوراقاً بلا فائدة وامتنعت عن دفع الفائدة عن الأوراق الاصلية وتوالى بعد ذلك اصدار الأوراق فى كل سنة تقريباً

ولما تبرع السلطان عبد المجيد فى دست الخلافة أراد سحب القوائم الآن حرب القدم وماجره على الدولة من المصاريف الباهظة منعه عن تتمم مشروعه واضطرته الاحوال الى الاستدانة من أوروبا للقيام باعباء الحرب ثم استغرقت المصاريف كل القرض فأصدر قوائم جديدة واستمر الحال على هذا المتوال وكل سنة تزداد الديون الخارجية والقوائم الداخلية حتى ولى لقواد باشا منصب الصدارة فاقنع جلالة السلطان عبد العزيز بضرورة ابطال القوائم وتسوية جميع الديون بكيفية منتظمة فاصدر السلطان فرماناً عالياً فى ٢٠ رجب سنة ١٢٧٨ الموافق ٢١ يناير سنة ١٨٦٢ لقواد باشا باصلاح المالية وأعمال ميزانية سنوية لايرادات ومصروفات الدولة ثم فى ١٩ الحجة سنة ١٢٧٨ الموافق ١٧ يونيو سنة ١٨٦٢ أصدر اليه فرماناً آخر أهم ما جاء به سحب القوائم باجمعها وتصفية جميع الديون السائرة ودفع بدل القوائم نقوداً ذهبية أو فضية بقيمة أربعين فى المائة وسهاماً جديدة بقيمة الستين فى المائة الباقية

واقترضت الدولة لاتمام هذه العملية المالية ثمانية ملايين جنيه أنكليزياً ولما لم تنف اقتضت ثمانية أخرى بواسطة البنك العثمانى الذى تأسس فى هذه الغضون وللكثرة المصاريف فى الاصلاحات الداخلية وغيرها كثرت الديون وتراكمت وصار دفع الكوبونات (القوائد) حملاً ثقيلاً على عاتق ميزانية الدولة فأمر السلطان بالاقتصاد من جميع فروع الميزانية حتى من المبالغ المخصصة لسرايته الخاصة وبذلك أمكن ناظر المالية مصطفى فاضل باشا (١) القيام بدفع القوائد وأخيراً لعدم موافقة ناظر المالية لقواد باشا على مشروعاته المالية عزل مصطفى باشا فاضل وعين كاتى باشا مكانه فقدم هذا الأخير بالاتحاد مع لقواد باشا تقريراً الى السلطان بتاريخ ٢١ شوال سنة ١٢٨١ الموافق ١٩ مارت سنة ١٨٦٥ قاضياً بانشاء سجل مخصوص لجميع الديون وقيدها به بعد توحيدها فصدرت ارادة سنية باعتماد هذا التقرير وسجل بمقتضاه أربعون مليون جنيه عثمانياً لكن لم يأت زمن دفع

(١) هو نجل المرحوم ابراهيم باشا نجل المرحوم محمد علي باشا الكبير والى مصر ولد سنة ١٢٤٥ هـ وتوجه الى أوروبا مع أخيه المرحوم أحمد باشا والحدوى الاسبق اسماعيل باشا وتوظف بوظائف عالية بالاستانة فأحيلت اليه نظارة المعارف سنة ١٢٧٩ ثم المالية وفى أوائل سنة ١٢٨٧ عين ناظراً للعديلة (الحقانية) وبعد ذلك بقليل أتمم عليه بالنشيان العثماني المصروع وتقلد بعد ذلك عدة مناصب أخرى وتوفى فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٩٢ ودفن بالامانة



اصلاحات مهمة تباعا فحور قانون الانتخابات بكيفية خولت حق الانتخاب لكثير من الاهالى لم يكن هذا الحق ممنوحاً لهم من قبل وجعل التعليم اجباريا وفتح عدة مدارس عالية ملكية وحرية ومستشفيات وأصدر قانوناً يجعل قيد المواليد والوفيات وعقود الانكحة مختصاً بالمأمورين الملكيين بعد ان كان تابعاً للكنايس لكن لعدم توفر الثروة فى البلاد وكثرة الضرائب تدمر عليه الاهالى فاستعمل الشدة فى معاقبة كل من أظهر عدم الرضا من أعماله حتى كثرت الشكوى منه وكتب اليه الصدر الاعظم فؤاد باشا بتدخل الدولة لرفع المظالم عن الاهالى لو استمر الحال على هذا المنوال

ولما زاد فى طغيانه وصار يصدر الاوامر العالية واللوائح بدون عرضها على مجلس النواب تأمر عليه عدة من الاعيان تحت رئاسة الميسور روزى مدير جرنال (رومانول) وحصره فى سرايه فى مساء يوم ٦ شوال سنة ١٢٨٢ الموافق ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦ وألزموه الاستقالة فقدم استعفاه ثم اجتمع بياريس فى ٢٢ شوال الموافق ١٠ مارت مندوبون من الدول المصادقة على عهدة سنة ١٨٥٦ للنظر فى كيفية انتخاب خلف للامير جان اسكندر الاول فاجمعوا الى الروسية على وجوب توحيد حكومة الولايتين خلافاً لما جاء فى المعاهدة المذكورة بشرط أن لا يكون الامير عليها أجنبياً بل من أشرف أبناء البلاد لكن لم يدعن أهالى رومانيا لهذا القرار بل اتخبوا فى ٣ الحجة الموافق ١٩ أبريل البرنس شارل دى هو هنرولن من عائلة بروسيا الملوكية أميراً لهم وهو ملك هذه البلاد الآن وأعطى له لقب ملك بعد حرب روسيا الاخيرة كما سييجى

أما السبب فى تشبث الدول فى تقوية هذه الامارة وسعى الروسى فى عدم ضم الولايتين المكونتين لها الى بعضهما أن الدول ترى هذا رأى لتكون اماره رومانيا بمثابة حاجز حصين ضد تقدم روسيا نحو الاستانة خصوصاً وان أهالى رومانيا لم يكونوا من العنصر الصقالى الروسى فيصعب على روسيا استمالتهم الى سياستها لتسكهم بحسيتهم وخوفهم من تغلب الجنس الصقالى عليهم وهذا السبب عينه كان الباعث لدول أوروبا على تشكيل اماره البلغار لتكون حاجزاً ثانياً بعد رومانيا وعلى مساعدة البلغار ضد الروسى فى هذه السنين الاخيرة

قد ذكرنا ان لما تولى السلطان عبد العزيز منصب الخلافة العظمى أبى محمد أمين على باشا فى الصدارة العظمى لكن لم يلبث ان أقالته تبعاً للظروف فى جمادى الاولى سنة ١٢٧٨ الموافق نوفمبر سنة ١٨٦١ وعين فؤاد باشا صديراً أعظم ولم تدم صدارته الاولى بل فصل عنها وبعد بعض تقلبات أعيد اليها بعد بضع شهور فبذل جهده فى اصلاح المالية التى كانت على شفى الافلاس بسبب الديون الكثيرة التى اقترضتها الدولة فى أيام السلطان محمود الثانى وعبد المجيد وبسبب انشاء القوائم التى هى عبارة عن أوراق صغيرة ملونة بألوان مختلفة كل منها بقيمة معلومة من النقود وليبان سوء الاحوال المالية

(ولايتي الافلاق والبغدان) ذكرنا أن هاتين الولايتين انتخبنا البرنس كوزا أميراً  
 عليهما خلافاً لشروط معاهدة باريس وأن الباب العالي تساهل في الاعتراف بهذا الانتخاب  
 بنوع الاستثناء بشرط انه بعد هذا البرنس تعود الامور الى ما جاء بمعاهدة باريس ونقول  
 الآن كوزا تسمى بعد ذلك بالبرنس (جان السكندر الاول) وفي أواخر سنة ١٨٦١ صدر  
 فرمان يجيز له توحيد ادارة الامارتين أيضاً وبأن يكون لهما مجلس نواب واحد ووزار  
 واحدة ثم سعى هذا الامير في اصلاح الشؤون الداخلية وحول أنظاره الى مسئلة الاوقف  
 المخصصة للاديرة والسكناس وبعض الاديرة الخارجة عن البلاد مثل دير جبل طور سيناء  
 ودير اثوس ببلاد الترك والاماكن المقدسة بمدينة أورشليم فإن هذه الاملاك بلغت نحو  
 جزء من ثمانية من مجموع أطيان البلاد واراها يذهب خارجها الى بطريق الاستانة  
 ليوزع على هذه الاديرة فقال البرنس يضم جميع هذه الاوقف الى جانب الحكومة وهي  
 تقوم بدفع مبلغ معين لتفقات السكناس الداخلية والاعمال الخيرية الاهلية فقط ولا تدفع  
 شيئاً للاديرة الخارجية وعضده مجلس النواب وعموم الاهالي في هذا المشروع لكن  
 عارضه فيه بطريق الاستانة وجميع الرهبان وتدخلت الدول والباب العالي فعضده  
 فبقى وعارضه آخر وأخيراً رأى الامير ان الاقدام أضمن لنجاح مشروعه أصدر أمراً  
 سامياً في سنة ١٨٦٣ بمصادرة أملاك الاوقف بأجمعها وخوفاً من اعتراض الباب العالي  
 عرض عليه في ٣٠ ربيع الاول سنة ١٢٨٠ الموافق ١٢ سبتمبر سنة ١٨٦٣ دفع مبلغ  
 أربعة وعشرين مليون قرش الى بطريق الاستانة تكون فائده السنوية بمثابة تعويض  
 عما كان يخص الاديرة الخارجية من ايراد الاوقف بشرط أن هاته الاديرة تقدم حساباً  
 عن الأوجه التي صرفت فيها هذه الفائدة وأن تخصص حكومة رومانيا مبلغ عشرة مليون  
 قرش يبنى بها في الاستانة مستشفى ومدرسة لجميع المسيحيين أيا كان مذهبهم فلم يقبل  
 البطريق ذلك وبعد مداول طويلة وتبادل مخاطبات سياسية كثيرة اقترح الباب العالي  
 على حكومة رومانيا أن تبلغ التعويض الى مائة وخمسين مليون قرش فقبلت لكن أصر  
 القسوس على ابائهم ولم يعبأ الامير بهذا الالباب بل جدد في طريق الاصلاح وعرض على  
 مجلس الامة أمر مصادرة الاوقف فصدق عليه في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٢٨٠ الموافق ٢٤  
 ديسمبر سنة ١٨٦٣ ثم في ١٧ الحجة سنة ١٢٨٠ الموافق ٢٤ مايو سنة ١٨٦٤ قرر هذا المجلس  
 أن يكون تعيين القسوس على اختلاف درجاتهم بمعرفة حكومة الامارة وشكل لمعاتهم لو  
 وقعت منهم أمور مغيرة للقوانين الدينية مجلساً دينياً (سينود) وأناط محاكمهم في الامور  
 الدنيوية بمجلس التمييز الاعلى

وبذلك استقل الاكليرس في رومانيا استقلالاً تاماً ولم يبق لبطريق الاستانة أقل سيطرة  
 عليه وايد الباب العالي هذه التغييرات واعترف ضمناً بان حكومة رومانيا الحق في تغيير  
 نظامها وقوانينها الداخلية بدون استشارة الباب قبلاً واعتماداً على ذلك أدخل البرنس عدة

مارث سنة ١٨٥٦ تكون جميع بلاد الصرب مستقلة تحت سيادة الباب العالي ويكون للدولة حق في وضع حامية في ست قلاع بما فيها قلعة مدينة بلغراد عاصمة الصرب واشترط فيها بعد أن لا يسكن المسلمون خارجا عن هذه الحصون ( انظر لهذا التعصب )

لكن لم تتبع هذه النصوص تماماً بل أقام كثير من المسلمين بين منازل المسيحيين ووزع الباشا القائد للحامية عدة قره قولات في المدينة لحمايتهم ولما حصلت ثورة الهرسك سنة ١٨٦١ وما بعدها وتبعها حرب الجبل الاسود خشي الباب العالي من مساعدة الصربيين للثائرين فجمع على الحدود عدد أعظم من جيوش الباشا ووزق ولعدم انتظام هؤلاء الجنود حصلت عدة مشاجرات بينهم وبين أهالي الصرب سالت فيها الدماء ولما وصل خبر هذه المناوشات الى بلغراد تدمر الاهالي وأظهروا العدواة للعثمانيين وحدث في غضون ذلك أن تعدى أحد الاهالي في ١٢ الحجة سنة ١٢٧٨ الموافق ١٠ يونيو سنة ١٨٦٢ على جندي عثماني فقتله الجندي وتعصب كل فريق لاحد الفريقين وحصلت مقتلة كادت تعم البلد فتدخل القائد العثماني بجنوده وبعد أن احتوى جميع المسلمين الساكنين بين النصارى في القلعة مع نسائهم وأطفالهم سلمت الباشا مدافع القلعة على المدينة وأطلقها عليها مدة أربع ساعات متواليات ثم تدخل القناصل بين الفريقين فابطلوا اطلاق القنابل وقبل الباشا اخلاء قره قولات المدينة واقتصر المسلمين على السكن داخل حدود القلعة وبعد هذه الحادثة أرسل البرنس ميشيل خطابا بتاريخ ١١ محرم سنة ١٢٧٩ الموافق ٩ يوليو سنة ١٨٦٢ الى اللورد ( رسل ) ناظر خارجية انكارترا يطلب منه التوسط لدى الباب العالي لحسم هذه النازلة فاجابه اللورد بما يؤخذ منه عدم تعضيد الحكومة الانكليزية له في طلباته وأنها تنصح له بالانصياع لاوامر الدولة صاحبة السيادة

ثم بناء على الحاح فرنسا والروسيا انعقد بالاستانة مؤتمر من مندوبي الدول الموقعة على معاهدة باريس وبعد مناقشات طويلة طلب في خلالها مندوب فرنسا انجلاء العثمانيين من قلعة بلغراد بدون أن يعضده باقي المندوبين بقرار بالاغلبية اخلاء قلعتين من الجنود العثمانية وبقائها في أربع قلاع فقط وهي بلغراد وسمندريه وفتح اسلام وشباتس وأن لا يتدخل القواد العثمانيون في ادارة البلاد الداخلية مطلقاً وأن يلزم المسلمون القاطنون خارج القلاع الاربع المذكورة ببيع ممتلكاتهم والمهاجرة عن البلاد أو الاقامة في حدود الحصون وعلى حكومة الصرب أن تدفع لهم تعويضات مالية عن ذلك وأمضى بذلك اتفاق بتاريخ ١١ ربيع أول سنة ١٢٧٩ الموافق ٨ سبتمبر سنة ١٨٦٢ أبلغ الى الصرب في ديسمبر من السنة المذكورة وغنى عن البيان أن تحظر الاقامة في الصرب على المسلمين من أقبح ضروب التعصب التي يرمينا بها الاوروبيون ولكن سيحفظ التاريخ هذه الحوادث الدالة على براءتنا منه واتصافهم به دون غيرهم

وفي سنة ١٨٥٨ حصلت عدة وقائع حربية بين أهالي الجبل وعساكر الدولة بسبب عدم الاتفاق على الحدود فتدخلت الدول ومنعت الحرب وعينت لجنة من مندوبيها ومندوب من طرف الدولة وآخر من حكومة الجبل لتفصل الحدود ففصلتها ثم قتل البرنس دانيلو في ٢٥ محرم سنة ١٢٧٧ الموافق ١٣ أغسطس سنة ١٨٦٠ عن بنت وأخ فاستلم زمام الاحكام البرنس نيقولا ابن أخيه ميركو ولما نسبة حصول بعض حركات ثورية في بلاد الهرسك ثار لمساعدتهم كثير من أهالي الجبل بإيعاز من البرنس ميركو فسيحتهم عمر باشا الذي أرسله الباب العالي لاختتام ثورة الهرسك ثم حاصر إمارة الجبل من جميع جهاتها وأمر البرنس نيقولا أن يحل الجيوش التي جمعها على الحدود والا يضطر هو وانفريقها ولما لم يصغ الامير لهذا البلاغ أغار عمر باشا على بلاد الجبل من ثلاث جهات في آن واحد وجعل الثلاث فرق تحت قيادة عبده باشا ودرويش باشا وحسين عوني باشا

وبهذه المناورة العسكرية المهمة التقت الجيوش الثلاثة في قلب الجبل بعد أن هزمت وفرقت كل ما وقف في طريقها ولم يكن بذلك للبرنس نيقولا بد من امضاء الشروط التي عرضت عليه من قبل عمر باشا للتوقيع عليها فامضاها رغم أنه في ٤ ربيع الاول سنة ١٢٧٩ الموافق ٣١ أغسطس سنة ١٨٦٢.

ومن أهم ما جاء بها أن لا يقيم ميركو والد البرنس نيقولا في بلاد الجبل مطلقاً وأن تبني الدولة حصوناً وقلعاً على الطريق الموصلة بين مدينة اشتودره وبلاد الهرسك مارة ببلاد الجبل وبدأت الجنود العثمانية على الفور في بناء حصن داخل بلاد الجبل على هذا الطريق الأمر الذي لم يسبق لها أصلاً في هذه البلاد

لكن تعرضت الدول لتنفيذ هذه المعاهدة بحجة انها بحجة بحق امة مسيحية وطلبت من الباب العالي بكل الحاح خصوصاً فرنسا والروسيا عدم ابعاد البرنس ميركو عن بلاده فتساهل شفقة منه لكنه صمم على بناء الحصون بالصنعة المشروحة ومع ذلك تخوفاً من تدخل الدول بالقوة كما حصل في بلاد الشام أعلن الباب العالي الامير في ٢٣ رمضان سنة ١٢٨٠ الموافق ٣ مارث سنة ١٨٦٤ أنه يتنازل عن بناء القلاع بأرضه مؤقتاً اذا تعهد الامير بحفظ هذه الطريق والتعويض مالياً عما يسلب من أموال التجار العثمانيين فاجاب الامير نيقولا هذا الطلب منشرحاً بما أن وجود الجيوش العثمانية في وسط بلاده يضعف استقلالها ويميت همهم وشجاعتهم

ولم يهدم العثمانيون القلعة التي أقيمت في وسط بلاد الجبل الا في محرم سنة ١٢٨١ الموافق يونيو سنة ١٨٦٤ بعد ان اقاموا على الحدود قاعة منيعة على قمة عالية تفصل مقدوفات مدافعها الى ابعاد شاسعة من بلاد الجبل وبذلك انتهت هذه الحروب وهدأت بلاد الهرسك أيضاً

❀ بلاد الصرب ❀ أنه بمقتضى المعاهدات السابقة ومعاهدة باريس الاخيرة المؤرخة ٣٠



الارسوخا وثباتا وقد أراحها هذا التداخل نوعاً ما بفصل بعض العناصر المغايرة للعنصر الاسلامي في الجنس والدين عنها فانها كانت أهم الشواغل للدولة مع عدم وصول أى فائدة منها اليها

ولندكر هنا قبل تفصيل ما حصل بالدولة من الاصلاحات تحت رعاية السلطان عبد العزيز ماجرى من المناقشات ودار من المخابرات بين الباب العالي والدول بشأن امارات الجبل الاسود والصرب والافلاق والبغدان فنقول

﴿ الجبل الاسود ﴾ أنه لما تجزأت مملكة الصرب الاصلية عقب موت الملك دوشان وقتل ولده أوروك استقل أحد أشرف الصرب ببلاد الجبل الاسود واسمها تشير ناجوره وجزء عظيم من بلاد الصرب وجعل مقرّ حكمه مدينة اشقودره ثم لما فتحها العثمانيون وطردوه منها تحصن بالجبل وبه أمكنه صد هجمات العثمانيين عنه لوعور المسالك وصعوبة المغاير وبذلك لم يتيسر للدولة ضم هذا الاقليم بنوع قطعى مطاقاً

وفي سنة ١٤٩٩ انتقلت حكومة الجبل الى أيدي رئيس الاساقفة وانحصرت السلطة الدينية والملكية في شخص واحد وابتدأت العلاقات بينه وبين الروسيا لاتحاد الدين والمذهب وبحسن سياسة الامبراطور بطرس الاكبر صارت هذه العلاقات الحبيبة شبيهة بتابعة سياسية اذ صار يتظلم اليه الاهالي لو اعتدى عليهم حاكمهم أو مسهم بسوء ونفس رئيس الاساقفة كان يتوجه عند تنصيبه الى مدينة سان بطرسبورج ليثبتته

القيصر في وظيفته الدينية بصفة رئيس ديني لجميع الارثوذكس ولما تعين البرنس (دانيلو) أو دانيال (١) حاكماً لهذا الجبل فصل السلطة الملكية عن

الدينية مع بقاء وظيفة رئيس الاساقفة في العائلة الاميرية ومن بعدها في أقدم العائلات الشريفة ولتجرد دانيلو عن الصفة الدينية تقرب من النمسا جارته لتساعده على حفظ استقلاله بما أن الدولة العلية أرادت اتخاذ هذا التغيير في حكومة البلاد سبباً للتدخل فيها وتقرير سيادتها عليها وأرسلت القائد الشهير عمر باشا لحرارة دانيلو سنة ١٨٥٣ قبل أن يشتغل بمحاربة الروسيا ولولا توسط النمسا والروسيا لاحتل عمر باشا جميع بلاد له لكن ظروف

الاحوال اضطرت الباب العالي لايقافه قبل تتميم مأموريته اتباعاً لمشورة أوروبا ولما انعقد مؤتمر باريس بعد انتهاء حرب القرم كما مر طلب الامير دانيلو من مندوبي الدول الاعتراف باستقلاله فلم يحظ طلبه قبولا لديهم بل نصحوه بالانقياد للدولة وهي في مقابلة ذلك تعطيها جزءاً قليلاً من بلاد الهرسك لتوسيع حدوده وتمنحه رتبة مشير وترتب له مرتباً مالياً على سبيل المساعدة فحقق لعدم نوال استقلاله لكنه التزم بالانصياع لنصائح أوروبا خوفاً من عدم مساعدتها له لو حاربه الدولة

(١) ولد هذا الامير سنة ١٨٢٨ وترى في مدينة وينا عاصمة النمسا وتولى بعد بطرس الثاني وتوفي

مقتولا سنة ١٨٦٠

الموضوعة وأن لا تتجاوز الصغار والكبار منها دائرة وظيفتها وحتماً كان محققاً لدينا أن الذين يسلكون في هذا الطريق يكونون مظهرًا للمكافأة كما أن الذين يوجدون في حركات مخالفة تحقيق بهم الحجازة وبناء على هذا كون الداعين والعباد والمأمورين جميعاً في دولتنا العلية أن يستقيموا في خدمتهم ويوفوا وظائف مأموريتهم بالصدقة هو من جملة أوامرها المؤكدة السلطانية ومن المسلم كون المصالح العظيمة الدولية قريناً لحسن النتيجة بتوفيق حضرة موفق الأمور وبإقدام أركان الدولة واتفاقهم وإن إيصال الأمور لدولتنا العلية ماكية كانت أو مالية إلى درجة الانتظام والمضبوطية إنما هو بكمال التثبت بهذه القاعدة المسماة يعني كونه منوطاً بالاهتمام والغيرة من طرف الجميع على وجه الاستقامة والخلوص ومن طرفنا نحن أيضاً منوط بالهمة والنظارة على أي وجه كان وبالاتباع التام من جانب كل دائرة وإدارة لهما الخصوصية السلطانية التي تصرف في حق اندفاع المشكلات المالية عن قريب بعون الله تعالى وهي التي عرضت منذ مدة ناشئة عن أسباب مختلفة وكذا يعلم بأنه لم يكن لذاتنا فكر وأمل سوى إعادة شأن دولتنا وزيادة اعتبارها بالمالي ورفهية أتباعنا الغرض المتعاقب من خصوص المتصرفات الكاملة في استحصال أموال الدولة وصرفها والاصلاحات الموجبة لوقايتها من التلف والسرف عبثاً والدقة في محافظة عساكرنا البرية والبحرية التي هي إحدى أسباب الشوكة لدولتنا العلية واستكمال رفاهيتهم في كل حال ومحل وصرف المجهود وقتاً فوقتاً في تأكيد المناسبات والموالات مع الدول الأجنبية الذين هم محبو سلطنتنا السنية وكذا الرعاية لأحكام المعاهدات المنعقدة مستمرة والحاصل أن علم الجميع بأن وظائف الاستقامة والعفة والصدقة والغيرة هي أساس العمل والباعث للفلاح والسلامة في إدارة الدولة في كل جهة وفروعها كل ذلك من إرادتنا الطوعية وإننا أعلن أيضاً حيث كان مرادى السلطان لا يقبل الاستثناء كان الذين هم من الأديان والأجيال المختلفة يرون عموماً من طرفنا لهم أبونى دقة متساوية في العدالة والتأمين والهمة وحسن الحال وأكرر أن التوسع التدريجي الذي هو ترقيات صحيحة توجب غبطة حال الجميع في ظل سلطنتنا لأسباب الثروة واليسار العظيمة التي أنعم الله بها على مملكتنا وكذا قضية الاستقلال المهمة لدولتنا العلية من أعز الأفكار عندنا وقتنا جميعاً الفياض المطلق بحرمة حبيبه الأكرم أمين في ٢٣ ذى الحجة سنة ١٢٧٧ هـ

ويؤخذ من نص هذا الأمر أن السلطان رحمه الله كان يود السير على خطة أسلافه من اصلاح الأحوال ومعاملة جميع الرعايا على السواء بدون نظر لجنسهم أو دينهم حتى لا يكون لدول أوروبا سبيل للتدخل في شؤون الدولة بحجة طلب هذه المساواة ثم أنشأ نشان شرف جديد لمكافأة من يقوم بخدمة الدولة والملة والدين بكل صداقة وأمانة ودعاه بالعثماني نسبة إلى السلطان الغازي عثمان الأول رأس هذه الدولة الحارسة الملحوظة بالعناية الربانية يحيطها سياج التعطفات الإلهية حتى أن تائب جميع الدول المسيحية عليها لم يزدها

دمشق الى بيروت

ثم عين بالاجماع من يدعى داود افندى الارمنى الجنس أميراً للجبل لمدة ثلاث سنوات لا يمكن عزله في خلالها الا باتفاق الدول وبذلك انتهت أيضاً هذه المسئلة بحسن مساعى فؤاد باشا كما انتهت باقى المسائل التى سبقتها ولو بكيفية مجحفة بحق الدولة الا أنه بهذا التساهل منع تدخل الدول بصفة شديدة وألزم فرنسا بسحب جيوشها من الشام وبعد خروج الجيوش الفرنسية من بيروت بعشرين يوماً توفى السلطان عبد الحميد خان وانتقل الى رحمة مولاه فى ١٧ ذى الحجة سنة ١٢٧٧ هـ الموافق ٢٥ يونيو سنة ١٨٦١ ودفن رحمه الله فى قبر أعد له فى حياته بجوار جامع السلطان سليم وعمره أر بعون سنة وكسور ومدة حكمه ٢٢ سنة ونصف وهو الذى أنشأ النيشان الحميدى العلى الشأن وقدمه على نيشان الافتخار الذى أسسه السلطان الغازى محمود الثانى وفى يوم موته بوع بالخلافة لاختيه

## ٢٢ « السلطان الغازى عبد العزيز هابه »

المولود فى ١٤ شعبان سنة ١٢٤٥ الموافق ٩ فبراير سنة ١٨٣٠ وفى ١٨ ذى الحجة سنة ١٢٧٧ الموافق ٢٦ يونيه سنة ١٨٦١ توجه فى موكب حافل الى ضريح سيدي أبى أيوب الانصارى وهناك تقلد السيف السلطانى على ما جرت به العادة ومنه سار لزيارة قبر السلطان الغازى محمد الثمانى فاتح الاستانة ثم قبر والده السلطان محمود الثانى رحمهم الله جميعاً وكانت فاتحة أعماله أنه أقر الوزراء فى مراكزهم ماعدا ناظر الجهادية رضا باشا فانه أبدل بنامق باشا وهالك ترجمة أمر بقاء الوزارة المؤرخ ٢٣ ذى الحجة سنة ١٢٧٧ الموافق ٢ يوليو سنة ١٨٦١ نقلا عن منتخبات الجوائب وزيرى سمير المعالى محمد أمين على باشا

قد صار هذه المرة بالارادة الازلية ارادة جناب مالك الملك جلوسنا على تخت أجدادنا العظام المؤيد بالسعادة والبخت ولكون درايتك وصداقتك من المحرب أبقى خطب الصدارة الجسم فى عهدة رويتك وكذا سائر الوكلاء والمأمورين مقررون على مناصبهم ثم انى باكمال سعادة الحال بمنه تعالى لدولتنا العلية واستحصال رفاهية الحال والراحة لاتباع سلطنتنا السنية اجمالاً بلا استثناء وبحصول هذه الامنية الخيرية وبكون القوانين الاساسية العادلة المؤسسة على تأمين النفس والعرض والمال لجميع سكان الممالك المحروسة مؤكدة ومؤيده من طرفنا أعلن ( ماذكر ) للجميع ومن حيث أن الشريعة الشريفة التى هى عدالة محضه مدار لتأييد السلطنة السنية وأساس لشوكتها حالة كون أحكامها المنيفة جميعنا دليلاً على طريق السلامة كانت الدقة الزائدة فى الامور الشرعية مطلوباً لنا قطعاً ولما كان الباعث لبقاء كل دولة ولتزايد شوكتها وراحتها كون رعيته مطاوعة للقوانين

فسافر هذا الشهم على جناح السرعة ووصل الى بيروت في ٢٨ الحجة سنة ١٢٧٦ الموافق ١٧ يوليو سنة ١٨٦٠ ومنها قصد مدينة دمشق في خمسة آلاف جندي وشكل مجلساً حربياً واحداً كم رؤساء الفتنة بكل صرامة وشنق كثيراً ممن ظهرت لهم يد عاملة فيها سواء كان من الدروز أو المسيحيين أو المسلمين أو من نفس كبار مستخدمي الحكومة وبذل همه في إعادة الامن الى البلاد

وفي أثناء ذلك اتفقت الدول على أن ترسل فرنسا الى الشام ستة آلاف مقاتل لمساعدة الجيش العثماني على إعادة السكينة لو عجز عن أدية هذه المهمة وفي ٢٢ محرم سنة ١٢٧٧ الموافق ١٠ أغسطس سنة ١٨٦٠ نزلت الجنود الفرنسية الى بيروت تحت قيادة الجنرال (دوبول) فوجدت السكينة ضاربة أطرافها في ربوع الشام ولم تجد سبيلاً لعمل أى حركة عسكرية لظهار شجاعتها ونظامها

وما يدل على تعنت الدول وتعهدهم مشاركة الدولة في أمورها الداخلية على أى حال اتفاقها في باريس بمقتضى اتفاق تاريخه ١٥ محرم الموافق ٣ أغسطس على انه يجوز ابلاغ الجيش المحتل الى اثني عشر ألفاً مع بقاء هذه الجيوش الى أن يستتب الامن ويجازى الساعون بالفساد على ما جنت أيديهم كان الدولة أهملت في مجازاتهم وفي ارجاع السكينة الى البلاد مع أنهم لم يكن ثم ضرورة لارسال جيش أوروبى الى الشام مطلقاً لقيام فؤاد باشا بمهمته أحسن قيام ومع ذلك صمم القائد الفرنسي على ارسال فرقة من ألف وخمسمائة جندي الى جبل لبنان لإعادة المارونية الى بلادهم وحمايتهم من تعدى الدروز واستمر الاحتلال الفرنسي الى ٢٧ القعدة سنة ١٢٧٧ الموافق ٥ يونيو سنة ١٨٦١ وفيه سحبت الجيوش الفرنسية آتية الى بلادها بعد ان أوهمت مسيحي الشام انهم هم من تعدى المسلمين المتعصبين المتوحشين على زعمهم ونهبت فرنسا ما أتته جنودها في بلاد الجزائر من الاعمال الفنية التي يابى القلم تسطيرها خصوصاً ما أتاه الجنرال بيليسيه من اعدام قبيلة بنسائها وأطفالها حرقاً داخل القار الذي التجأوا اليه

ولكن أبت سياسة أوربا بالمسيحية الاتعامي عن كل ما يأتونه مع الشرقيين وتجبس أقل حاد يحدث في الشرق ولو بايعازهم ترويحاً لسياستهم ونسوا أقوال المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام المسطرة في نسخ الانجيل المتداولة بين أيدي جميع الطوائف المسيحية القاضية بان يعامل الانسان غيره بما يريد أن يعامله الغير به

وفي أثناء ذلك انعقدت بمدينة بيروت لجنة أوروية مشككة من مندوبين معينين من قبل الدول الموقعة على معاهدة باريس وبعد مداولات طويلة اتفقوا مع فؤاد باشا على أن يعطوا للمسيحيين الذين حرقوا دورهم مبلغ خمسة وسبعين مليون قرش بصفة تعويض وأن يمنح أهالى الجبل حكومة مستقلة تحت سيادة الدولة العلية يكون حاكمها مسيحياً المذهب وأن يكون للباب العالي حامية من ثلثائة جندي تقيم في حصن على الطريق الموصل من



وبتولية ميشيل أميراً على الصرب بعد والده (ميلوش) الذي اتخذه نواب الاهالي في جمعيتهم العمومية المسماة اسكو بشينا حتى لا تدع للدول سبيلا للتدخل وجهه أرباب الغايات مساعيتهم الى بلاد الشام لاستعدادها لقبول بذور الفساد أكثر من باقي الولايات بسبب تعدد الجنسيات واختلافهم في الدين والمشرع ووجود العداوة بينهم خصوصاً بين المارونية والدروز ومساعدة فرنسا للمارونية ومساعدة انكارتا للدروز فقامت بينهم أسباب الشقاق ودواعي الخلاف الى ان تعدى المارونية بالقتل على الدروز في أواخر سنة ١٨٥٩ وقام الدروز للاخذ بالثار ثم امتدت الفتنة الى جميع أنحاء الشام وكثر القتل والنهب وحصلت عدة مذابح في طرابلس وصيدا واللاذقية وزحله ودير القمر ومنها الى مدينة دمشق الشام وامتاز الامير عبدالقادر الجزائري (١) بحماية كثير من المسيحيين فكافأته فرنسا بمنحه وسام اللجيون دونور (٢) من درجة جران كوردون واتهم الاوروبيون عثمان بك قائم مقام حصيبة بتسهيل المذبحة وكذلك اتهموا أحمد باشا والي دمشق بمساعدة الدروز وقتل كل من التجأ الى دار الحكومة من المسيحيين وأذاعوا هذه المقتربات على رجال الدولة في جميع الارجاع عموماً وتغريراً ليكون لهم سبب مقبول لدى الرأي العام في بلادهم اذا تدخلوا فعلياً وجرّ تدخلهم الى حرب عظيمة كحرب القرم

فعرضت فرنسا على الدول انها مستعدة لارسال جيوشها الى بلاد الشام لقمع الفتنة وبجائزة مثيريها وحماية المارونية فلم تقبل الدول هذا الاقتراح بادى الرأي خوفاً من عدم خروج فرنسا من الشام لو احتلتها عسكرياً وضحت أموالها ورجالها ولما حصلت مذبحه دمشق التي قتل فيها نحو ستة آلاف نسمة على ما يقولون أرسلت جميع الدول الى الباب العالي تهدده بالتدخل ان لم يضع خذاً لهذه الفتنة لكن بلاغهم لم تكن اشتراكية لعدم اتحادهم فجمع فؤاد باشا جميع الوزراء وأظهر لهم ضرورة تعزيز الجيش العثماني بهذه البلاد واتحاد الثغرة قبل أن يتفق الدول على التدخل عسكرياً فقرر رأييه بالاجماع وانتدب هو لقيادة الجيوش بها وبجائزة كل من تقطع ادايته

(١) هو الامير الجزائري الذي دافع عن بلاده حين احتلها الفرنسيون سنة ١٨٣٠ دفاعاً لم يسمع بمثله في بلاد الشرق التي وطئها الاجانب واستمر في دفاعه سبعة عشر سنة متوالية انتصر في خلالها عدة مرات واعتزله فرنسا وجميع الامم بالنسالة والشجاعة ولما استشهدت اغلب عساكره وكثر توارد الجيوش الفرنسية تباعا الى الجزائر وأيقن ان لا مناص له من التسليم سلم نفسه في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٤٧ الى القائد (لامورسيير) بعبان وعنده باسم فرنسا ان الحكومة لا تتعرض له مطلقاً بل تبيح له التوجه أينما يريد لكن لم يعترف نابليون الثالث بهذا الوعد بل سجنه نحو ستة عشر سنة وأفرج عنه سنة ١٨٦٣ بشرط أن لا يعود الى الجزائر وعين له مائة ألف فرنك سنوياً فهاجر الى مدينة بورصة ثم الى مدينة دمشق وبها أقام الى ان انتقل الى رحمة مولاه في سنة ١٨٨٣ جزاه الله عن الدين الاسلامي وجميع المسلمين خير الجزاء

(٢) هو نيشان أسسه بونابرت في ١٩ مايو سنة ١٨٠٢ حين كان قنصلاً أولاً قبل ان يصير امبراطوراً ويلقب نابليون الاول ولقد طرأت على نظام هذا النشان عدة تغييرات تبعاً لتغير هيئة الحكومة لكن لم يزل باقياً متعلقاً الاهالي به لانه يذكرهم انتصاراتهم العديدة على أوروبا

كريد فاصطادوا بها ضعاف العقول من اليونان بطعم الاستقلال والانضمام الى مملكة اليونان المستقلة فحصلت عدة وقائع سالت فيها الدماء بين المسلمين والمسيحيين وكادت الثورة تمتد بها لولا فضل تساهل وزراء الدول بعزل واليها وتعيين من بدعى سامي باشا مكانه لتقرر الامن وارضاء المسيحيين من سكان الجزيرة فرجعت السكينة الى ربوعها وأمكن فؤاد باشا أن يجابو سفراء الدول على ملاحظاتهم بخصوص هذه المسئلة أن لا يحق لهم بالتدخل حيث لا اضطرابات أو قلاقل توجب هذا التدخل الغير شرعى وبمجرد ما انتهت مسئلة كريد مؤقتاً كملهى عادة المسائل التى توجد بها الدول بدسائسها فى شرقنا حدثت فى مدينة جده نازلة أكثر أهمية من تلك وهى قيام المسلمين بها على المسيحيين فى يوليو من السنة المذكورة (١٨٥٨) وقتلهم بعضهم واصابة قنصل فرنسا وكتابة اصابة شديدة وقتل زوجته مما جعل بابا للاروبيين لرمينا بالتعصب الدينى فلما علم فؤاد باشا بهذه الحادثة لم يشعها بل أرسل من يدعى اسمعيل باشا ببعض الجند لتحقيقها ومجازاة القاتلين بالاعدام بدون طلب تصريح من الاستانة كما جرت به العادة لكن قبل وصول هذا المندوب علمت الدول بهذه المذبحة وأرسلت فرنسا وانكايترا الأتحة للباب العالى بالاشتراك بخبرانهما أنها أرسلتا مرأى كيهما اليها بتعليمات شديدة فاجابهم فؤاد باشا بان الدولة لم تهمل واجبها بل رخصت لاسمعيل باشا باجراء اللازم وان الدولة مستعدة لتعويضات الواجب دفعها لمن ختمهم ضرر بالاتحاد مع من تعينهم الدولتان لهذا الغرض

وفى هذه الاثناء أنى نامق باشا والى مكة الى جدة وقبض على المجرمين وحاكمهم فحكم على كثير منهم بالاعدام لكن لم يمكن تنفيذ هذه الاحكام الا بعد استئذان الدولة وفى غضون محاكمتهم وصلت الى ميناء جدة سفينة حربية انكايزية اسمها سيكوب وطلب ربابها من نامق باشا تنفيذ الحكم فوراً وأمهله أربعة وعشرين ساعة وان لم يعدم المحكوم عليهم يطلق مدافعه على المدينة ولما أجابه نامق باشا بعدم امكانه اجابة طلبه سلط مدافعه على هذه المدينة واستمر إطلاقهم اعليها نحو عشرين ساعة ولولا وصول السفينة المقلعة لاسمعيل باشا المندوب العثمانى لدمرت المدينة عن آخرها فانه لما وصل هذا المندوب أوقف ضرب النار ونزل ومعه العساكر العثمانية والانكايزية وأمر بشنق المحكوم عليهم بالاعدام فشنقوا وانتهت هذه المسئلة ورجعت العساكر الانكايزية الى سفينتهم بدون أن يجدوا علة للبقاء وما الفضل فى حسم كل هذه النوازل الا لفؤاد باشا صاحب رأى الصائب

وقد ظهر فضله واعترف به العدو قبل الصديق وجاهر كل ذى ذمة بأن هذا الرجل من أهم سياسى عصره فى مسئلة الشام التى حصلت فى سنة ١٢٧٦ الموافقة سنة ١٨٦٠ وأوجبت تدخلى الدول عموماً وفرنسا خصوصاً بحجة حماية المارونية وبيان ذلك أنه لما حسمت جميع المشاكل واستتب الامن نوعاً فى ولايتى الافلاق والبغدان وولايات الصرب والجبل الاسود بتساهل الباب العالى واعترافه بانتخاب كوزا واليا لولايتى الافلاق والبغدان معا

اطلاق الانكليز  
المدافع على مدينة  
جدة

حادثة الشام  
واحتلال فرسها

الدولة نفسها حتى لا تقوى على معارضتهم وتبقى كحاجز بين روسيا والبحر الابيض المتوسط ليس الا ولذلك ساعدت الدول ولايتي الافلاق والبغدان على انضمام كل لآخرى وتكوين حكومة شبه مستقلة تسمى حكومة الامارات المتحدة يكون لها أمير واحد ومجلس نواب تحت حماية جميع الدول وتأييد ذلك بوافق أمضى في باريس في ٢٩ محرم سنة ١٢٧٥ الموافق ١٩ أغسطس سنة ١٨٥٨ وانتخبت الولايات البرنس كوزا (١) أميراً لهما واعترف الباب العالي بهذا الانتخاب حسماً للنزاع ثم أوجدوا مشا كل كثيرة في بلاد الصرب والجبل الاسود سعيًا وراء منحهما الاستقلال تماماً وفصلهما كلية عن الدولة ولتكون هذه الولايات بمثابة موانع في طريق الدولة وعقبات بينها وبين ممالك أوروبا وشوا بذور الفساد في بلاد البوسنة والهرسك فاضطربت وقامت مطالبة بامتيازات كبلاد الصرب والجبل الاسود

ومما زاد في أحوال الدولة ارتباكاً تداخل الدول في الشؤون الداخلية ومنعها الدولة العثمانية من محاربة الثائرين بتهديدها بقطع العلاقات السياسية ونزول سفرائهم الى مراكزهم بل وارسال بعض السفن الحربية لتقرير مطالب الثائرين كما أرسلت فرنسا وروسيا مراقبيهما في سنة ١٨٥٨ الى سواحل الجبل الاسود لمنع الجيوش العثمانية من الدخول بهذا القطر ومعاينة أميره على مساعدة ثائري البوسنة والهرسك ومن ذا كله وما سنذكره يتضح جلياً أن الدولة كانت في أخرج المراكز لعدم وجود خلص لها أو صديق بين جميع الدول المسيحية المتألمة عليها سياسياً لضعفها وعرقلة جميع مساعيها الاصلاحية في داخلية بلادها وتداخلها في أمورها الداخلية المحضة حتى خيل للمتأمل أن سفراء الدول بالاستانة صاروا شركاء لوزراء الدولة في جميع الاعمال

وفي أوائل سنة ١٨٥٨ توفي الصدر الاعظم رشيد باشا وخلفه في هذا المنصب الخطير خصوصاً في هذه الظروف السياسي الشهير على باشا وولى فؤاد باشا وزيراً للشغال الخارجية وكان كل منهما على جانب عظيم من الحذق في الاعمال السياسية ومتحققاً من مقاصد أوروبا السيئة نحو الدولة الاسلامية الوحيدة فعملوا على تسوية جميع المسائل الداخلية بحكمة وسداد رأى حتى لم يدع لسفراء الدول حقاً في التداخل فلم يعض طويل زمن حتى عادت السكينة الى بلاد بوسنة وهرسك لوعدها لها باصلاح أحوالهم واستبدال العساكر الغير منتظمة الموجودة بها بجيوش منتظمة وكذلك انها بحكمتها مسألة الجبل الاسود بتحديد التخوم بمعرفة لجنة مشكلة من أربعة أعضاء فرنساوى وروسى وعثمانى وجبلى وقبل قرار هذه اللجنة مع اجحافه بحقوق السلطنة لکن لما كان السكون وانتظام الاحوال لم يروقاً أصلاً في أعين أعداء الدولة والدين ألقوا شباك مفاسدهم في جزيرة

(١) هو سياسي روماني ولد سنة ١٨٢٠ وترقى في جيش البغدان الى رتبة ميرالاي (كولونيل) ثم انتخب أميراً على ولايتي الافلاق والبغدان وأكره على الاستمقاء سنة ١٨٦٦ وانتخب مكانه البرنس شارل الموجود الآن

المعاهدة الحاضرة في أسرع وقت فأماتعين المدة واتخاذ الوسائل لاجراء ذلك فيرتب باتفاق بين الباب العالي وبين الدول التي تبوأت عساكرها تلك الارضين

المادة ٣٢ المتجر في جلب البضائع وارسالها الى الخارج يبق ما بين الدول كما كان من قبل الحرب الى أن تجدد المعاهدة التي كانت بين الدول المتحاربة من قبل الحرب أو تبدل بشروط أخرى وتكون رعاياهم معاملة في سائر الامور الاخرى أحسن المعاملة

المادة ٣٣ المعاهدة التي تمت هذا اليوم بين امبراطور فرنسا وملك مملكة بريطانيا العظمى واراندا وامبراطور جميع الروسيا من جهة جزائر الالاند تكون ملحقة بالمعاهدة الحاضرة وتبقى كذلك معمولاً بصحتها كأنها هي جزء متمم لها

المادة ٣٤ قد قرّر الرأي على اثبات هذه المعاهدة وتجري مبادلتها في باريس في مدة اربعة اسابيع او قبل ذلك اذا أمكن وبناء على ذلك علم عليها النواب المرخص لهم ووضعوا عليها أختام دولهم حرر في باريس في ٣٠ شهر مارس سنة ١٨٥٦ ( أسماء الذين وقعوا على ما ذكر )

كلارندون	بول شونستان هينر	يورغيني	ولوسكي
برلوكافور	اورلوف	هتر فدت	كولى منتوفل
	محمد جميل	على	وقيل لامارينا

مادة ملحقة بما تقدم شروط المعاهدة المتعلقة بالبواغين لما وقع عليه اليوم لا تكون جارية على سفائن الحرب التي في خدمة الدول المتحاربة لاخلاء الارض التي نبأتها العساكر وانما تكون معمولاً بها عقب الاخلاء حرر في باريس في ٣٠ شهر مارس سنة ١٨٥٦ أسماء الموقعين كما ذكر آنفا

وبعد امضاء هذه المعاهدة اجتمع المؤتمر في الخمسة أيام الاولى من شهر ابريل وقرر رفع الحصار البحري عن موانئ روسيا وأن تسحب فرنسا وانكرا وبيمونتي (سردينيا) عساكرها من بلاد القرم في مسافة ستة أشهر وأن يعطى للنمسا قدر هذه المدة لاخلاء ولايتي الافلاق والبغدان وثلاثة أشهر لتسلم مدينة فارص وقلعتها الى الدولة العلية وأن اللجنة التي تعين لفصل الحدود بين الدولة وروسيا في جهات بسارابيا تجتمع في أول رمضان سنة ١٢٧٢ الموافق ٦ مايو سنة ١٨٥٦ في مدينة غلاتس للبدء في عملها

ولما انتهت أعمال المؤتمر الذي اجتمع لاجلها اقترح عليه المسيو ولوسكي النظر في بعض الشؤون الاوروبية التي يخشى منها على السلم فقرر عدة أمور لا تدخل في موضوعنا فاضربنا عنها صفحا لعدم الاطالة

ولا يختر بيال أحد من حضرات القراء الافاضل أن هذه الحرب حصلت لحض صالح الدولة العلية بل لم يكن القصد منها سوى اضعاف روسيا وعدم توغلها في أراضي الدولة العثمانية ولما انتهت الحروب على حسب رغائب الدول أخذوا في إيجاد الاسباب الموجبة لضعف



المذاكرة مباشرة هي من العمل وذلك من دون إهمال ولا إهمال ويقرّر المقصد الأخير مع الدولة السائدة وبحضل الاتفاق عليه في باريس بين الدول المتعاهدة وبموجب خط شريف مطابق لشروط هذه المعاهدة بحرى تنظيم أحوال هاتين الولايتين فتجعل من الآن فصاعداً تحت كفالة جميع الدول الموقعة على هذه الشروط

﴿ المادة ٢٦ ﴾ قد قرّر الرأي على أن يكون في الولايتين المذكورتين عسكر أهلى يرتب لاجل تأمين داخل البلاد وحفظ تخومها فلا يورد مانع ما لترتيب غير اعتيادى لاجل الذب عن الوطن الا ما يدعى اليه الالهون بالاتفاق مع الباب العالى دفعاً لعدوان من يتناول عليهم من الاجانب

﴿ المادة ٢٧ ﴾ اذا وقع ما يوجب الخوف على سلب الراحة والطمأنينة داخل الولايتين يتفق الباب العالى مع الدول المتعاهدة على اتخاذ وسائل لدفع ذلك الخلل واقرار الطمأنينة ولا يكون مسوغ لمداخلة عسكرية من غير أن يقع عليه رضا الدول أولاً

﴿ المادة ٢٨ ﴾ أقليم الصرب يبقى متعلقاً بالباب العالى على وفق مضمون الخط الهمايونى الذى نص على حقوقه واعفاؤه ويكون من الآن فصاعداً تحت مجموع كفالة الدول المتعاهدة فمن ثم يحق للأقليم المذكور أن يحافظ على استقلاله بحكومة أهلية وبالحرية في الدين والاحكام والمتجر والأبحار (سفر البحر)

﴿ المادة ٢٩ ﴾ حق الباب العالى في اقامة الخفراء المحافظين كما تم الشرط عليه الآن في التنظيمات الداخلية هو مضمون ثابت فلا يكون مسوغ لمداخلة عسكرية في بلاد الصرب من دون أن يقع عليه رضا الدول المتعاهدة أولاً

﴿ المادة ٣٠ ﴾ امبراطور جميع روسيا وسلطان الدولة العثمانية يبقيان ضابطين لما هو في ملكهما في آسيا كما كان من قبل الحرب ومن أجل تدارك ما عسى أن يقع من القتل والقتل في ذلك يحقّ رسم الترخوم ويعدل من دون إيجاب ضرر على أحد الفريقين وهذه الغاية ترتب جماعة مؤلفة من مأمورين من طرف روسيا وآخرين من طرف الدولة العثمانية ومأمور فرنساوى وآخر انكليزى ويكون ارسالهم عتب استرداد السفارة بين ديوان روسيا والباب العالى ويجب انهاء أشغالهم في مدة ثمانية أشهر من ابتداء اثبات هذه المعاهدة الحاضرة

﴿ المادة ٣١ ﴾ البلاد التى تبوأتها في مدة الحرب جيوش امبراطور الفرنسيس وامبراطور أوسترى وملكة مملكة بريطانيا العظمى وارلاندا وملك سردينيا الى مدة المعاهدة التى ختمت في اسلامبول في ١٢ مارث سنة ١٨٥٤ بين فرنسا وبريطانيا العظمى والباب العالى

وفي ١٤ جون من السنة المذكورة بين أوسترى والباب العالى  
وفي ١٥ مارث سنة ١٨٥٥ بين سردينيا والباب العالى تحلى بعد مبادلة اثبات هذه

وبعد اطلاع الدول المتعاهدة على ذلك تجرى فيه مذاكرتهم جميعاً حتى اذا دؤنت لديها ماجرى تحكم بالماء المأمورية الاولى ومن ذلك الوقت فما بعده يكون للمأمورية الساحلية الراهنة ما كان للمأمورية الاوروبية من القدرة والتفويض

﴿ المادة ١٩ ﴾ من أجل تأكيد اجراء التنظيمات التي يرسمها باتفاق واحد على موجب الاصول المشروحة آنفاً يكون لكل من الدول المتعاهدة حق في أن ترسي دائماً في فوهات الطونه سفينتين خفيفتين

﴿ المادة ٢٠ ﴾ في مقايضة المدن والمراسي والاراضي على ما ذكر في المادة الرابعة من هذه المعاهدة الحاضرة رضى امبراطور جميع روسيا لاجل زيادة التامين على الحرية في سفر الطونه بتعديل تخم بلاده في بسارابيا فيكون هذا التخم الجديد من البحر الاسود على كيلومتر واحد من شرق بحيرة برناسولا ويتصل بطريق اكرمان الى وادي طراجان ويجاوز جنوب بلغراد ويستمر في طول مسافة نهر القلوبق الى علوسار تسيكا ويتصل بكاتامورى على بروت وعند الوصول الى هذا الحد لا يحدث تغيير على التخم القديم بين الساطنتين وتعين رسم هذا التخم الجديد يكون بمعرفة نواب من طرف الدول المتعاهدة ﴿ المادة ٢١ ﴾ الارض التي نخت عنها روسيا تكون ملحقة بولاية ملدافيا ( الافلاق ) تحت سيادة الباب العالي والسكان تلك الارض أن يتمتعوا بالحقوق والخصائص الممنوحة للولايات ويرخص لهم في مدة ثلاث سنين في نقل مواطنهم والتصرف في أملاكهم بلامانع ﴿ المادة ٢٢ ﴾ ولا يتاولا خيا وملدافيا أى الافلاق والبغدان ببقيان متمتعين تحت رئاسة الباب العالي وكفالة الدول المتعاقدة بالامتيازات والاعفاآت الحاصلة لهم الآن فلا مقتضى لان تحميلهم الدول المكافلة بحماية مخصوصة ولا يكون حق مخصوص للتعرض في أمورهم الداخلية

﴿ المادة ٢٣ ﴾ الباب العالي متعهد بان يحفظ لهاتين الولايتين ادارة أهلية مستقلة ويبقى لهم الحرية في الدين والاحكام الشرعية والمتاجر وسفر البحر والانهار وما عندهم الآن من القوانين والاحكام معمولاً به ينظر فيه ولهذه الغاية تجرد مأمورية مخصوصة يكون تالفها باطلاع الدول المتعاهدة واتفاقهم وتجتمع من غير ابطاء في بخارست ( بكرش ) مع مأمورية الباب العالي ويكون من هم هذه المأمورية البحث عن أحوال الولايتين وعرض القواعد اللازمة للتنظيم في المستقبل

﴿ المادة ٢٤ ﴾ سلطان الدولة العثمانية وعد بان يعقد في الحال في كل من الولايتين المذكورتين ديواناً مخصوصاً ويكون تالفه مبنياً على تأكيد ما فيه ايصال النفع والخير لجميع الناس على اختلاف درجاتهم ويطلب من كل من هذين الديوانين أن يبين مقاصد الاهلين واستدعاهم في شأن ترتيب الولايتين ونسبة تلك المأمورية الى هذين الديوانين تقرر في مجلس باريس ﴿ المادة ٢٥ ﴾ بعد ان تعتبر الآراء التي يبيدها الديوانان تنهى المأمورية الى مجلس

السفائن الخفيفة اللازم إبقاؤها في البحر الاسود لمصالح تلك السواحل فن ثم ينبغي أن يكون هذا الاتفاق ماحقاً بهذه المعاهدة الحاضرة ويكون معمولاً بصحته كأنه من مكملاتها فلا يلغى ولا يغير ما لم يقع عليه رضا الدول الموقعة على هذه المعاهدة

﴿ المادة ١٥ ﴾ من حيث قد تقرر في الشروط التي جرت في مجلس ويانه أصول وقواعد تختص بالسفر في الانهار الفاصلة بين عدة ممالك أو المارة فيها اتفقت الآن الدول المتعاهدة على أن تكون هذه الاصول جارية أيضاً في المستقبل على نهر الدانوب (الطونه) وفوهاته من دون فرق ورسمت بان هذا الشرط يعدّ من الآن فصاعداً من الحقوق العمومية لاهل أوروبا واتخذته تحت كفالتها ولا ينبغي أن يكون السفر في النهر المذكور عرضة لمانع ما ولا لتأدية ضريبة غير مقررة في الشروط المقيدة في المواد الآتية فن ثم لا يوجب جعل على مجرد السفر في النهر ولا ضريبة على الامتعة التجارية التي تكون في السفن أما ترتيب الشرطة والكورنتينة الذي يراد انشاؤه لاجل تأمين البلاد التي يفصلها هذا النهر أو يمتدّ تحتها فيكون اجراءه على وجه يفيد المراكب سهولة في السفر على قدر الامكان وما عدا هذا الترتيب فلا يحدث شيء من الموانع للسفر مطلقاً أياً كان

﴿ المادة ١٦ ﴾ من أجل تحقيق الشروط المذكورة في المادة المتقدمة تعقد مأمورية نواب من طرف فرنسا وأوستريا وبريطانيا العظمى وبروسيا والروسيا وسردينيا والبلاد العثمانية من كل واحد ويحال على عهدهم أن يرسموا ويجروا الاعمال اللازمة لازالة الموانع والعوائق من فوهات الطونه ابتداء من استشأ وكذا من أما كن البحر المجاورة التي فيها الرمل وغيره والمقصود بذلك جعل هذه المواضع في كل من النهر والبحر صالحة للسفر وخالية عن كل ما يعوقه على قدر الطاقة والامكان ومن أجل استيفاء المصاريف التي تقتضيها هذه الاعمال وانشاء ما يلزم انشاؤه لتيسير السفر وتأمينه عند فوهات الطونه يرسم أهل المأمورية بحسب أكثرية أصواتهم بنحو ضريبة معلومة وجعل موافق وذلك بشرط أن تعامل جميع مراكب الاجيال بالتسوية وهذا الاصل يجري في هذا المقصد كما في غيره

﴿ المادة ١٧ ﴾ تعقد مأمورية من نواب أوستريا وبافاريا والباب العالي وورتمبرغ من كل واحد وينضم اليها أهل مأمورية أقاليم الطونه الثلاثة التي يكون نصبها باستصواب الباب العالي وهذه المأمورية تكون راهنة دائمة ويختص بها (أولاً) أن تجري التنظيم اللازم لسفر النهر وللشرطة (ثانياً) أن تزيل الدواعي المانعة من اجراء الشروط التي تقررت في معاهدة ويانه على الطونه (ثالثاً) أن ترسم وتجري الاعمال اللازمة في جميع مجارى النهر (رابعاً) أن تحافظ بعد انقضاء مدة المأمورية الأوروبية الأوروبية على وقاية المراكب وتيسير سفرها في فوهات الطونه وفي غير ذلك من الأماكن المجاورة له من البحر

﴿ المادة ١٨ ﴾ قد صار من المعلوم أن المأمورية الأوروبية الأوروبية توفى عملها وان المأمورية الساحلية تتم الاعمال المقررة في المادة المتقدمة في القسمين الأول والثاني في مدة عامين

﴿ المادة ٨ ﴾ اذا حدث بين الباب العالى واحدى الدول المتعاهدة خلاف خيف منه على اختلال الفهم وقطع صلتهن فمن قبل أن يعمد الباب العالى وتلك الدول المنازعة له الى اعمال القوة والجبر يقيمان الدول الاخرى الداخلة فى المعاهدة وسطاء بينهما منعاً لما يأتى عن ذلك الخلاف من الضرر

﴿ المادة ٩ ﴾ سلطان الدولة العثمانية لعنانيته بخير رعاياه جميعاً قد تفضل باصدار منشور غايته اصلاح ذات بينهم وتحسين أحوالهم بقطع النظر عن اختلافهم فى الاديان والجنس وأخذ فى ذمته مقصده الحبرى نحو النصارى القاطنين فى بلاده وحيث كان من رغبته أن يبدى الاتن شهادة جديدة على نيتة فى ذلك عزم على أن يطالع الدول المتعاهدة بذلك المنشور الصادر عن طيب نفس منه فتتلقى الدول المشار اليها هذه المطالعة بتاكيد ما لها من النفع والفائدة ولكن المفهوم منها صريحاً أنها لا توجب حقاً لهذه الدول فى أى حال كان على أن تتعرض كلا أو بعضاً لما يتعلق بالسلطان ورعاياه أو بادارة سلطنته الداخلية

﴿ المادة ١٠ ﴾ الاتفاق الذى جرى فى الثالث عشر من جولاى (عوز) سنة ١٨٤١ وهو الذى تقرر فيه ما للسلطنة العثمانية من الترتيب القديم بخصوص سدّ البوغاز ومضيق جناق قلعة قد أعيد الاتن النظر فيه بمواطاة الجميع وما جرى من الحكم به لهذه الغاية على مقتضى الاصول ما بين أهل المعاهدة يلحق الاتن بهذه المعاهدة الحاضرة ويبقى معمولاً به كانه من متمماتها

﴿ المادة ١١ ﴾ البحر الاسود يكون على الحيادة (وفى الاصل نوتر) ومباحا للتجارة جميع الامم ويمنع مأوه ومراسيه منعاً دائماً عن السفن الحربية سواء كانت للدول التى لها تملك فى شاطئ البحر أو لغيرها ما عدا ما استثنى ذكره فى المادتين الرابعة عشرة والتاسعة عشرة من هذه المعاهدة

﴿ المادة ١٢ ﴾ التجارة فى مراسى البحر الاسود ومياهه مطلقة عن كل مانع فلا تكون عرضة لشيء سوى التنظيمات المختصة بالصحة ورسوم الكمارك والشرطة أعنى الضبطية ويكون اجراؤه على وجه يفيد التجارة تسهيلات واتساعاً ومن أجل تأمين المصالح المتجرية والبحرية التى يديرها جميع الناس ترخص الروسيا والباب العالى فى نصب قناصل فى مراسيمهم الكائنة على سواحل البحر المذكور على ما تقتضيه الحقوق المتداولة بين الامم

﴿ المادة ١٣ ﴾ حيث قد تقرر فى المادة الحادية عشرة أن البحر الاسود يكون على الحيادة لم يبق لزوم ولا غرض لانشاء مسافن (أى ترسانات) بحرية حربية ولا لابقائها فمن ثم تعهد امبراطور جميع الروسيا وسلطان الدولة العثمانية بان لا ينشأ ولا يقيم شيئاً من هذه المسافن فى ذلك الساحل

﴿ المادة ١٤ ﴾ قد اتفق امبراطور جميع الروسيا وسلطان الدولة العثمانية على تعيين عدد



سردينيا وساطان الدولة العثمانية أن في المصاحبة التي يؤول نفعها الى أوروبا ينبغي أن يدعى ملك روسيا الذي وقع على معاهدة سنة ١٨٤١ الى الاشتراك معهم في هذا التنظيم الجديد ولعلمهم بما يحصل من ذلك من زيادة الفائدة لتقوية هذا السعى الخيري طلبوا منه أن يرسل من قبله نوابا يفوض اليهم مطلق التصرف في المجلس المذكور فمن ثم ورد من طرفه مسيو اوثنو ثيودور بارون ما تنفيل ومسيو مكسميليان فريدريك شارلس فرنسوى كونت هنزفدت ولدنبرغ شونستان ثم بعد ان أبرزوا ما بأيديهم من الحررات المؤذنة بتفويضهم ووجدت صحيحة اتفقوا على هذه المواد الآتية

المادة ١ \* من يوم تاريخ الامضاء بقبول هذه المعاهدة الحاضرة يكون صلح ومودة بين كل من امبراطور الفرنسيين وملكة المملكة المتحدة من بريطانيا الكبرى وارلندا وملك سردينيا وساطان الدولة العثمانية من جهة ومن امبراطور جميع روسيا من جهة أخرى وكذا بين ورثتهم وخلفائهم ودولهم ورعاياهم على الدوام

المادة ٢ \* حيث قد حصل الفوز والمرام باستتباب الصلح بين المشار اليهم ينبغي أن تخلى البلاد التي فتحت في مدة الحرب أو التي تبوأ عساكرهم وذلك من كلا الطرفين ويجرى له ترتيب مخصوص في أسرع وقت

المادة ٣ \* قد تعهد امبراطور جميع روسيا بان يرسل سلطان الدولة العثمانية مدينة قارص وقلعتها وكذا سائر المواضع التي استولت عليها عساكر روسيا وهي من ملحقات بلاد الدولة العثمانية

المادة ٤ \* قد تعهد امبراطور الفرنسيين وملكة بريطانيا العظمى وارلندا وملك سردينيا وساطان الدولة العثمانية بان يرثوا الى امبراطور جميع روسيا مدائن سيفاستبول وبالقلافة وقاميش وبوبانورية وقرطش وبنى قلعه وكثيرون مع مراسيها وكذا سائر المواضع التي تبوأها عساكر الدول المتفقة

المادة ٥ \* يصدر عفوانا واف من طرف امبراطور الفرنسيين وملكة بريطانيا العظمى وارلندا ومن امبراطور جميع روسيا وساطان الدولة العثمانية لجميع الذين تصدوا من رعاياهم للاشتراك في وقائع الحرب والحزب مع العدو ومفهوم ذلك يشمل بالنص الصريح أى حزب كان من رعاياهم ممن حارب واستمر مدة الحرب في خدمة المحارب

المادة ٦ \* يرث من أخذ أسيراً في الحرب من كلا الطرفين على الفور

المادة ٧ \* قد صدر اعلان وتصريح من لدن امبراطور الفرنسيين وامبراطور اوستريا وملكة بريطانيا العظمى وارلندا وملك روسيا وامبراطور جميع روسيا وملك سردينيا بأن للباب العالي اشتراك في فوائد الحقوق الاوروبية العامة وفي منافع اتفاق أوروبا وقد تعهدوا بان يحترموا استقلال السلطنة التركية وابقاها تامة وتكفلوا جميعاً بالحفاظة على هذا التعهد وكل أمر يفضي الى الاخلال بذلك يعتبرونه من المسائل التي يبنى عليها مصالحة

في مدينة باريس لتقرير السلم نهائيا وأمضى بذلك اتفاق في مدينة ويانه بتاريخ ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٢٧٢ الموافق أول فبراير سنة ١٨٥٦ وانعقد هذا المؤتمر فعلا في باريس في يوم ١٨ جمادى الثانية الموافق ٢٥ فبراير المذكور والايام التالية واختار لرؤاسته الكونت (ولوسكى) (١) وزير خارجية فرنسا وتوالت اجتماعات هذا المؤتمر الى ٢٣ رجب سنة ١٢٧٢ الموافق ٣٠ مارت سنة ١٨٥٦ وفيه أمضيت جميع بنود معاهدة باريس الشهيرة التي أوصلت نابليون الثالث الى أوج فخاره وأعادت لفرنسا سابق مجدها اذ أنها لم تشترك في مثل هذه الحرب من عهد نابليون الاول وحفظت للدولة العلمية أملا كما من غوائل روسيا

واليك نص المعاهدة حرفيا نقلا عن الجزء الخامس من كنز الرغائب في منتخبات الجواب

﴿ بسم الله القادر على كل شيء ﴾

ان امبراطور النمسا والمملكة المتحدة من بريطانيا العظمى وارلاندا وامبراطور جميع روسيا وملك سردينيا وسيلطان البلاد العثمانية لرغبهم في انتهاء غوائل الحرب وتلافي ما نشأ عنها من الصروف والمكاره قرّ رأيهم على أن يتفقوا مع امبراطور اوستريا بمقتضى قواعد مقررة على استتباب الصلح وتوطيده وتعهدوا جميعا باستقلال السلطنة العثمانية وابقائها تامة ولهذا القصد نصب المشار اليهم نواباً عنهم مطابق التصرف فكان من طرف امبراطور النمسا الكسندر كونت كولونا ولوسكى ومسيو فرنسوى اودلف بارون دبورغيني ومن طرف امبراطور اوستريا مسيو شارلس فرديناند كونت دباشونستان ومسيو يوسف الكسندر بارون دهبير ومن طرف المملكة المتحدة من بريطانيا الكبرى وارلاندا الاكرم جورج ويليام فريديك كونت كلارندون وبارون هيدد هندون والاكرم هنرى رشارد شارلس بارون كولى ومن طرف امبراطور جميع روسيا مسيو الكسيس كونت ارلف ومسيو فليب بارون برونو ومن طرف ملك سردينيا مسيو كاملى ينسور كونت كافور ومسيو صلفاطور مركز فيلا مارينا ومن طرف سلطان الدولة العثمانية محمد أمين على باشا الصدر الاعظم في السلطنة العثمانية ومحمد جميل بك متسما بالنيشان المجيدى السلطانى من ثانى طبقة فاجتمع هؤلاء النواب المفوض اليهم ابرام الصلح تفويضا تاما في مجلس باريس وبعد أن وقع الاتفاق بينهم على هذا المقصد الحميد رأى امبراطور النمسا وامبراطور اوستريا ومملكة المملكة المتحدة من بريطانيا الكبرى وارلاندا وامبراطور جميع روسيا وملك

(١) سيابى فرنساوى ولد سنة ١٨١٠ ودخل الجيش الفرنسي بعد سنة ١٨٣٠ ثم اشتغل بالسياسة سنة ١٨٤٠ وعين سفيرا بلوندره سنة ١٨٥٤ ثم وزيرا للخارجية في السنة التالية واستمر بها خمس سنين وفي سنة ١٨٦٠ عين وزيرا للدفاع عن متروعات الحكومة أمام المجالس النيابية وفي سنة ١٨٦٥ عين رئيسا لمجلس شورى القوانين وتوفي سنة ١٨٦٨

١٨٥٤ تجيز له المخابرة وجعل أساسها الطلبات الدولية الاربع التي سبق ذكرها فقبلت الدول مع حفظ الحرية لها في الاعمال الحربية وانهقد مؤتمر جديد في ويانه في شهر فبراير سنة ١٨٥٥ حضره اللورد (رسل) من قبل انكلترا والمسيو دروان دي لويس (١) من قبل فرنسا والبرنس غورتشا كوف عن روسيا والسكونت (دي بول) عن النمسا والوزير على باشا عن الدولة العثمانية وبعد عدة اجتماعات متوالية انفض المؤتمر على أن لا شيء لأن المندوبين الفرنسيين والانسكازي طلبوا زيادة على الطلبات الاربعة الاصلية أن يكون البحر الاسود حراً لجميع الدول وأن لا يكون للروسيا فيه سوى غان مرآك حرية فقط فلم يمكن البرنس غورتشا كوف التصديق على ذلك تمسكاً بالأوامر المرسلة اليه وللمناسبة اشتغال روسيا بمحاصرة سباستوبول واشتداد الحروب حولها من جهة وحصولها على بعض انتصارات جزئية على أعدائها ابطلت في ارسال التعليمات الجديدة اليه طمعاً في تغير الاحوال وتحسينها فرفض طلبات الدول بطلب قوى لكن خاب ظنها فسقطت سباستوبول في ٢٥ الحجة سنة ١٢٧١ الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٨٥٥ وبذا تظاهرت باقي الدول ضدها خصوصاً مملكة السويد التي كانت تستعمل معها روسيا طرق التهديد والوعيد للحصول على بعض امتيازات تختص بالصييد على شواطئ النرويج فأبرمت مع فرنسا وانكلترا معاهدة هجومية ودفاعية ضد روسيا في ١٠ ربيع الاول سنة ١٢٧٢ الموافق ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٥٢ وأعلنتها رسمياً لجميع الدول وبذلك تحققت الروسية انه صار من المستحيل عليها الانتصار على جميع هذه القوى المتآلفة ضدها ومالت الى السلم قلباً وقالباً منتظرة أقل مفاتحة من الدول الغربية فتلبىها بالتبول

وفي أواخر سنة ١٨٥٥ عرضت النمسا على جميع الدول المتحدة بلسان ألكسندر الكونت (دي بول) أن يرسل الى روسيا بلاغاً نهائياً بطلبات الدول الاصلية مع ماسبق عرضه من الاقتراحات أثناء المؤتمر الذي انعقد أخيراً بمدينة ويانه في مارث وأبريل سنة ١٨٥٥ وان لم تجب روسيا جميع هذه الاقتراحات يستأنف القتال في ربيع سنة ١٨٥٦ بكل شدة وصرامة وتنضم الى الجيوش الحاربة جيوش النمسا ومملكة السويد والنرويج

فاقرت الدول على ذلك وقبلت روسيا هذه الاقتراحات الاكثر تأثيراً على نفوذها مما رفضته في السابق وبعد مخابرات طويلة تم الاتفاق على أن ينعقد مؤتمر سام جديد

(١) سياسي فرنساوى ولد بباريس سنة ١٨٠٥ وتربى بمدرسة اوزالكبير ولما أتم دروسه بدأه في الوظائف السياسية وفي سنة ١٨٤٩ عين سفيراً بلوندره وفي أثناء حكومة نابليون الثالث عين ناظراً للخارجية مرتين الاولى من سنة ١٨٥٢ الى سنة ١٨٥٥ واستعفى لمدم موافقته على حرب القرم لتحققه انها في صالح الانكليز ولم يعد منها على فرنسا أقل فائدة والثانية من سنة ١٨٦٢ الى سنة ١٨٦٦ واستقال أيضاً لرغبته تدخل فرنسا عسكرياً بين النمسا والبروسيا حتي لا تفوز البروسيا بالسيادة على جميع امارات ألمانيا واخراج النمسا من التحالف الالمانى وعدم موافقة الامبراطور له وتوفي سنة ١٨٨٠

جسم سيمسون وفي ١٢ الحجة سنة ١٢٧١ الموافق ١٦ أغسطس انتصر المتحدون في واقعة (تراكينو) وفي يوم ٣ الحجة الموافق ١٧ منه ابتداء إطلاق المدافع على حصن ملاكوف بدون انتطاع تقريباً إلى ظهر ٢٥ الحجة الموافق ٨ سبتمبر وفي اليوم المذكور احتل الجنرال (مالك ماهون) (١) الفرنساوي القلعة المذكورة بعد أن دافع عنها الروس دفاع الايطال واحتل الانكيز قلعة جران ريدان ثم انزمووا باخلائها بعد نسفها بالبارود لعدم امكانهم البقاء فيها لانهمال المقدوفات الروسية عليهم انهيال الامطار وفي مساء هذا اليوم المشهود أخلى الروس مدينة سباستوبول بعد أن أحرقوها عن آخرها وفي يوم ٢٦ الحجة الموافق ٩ سبتمبر احتلتها الجيوش المتحدة أو بالحرى احتلوا أطلالها

وبعد ذلك سارت الجيوش المتحدة نحو مدينة (قلمرون) فاحتلتها في ٢ صفر سنة ١٢٧٢ الموافق ١٤ أكتوبر وفي اليوم التالي هدم الروس قلاع مدينة أوتشاكوف وأخلوها قاصدين داخلية البلاد ولولا ابتداء فصل الشتاء الذي يأتي مبكراً بهذه البلاد لما وجدت روسيا من الجيوش ما يكفي لايقاف أعدائها عن مدينة (كيف) المقدسة لديهم

هذا وفي أثناء سنة ١٨٥٥ أطلقت دوناتات فرنسا وانكثرتا قنابلها على عدة ثغور في بحر بلطيق وعطأت التجارة الروسية بالمرّة وكذلك حاصرت مدخل البحر الأبيض الشمالى ومنعت المراكب التجارية من الدخول فيه بالكلية وفي المحيط الباسفيكى احتلت الجيوش المتحدة ميناء (بتروبولوسك) الشهيرة التي ستكون في المستقبل من أهم ثغور العالم بعد امتداد الخط الحديدى المشروع في مدّه في أراضي سيبيريا لتوصيلها بأوروبا ولم يكن للروسيا سلوان عن جميع هذه المصائب المتوالية الاستيلاؤها على قلعة قارص المعلومة الواقعة على حدود آسيا الصغرى في ١٨ ربيع الاول سنة ١٢٧٢ الموافق ٢٨ نوفمبر سنة ١٨٥٥

وبعد ذلك لم تحصل وقائع حربية مهمة بل دخلت المسئلة في دور سياسى لتحقيق اسكندر الثانى عدم الفوز خصوصاً وان النمسا قد أظهرت له العداوة جهاراً بعد سقوط سباستوبول وانضمت مملكة السويد الى التحالف الاوروبى ضدها وبيان ذلك أن البرنس غورتشاكوف السفير الروسى بويانه أتمته تعاليماتى وأواخر سنة

(١) ولد هذا القائد الشهير سنة ١٨٠٨ وخرج في مدرسة سان سير الحربية وترقى الى رتبة ملازم ثاني سنة ١٨٢٧ ثم ترقى تدريجاً الى أن وصل الى رتبة فريق سنة ١٨٥٢ وفي سنة ١٨٥٩ أتمع عليه برتبة مارشالي (مشير) واليه يرجع معظم الفخر الذى حازته فرنسا في موقعة (ماجنتا) بإيطاليا في ٤ يونيو سنة ١٨٥٩ ولذلك منحه نابليون الثالث لقب (دوك دى ماجنتا) وفي ٢٤ مايو سنة ١٨٧٣ انتخب رئيساً للجمهورية الفرنسية عقب استقالة السيد (تيرس) وفي ٣٠ يناير سنة ١٨٧٩ قدم استقفاه الى مجلس النواب لظروف ومناسبات سياسية وبقي معتزلاً الاعمال الى أن توفي في ١٧ أكتوبر سنة ١٨٩٣



هذا وفي ٧ جمادى الاولى سنة ١٢٧١ الموافق ٢٦ يناير سنة ١٨٥٥ أمضى  
فكتور عمانويل (١) ملك البيمونتي بإيطاليا بمساعي وزيره الشهير المسيودي كافور (٢)  
معاهدة هجومية ودفاعية ضد روسيا وأرسلت الى بلاد القرم جيشاً مؤلف من ثمانية عشر  
ألف مقاتل تحت إمرة الجنرال (لامارمورا) للاشتراك في فتح قلعة سباستوبول واذلال  
الروسيا واستمرت المناوشات بدون كثير فائدة لاحد الطرفين ثم حصل خلاف بين اللورد  
(رجلان) القائد العام الانكليزي والجنرال (كانرور) القائد العام الفرنسي أفضت  
الى تنازل القائد الفرنسي في ٢٢ شعبان سنة ١٢٧١ الموافق ١٠ مايو سنة ١٨٥٥ عن  
القيادة العامة واكتفائه بقيادة فرقة ونيطت قيادة الجيش الفرنسي الى الجنرال بليسيه  
الذي اشتهر في الجزائر بمعاملة المسلمين بكل شدة وتوحش وهو بعد قليل اتفق مع اللورد  
رجلان واحتلوا مدينة (كريش) وبوغاز بريكوب وبحر آذاق لينعوا وصول المدد  
الى سباستوبول ومن ذلك الحين أيقن الجميع بقرب سقوط سباستوبول ففي ٢١  
رمضان سنة ١٢٧١ الموافق ٧ يونيو سقطت القلعة المعروفة بالقمة الخضراء  
(ماملون فير) وفي ٢ شوال الموافق ١٨ يونيو هاجم الفرنسيون حصن (ملاكوف)  
وعادوا بدون أن يتمكنوا من الاستيلاء عليه بعد أن توفي كثير منهم وكذلك لم يفلح الانكليز  
في هجومهم في اليوم المذكور على قلعة (جران ريدان) وبعده هذه الخيبة بعشرة أيام توفي  
اللورد رجلان بالكوليرا وشيعت جنازته باحتفال زائد وأرسلت جثته لتدفن ببلاده بما  
يليق لها من التمجلة والاكرام وخلفه في القيادة العامة على الجيوش الانكليزية الجنرال

لبلايه وفتح مدينة سمرقند وأخضع امارات خيوة وبخارا وخوقند وغيرها من بلاد آسيا وفي سنة ١٨٦٣  
سلب امتيازات بولونيا وفي سنة ١٨٧٦ ساعد الصرب على مجاربة الدولة العلية ثم أعلن الحرب عليها  
وبعد عدة انتصارات أفضى معها معاهدة برلين في ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ اسكن رغما عن اصلاحاته العديدة  
امتدت فروع حزب النهرست في آياه وسعوا في قتله مراراً وقتلوه أخيراً في ١٣ مارس سنة ١٨٨١ وخلفه  
ابنه اسكندر الثالث الذي توفي في أول نوفمبر سنة ١٨٩٤ وتوفي بعده ابنه نقولا الثاني الموجود الان  
(١) هو محرر إيطاليا من ربة الاجانب وموجد وحدتها ولد سنة ١٨٢٠ وعين ملكاً بعد استقالة  
والده شارل البرت عقب انضمامه أمام جيوش النمسا في ٢٣ مارس سنة ١٨٤٩ ومن ثم اتحد مع وزيره  
الاول المسيودي كافور انضم شتات إيطاليا فتحد مع نابليون الثالث وحاربا انتمسا وأخذ منها اقليم لومبارد  
ثم انضم اليها أغلب ولايات إيطاليا الوسطي ولم تأت سنة ١٨٦٦ الا وانضمت جميع أجزاء إيطاليا امدا  
مدينة رومه وفي ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٧٠ دخلها الايطاليون وبذلك تمت وحدتها وصارت رومه عاصمة  
ها وتنازل لفرنسا عن مدينة نيس وولاية سافوا نظير مساعدتها له وتوفي سنة ١٨٧٨

(٢) هو السياسي الشهير الذي له اليد الطولي في توحيد إيطاليا واليه يرجع معظم الفخر في جمع شتاتها  
ولد سنة ١٨١٠ بمدينة تورينو بإيطاليا وخدم أولاً في العسكرية ثم تركها واشتغل بالعلوم السياسية  
والاقتصادية حتى عين وزيرا للتجارة سنة ١٨٤٩ وأضيفت الي عهده وزارة المالية أيضاً في سنة ١٨٥١  
وفي السنة التالية صار رئيساً لمجلس الوزراء وتوفي في ٦ يونيو سنة ١٨٦١ قبل ان يرى نتيجة أعماله  
وقبل وفاته زاره الملك فكتور عمانويل فإوصاه باحتلال رومه مع عدم مس استقلال البابا فيما يختص  
بالامور الدينية فاحتلها في ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٧٠ أثناء اشتغال فرنسا بمجاربة ألمانيا

جوزيف برفضها لكن لم يصغ هذا الاخير لالحاحه بل صدق عليها نهائياً في ١١ ربيع أول سنة ١٢٧١ (٢ دسمبر سنة ١٨٥٤) وأعلن البرنس (غورتشا كوف) الذي خلف الميسو (مياندورف) في سفارة روسيا بمدينة ويانه انه ان لم تقبل روسيا الصلح قبل ختام السنة وتتعهد للدول الاربع بطلباتها وهي

﴿ أولاً ﴾ عدم استئثار روسيا بحماية مسيحيي الدولة العلية وحماية ولايتي الافلاق والبغدان

﴿ ثانياً ﴾ حرية الملاحة لجميع الدول في نهر الطونة

﴿ ثالثاً ﴾ تعديل المعاهدات المختصة بالمرور في بوغازات الاستانة وخصوصاً معاهدة سنة ١٨٤١

﴿ رابعاً ﴾ وضع قاعدة جديدة لتوازن القوى في البحر الاسود فتكون هذه المعاهدة الثلاثية الجديدة نافذة المفعول فاطهر البرنس غورتشا كوف ارتياحه لاجابة هذه الطلبات غير أنه اعتذر بعدم وجود تعليمات لديه تبيح له التصديق عليها وطلب مهلة قليلة لتبليغ صورة هذه الطلبات لدولته وطلب تعليمات جديدة منها ثم في ٢٨ دسمبر اجتمع سفراء انكترا وفرنسا والروسيا والنمسا عند وزير خارجية ويانه وقرروا اعطائه المهلة المطلوبة وبذلك انتهت هذه السنة والامال متجهة نحو الوصول الى صلح عمومي يكون وراءه حقن دماء العباد واستمرت الاستعدادات حول سياستو بول وداخلها مدة الشتاء وفي ٢٩ جمادى الاولى سنة ١٢٧١ الموافق ١٧ فبراير سنة ١٨٥٥ هاجم الروس العثمانيين ومن كان معهم من الجنود المصرية التي أرسلت من مصر للمساعدة وقت الحرب طبقاً للقرمانات في مدينة أوبانوفافردهم عمر باشا القائد العثماني على أعقابهم بعد أن قتل منهم عدداً عظيماً وقتل في هذا اليوم سليم باشا الشهير بابي طربوش قائد الفرقة المصرية ومما جعل لهذه الواقعة تأثيراً شديداً على الامبراطور نقولاً أن الجيوش الاوربية لم تساعد العثمانيين فيها بل كان النصر بمجرد فضل الجيوش الاسلامية التي كثيراً ما فازت على الروس وغيرهم بالغلبة ويقال ان ما أصاب الامبراطور الروسي من الكدر عقب هذه الكسرة كان من أكبر دواعي المرض الذي أصابه في ١٠ جمادى الثاني الموافق ٢٨ فبراير من السنة المذكورة فلم يمض له الا ثلاث ليال وأخذه برمسه في صبيحة ١٢ جمادى الثاني الموافق ٢ مارت عن تسع وخمسين سنة بعد أن حكم روسيا وملكها ثلاثين سنة وخلقه على سرير الملك ابنته اسكندر الثاني (١)

(١) ولد هذا الامبراطور سنة ١٨١٨ وتولي الملك في ٢ مارت سنة ١٨٥٥ بعد موت أبيه الامبراطور نيقولا فتم حرب القرم وأمضى معاهدة باريس في ٣٠ مارت سنة ١٨٥٦ ثم أخذ في اصلاح الشؤون الداخلية والاستعداد للاخذ بالتار فجعل التعليم والخدمة العسكرية اجبارية وفي سنة ١٨٦١ أصدر أمراً بعدم استرقق المزارعين وتعليمهم منفعة الاراضي التي يزرعونها مقابل دفع جعل معين للملاك الاصليين وأجاز لهم شراء العين وبيع اقليم الاسكابامريكا الى حكومة الولايات المتحدة بخمسة وثلاثين مليون فرنك ليتفرغ

الجيوش وقتلت جثته على السفينة الحربية التي أفلته عند مجيئه من فرنسا الى الاستانة حيث كانت امرأته بانتظاره فاجريت له التعظيمات العسكرية اللافئة برتبته ومنها الى مرسيليا فباريس ودفن في سراى الانفاليد (١)

وفي يوم ١٦ اكتوبر من السنة المذكورة قررت الحكومة الفرنسية اعطاء امرأته بصقة استثنائية مبلغ ٢٠ ألف فرنك سنويا معاشا لها

وفي ١٧ محرم (١٠ اكتوبر) ابتدئ اطلاق النار على سياستوبول وفي ٢٤ محرم (١٧ اكتوبر) هوجمت بكل شدة بدون جدوى اذ تم هزيمت الجيوش المتحالفة أمام العدو وخرج خلفهم الجنرال (لبراندى) قاصداً مدينة بلكلاوا وارتد على أعقابهم بعد موقعة هائلة حصلت في ٢ صفر سنة ١٢٧١ (٢٥ اكتوبر)

وفي ١٣ صفر (٥ نوفمبر) خرج الروس من قلاعهم وهاجموا الجيش الانكليزي على مرتفعات (انكرمان) وكان الانكليز لا يتجاوز عددهم عشر الروس لكنهم ثبتوا حتى أسعفهم الفرنسيون والعثمانيون بالنجدة فعاد الروس بخفي حنين وهذه الموقعة شهيرة في التاريخ الحربي لما أناه خيالة الانكليز ومشاتهم من الثبات وقوة الجأش وبعد ذلك أوقف القتال بسبب دخول البرد وانتشار الامراض في الجيوش المحاصرة واستمرت أعمال الحصار والدفاع حول مدينة سياستوبول وداخلها

وفي هذه السنة أرسلت فرنسا وانكلترا دوناتهما الى بحر بلطيق والبحر الابيض الشمالى والاوقيانوس الباسيفيكي لضرب الثغور الروسية لكن لم تعد هذه الارسلات البحرية بفوائد تعادل مصاريفها فقط استولى الاميرال (نايير) الانكليزي في ٢٢ القعدة سنة ١٢٧٠ (١٦ أغسطس سنة ١٨٥٤) على جزيرة (رومرسند) في بحر بلطيق بمساعدة القائد الفرنسي براجي ديليه وأسر حاميتها

وفي أواخر هذه السنة دارت المخابرات ثانياً في مدينة ويايه للوصول الى الصلح وايقاف اضرار الحرب قبل اشتدادها وذلك أن فرنسا وانكلترا عرضتا على النمسا أن تتحد معهما ضد روسيا بمعنى انها تتعهد بحماية ولايتي الافلاق والبغدان ضد روسيا وأنه لا يجوز لاحدى الدول الثلاث المخاطرة مع روسيا الا باطلاع حليفتيها الاخيرتين وأن فرنسا وانكلترا

يساعدان النمسا بالقوة لو أعلنت الحرب بينها وبين روسيا بسبب هذه المعاهدة فقبلت النمسا هذه الاقتراحات مبدئياً وعرضتها على ملك بروسيا اتبعا لشروط الوفاق الذي عقد بينهما في برلين وسبق ذكره في موضعه فلم يقبلها فريدريك غليوم بل ألح على فرنسا

في ألمانيا مع المارشال بازين وبعد انتهاء الحرب اشتغل بالسياسة نوعا مع حزب البونابرتين وتوفي في ٢٨ يناير سنة ١٨٩٥

(١) تأسست هذه السراى سنة ١٦٧٠ في عهد الملك لويس الرابع عشر لتكون ملجأ لمن يصاب بامراض دائمة من الجند أثناء الحرب تمنحه من القيام بالخدمة وكان تأسيسها عن طلب الوزير لوفوا ودفنت بها جثة نابليون الاول حينما نقلت في سنة ١٨٤٠ من جزيرة سانت هيلانة التي توفي بها

أخلتها روسيا وأن تحدد معها في محاربة روسيا لواجتازت جيوشها جبال البلقان  
وبمقتضى هذه الاتفاقات دخلت جيوش النمسا في هاتين الولايتين بمجرد انسحاب  
جيوش روسيا منها أولاً بأول ولم تعترض روسيا ضد هذا الاحتلال خوفاً من اغصاب  
النمسا ودخولها في التحالف المنعقد ضدها لتفضيلها وجود جيوش النمسا فيهما على وجود  
الأتراك أو الفرنسيين لعدم ميل النمسا للحرب ورجوع جيوش روسيا خلف نهر البروث  
وحيلولة جيوش النمسا بينها وبين نهر الطونة زال الخوف من هذه الجهة ثم اجتمع قواد  
الجيوش المتحالفة في مدينة ورنه في ٢٥ شوال سنة ١٢٧٠ (٢١ يوليو سنة ١٨٥٤)  
بصفة مجلس حربي وقرروا ضرورة نقل ميدان القتال في أراضي روسيا لاسيما وقد تفشت  
الكوليرا بين عساكرهم وأجمعوا على ارسال العساكر الى بلاد القرم ومحاصرة ثغر  
سيباستوبول الشهير بمناعة حصونه وقلاعها فأرسلت الى بحيث جزيرة القرم ستين ألف  
جندى من الفرنسيين والأتراك والآنكليز والمصريين أنزلوا في فرضة (إباتوريا) في  
٢٠ الحجة سنة ١٢٧٠ الموافق ١٣ سبتمبر سنة ١٨٥٤

وفي ٢٧ الحجة (٢٠ سبتمبر) حصلت أول موقعة بينهم وبين جيوش روسيا كانت  
الدائرة فيها على روسيا واحتل الفرنسيون عقبها المرتفعات المشرفة على نهر (المال) ويقال  
ان المارشال دي سانت ارنو ضرب خيمته في نفس المحل الذي كانت فيه خيمة القائد  
الروسي البرنس منشيكوف

ولم تتبع الجيوش المتحالفة عساكر روسيا في انكسارها وتقهقرها نحو مدينة  
سيباستوبول بل تربصت في مكانها ويقول العارفون انها لو اقتفت أثرها لدخلت المدينة  
بدون كثير عناء لعدم تأمل استحكاماتها لكن منع المتحالفين عن ذلك اعتقادهم في قوة  
الروسيا ومناعة المكان

وفي ٣ محرم سنة ١٢٧١ (٢٦ سبتمبر) هاجم المتحالفون فرضة (بلاكلاوا) ودخلوها عنوة  
في يوم ٥ محرم (٢٨ سبتمبر) لاحتياجهم اليها كميناً أميناً لنزول الجنود والمؤن والذخائر الآتية  
لهم من أوروبا وفي أثناء ذلك أمكن الروس ان يقيموا تحصين مدينة سيباستوبول براً وبحراً  
بكيفية جعلت الاستيلاء عليها من المستحيلات بهمة القائد الشهير تودلين (١)

وفي ٦ محرم (٢٩ سبتمبر سنة ١٨٥٤) توفي المارشال دي سانت ارنو قائد عموم الجيوش  
الفرنساوية وأخلفه الجنرال كانزوبر (٢) وكان موته بسبب الحميات التي تفشت في

(١) قائد روسي ولد سنة ١٨١٨ وتعلم الفنون الحربية في مدرسة أركان حرب وابتدأت شهرته في بلاد  
القوقاز سنة ١٨٤٨ وازدادت في أقامة الحصون والاستحكامات حول سيباستوبول تحت نيران الاعداء  
وفي سنة ١٨٧٧ ولي ادارة حصار بلغنه ففتحها كما ستري وتوفي في سنة ١٨٨٤

(٢) ولد هذا القائد الشهير في سنة ١٨٠٩ ودرس الفنون الحربية في مدرسة سان سير وترقي منها الى  
رتبة ملازم ثاني وفي يناير سنة ١٨٥٠ ترقى الي رتبة لواء وفي سنة ١٨٥٣ أعطي اليه رتبة فريق وفي  
١٨ مارس سنة ١٨٨٦ ترقى الي رتبة مشير (مارشال) واشترك في حرب ايطاليا سنة ١٨٥٩ وأخذ أسيراً



بضرب الثغور الروسية الواقعة على البحر الاسود فقام بهذه المامورية وفي أثناء ذلك أعلن  
الامبراطور نقولا الحرب على الدول المعادية له في ١٣ رجب سنة ١٢٧٠ (١١ ابريل  
سنة ١٨٥٤)

وأصدر أوامره الى المارشال برنس (بسكيفتش) قائد الجيوش المعسكرة على ضفة نهر  
الطونة الايسر بعبور النهر ومحاصرة مدينة (سليستريا) فصعد المارشال بالامر وحاصر  
المدينة مدة خمسة وثلاثين يوما من ١٥ مايو الى ٢٠ يونيو سنة ١٨٥٤ (من ١٧ شعبان  
الى ٢٣ رمضان سنة ١٢٧٠) بدون أن يقوى على ادخالها مع ان الجيش المحاصر  
كان مكونا من ستين ألف مقاتل ولم يكن بداخلها من الجنود العثمانية الا خمسة عشر ألفاً  
(ضمنهم كثير من المصريين) تحت قيادة موسى باشا من مشاهير قواد الدولة الذي  
استشهد في الدفاع عنها

ولما علم محالفو الدولة بتلك المقاومة التي أوقعت في قلوبهم اعتبار الجنود المظفرة وألزمهم  
الاعتراف بشجاعتهم وقوة بأسهم زحفوا بجيوشهم الى مدينة ورنه بقصد مد يد المساعدة  
الى المدينة المحصورة لكن لم ينتظرهم المارشال الروسي بل رفع الحصار عن المدينة وعاد  
بجنح حنين فاقتفى عمر باشا أثره وعبر نهر الطونة خلفه بعد ان هزم مؤخر جيشه عند  
مدينة (جورجيو) وكان في عزمه احتلال ولايتي الافلاق والبغدان عقب جيوش  
الروسيا التي كانت ابتدأت في اخلائها لكن كانت الجيوش النمساوية قد احتلتها ومنعت عمر  
باشا من اتباع عساكر روسيا حتى اجتازت نهر البروث الفاصل بين الولايتين وأملك  
الروسيها بسلام

ولنذكر هنا بطريق الايجاز المخابرات السياسية التي أدت الى احتلال النمسا للولايتين  
سبق شرحنا علاقات النمسا والروسيا ومقابلة الامبراطورين في مدينة أولتس (١) وأبنا  
أن النمسا كانت لا تودّ مساعدة روسيا كما صرح بذلك امبراطورها ولكنها من جهة  
أخرى لا ترغب مساعدة الدول الغربية بل غاية أمانها أن تكون حكماً بينهم وتبذل  
قصارى جهدها في عدم امتداد أملاك روسيا من جهة الطونة وأن تجعل لنفسها نوع سيادة  
على جميع البلاد الواقعة على ضفافه ولذلك بمجرد ما علمت باتفاق الاستانة ولوندره أبرمت  
مع البروسيا اتفاقا بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١٢٧٠ الموافق ٢٠ ابريل سنة ١٨٥٤ بان تسير  
باتفاق في المسئلة الشرقية وبلغت صورته للدول

وفي ١٧ رمضان سنة ١٢٧٠ الموافق ١٤ يونيه من السنة المذكورة اتفقت فرنسا وانكترا  
والدولة العلية مع النمسا على ان تحتل الجيوش النمساوية ولايتي الافلاق والبغدان اذا

(١) مدينة بيلاد النمسا يبلغ عدد سكانها عشرين ألفا وبها مدرسة جامعة قديمة العهد جداً أسست  
سنة ١٢٥٧ ثم نقلت الي مدينة برون سنة ١٧٧٨ وأعيدت الي أولتس ثانية سنة ١٨٢٧ ولم تزل بها  
حتى الآن

وفي ١٢ رجب سنة ١٢٧٠ الموافق ١٠ ابريل من السنة المذكورة اتفقت فرنسا وانكيترا بتمتضي معاهدة مخصوصة أمضيت في مدينة لوندريه على انهما يحفظان أملاك الدولة العلمية ويمنعان ضم أى جزء منها الى بلاد روسيا وأن يقدم ما يلزم لذلك من المال والرجال لو دعى الحال لارسال جيوش أكثر من المقرر في معاهدة الاستانة وأن لا يتخابر احدهما مع روسيا بشأن الصلح أو توقيف القتال الا بالاتفاق مع حليفتهما وبعد ذلك أخذت الدولتان المتحالتان في جمع الجيوش وما يلزم لها من المؤن والذخائر والسفن اللازمة لنقلها وجعلت الجيوش الفرنسية تحت قيادة المارشال دى سانت ارنو (١) والانكليزية تحت امرة اللورد رجلان (٢) ونزلت الجيوش المتحدة في غضون ابريل ومايو سنة ١٨٥٤ في فرضة غاليلوى والاستانة

وقبل وصول الجيوش البرية كان القتال قد ابتدئ فعلا في البحر الاسود وذلك أن الاميرال الانكليزي دنداس أرسل احدى مراكبه المسماة فوربوس الى ميناء أودسا (٣) لحمل القنصل والرعيا الانكليزية في ٨ رجب سنة ١٢٧٠ الموافق ٦ ابريل فاطلقت القلاع قنابلها عليها مع انها كانت حاملة العلم الابيض علامة على أنها تقصد مخبرة سلمية خلافا لاصول الحرب الدولية فاتفق الاميرال الانكليزي مع زميله الفرنسي الاميرال هاملين على اطلاق مدافعهما على المدينة ان لم يتم لهما حاكمها اعتذاراً كافياً على هذا العمل العدائي فقصده الميناء في ٢٢ رجب الموافق ٢٠ ابريل وأبلغا طلبهما الى الحاكم وأمهلاه ٢٤ ساعة

ولما انقضى يوم واحد وعشرين بدون أن ياتيهما جواب ابتداء قذف القنابل على المدينة في صبيحة ٢٤ رجب الموافق ٢٢ منه واستمر إطلاقها حتى دمرت قلاع المدينة والنهمت النيران جزأ منها ثم انسحبت الاساطيل من أمامها واصططفت أمام ميناسباستوبول ودعت الدونانسة الروسية للقتال ولما لم تخرج للمحاربة كلف الاميرالان الاميرال ليونس

(١) قائد فرنساوى ولد سنة ١٧٩٨ واشتهر في محاربة العرب في بلاد الجزائر التي اكتسب فيها رتبة تدرجها الى ان وصل الى رتبة فريق ثم رفاه نابليون الثالث الى رتبة مارشال التي تعادل رتبة المشير في الرتبة عندنا لمساعدته لعل قلب الحكومة الجمهورية في ديسمبر سنة ١٨٥٢ وتوفي سنة ١٨٥٤ في حرب القرم بسبب مرض عاى

(٢) قائد انكليزي شهير ولد سنة ١٧٧٨ وكان من أركان حرب الدولكدي ولنجتون الذي انتصر على نابليون الاول في وترلو وحضر هذه الموقعة الشهيرة معه وقطع بها أحد ذراعيه وتوفي في القرم سنة ١٨٥٥ بالكوليرا

(٣) مدينة بجنوب روسيا على البحر الاسود يبلغ عدد سكانها ٢٥٠ ألف نسمة وحركتها التجارية عظيمة جدا وبها كثير من المدارس العالية والجمعيات العلمية وكان اسمها حاجي يك ولما فطنت كثرته الثانية الي أهميتها أمرت سنة ١٧٩٥ بتوسيعها وتسميتها أودساند كار المستعمرة يونانية قديمة كانت بالقرب منها تدعى أودسوس وينسب فضل تحسينها وجعلها بهذه الحالة الى الدولكدي ريشليو الفرنسي الذي عين حاكما لها في سنتي ١٨٠٣ و ١٨٠٤

الروسية على مين الدولة أو على إحدى مراكبها تكون مراكب الدولتين مضطرة لمنعها بالقوة ودخلت سفنها الحربية في البحر المذكور في ٤ ربيع الثاني سنة ١٢٧٠ الموافق ٤ يناير سنة ١٨٥٤ ومن ذلك الحين صار لابد من الحرب قريباً بين هذه الدول والروسيا لحماية الدولة العثمانية من عدوان الروسيا وأطماعها لا حبا في الدولة بل خوفاً من امتداد نفوذ الروسيا وبسط يدها على الاستانة

وبعد ذلك أرسل نابليون الثالث جواباً بتاريخ ٢٩ يناير سنة ١٨٥٤ الى الامبراطور نقولا بخط يده يشرح له فيه ماهية المسئلة من أصلها وما أتته الروسيا من المماطلة والتلاعب فيها وما اقترفته من الغدر والخيانة ويعرض عليه عقد مؤتمر للنظر في الصلح بشرط خروج العساكر الروسية من ولايتي الافلاق والبغدان وتعهده له بسحب مراكبه ومراكب انكارترا من البحر الاسود لو أخلت هي هاتين الولايتين كل ذلك بعبارة مقبولة يظهر من خلالها ميل فرنسا الى الصلح مع الاستعداد للحرب فاجابه القيصر بما يشف عن عدم امكانه الرجوع عن خطته اذ اخلاء عساكره للولايتين يعد احكاما امام عساكر الدولة وهذا امر لا يقبله هو قط مادام عنده جندي واحد وختم خطابه بعبارة مؤداها انه لم يأت في ذلك أمراً مستغرباً فانه لا يظن أن نابليون الثالث كان يفعل غير ذلك لو كان في هذا المركز الحرج

وبهذا صار لابد من الحرب وترك سفراء الروسيا لدى فرنسا وانكارترا مقر وظائفهما بناء على أمر سيدهما

وخوفاً من اتحاد النمسا والبروسيا مع فرنسا وانكارترا عليه أرسل الامبراطور نقولا الميسيو اورلوف بامورية خصوصية الى ويانه وبرلين ليطلب من امبراطور النمسا وملك البروسيا أن يكونا على الحيادة ان لم يرغب في مساعدته فلو في اورلوف في ويانه بما لم يجعل لدى القيصر شك في اتحاد النمسا مع أعدائه وفي برلين ماحمله على الفكر بان فريدريك غليوم ملك البروسيا (١) يكون له أكثر مما يكون عليه ثم في ١٢ جمادى الثانية سنة ١٢٧٠ الموافق ١٢ مارث سنة ١٨٥٤ أمضى بين فرنسا وانكارترا والدولة العلية في مدينة الاستانة اتفاق على محاربة الروسيا وحماية الدولة العلية

ومما جاء به أن ترسل فرنسا خمسين ألف جندي وانكارترا خمسة وعشرين ألفا بشرط أن تجلي جميعها عن بلاد الدولة بعد خمسة أسابيع تمضي من يوم عقد الصلح مع الروسيا وفي ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٢٧٠ الموافق ٢٧ مارث سنة ١٨٥٤ أرسل نابليون الثالث رسالة الى مجلس النواب يخبره باعلان الحرب على الروسيا بالاتحاد مع انكارترا

(١) ولد سنة ١٧٩٥ وتولى الملك سنة ١٨٤٠ بعد أخيه فريدريك غليوم الثالث ولم يأت في التاريخ أمراً يذكر وفي سنة ١٨٦٠ ضعفت قواه العقلية فمضى غليوم الاول الشهير قوماً عليه حتي توفي في السنة التالية فخلفه الي أن توفي هو أيضاً سنة ١٨٨٨ بعد ان لم شتات ألمانيا وأسس الامبراطورية الألمانية عقب انتصاره على فرنسا في سنتي ١٨٧٠ و ١٨٧١

بعبور نهر الطونة وابتداء الحرب بعد هذا الاجل ان لم تكن الجيوش الروسية قد أخذتها  
تماماً

ولما لم تعر روسيا هذا البلاغ أذنا صاغية اجتاز عمر باشا النهر في أول صفر سنة  
١٢٧٠ الموافق ٢ نوفمبر سنة ١٨٥٣ وبعد موقعة عظيمة هائلة انتصرت الجيوش العثمانية  
على الجيوش الروسية وأخرجتها من معاقها الكائنة على ضفة النهر اليسرى قهراً وفاز عمر  
باشا وجيوشه فوزاً ميبيناً أدهش جميع العالم لعدم توقع انهزام روسيا لكن بسبب الشتاء  
الشديد والبرد الكثير الثلج في هذه البلاد عاد عمر باشا الى الحصون بدون أن يقتنى أثر  
الجنود الروسية المنهزمة لعدم امكان ذلك مادياً وكذلك على حدود روسيا من جهة بلاد  
قافقاس بآسيا اجتاز العثمانيون التخوم تحت قيادة عبده باشا واحتلت قلعة سان نقولا  
عقب انتصارها على الروس ثم وقف الحرب بسبب الشتاء بعد انتصار الروس في واقعة  
أخرى بدون أن يتمكنوا من استرجاع هذه القلعة وعند ما شاهد الامبراطور نقولا هذا الحال  
الذي ما كان ليخطر له على بال اجتمع مع فرنسوا جوزيف امبراطور النمسا وقوضه في  
خوفه من ناحية الدول الغربية (فرنسا وانكلترا) للدولة العلية وسأله المساعدة والتحالف  
عليها معتمداً في ذلك على مساعدته له سنة ١٨٤٨ ضد تاترى المجر فلم يقبل الامبراطور  
ذلك وأظهر له شديد أسفه من عدم اجابة طلبه لعدم ملائحته لمصالح البلاد التي أقيمت  
مقابلها اليه

وفي هذه الاثناء تقدمت السفن الفرنسية والانكليزية من فرضة بزيكا الى بوغاز  
البوسفور برضا الباب العالي لتكون أقرب الى البحر الاسود والى حماية الاسطانة لو  
حاول الروس الهجوم عليها بحراً وأرسلت فرنسا الى دار السعادة سفيراً حرياً فوق  
العادة وهو القائد (باراجي ديليه) للسعى في الصالح وفي الحقيقة لدرس أحوال الدولة  
العسكرية استعداداً للقتال التي كانت تستعد له فرنسا ضد روسيا وقابله جلالة السلطان  
المعظم باحتفال زائد في ١٥ الحجة سنة ١٢٦٩ الموافق ١٩ سبتمبر سنة ١٨٥٣ هو  
وجميع أركان حربه

وفي ٢٨ صفر سنة ١٢٧٠ الموافق ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٣ فاجأت الدونامة  
الروسية تحت امره الاميرال ناشيموف الدونامة التركية الموجودة في ميناسينوب على  
البحر الاسود ودمرتها عن آخرها تقريباً مع أنها كانت تعهدت لدولتي فرنسا وانكلترا  
بعدم اتيان أى أمر عدواني في البحر الاسود اذا تربصت دوناتاهما في البوسفور ولم  
تدخل هذا البحر ولما حصلت هذه الواقعة على حين غفلة أمرت فرنسا وانكلترا  
مراكبهما بالدخول في البحر الاسود وأعلنت روسيا رسمياً انه لوتعدت احدى المراكب

واقعة سينوب  
البحرية

هاجرا الى البوسنة ودخل في دين الاسلام واستخدم في الجيش الشاهاني وترقي تدريجاً حتى وصل الى  
أعلى الرتب العسكرية وخدم الدولة العلية بكل صداقة واخلص وانتصر الى الروس في واقعة اوبانوربا  
في حرب القرم وتوفي سنة ١٨٧١



أملاك الدولتين في ٢٥ رمضان سنة ١٢٦٩ الموافق ٢ يوليو سنة ١٨٥٣ واحتلت الولايتين فعلا إذ لم يخطر ببال روسيا أن الدول الغربية تتآب مع الدولة العلية على محاربتها لحماية الدولة ومن جهة أخرى كان يظن أن فرنسوا جوزيف (١) امبراطور النمسا والجر يعضده على الدولة العلية لماله عليه من الايادي البيضاء في اقماع الثورة المجرية

سنة ١٨٤٨

وحقيقة كان مركز فرنسوا جوزيف حرجا لانه كان لا يدري أى الطريقين يسلك أيتخذ مع روسيا على الدولة العلية لجرّد مقابلة الجميل بمثله مع مخالفة هذا التحالف لمصالح بلاده أم يراعى المصلحة السياسية فقط التي لا تلائمها الاحساسات القلبية في الغالب وأثناء تردده هذا بذل جهده في التوفيق بين روسيا وجارتها منعاً للحرب فينتخلص هو من هذه المسئلة بدون أن يرمى بكفران الجميل وأوعز الى الدول بجمع مؤتمر ينعقد بمدينة ويانه تحت رئاسة ناظر خارجيته لاصلاح ذات البين بين الدولتين المتعاديتين وأن يطلب منهما عدم اعلان الحرب حتى تتم مأمورية هذا المؤتمر بل تتربص جيوشهما على ضفتي نهر الطونة فقبلت الدول ذلك وانعقد المؤتمر في غضون شهر ذي الحجة سنة ١٢٦٩ الموافق شهر أغسطس سنة ١٨٥٣ بويانه واهتم مندوبو البروسيا والنمسا بالاتحاد مع مندوبي فرنسا وانكلترا في التوفيق بين الخصمين واصلاح ذات بينهما منعاً لسفك الدماء واشتعال نيران الحرب التي ربما عمت أوروبا بأسرها وعظم خطبها وتحرّكت بسبب اشتغال الدول بهذه الحروب والافكار الثورية التي هاجت في سنة ١٨٤٨ وكادت تغلب جميع الحكومات الملوكية و بعد عدّة جلسات أقرّ المؤتمر على صورة وفاق قبلته روسيا لعدم ظهور عبارته وغموض انشائه لتؤوله فيما بعد على ما ينطبق على غايتها ويوافق أغراضها ورفضها الباب العالي لهذا السبب بعينه ورغبته في عدم وجود عراقيل في المستقبل بسبب تأويل عباراته وبذلك انقضّ المؤتمر بدون جدوى وتحقق للجميع سوء مقاصد البروسيا وشجعت فرنسا وانكلترا الباب العالي على عدم التسليم بطلبات البروسيا والثبات في الدفاع عن حقوقه واعداياه بالمساعدة المادية على البروسيا فأرسل الباب العالي الى البرنس جوراشا كوف (٢) قائد الجيوش الروسية المحتلة لولايتي الافلاق والبعدان بلاغا تاريخه أول محرم سنة ١٢٧٠ الموافق ٤ اكتوبر سنة ١٨٥٣ باخلاء هاتين الولايتين في ظرف خمسة عشر يوماً والافتعير بقاء الجيوش فيها اعلانا للحرب وأمرت عمر باشا سرعسكر الجيوش العثمانية (٣)

(١) ولد هذا الامبراطور في ١٨ أغسطس سنة ١٨٣٠ وتولى الملك في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٤٨ عقب استقالة عمه الامبراطور فردنان الاول وتنازل والده عن حقه في الملك وتزوج بينتدوك بافير في ٢٤ ابريل سنة ١٨٦٤ ولم يزل مალكا حتى الان

(٢) قائد روسي ولد سنة ١٧٩٥ وتوفي سنة ١٨٦١ وامتاز في حرب القرم وهو ابن عم البرنس جوراشا كوف السياسي المعروف

(٣) قائد عثماني شهير نمساوي الاصل ولد ببلاد كرواسيا سنة ١٨٠٦ وخدم مدة في الجيش النمساوي ثم

وفي أثناء ذلك كان البرنس منشيكوف يبذل جهده لدى الباب العالي للحصول على تجديد شروط معاهدة (خونكاراسكاه سي) التاضية بأن يكون للروسيا حماية جميع المسيحيين الموجودين ببلاد الدولة وكان الباب العالي ياطله في الاجابة وأخيراً أعاد السلطان رشيد باشا الى منصب الصدارة الذي سبق عزله منه ارضاء للروسيا ومنعاً لاسباب الشقاق فظهر من ذلك أن السلطان قد عدل عن سياسة المسالمة وعزم على رفض طلبات روسيا وايد ذلك رشيد باشا فانه رفض طلبات البرنس منشيكوف قطعياً

ولما رأى البرنس منشيكوف هذا العدول أرسل للباب العالي بلاغاً نهائياً بتاريخ ٢٦ رجب سنة ١٢٦٩ الموافق ٥ مايو سنة ١٨٥٣ بطلبات دولته وطلب الاجابة عنها في مدّة خمسة أيام ولما انقضت بدون أن يجاب طلبه أطلها ثمانية أيام أخرى ولما انقضت هذه المدّة أيضاً بدون أن يحصل على مرغوبه الذي رفضه جلالة السلطان مع الاعلان باحترام حقوق الكنيسة الارثوذكسية قطع السفير الروسي العلاقات مع الباب العالي وبارح الاستانة على احدى مراكب روسيا في ١٧ شعبان سنة ١٢٦٩ الموافق ١٨ مايو المذكور مهدد الدولة باحتلال الجنود الروسية لامارنى الافلاق والبغدان اذا صممت على التوقف

ولما أبلغت الدولة صورة هذا البلاغ الاخير الى اللورد (استراتفورد) سفير انكلترا وهو أبلغها الى حكومته تغيرت أفكار انكلترا من جهة روسيا وتحققت سوء نيته نحو الدولة العلية فانضمت الى فرنسا وأرسلت الى دوناتانتها بالاطل أن تنضم الى الدونامة الفرنسية وتحد معها في كافة أعمالها ومن ثم ظهر لجميع أوروبا أن فرنسا وانكلترا متحدثان على حماية الممالك العثمانية المحروسة ضد أطماع روسيا ثم أصدرت هانان الدولتان أوامرها الى مراكبهما بالاقتراب من بوغاز الدردنيل لمدايد المساعدة للدولة العلية اذا اقتضى الحال فقامت المراكب ورست في فرضة بزيكا (١) في ٢٢ رمضان سنة ١٢٦٩ الموافق ١٥ يونيه سنة ١٨٥٣

وبعد انسحاب البرنس منشيكوف من الاستانة أرسل المسيودي نسلرود (٢) وزير خارجية روسيا بلاغاً آخر الى الباب العالي وأبلغ صورته الى جميع الوزارات بقول فيه انه ان لم تقبل الدولة العلية اقتراحاته الاخيرة تحتل الجيوش الروسية ولايتى الافلاق والبغدان حتى تعود الدولة عن اصرارها وترضخ لطلبات دولته ولما أجيب بالرفض في هذه المرة أيضاً اجتازت عساكر روسيا نهر البروت الفاصل بين

(١) فرضة متسعة عند مدخل بوغاز الدردنيل علي شاطئ آسيا وتبعد بنحو ٢٧٥ كيلومتر عن مدينة الاستانة وهي ذات أهمية حربية عظيمة

(٢) سياسي روسي شهير كان يتق به الامبراطور اسكندر الاول لانه كان مساعد له علي سياسة الاتحاد المقدس المبني علي اكراه الامم الساعية في الاستقلال عني البقاء تحت الحكومات الملوكية واشترك في كافة المعاهدات المهمة مثل معاهدي أدرنه وخونكاراسكاه سي وتوفي سنة ١٨٦٢

أن الأولى معالجة هذا المريض وتعهده بالعناية حتى يثقه من مرضه و يعود لسابق قوته  
لانه لو مات حصلت حروب تهدر فيها الدماء أنهاراً عند تقسيم تركته ولم يكن ذلك من  
الدولة الانكليزية حباً بتقوية الدولة العلمية أو شغافاً ببقائها بل خوفاً من امتداد الروسيان في  
الشرق واحتلالها الاستانة فشرى انكليزته في ملك البحار الذي انفردت هي به

ومن جهة أخرى خابرنابليون الثالث حكومة الماسكة فكتوريا (١) بشأن الاتحاد مع الباب  
العالمى لتنفيذ العمود السابقة المختصة بالامان المقدسة حتى لا ينتشر نفوذ الروسيان بين رعايا  
الدولة العلمية الارثوذكس الذين ربما بلغ عددهم أحد عشر مليوناً من النفوس لاسيما وأن  
حماية الروسيان على اورشليم وما جاورها مما يجعل انكليزتها في وجل على أقرب طرقها  
لمستعمراتها الهندية وهي طريق مصر فاشتغلت انكليزتها بضرورة مقاومة نفوذ الروسيان في  
هذه الاصقاع خصوصاً وقد اطاعت على مقاصد القيصر التي كاشف بها السير هاملتن  
سيمور سفيرها لديه

ولما رأى امبراطور الروسيان عدم اصغاء انكليزات الطلبات ففتح سفير فرنسا الميسيو (كستلبا جاك)  
في أمر التساهل معها على تقرير الامور في بلاد فلسطين طبق مرادها وعرض عليه  
أن تساهل الروسيان هي أيضاً مع فرنسا في مقابلة ذلك بل وتساعدها على امتلاك  
القطر التونسي لتقوية نفوذها في بلاد الغرب ومراقبة اجراءات انكليزتها في جزيرة مالطة  
لكنه لم يجد من السفير الفرنسي أذناً صاغية كما كان يؤمل لان مساعي نابليون الثالث  
كانت موجهة لارجاع مجد فرنسا السابق اليها وجعلها صاحبة الحكامة في جميع أحوال  
أوروبا كما كانت في عهد عمه نابليون الاول

هذا ولما وصل البرنس (منشيكوف) الى الاستانة بعد ان أجرى على الحدود عدة  
تظاهرات حربية كان معه عدة ضباط عظام برية وبحرية صاروا يرافقونه أثناء زيارته  
الرسمية للوزراء لزيادة التأثير على عقولهم وتظاهر بعدم مراعاة الاصول والعوائد المتبعة  
في مقابلة جلالة السلطان ولولا توسط سفيرى فرنسا وانكليزات لانتشبت الحرب بسبب  
هذه الاجراءات المغايرة لآداب السياسة فتحقق للعموم من ذلك أن قصد الروسيان  
الوحيد هو اعلان الحرب على الدولة العلمية وتقسيم ممالكها المحروسة ولذلك أرسلت فرنسا  
دوناتها البحرية الى مياه اليونان فالقت مراسيمها في فرضة سلامين (٢) في ٢٤ ربيع  
الثاني سنة ١٢٦٩ الموافق ٤ أبريل سنة ١٨٥٣ استعداداً للحوادث التي لم تكن  
في الحسبان أما انكليزات فاذنتم لمراكبها بالتربص في مالطة حين صدور أوامر جديدة لها

(١) ولدت هذه الملكة سنة ١٨١٩ وتولت سنة ١٨٣٧ وتزوجت في سنة ١٨٤٠ بالبرنس البرت أحد  
أمراء ألمانيا ورزقت منه بثمانية أولاد وتوفي زوجها سنة ١٨٦١ ولم تنزل حاكمة الى يومنا هذا ١٨٩٦  
(٢) جزيرة صغيرة ببلاد اليونان تبعد عن الساحل بنحو أربعة كيلو مترات وشهيرة بانتصار (ميسوتوكل)  
اليوناني على مراكب الفرس بالقرب منها في سنة ١٤٨٠ قبل المسيح

البرنس لويز نابوليون فاتح الدولة العلية في هذه المسئلة لارضاء الرأى العام في فرنسا واستأتمته اليه فعين الباب العالى لجنة مشككة من عدة أعضاء مختفى المذهب لفصلها بتمتضى المعاهدات القديمة وهذه اللجنة قرّرت بعد عدّة اجتناعات متوالية باولوية السكاتوليك في امتلاك عدّة كنائس وأديرة فعارضت روسيا في نفاذ هذه الاتفاقية المؤرخة ١٤ ربيع الثانى سنة ١٢٦٨ الموافق ٦ فبراير سنة ١٨٥٢ وهددت الباب العالى بالحرب لو أمر بنفاذها فتدّدت الدولة في انفاذها لكن من جهة أخرى شدّت فرنسا في التمسك بحقوقها التى قررتها اللجنة الاخيرة وحيث أن الدولة اعتمدت هذا القرار فلا بد من تنفيذ ما اعترفت بصحته ولذلك اضطرت الدولة العثمانية لتنفيذ مضمون قرار اللجنة الاخيرة

فاتخذت روسيا هذا الخلاف ذريعة لتنفيذ وصية بطرس الاكبر وأرسلت البرنس (منشيكوف) من سان بطرسبورج الى الاستانة بصفة سفير غير اعتيادى للمخابرة في مسئلة الاماكن المقدسة ظاهراً وفي الحقيقة لم يكن القصد من ارساله الا ايجاد أسباب الشقاق للتوصل الى اعلان الحرب بحجة مقبولة لدى الدول كما سيظهر ذلك فيما بعد فسافر هذا السفير من عاصمة روسيا في أوّل جمادى الاولى سنة ١٢٦٩ الموافق ١٠ فبراير سنة ١٨٥٣ ماراً باقليم روسيا الجنوبية قاصداً دار الخلافة العظمى وأخذ يراقب تجمع الجيوش بقرب التخوم العثمانية ويسته مرضها باحتفال زائد لزيادة الاليهام والتاثير على أفكار رجال الدولة وعظمائها

وفي أثناء ذلك عمل القيصر نيوتولا على سبر أفكار (السيرها ملتن سيمور) سفير انكلترا لدى حكومته مظهراً له ضرورة اتحاد دولتي روسيا وانكلترا معا على اضعاف نفوذ فرنسا في الشرق وأخذ الاحتياطات لتجزئة بلاد الدولة العلية حيث صار من المستحيل على زعيمهم شفاء هذا المريض (يعنى بذلك دولتنا العثمانية المحفوظة) وخوفاً من تشتت تركته بعد وفاته عرض عليه انه يتساهل مع انكساره لو ساعدته على نفاذ مشروعه في اعطائها القطر المصرى وجزيرة كريد فلم يجبه السفير الانكليزى جواباً شافياً بل بالعكس أجاب القيصر

تورة فبراير سنة ١٨٤٨ أتى مسرعاً الى فرنسا وبذل جهده حتى عين رئيساً لجمهورية وفي ٢ دسمبر سنة ١٨٥١ منع مجلس النواب من الاجتماع وسجن أعضاءه وعمل كل الوسائط حتى عين رئيساً لجمهورية لمدة عامين وستين وزيدت اختصاصاته وفي ٧ نوفمبر سنة ١٨٥١ أبطلت الجمهورية وصار هو امبراطور المم نابوليون الثالث وفي مدته حصلت عدة حروب لم تعد على فرنسا بأقل فائدة سوى قتل عساكرها اندرية وانتقال كاهلها بالدبون فحارب المكسيك بأمرىكا وأراد جعلها امبراطورية وتعين البرنس مكسميليان أخى امبراطور النمسا امبراطوراً عليها فزفلق وقاتل أهالي المكسيك الامبراطور مكسميليان وانجحت العساكر الفرنسية وحارب روسيا في القرم وحارب الصين وفتح ما بقي من بلاد الجزائر وأخيراً حارب البروسيا وانهمز في واقعة سيدان في ٢ سبتمبر سنة ١٨٧٠ وأخذ أسيراً الى ألمانيا فنادت فرنسا بالجمهورية الثالثة في أربعة منه وهي الجمهورية الباقية الآن وتوفي في ٩ يناير سنة ١٨٧٢ وانتهت الحرب بانتهزام فرنسا وسلخ ولايتين من بلادها وضماها الى ألمانيا



طبقاً لقانون الدول القاضي بعدم تسليم الجرمين السياسيين

اتفاق بلطه ليمان

وكان من نتائج حركة سنة ١٨٤٨ العمومية أن طمحت أنظار أهالي الافلاق والبغدان للاستقلال والانضمام الى سكان ترانسلفانيا وبكوفين لتكوين مملكة رومانية جديدة فثارنا على أميرها واضطرتها الى الفرار وأقامت مكانه حكومة مؤقتة فارسالت الدولة العلية جيوشها تحت قيادة عمر باشا أحد قوادها المشهورين لاعادة الاحوال الى ما كانت عليه فارسالت روسيا عساكرها الى بلاد البغدان في ٢٢ رجب سنة ١٢٦٥ ( ٢٠ يونيو سنة ١٨٤٨ ) وطردت الحكومة المؤقتة واحتلت امارة الافلاق فعارضت الدولة واحتجت ضد هذا الاحتلال وصارت الحرب بينهما أقرب من حبل الوريد ثم دارت بينهما المخابرات للوصول الى ما يمنع الحرب واتفقتا أخيراً في أول مايو من السنة المذكورة على أن يبقى حق تعيين الامراء بهاتين الولاياتين للدولة العلية كما كان وأن يحتل البلاد جيش مؤلف من جنود تركية وروسية مدّة سبع سنوات حتى يستتب الامن وسمى هذا الاتفاق باتفاق ( بلطه ليمان ) ( ١ ) نسبة الى الحل الذي أمضى فيه

أسباب حرب  
الرقم

قد علم مما سبق أن المنافسات كانت دائمة بين قسوس الارثوذكس والكاثوليك بشأن الملك أو بالحري اقامة شعائر دينهم في الكنائس المعتمدة عندهم في مدينة أورشليم مهد الديانة المسيحية كما انها منشأ الديانة الموسوية ويسعى فرنسا الحائزة بمقتضى عدة معاهدات قديمة وخصوصاً بمقتضى الامتيازات الممنوحة لها في سنة ١٧٤٠ لحماية جميع قسوس الكاثوليك بالممالك المحروسة تحصل هؤلاء القسوس على امتياز امتلاك هذه الكنائس وكانت روسيا تسعى من جهة أخرى لتجريد الكاثوليك من هذا الامتياز واعطائه للارثوذكس لما بينها وبينهم من الوحدة المذهبية لتتمكن بواسطتهم من بث سياستها ونشر نفوذها بين رعايا الدولة العلية المتمسكين بهذا المذهب البالغ عددهم زيادة عن عشرة ملايين من النفوس وبالتالي يكونون لها بمثابة آلة صماء تحرّكها كيف تشاء لترويج مقاصدها ولاشتغال فرنسا بحروب الثورة ثم الحروب النابوليونية مدّة ٢٢ سنة تقريباً من سنة ١٧٩٣ الى سنة ١٨١٥ وضعف الحكومات الملوكية بعد ذلك وحصول ثورة سنة ١٨٤٨ لم يمكنها التمسك بحقوقها هنالك فتعدّى على امتيازات قسوسها كهنة الارثوذكس ثم لما عين نابليون الثالث ( ٢ ) رئيساً للجمهورية الفرنسية الثانية باسم

( ١ ) فرضة صغيرة علي بوغاز البوسفور من تركية أوروبا بالقرب من الاسطانة واشتهرت بمضاء هذه المعاهدة بها

( ٢ ) هو ابن لويس بوناپرت أخي نابليون الاول الذي كان عينه أخوه ملكاً لهولاندا ولدى مدينة باريس في ٢٠ ابريل سنة ١٨٠٨ وهاجر مع والديه بعد سقوط الامبراطورية الاولى وأقام في بلاد سويسرة ودخل في جيشها بوظيفة ضابط واشترك في ثورات إيطاليا وفي سنة ١٨٣٦ حضر الى مدينة ستراسبورج وأراد احدث ثورة لقلع لويس فيليب وتعيينه مكانه فلم يقلع وبقي عليه وبعد أن سجن مدة أبعد خارج فرنسا وأُنزل في الولايات المتحدة وفي سنة ١٨٤٠ أتى الى فرنسا نانيا ونزل بقصر بولونيا فقبض وحكم عليه مجلس السناتو بالسجن المؤبد وسجن في قلعة هام الى سنة ١٨٤٦ فهرب والتجأ الى بلاد البلجيك ولما حصلت

حق كافة تبعة سلطنتنا العلية مهما كانت جنسيتهم ومأمور بأنهم وذلك بالتطبيق للاصول المشروعة ويصير تصحيح أصول العملة وتعمل الطرق المؤدية لاعتبار مالية الدولة مثل فتح البنوك وتعيين الاسباب التي تكون منبعا لثروة ممالكنا المحروسة المادية وتخصيص رأس المال المقتضى وفتح الجداول والطرق اللازمة لتسهيل نقل محصولات ممالكنا ومنع الاسباب الخائلة دون توسيع نطاق التجارة والزراعة واجراء التسهيلات الحقيقية لذلك ويلزم النظر في الاسباب المؤدية لاستفادة العلوم والمعارف الاجنبية ووضعها على التعاقب في موقع الاجراء فيماها الصـدر الاعظم المدوح الشم يلزمكم اعلان هذا فرمان الجليل العنوان الملوكي حسب اصوله بدار السعادة ولكل طرف من ممالكنا المحروسة واجراء مقتضيات الخصائص المشروحة حسب ما توضح آنفاً وبذل جل المهمة في استحصال واستكمال الاسباب اللازمة والوسائل القوية للدوام والاستمرار على رعاية احكامها الجليلة من الآن فصاعداً وبازمكم معرفة ذلك واعتماد علامتنا الشريفة حرر في أوائل شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٧٢ هـ

في سنة ١٢٦٥ (سنة ١٨٤٨) حدثت باوروبا حركة أفكار عمومية للحصول على نظامات دستورية ووضع حد لاستبداد الملوك فبتدأت بباريس في شهر فبراير من السنة المذكورة وكانت نتيجةها اسقاط حكومة لويس فيليب (١) الملكية والمناداة بالجمهورية الثانية ثم سرت منها الى جميع الامم والشعوب فقام الاهالي في برلين وفيينا وبراغ (٢) وغيرها من العواصم طلبا للحرية حتى اوجب الحال استعمال الجنود ضد الاهالي واطلاق المدافع عليهم في هذه العواصم وامتدت أيضاً الى بلاد بولونيا التي سبق تقسيمها بين الروسي والنمسا والبروسيا والى بلاد المجر التي صارت تابعة لملك النمسا بعد انسلاخها عن الدولة العثمانية كما مر في موضعه

لكن لما كانت روسيا لا تود رجوع ملكة بولونيا الى سابق وحدثها وكذلك لا ترغب انفصال المجر عن النمسا وتشكلها بهيئة حكومة مستقلة خوفاً من أن تكون حجرة عثرة في طريق تقدمها نحو الاستانة أرسلت جيوشها الى بولونيا لاطفاء شر الثورة قبل امتدادها وساعدت النمسا على محاربة المجر لادخالها في طاعتها كما كانت وطلبت من الدولة العلية بالاحاح كاديفضي الى القتال تسليم من التجا الى بلادها من زعماء المجر فامتنعت الدولة عن تسليمهم

(١) ولد سنة ١٧٧٣ ولما قامت الثورة مال اليها طمعا في الحصول على الملك ثم هاجر حينما ألفت الملكية كية وبقي خارجا عن بلادها الى سنة ١٨١٤ فماد مع لويس الثامن عشر وفي ٣١ يوليو سنة ١٨٣٠ انتخب ملكا على فرنسا بعد عزل شارل العاشر الذي خلف أخاه لويس الثامن عشر بعد موته في سنة ١٨٢٤ وبقي ملكا حتى أجأ المثوريون الي الاستغناء في ٢٣ فبراير سنة ١٨٤٨ وهاجر الي انكساراً حتى توفي سنة ١٨٥٠

(٢) مدينة عظيمة باوروبا الوسطى يبلغ عدد سكانها ٢٥٠٠٠٠ نسمة وهي عاصمة بلاد بوهيميا الداخلة من ضمن مملكة النمسا والمجر مع بعض امتيازات وفي سنة ١٨٦٦ أغضى فيها بين النمسا وألمانيا الصلح الذي أخرج النمسا عن الاتحاد الألماني وجعل للبروسيا السيطرة على كل ألمانيا

حركة سنة  
١٨٤٨ بجميع  
أوروبا

السلطنة السنية أو بالولايات والمدن والقرى وكما أن مساواة الخراج تستوجب مساواة سائر التكاليف والمساواة في الحقوق تستدعي المساواة في الوظائف فالمسيحيون وسائر التبعة الغير مسلمة يسحبون ثمرة قرعة مثل المسلمين ويحجبون على الانقياد للقرار الصادر أخيراً وتجبر عليهم أحكام المعافاة من الخدمة العسكرية بتقديم البدل الشخصي أو النقدي ويصير تدوين القوانين اللازمة لاستخدام التبعة الغير مسلمة في أقرب وقت من الزمن ونشرها وإعلانها وانتخاب أعضاء المجالس الموجودة بالولايات والمدريات من التبعة المسلمة والمسيحية وغيرهما بصورة صحيحة ولأجل التامين على ظهور الآراء الحقيقية سيصير التشبث في اصلاح الترتيبات التي تجرى في حق تشكيل هذه المجالس لاستحصا لدولتنا العلية على الاسباب والوسائل المؤثرة للوقوف على الحقيقة وملاحظة صحة نتيجة الآراء والقرارات التي تعطى عن ذلك وبما أن مواد انقوانين المدونة في حق بيع وتصريف العقارات والاملاك هي متساوية في حق كافة تبعتنا الملوكية فيلزم الامتثال لقوانين دولتنا العلية وترتيبات الدائرة البلدية ولأجل أن تمنح الاجانب الفوائد الجارية منحها للاهالي سيصرح لهم بالتصرف بالاملاك بعد الاتفاق الذي سيبرم بين دولتنا العلية والدول الاجنبية ولا يكون التكاليف والخراج الموزع على كافة تبعة سلطنتنا السنية لا ينظر فيه الى أجناسهم ومذاهبهم بل جارى تحصيله بصفة واحدة فيلزم المذاكرة في التدابير السريعة لاصلاح سوء الاستعمال الواقع في أخذ واستيفاء هذه التكاليف وبالاخص العشور ومادام ان اصول أخذ العشور جارية على التوالي بدون واسطة فبدلاً عن الزام دولتنا العلية بالايادات يصير اتخاذ هذه العمورة بدلاً عنها ومادامت الاصول الحالية جارية فمن يتعرض من ماموري دولتنا العلية أو من أعضاء مجالسها للدخول في الالتزامات الجارية اعلان مزادها علناً أو أخذ حصّة منها يمنع ويترتب عليه الجزاء الشديد وتعين التكاليف المحلية بصفة لا تضر بالمحصولات ولا بالتجارة الداخلية على حسب الامكان وللحصول على المبالغ المناسبة التي تتخصص لأجل الاشغال العمومية يصير علاوة عوائد مخصوصة على الولايات والمدريات التي تنتفع من الطرق والمسالك المنشأة بها براً وبحراً بقدرها وبما أنه وضع أخيراً ترتيب خصوصي في حق تنظيم وتقديم دفاتر ايرادات ومصر وفات سلطنتنا السنية في كل سنة فيصير الاعتناء باجراء كامل أحكام ذلك الترتيب ومباشرة حسن تسوية المعاشات التي يصير تخصيصها لكل من المامورين وبمعرفة مقام الصدارة الجليل يصير جلب مامور من المامورين الذين سيعينون من طرفنا الملوكي مع رؤساء كل طائفة لأجل أن يتواجدوا بالمجلس الاعلى للمذاكرة في المواد المختصة بعموم تبعة سلطنتنا السنية وهؤلاء المامورين يعينون لمدة سنة وعند ما يباشرون ماموريتهم يصير تخليفهم اليمين ولهم أن يبدوا آراءهم وملاحظاتهم بكل حرية في اجتماعات مجلسنا الاعلى العادية والتي تكون فوق العادة بدون أن يحصل لهم أدنى ضرر وتجبري أحكام القوانين المختصة بالافساد والارتكاب والظلم في



الحرية مهما كان مقدار العدد التابع لهذا المذهب وتمحى وتزال الى الابد من الحمرات الرسمية الديوانية كافة التعبيرات والالفاظ المتضمنة تحقير جنس الجنس آخر في اللسان أو الجنسية أو المذهب من أفراد تبعة سلطنتنا السنية ويمنع قانون استعمال كل وصف وتعريف عس الشرف أو يستوجب العار بين أفراد الناس ورجال الحكومة وبما ان عوائد كل دين ومذهب موجود بمالكنا المحروسة جارية بالحرية فلا يمنع أى شخص من تبعة الملوكة من اجراء رسوم الدين المتمسك به ولا يؤذى بالنسبة لتمسكه به ولا يجبر على تبديل دينه ومذهبه ولكون انتخاب وتعيين خدمة ومأمورى سلطنتنا السنية منوطاً باستنساب ارادتنا الملوكة فيصير قبول تبعة دولتنا العلية من أى ملة كانت في خدماتها ومأمورى بانها بحيث يكون استخدامهم في الماموريات بالتطبيق للنظامات المرعية الاجراء في حق العموم بحسب استعدادهم وأهليتهم واذا قاموا بافاء الشروط المقررة بالنظامات الملوكة المختصة بالمكاتب التابعة لسلطنتنا السنية بالنسبة للسن والامتحانات يصير قبولهم في مدارسنا الملكية والعسكرية بلافق ولا تميز بينهم وبين المسلمين وعدا ذلك فان كل طائفة مازونة باعداد مكاتب أهلية للمعارف والحرف والصنائع انما طرق التدريس وانتخاب المعلمين يكون تحت ملاحظة مجلس المعارف المختلط المعنية أعضاؤه من طرفنا الملوكي ونحال كافة الدعاوى التجارية أو الجنائية التى تقع بين المسلمين والمسيحيين وسائر الملل الغير مسلمة أو بين التبعة المسيحية وسائر التبعة الغير مسلمة مع بعضهم على الدواوين المختلطة والمجالس التى تعقد من قبل هؤلاء الدواوين واستماع الدعاوى يكون علناً بمواجهة المدعى والمدعى عليه وتصدق شهادة الشهود الذين يقدمانهم بمجرد تحليلهم اليين حسب قواعدهم ومذاهبهم والدعاوى المختصة بالحقوق العادية يصير رؤيتها بالمجالس المختلطة بالولايات والمدريات بحضور كل من القاضى والوالى ويكون اجراء هذه المحاكمات بهذه المحاكم والمجالس علناً واذا وجدت دعاوى مثل حقوق الميراث التى تقع بين اثنين من المسيحيين أو سائر التبعة الغير مسلمة ورغب أصحاب الدعاوى رؤيتها معرفة المجالس أو بطرف البضريك أو الرؤساء الروحانيين بغير احوالها على الجهة التى يرغبونها والمرافعات التى يصير اجراءها بحسب قانون التجارة والجنابات يصير نهوها بكل سرعة بعد ضبطها وتنقيحها وترجمتها للالسن المختلفة المتداولة في مالكنا المحروسة الملوكة ونشرها أولاً فاولاً ومباشرة اصلاح كافة السجون المخصوصة لحبس مستحقي التاديبات الجزائية ومن تنحصر فيهم الشبهة في مدة قليلة حسب ما تقتضيه الانسانية والعدالة وتلقى كافة المعاملات المشابهة للايذاء والجزاآت البدنية ومن يكون مسجوناً لا يعامل بغير المعاملات الموافقة لنظامات الضبط المدونة من قبل سلطنتنا السنية وفضلاً عن منع الحركات التى ستقع مخالفة لها بالكلية فاندسب يصير تاديب من يامر باجراء ما يخالف ذلك من المأمورين ومن يجريه من الخدماء بمقتضى الجزاآت وستنظم الضبطيات بصورة تستدعى الامنية الحقيقية والحفاظة على أموال وأرواح كافة التبعة الملوكة سواء كانوا بدار



وتقرير وابقاء كافة الامتيازات والمعافيات الروحانية التي منحت وأحسن بها في السنين  
الآخرة والتي منحت من قبل أجدادنا العظام للطوائف المسيحية وكافة الملل الغير مسلمة  
الموجودين تحت ظل جناح عاطفتنا السامي بمالكنا المحروسة الملوكية وقصدنا الشروع  
في رؤية وتسوية الامتيازات والمعافيات الحالية للعيسويين وسائر التبعة الغير مسلمة في  
مهلة معينة بحيث يهتمون بعرضها الى جانب بابنا العالي بعد المذاكرة بمعرفة المجالس التي  
تشكل بالبطريركيات تحت ملاحظة بابنا العالي بحسب الاصلاحات التي يستدعيها  
الوقت وآثار المدنية المكتسبة وموافقة ارادتنا الملوكية ويصير توثيق الرخصة التي أعطيت  
لاساقفة الطائفة المسيحية من قبل ساكن الجنان السلطان أبى الفتوح محمد خان الثاني  
وخلفائه العظام وما صار تأمينهم عليه من قبلنا بحسب الاحوال والظروف الجديدة وبعد  
اصلاح اصول الانتخابات الجارية الآن للبطاركة يصير اجراء كافة الاصول اللازمة في  
نصهم وتعيينهم بالتطبيق لاحكام براءة البطريركية العالي مدى الحياة ويصير استيفاء  
أصول تحليف البطاركة والمطارنة والاساقفة والخاصات بالتطبيق للصورة التي تتقرر بين  
بابنا العالي وجماعة الرؤساء الروحانية المختلفة ويصير منع كافة الجوائز والعوائد الجارية  
اعطاؤها للرهبان مهما كانت صورتها وتخصص ايرادات معينة بدلها للبطاركة ورؤساء  
الطوائف ويصير تعيين معاشات بوجه العدالة بموجب ما يتقرر وبحسب أهمية رتب  
ومناصب سائر الرهبان ولا يحصل السكوت على أموال الرهبان المسيحيين المنقولة والغير  
منقولة بل يصير احوال حسن المحافظة عليها على مجلس مركب من أعضاء تنتخبهم رهبان  
وعوام كل طائفة لادارة مصالح طوائف المسيحيين والتبعة الغير مسلمة والبلاد والقرى  
والمدن التي تكون جميع أهلها من مذهب واحد لا يحصل احداث موانع في بناء سائر  
الحلات التي تكون مثل مكاتب واسبتاليات ومدافن مختصة باجراء عاداتهم حسب هياتها  
الاصلية وعند لزوم انشاء هذه المحلات مجددا بحسب استصواب البطاركة ورؤساء الملة  
يلزم رسمها وبيان صفة انشائها وتقديم ذلك الى بابنا العالي واما أن يجري المقتضى فيها  
بحسب ارادتنا السنية الملوكية المتعلقة بقبول الصور السابق عرضها واما أن يصير بيان  
المعارضات المختصة بذلك في ظرف مدّة معينة واذا وجدت طائفة من مذهب منفردة محل  
وليست مختلطة مع مذاهب أخرى فلا تصادف صعوبات في اجراء الخصائص المتعلقة  
بنفاذ عوائدها في هذا المحل علناً واذا كانت قريبة أو بلدة أو مدينة مركبة أهلها من أديان  
مختلفة يمكن كل طائفة منهم ترميم وتعمير كنائسها واسبتالياتها ومقابرها بحسب الاصول الموضحة  
بالحالات المخصصة لهم الموجودة محلات سكنهم بها وأما الابنية المقتضى انشاؤها مجدداً يلزم أن  
تعرض البطاركة والمطارنة لبابنا العالي باسترحام الرخصة اللازمة عنها فان لم يوجد لدى دولتنا  
العلية موانع في الامتلاك تصدر بها رخصتنا السنية وكافة المعاملات التي تحصل فيها على كل  
هذه الاشغال تكون مجاناً من قبل دولتنا العلية في التامين على اجراء عوائد كل مذهب بكامل

والعلماء أو أى انسان كان مهما كانت صفته سيجرى توقيع الجزآت اللازمة عليهم بدون رعاية رتبة ولا خاطر وسيصير تدوين قانون جزاء مختص بذلك ولكون كافة المأمورين لهم راتب واف الآن فان وجد منهم من يكون راتبه قليلا سيصير ترقية حاله

هذا ولينظر فى مادة الرشوة الكريمة بتدوين قانون شديد لذلك لانها أعظم سبب لخرب الملك وممقوتة شرعا ولكون الاصلاحات المشروحة آنفا ستزيل طوارئ الفقر والفاقة كلية فكما أنه سيصير اعلان ارادتنا الملوكية هذه للاستئانة ولكافة أهالى ممالكنا المحروسة يلزم أن تبلغ أيضاً اسفراء الدول المتحابة الموجودين بالاستئانة ليكونوا شهودا على دوام هذه الاصلاحات الى الابد ان شاء الله تعالى ونسأل مالك الممالك أن يلمنا التوفيق جميعاً وأن يصب على كل من خالف هذه القوانين المؤسسة سوط عذاب النعمة وأن لا ينجح له أعمالا مدى الدهر آمين حرر فى يوم الاحد ٢٦ شعبان سنة ١٢٥٥

لكن أشغلته عن اتمام هذه الاصلاحات حرب الروسية التى قامت بسبب اختلاف فرنسا والروسيا على حماية الاماكن المقدسة باورشليم ودعيت بحرب القرم ولما انتهت هذه الحرب أصدر السلطان فرما جديدا ببيان الاصلاحات المقتضى ادخالها فى الممالك المحروسة فى ١١ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٢ الموافق ١٨ فبراير سنة ١٨٥٦ وهذا نصه مترجماً من كتاب (أس انقلاب)

من أهم أفكارنا السامية سعادة أحوال كافة صنوف التبعة التى أودعها الله الى دننا الملوكية المؤيدة ولما بذلناه من هممنا الملوكية فى هذا الشأن من يوم جلوسنا المقرون بالبحر قد تزايد عمار وثروة مملكتنا العلية يوماً فيوماً وشهدت جملة فوائد نافعة ولكون تاييد وتوسيع نطاق النظامات الجديدة التى توفقتنا الى الآن لوضعها وتدوينها بالموافقة للموقع العالى الحائزة له دولتنا العلية بين الدول المتمدة مطلوب بنا ايصالها الى درجة الكمال وقد تايدت بعناية الله تعالى وبمساعى عموم تبعتنا الملوكية الجميلة وبهمة ومعاونة الدول المتحابة حقوق دولتنا العلية الخارجية ولذا فهذا العصر يعد بالنسبة لدولتنا العلية مبدأ زمن الخير وبما أن من أهم رغائبنا المجبولة على الشفقة تقدم الاسباب والوسائل الداخلية المستلزمة تزايد قوة سلطتنا العلية وعمار ممالكنا السنوية وحصول تمام سعادة أحوال كافة صنوف تبعة دولتنا العلية الملوكية المرتبطة بعضها ببعض بروابط الوطنية القلبية والمتساوية الماهية فى نظر شفتتنا الملوكية من كل الوجوه قد أصدرنا ارادتنا الملوكية هذه باجراء الامور الاتية الذكر

الاصلاحات  
الخيرية

وهى اتخاذ التدابير المؤثرة نحو تامين كافة التبعة الملوكية من أى دين ومذهب كانوا بدون استثناء على الروح والمال وحفظ الناموس واخراج جميع التامينات التى وعد بها بمقتضى الترتيبات الخيرية وخطنا الملوكى السابق تلاوته فى الكليخانة من حيز القوة الى حيز الفعل

كتسليم مصالح المملكة السياسية وإدارتها المالية ليدرجل وبالأحرى أن نقول بوضعها تحت قهره وجبره فإنه إن لم يكن رجلاً أميناً لاشك أنه ينظر إلى فائدته الشخصية وتكون كل حركانه وسكنانه عبارة عن غدر وظلم فيلزم بعد الآن تعيين خراج مناسب على قدر اقتدار وأمالك كل فرد من أفراد أهالي المملكة ولا يؤخذ شيء زيادة عن المقرر من أحد ما وتحدد ويان سائر مصرف عساكر دولتنا العلية البرية والبحرية وكل لوازماتهم بموجب قوانين إيجابية والأجراء بمقتضاها

وأمام مسألة الجندية فليكونها من المواد المهمة حسب ما ذكر ومع كونه مفروضاً على ذمة الأهل إلى تقديم العساكر اللازمة للمحافظة على الوطن لكن الجارى الآن هو عدم النظر والاتلفات إلى عدد النفوس الموجودة بالبلدة بل يطالب من بعض البلدان زيادة عن تحملها ومن البعض الآخر أنقص مما تحمل وهذا فضلاً عما فيه من عدم النظام فإنه موجب لاختلال موارد منافع الزراعة والتجارة واستخدام العساكر إلى نهاية العمر أمر مستلزم لقطع التناسل فعلى تقدير طلب أنفار عسكرية من كل بلد يلزم وضع وتأسيس أصول مستحسنة لاستخدام العساكر أربع أو خمس سنوات بطريق المناوبة والحاصل أنه بدون تدوين هذه القوانين النظامية لا يمكن حصول القوة والعمار والراحة فإن أساس جميع ذلك هو عبارة عن المواد المشروحة ولا يجوز بعد الآن اعدام وتسميم أرباب الجنج جهارا أو خفية بدون أن تنظر دعاويهم علنا بكل دقة بمقتضى القوانين الشرعية ولا يجوز مطلقاً تسلط أحد على عرض وناموس آخر وكل إنسان يكون مالكاً لملكه وملكه ومتصرفاً فيهما بكامل الحرية ولا يمكن أن يتدخل في أموره شخص آخر وإذا فرض ورفعت تهمة على أحد وكانت ورثته بريئاً الساحة منها فبعدم مصادرة أمواله لانه حرم ورثته من ميراثهم الشرعى وتمتاز سائر تبعية دولتنا العلية من المسلمين وسائر الملل الأخرى بمساعداتها هذه المملوكية بدون استثناء وقد أعطيت من طرفنا المملوكى الامنية التامة فى الروح والعرض والناموس والمال بمقتضى الحكم الشرعى لكل أهالى ممالكنا المحروسة وسيعطى القرار اللازم باتفاق الآراء عن المواضيع الأخرى أيضاً وستزاد أعضاء مجلس الأحكام العمدية على قدر اللزوم وتجتمع هناك وكلاء ورجال دولتنا العلية فى بعض الأيام التى ستعين وجميعهم يبدون أفكارهم وآراءهم بالحرية التامة بدون نخاش وتقرر القوانين المقتضية المختصة بالامن على الروح والمال وتعيين الخراج وستجرى المسئلة اللازمة عنها بدار شورى باب السرى عسكرية وكلها يتقرر قانون يعرض لطرفنا المملوكى لتتويج عاليه بخطنا المملوكى حتى يكون دستوراً للعمل الى ما شاء الله وبما أن هذه القوانين الشرعية ستوضع لحياء الدين والدولة والملك والملة فسيؤخذ العهد والميثاق اللازم من قبلنا المملوكى بعدم وقوع أى حركة مخالفة لها وستحلف قسماً بالله العظيم فى أودة الخرقه الشريفة بحضور جميع العلماء والوكلاء وسيصير تخليفهم أيضاً وعلى هذا فكل من خالف هذه القوانين الشرعية من الوكلاء



فاصدر عقب توليته منصب الخلافة العظمى بتقليل أمراً سامياً قرىء علناً في جمهور من الوزراء والاعيان في يوم ٢٦ شعبان سنة ١٢٥٥ هـ الموافق ٣ نوفمبر سنة ١٨٣٩ وهذا نصه مترجماً من كتاب أحمد مدحت المسمى (أس انقلاب)

لا يخفى على عموم الناس ان دولتنا العلمية من مبدأ ظهورها وهي جارية رعاية الاحكام القرآنية الجليلة والقوانين الشرعية المنيفة بتمامها ولذا كانت قوة ومكانة سلطتنا السنية ورفاهية وعمارية أهاليها وصلت حد الغاية وقد انعكس الامر منذ مائة وخمسين سنة بسبب عدم الاقياد والامتثال للشرع الشريف وللقوانين المنيفة بناء على طروء الكوارث المتعاقبة والاسباب المتنوعة فتبدلت قوتها بالضعف وثروتها بالفقر وبما أن الممالك التي لا تكون ادارتها بحسب القوانين الشرعية لا يمكن أن تكون ثابتة كانت أفكارنا الخيرية المملوكة منحصرة في عمار الممالك واتحاد ورفاهية الاهالي والفقراء من يوم جلوسنا السعيد وصارالتشبث في الاسباب اللازمة بالنظر الى مواقع ممالك دولتنا العلمية الجغرافية ولا راضها الحصبة ولا استعداد وقابلية أهاليها لتحصل بمشيئة الله تعالى الفائدة المقصودة في ظرف خمس أو عشر سنين واعتماداً على المعونة الالهية واستناداً على الامدادات الروحانية النبوية قدرؤى من الآن فصاعدا أهمية لزوم وضع وتأسيس قوانين جديدة تحسن بهادارة ممالك دولتنا العلمية المحروسة والمواد الاساسية لهذه القوانين هي عبارة عن الامن على الارواح وحفظ العرض والناموس والمال وتعيين الخراج وهيئة طلب العساكر للخدمة ومدة استخدامهم لانه لا يوجد في الدنيا أعز من الروح والعرض والناموس والمال فلورأى انسان ان هؤلاء مهملدون وكانت خلقته الذاتية وفطرته الاصلية لا تميل الى ارتكاب الخيانة فوقاية لحفظ روحه وناموسه لا بد أن يتشبث في بعض اجراءات لتخلص منها وهذا الامر لا يخفى انه مضر بالدولة والملة كما انه اذا كان أميناً على ماله وناموسه لا يحميد عن طريق الاستقامة وتنحصر أفكاره وأشغاله في القيام بواجب الخدمة لدولته ومملته وكما انه في حال افتقاد الامن على المال لا يميل الشخص الى دولته ومملته ولا ينظر للانتفاع باملاكه بل كما انه لا يخلو دائماً من الفكر والاضطراب فلو قدر العكس أعنى لو كان الانسان آمناً على ماله وأملاكه فلا شك أنه يشتغل باموره وتوسيع دائرة تعيشه وتوليد يومأفئومأعنده الغيرة على الدولة والمملكة وترداد محبته للوطن وهذا يجتهد في تحسين حاله

وأما مادة تعيين الخراج فكل دولة لأبد أن تكون محتاجة الى العساكر وسائر المصاريف المتقتضية للمحافظة على ممالكها وهذا لا يتيسر ادارته الا بالنقود والنقود لا تتحصل الامن الخراج فلا غرو ان النظر الى تحسين هذه المادة من أهم الامور

هذا ولو أن أهالي ممالكنا المحروسة تخلصوا لله الحمد قبل الآن من بلوى اليد الواحدة التي كانت متسلطة على الايرادات الوهمية لكن أصول الانزمات المضرة المعتبرة من ضمن أسباب الخراب التي لم يظهر منها مرة نافعة في أى حال لم تزل جارية للآن وهذا يعد



العالي هذا الحل واستدب آخر يدعي خليل باشا لتحقيق تشكيات الطرفين وتقديم تقرير عما يراه حاسماً للنزاع فاختلف مع أسعد باشا في الرأي وقال بافضلية اعتبار جبل لبنان كباقي الولايات العثمانية بدون أدنى امتياز

ولعدم قبول القناصل بهذا الرأي اتفقوا أخيراً في غضون سنة ١٢٥٩ هجرية الموافقة سنة ١٨٤٣ على أن يعين في القرى المختلطة وكيلان أحدهما درزي والآخر ماروني ويكون كل منهما تابعاً للقائم مقام الذي على مذهبه فلم يقبل الدرزي إلا أن يكون لهم السيادة على المارونية في الجهات المختلطة وهؤلاء آثروا التبع لاحدى الولايات العثمانية المحضة على أن يكونوا تحت سيادة الدرزي

واستحسن الباب العالي هذا الرأي الأخير لكن لم يرق ذلك في أعين الدرزي ولا في أعين المغرین لهم فهاجوا ثانياً وقاموا على المارونية وحصلت مذبحة جمادى الاولى سنة ١٢٦١ هجرية الموافق سنة ١٨٤٥ السابق ذكرها فارسلت الدولة جيوشها واحتلت البلاد سهلاً وجبالاً بصفة عسكرية وأجرت فيها الاحكام العرفية ثم دارت المخابرات بين الدول العظمى والباب العالي لتقرير ما يضمن السلام في الحال والاستقبال فاجتمعت آراؤهم أخيراً بعد مداولات طويلة وأخذورد على أن يبقى في القرى المختلطة وكيلان درزي وماروني ويعين لكل من القائمي مقام مجلس يشاركه في الادارة مع بقاءه تحت رئاسته ويشكل كل من هذين المجلسين من عشرة أعضاء خمسة قضاة وخمسة مستشارين اثنان منهما من الدرزي واثنان من المارونية واثنان من المسلمين واثنان من الملاكين واثنان من المتهندين بمذهب الاروام الارثوذكس ويكون من اختصاصها توزيع الضرائب بالسواء بدون نظراى اختلاف دين أو مذهب أما تحصيلها فيكون بمعرفة القائمي مقام ووكلائهما في القرى والضيايع

ومن اختصاصها أيضاً النظر في القضايا الحقوقية والجنايئة وان امتنع مندوب أى طائفة عن الاقرار على قائمة توزيع الضرائب بدعوى أنها مجحفة بحق أو أبناء طائفتهم يرفع الامر للوالى العثمانى فيحكم فيها نهائياً وقبل تنفيذ احكامها يعضى عليها القائم مقام المختص وجعل راتب كل عضو من أعضاء المجلسين ألف وخمسمائة فرنك في السنة وراتب القائم مقام ٤٨ ألف فرنك سنوياً وكل من وكلائه ألف وثمانمائة فرنك

وبذا انتهت مسألة لبنان مؤقتاً بما أن الدرزي لم يقبلوا هذه التسوية الا مؤملين نوال زيادة عما فيها طبقاً لوساوس مندوبى انكسار لهم بانها ستمنحهم مع الوقت السيادة على جميع الشعوب الساكنة بلبنان واستمرت الفتى جارية تجراها حتى حصلت مذبحة سنة ١٢٧٧ هـ (سنة ١٨٦٠) وتدخلت فرنسا عسكرياً لحماية المارونية وانسحبت ثانياً بعد توطيد الامن وحفظ حقوق الموارد كما سيجيء

هذا وسار السلطان عبد المجيد خان على خطة والده المرحوم السلطان الغازى محمود خان في الاصلاحات الداخلية حتى تجارى الدولة العثمانية باقى الدول في التمدن والعمران

مذهبي وظن كل فريق من هؤلاء التعساء أن الدولة التي تفرّره تود صلاح حاله وترقيه في المدنية ولم تنقه لدخائل هذه السياسة الخبيثة التي لا يتأخر أصحابها أمام اهراق دماء الاربياء توصلا لما آرزهم

وبهذه الدسائس ساد الهياج في جميع أنحاء لبنان وظهر ما تكنه صدور سكانه من الاتحاد الجنسية والدينية حتى تعدى الدروز على المارونية في سنة ١٢٥٧ هجرية الموافقة سنة ١٨٤١ ودخلوا دير القمروارت كبرا فيه ما تقشعر منه الابدان من النهب والسلب وقتل النساء والولدان وسبي الحرائر ولولا تدخل الجيوش بشدة لامتدت الثورة

لكن لم يرق ذلك في أعين أرباب الغايات بل ما انفكوا يوالون دسائسهم ويلتفون بذور الفساد ويتعمدون بالمداومة والمثابرة حتى قام الدروز ثانية في سنة ١٢٦١ هجرية الموافقة سنة ١٨٤٥ وقتلوا المسيحيين وتعدوا على قسيس الكاثوليك الفرنسيين وقتلوا رئيس أحد الادييرة واسمه (شارل دي لوريت) واثني من رهبان الدير وحرقوا جثثهم ثم أضرموا النار في الدير حتى صار قاعاً صفصفاً بعد ان نهبوا كل ما به من المنقولات والامتعة بدون أن يحصل أقل أذى للمرسلين البروتستانت الامر يكتانين والانكيز الامر الذي يدل دلالة واضحة على أن هذه المذابح لا تخلو من تأثيرهم حتى يثبتوا المارونية الكاثوليك انهم لو اعتنقوا المذهب البروتستانتي للاحقهم ضرر ويصيرون في مأمن من تعدى الدروز فيستميلونهم للتمذهب بمذهبهم ولا يبقى لفرنسا وجه لحمايتهم وبسبب هذه الاضطرابات المتعاقبة لم ير الباب العالي بدأ من التدخل في اذارة الجبل لمنع هذه الفتق فعزل الامير بشير الشهابي بعد خروج العساكر المصرية من الشام كحار وعين مكانه والياً عثمانياً وأبطل بذلك جميع امتيازات سكان الجبل الممنوحة لهم قديماً بمقتضى عدة معاهدات وما منح لهم أخيراً باتفاق الدول عقب جلاء العساكر المصرية عنه لتحقيقه أن وجود الشعوب المختلفة القاطنة به تحت حكم وال واحد أقطع للفساد وأمنع لظهور الضغائن الدينية بين الموارنة والدروز فلم تقبل الدول ذلك بل اضطرت الباب العالي بناء على مساعيها أن يعيد للجبل بعض امتيازاته وانفق مع سفراء الدول على أن يكون للوالى العثماني قائماً مقام أحدهما ماروني والاخر درزي يتولى كل منهما النظر في شؤون أبناء جنسه وذلك في سنة ١٢٥٨ هجرية الموافقة سنة ١٨٤٢

لكن لم تنجح هذه الطريقة أيضاً لاختلاط سكان بعض القرى من موارنة ودروز فسلخ الباب العالي اقليم الجبائل الاهل بالموارنة من حكومة الجبل وضمه الى ولاية طرابلس بلامتيازات كباقي أقاليم الجبل فعارض بطرق الموارنة في ذلك وأرسل الى جميع القناصل يحثج ضد هذا العمل المنافي للاتفاق الاخير مدعياً أن الدولة لم ترد بذلك الا اضعاف النصر الماروني وتقوية العنصر الدرزي فبناء على هذه الشكوى أرسل الباب العالي بصفة وال على الشام رجلاً انصف بالاستقامة واصالة الرأي يدعى أسعد باشا للنظر في تسوية هذه المسئلة فارتأى ضرورة اعادة الامير بشير الشهابي الى امارة الجبل كما كان فلم يقبل الباب

وبعد مخبرات طويلة اتفقت الدول أجمع بما فيها الروسية على أن لا يكون لاحداهن هذا الحق مطلقاً بل تبقى بوغازات الاستانة متقلة امام جميع الدول وأمضيت بذلك معاهدة بتاريخ ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٢٥٧ الموافق ١٣ يوليوسنة ١٨٤١ بين الباب العالي والنمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى والروسيا والبروسيا دعت بمعاهدة البوغازات وبذلك تساوت روسيا بباقي الدول وفقدت كل ما اكتسبته بمساعيها السابقة وهاك صورة هذه المعاهدة

البند الاول \* ان جلالة السلطان يعلن عزمه وتصميمه على حفظ واتباع القاعدة القديمة في المستقبل التي بموجبها منعت جميع مراكب الدول الاجنبية الحربية من المرور من بوغازى البوسفور والدرديل وانه مادام في حالة السلم لا يسمح لاي مركب حربية اجنبية بالمرور من هذين البوغازين

ويعلن كل من جلالة امبراطور النمسا وملك المجر وبوهيميا وملك فرنسا وبين وملكة بريطانيا العظمى وارانده المتحدة وملك البروسيا وامبراطور جميع روسيا باحترام هذا العزم الصادر من جلالة السلطان واتباع القاعدة المقررة سابقاً

البند الثانى \* وقد تقرر انهم مع الاقرار بعدم جواز مس هذه القاعدة المقررة قديماً فان السلطان يحفظ لنفسه الحق كما كان له ذلك في السابق في اصدار فرمانات بجواز مرور بعض السفن الحربية الخفيفة لتكون في خدمة سفارات الدول المتحابة

البند الثالث \* وكذلك يحفظ جلالة السلطان لذاته الشريعة الحق في تبليغ صورة هذا الاتفاق لجميع الدول التي بينها وبين الباب العالي العثماني صلة مودة ودعوتهم الى القبول باحكامه

البند الرابع \* يصير التصديق على هذا الاتفاق في مدينة لوندرة وتبادل التصديقات عليه بعد شهرين أو قبل ذلك ان أمكن

وبمقتضى ذلك قد أمضاه مندوبو الدول المذكورة وبصموا عليه أختامهم  
تحريراً في مدينة لوندرة في ١٣ يوليوسنة ١٨٤١ ميلاديه الامضات

\* مسألة لبنان ومقتلة المارونية \*

بمجرد اخلاء الجيوش المصرية لبلاد الشام ورجال لبنان وعدم شعور سكانها بسطوة ابراهيم باشا وبطشه تحركت فيهم العداوة الدينية القديمة الكامنة في نفوسهم خوفاً من شدة بأس ابراهيم باشا وعدم رأفته في معاقبتهم وزادت الدسائس الاجنبية لاضرام نار الشقاق وبذرائق الداخلية توصلا لغاياتهم الشخصية فكانت فرنسا مساعدة للمارونية الكاثوليك وانكسرتا معصدة للدروز ضدّهم لتلجئهم على ترك المذهب الكاثوليكي واعتناق المذهب البروتستانتي فيدخلوا بذلك تحت حمايتها الفعلية ولم يعد لفرنسا حجة لحياتهم بسبب

ولاية مصر تنتقل بالارث لمحمد على باشا وأولاده وأولاد أولاده الذكور بصورة أن يتولى الأكبر فالأكبر فيقلده الباب العالي منصب الولاية كل ما خلا هذا المنصب من وال وقد تنازل الباب العالي عن استيلائه على ربع إيرادات مصر وسيعين فيما بعد قيمة الخراج الواجب على ولاية مصر دفعه وترتيب مقداره وطريقة تحصيله بما يناسب حالة إيرادات الولاية اما عاخص التسميات في الرتب المختلفة في العسكرية المصرية فرخص لمحمد على باشا أن يمنحهم نفسه حتى رتبة الامير الاى فقط أما التسمية لمافاق على هذه الرتبة فيجب عليه أن يعرض بشأته الى الباب العالي

أما ما كان متعلقاً بالادارة الداخلية وكان اتباعه واجبا في مصر كاتباعه في سائر الممالك العثمانية فيظهر ان محمد على باشا لا يرغب التسكيم بشأته بما ينبغي من الصراحة مع كونه قد سبق تقرير ذلك في العقد المفرد التابع لمعاهدة الحالفه ولكن كي لا يدع الباب العالي سبيلا للدول المتحالفة بالتضرر منه بامر من الامور كما لو حدث ان ارتكب محمد على في المستقبل أفعالا مخالفة لنقطة مهمة مسندة على المعاهدة المحكى عنها قد قرر وزراء الباب العالي والحالة على ما ذكر أمر أشديد الاهمية هو أن تطلب بادىء بدء الابضاحات والتقريرات الصريحة بهذا الصدد ولذلك تحرر هذا اسعادتكم ارجاء اعطاء الابضاحات والتقريرات المذكورة من قبلكم خطأ اه

ولما أقرت الدول على هذا التحويل بمقتضى لائحة تاريخها ١٨٨٨ ربيع الاول سنة ١٢٥٧ الموافق ١٠ مايو سنة ١٨٤١ اصدرت الحضرة الشاهانية فرمانا آخر في ١١ ربيع آخر سنة ١٢٥٧ الموافق أول يونيو سنة ١٨٤١ مؤيداً لما في فرمان السابق وفي غرة جمادى الآخر سنة ١٢٥٧ الموافق ٢٠ يوليو سنة ١٨٤١ صدر فرمان آخر بجعل مقدار مائتة الف كيسة المصرية الى الدولة العلية سنوياً ثمانين ألف كيسة (١) ثم أخذت فرنسا وانكلترا سعيان في ابطال شروط معاهدة (خونكاراسكليه) القاضية بان يكون لمراكب الروسية حق المرور من بوغازى البوسفور والدردنيل في أى

(١) واستمد دفع الخراج بهذه الكيفية لغاية سنة ١٢٨٢ هـ ثم زيد مقداره الى مائة وخمسين ألف كيسة أعني ٧٥٠٠٠٠ جنيهه عثماني بمقتضى فرمان صادر بتاريخ ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ الموافق ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ عقب تنازل الدولة العلية لمصر عن مدينتى سواكن ومصوع ومديرية التاكة وتغيير ترتيب ايراة في خديوية مصر في عهد الخديوى الاسبق المرحوم اسمعيل باشا بان حصرت الوراثة في الاكبر من أولاده ثم أولاد الاكبر ثم في أخوته عند عد وجود ولد له ثم أولاد الاخوة على هذا الترتيب وفي أول يوليو سنة ١٨٧٥ الموافق ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٢٩٢ صدر فرمان بتحويل ادارة مدينة زليخ الى الخديوى المرحوم اسمعيل باشا بزيادة خمسة عشر جنيهاً عثماني على الجزية وفي ١٠ شعبان سنة ١٣٠٨ صدر أمر على من الخديوى المرحوم توفيق باشا بالتمهيد عن نفسه وعن خلفائه في الحال والاستقبال بان تدفع الحكومة المصرية للخوارج روتشيلد وأولاده بلوندره وروتشيلد اخوان بياريس والبنك الملوكانى العثماني من أصل الوريث الواجب على الحكومة المصرية للحضرة الشاهانية مبلغ بنس شلن جنيه انكليزى سنوياً لمدة ستين سنة تبتدىء من ١٠ ابريل سنة ١٨٩١



الاول أعتى في ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ هذانصه

ان سدّتنا الملوكية كما توضح في فرماننا السلطاني السابق قد ثبتتم على ولاية مصر بطريق التوارث بشروط معلومة وحدود معينة وقد قلدتم فضلا على ولاية مصر ولاية مقاطعات النوبة ودارفور وكردفان وسنار وجميع نوابها ومحققاتها الخارجة عن حدود مصر ولكن بغير حق التوارث فبقوة الاختيار والحكمة التي امتازت بها تقومون بادارة هاته المقاطعات وترتيب شؤونها بما يوافق عدالتنا وتوفير الاسباب الآيلة لسعادة الاهلين

وترسلون في كل سنة قائمة الى بابنا العالي حاوية بيان اليرادات السنوية جميعها وحيث أنه يحدث من وقت لا آخر أن تهجم الجنود على قرى المقاطعات المذكورة فيأسرون الفتيان من ذكور وأنات ويهقونهم في قبضة يدهم لقاء روايتهم وحيث ان هذه الامور مما تنقض معها الحال ليس فقط لانقراض أهالي تلك البلاد وخرابها بل انها أمور مخالفة للشريعة الحقة المقدسة وكلاهما تين الحالين ليست أقل فظاعة من أمر آخر كثير الوقوع وهو تشويه الرجال ليقوموا بخمر الحريم ذلك مما لا ينطبق على ارادتنا السنية مع مناقضته كل المناقضة لمبادئ العدل والانسانية المنتشرة من يوم جلوسنا المنوس على عرش السلطنة العلية فعليكم مداركة هذه الامور بما ينبغي من الاعتناء لمنع حدوثها في المستقبل ولا يرح عن بالسكم ان فيماعد بعض أشخاص توجهوا الى مصر على أسطولنا الملوكي قد عفوت عن جميع الضابطان والعساكر وقى المامورين الموجودين في مصر نعم ان بموجب فرماننا السلطاني السابق تسمية الضابطان المصرية لما فوق رتبة المعاوين يستلزم العرض عنها لاعتبارنا الملوكية الا أنه لا بأس من ارسال بيان باسم من رقيتم من ضباط جنودكم الى بابنا العالي كي ترسل لهم فرمانات المؤذنة بتثبيتهم في رتبهم هذا ما نطق به ارادتنا السامية فعليكم الاسراع في الاجراء على متضاهاها اه

فقبل محمد على باشا كل هذه الشروط ولوعن غير رضاء ثم طاب من الدول أن تساعد في تخفيف بعضها وتغيير البعض الآخر فقبلت ذلك وأرسلت الى الباب العالي لأحة بتاريخ ١٣ مارث سنة ١٨٤١ طلبت منه بما أن يعادله على حسب ما هو مدون بماحق معاهدة ١٥ يولييه سنة ١٨٤٠ وبالأحة ٣٠ يناير سنة ١٨٤١ فتنازلت الحضرة السلطانية بتمتضي لأحة أرسلت للدول بتاريخ ١٩ أبريل سنة ١٨٤١ بتجوير فرمانها الصادر في ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ هذه صورتها

ان الحضرة السلطانية الفخيمة تلقت ما تعطف عليها به الدول المتحالفة من النصائح هذه الدفعة أيضاً وبمناسبتها قدمحت محمد على باشا احسانا جديداً هو التكرم منها باعطائه الامتيازات الاتية ولسكتها قد اشترطت عليه الانقياد التام الى جميع الوثائق والمعاهدات المبرمة حالا والتي ستهرم استقبالا فيما بين الباب العالي والدول المتحالفة وعلى ذلك أصبحت

قبيل هيتها وطرزها

ويكفي أن يكون لمصر في أوقات السلم ثمانية عشر ألف نفر من الجند للمحافظة في داخلية مصر ولا يجوز أن تتعدى ولا يتكم هذا العدد ولكن حيث أن قوات مصر العسكرية معدة لخدمة الباب العالي كسوة قوات المملكة العثمانية الباقية فیسوغ أن يزداد هذا العدد في زمن الحرب بما يرى موافقاً في ذلك الحين على أنه بحسب القاعدة الجديدة المتبعة في كافة ممالكنا بشأن الخدمة العسكرية بعد أن تخدم الجند مدة خمس سنوات يستبدلون بسواهم من العساكر الجديدة فهذه القاعدة يجب اتباعها أيضاً في مصر بحيث ينتخب من العساكر الجديدة الموجودة في الخدمة حالا عشرون ألف رجل ليدأوا الخدمة فيحفظ منها ثمانية عشر ألف رجل في مصر وترسل الالفان لها لاداء مدة خدمتهم وحيث ان خمس العشرين ألف رجل واجب استبدالهم سنويا فيؤخذ سنويا من مصر أربعة آلاف رجل حسب القاعدة المقررة من نظام العسكرية حين سحب القرعة بشرط أن تستعمل في ذلك مواجب الانسانية والنزاهة والسرعة اللازمة فيبقى في مصر ثلاثة آلاف وستمائة جندي من الجنود الجديدة والاربعمائة يرسلون الى هنا ومن أتم خدمته من الجنود المرسله الى هذا الطرف ومن الجنود الباقية في مصر يرجعون الى مساكنهم ولا يسوغ طلبهم للخدمة مرة ثانية ومع كون مناخ مصر ربما يستلزم أقمشة خلاف الاقمشة المستعملة للمبوسات العساكر فلا بأس من ذلك فقط يجب أن لا تختلف هيئة الملابس والعلامم التمييزية ورايات الجنود المصرية عن مثلها من ملابس ورايات باقي الجنود العثمانية وكذا ملابس الضابطان وعلامم امتيازهم وملابس الملاحين وعساكر البحرية المصرية ورايات سفنها يجب أن تكون ماثلة للملابس ورايات وعلامم رجالنا وسفننا

وللحكومة المصرية أن تعين ضابطان برية وبحرية حتى رتبة الملازم أما ما كان أعلى من هذه الرتبة فالتعيين اليها راجع لارادتنا الشاهانية

ولا يسوغ لوالى مصر أن ينشئ من الآن فصاعداً سفناً حربية الا باذننا الخصوصى وحيث ان الامتياز المعطى بوراثه ولاية مصر خاضع للشروط الموضحة أعلاه فعدم تنفيذ أحد هذه الشروط موجب لابطال هذا الامتياز والغائه للحال وبناء على ذلك قد أصدرنا خطنا هذا الشريف الملوكى كى تقدروا أنتم وأولادكم قدرا احساننا الشاهانى فاعتنوا كل الاعتناء باتمام الشروط المقررة فيه وتحملوا أهالى مصر من كل فعل اكراهى وتسكفوا أمنيتهم وسعادتهم مع التحذر من مخالفة أوامرنا الملوكية واخبار بابنا العالى عن كل المسائل المهمة المتعلقة بالبلاد المعهوده ولايتها لكم اه

وافد منحه الباب العالي أيضاً ولايات النوبة ودارفور وكردفان وسنار مدة حيانه بدون أن تنتقل الى ورثته كمصر بمقتضى فرمان شاهانى أصدر فى اليوم الذى أصدر فيه فرمان

لدى صدورنا الاعظم ومنحنا كفضلنا على ذلك ولاية مصر بطريق التوارث بالشروط  
الآتية فيما بينها :  
مضى خلا منطبق الولاية المصرية تعهد الولاية الى من ينتخبه سد ثلثا الملوكة من  
أولادكم المذكور وتجري هذه الطريقة نفسها بحق أولاده وهلم جراً اذا انقضت ذريعتكم  
الذكور لا يكون لأولاد نساء عائلتكم المذكور حق أيا كان في الولاية وارثها ومن وقع عليه  
من أولادكم الانتخاب لولاية مصر بالأثر بعدكم يجب عليه الحضور الى الاستانة لتقليده  
الولاية المذكورة على أن حق التوارث الممنوح للوالى مصر لا يمنح رتبة ولا لقباً أعلى من  
رتبة سائر الوزراء ولقبهم ولا حقاً في التقدم عليهم بل يعامل بمذات معاملة زملائه وجميع  
أحكام خطنا الشريف الهماني الصادر عن كفاية وكافة القوانين الاجارية الجارية العمل  
بها أو تلك التي سيجرى العمل بموجبها في ممالكنا العثمانية وجميع العهود المعقودة وألتي  
ستعقد في مستقبل الأيام بين بابنا العالى والدول المنتخبة يتبع الاجراء على مقتضاها جميعها  
في ولاية مصر أيضاً وكلما هو مفروض على المصيريين من الاموال والضرائب يجرى  
تخصيمه باسمنا الملوكة

ولكن لا يكون أهالى مصر وهم من بعض رعيا بابنا العالى معرضين للمضار والاموال  
والضرائب غير القانونية يجب أن تنظم تلك الاموال والضرائب المذكورة بما يوافق حالة  
ترتيبها في سائر الممالك العثمانية ويربع الايرادات الناتجة من الرسوم التجارية ومن باقى  
الضرائب التي تحصل في الديار المصرية تحصل بتمامه ولا يخصم منه شيء ويؤدى الى  
خزينة بابنا العالى العامة والثلاث أرباع الباقية تبقى لولايتكم لتقوم بمصاريف التخصيم  
والادارة المدنية والجرادية وبنفقات الوالى وبإمان الغلال المأثومة فمصر بتقديمها سنوياً  
الى البلاد المقدسة ( مكة والمدينة ) ويبقى هذا الخراج مستمر أدفعه من الحكومة المصرية  
بطريقة تأديته المشروحة مدة خمس سنوات تبتدى من عام ١٢٥٧ أى من يوم ١٢  
فبراير سنة ١٨٤١ ومن الممكن ترتيب حالة أخرى بشأنهم في مستقبل الأيام تكون  
أكبر موافقة لحالة مصر المستقبلية ونوع الظروف التي ربما يجد عليها  
ولما كان من واجبات بابنا العالى الوقوف على مقدار الايرادات السنوية والطريق  
المستعملة في تحصيل العشور وباقى الضرائب وكان الوقوف على هذه الاجوال يستلزم  
تعيين لجنة مراقبة وملاحظة في تلك الولاية فينظر في ذلك فيما بعد ويجري ما يوافق ايراداتنا  
السلطانية

ولما كان من اللزوم أن يعين بابنا العالى ترتيباً لصك النقود لما في ذلك من الاهمية بحيث  
لا يعود يحدث فيها خلاف لا من جهة العيار ولا من جهة القيمة اقتضت ارادتي السنية  
أن تكون النقود الذهبية والفضية الجائز للحكومة مصر ضربها باسمنا الشاهاني  
معادلة للنقود المضروبة في ضربنا العامة بالاستانة سواء كان من قبيل عيارها أو من



وكان ابنه ابراهيم اعطى في الرجوع الى مصر في شوال سنة ١٢٥٦ الموافق اول أغسطس شهر  
 ديسمبر سنة ١٨٤٤ ووصول الكل الى القاهرة بعد ان ذاقوا مرارة النصب وتحملوا أنواع  
 الجوع والتعب وقاسوا بشديد الوصب مما نكل عن وصفه الاقلام ولا تحيط بعنته  
 الاوجام ويكدر الازهار فضلا عن موت كثير منهم في الطريق بسبب مناوشات  
 العرب الذين زادت قوتهم وجرأتهم لما تحقوا عدم تمكن المصريين من العودة وزعم  
 واقناعا لغيرهم ومع ذلك فقد تمكن سليمان باشا من ارجاع مائة وخمسين صدقاً  
 بخيولها الى مصر وكثير من خيول السوارى التي هلكه قيم عظيم منها بسبب العطش  
 وشدة التعب في هذه الرحلة  
 فتم نوايا ابراهيم باشا وفريقه فلم يتمكن من العودة الى القاهرة من طريق صحراء العريش  
 لشدة مالا قوة أثناء مجزومهم في فلسطين من معارضة العرب لهم وسد لهم الطريق عليهم  
 واحتلهم جميع القناطر المبنية على الانهر حتى اضطر لحار بهم في كل يوم بل وفي  
 كل ساعة  
 وبعد وأخيراً وصل بقية غزاة بعد ان استشهد في الطريق ثلاثة أرباع من جمعهم وكثير من  
 المستخدمين المتكئين الذين أرادوا الرجوع الى وطنهم مع عائلاتهم فخلا وصل غزاة كتب  
 لولده اشجاراً بقدمه وطلب منه ارسال ما يلزمه من المراكب لنقل فرقته الى الاشكندرية  
 ومما يلزمه ليوطنهم وفلبسهم  
 وفي أثناء هذه الخدمة عرض السيد كومودور نابير على محمد علي باشا أن يخالصه حكومة  
 الانكليزية تسع في المئة من البلب العالي في اعطاء مصر له وورثته لو تاروا عن الشام وود الدونانة  
 للتركية الى الدولة العلية فامتثل لهذا الامر وقبل هذه الشروط مطلقاً مضمناً لذريته وتم  
 بينهما الاتفاق في ٢٠ شوال سنة ١٢٥٦ الموافق ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٤  
 وعلم قبل البلب العالي هذا الاتفاق الا بعد تردد واحتجاج وتداول عدة مخاطبات  
 بينه وبين وكلاء الدول الاربع المتحددة المحتملين بمدينة لوندرة بضعة مؤثر لا حذر بذلك  
 فرمانهم المؤتى في تاريخ ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٥٦ الموافق ١٣ فبراير سنة ١٨٤٤  
 هذا فيه انما عن خاموس خلد  
 رأينا بضرورة ما أعرضتوه من التبرهن على خضوعكم وتناكيدات انما تسكن وصدق  
 عموماً بكم لذاتنا التماهيية وصالحه باينا العالي فقول اختباركم ومما لكم من الذرية  
 بأحوال البلاد المسماة اذ انما لكم من مدة مدبرة لا يتركان لنا رزياً بأنكم قادرون  
 بما تبدوونه من الغيرة والحكمة في ادارة شؤون ولايتكم على الحصول من لدنا الشاهداني  
 على حقوق جديدة في تعظيمنا الملوكة وثقتنا بكم فتمدرون في الوقت - نسبة احساناتنا  
 اليكم قدرها ونجهدون ثبت هذه المزايا التي أمرتم بها في اولادكم وبمناسبة ذلك صممنا  
 على تثبيتكم في الحكومة المصرية المينة جيدودها في الخريطة المرسومة لكم من



بدون خوف من تعدى أحد عليها وله الفضل أيضا في استئصال شأفة الوهايين من بلاد العرب وإعادة الامن الى طريق الحجاج واستخلاص مدينتي مكة والمدينة منهم بعد أن استحال اذلالهم على أيدي العساكر الشاهانية فضلا عن انه هو الذي فتح بلاد الروم ولولا ما حصل لاعادها الى الدولة العلية بعد ما بنست من رجوعها اليها وهو الذي أعاد الامن الى ربوع الشام بعد احتلاله لها ومنع تعدى البدو على الحضر كما أنه أبطل القتال المستمر الذي كان لا ينقطع دائما بين الدروز والمارونية الامر الذي لم يحصل مثله قبل احتلاله ولا بعده (١) وقد انخرط الامير الكبير بشير عن موافقة ابراهيم باشا بعد ان حافظ على ولائه مدة رغبة في أن يعطى له من لدن الباب العالي اسم أمير الجبل وينادى له بذلك على رؤوس الاشهاد فانعكس عليه امره وعاد عليه شؤم خيانتة فعزل عن امانة الجبل والزيم بمقارعة الشام فانتبه من غفلته وندم على ما كان منه حيث لا ينفعه الندم ثم اوصلته احدى السفن الانكليزية الى بيروت فقابله هناك الاميرال ستوبفورد وبعد ان عنفه على تذبذبه الذي حصل منه ونفاقه الذي اذاه الى ان يتبع الاقوى شوكة وعدم حفظه للعهود امر بارساله وتابعيه مع قليل من عائلته الى جزيرة مالطة ولم يجبه الى ما طلبه من ارساله الى ايطاليا أو فرنسا فوصل هذه الجزيرة في ٦ رمضان سنة ١٢٥٦ الموافق أول نوفمبر سنة ١٨٤٠ وكان عمره اذ ذاك خمسا وعشرين سنة ومضى ما بقى من عمره مفكرا في أسباب زوال النعمة وسوء عاقبة التذبذب وأن الاحوط للانسان والاجدر به أن يحافظ على عهده لانه لو مات مع المحافظة عليها مات بالشرف والمجد ولو عاش مع الخيانة والتلون لعاش مع الفضيحة والعار وتوفي في سنة ١٢٦٧ الموافقة سنة ١٨٥٠ في القسطنطينية ودفن في غلطة

هذا ولتقل بالاختصار أن المراكب الانكليزية والعساكر المختلطة التي أنزلت الى البر في عدة مواضع تمكنت من أخذ جميع المدن الواقعة على البحر واخراج المصريين منها حتى لم يرمح على باشا بدأ من الاذعان الى مطالب أوروبا وأنه من العبث المحض مقاومة الدول المتحدة فأصدر أوامره الى ولده ابراهيم باشا بعدم تعريض عساكره للقتال والموت بلا فائدة وباستدعاء الجنود العسكرية في حدود الشام والانجلاء عنها مع اتخاذ أنواع الاحتراس الكلى من العرب وسكان الجبل فبلغ ابراهيم باشا هذه الاوامر الى القواد جميعهم وأخذ الجنود في الرجوع من كل فج وصاروا يتجمعون حول قائدهم الاعظم الذي قادهم غير مرة الى النصر والظفر وبعد ذلك قسم الجيش عدة فرق كل منها تحت إمرة أحد ممن اشتهر من القواد بالبسالة والتبصر في عواقب الامور وسار الكل راجعين الى مصر تاركين البلاد التي سفكوا فيها دماءهم وتركوا فيها قبور اخوانهم

(١) أريد بذلك ما حصل في بلاد الشام من تعدى الدروز على المارونية بل وعلى كافة المسيحيين من الطوائف الاخرسنة ١٨٦٠ وقتلهم اياهم واحرقهم بيوتهم واتهاكم حرمة كنائسهم وعرض نساءهم ولولا حماية عبد القادر الجزائري لنصارى دمشق لقتلوا عن آخرهم الامر الذي أوجب تدخل فرنسا واحتلال عساكرها البلاد الشامية مدة سنتين تقريبا ولولا نزاهة نابليون الثالث لصار هذا الاحتلال أبديا

اخلاء المصريين  
بلاد الشام

تيرس بعشرين يوما

هذا ولم تشترك الدول الاربع في محاربة محمد على باشا بل قامت انكثرا وحدها بهذا العمل وساعدتها النمسا والدولة ببعض مراكبها وعساكرها البرية للنزول الى البر اذا اقتضى الحال ذلك

وأما دولة البروسيا فلم يكن لها مراكب اذذاك والروسيا لم ترد الابتعاد عن القسطنطينية ولما وصل الى سليمان باشا بلاغ الكومودور ناير وعلم بمشوراته للاهالي أعلن في الحال بجعل البلاد تحت الاحكام العسكرية وذلك خوفاً من قيام الجلبين اتباعاً لمشورة الانكيز وأدخل في مدينة بيروت العمد الكافي من الجند وأرسل لابراهيم باشا أن يحضر اليه بحيشه الذي كان معسكراً بقرب مدينة (بعلبك) ليشارك في المدافعة عن مين الشام فوصل ابراهيم باشا الى بيروت وعسكر في ضواحيها وفي ١٢ رجب سنة ١٢٥٦ الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٨٤٠ وصل الاميرال (ستونفورد) الذي كان يحول بمراكبه أمام الاسكندرية الى مياه بيروت ليشارك مع الكومودور ناير في اطلاق المدافع على مين الشام وفي اليوم التالي وصلهما العساكر البرية وكانت مؤلفة من ألف وخمسمائة من البيادة الانكليزية وثمانية آلاف بين أترك وأرتوود

وفي يوم ١٤ رجب الموافق ١١ سبتمبر أنزلت هذه العساكر الى البر في نقطة تبعد نحو ستة أميال في شمال بيروت ولم يتمكن ابراهيم باشا من منعهم لوجود هذه النقطة تحت حماية المدافع الانكليزية

وفي ظهر ذلك اليوم بعد نزول هذه العساكر الى البر أرسل الى سليمان باشا بلاغ من الاميرالين الانكليزي والنمساوي بان يخلى مدينة بيروت حالا فطلب منهم مسافة أربع وعشرين ساعة كي يتداول مع ابراهيم باشا في هذا الامر الجال فلم يقبل طلبه وابتدأ في اطلاق المدافع على المدينة واستمر اطلاقها حتى المساء وابتدى أيضاً في اليوم التالي قبل الفجر ولم تقطع الا بعد هدم أو حرق أغلب المدينة وأحرقت كذلك كل الثغور الشامية قصد استخلاصها من محمد علي باشا وارجاعها الى الدولة العلية كما كانت مع ان محمد علي باشا لم يأت بامر يدل على رغبته في الخروج من تحت ظل الراية العثمانية بل لم يزل مؤكداً اخلاصه وولاءه للدولة ولم يطلب الا بقاء هذه الولايات له ولذريته مع تبعيتهم للباب العالي ودفعهم الخراج له اعترافاً ببقاء تلك التبعية ولولا تقلب الاحوال بينه وبين السلطان لم بينهما الاتفاق على أحسن وفاق وحققت دماء العباد ويدل على رغبة الطرفين في ذلك ارسال الباب العالي سارييم بك أولاً وعاكف أفندي ثانياً الى محمد علي باشا لحل هذه المسألة

ولا يخفى ان محمد علي باشا هو الذي خاص مصر من فئة الممالك الباغية ونشر بجميع جوانبها الواء الامن وتسبب في ازدياد الزراعة ونمو التجارة حتى توفرت لمصر أسباب الثمن وتيسر بهذه الكيفية لقوافل التجارة الاوروپاوية المرور بين الاسكندرية والسويس

والشام ووردت الاوامر الى الدونامة الانكازية بمحاصرة سواحل الشام وأستمرار كبح  
المصرية بحر بنة كلفت أو تجازية فعاد نابير الى بيروت بعد ان اخذ في طريقه كل ما قابله  
من المراكب او وصله ما في ٥٠ جمادى الثانية الموافق ١٤ أغسطس و أعلن للعساكر  
المصرية باخلاء بيروت وعكا في أقرب وقت ونشر في أنحاء الشام منشورات لا غلام  
الاهالي بها قرن رته الدول من بقاء الشام لمضر باعداد عكا وتجريحهم على العصيان على  
الحكومة المصرية وإظهار ولائهم للدولة العلية العثمانية

وفي اليوم المذكور (٢٥ جمادى الثاني) بلغت هذه المعاهدة رسلها الى محمد علي باشا  
وأثبت اليه بعد ذلك فنادى الدول الاربع المتحدة وعرضوا عليه بأنهم دولهم أن تكون  
ولاية مصر له ولورثته وولاية عكالة مدة حياته (وأمره) عشرة أيام لا غطاء جوابه فطلب  
منهم ككتابة بذلك فلبوا طلبه ثم في اليوم التالي إقترحوا أن فرنسا لا يمكنها مساعدته قط  
وان الدول مصممة على تنفيذ ما اتفقت عليه ولو أدى ذلك إلى حرب أوروبية لم تكن  
أصراً على عدم القبول والدفاع عن حقها الى آخر رفق من حياته وفي يوم ٢ جمادى الثاني  
الموافق ٢٤ أغسطس الذي هو غاية الميعاد المعطى للمخاض اليه القناصل ومعه مندوب  
الدولة واخبروه بأنه لاحق له الآن في ولاية عكا وان الدول لا تسمح له إلا بولاية مقرر  
فقط له وللورثة فاحتدم عليهم غضباً وطردهم من عنده قائلاً لهم كيف يجوز أن نسمح  
لهم بالتقدم في بلادهم واتهم وكلاء أعدائهم في هذه الديار فانصرفوا واعطوه عشرة أيام آخر  
لا بداء جوابه بحيث ان لم يجاب تكون الدول غير مسؤولة عما يحصل له من الضرر وبعد  
انقضاء هذه المدة بدون أن يبدى لهم جوابه كتبوا القناصل بذلك الى سفير الدول  
بأستانبول فاجتمعوا مع الصدر الاعظم وقرروا بالتحذير أخذ مصر والشام من محمد علي باشا  
وفي أثناء هذه المدة كانت فرنسا ابتاعاً لراي المسمى تيرس المستعد للقتال مساعدته لمحمد  
علي باشا ولكن لسوء حظ الامة المصرية كانت هذه الاستعدادات غير كافية ولا تتم إلا  
بعد ستة أشهر لعدم وجود السلاح والذخائر الكافية للحرب لا سيما وان فرنسا تكون في  
هذه الحالة مقاومة لآخر دول أوروبا  
ولما تحقق أمالي فرنسا أن حكومتهم لا تقوى على مساعدة محمد علي باشا فعلا بعد أن جرت أنة  
على المقاومة ووعده بالسيادة هاج الرأي العام على المسمى تيرس المعضد لهذه السياسة  
التي عادت على مصر بالضرر العظيم حتى التزم الاستعفاء في يوم ٢٣ رمضان سنة ١٢٥٦  
الموافق ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٤٠ لكن لم يجد استعفاؤه لمصر نقراً لوقوفها فغير دها أمم  
أربع دول من أعظم الدول شأنها وإعلاها مكانة وأكثرها قوة إذ أرسلت فرنسا وأوامرها  
لدونامة أولاً بالانسحاب الى مياه اليونان ثم بالعودة الى فرنسا وترك مصر والشام  
للمراكب انكازاً تحرق منها عقد وفاتها الجنوبية  
وكان رجوع الدونامة الفرنسية في ١٤ أكتوبر سنة ١٨٤٠ أي قبل استعفاء المسمى



لا تريد عن شهرين بحيث يكون التصديق في مدينة لوندرد  
وشفعت هذه المعاهدة بملحق مصدق عليه من مندوب الدولة العلية مبين فيه  
الحقوق والامتيازات التي يمكن منحها لمحمد علي باشا وقبل امضاء هذه المعاهدة ابتدأت  
الانكارات في تحريض سكان لبنان من دروز ومارونية ونصيرية على شق عصا الطاعة وارسل  
اللورد بنسون في سفريها لدى الباب العالي ترجمانه المسترود والى الشام لهذه الغاية واعلم بذلك  
اللورد بالمستون برسالة تاريخها ٣٠ ربيع الثاني سنة ١٢٥٦ الموافق ٢٩ يونيو سنة ١٨٤٠  
محفوظة في سجلات المملكة وبمجرد وصول المسترود الى محل مأموريته اخذ في نشر  
ذلك بين الالهالي وافتد نخب في مأموريته وأشهر الجليلون العصيان ونجموا وامتساحين  
وامتنعوا عن تأدية الخراج والمؤن العسكرية لكن لم تنسع هذه الثورة الا بتدائية لتداركها  
في أولها فارسل المدد من مصر واهتم كل من ابراهيم باشا وسليمان باشا الفرنساوي وعباس  
باشا الاول (١) في اتحادها فاطقت قبل أن يتعاضم أمرها وعادت السكينة في كافة الانحاء  
ومن ثم اخذ سليمان باشا الفرنساوي في تحصين مدينة بيروت لعلمه انها أول ميناء  
معرضة لمراكب الانكاز وكذلك بني القلاع لحماية كل النفوذ ووضع بها المدافع الضخمة  
ولكن لسوء الحظ لم تجد هذه الامتصاصات شغراً امام مراكب الانكاز والنمسا كيمسجى  
ولما علمت الحكومة الانكازية ان المرحوم محمد علي باشا هم في ارسال العساكر والذخائر  
من طريق البحر الى الشام ارادت ان تعارضة وتعاكسه اما باخذ دونائمه او تشيته  
وتفريقها ليتعذر ارسال المدد براً لوجود الصحراء الرملية الفاصلة بين مصر والشام من  
طريق العريش فارسلت اوامرها في اوائل شهر يوليو سنة ١٨٤٠ الى الكومودور  
نايربان يتوجه بمراكبه الى مياه الشام ومصر لاستخلاص الدونامة التركية لوخرجت من  
ميناء الاسكندرية واسر أو احرق الدونامة المصرية لو قابلها فلما علمت فرنسا بهذا الخبر  
ارسلت احدى بوارجها البخارية الى بيروت لتبلغ قائد الجيوش المصرية هذا الخبر المشؤوم  
فرجعت في الحال المراكب المصرية الى الاسكندرية حتى اذا وصل الكومودور ناير  
لم يجد لها فاعثا لذلك ويقال انه قبل ان يبارح مياه بيروت ارسل الى سليمان باشا كتابا  
بتاريخ ٢٤ يوليو يظهر له فيه تسكده من اجوات القواد المصريين في الشام ومعاملاتهم  
الثائرين بالقسوة وانهم ان لم يكفوا عن اعمالهم البربرية (على زعمه) اضطر للتدخل وانزال  
عساكره الى بيروت فاجابه سليمان باشا بانه لا يقبل ملحوظاته ويعلمه بانه لا يناط به من  
الآن فصاعداً واذا كان عنده ملحوظات مثل هذه فليبدها لمحمد علي باشا  
ولم يبتدىء شهر اغسطس سنة ١٨٤٠ الا وقد ورد خبر معاهدة ١٥ يوليو الى مصر

(١) هو عباس باشا الاول (ابن طوس) باشا ابن محمد علي باشا الكبير ولد في جدة سنة ١٨١٦ حيث  
كان والده يبلاد العرب لقائته الوهابيين وتولي علي الاريكة المصرية في ٢٧ الحجة سنة ١٢٦٤ الموافق ٢٣  
نوفمبر سنة ١٨٤٨ بدموت عمه ابراهيم باشا وتوفي في ١٨ شوال سنة ١٢٧٠ الموافق ١٤ يولييه سنة  
١٨٥٤ واختلف في سبب وفاته قيل بالسكتة وقيل مقتولاً



رئاسة الوزارة الفرنسية في أول مارث سنة ١٨٤٠ لم يتبع خطة أسلافه في إنهاء المسئلة المصرية بالاتحاد مع انكلترا بل أراد أن يضع لها حداً باتفاقه وأسمع الباب العالي ومحمد علي باشا بأن يلزم الباب العالي أن يترك لمحمد علي باشا ولايات مصر والشام له ولذريته ويهدده بمساعدة فرنسا لوالى مصر أن لم يذعن الباب العالي لهذه المطالب

فارسى لمحمد علي باشا يخبره بأن لا يقبل مطالب انكلترا بل يقوى مركزه في الشام ويتأهب للكفاح وأن فرنسا مستعدة لنجدته لو عارضته انكلترا

فلما علم اللورد بالمستون بهذه المخبرات حنق على الحكومة الفرنسية وبذل جهده في الاتفاق مع روسيا وبروسيا والنمسا لارجاع محمد علي باشا الى حدود مصر والزامه بالقوة أن لم يطع ولقد نجح بالمستون في مسعاه وأمضى بتاريخ ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ مع من ذكر من الدول معاهدة صدق عليها مندوب الدولة العلية مقتضاه

﴿ أولاً ﴾ أن يلزم محمد علي باشا بارجاع ما فتحه للدولة العلية ويحفظ لنفسه الجزء الجنوبي من الشام مع عدم دخول مدينة عكا في هذا القسم

﴿ ثانياً ﴾ أن يكون لانكلترا الحق بالاتفاق مع النمسا في محاصرة فرض الشام ومساعدة كل من أراد من سكان بلاد الشام خلع طاعة المصريين والرجوع الى الدولة العلية وبعبارة أخرى تحريرهم على العضيان لاشتغال الجيوش المصرية في الداخل كي لا تقوى على مقاومة المراكب النمساوية والانكليزية

﴿ ثالثاً ﴾ أن يكون لمراكب روسيا والنمسا وانكلترا معاً حق الدخول في البوسفور لوقاية القسطنطينية لو تقدمت الجيوش المصرية نحوها

﴿ رابعاً ﴾ أن لا يكون لاحد الحق في الدخول في مياه البوسفور مادامت القسطنطينية غير مهددة

﴿ خامساً ﴾ يجب على الدول الموقع مندوبوها على هذا الاتفاق أن تصدق عليه في مدة

فطلب تحصين مدينة باريس والقيام بتجهيزات عسكرية مهمة خوفاً من الارتباكات الناشئة من تداخل الدول بين محمد علي باشا والسلطان ثم استقال لاختلافه في الراى مع ملكه بخصوص المسئلة المصرية وحينئذ ابتدأ في تاريخه عن القنصلية والامبراطورية ثم في سنة ١٨٤٨ طعن في سياسة لويس فيليب الخارجية وساعد على عزله وانتخب عضواً في الحكومة المؤقتة وفي سنة ١٨٥١ عارض لويس نابليون في تأسيس امبراطورية ثانية فسجنه لما أعاد الامبراطورية من ٩ ديسمبر سنة ١٨٥١ الى ٧ يوليو سنة ١٨٥٢ ثم في سنتي ٦٥ و ٦٦ أخذ يندد على سياسة الامبراطور وصرفه النفقات الباهظة في حرب ايطاليا وحملة المكسيك وفي سنة ١٨٧٠ كان ضد الحرب لتحققه من عدم استمداد حكومة فرنسا ولما حصل ما أناب به من تغلب البروسيا ألح بالدفاع عن باريس وسمى لدى الدول للمساعدة في إقامة هدنه فلما لم يفلح عاد الى فرنسا وانتخب في مجلس نوابها ثم في ١٧ مارث سنة ١٨٧١ تعين رئيساً للسلطة الاجرائية فتمكن من دفع الغرامة الحرية قبل ميعادها وخلص بذلك وطنه من احتلال الاجنبي وفي ١٦ أغسطس أطل مجلس النواب مدته ثلاث سنين ولقبه بلقب رئيس الجمهورية ثم استقال في ٢٤ مايو سنة ١٨٧٣ لمعاكسة الاحزاب له وخلفه المارشال ما كاهون وله تأليف سياسية شهيرة واشتهر أيضاً في الخطابة وتوفي في سنة ١٨٧٩ واحتفلت الامة الفرنسية بجنائزه احتفالاً عظيماً

الاستعداد لصد القوة بالقوة بحيث لا يسلم شيئا من الارض التي صرف ماله ورجاله في فتحها المضطراً وكلف سليمان باشا بتفقد سواحل الشام وتحصينها بقدر الامكان سيما مدينتي عكاو بيروت وأمر بتعليم كافة الاهالي جميع الحركات العسكرية وحمل السلاح لكي يسهل له حفظ الامن الداخلي بواسطتهم وصد المهاجمين بواسطة الجيش المتدرب على الحرب ولزيادة جيشه استدعى من الاقطار الحجازية والنجدية الجيوش المصرية المحتلة لها وأخذ أيضاً في توفير الاموال من بعض وجوه مصاريقها وأطلق سراح محمد بن عون شريف مكة الذي كان قد أزمه الإقامة بمصر من مدة وبالجملة تخلى عن بلاد العرب وتركها هملاً كما كانت لا تحتاجه الى المال والرجال لانها كانت تكلفه سنوياً مبلغاً أقدره سبعة مائة ألف جنيه مصري تقريباً بلا فائدة ثم أرسل الى ولده ابراهيم باشا الاوامر المشددة بان يجتهد في اطفاء كل نورة جزئية يديها سكان الجبل من أى طائفة خوفاً من اشتداد الخطب في الداخل حين الاحتياج للانتباه لما يأتي من الخارج

ثم في أوائل سنة ١٨٤٠ عاودت النمسا الكرة وطلبت من الدول اجتماع مؤتمر في مدينة فيينا لتسوية هذه المسئلة التي أقلقمت بالجميع فقبلت الدول عقده في مدينة لوندرو لا فيينا وطلبت فرنسا أن يكون للباب العالي مندوب خصوصي في هذا المؤتمر مراعاة له لاله من السيادة العظمى على البلاد المتنازع بخصوصها

فلهذا اجتمع هذا المؤتمر طلبت فرنسا ابقاء الشام كلها تحت يد محمد علي باشا فعارضتها الحكومة الانكليزية في ذلك وأصرّت على مطالبتها أولاً وهو انه لا يعطى له الا النصف الجنوبي منها لكنها قبلت أخيراً بناء على الحاح فرنسا ادخال عكا ضمن هذا التسم بشرط أن يكون له مدة حياته فقط ولا ينتقل الى ورثته بل يعود الى الدولة العلية وقبلت الروسية والنمسا والروسيا ذلك لكن لم تقبله فرنسا بحجة أن حرمان ورثة محمد علي باشا من بلاد صرف السنين الطوال في فتحها ليركها لهم بعد موته بما يزيد في حنقه على دول أوروبا وربما لم يقبل هذا القرار المجحف فتلتزم الدول باكرهه وسفك دماء العباد ظلاماً الامر الذي لم تجر هذه المخابرات الا لمنعه فشددت انكساراً وخصوصاً اللورد بالمرستون وزيرها الاول وأبت الارجوع ما يعطى لمحمد علي باشا من البلاد الشامية الى الدولة العلية بعد موته فن عدم الاتفاق وتشتت الآراء وبعد الوفاق لم ينحج هذا المؤتمر وبقيت الحالة على ما هي عليه ثم لما توفي المسيو (تيرس) (١)

(١) هو سياسي شهير ولد في مرسيليا في ١٦ ابريل سنة ١٧٩٧ وتعلّم الشريعة في مدارس مرسيليا واكس واشتغل بالمحاماة الي سنة ١٨٦١ ثم سافر الى باريس واشتغل بالتحرير في الجرائد وكتب تاريخ الثورة الفرنسية في ١٠ مجلدات طبعت من سنة ١٨٢٣ الي سنة ١٨٣١ وكان من أكبر الساعين في قلب حكومة اوبس العاشر في شهر يوليو سنة ١٨٣٠ ولما تولي اوبس فيليب أريكة الملك بعد هذه الثورة عينه مأموراً في الحزبية ثم ولاء وزارة المالية ثم نظارة الداخلية في وزارة المارشال سولت الاولى في ١١ اكتوبر سنة ١٨٣٤ ثم صار رئيساً لمجلس النظر أول مرة في ٢٢ فبراير سنة ١٨٣٦ وعهدت اليه أيضاً نظارة الخارجية واستمرت وزارته الي ٦ سبتمبر سنة ١٨٣٦ ثم عاد الي منصة الاحكام في أول مارش سنة ١٨٤٠

بعد ان قهر الجيوش العثمانية في واقعة نصيبين واننا لو جردناه منها لتركنا له بالبحر مرة أخرى وهو أمر لا تكون عاقبته حسنة لانه بوجب تداخل حكومة روسيا في أمر الدولة العلية بمقتضى العهود ولا تكون نتيجة ذلك الا حرا بعامته فالاولى منعاً لسفك دماء العباد أن تعطى لمحمد علي باشا البلاد التي فتحها لانه أقوم بادارتها وأحق بها لما تكبدته في فتحها من المشاق الصعبة والمصاريف الزائدة وبذل الارواح ولما علمت الدول بوقوع الخلاف بين فرنسا وانكلترا أعلنت النمسا وبروسيا رسمياً انهما يخازان الى احدى الدولتين التي لا تحرم الدولة من أملاكها وبعبارة أخرى الى انكلترا

وأما روسيا فإرادت أن تنهز فرصة عدم اتحاد الدولتين لتقرر نفوذها في الشرق وحق حمايتها على الدولة العلية دون غيرها وأرسلت الى لوندريه البارون (دى برونو) بصفة سفير فوق العادة فوصلها في أواخر سبتمبر سنة ١٨٣٩ وعرض على حكومتها بالنيابة عن قيصره أن روسيا مستعدة لان تترك لانكلترا حرية العمل في مصر وتساعد على اذلال محمد علي باشا بشرط أن تسمح لها بانزال جيش بالقرب من اسلامبول في مدينة (سينوب) الواقعة على شاطئ البحر الاسود ببر الاناطول لكي يتيسر لها اسعاف الباب العالي لو أراد ابراهيم باشا الزحف على القسطنطينية فصغى اللورد بالمستولون (١) الى كلام سفير روسيا ومال الى هذا الرأي ميلاً شديداً ولولا استعجاب الرأي العام له لقبله كل القبول وسلم به كل التسليم لكنه لما رأى عدم موافقة الرأي العام لهذا المشروع اقترح على روسيا أن تعلن أولاً بتنازلها عما تخوله لها معاهدة (خونيكارسكله سي) من حق حماية الدولة العلية فرفضت روسيا ذلك وأجلت المحادثات بشأن تسوية المسئلة المصرية الى شهر يوليو سنة ١٨٤٠ لعدم اتفاق الدول على حالة مرضية للكل وافية بغرض الجميع لتباينهم في الغايات والمقاصد وفي خلال هذه المدة أرسلت روسيا المسمى (برونو) ثانية الى لوندريه ليطالب تعديل المشروع الاول بان يخول لكل من انكلترا وفرنسا الحق في ارسال ثلاث سفن حربية في بحر (مرمره) للاشتراك مع الجيش الروسى في حماية اسلامبول لوهاجمها ابراهيم باشا فلم تنجز روسيا بمرامها في هذه المرة أيضاً

هذا ولما علم محمد علي باشا بهذه المحادثات وتحقق أن الدول الاوروپاوية عموماً وانكلترا خصوصاً ساعية في ارجاع جيوشه الى مصر وجبره على رد كل ما فتحه من البلاد وأن فرنسا لا يمكنها مساعدته فضلاً عن تعصب باقي أوروبا ومضاداتها باجمعها له أخذ في

(١) سياسي انكليزى شهر ولد سنة ١٧٨٤ وبعد ان أتم دراسته في مدرسة كمبريدج العليا انتخب في مجلس العموم سنة ١٨٠٦ وانضم الى حزب المحافظين وفي سنة ١٨٣٧ تحول عنهم وانخرط في سلك الاحرار وصار وزيراً للخارجية من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤١ ومن سنة ١٨٤٦ الى سنة ١٨٥١ ومن ١٨٥٥ الى ١٨٥٨ وأخيراً من سنة ١٨٥٩ الى تاريخ وفاته الواقع في سنة ١٨٦٣ واشتهر بمقاومة محمد علي باشا الكبير حتى يمكن القول أن مساعيه كانت السبب الوحيد في اخفاق مشروع هذا الرجل العظيم وعدم نجاح مقصوده

وانكلترا فلم يقبل ذلك ولم يملا لهذا الطلب لعدم ثقتهم بالمسيو (دي مترنيخ) وكذلك  
الروسيا لم تقبل تخويل مؤتمر دولي حتى تحديد علاقتها مع الباب العالي بل أعلنت أنها  
مصرة على التمسك بنصوص معاهدة (خونسكارنسكله سي) وهي حماية الدولة بعساكرها  
ومراكبها وبالتالي احتلال معظم أملاكها بدون حرب لو تعدى ابراهيم باشا حدود الشام  
فعند ذلك طلبت كل من فرنسا وانكلترا من الباب العالي التصريح لمراكبها بالمرور من  
بوغاز الدردنيل لحمايته عند الضرورة من روسيا ومن العساكر المصرية وجاء الاميرال  
(ستوفورد) بنفسه الى القسطنطينية للحصول على هذا التصريح ولما علم باقي السفراء بهذا  
الطلب اضطربوا وخشوا حصول شقاق بين الدول المتوسطة وأعلن سفير روسيا بأنه اذا  
دخلت المراكب الفرنسية والانكليزية البوغاز يقطع علاقاه السياسية مع الباب  
العالي ويسافر في الحال وكانت حكومته أرسلت له مركبا حريباً ليسافر عليها اذا اقتضى  
الحال ذلك وكتبت انفسها الى وزارتي لوندن وباريس بان طلبهما هذا يخل بسلم أوروبا وانهما  
لو أصرّا عليه تخرج من التحالف وتحفظ لنفسها حرية العمل فلما علم الباب العالي بذلك  
خاف من تفاقم الخطب ورفض طلب حكومتي فرنسا وانكلترا وطلب منهما ابعاد  
مراكبهما عن مدخل البوغاز فلهذه الاسباب وعدم الاتفاق بين وزراء الدول توقفت  
المخبرات الى أوائل شهر رجب سنة ١٢٥٥ الموافق سبتمبر سنة ١٨٣٩ حتى عرض اللورد  
(بونسوني) سفير انكلترا على الباب العالي أن دولته مستعدة لا كراه محمد علي باشا على  
رد الدونامة التركية بشرط ان يكون لها حق ادخال مراكبها في خليج اسلامبول لصدد روسيا  
عند الضرورة فلما علمت بذلك حكومة فرنسا أرسلت الى الاميرال (لاند) قائد اسطولها  
في مياه تركيا أمراً بتاريخ ١٨ دسمبر سنة ١٨٣٩ أنه لا يشترك مع مراكب انكلترا في  
أي حركة عدوانية ضد حكومة محمد علي باشا فعلم الكل أنه لا بد من حصول خلاف بين  
فرنسا وانكلترا بخصوص المسئلة المصرية وأخذت الدول حذرهما مما عساه يحصل من الامور  
التي تنشأ بسبب هذا الخلاف فاعلنت انفسا بانها لا ترغب التدخل لعدم نجاح طلبها المختص  
باعتقاد مؤتمر دولي في فيينا أو برلين وأعلنت بروسيا والروسيا بانهما يقبلان كل ما تقرره  
الدول في هذا الشأن بشرط أن يكون موافقاً لرغبة الباب العالي وأن يكون قبوله لهذا القرار  
صادراً عن كمال الحرية فكان الدول قبلت ما اتفق عليه فرنسا وانكلترا بالاتحاد مع  
الباب العالي ولكن لم يتم الاتفاق بين هاتين الدولتين لسمي انكلترا في ارجاع المصريين  
الى حدودهم الاصلية وعدم قبول فرنسا ذلك ورغبتها في مساعدة محمد علي باشا

وذلك ان فرنسا كانت تود أن تكون ولايتا مصر والشام ولذرت به واقفاً اطنه وطر سوس  
لمدة حياته وأما انكلترا فكانت لا تريد أن يعطى الإولاية مصر لكن رغبة في ارضاء  
فرنسا قبلت أن يعطى مدة حياته نصف بلاد الشام الجنوبي بشرط أن لا تكون مدينة عكا  
من هذا النصف فرفضت فرنسا هذا الاقتراح وقالت كيف نحرمة من كل فتوحاته خصوصاً



فجأة بدون أن يعلم بها لعدم وجود الاسلاك البرقية في هذا العهد بالغاً من العمر ٥٥ سنة وتولى بعده ابنه

### ٣١ « السلطان الغازي عبد المجيد ثمان »

وكانت مدة خلافة السلطان محمود احدى وثلاثين سنة وعشرة شهور ومات عن أربع وخمسين سنة تقريباً وكانت ولادة السلطان عبد المجيد في ١٤ شعبان سنة ١٢٣٧ وكان اذ ذاك سنه ١٧ سنة فتولى الخلافة ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره وكانت الحكومة في غاية الاضطراب بسبب انتصار جيوش محمد علي باشا بنصيبين كإمر واحتلال جيوشه لمداين عين ناب وقيصرية وملاطية

ومما زاد أحوال الدولة ارتباكاً وشغل الخواطر بأوروبا أن أحمد باشا القبودان العام للدونامة التركية خرج بجميع مراكبه الحربية وأتى بها الى نهر الاسكندرية وسلمها الى محمد علي باشا في ٢ جماد أول سنة ١٢٥٥ الموافق ١٤ يوليو سنة ١٨٣٩ وكان فعل أحمد باشا القبودان مسبباً عن توجيه منصب الصدارة العظمى الى خسرو باشا الذي كان قد سبق تعيينه والياً على مصر وخرج منها بناء على رغبة الاهالي في تعيين محمد علي باشا والياً عليها وخوفه من الايقاع به بسبب ما كان بينه وبين محمد علي باشا من علائق الارتباط والمحبة لما علم قناصل الدول بالاستانة بتسليم الدونامة التركية الى محمد علي باشا خشوا زحف ابراهيم باشا على القسطنطينية فترسل الروسية جيوشها لمحاربتة بناء على معاهدة (خونكار اسكله سي) لاسيما وقد فقدت الدولة جميع جيوشها البرية وسفنها الحربية فأرسلوا الى الباب العالي لائحة اشتراكية بتاريخ ١٦ جماد أول سنة ١٢٥٥ الموافق ٢٨ يوليو سنة ١٨٣٩ ممضاة من سفراء فرنسا وانكلترا والروسيا والنمسا والبروسيا يطلبون منه أن لا يقرر شيئاً في أمر المسئلة المصرية الا باطلاعهم واتحادهم وانهم مستعدون للتوسط بينه وبين محمد علي باشا لحل هذه المسئلة المهمة فقبل الباب العالي هذه اللائحة واجتمع السفراء عند المصدر الاعظم في ١٨ جماد أول الموافق ٣٠ من الشهر المذكور وتداولوا فيما يجب اعطاؤه ل محمد علي باشا فأبدى سفيرا انكلترا والنمسا ضرورة ارجاع الشام للدولة العلية وعارضهم في هذا الرأي سفيرا فرنسا والروسيا وطلبوا أن يمنح محمد علي باشا ملك مصر ولايات الشام الاربع لكن انحاز سفير البروسيا الى الرأي الاول فتقرر بالاغلبية ثم طلب المسيو (دي مترنخ) (١) أكبر وزراء النمسا أن يعقد مؤتمر دولي في مدينة (فيينا) أو (لوندرة) لاتمام المداولات بشأن المسئلة المصرية فلم يقبل منه ذلك عند الكل سيما فرنسا

(١) سياسي نمساوي شهير ولد سنة ١٧٧٣ وتقدم سريراً وعين سفيراً للنمسا في باريس سنة ١٨٠٦ وانتخب رئيساً للمؤتمر وبانه في سنة ١٨١٤ وسنة ١٨١٥ الذي عقد لتسوية حالة أوروبا بعد سقوط نابليون واشتهر هذا الوزير بمعارضة انتشار الحرية في أوروبا ولذلك اعتزل الاعمال بعد حركة سنة ١٨٤٨ العمومية وبقي في المنزلة الى أن توفي سنة ١٨٥٩

الاقليم ولتغلب نفوذ سفير فرنسا قبل الباب العالي ارسال مندوب من طرفه الى محمد علي باشا للاتفاق على حل مرض الطرفين وأرسل الى مصر من يدعى سارين افندي أحد موظفي الخارجية فأتى هذا المندوب الى مصر في غضون سنة ١٢٥٣ الموافق سنة ١٨٣٧ وقابله والها بكل نجلة واکرام

وبعد مداولات طويلة اتفقا على أن تعطى له ولايتي مصر والعرب ارثا لولاده وبلاد الشام الى جبال طوروس مدة حياته وعاد سارين افندي الى الاستانة بهذا الوفاق فلم يقبله الباب العالي بل أصر على أن تكون جبال طوروس ومغازها في أيدي العثمانيين لا المصريين وصمم محمد علي باشا على عكس ذلك بما ان هذه المفاوز بمثابة أبواب لبلاد الشام بأجمعها فلو احتلتها الدولة العلية أمكنها الاغارة على بر الشام في أي وقت أرادت

واقعة نصيبين

وبذلك عاد الخلف الى ما كان عليه وصارت الحرب قاب قوسين أو أدنى وأوعز الباب العالي الى حافظ باشا الذي عين سرعسكر الجيوش المجمعة في سيواس بأرمينية بعد موت رشيد باشا أسير قونية الذي مات قبل أن يأخذ بثأر هذه الواقعة ويمحو مآلخته فيها من الفشل الى ان يتقدم الى ولايات الشام بكل سرعة فتقدم اليها في أوائل سنة ١٢٥٥ الموافقة سنة ١٨٣٩ وعبرتهر الفرات عند مدينة (بلاجيق) في ابريل من السنة المذكورة ثم التقى الجيشان بعد عدة مناورات بالقرب من بلدة تدعى نصيبين وهي المشهورة في جميع كتب الافرنج باسم (نزيب) في ١١ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ الموافق ٢٤ يونيو سنة ١٨٣٩ وفاز المصريون بالنصر وتقهقر الجيش العثماني تاركا في أيدي المصريين ١٦٦ مدفعاً وعشرين ألف بندقية وغيرها من الذخائر والمؤن وكان هذا اليوم مشهوداً بجعل الولدان شدياً

ومن غريب المصادفة أن المسيو (دى مولتك) (١) القائد البروسياني الذي طار صيته في الاقلاق وملاً ذكره الاوراق في الحرب التي حصلت بين فرنسا والبروسيا في سنة ١٨٧٠ كان من ضمن اركان حرب الجيش العثماني وولى الادبار مع باقي الضباط بدون أن يتمكن من أخذ ملبسه وأوراقه الخصوصية

ولم يصل خبر هذه الحادثة الى آذان السلطان محمود الثاني فانه توفي الى رحمة الله وانتقل من دار الشقاء الى دار الهناء في يوم ١٩ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ الموافق أول يوليو سنة ١٨٣٩

(١) هو القائد الالماني الشهير ولد سنة ١٨٠٠ وترقي في احدى مدارس (بكونهاج) عاصمة الدنمرك ثم التحق بجيش البروسيه وحضر في احدى مدارسها الحربية ولا ميازه في احدثه وما يلحقه عين في أركان حرب البروسيا ثم ساح في الشرق وتوظف بالجيش العثماني وبعد ان حضر واقعة نصيبين عاد الى بلاده وترقي تدريجياً حتى وصل الي وظيفة رئيس أركان حرب البروسيا ومن ثم أخذ في تنظيم الجيش حتى صار أول جيش في أوروبا فكانت له اليد الطولي في الانتصار على الدنمرك سنة ١٨٦٤ وعي المنساسة ١٨٦٦ وعلي فرنسا سنة ١٨٧٠ حتى استحق مجبة الاله له وأقيم له تماثيل في حياته وفي سنة ١٨٨٨ اعتزل الاعمال عمره وتوفي سنة ١٨٩١

اضطراب عمومي في التوازن الاوروبى وكانت الروسية أشد قلقاً من غيرها لخوفها من سقوط الاستانة في قبضة من يمكنه الذب عنها أكثر من الملوك العثمانيين فلا يمكنها تنفيذ وصية بطرس الاكبر ولذلك عرضت على الدولة العلية مساعدتها بالرجال وأنزلت فعلاً على شواطئ الاناطول خمسة عشر ألف جندي لحماية الاستانة فاضطربت فرنسا وانكلترا وخشيت سوء عاقبة تدخّل الروسية بصفة عسكرية وألحّت على الباب العالى بسرعة الاتفاق مع محمد على باشا قبل تفاقم الخطب واتساع الخرق على الراقع وتوسّطت بينهما فقبل الباب الهامبوني بهذا التوسط

معاهدة كونتاها

وبعد مخاربات ومدالات لاحاجة لتفصيلها اتفق الطرفان على أن يخلى المصريون اقليم الاناطول وترجع جيوشهم الى ما وراء جبال طوروس وتعطى لمحمد على باشا ولاية مصر مدّة حياته ويعين هو والياً على ولايات الشام الاربع (عكا وطرابلس وحلب ودمشق) وعلى جزيرة كريد وأن يعين ابنه ابراهيم باشا والياً على اقليم أطنه وصدرت بذلك ارادة سنية في ٥ مايو سنة ١٨٣٣ ودعيت هذه المعاهدة بمعاهدة كونتاها نسبة الى المدينة التي كان بها ابراهيم باشا عند انماها وبذلك انتهت هذه المسئلة مؤقتاً الذي قبل السلطان بهذه التسوية الا يتمكن من الاستعداد للحرب وارجاع ما أخذ منه قهراً

معاهدة خونكا  
اسكله سي

ولقد تمكنت الروسية أثناء وجود عساكرها بارض الدولة من ابرام معاهدة هجومية ودفاعية مع الباب العالى في ١٨ محرم سنة ١٢٤٩ الموافق ٨ يونيه سنة ١٨٣٣ دعيت بمعاهدة (خونكا راسكاه سي) تعهدت بها الروسية بالدفاع عن الدولة لو هاجمها المصريون أو غيرهم ليكون لها بذلك سبيل في شؤون الدولة الداخلية

حرب الشام  
الثانية

ولم تكن هذه التسوية الا وقتية فان محمد على باشا لم يقبل بها الا خوفاً من اجبار الدولة له على ترك فتوحاته مع كونه عازماً على تميم مشروعه وهو الاستقلال التام عند سنوح الفرصة وكذلك لم يقبل السلطان محمود بها الا لتفريق جيوشه وعدم امكانه صدّ هجمات ابراهيم باشا عن الاستانة الا بمساعدة الروسية الامر الذي سعى في تلافيه بابرام هذه المعاهدة حتى اذا استعد لاسترداد ما فقد كرها اغار على بلاد الشام وجعل مصر ولاية عثمانية بدون أقل امتياز

ولما كانت هذه افكار كل فريق منهما كان لا بد من اشتعال نار الحرب بينهما ثانية عاجلاً أو آجلاً ولقد كان من أهم دواعي استئناف هذه الحروب عصيان أهل الشام على محمد على باشا ومعاملة اياهم بكل صرامة لا خضاعهم لسلطانه ثم عصيان الدروز وامدادهم بالمال والسلاح من الخارج سرّاً لاضعاف شوكرته وفي أثناء ذلك فاتح محمد على باشا بعض وكلاء الدول بمصر بانه يرغب أن تكون مصر والشام وبلاد العرب له ولا ولاده من بعده فأبلغ الوكلاء ذلك لدولهم وهي خابرت الدولة العلية بذلك بكيفيات مختلفة ففضدت فرنسا مطالبة وحسنت له الدول الاخرى حاربه بكل شدة واخضاعه خوفاً من تطلعه الى غير ما في يده من



فلما علم الباب العالي بدخول الجيوش المصرية الى بلاد الشام وحصارها لمدينة عكا اعتبر ذلك عصياناً من محمد علي باشا وأوعز الى والي حلب المدعو عثمان باشا بالسير بالحاربة المصريين وبالخرى ابراهيم باشا وردّه الى حدود مصر فجمع هذا الوالى نحو عشرين ألف جندى وقصد مدينة عكا لكن لم يمهله ابراهيم باشا ريثما يأتى اليها بل ترك حول عكا عدداً قليلاً من الجنود لاستمرار الحصار وسأرهو بمعظم الجيش لملاقاة الجيش العثمانى فالتقى الجمعان بالقرب من مدينة حصص وانتصر المصريون على العثمانيين بسبب استعدادهم وكمال نظامهم ثم عاد ابراهيم باشا الى مدينة عكا وشدد عليها الحصار ودخلها عنوة فى ٢٧ الحجة سنة ١٢٤٧ الموافق ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ وأخذ عبد الله باشا الجزار سبب هذه الحرب أسيراً وأرسله الى مصر

وبمجرد وصول خبر سقوط مدينة عكا فى أيدي المصريين أمر السلطان محمود بجمع كل ما يمكن جمعه من الجيوش المنتظمة فجمع فى أقرب وقت نحو ستين ألف مقاتل وعين حسين باشا الذى امتاز فى مكافحة الانكشارية قائداً لها فسار الى بلاد الشام بكل تان و بطء حتى أمكن ابراهيم باشا الاستعداد للملاقاة فتغلب أولاً على مقدمته وانتصر عليها فى ١٠ صفر سنة ١٢٤٩ الموافق ٩ يوليو سنة ١٨٣٢ واقتفى أثرها حتى دخل مدينة حلب الشهباء فى ١٨ صفر الموافق ١٧ يوليو المذكور

ولما علم حسين باشا بانهمزام المقدمة تهتمر بمن معه من الجيوش وتحصن فى أهم مضائق جبال طوروس الفاصلة بين الشام والاناطول ويسمى هذا المضيق بمضيق بيلان وهو مشهور فى التاريخ لمرور الاسكندر المقدونى منه حين أتى لفتح بلاد الشام ومصر ومرور الافرنج حين أتوا من طريق القسطنطينية لفتح بيت المقدس واستخلاصه من أيدي المسلمين أثناء الحروب الصليبية فلحقه ابراهيم باشا وفاز عليه فوزاً عظيماً وفرق شمل جيوشه فى غرة ربيع أول سنة ١٢٤٨ الموافق ٢٩ يولييه من السنة المذكورة ونزع من بقى منهم الى ان زلوا براكبهم فى ميناء اسكندرونه فجمع السلطان جيشاً آخر وقدر استه الى رشيد باشا الذى امتاز مع ابراهيم باشا فى حرب موره خصوصاً فى محاصرة وفتح مدينة (ميسولونجى) وأرسله الى بلاد الاناطول لصد هجمات ابراهيم باشا عن القسطنطينية نفسها اذ كان ابراهيم باشا قد اجتاز جبال طوروس واحتل اقليم (اطنه) وماوراءه الى مدينة قونية فى وسط الاناطول والتقى بالقرب من هذه المدينة برشيد باشا وجيشه فانصر عليه وأخذه أسيراً فى ٢٧ رجب سنة ١٢٤٨ الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٨٣٢ وعند ذلك ساد الفلق فى الاستانة وخيف تقدم ابراهيم باشا بجيوشه المصرية اليها أما هو فسافر حتى وصل الى ضواحي مدينة بورصة

ولما تواترت أخبار انتصار المصريين على العثمانيين خشيت الدول أن يكون قصد محمد على باشا احتلال الاستانة واسقاط عائلة بنى عثمان والاستئثار بالخلافة الاسلامية فيحصل



وفي تلوه دخلت الجيوش مدينة الجزائر نفسها بعد خروج حسين باي منها وأعلنت فرنسا امتلاكها لها وبعد ذلك أخذت ترسل الجيوش تباعا الى الجزائر لفتحها وما زال الالهالي يقاومونها تحت امرة الوطني الشهير السيد عبد القادر الجزائري الذي دافع عن بلاده مدة سبع عشرة سنة وسلم نفسه في ٢٤ رجب سنة ١٢٦٣ الموافق ٤ نوفمبر سنة ١٨٤٧ ولم تزل الالهالي غير راضية عن الاحتلال الفرنسي حتى الآن ولم تدع فرصة للتخلص منه الا اتخذتها لكن لم تقو حتى اليوم على التخلص من ربة الاجنبي

لم يكن اهتمام والى مصر ومؤسس العائلة السكرية الخديوية بشؤون بلاده وادخال النظامات الجديدة فيها بأقل من اهتمام السلطان محمود في اصلاح داخلية مملكته التي مصر لا تزال ولن تزال ان شاء الله جزءا منها فانشأ عددة ترع عظيمة لاصلاح الري أهمها ترعة المحمودية الخارجة من النيل وواصلت الى اسكندرية لتسهيل الملاحة وشرب أهل النهر وأقام جسورا على النيل لحفظ البلاد من الغرق ونظم وأقام المدارس والورش الصناعية حتى صار لا يأتي بلوازم جيوشه من الخارج بل يصنع جميعه بالورش المصرية من المركوب والطربوش الى البندقية والمدفع وأنشأ عدة سفن حربية بدل التي دمرها التمدن الاوروبي في ناورين لكن لم تكن مالمية تكفي لمصاريف هذه الاعمال فاستعان على اتمامها بالضرائب الفاحشة واستعمال الانفار تسخيروا بلاعوض (العونة) ولجمل الالهالي بان فوائد أتعابهم ستعود عاجلأ باضعاف أضعاف ما يدفعونه عاجلا تمكن بعض أرباب الغايات من استمالهم للمهاجرة الى بلاد الشام فهاجر منهم خلق كثير والتجأ والى عبد الله باشا والى عكا المشهور بالجزار

ولما طالب منه محمد على باشا ارجاعهم خوفا من كثرة عدد من يتبعهم الى الشام امتنع من ذلك بدعوى ان الاقليمين تابعان لسلطان واحد وسواء أقام بعض سكان أحدهما في الآخر أو بالعكس مادام أحد الاقليمين لم يكن حائزا على امتيازات مخصوصة كحالة مصر الآن ولذلك أمر محمد على باشا في سنة ١٢٤٧ الموافقة سنة ١٨٣١ بأعداد الجيوش والتأهب للسفر الى بلاد الشام عن طريق العريش وعن طريق البحر في آن واحد لمحاصرة عكا من الجهتين قبل أن ياتيها المدد وعين ولده ابراهيم باشا قائداً عاماً للجيوش المزمع سفرها وسليمان بيك الفرنسي ساوى قائمقام له فسار هذا الشبل بحرأ في ٢٦ جماد أول سنة ١٢٤٧ الموافق ٣ نوفمبر سنة ١٨٣١ الى مدينة حيفا تحف به الدونامة المصرية في أكمل نظام وأتم هندام وكانت الجيوش البرية قد سبقتة من طريق العريش وفتحت في مسيرها مدائن غزة وباقا وبيت المقدس ونابلس وجعل ابراهيم باشا مدينة حيفا مقراً لاعماله ومركزاً لاركان حربه ومستودعاً للمؤن والذخائر ثم ارتحل عنها لمحاصرة مدينة عكا فحاصرها برأ وبحراً في ٢٠ جماد آخر سنة ١٢٤٧ الموافق ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٣١ حتى لا ياتيها المدد بخرأ فثلا يقوى على فتحها كما حصل لبونا برت من قبل حين حاصرها سنة ١٧٩٩

محمد علي باشا  
وحرب الشام  
الاولي

الانغاء طائفة الانكشارية لكفى ذلك لتخليد اسمه في بطون التاريخ مشكورا بمدحوا الى ابد الابد بن زيادة على ذلك احيا ما أقامه السلطان مصطفى الثالث من مدارس الطوبخية بعد ان صارت دوارس وانشاء مدرسة حربية لتخريج الضباط على مثل مدرسة سانسير الفرنسية (١) التي أسسها نابوليون الاول بفرنسا لتربية أولاد الضباط والاشراف على النظمات العسكرية الحديثة

احتلال فرنسا  
جزائر الغرب

وفي أواسط سنة ١٨٣٠ نفذت فرنسا ما كانت تنويه من مدة ضد ولاية الجزائر بدعوى منع تعدى قرصانات البحر المسلمين على مراكبها التجارية والحقيقة ليكون لها مركز حربي بشمال افريقيا حتى لا تكون انكسار تصاحبه السيادة بمفردها على البحر الابيض المتوسط باحتلالها ماعقل جبل طارق وجزيرة مالطة واتخذت لذلك سبيلا وقوع الخلاف بينها وبين عامل الدولة العلية عليها المدعو حسين باي بسبب بعض ديون كانت مطلوبة لبعض تجار الجزائريين على الحكومة الفرنسية وحجزها جزأ منها بدعوى أن هؤلاء التجار مدينون لتجار فرنسا وبين وخروج المسيو دو فال قنصل فرنسا عن حد الادب مع الامير حسين باي في حفلة عمومية بحضرة جمهور من الامراء ووزراء حتى اضطر حسين باي حنظلاً لثاموسه وكرامته بين قومه أن يضرب القنصل بمنشة كانت بيده فبه مجرد ما وصل خبر هذه المسئلة الى آذان ولادة الامور بباريس عدوها اهانة لشرفهم وأرادوا اتخاذها وسيلة لتنفيذ ما كانوا مضممين عليه من مدة وقرروا في مجلس الوزراء المنعقد تحت رئاسة الملك نفسه في ١٣ شعبان سنة ١٢٤٥ الموافق ٧ فبراير سنة ١٨٣٠ وجوب الاستيلاء على هذا الاقليم ثم أرسل اليها جيشاً مؤلفاً من نحو ثمانية وعشرين ألف مقاتل وعمارة بحرية مؤلفة من مائة سفينة وثلاثة سفن تحمل سبعة وعشرين ألف جندي بحري ولما علمت انكساراً بذلك خشيت على نفوذها من مشاركة فرنسا واحتججت ضد هذا المشروع ولما لم يفسد احتجاجها شيئاً أوعزت الى الباب العالي أن يأمر عامله على الجزائر بالتساهل مع فرنسا وتقديم ما تطالبه من الترضية والتعويضات فأرسل الباب العالي مندوباً من طرفه لتبليغ هذه التعليمات الى عامل الجزائر لكن لم يصل هذا المندوب الى محل مأموريته بل قبضت السفن الفرنسية على المركب الحاملة له وأوصلتها الى ميناء طولون تحت الحفظ ولم تسمح لها بالخروج الا بعد اتمام مقصدهم وفي ٢٠ ذى الحجة سنة ١٢٤٥ الموافق ١٣ يونيو سنة ١٨٣٠ نزلت عساكر فرنسا بالقرب من مدينة الجزائر وانتشبت القتال بين الفريقين في ١٩ يونيو وبعد محاربة شديدة فاز الفرنسيون بالغلبة وفي ١٤ محرم سنة ١٢٤٦ الموافق ٤ يوليو احتلوا القلعة المسماة (سلطانية قلعه سي) الواقعة أمام مدينة الجزائر

(١) هي قرية صغيرة بالقرب من قصر فرساي بضواحي باريس أسس بها لويز الرابع عشر في سنة ١٦٨٠ مدرسة مجالية لتربية ٢٥٠ بنتاً من بنات الاشراف الفقراء ولما حصلت الثورة الفرنسية أطلت هذه المدرسة وفي سنة ١٨٠٨ أنشأ بها نابوليون الاول المدرسة الحربية الشهيرة التي لم تزل قائمة حتى الان

للتجار الروسين يدفع على أربع سنوات وأن تدفع الدولة مبلغ خمس مليون جنيه إنكليزي تعويضاً حربياً للروسيا على عشرة أقساط سنوية متساوية وأن تبقى الجيوش الروسية في الممالك العثمانية ثم تسحب منها تدريجياً فتنتجلى عن مدينة أدرنة بعد دفع القسط الأول وترجع إلى ما وراء جبال البلقان بعد دفع الثاني وإلى ما وراء نهر الطونة بعد دفع الثالث وتخلي إمارة البلغار ولا تخلى تماماً عن ولايتي الأفلاق والبغدان إلا بعد دفع آخر قسط أى بعد عشر سنوات وأن يرحد جميع السكان المسلمين القاطنين بهاتين الولايتين ويبيعوا ما لهم بها من العقار والمنقول في مسافة ثمانية عشر شهراً

وأخيراً في ٧ الحجة سنة ١٢٤٥ الموافق ٣٠ مايو سنة ١٨٣٠ أعلن الباب العالي بتصديقه على الشروط المدونة في الاتفاق الذي أمضى بين الدول في لوندرة في نوفمبر سنة ١٨٢٨ القاضي باستقلال اليونان

يتضح للمطالع من ذلك أن روسيا وإن لم تأخذ شيئاً يذكر من أملاك الدولة بمقتضى هذه المعاهدة إلا أن ما وضعت فيه من الشروط كانت تقصد بها إضعاف الدولة بكيفية لا يمكنها معها إتمام النظمات العسكرية ولا تجديد عمارتها البحرية التي دمرت في واقعة ناورين كما سبق وأنى لها ذلك وهي ملتزمة بدفع هذه الغرامة الحربية القادحة بالنسبة لآلياتها والجيوش الأجنبية محتلة جزأعظها من بلادها وفصلت عنها اليونان تماماً والأفلاق والبغدان والصرى تقريباً وما بقي لها أثقلت كاهله الضرائب اللازمة للحرب الداخلية والخارجية

هذا ثم سار السلطان في خطة الإصلاحات الداخلية بهمة لا يعترها ملال وعزيمة لا يبعدها كلال فابطل طوائف السلاح حدارية والعلوفه جمة وباقي الطوائف الغير منتظمة وصار الجيش كله مؤلفاً من جنود منتظمة مسلحة باتقن الأسلحة وألغيت جميع الامتيازات السابقة ولم تؤثر على السلطان أى معارضة بل كان يجازى كل من آانس منه أقل انتقاد على الإصلاحات الجديدة بأشد العقاب وصارم العذاب حتى أنه لما رأى أن جماعة البكطاشية محاذبة للانكشارية واستعملت نفوذها في تهيج الأهالى أمر بالغائها وابطال جميع تكاياها فالغيت وشنت أعضاءها في أطراف الدولة حتى لا يخشى من تجمعهم بالاستانة وقتل ثلاثة من رؤسائها النافذى السكلمة بناء على فتوى شرعية ومن جهة أخرى أخذ في تغيير العوائد القديمة واتباع المستحسن من عوائد أوروبا فاستبدل العمامة بالطربوش الرومى وتزيا بالزى الاوروبى وأمر بأن يكون هو الزى الرسمى فى العسكرية والملكية وأسس وساماً دعاه وسام الافتخار وأخيراً تجول بذاته في ممالكه باوروباً ليستطلع أحوالها ويقف على حقائق الامور وشكاوى الاهالى وبالاختصار فانه سار سير من يريد حجارة أوروباً في نظاماتها وعدم الوقوف حال تقدم الدول الاخرى بسرعة لعلمه أن الوقوف في مثل هذه الظروف هو عين التأخر ولو لم يكن له من الايدى البيضاء على الممالك المحروسة

رغبات مجالس أعيان السكان وذلك في مدّة احتلال جيوش الدولة الامبراطورية  
للأمارتين وبأنه يعتبر اتخاذ تلك القرارات في المستقبل أساساً لسن الاحكام الداخلية  
في الولايتين مادامت هذه القرارات لا تشمل على أدنى مخالفة لحقوق سيادة الباب العالي  
كما هو مفهوم

فهذا نحن الموقعين على هذا المفوضين السياسيين عن جلالة امبراطور وبادشاه جميع  
الروسيا بالاتفاق مع المفوضين السياسيين عن الباب العالي العثماني قد قررنا بخصوص  
البغدان والافلاق الشروط المذكورة أعلاه التي هي نتيجة ( البند هـ ) من معاهدة الصلح  
المبرمة في أدرنه بيننا وبين المفوضين السياسيين العثمانيين وبناء على هذا فاعقد الحال  
المنفصل قد تحرر الخ اه

فيظهر للمطالع ان أهم ما جاء بهذه المعاهدة ان نهر البروت يبقى حداً بين المملكتين  
كما كان قبلاً وأن تتنازل الدولة العلية للروسيا عن مصبات نهر الطونه وما حولها من  
الاراضي وعن وادي الخور والقلعة التي به في حدود الاناطول لتكون مانعاً للتواصل بين  
بلاد الدولة وقبائل الجركس المستقلة لتتمكن الروسية من الاستيلاء على بلادهم في المستقبل  
وأن يكون للروسيا حق الملاحة من البحر الاسود الى البحر الابيض أي حق المرور من  
بوغازي البوسفور والدرديل بدون أن يفرض عمال الدولة مراكبهم وأن تعطى الدولة الى  
تجار الروس الذين أصابهم ضرر بسبب الحروب تعويضاً مالياً قدره ستة عشر مليوناً فرنسكاً  
تقريباً وأن يكون تعيين أمراء ولايتي الافلاق والبغدان لمدة حياتهم وعدم عزلهم الا  
لاسباب قوية وباتحاد الروسية والدولة مع حفظ جميع الحقوق والامتيازات المعطاة لهما  
الولايتين بمقتضى العهود السابقة وأن تمنح ولاية الصرب الامتيازات المبينة في معاهدة  
( آق كرماني ) أما بخصوص اليونان فقبل السلطان التصديق على كل ما جاء في الاتفاق  
الذي أمضى بين الدول في لوندرد سنة ١٧٢٧ وأن يعين بعد اتمام الصلح مندوباً مخصصاً  
من طرفه للاتفاق مع مندوبي فرنسا والروسيا وان كانتا على حدود هذه المملكة اليونانية  
الجديدة التي أوجدتها رغبة الدول في أضعاف الدولة الاسلامية الوحيدة وتخليص جميع  
المسيحيين الموجودين ببلادها من سلطانها ونحر يضمنهم على طلب الاستقلال مكافأة لها  
على عدم تعرضها لدينهم وعوائدهم ومجازاة لها على هذه الغلظة السياسية ولا أقول غير ذلك  
لان عملها هذا منطبق كل الانطباق على قواعد العدل وأصول الانسانية الآن السياسة  
في عرف الدول الأوروبية لا تعترف بهذه المبادئ الجلية بل تنظر الى الغاية المقصودة بقطع  
النظر عن طرق الوصول اليها وقد قالوا في أمثالهم الجارية حتى على ألسنة الاطفال ان الغاية  
تبرر الوسيلة أي كانت هذه الوسيلة ولو ألحقت الخراب والدمار لا يبيع بعض الافراد بل بامة  
باجمعها أو باكثر من أمة واحدة

هذا ثم أضيف الى هذه المعاهدة ذيل ذكر فيه ان مبلغ التعويض الذي اتفق على دفعه



تستخدم عدداً من الحرس المسلمين الذين تدعو اليهم الضرورة ليقوموا باعباء هذه الوظائف وعدد هؤلاء الحراس والاعتناء بشأنهم يقرر بمعرفة الولاة بالاتفاق مع دواوينهم بمقتضى الفواخذ القديمة

حيث ان الباب العالى مشغوف برغبته المخلصة بان يدخل فى الامارتين جميع أنواع الراحة الممكنة لهما ولوقوفه على أنواع الظلم والتعدييات التى تحصل فيهما بسبب المؤن المطلوبة للسطينية وللقلاع القائمة على ضفاف الدانوب واحتياجات الترسخانة فهو قد تنازل بالكلية عن حقه فى هذا الخصوص وبناء عليه فالافلاق والبغدان قد عوفيتا أبدياً من تقديم الجبوب والمحصولات الاخرى والاغنام وأخشاب البناء التى كانتا ملزمتين بتوريدها سابقاً وبهذه المثابة لا يطالب سكان هاتين الولايتين فى أى حال من الاحوال بعمل الاشتغال بتشييد الحصون ولا لى سخرة مهما كان نوعها ولا سكن لى تعوض الخزينة الملكية عن الخسائر التى يمكن أن تتكبدها من ترك كل حقوقها المذكورة فقد تقرر أن يدفع كل من البغدان والافلاق سنوياً للباب العالى نظير ذلك مبلغاً من النقود يتعين مقداره فيما بعد باتفاق الطرفين وهذا بخلاف الجزية السنوية التى سبب على الامارتين دفعها الى الباب العالى باسم خراج وغيره بمقتضى عبارة الخطوط سنة ١٨٠٢

وكذلك فانه عند تجديد الولاة بسبب الموت أو الاستعفاء من القانونى للمقلد فالولاية التى يحصل فيها ذلك تجبر بان تدفع للباب العالى مبلغاً مكافئاً للخراج السنوى للولاية المقرر بالخطوط الشريفة وماعدا هذه المبالغ فلا يطالب من البلاد ولا من الولاة أى خراج آخر ولا تعيين ولا هدية بوجه من الوجوه

بما أن التوريدات المنوّه عنها أعلاه قد أُلغيت فسكان الامارتين يتمتعون بحرية التجارة تمتعاً تاماً بمحصولات أرضهم وبصناعاتهم (المشترط ذلك بالعقد المنفصل من اتفاق آق كومان) بدون أدنى تضيق ما خلا التحولات التى تخذها الولاة بالاتحاد مع دواوينهم ويرون أنه من الضرورى تقريرها لعدم وقوع القحط فى البلاد ويمكنهم أن يسافروا بحرية على الدانوب براكبهم الخصوصية مصحوبين ببطاقة الجواز الحرة من حكومتهم ويتوجهوا للتجار فى المدن والمين الاخرى التابعة للباب العالى بدون أن يحصل لهم تعيب أو نصب من جباة الخراج ولا أن يكونوا معرضين لى أمر آخر ظلمى

وزيادة على ذلك فإن الباب العالى عند ما تأمل جميع المصائب التى تحملتها البغدان والافلاق وتحرّكت فيه عواطف الانسانية بكيفية خصوصية قد قبل باعفاء سكان هاتين الامارتين من دفع الخراج السنوى وتوريده للخزينة مدّة سنتين ابتداء من اليوم الذى تنجلي فيه الجيوش الروسية تماماً عن الامارتين

وأخيراً فإن الباب العالى لما له من الرغبة فى تمكين الرفاهية فى المستقبل بالامارتين بجميع الكيفيات فهو يتعهد تعهداً صريحاً بان يوافق على اللوائح الادارية التى تقررت ببناء على

اعترفنا بضرورة اعطاء ادارة هاتين الامارتين أساساً أعظم ثباتاً وأكثر موافقة للصالح الحقيقي في هاتين الولايتين وللوصول لهذا الغرض قد اتفق وتقرر نهائياً بان مدة حكم الولاية لا تكون أبداً مقصورة على سبع سنوات كما كان حاصلها في الماضي بل انهم يتقدمون من الآن فصاعداً هذا المنصب مدة حياتهم ماعدا أحوال الاستعفاء أو العزل بسبب الارتكابات المنصوص عنها لعقد المنفصل المذكور

ينظم الولاية الاحوال الداخلية : تتم بكامل الحرية بالاستشارة مع دواوينهم بدون أن يتمكنوا من مس الحقوق المضمونة : طريق الخطوط الشريفة بادنى شيء وبدون أن يكونوا مشوشين في ادارتهم الداخلية بى أمر مخالف لهذه الحقوق فإن الباب العالى يعدو ويتعهد بانه يتيقظ تيقظاً تاماً الى عدم مس الامتيازات الممنوحة الى البغدان والافلاق بى كيفية كانت بواسطة قواده المجاورين لحدودهما وأن لا يتحمل أى تدخل منهم فى أحوال الامارتين وأن يمنع كل توغل من سكان الشاطىء الا لى من نهر الطونة فى التخوم البغدانىة أو الافلاقية و يعتبر كجزء مكل لهذه التخوم جميع الجزائر المجاورة للشاطىء الا لى من الدانوب ويجرى هذا النهر يعتبر حيداً للامارتين من ابتداء مدخله فى الممالك العثمانية لغاية التقائه مع نهر البروث

ولاجل الثبوت جيداً من عدم استباحة تخوم البغدان والافلاق فإن الباب العالى يتعهد بان لا يبق بها أى مكان محصن وأن لا يسمح بتشيد أى بناء لرعاياه المسلمين على الشاطىء الا لى للدانوب وبناء على ذلك فقد تقرر تقييداً لا تغيير معه بانه فى امتداد جميع هذا الشاطىء وفى الافلاق الكبيرة أو الصغيرة وكذا فى البغدان لا يمكن لاي مسلم أن يتخذ مسكناً ثابتاً فى بقعة منها وإنما يقبل فيها التجار الحاملون لقرمانات فقط ليشتروا على حسابهم الخاص من تينك الولايتين المحصولات الضرورية لمقطوعة القسطنطينية أو أشياء أخرى

أما البلاد التركية الواقعة على الشاطىء الا لى للدانوب فانها تسلم الى الافلاق لتنضم من الآن فصاعداً الى هذه الولاية وكذا الحصون الموجودة من سابق على هذا الشاطىء لا يمكن اعادتها ثانياً ويجبر الذن بملكون عقارات غير مغتصبة من الغير سواء كانت فى هذه المدن أو فى أى نقطة غيرها على الشاطىء الا لى المذكور على بيعهم للوطنين فى مدة ثمانية عشر شهراً وحيث ان حكومة الامارتين متمتعة بجميع امتيازات الادارة الداخلية المستقلة فيمكنها بكل حرية أن تقيم كردونات حمية وقورنيتات بمجازاة طول الدانوب وفى أمكنة أخرى على حسب البلاد التى تحتاج لذلك بدون أن يتمكن أحد من الاجانب الا لى منها سواء كان مسلماً أو نصرانياً من أن يخلى عن ملاحظة القواعد الصحية بكل دقة أمام من جهة مصلحة القورنيتات وكذا من جهة التيقظ للأمن بالحدود واستتباب النظام فى المدن والارياف وتنفيذ القوانين والقرارات فانه يمكن لحكومة كل ولاية أن

أمواله بسبب سلوكه السالف ولكل منهم أن يسترد الاملاك التي كان يمتلكها سابقاً وأن يتمتع بها مطمئناً تحت حماية القوانين والافله الخيار بان يتخلص منها في مدة ثمانية عشر شهراً لكي ينتقل بعائلته وأمواله المنقولة الى أى قطر شاء بدون أن يقاسى ظمأً أو موانع باى وجه كان

وماعد ذلك فانه يمنح لرعايا الطرفين القاطنين في البلاد المعادة الى الباب العالى أو المتنازل عنها لدولة روسيا الملوكية مدة ثمانية عشر شهراً أيضاً ابتداء من تاريخ تبادل التصديق على معاهدة الصلح هذه لكي يتصرفوا في مملكتهم المكتسبة سواء كان قبل الحرب أو في مدة وقوعه متى رأوا ان ذلك موافق لهم وليخرجوا بنقودهم ومنقولاتهم من ممالك احدى الدولتين المتعاقدين الى ممالك الاخرى وبالعكس

البند ١٤ ﴿ جميع أسرى الحرب مهما كانت جنسيتهم وظروف أحوالهم رجالاً كانوا أو نساء الذين يوجدون عند الدولتين يجب اخلاء سبيلهم بدون أقل فدية أو دفع شيء عنهم وذلك بعد تبادل التصديق على معاهدة الصلح الحالية مباشرة ويستثنى من ذلك النصارى الذين يعتنقون الديانة الحمديّة رضائهم واختيارهم في ممالك الباب العالى وكذلك المسلمون الذين يعتنقون رضائهم واختيارهم الديانة النصرانية في ممالك الدولة الروسية -

وهكذا يكون الاجراء أيضاً في شأن الرعايا الروسين الذين يقعون باى كيفية كانت في الاسر بعد التوقيع على هذه المعاهدة ويوجدون في ممالك الباب العالى وكذا دولة روسيا الامبراطورية تتعهد من جهتها أيضاً بان تعمل بموجب الطريقة عينها بالنظر لرعايا الباب العالى

ولا يقتضى مطلقاً دفع المبالغ التي تكون ائتمتها احدى الدولتين العظيمتين المتعاقدين على الاسارى بل كل منهما يزودهم بجميع ما يكون ضرورياً لهم لسفرهم لاية الحدود وهناك يحصل التبادل فيهم بواسطة ما مورين معينين من كلا الطرفين

﴿ البند ١٥ ﴾ جميع المعاهدات والاتفاقات والاشترطات المقررة التي أبرمت في أعصار مختلفة بين حكومة روسيا الامبراطورية والباب العالى العثمانى ماعدا البنود التي تخالف المعاهدة الصلاحية الحالية فانها تبقى معمولة بها بكل قوّة معانيها ومبانيها ويتعهد الطرفان الفخيمان المتعاقدان بان يعتنبا بملاحظتها الملاحظة التامة وعدم مخالفتها مطلقاً

﴿ البند ١٦ ﴾ المعاهدة الحالية هذه يصدق عليها الخ

﴿ ملحق مختص بولايى الافلاق والبغدان تاريخه ١٤ سبتمبر سنه ١٨٢٩ ﴾

زيادة على اتفاق الحكومتين العظيمتين المتعاقدين على جميع ما اشترط بالعقد المنفصل عن الاتفاق المبرم في آق كرمان المختص بكيفية انتخاب ولاية البغدان والافلاق فقد

التعويض المذكور فان الباب العالى يتعهد بأن يدفع لها مبلغاً من النقود يقدر فيما بعد باتحاد الطرفين

﴿البند ١٠﴾ بما أن الباب العالى قد أعلن تمسكه التام باشتراطات المعاهدة المبرمة في لوندري بتاريخ ٦ يولييه سنة ١٨٢٧ بين روسيا وبريطانيا العظمى وفرنسا فهو يقبل أيضاً بالعقد الذى تقرّر في ٢٢ مارت سنة ١٨٢٩ باتحاد جميع هذه الممالك فيما يتعلق بخصوص أساس المعاهدة المذكورة وهذا العقد يشتمل على التنظيمات القنصلية المختصة بتنفيذها نهائياً ففي حال تبادل التصديق على معاهدة الصلح الحالية وبعد استلام كل طرف نسخته يعين الباب العالى مفوضين سياسيين لىكى يتفقوا مع مفوضى حكومة روسيا الامبراطورية وحكومتي انكلترة وفرنسا بقصد اجراء تنفيذ الاشتراطات والتنظيمات التى سبق الكلام عليها

﴿البند ١١﴾ بعد التوقيع على معاهدة الصلح الحالية بين الدولتين مباشرة وتبادل تصديق الملوكين عليها يشرع الباب العالى في أخذ الاحتياطات الضرورية لتنفيذ الاشتراطات التى تحتوى عليها بالسرعة وبوجه الدقة وخصوصاً بندى (٤٣ و٤٤) الخاصين بالحدود الميمنة لفصل المملكتين عن بعضهما سواء كان في أوروبا أو في آسيا وكذا بندى (٥ و ٦) المختصين بامارات البغدان والافلاق والصرب ومتى جاء الوقت الذى يمكن اعتبار هذه البنود المختلفة كأنها تنفذت في حكومة الدولة الروسية الامبراطورية تشرع في الجلاء عن أراضي الدولة العثمانية بناء على القواعد المقررة بعقد منفصل يكون جزءاً متما من معاهدة الصلح الحالية أما ادارة ونظام الامور التى تكون قد تقررت في هذه الامارات في الحال تحت رعاية الدولة الروسية الامبراطورية فانها تبقى ثابتة لغاية انجلائها انجلاء تاماً من الاقاليم المحتلة والباب العالى العثمانى لا يمكنه أن يتدخل فيها بأى كيفية كانت

﴿البند ١٢﴾ بعد التوقيع على معاهدة الصلح الحالية تعطى الاوامر في الحال الى قواد جيوش الطرفين البرية والبحرية بمنع الحرب أما الوقائع التى تحصل بعد التوقيع على المعاهدة الحالية فتعتبر كأنها لم تحصل ولا تستدعى أدنى تغيير في الشروط التى تشتمل عليها ويمثل ذلك جميع الاماكن التى تأخذها جيوش احدى الدولتين العظيمتين المتعاقدين في هذه المدة فانها تعاد بدون أدنى امهال

﴿البند ١٣﴾ بما ان الطرفين الفخيمين المتعاقدين قد أعادا فيما بينهما روابط المودة الخالصة فانهما يمنحان عفواً عمومياً لجميع رعاياهما مهما كانت ظروف أحوالهم وجنسياتهم وكانوا قد اشتروا في أثناء الحرب التى انتهت بحمد الله في هذه الايام في الاعمال العسكرية أو تظاهروا سواء بسلوكهم أو بأرائهم بليل نحو أحد الطرفين المتعاقدين

وبناء على هذا فأى شخص من أولئك لا يحصل له تكدير ولا يحاكم إلا بالنسبة لشخصه ولا في



ذلك أعلاه وتتفق الدولتان على اتخاذ أنجح الطرق للتوقي من أى تأخير في تخليص المراسلات الضرورية فبناء على نفس هذه القاعدة يعلن بان المرور من قنال القسطنطينية وبغاز الدردنيل يكون حراً وفتوحاً للجميع المراكب التجارية التابعة للممالك الموجودة في حالة الصلح مع الباب العالي سواء كانت متوجهة نحو المين الروسية التي على البحر الاسود أو آتية منه مشحونة أو مصبرة وذلك بمقتضى الشروط عينها التي اشترطت بخصوص السفن الحاملة للعلم الروسى

وأخيراً بما ان الباب العالي يعترف بما لحكومة روسيا الامبراطورية من الحق في أن تتأكد من الضمانة التامة لهذه الحرية التجارية ومن الملاحة في البحر الاسود بتلك الكيفية فهو يعلن على رؤوس الاشهاد بانه لا يحصل في ذلك مطلقاً من جهته أدنى عائق مهما كان ولا بأى حجة كانت ويتعهد خصوصاً بانه لا يستبيح لذاته من الآن فصاعداً إيقاف أو القاء القبض على السفن المشحونة أو المصبرة سواء كانت روسية أو تابعة للممالك التي لا تكون الدولة العثمانية معها في حالة حرب معن حينما تكون مارة بقنال القسطنطينية وبغاز الدردنيل لاجل أن تتوجه من البحر الاسود الى البحر الابيض المتوسط أو بالعكس

وإذا حصل لاسمح الله مخالفة لبعض الاشتراطات التي اشتمل عليها البند الحالى بدون أن تنال طلبات وزير الروسي بهذا الشأن الترضية التامة في أسرع وقت فالباب العالي يعترف مقدماً لحكومة روسيا الامبراطورية بان لها الحق في أن تعتبر هذا الخلف كعمل عدائى وأن لها الحق في أن تقابل الدولة العثمانية بمثله

﴿البند ٨﴾ بما ان الوفاقات التي اشترطت سابقاً في البند السادس من اتفاق آق كerman التي موضوعها تنظيم وتصفية طلبات الرعايا والتجار التابعين للطرفين بخصوص تعويضات الخسائر التي نشأت في أزمئة مختلفة من حرب سنة ١٨٠٦ لم تنفذ وبما أن التجارة الروسية من منذ عقد اتفاق آق كerman المتقدم ذكره قد حصل لها خسائر جسيمة أخرى بسبب الترتيبات التي صدرت بخصوص الملاحة في البوسفور فقد اتفق وتقرر بأن الباب العالي العثمانى يدفع لحكومة روسيا الامبراطورية تعويض هذه الاضرار والخسائر في مدة ثمانية عشر شهراً وفي مواعيد تعين فيما بعد مبلغ مليون وخمسمائة ألف دوقه هولندية بحيث أن تسديد هذا المبلغ يمنع كل طلب أو ادعاء صادر من احدى الدولتين المتعاقبتين بخصوص الظروف المذكورة أعلاه ضد الاخرى

﴿البند ٩﴾ بما ان طول مدة الحرب التي انتهت بخير بعقد هذه المعاهدة قد تسبب عنه لحكومة روسيا الامبراطورية مصاريف جسيمة فالباب العالي يعترف بضرورة تقديم تعويض موافق لتلك الحكومة ولهذا فانه عدا عن تنازله عن قطعة صغيرة من الاراضى في آسيا المذكورة في البند (٤) والتي قبالت حكومة روسيا باستلامها من اصل

بحرية التجارة وأما القيود اللازمة اضافتها الى الاشتراطات المتقدمة لضمان تمتع هذين  
الأقليمين بحقوقهما فقد اتفق عليهما في العقد المنفصل المرفق بهذا الاعتبار كجزء من  
المعاهدة الحالية

البند ٦ \* بما أن الظروف التي حصلت من ابتداء عقد اتفاق آق كرمان لم تسمح  
للباب العالي بالأهنام في تنفيذ ما جاء بالعقد المنفصل المختص بالصرب المحقق بالبند (٥)  
من الاتفاق المذكور فهو يتعهد بكيفية جلية بان يقوم بتتميمها بدون أدنى إهمال وبالضبط  
الآمن وخصوصاً في أن يعيد الستة أقسام المنفصلة عن الصرب إليها حتى تتمتع هذه الأمانة  
الصادقة الطائفة بالراحة والرفاهية أما فرمان الموشى بالخط الشريف الذى يصدر بتنفيذ  
القيود المذكورة فيرس الى دولة روسيا الامبراطورية وتعلن به رسمياً في ميعاد شهر  
من تاريخ التصديق على هذه المعاهدة

البند ٧ \* يتمتع رعايا روسيا في سائر أنحاء المملكة العثمانية براً أو بحراً بحرية  
التجارة التامة التي تسكفلها لهم المعاهدات المبرمة سابقاً بين الدولتين العظيمتين المتعاهدتين ولا  
يصح مس حرية التجارة باى وجه كان ولا يمكن أن تعطل في أى حال من الاحوال  
ولا باى حجة كانت ولا يضيق نطاقها مطلقاً ولا بسبب أى قرار أو تعديل سواء كان من  
جهة الادارة أو من جهة القضاء فى داخلية البلاد والرعايا والسفن والتجار الروسيون  
يكونون فى حى من كل شدة فى المعاملة ويبقى الرعايا الروسيون تحت السلطة القضائية  
والبوليس الخاصين بوزير وقناصل الروسية وأما المراكب الروسية فلا يحصل بها مطلقاً  
أى تفتيش من جهة الحكومة العثمانية لافى شاسع البحار ولا فى داخل أى ميناء أو ماردة  
مما يدخل تحت حكم الباب العالى وكل أنواع المتبجر أو الغلال المملوكة لاحد رعايا روسيا  
يمكن بيعها بكل حرية بعد تسديد عوائد الجمارك عنها بمقتضى التعريفات أو ان تنزل الى البر فى مخازن  
صاحبها أو عميله بل ويصح نقلها على سفن أخرى أيا كانت جنسيتها بدون أن يحتاج  
التابع الروسى فى هذه الحالة لان يشعر الحكومة المحلية ولا أن يطلب اذناً بذلك مطلقاً وقد  
اتفق اتفاقاً صريحاً على ان أنواع القمح الاتية من روسيا تتمتع بنفس هذه الامتيازات وان  
نقلها من أراضى الدولة لافى جهة لا يحصل فيه أقل صعوبة او ممانعة مطلقاً ولا باى حجة  
وما عدا ذلك فيتعهد الباب العالى بان يتيقظ بكل اعتناء الى عدم حصول أى تعطيل مهما كانت  
طبيعته للتجارة والملاحة فى البحر الاسود على الخصوص وللوصول الى هذا الغرض  
يعترف ويعلن بان المرور فى قنال القسطنطينية وبيوغاز الدردنيل يكون بحرية تامة وانهما  
مفتوحان للسفن الروسية الحاملة للعلم التجارى سواء كانت مشحونة او مصهرة وسواء  
كانت آتية من البحر الاسود بقصد الدخول فى البحر الابيض المتوسط او عابرة من البحر  
الايض المتوسط تريد الدخول فى البحر الاسود وما دامت هذه السفن تجارية فهمما كانت  
كبيرة ومهما كان قدرها لا تكون معرضة لادنى مانع او لافى تعدد كما تقرر

مصبى قبلى وسولينيه أما مصب مارى جرجس فتمر فيه مراكب الدولتين الحربية والتجارية ولكن المراكب الحربية الروسية لا يمكنها عند صعودها فى الدانوب أن تتجاوز محل التقائه مع البروت

﴿البند ٤﴾ بما أن مقاطعات الكرج والامريثيا ومنكريل وجوريل وغيرها من مقاطعات القوزاق منضمة من سنين عديدة وعلى الدوام الى المملكة الروسية وبما أن هذه الدولة قد اكتسبت بالمعاهدة المبرمة مع دولة العجم ببلدة تورامان جاي فى ٢٠ فبراير سنة ١٨٢٨ خلاف ذلك خانات اريقان وناخيتشيفان والدولتان العليتان المتعقدتان قد علمتا ضرورة تحديد ممالكهما فى هذه الجهة بحيث ان هذا التحديد يكون معيناً تعييناً ناماً ضامناً لاجتناب كل اختلاف أو نزاع فى المستقبل وقد شرعنا من جهة أخرى فى اتخاذ الطرق الفعالة لرد هجمات وصد اغارات الامم المجاورة التى كانت تجربها لغاية الوقت الحاضر والتى كانت غالباً السبب الوحيد فى نقض الصلات الودية وحسن المجاورة بين الدولتين وبناء على ذلك فقد اتفق بين حكومتى الدولة الامبراطورية الروسية وبين الباب العالى العثمانى بأن تكون حدود ولايات المملكتين بأسميها من الآن فصاعداً خطأ يتبع الحدود الحالية لاقليم جوريل من ابتداء البحر الاسود ثم يصعد لغاية حدود مقاطعة اميرثيا ومن هناك يعرج نحو الاتجاه الاكثر استقامة لغاية مكان التقاء حدود ولايات اختريك وقارص مع ولايات الكرج بحيث تكون مدينة اختريك وقلعتها فى شمال هذا الخط على مسافة ليست باقل من ساعتين أما جميع البلدان الكائنة فى الجنوب والغرب من خط التحديد المذكور الغربية من ولايتى قارص وطرايزون بما فيها الجزء الاعظم من ولاية اختريك فانها تبقى على الدوام تحت حكم الباب العالى وأما البلاد الكائنة فى الشمال والشرق من الخط المذكور القريبة من الكرج وأميرثيا وجوريل وكذلك جميع شواطئ البحر الاسود من مصب نهر قوبان لغاية ميناء مارى نقولا بما فيها هذه الميناء فانها تبقى الى الابد تحت حكم المملكة الروسية فبناء على ذلك ترد حكومة روسيا الامبراطورية الى الباب العالى باقى ولاية اختريك وكذا مدينة وولاية قارص وأيضا مدينة وولاية بايزيد ومدينة وولاية أرضروم وجميع الاماكن المحتلة لها جيوش روسيا والتى توجد خارجا عن الخط المذكور أعلاه

﴿البند ٥﴾ حيث ان امارتى البغدان والافلاق قد قبلتا أن تكونا تحت سيادة الباب العالى بمقتضى القوانين الاساسية للامارتين وبما أن دولة روسيا قد ضمنت نجاحهما فقد صار الاتفاق على أنهما تحفظان جميع الامتيازات والاختصاصات التى ضمنت لهما سواء كانت بمقتضى القوانين الاساسية للبلاد او بحسب نص المعاهدات المبرمة بين الدولتين أو المؤيدة بالخطوط الشريفة الصادرة فى ازمة مختلفة وبناء على ذلك تتمتع هاتان الدولتان بالحرية الدينية وبالامن العمومى ويكون لهما ادارة اهلية مستقلة

ولذلك لما رأت ان الروس قد اقتربا منها فصاروا على طريقها وسيصلون اليها لاحتالوا ولم يتدخلوا بشدة فحاربت مع الدولتين المتحاربتين فافوقت الروسية جيوشها ودارت الخبايا بينهما بتوسط ملكة روسيا حتى تم الصلح وأمضيت به معاهدة بمدينة أدرنه في ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٤٥ الموافق ١٤ سبتمبر سنة ١٧٢٩ هذا نصها

﴿البند ١﴾ كل عداوة ومحاربة بقيت لغاية الآن بين الدولتين تنقطع من تاريخ هذا اليوم سواء كانت برية أو بحرية ويخلفها الصلح الابدی والمحبة وحسن الموافقة بين جلالة امبراطور وبادشاه جميع روسيا وبين عظمة امبراطور وبادشاه العثمانيين وكذا بين الوارثين والمتعاقبين على عرش المملكتين ويبدل الطرفان الساميان المتعاقدان ما في وسعهما من الانتباه الزائد لمنع جميع ما من شأنه توليد الشقاق بين رعاياهما ويقومان بتنفيذ جميع شروط معاهدة الصلح الحالية بغاية العناية وبعثيان أيضاً بأنها لا تنسكت بأى كيفية سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة

﴿البند ٢﴾ حيث ان جلالة امبراطور وبادشاه جميع روسيا يريد أن يبرهن لعظمة امبراطور وبادشاه العثمانيين على اخلاص أيماله الودية فيعيد الى الباب العالي اماراة البغدان بحدودها التي كانت عليها قبل ابتداء الحرب التي انتهت بالمعاهدة الحالية وامارة الافلاق ومقاطعة قره جهادوه بدون أى استثناء والبلغار واقليم دوبروجه من الدانوب لغاية البحر مع مدائن سيلستريه وحرصو وماجين وايزا كنجه وتولنتاو وبلطاغ وبازارجق ووارنه وبرافودى وجميع المدن والضياع والقرى التابعة لها وجميع بلاد البلقان من أمينه بورنولغاية قزاروالاقليم الممتد من بلاد البلقان الى البحر الاسود مع مدائن سليمان و تشامبولى وايدا وكرنيات وميسيميزيا و او كيمولى وبورجاس وسيزبولى وقرق قلدىس وأدرنه ولوله بورجاس وأخيراً جميع البلاد والضياع والقرى وعموماً جميع الامكنة التي احتلتها جنود روسيا من بلاد الروم الى

﴿البند ٣﴾ يستمر نهر نزوت لان يكون الحد الفاصل بين الدولتين من النقطة التي عس فيها تخوم البغدان لغاية التقائه مع الدانوب ومن هذا المكان توجه التخوم بمحاذاة مجرى الدانوب لغاية مصب مارى جرجس بحيث أن جميع الجزائر المتكوتة بفروع هذا النهر المختلفة تكون ملكاً لروسيا وأما الشاطئ الايمن منه فيبقى تابعاً للباب العثمانى كالسابق ومع ذلك فقد اتفق على أن الشاطئ الايمن المذكور من المكان الذى فيه يتفصل فرع مارى جرجس عن فرع سمولينيه يبقى غير مسكون على بعد ساعتين من هذا النهر وأن لا يشيد به مبان من أى نوع كان وكذلك فى الجزائر التي تبقى فى ملك دولة روسيا ويستثنى من ذلك الكورتينيات التي تعمل فيها ولا يسمح مطلقاً بان يشيد فيها أى بناء آخر ولا استحکامات ومراكب الدولتين التجارية يكون لها الحق فى الملاحة بالدانوب فى جميع طوله والمراكب الحاملة للعلم العثمانى يمكنها أن تدخل بدون ممانعة فى



واحتل مدينة (اسكى استانبول) للتمكن من كمال محاصرتها لكن لم يلبث ان رفع عنها الحصار لما شاهده من انتظام الجيوش الجديدة وجمع كل قواه حول مدينة وارنه وقد تمكن القبودان باشا عزت محمد من ادخال المدد اليها بحراً رغماً عن مراقبة السفن الروسية ودخل هو أيضاً اليها وتولى الدفاع عنها وأتى من جهة البر اسر عسكر حسين باشا لاشغال المحاصرين لها ولذلك كاد القيصر ييأس من دخولها لولا خيانة أحد القواد المدعو يوسف باشا فانه سلمها الى الروس في أول ربيع الثاني سنة ١٢٤٤ الموافق ١٠ اكتوبر سنة ١٧٢٨ والتجأ الى بلادهم فراراً من العقاب وليتمتع بثمرة خيانه ومن جهة آسيا احتل الروس عدة قلاع وحصون أهمها قلعة قارص الشهيرة ثم توقف القتال بسبب اشتداد البرد وتراكم الثلوج وبالاختصار فقد شهد الروس أنفسهم أن نتائج الحرب كانت أقل مما كانوا ينتظرون وما ذلك الا لالغاء طائفة الانكشارية وترتيب الجيوش الجديدة واطاعتها لاوامر رؤسائها اطاعة عمياء

وما يؤيد ذلك ما كتبه المسمى (بوتزودى بورجو) (١) سفير الحكومة الروسية بباريس في رسالة مؤرخة في نوفمبر سنة ١٨٢٨ وما خصها أن الجنود الروسية لاقت من الجيوش العثمانية الجديدة ما لم تعانه قبلاً من الانكشارية ولو تاخرت روسيا في اشهار الحرب على الباب العالي سنة واحدة لما أمكنها أن تحصل على النتائج التي نحصلت عليها في هذه السنة اه

وفي ذلك برهان كاف على اصابة رأى السلطان محمود الغازى واصالة فكره في الغاء طائفة الانكشارية لكن لم تكن الجيوش المنتظمة كافية لاستمرار القتال لقلّة عددها بالنسبة لجيوش الروسية الكثيرة العدد ولذلك لما استؤنف القتال في ربيع سنة ١٨٢٩ كان الفوز غالباً للجيوش الروسية رغماً عما بذله القواد العثمانيون من المهارة في ضروب القتال وما أظهرته الجنود المنتظمة من الثبات والانتظام

ولنقل باختصار بدون تفصيل جميع الوقائع التي حصلت بين الجيشين في فصلي الربيع والصيف أن الجيوش الروسية اجتازت نهر الطونة ثم اخترقت جبال البلقان بعد أن تغلبت على من عارضها من الجيوش العثمانية وأخيراً وصلت الى مدينة أدرنه واحتلتها عنوة وعند ذلك لم يبق أمامها عائق يوقفها عن التقدم الى مدينة الاستانة المحمية الا عدم رغبة الدول في سقوطها في أيدي روسيا واتفاقها ضمناً على اضعاف الدولة العلية الى حد لم يمكنها معه التقدم والارتقاء مع بقائها عتقة في سبيل روسيا وحاجزاً بينها وبين البحر الابيض المتوسط

(١) ولهذا السفير في جزيرة كورسيكا سنة ١٧٦٣ قبل ضمها لفرنسا وكان معاد للحكومة الفرنسية فاتخذ مع من يدعى (بارولي) علي تسليمها للانكليز في سنة ١٧٩٣ ورحل الى انكلترا بعد استرجاعها ثم دخل في خدمة روسيا في سنة ١٨٠٣ وفي سنة ١٨٠٥ طرده القيصر بناء على طلب نابليون الاول وأعادته في سنة ١٨١٣ وبعد سقوط نابليون ديف سفيراً لروسيا بباريس من سنة ١٨١٤ الى سنة ١٨٣٠ ثم في لوندرة وأخيراً اعتزل الاعمال واستوطن في باريس حيث توفي في سنة ١٨٤٢

المتعصبون في مساء ذلك اليوم وتأمرؤا على العصيان

وكان السلطان في سراي بشككطاش فحضر على الفور إلى سرايته وجمع العلماء وأخبرهم بما ينويه الانكشارية فاستقبحوا عملهم وشجعوه على المقاومة فاستدعى الأليات الطوبجية التي نظمها نوعاً عقب نولته واستعدت القتال الثائرين وعزم على عدم التساهل معهم خوفاً من تفاقم شرورهم واسترسالهم في التمرد والطغيان

وفي صباح ٩ القعدة الموافق ١٦ يونيو أخرج السلطان العلم النبوي الشريف وسار بجنود الطوبجية يتقدمه العلم إلى ساحة (آت ميداني) حيث كان الثائرون مجتمعين في هرج ومرج لا مزيد عليهما وتبعه كثير من العلماء والطلبة ولم يمض قليل حتى أحاطت الطوبجية بالميدان واحتلت جميع المرتفعات المشرفة عليه وسلطت مدافعها على الانكشارية من كل صوب فخرج جميع الانكشارية وتجمهروا قاصدين الهجوم على المدافع للاستيلاء عليها فقتلت عليهم من صيب قلائها ما أوقعهم في القشل وأيقنوا معه أن لا طاقة لهم على مقاومتها فمكثوا إلى تسكناتهم طالبين النجاة لكن أنى لهم ذلك وقد سلطت أفواه المدافع عليها فهدمتها وأشعلت فيها النيران حتى دمرتها على من التجأ إليها وبذلك انتهت هذه الفتنة المربعة وفي اليوم التالي صدر فرمان سلطاني بإبطال فئتهم كلية وملاسمها واصطلاحاتها واسمها من جميع الممالك المحروسة ونودي بذلك في الشوارع وصدرت الأوامر إلى جميع الولايات بالتفتيش على كل من بقى منهم واعدامه أو تقيمه إلى أطراف البلاد حتى لا تبقى منها بقية ومن ثم أخذ السلطان في ترتيب وتنظيم الجيوش بهمة لم يمسسها ملال وعين لا دخل هذه التنظيمات لجنة من أكابر الوزراء وقد الوزير حسين باشا الذي كانت له اليد الطولى في اباداة الانكشارية قائداً عاماً لهم (سر عسكر) وبذل السلطان ومشيره اهتمامهم حتى لم تمض السنة الا وقد تم تنظيم عشرين ألفاً وتمت المعدات لا بلاغهم في ختام السنة التالية مائة وعشرين ألفاً

هذا ولترجع الى ذكر الدولة الروسية وبيان ماتم بالنسبة لليونان واستقلالها فنقول بمجرد ما أعلنت روسيا الحرب سارت جيوشها التي كانت منتظرة ومتأهبّة على الحدود واجتازت نهر (بروت) الفاصل بين أملاك الدولتين واحتلت مدينة (ياش) عاصمة البغدان

وفي ٢٨ القعدة سنة ١٢٤٣ الموافق ١٣ مايو سنة ١٨٢٨ دخلت (بوخارست) عاصمة الافلاق وقبضت على حاكمي الولاياتين وصارت ادارتهما في أيدي مندوبين من طرفها وبعد ذلك احتلت الجيوش الروسية البلاد العثمانية الى نهر الطونه وعدة مدن واقعة على ضفتيه واجتازته بدون كثير معاناة ثم حاصرت مدينة (وارنه) براً وبحراً لمدم وجود مراكب عثمانية تحميها من جهة البحر بعد واقعة ناورين وأتى القيصصر نقولاً بذاته لمراقبة الحصار وبعد قليل سار في جيش عظيم لمحاصرة السر عسكر حسين باشا في مدينة (شومله)

الحرب مع  
الروسيا ومعاهدة  
آدرنه

فلم تعبها الدول بهذا الالباء بل اجتمع مندوبوها في اليوم المعين واتفقوا على استقلال مورده  
وجزائره سكلاده واجتماعها على هيئة حكومة مستقلة يحكمها أمير مسيحي تنخبه الدول  
ويكون تحت حمايتها وعلى أن تدفع الحكومة اليونانية للباب العالي جزية سنوية قدرها  
خمسائة ألف قرش فلم يقبل الباب العالي هذا القرار الصادر من دول غير مختصة فيما  
يقع بينه وبين متبوعيه واشتغل بحاربة روسيا التي أعلنت الحرب عليه بعد ان دمرت  
دونائمه وقبل أن يتم استعداد الجيش النظامي الجديد الذي أخذ في انشائه وتدريبه بعد  
الغاء طائفة الانكشارية كلية ولتقف هنا هنيئة نأتى فيها بذكر ما حصل عند الغائمان  
الحروب الداخلية وكيفية الوصول الى هذه الغاية الحميدة

الغاء طائفة  
الانكشارية

لما تحقق السلطان محمود أفضلية النظامات العسكرية المستعملة في جيوش أوروبا  
وسمع بما آتته الجنود المصرية المنتظمة من الاعمال الباهرة في محاربة مورده وعلم أن  
انتصارات ابراهيم باشا على اليونانيين لم تكن الا نتيجة النظام العسكري زاد تعلقه باصلاح  
العسكرية وأراد اتمام المشروع الذي لم يمكن السلطان سليم الثالث اتمامه فجمع جميع  
ذوات وأعيان المملوكة وكبار ضباط الانكشارية في بيت المفتى في أوائل سنة ١٨٢٦  
مسيحية الموافقة سنة ١٢٤١ هجرية

ولما تكامل الحضور خطب فيهم الصدر الاعظم سليم محمد باشا مظهرأما وصلت اليه  
حالة الانكشارية من الضعفة والانحطاط وعدم الانقياد لرؤسائها حتى صارت من أكبر  
دواعي تأخر الدولة العلية بازاء تقدم الدول الأوروبية المستمر بعد ان كانت هذه الفئة  
من أكبر عوامل تقدم الدولة وامتداد فتوحاتها ثم أبان لهم ضرورة ادخال النظام العسكري  
في أورط الانكشارية ادلا يمكنها بحالتها الحالية الوقوف أمام الجيوش الأوروبية المنتظمة  
فلما اقتنع الحاضرون باصابة فكره وضرورة اصلاح الجندية وأقرّوا على هذا المبدأ  
الحسن قام كاتب سر (مكتوبجي) الصدر الاعظم وتلا عليهم مشروعا محتويا على ستة  
وأربعين بنداً ذكر بها بكل ايضاح كيفية التنظيمات المراد ادخالها وبعد اقرار الجمعية عليه  
حرر بذلك محضراً ختمه جميع الحاضرين حتى ضباط الانكشارية وأفقى المفتى بجواز العمل  
بها شرعاً ومعاقبة من يعارض في انفاذها ثم تلا المشروع على جميع ضباط الانكشارية  
فأقرّوا عليه لكن لم تكن موافقتهم الا ظاهرية فقط فانه لما ابتدئ في تعلم الضباط  
بمعرفة من تعين من ضباط الافرنج بصفة معلمين تنبيه الانكشارية الى عواقب الامر  
وعلموا أنه لو تم هذا النظام كان سبباً في ضياع كافة امتيازاتهم من جهة وألزموا بمراعاته  
مع فائده من سلب حريتهم من جهة أخرى أخذوا يستعدون للثورة والعصيان ليوقفوا تنفيذه  
كما فعلوا قبلاً واستمالوا بعض الرعايا الذين اتبعوهم طمعاً في السلب والنهب

ولما كان يوم ٨ القعدة سنة ١٢٤٠ الموافق ١٥ يونيو سنة ١٨٢٦ تعرض بعضهم  
للجند وقت تمرين فاصدر السلطان أمره بمعاينة كل متعرض لهم بالقتل ولذا تجمع

الحراقات التركية اقتربت في أثناء المناورات الابتدائية من إحدى البوارج الأنكليزية فارسل قبطانها ضابطاً في زورق ليستعلم عن سبب اقترابها فاطلق عليه أحد الجنود التركية رصاصة قتلتها وعند ذلك اقتتلت السفينتان وامتد لهيب الحرب إلى باقي السفن حتى انتهت بانتصار الدول المتحدة وما كانت تصد فرنسا بتظاهرها هذا إلا اكتساب الاسم والفخر بعد ما ألم بهما عقب حروب نابوليون وارجاعها إلى حدودها الأصلية سنة ١٨١٥ وتدخلت انكلترا خوفاً من استئثار فرنسا بالنفوذ في الشرق ولذا فلم تعد فوائد هذه الواقعة إلا على الروسية فقط

ولما وصل خبر هذه الحادثة التي حصلت بدون اعلان حرب كما هي العادة بين الدول المتعدنة إلى الباب العالي أرسل بلاغا إلى سفراء هذه الدول الثلاثة يقيم فيه الحجة ضد هذا العمل المخالف للقوانين الدولية ويطلب به أن تمتنع الدول كلية عن التدخل في شؤون الممالك المحروسة وأن تدفع له تعويضاً عن الخسائر التي نجمت من تدمير المراكب العثمانية فلم يجابوا السفراء على هذا البلاغ بل قطعوا العلائق مع الباب العالي ونزلوا إلى مراكبهم مسرعين في ٨ ديسمبر سنة ١٨٢٧ وفي ١٨ منه نشر السلطان في جميع الولايات منشوراً عاماً (خط شريف) يبين فيه سوء مقاصد الدول عموماً والروسيا خصوصاً نحو الدولة العلية أي الدولة الإسلامية الوحيدة مثبتاً للاهالي على أن الباعث على هذا العدوان الدين لا السياسة وختمه بحض المسلمين على القتال دفاعاً عن الدين والملة والوطن فاغتازت روسيا لذلك وأعلنت الحرب على الدولة في ١١ شوال سنة ١٢٤٣ الموافق ٢٦ أبريل سنة ١٨٢٨

هذا ولما رأى إبراهيم باشا تألب الدول على الدولة العلية وان فرنسا أمرت بإرسال جيش عظيم لمحاربتة وتتم استتقلال اليونان اتفق في ٢١ محرم سنة ١٢٤٤ الموافق ٣ أغسطس سنة ١٨٢٨ بناء على أوامر والده مع الدول المتحدة على اخلاء موره والرجوع إلى مصر على ما بقي من السفن المصرية غير تارك فيها سوى ألف ومائتي جندي للحفاظ على مودون وكورون وناورين ريثما تستلمها العساكر العثمانية وفي ٢٦ صفر الموافق ٧ سبتمبر اتت إلى ابتدأ انسحاب الجنود المصرية وكانت كما أخلت محلا دخله الفرنسيون الذين نزلوا ببلاد اليونان في ١٧ صفر الموافق ٢٩ أغسطس تحت قيادة الجنرال (ميزون) وبذلك انتهت مأمورية إبراهيم باشا التي كادت تتم على يديه ومن معه من الجنود المصرية أولاً اتفاق الدول على سلب هذه الولاية المهمة من أملاك الدولة سعيًا وراء اضعافها حتى يتمكنوا من تنفيذ مآربهم وفي ٨ جماد أول سنة ١٢٤٤ الموافق ١٦ نوفمبر سنة ١٨٢٨ عقدت الدول الثلاث مؤتمراً في مدينة لندن لتقرير أحوال اليونان ودعت إليه الدولة فأبى عن ارسال مندوب من طرفها حتى لا يعد ذلك اقراراً منها على ما يتفق عليه وما فعلوه من مساعدة اليونان على الاستقلال

خروج العساكر  
المصرية من موره



البند (٨) من معاهدة بخارست وأن يرسل لها فرمان الحلى بالخط الشريف الذى به تمنح الفوائد السابق الكلام عليها

فلما نحن الموقعين على هذا المفوضين السياسيين عن جلالة امبراطور وبادشاه جميع روسيا مؤيدين بالاوامر الجلية الملكية باتحادنا مع المفوضين السياسيين عن الباب العالى العثمانى قد قررنا ونظمنا الاصول المذكورة أعلاه التى هى نتيجة البند (٥) من الاتفاق التفسيرى والمقرر لمعاهدة بخارست المبرمة بيننا وبين المفوضين السياسيين العثمانيين فى المؤتمرات المنعقدة بآق ككرمان والمشملة على ثمانية بنود فبناء على ذلك الخ

واقعة ناورين

وفى ٨ رجب سنة ١٢٤٢ الموافق ٥ فبراير سنة ١٨٢٧ عرضت انكلترا رسمياً على الدولة العلية توسط جميع الدول بينها وبين متبوعيها فلم تقبل ذلك بل أجابت سفير الانكليز بتاريخ ١٥ القعدة سنة ١٢٤٢ الموافق ١٠ يونيو سنة ١٨٢٧ بعد التروى والتأمل فى عاقبة هذا التداخل انها لم تسمح ولن تسمح به مطلقاً فاغتاضت الدول من هذا الجواب الحق وانفقت كل من فرنسا وانكلترا والروسيا بمقتضى وفاق تاريخه ١١ الحجة سنة ١٢٤٢ الموافق ٦ يوليو سنة ١٨٢٧ على الزام الباب العالى بالقوة بمنح بلاد اليونان استقلالها الادارى بشرط أن يدفع اليونانيون جزية معينة يتفق على مقدارها فيما بعد كما يتفق على حدود الفريقين وامهل الباب العالى شهراً لايقاف الحركات العدوانية ضد اليونان والاضطر الدول لاتخاذ طرق أخرى لنفاذ مرغوبها ولما بلغت صورة هذه المعاهدة الى الباب العالى لم يحفل بها وبعد انقضاء الشهر أصدرت الدول الثلاث أوامرها الى قواد أساطيلها بالتوجه لسواحل اليونان وطلبت بعد ذلك من ابراهيم باشا الكف فوراً عن القتال فاجابهم انه لايتلقى أوامر الامن سلطانه أوأبيه ومع ذلك فانه قبل ايقاف الحرب مدة عشرين يوماً ريثما تأتية تعليمات جديدة وترى هو وجنوده على أهبة القتال واجتمعت سفن الثلاث دول المتحالفة فى ميناء ناورين لمنع الدونائتين التركية والمصرية من الخروج منها

وفى ٢٨ ربيع أول سنة ١٢٤٣ الموافق ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ تكامل اجتماع سفن الدول المتحدة وكانت الدونائمة الفرنسية تحت قيادة الاميرال (رينى) والروسية تحت امرة الاميرال (هيدن) وكان اللورد كودرنجتون أميرالاً للأساطيل الانكليزية وقائداً عاماً لراكب الدول بالنسبة لاقدميته فى الوظيفة عن زميله الفرنسي والروسي ولم تلبث السفن مقابلة لبعضها حتى انشبت نيران الحرب بين الفريقين لسبب واحد وسلطت جميع السفن الاوروبية مدافعها على المراكب التركية والمصرية فدمرتها بعد ان استمر القتال عدة ساعات والسبب فى حدوث هذه الموقعة على ما جاء به المؤرخون ان احدى

الولاية فانهم لا يمكنهم ان يعاملوا الاشراف بعنف وبالميل مع أهواهم وأن لا يعاقبهم بدون وجه حق وبدون أن يكونوا ارتكبوا جرائم مثبوتة ولا يترتب عليهم عقاب الا بعد أن يحاكموا بحسب قوانين وعوائد البلاد

بما أن الانقلابات التي وقعت في السنين الاخيرة بولايي البغدان والافلاق كان لها تأثير سيء جداً بالنظام في فروع الادارة المختلفة الداخلية فعلى الولاية أن يشتغلوا بدون ادنى امهال مع دواوينهم في اتخاذ التدابير اللازمة لتحسين حالة الولايتين المعهود ادارة شؤونهما الى مهارتهم وهذه التدابير يعمل عنها نظام عمومي لكل ولاية يجري مقتضاه بدون تاخير اما الحقوق والامتيازات الاخرى لولايتي البغدان والافلاق وجميع الخطوط الشريفة التي تختص بهما فانه يستمر مراعاتها ما دام الاتفاق الحلي لا يغير منها شيئاً

فلهذا نحن الموقعين على هذا المفوضين السياسيين عن جلالة امبراطور وبادشاه جميع روسيا المؤيدين بالاوامر الجليلة الملوكية بالانحداد مع المفوضين السياسيين عن الباب العالي العثماني قد قررنا ونظمنا الاصول المذكورة اعلاه بخصوص البغدان والافلاق وتلك الاصول هي نتيجة البند الثالث من الاتفاق المقرر لمعاهدة بخارست الذي ابرم مشتملا على ثمانية بنود في المؤتمرات المنعقدة باقى كرمان بيشتا وبين المفوضين السياسيين العثمانيين فبناء على ذلك الخ

بما ان قصد الباب العالي الوحيد هو ان يجري متعول الاشتراطات المذكورة في البند (٨) من معاهدة بخارست بكل صداقة فقد سمح للمندوبين الصربيين في القسطنطينية بان يقدموا له طلبات امتهم بخصوص المواضيع الاكثر موافقة لتشييد دعائم الاطمئنان ورفاهية البلاد فكان هؤلاء المندوبون عرضوا في بادئ الامر في عرضتهم ما تمناه الامة بالنسبة لبعض هذه المواضيع مثل حرية الاديان واخواب رؤسائها واستقلال ادارتها الداخلية وانضمام الاقسام المنفصلة عنها ووحيد الاموال الاميرية لتنوعه الى نوع واحد وتسليم ادارة واستغلال العقارات المملوكة لبعض المسلمين الى الصربيين بشرط ان يدفعوا عنها جعلا معيناً ضمن الخراج وحرية التجارة ولتصريح للتجار الصربيين بالسفر في الممالك العثمانية بيطاقات الجواز الخصوصية بهم وتشديد الاسبتياليات والمدارس والمطابع وأخيراً منع المسلمين الغير داخلين في زمرة العسكرية من التوطن بالصرب لكن عند فحص الطلبات المبينة سابقاً وتنظيمها قد حصلت موانع اوجبت تأجيلها وبما أن الباب العالي لا يزال ثابتاً للآن بعزم راسخ في أن يمنح الامة اصرية التوائس المشترطة في البند (٨) من معاهدة بخارست فيستقر بالانحداد مع المندوبين الصربيين بالقسطنطينية الطلبات المذكورة اعلاه الصادرة عن امة صداقة ومنقادة له وكذا جميع الطلبات الاخرى التي ترفع اليه بواسطة الوفد الصربي ما دامت لا تناقض في شيء لصفة التابعة للدولة العثمانية على الباب العالي ان يخبر الدولة الروسية الامبراطورية عن طريقة الاجراء التي يقتضيها

المقدّم الفصل  
الخاص بالصرب

والافلاق مع اعتبار الضرورات التي تدوّنت بموجب الخط الشريف المحرر في سنة ١٨٠٢  
أساساً لذلك ولا يجوز للولاة في أيّ حالة كانت أن يقصروا في الاجراء بغاية الدقة  
بمقتضى هذا النظام وعليهم أن يصنعوا للمحفوظات وزير جلالة السلطان وقناصل الروسية  
على أوامرهم سواء كان في هذا الموضوع أو في المحافظة على امتيازات البلاد وخصوصاً  
في ملاحظة القيود والبنود المدخلة في العقد الحالي

يعين الولاة بالاتحاد مع دواوينهم عدد العساكر في كل ولاية بمقدار ما كان يوجد منهم  
قبل حوادث سنة ١٨٢١ ومتى تعين هذا العدد فلا يمكن أن يزداد فيه بوجه ما لم يعترف  
الطرفان بأهمية الضرورة الملجئة الى ذلك ومن الواضح أن تكوين العساكر وتشكيلهم  
يستمر بالكيفية التي كانوا عليها قبل تلك الحوادث وأن يستمر انتخاب الاغوات (الضباط)  
وتعيينهم على حسب الطريقة المتبعة قبل الوقت المذكور وأخيراً فإن العساكر وأغواتهم  
لا يقومون مطلقاً الا بالوظائف التي تحدّدت لهم في حال الاصل ولا يجوز لهم التدخل  
في أمور البلاد ولا في أي أعمال أخرى

الاغتصابات التي وقعت في أراضي الافلاق من جهة ابريل وجيرجيو اوفا بعد نهير  
الاولتا يصير عاديها للسكيا ويحدّد ميعاد لهذه الاعادة في الفرمانات المختصة بها التي  
تصدر لاصحاب الشأن

الاشراف الذين رأوا انفسهم مجبورين على ترك وطنهم بسبب الفتن الاخيرة يمكنهم  
أن يعودوا اليها باختيارهم بدون أن يحصل لهم أدنى تشويش من أي شخص ويشرعون  
في التمتع الكامل المطلق بحقوقهم واختصاصاتهم وأموالهم وأملأهم كما في الماضي  
ويمنح الباب العالي لولايتي البنعدان والافلاق مدة سنتين يعفيهما في أثناءهما من الاموال  
الاميرية والتعيينات السنوية المزمّتين بدفعها اليه وذلك بالنظر الى المصائب التي أثقلت  
كاهلها بسبب القلاقل الاخيرة ومتى انتهت مدة الاعفاء السالف ذكرها فلجزية  
والتعيينات المذكورة يصير تسديدها بحسب المعدل المعين بالخط الشريف المحرر في سنة  
١٨٠٢ ولا يمكن زيادتها في حال من الاحوال

ويمنح الباب العالي ايضاً لسكان الولاياتين حرية الاتجار بجميع محصولات اراضيهم  
وصناعاتهم فيتصرفون في ذلك كيف يشاؤون ماعدا القيود المختصة من جهة بالتعيينات  
الواجبة سنوياً للباب العالي الذي يعتبر هاتين الولاياتين كمخازن له ومن جهة أخرى  
بعمونة القطر نفسه اما جميع تعليمات الخط الشريف المحرر في سنة ١٨٠٢ المختصة بهذه  
التعيينات وبتسديدها بالنظام وبالاثمان الجارية التي تخصم لهم على حسابها والتي  
تحديدها في حالة النزاع يختص بدواوين كل ولاية فيجري مقتضاها بكل دقة وتعتبر في  
المستقبل بضبط تام .

وينبه على الاشراف ان ينفذوا اوامر الولاة وان ينقادوا لهم تمام الانقياد واما من جهة

أو أقل ان أمكن ابتداء من اليوم الذى يتم فيه هذا الاتفاق تحريراً باق كerman في ٢٥  
سبتمبر سنة ١٨٢٦

### العقد المنفصل المختص بالافلاق والبغدان

بما أن ولاية البغدان والافلاق يختارون من بين أشراف الوطنيين فانتخابهم يكون في كل  
من هاتين الولايتين من الآن فصاعداً بتصديق وإرادة الباب العالي بواسطة جمعيات  
الديوان العمومية بحسب عادة البلاد القديمة وديوان كل ولاية بصفة أنهم نائبون عن  
الامة و باتحادهم مع عموم السلاطان ينتخبون لوظيفة وال أحد الإشراف العريقتين في الاقدمية  
والذين يكونون أكثر كفاءة للقيام جيداً بأعباء ولايتهم ثم انهم يقدمون الى الباب العالي  
محضراً بمن وقع عليه الانتخاب فاذا قبل الباب العالي تعيينه فيعين والياً ويستلم براءة تتيته  
واذا اتفق أنه لاسباب قوية وجد المنتخب غير موافق لرغبة الباب العالي ففي هذه الحالة  
بعد تحقيق هذه الاسباب بمعرفة الدولة العلية والروسية يسمح للإشراف المذكورين بان  
يشرعوا في انتخاب شخص آخر موافق ومدة تولية الوالى تحدّد دائماً كما في الماضي بسبع  
سنوات كاملة من تاريخ يوم التعيين ولا يمكن رفعهم قبل هذا الميعاد واذا ارتكبوا في  
مدة حكمهم بعض جنايات فالباب العالي يخبر عنها وزير روسيا وبعد اجراء التحقيق  
بواسطة الطرفين وظهور ادانة الوالى يسمح برفعه في هذه الحالة فقط

الولاة الذين يتمون مدة تعيينهم التي هي سبع سنوات بدون أن يبدو منهم أى أمر  
يوجب شكوى مهمة وحقيقية سواء كان بالنسبة للدولتين أو بالنسبة لولايتهم يعينون من  
جديد لسبع سنوات أخرى اذا طلبت دواوين الولاية تعيينهم من الباب العالي واذا  
اتضح رضاء عموم الاهالى عنهم

اذا اتفق ان احداً الولاة استعفى قبل انتهاء ميعاد السبع سنوات بسبب الهرم او  
المرض أو لاسبب آخر فالباب العالي يخبر بذلك حكومة روسيا ويحصل الاستعفاء  
بموجب اتفاق الدولتين عليه من قبل

عزل أى وال بعد انتهاء مدته أو تنازله يستوجب سقوط عنوانه ويمكنه أن يعود  
ثانياً الى طبقة الإشراف بشرط أن يبقى ساكناً ومطمئناً ولكن لا يجوز له ان يصير عضواً  
في الديوان ولا ان يؤدى أى وظيفة عمومية ولا أن ينتخب والياً ثانية  
أولاد الولاة المعزولين أو المستعفين يحفظون صفة الإشراف ويمكنهم ان يشتغلوا بمصالح  
البلاد وان ينتخبوا ولاية في حالة عزل أو استعفاء أو موت احد الولاة ولغاية تعيين خلف  
له يعين ديوان تلك الولاية قائم مقام يكافى بادارة تلك الولاية

من حيث ان الخط الشريف المحرر في سنة ١٨٠٤ الغى الاموال الاميرية والتعيينات  
السنوية والمطالب الرسمية التي ادخلت منذ سنة ١٧٨٣ فالولاة بالاشتراك مع اشراف  
دواوينهم يعينون ويجددون الاموال الاميرية والضرائب السنوية في ولايتى البغدان



بان يقوم باعادة جميع المأخوذات التي استولى عليها اولئك اللصوص بدون أدنى تأخير وأن يعوّض على الرعايا الروسيين ما لحقهم من الخسائر وأن يحرر بهذا الصدد فرماناً صارماً الى بلاد المغاربة بحيث لا تدعو الضرورة الى تكراره مرة ثانية وفي حالة ما اذا لم ينفذ مفعول هذا فرمان فيدفع متماد التعويض من الخزينة الملوكية في مسافة الشهرين المنصوص عنهما في البند السابع من معاهدة ياش ابتداء من تاريخ يوم الطلب الذي يقدم بهذا الشأن من وزير روسيا بناء على التحقيق الذي يكون قد أجراه

(ثانياً) يعد الباب العالي بان يلاحظ بغاية الدقة جميع شروط المعاهدة التجارية السابق ذكرها وأن يحمي جميع الموانع المضادة للمبني الصريح لهذه الاشتراطات وأن لا يتسبب في احداث العراقيل في طريق ملاحاة السفن التجارية الحاملة للعلم الروسي في جميع بحار ومياه المملكة العثمانية بدون استثناء مطلقاً وبالاختصار أن يسعى في تمتع تجار روسيا وقباطين مراكزها وجميع رعاياها عموماً بالامتيازات والخصوصيات وكذلك بالحرية التامة في التجارة بما أن هذه الامور نص عنها نصاً صريحاً في المعاهدات الموجودة بين الطرفين

(ثالثاً) حيث أنه بمقتضى البند الاول من المعاهدة التجارية الذي يضمن لجميع الرعايا الروسيين عموماً حرية الملاحة والتجارة في جميع ممالك الباب العالي سواء كان برا أو بحراً وفي كل مكان يريدون الملاحة والتجارة فيه وحيث انه بالنظر للقيود المذكورة في بندي (٣٥ و ٣٦) من المعاهدة المشار اليها التي تضمن حرية المرور من قنال القسطنطينية للسفن التجارية المشحونة بالمؤنات أو ببضائع أخرى أو بمحصولات روسيا أو بمحصولات الممالك الاخرى الغير تابعة للدولة العثمانية وكذلك حرية التصرف في هذه المؤنات والبضائع والمحصولات فالباب العالي يتعهد بأن لا يقيم عقبات ولا موانع في أن المراكب الروسية المشحونة بالاعلال أو بمؤنات أخرى عند وصولها في قنال القسطنطينية وفي وقت الاقتضاء تمكن من نقل ما بها الى مراكب أخرى سواء كانت روسية أو تابعة لامم أخرى أجنبية لكي تنقل خارجاً عن ممالك الباب العالي

(رابعاً) يجيز الباب العالي بناء على توسط حكومة روسيا الامبراطورية قياساً على ماسبق دخول البحر الاسود لمراكب الحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية التي لم تحصل لغاية الآن على هذا الامتياز بحيث أن توريد التجارة الى روسيا بواسطة هذه السفن وتصدير المحصولات الروسية عليها لا يمكن أن يحصل له أدنى تعطيل

البند الثامن بما أن الغرض من الاتفاق الحالي هو ايضاح وتكملة معاهدة بخارست فيصدق عليه من جلالة امبراطور وبادشاه جميع روسيا ومن جلالة ملك وبادشاه العثمانيين بواسطة اعتمادات صريحة موثقة على حسب العادة بعلاتهما الخصوصية ويصير تبادل التصديق بين مندوبي الطرفين السياسيين في ميعاد أربعة أسابيع

يحكم بانها أكثر موافقة لتأمين تلك الامة على الامتيازات التي اشترطت لصالحها فان المنع بهذه الامتيازات يكون في آن واحد مكافأة عادلة وأعظم باعث لصدقتها التي برهنت عليها هذه الامة نحو المملكة العثمانية وحيث رؤى ان ميعاد ثمانية عشر شهراً ضرورياً للشروع في التحقيقات التي يقتضها هذا الموضوع بناء على العقد المنفصل المرفق مع هذا المتفق عليه بين مندوبي الطرفين السياسيين فتقرر الطرق السالف ذكرها بالاتفاق مع الوفد الصربي المنتدب الى القسطنطينية ويصدر بها فرمان على محلي بالخط الشريف الهامبوني ويجرى مقتضاه بالدقة في أقصر مدة ممكنة وغايتها مدة ثمانية عشر شهراً السالف ذكرها وهذا فرمان يرسل لحكومة روسيا الامبراطورية وحينئذ يعتبر كجزء متمم للاتفاق الحالي

§ البند السادس \* حيث أنه بمقتضى الاشتراطات الخصوصية المذكورة في البند العاشر من معاهدة بخارست جميع قضايا وطلبات رعايا أحد الطرفين التي كانت أخرت بسبب حصول الحرب يجب الشروع فيها وانهاؤها أيضاً وحيث أن الديون التي يمكن أن تكون لرعايا كل طرف على الطرف الآخر وكذا المسائل المختصة بالخارج يجب فحصها والفصل فيها بالمطابقة للعادلة من كل الوجوه وتصفيتها تماماً بالمرعة فقد اتفق على أن جميع قضايا وطلبات الرعايا الروسيين بسبب الخسائر التي تكبدوها باسباب غزو قرصانات المغاربة والمصادرات التي حصلت في وقت انقطاع العلاقات بين الدولتين في سنة ١٨٠٦ والاجراآت الاخرى التي من هذا القبيل بما فيها ما وقع منذ سنة ١٨٢١ يعمل عنها تصفية ويعطى عنها التعويضات العادلة وللوصول لهذا الغرض ينتدب الطرفان بدون امهال مأمورين بمحققة الخسائر ويعينون مقدار التعويض اللازم عنها ولما تنتهى أعمال هؤلاء المأمورين يرسل المجموع الذي يتكون من التعويضات السابق ذكرها اجمالياً لسفارة روسيا بالقسطنطينية في ميعاد ثمانية عشر شهراً من ابتداء تاريخ التصديق على الاتفاق الحالي ويمثل ذلك يكون الحال بالنظر لرعايا الباب العالي

§ البند السابع \* حيث أن القيام بتعويض الخسائر التي حصلت لرعايا وتجار دولة روسيا الامبراطورية بسبب قرصانات ايلات الجزائر وتونس وطرالس والعمل بشروط المعاهدة التجارية بكل دقة وصحة وبالبند السابع من معاهدة ياش من أهم واجبات الباب العالي بمقتضى العبارات الصريحة المذكورة في البند الثاني عشر من معاهدة بخارست الذي بانضمامه الى البند الثالث يقوى ويؤكد جميع الاتفاقات السابقة فلباب العالي يكرر بكل صراحة وعده باتمام جميع تعهداته من الآن فصاعداً بالصدقة التامة للغاية ويبنى على ذلك ما يأتي

( أولاً ) يعتق الباب العالي اعتناء تاماً بمنع قرصانات المغرب من تعطيل التجارة والملاحاة الروسية باى حجة كانت فاذا حصل منهم شىء فبمجرد علم الباب العالي بحدوثه يتعهد من الآن

عنها فتعهد الباب العالي العثماني بحاملة لحكومة روسيا الملوكية ورغبة في اظهار صريح رغبته الخالصة في توثيق عرى الصلات الحبية بين الدولتين ومراعاة لحسن الجوار بأن يجرى ويحافظ على النظام الذي اتفق عليه بهذا الصدد في القسطنطينية بين مبعوث روسيا ووزراء الباب العالي في المؤتمر المنعقد بتاريخ ٢١ اغسطس سنة ١٨١٧ وفقاً للنصوص المدونة بمحضر ذلك المؤتمر وعلى ذلك فالنصوص المذكورة في هذا المحضر بالنسبة لموضوع بحثنا تعتبر كأنها جزء متمم للاتفاق الحالي

البند الثالث ﴿ بما أن التعهدات والعقود المختصة بالامتيازات التي تتمتع بها البغدان والافلاق قد تقررت بقيد خصوصي في البند الخامس من معاهدة بخارست فالباب العالي يتعهد تعهداً صريحاً بأن يراعى تلك الامتيازات والتعهدات والعقود في كل حين بالصداقة التامة ويعد بان يجدد الخطوط الشريفة المحررة في سنة ١٨٠٢ التي خصصت وضمنت الامتيازات المذكورة وذلك في مسافة ستة شهور تمضي من تاريخ التصديق على الاتفاق الحالي وزيادة على ذلك فانه بالنظر الى المصائب التي تحملها هاتان الولاياتان بسبب الحوادث الاخيرة وبالنظر الى اختيار بعض اشراف البغدانين والافلاقيين لاجل أن يكونوا ولاية لهاتين الامارتين ونظراً لان حكومة روسيا الملوكية قد قبلت هذا الانتخاب فقد حصل الاعتراف من الباب العالي والروسيا بان الخطوط الشريفة المذكورة سيباقاً الصادرة في سنة ١٨٠٢ يجب من كل بد تكملتها بواسطة القيود المدونة بالعقد المنفصل المرفق بهذا الذي اتفق عليه بين مندوبي الطرفين السياسيين والذي يعتبر جزءاً متمماً للاتفاق الحالي

البند الرابع ﴿ اشترط في البند السادس من معاهدة بخارست أن تحدد الترخوم بين الدولتين المتعاقبتين من جهة آسيا بالكييفية التي كانت عليها سابقاً قبل الحرب وأن تعيد حكومة روسيا الامبراطورية الى الباب العالي الحصون والقلاع الكائنة ضمن هذه الترخوم التي فتحتها جنود روسيا أثناء الحرب فبناء على هذا الشرط ونظراً لكون حكومة روسيا الامبراطورية قد أخذت وأعادت بعد الصلح مباشرة الحصون المشار اليها التي كانت أخذت في أثناء الحرب من جنود الباب العالي فقد اتفق الطرفان بانه من الآن فصاعداً تبقى الترخوم الاسيوية بين المملكتين كما هي عليه الآن وأنه قد تحدد ميعاد سنتين لاتخاذ الوسائل الناجعة من الطرفين في المحافظة على سكينه وأمن الرعايا التابعة لكل منهما

البند الخامس ﴿ بما أن الباب العالي العثماني يرغب في أن يبرهن للحكومة الروسية الامبراطورية على ميله الودي وتمامه التام لانعام كافة شروط معاهدة بخارست فسيشرع في اجراء جميع قيود البند الثامن من المعاهدة المذكورة المختصة بالامة الصربية التي لكونها من قديم الزمان تابعة للباب العالي وتدفع له الخراج تستحق أن تنال في كل حين بواعث رحمته واكرامه فعلى هذا ينظم الباب العالي مع مندوبي الامة الصربية الطرق التي

وعدم قبول الباب العالي أى تدخل أجنبي في شؤونه الداخلية بين رعاياه ولما توفى التيمصر  
اسكندر الاول في ١٨ ربيع الثاني سنة ١٢٤١ الموافق أول ديسمبر سنة ١٨٢٥ وتولى  
بعده نقولا الاول (١) اهتم بمسألة اليونان متبعاً خطة سلفه السياسية وبالتحاده مع  
انكلترا التي كان قصدها منع الحرب بين الدولتين اضطر الباب العالي الى التصديق على  
معاهدة (آق كرمان) في ٢٨ صفر سنة ١٢٤٢ (سبتمبر سنة ١٨٢٦) وملخصها أن  
يكون للروسيا حق الملاحة في البحر الاسود والمرور من البوغازين بدون أن يكون للدولة  
وجه في تفتيش سفنها وان تنتخب حكام ولايتي الافلاق والبغدان بمعرفة الاعيان لمدة  
سبع سنوات مع عدم جواز عزلهما أو أحدهما الا باقرار الروسيان وأن تكون ولاية الصرب  
مستقلة تقريباً وأن لا تحتل العساكر التركية الاقلعة بلغراد وثلاث قلاع أخرى ولم يذكر  
بهذه المعاهدة شيء عن اليونان لايجاد سبب للاشكال في المستقبل بل اثبتت الروسية  
وانكلترا على استعمال كل تفوذهما لوضع حد للحروب المستمرة بها ولو كرر الباب العالي  
ووافقتهم دول النمسا والبروسيا وفرنسا وهذا نص اتفاق آق كرمان

اتفاق آق كرمان

البند الاول \* جميع قيود واشترطات معاهدة الصلح المبرمة في بخارست بتاريخ  
١٧ جمادى الاولى سنة ١٢٢٧ الموافق ١٦ مايو سنة ١٨١٢ قد تقررت بهذا الاتفاق  
الحالى من حيث قوتها الجوهرية ومبناها كما لو كانت معاهدة بخارست هذه ذكرت فيه  
كلمة فكلمة أذن الغرض من الايضاحات التي هي موضوع هذا الاتفاق الحالى ليس  
الاتحاد معنى بنود المعاهدة المذكورة بالضبط وتقوية دعائمها

البند الثاني \* حيث أن ما جاء في البند الرابع من معاهدة بخارست بخصوص تحديد  
تخوم الدولتين في الجزيرتين العظيمتين الموجودتين بالدانوب أمام مدينتي اسماعيل وكلتي  
اللتين مع استمرارهما ملكاً للباب العالي كان يقرر بقاء جزء منها قاحلاً غير أهل بالسكان  
علم فيما بعد عدم امكان تنفيذه نظراً للموانع الناشئة عن فيضان النهر حيث ثبت بالتجربة ضرورة  
اقامة حد فاصل ثابت ذي امتداد كاف بين سكان الشواطئ المملوكة للطرفين لمنع حصول  
أى اختلاط بينهم فتقطع بهذه الوساطة كافة المنازعات والارتباكات المستمرة التي تنتج

(١) هو ثالث أولاد بولس الاول وتول بعد موت أخيه اسكندر الاول في سنة ١٨٢٥ بسبب تنازل  
أخيه الاكبر قسطنطين عن حقه في الملك وكان أشد ملوك روسيا عداوة للدولة العلية فجارها وأمضي  
مهاووق (اق كرمان) ثم ما هدة أدركه في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩ وحارب العجم وأخذ منها عدة ولايات  
ثم لما حصلت حرب الشام بين مصر والدولة العلية أبرم مع الدولة ما هدة خونسكار اسكه سي سنة ١٨٣٣  
القاضية بمساعدة الدولة وكان من أكبر مساعدى اليونان على الاستقلال كما أنه محي ماكن بأيا ابوالونيا  
من الاستقلال الادارى وساعد النمسا على قهر بلاد البحر وألزمها البقاء تحت سلطة النمسا في سنة  
١٨٤٩ وأخيراً تسبب بزيادة عدم احترامه لحقوق الدولة العلية في حرب القرم التي اتحدت فيها فرنسا  
وانكلترا مع الدولة ضده وانتهت بسقوط قلعة سيستابول في أيدي التحالفين وامضاء معاهدة باريس  
في ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ المدرجة في هذا الكتاب وتوفي هو أثناء الحرب في ٢ مارس سنة ١٨٥٥



أوروبا لليونانيين بالمال والرجال لما أمكنهم مقاومة الجنود العثمانية فانه لما شرعت اليونان في طلب الاستقلال شكلت في أوروبا عدة جمعيات دعيت بجمعيات محبي اليونان وجمعت كثيراً من المال أرسلت به الى الثائرين كميات وافرة من الاسلحة والذخائر وتطوع كثير من أعضائها في عداد الحاربين ومن ضمنهم كثير من مشاهير أوروبا وأمريكا مثل وشطون ابن محرر أمريكا الشهير واللورد بيرون الشاعر الانكليزي وغيرهما من خول الرجال الذين وقفوا حياتهم للدفاع عن الحرية في أي زمان ومكان انتصاراً لمبادئهم لا لامة معلومة أو رجل معلوم ومما ساعد على دخول بعض الشبان المشهورين في جيوش اليونان القصائد الحماسية التي نشرها فيما بينهم ( فيكتور هوغو ) الشاعر المعلق الفرنسي ( كازيمير دلافين ) الناظم الشهير

ولم يلبث ابراهيم باشا ان آمد مدينة ( كورون ) التي كان يحصرها اليونانيون بالرجال والذخائر في ٣ شعبان سنة ١٢٤٠ الموافق ٢٣ مارث سنة ١٨٢٥ ثم فتح مدينة ( ناورين ) (١) الشهيرة بعد حصار شديد ودخلها منصوراً في ٢٨ رمضان سنة ١٢٤٠ الموافق ١٦ مايوسنة ١٨٢٥ وبعد قليل فتح مدينة ( كلاماتا ) وفي ٢٣ مايواحتل مدينة ( تريبولتسا ) ثم استدعاه رشيد باشا الذي كان محاصراً مدينة ( ميسولونجي ) لمساعدته على فتحها وكانت قد أعيتته في ذلك الخيل لوقوعها على البحر ووصول المدد اليها تباعاً من جهة البر فقام ابراهيم باشا بجيوشه ملياً دعوته واتبع في فتحها الطريق التي أرشده سليمان بك الفرنسي ساوي اليها في محاصرة ( ناورين ) ففتحت المدينة بعد عناء شديد وحصار جهيد ودخلها العثمانيون والمصريون في ١٤ رمضان سنة ١٢٤١ الموافق ٢٢ أبريل سنة ١٨٢٦ وفي يونيو من السنة التالية فتح العثمانيون مدينة آتيناً وقلعتها الشهيرة ( اكروبول ) رغماً عن دفاع اللورد كوشران القائد البحري الانكليزي الذي عين من قبل اليونانيين قائداً عاماً لجيوشهم البرية والبحرية لعدم اتفاقهم على تعيين أحدهم

تدخل الدول

وبينا يستعد ابراهيم باشا لفتح مابق من بلاد اليونان في أيدي الثائرين اذ تدخلت الدول بين الباب العالي ومتبوعيه بحجة حماية اليونانيين في الظاهر ولفتح المسألة الشرقية وتقسيم بلاد الدولة بينهم في الباطن وبيان هذا التدخل ان الدولة لامت روسيا أكثر من مرة على مساعدتها الثائرين وحماية من يلتجئ منهم الى بلادها وهي لا تصغي لهذا اللوم ولا تنصت للحق بل استمرت على مساعدتهم طمعاً في نوال بغيتهما الاصالية وهي احتلالها الاستانة وجعلها مركزاً للديانة الارثوذكسية كما ان مدينة رومة مركزاً للديانة الكاثوليكية ثم استمرت المخابرات بين الدولتين مدة بدون فائدة لرغبة روسيا التدخل بين التابع والمتبوع

(١) مدينة بيلاد اليونان على بحر أرخبيل قليلة السكان اشتهرت في التاريخ بتدمير مراكب انكلترا وفرنسا والروسيا للدونامة المصرية العثمانية في ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧ مساعدة لليونان للحصول على استقلالها السياسي بدون اعلان حرب كما هي عادة الامم المتعددة

سنة ١٢٣٧ الموافق ١٨ يونيو سنة ١٨٢٢ من حرق الدونامة التركية في مينا جزيرة ساقز واستشهاد ثلاثة آلاف بحرى بسببها بعد ان استخلصت جزائر ساموس وساقز وغيرهما من أيدي ثائري اليونان ومجازاة سكانها ومساعدتهم بقتل الرجال وسبي النساء وارتكاب أنواع السلب والنهب مما كان له دوى في أوروبا واستمال الرأى العام بها لمساعدة اليونان وبقي الحرب بعد ذلك سجالات الى سنة ١٨٢٤

ولما رأى السلطان محمود ما ألم بحيوشه في هذه الحروب المستمرة والمناوشات الغير منقطعة وثبات اليونانيين أمام الجيوش العثمانية واعتصامهم بالجبال وعدم قدرة الجنود على اللحاق بهم في جبالهم الوعرة أراد أن يحيل مامورية محاربهم على محمد على باشا وإلى مصر نظراً لما أبداه هو وولده الشهم الهمام ابراهيم باشا في محاربة الوهابيين من جهة وليشغله عما كان يظن أنه ينويه من طاب الاستقلال من جهة اخرى اذ توهم الباب العالي انه لو لم تكن هذه وجهته الحقيقية لما بذل وسعه في تنظيم جيش جديد مؤلف من الشبان المصريين الذين جعل اعتماده عليهم بدل اخلاط الترك وتدريبهم على النظام الاوروبى بمساعدة ضباط من الفرنساويين فلهذه المناسبات اصدر السلطان فرماناً بتاريخ ٥ رجب سنة ١٢٣٩ الموافق ٦ مارث سنة ١٨٢٤ بتعيين محمد على باشا والياً على جزيرة كريد واقليم موره وهما بورتا هذه الثورة

فلم يسع محمد على باشا الا الاذعان لاوامر متبوعه الاعلى خوفاً من حمل امتناعه على العصيان والاستقلال الامر الذى ما كانت قواه الحربية تساعد على اتمامه وفي الحال اصدر اوامره باستعداد سبعة عشر الف جندي كلهم مصريون من المشاة للسفر وعدد من الفرسان والمدفعية وعين بكر اولاده مخضوع الوهابيين وفتح السودان قائداً عاملاً هذه الحملة ورافقه سليمان بيك ( هو الكولونيل سيف الذى سبق ذكره ) الفرنساوى منظم هذه الجيوش ليساعده بمعلوماته العسكرية التى تحصل عليها اثناء وجوده ضمن جيوش نابوليون الشهيرة بحسن الترتيب وكمال النظام

فاستعدت هذه الارسالية للسفر من ثغر الاسكندرية وابتحرت منه تحت قيادة بطل مصر ابراهيم باشا في ١٩ ذى القعدة سنة ١٢٣٩ الموافق ١٦ يولييه سنة ١٨٢٤ على سفن مصرية تكتنفها سفن حربية مصرية ايضاً من سفن الدونامة التى انشأها محمد على باشا في البحر الابيض لحماية ثغور مصر من هجمات الاعادى كما حصل من الانكليز سنة ١٨٠٧ فسارت السفن بسم الله بحرها الى جزيرة رودس للاجتماع بالدونامة العثمانية ثم ترك ابراهيم باشا فيها سليمان بيك الفرنساوى مع حامية كافية لحفظها من تعدى الثائرين عليها وقصد هوجزيرة كريد فاحتلها ومنها قام الى سواحل بلاد موره يحاول انزال جنوده فيها وبعد العناية الشديد تمكن من انزالهم في مينامودون ولم يكن باقياً في ايدي العثمانيين اذ ذلك من جميع سواحل اليونان الا هذه المدينة ومدينة كورون ولولم تكن مساعدة

سفر الجنود  
ثمانية الى اليونان

وقيل أن تشكيلها كان بتخريض من اسكندر الاول (١) قيصر روسيا لايجاد المشاك  
الداخلية في الدولة كي يتسنى له تنفيذ وصية بطرس الاكبر القاضية بجعل مدينة  
القسطنطينية مفتاح الممالك الروسية

وكانت هذه الجمعية أشبه شيء بجمعيات الكر بونارى (٢) التي انتشرت أثناء ذلك في  
الممالك اللاتينية أى فرنسا والبرتغال واسبانيا وإيطاليا لتحرير هذه الامم بمبادئ الثورة  
الفرنساوية وانتشرت جمعية الهتميرى بين جميع اليونان المجتمعين في اقليم مورا والمتفرقين في  
باقي أملاك الدولة حتى بلغ عدد أعضائها في أوائل سنة ١٨٢١ نيفا وعشرين ألفاً وجميعهم  
من الشبان الاقوياء القادرين على حمل السلاح كاملى العدد متأهبين للثورة عند أوّل إشارة  
تبدو لهم من رؤسائهم ومما ساعد على امتداد جذورها وفروعها بهذه الكيفية الغربية  
اشتغال الدولة بمحاربة على باشا والى يانيا الذى سبق ذكره

وانتهزوا فرصة نزعها لقمعه لنشروا العصيان ومقاتلة الجنود العثمانية المحتلة لخصونهم  
وقلاعهم وبمجرد انتهاء فتنة والى يانيا بقتله في ٥ فبراير سنة ١٨٢٢ كما مر وجهت الدولة  
خورشيد باشا الى بلاد اليونان لاختضاعها فتغلبوا عليه في واقعة الترمويل (٣)  
وفرقوا شمل جنوده في ذى الحجة سنة ١٢٣٧ الموافق أغسطس سنة ١٨٢٢ أما هو  
فآثر الموت على تحمل عار هذه الموقعة بعد ما ناله من الفخر في قهر والى يانيا فاتح  
ومات مسموماً

ومما زاد في أهمية انهزام خورشيد باشا أن البحارة اليونانيين تمكّنوا في يوم ٢٧ رمضان

سركها أولاً بمدينة اودسا ثم انتقلت الى مدينة كيف وكلتاها يلاذ روسيا الامر الذى يدل على أن  
لروسيا ضلعاً مهماً في تأسيسها والصرف عليها

(١) هو ابن الامبراطور بولس الاول ولد سنة ١٧٦٧ وتولى بمقتل أبيه في ٢٣ مارش سنة ١٨٠١  
وأدخل في بلاده عدة اصلاحات داخلية منها ابطال المصادرة والتعذيب وتخفيف الضرائب وأسس عدة  
مدارس جامعة ولطف قانون العقوبات وحارب نابليون الاول بتأخذه مع جميع أوروبا عدة مرات وانهمز  
أمام فرنسا في وقائع متعددة وأخيراً لما قصد نابليون بلاده وتقهر أمام مدينة موسكو التي أحرقتها الروس  
اتحدت أوروبا ضده بناء على ايعاز المترجم واستظهروا على فرنسا ودخل اسكندر الاول مدينة باريس في  
٣١ مارش سنة ١٨١٤ ثم لما عاد نابليون من منفاه الاول حاربه اسكندر المذكور مع جميع أوروبا  
وانتصروا عليه في ١٨ يولييه سنة ١٨١٥ في واقعة وترلو

واشتهر الامبراطور المذكور بمضادته لاستقلال الامم ولذلك أنف مع البروسيا والنمسا الاتحاد المقدس

لمعارضة كل أمة تود الاستقلال وتوفي عن غير عقب من المذكور في ديسمبر سنة ١٨٢٥  
(٢) جمعية سرية نشأت بايطاليا في أوائل هذا القرن لطرد الاجانب منها وتوحيدها ثم انتقلت الى  
فرنسا سنة ١٨١٨ على ما يظن وانتشرت فيها بكيفية غريبة وكانت من أكبر أسباب سقوط حكومة  
شارل العاشر ملك فرنسا الذى أراد ارجاع بعض النظمات القديمة المخافة لروح الحرية ويقال ان لقيت  
الشهير كان من أكبر زعمائها

(٣) مضيق شبر يلاذ اليونان دافع فيه ليونيداس ملك اسبارطه دفاع الابطال عن وطنه لما هاجم  
اكرزخس ملك العجم وجوعه سنة ٤٨٠ قبل المسيح وفي هذه الواقعة ثبت ليونيداس ومن معه حتى  
قتلوا عن آخرهم ثم نقلت عظامه الى مدينة اسبارطه حيث اقيم له أثر عظيم تخليداً لذكرك وتمجيداً لاسمه



الشبان العسكرية وأخيراً أرسل أحد أتباعه الى الاستانة لقتل بعض خواص السلطان لعدم مساعدته له في الديوان السلطاني فقتله رسول السوء في إحدى شوارع الاستانة العلية ولما ظهر ان ذلك بايعاز على باشا أمر السلطان بمحاكمته وكتب بطلبه الى التتسطينية لمعاقبته أو تبرئته حسب ما يظهره التحقيق فامتنع عن الحضور وجاهر بالعصيان غير مبال ببطش الدولة وراسل زعماء اليونان الذين كانوا ابتدأوا في الهياج والاضطراب طلباً للحرية لكن تداركت الدولة الامر قبل تفاقم الخطب وأرسلت اليه جيوشاً كافية لقمعه تحت قيادة من يدعى خورشيد باشا فخاربه هذا القائد وحصره في يانيا مدة وضائق عليه الحصار حتى يش من وصول المدد اليه من زعماء اليونان

ولما رأى أن لامناص له من التسليم فأنح خورشيد باشا في ذلك في يناير سنة ١٨٢٢ ثم اجتمع به في ١٣ جمادى الاولى سنة ١٢٣٧ الموافق ٥ فبراير التالي للاتفاق على شروط التسليم فأبرز له خورشيد باشا الفرمان السلطاني القاضي بقتله جزاء تمرده وعصيانته على الدولة التي والت عليه نعمائها ورفعته الى أعلى الدرجات وفي الحال أحاط به الجند وقبضوا عليه وأوردوه الحمام ثم جزوا رأسه وأرسلوها الى الاستانة وبذلك انتهت فتنته وعادت السكينة الى ربوع بلاد الارنؤد

قد علم المطالع من سياق هذا الكتاب ان الدولة العلية كانت كلما فتحت اقلها اكتفت من أهلها بالخراج غير متعرضة لهم في دينهم أو عوائدهم وأظهرنا مضار هذه الطريقة التي تحفظ بها كل أمة لغتها ورايتها وعصبيتها حتى اذا ساعدتها الظروف نشطت من عقالها وقامت من رقتها طالبة نصيبها من شمس الاستقلال المنعشة فلما قامت الثورة الفرنسية على دعائم الحرية والمساواة والاخاء وانتشرت مبادئها في جميع أنحاء أوروبا التي وطئها نابليون بيمحوشه تعدت منها الى غيرها ووصلت فصائلها الى بلاد اليونان فوجدت من أفكار وألباب سكانها مغرماً طيباً فتمت وأبغيت وامتدت فروعها الى سهلها وجبلها واجتمع تحت ظلها الوارف زعماء الامة اليونانية لكنهم أيقنوا أنهم لا يقوون على طلب الاستقلال الا اذا كان من أبنائهم شبان متعلمون يثبون المبادئ الجديدة بين جميع طبقات الامة فيعلمون أن لهم حقوقاً يطالبون بها وواجبات يطالبهم الغير بها ولذلك عمد أغنيائهم الى ارسال أولادهم الى مدارس الممالك الأوروبية ليتحلوا بالعلوم والمعارف وليكونوا رؤساء الامة ودعاة حريةها في المستقبل ثم اتوا عدة جمعيات لنشر العلم بها بين أفراد الامة وبث روح الوطنية بينهم وشكوا جمعيات أخرى سياسية محضة وجعلوا مراكزها في روسيا والنمسا وأهم هذه الجمعيات الجمعية السرية المسماة (هيتيري) (١)

ثورة اليونان  
طلبها الاستقلال

(١) كلمة يونانية معناها جمعية أخوية أطلقت على جمعيتين أسست احداهما في مدينة ويانة عاصمة النمسا بدعوى تأسيس المدارس ونشر العلوم بين اليونان والثانية لغصد سياسي محض وهو السعى لاستخلاص بلاد اليونان من الحكومة النمانية وبقيت سرية الى سنة ١٨٢١ حيث ابتدأت الثورة جهاراً وكان



ينبع وجدة لعدم انقطاع وصول المدد اليه فاحتل الرس ومدينة عنيزة وغيرها وفي ٢٩ جمادى الاولى سنة ١٢٣٣ الموافق ٦ ابريل سنة ١٨١٨ وصل أمام مدينة الدرعية وكان بها عبدالله بن سعود ومعظم جنوده

ولما كانت هذه المدينة متسعة الارعاء ولا يمكن لاراهيم باشا حاصرتها بكيفية تضطرها الى التسليم أشار عليه أحد أركان حربه من الفرنسيين المدعو الميسو ( فسيير ) بحصار القرى الأربع المحيطة بالمدينة الواحدة بعد الأخرى حتى اذا احتلها أمكنه محاصرة المدينة الأصلية بكل سهولة فاتبع ابراهيم باشا هذا الرأي لما فيه من المطابقة على أصول الحرب ومع ذلك فاستمر الحصار عدة أشهر لكن لما رأى عبدالله بن سعود ان المصريين قد احتلوا ثلاث قرى من ضواحي المدينة مال الى التسليم وطلب من ابراهيم باشا في ٧ ذى القعدة سنة ١٢٣٣ الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٨١٨ ايقاف القتال للمفاوضة في الصلح فأوقفه وأتى عبدالله بن سعود الى ابراهيم باشا في معسكره فأكرمه وأحسن وقادته وبعد محادثة طويلة قبل الوهابي تسليم مدينة الدرعية اليه بشرط عدم تعرضه للإهالي بسوء والسفر الى الاستانة كربة الحاضرة السلطانية وبريد الكوكب الدرسي وما بقي من المجوهرات والتحف التي أخذها الوهابيون حين استيلائهم على المدينة سنة ١٢٢٠ هجرية

ثم سافر عبدالله بن سعود الى الاستانة من طريق مصر فوصل القاهرة في يوم الاثنين ١٧ محرم سنة ١٢٣٤

وبعد ان قابل محمد علي باشا بسرأي شبرا سافر قاصدا الاستانة في ١٩ من الشهر المذكور الموافق ١٨ نوفمبر سنة ١٨١٨ وقتل بالقسطنطينية بمجرد وصوله ولما هدأت الحال في بلاد الحجاز ونجد وضرب الامن أطنا به بها واستؤصلت شأفة الوهابيين منها عاد ابراهيم باشا الى مصر فوصل القاهرة في يوم الخميس ٢١ صفر سنة ١٢٣٥ الموافق ١٠ ديسمبر سنة ١٨١٩ وفي يوم الخميس دخلها بموكب حافل ماراً من باب النصر الى القلعة وزينت المدينة سبعة أيام متوالية

وبعد ذلك أمكن عزيز مصر التفرغ لاصلاح البلاد فنظم الجندية على النظامات الأوروبية وعاونه على ذلك الكولونيل سيف الفرنسي الذي تسمى فيما بعد باسم سليمان باشا ثم شرع في فتح بلاد السودان ففتحها ولده اسمعيل باشا الذي مات بها حرقاً وبطل الحجاز ابراهيم باشا من سنة ١٨٢٠ الى سنة ١٨٢٣

سبق لنا ذكر تحصن علي باشا في اقليم ايروس وما جاورها واستخفافه بالدولة وأوامرها ونقول ان الدولة لم ترد المسارعة في مجازاته لاستغلاله بما هو أهم منه من الشؤون الداخلية والمخارجية فحمل هذا التفاضي على الخوف وزاد في عدم احترام الاوامر التي ترد اليه من الاستانة حتى وصلت به الحالة الى الامتناع عن دفع الخراج وعدم ارسال من يطلب منه من

يتنافسون في ارسال رؤوسهم اليه وبذلك ظهرت مصر من أدران هذه الفئة ولو لم يكن  
 محمد علي باشا من الايادى البيضاء على مصر سوى تحليصها من شر الممالك لكفى  
 لتخليد ذكره وتمجيد اسمه

وبعد ذلك سافر طوسن باشا بجيوشه الى بلاد العرب وحارب الوهابيين واستخلص  
 المدينة المنورة بعد ان نسف أسوارها بالانغام ودخلها عنوة وكتب لوالده بذلك ثم  
 حصره الوهابيون في مدينة الطائف فسافر محمد علي باشا الى مدينة مكة في ٢٨ شعبان سنة  
 ١٢٢٨ الموافق أغسطس سنة ١٨١٢ وقبض على الشريف غالب شريف مكة المكرم وأرسله  
 الى مصر وأقام مكانه الشريف يحيى بن سرور واحتل عدة مراكز مهمة من مراكز  
 الوهابيين فنضع حالهم خصوصاً وقد توفي زعيمهم سعود في ١٩ ربيع الآخر سنة  
 ١٢٢٩ الموافق ١٧ ابريل سنة ١٨١٤ فساد الامن في طريق الحج وأنى الناس أفواجا  
 لتأدية فريضة الحج في الحجة سنة ١٢٢٩ وحج محمد علي باشا وجميع من معه ثم عاد الى  
 مصر فوصلها في ١٥ رجب سنة ١٢٤٠

وقبل عودته كان قد سار طوسن باشا الى بلاد نجد لمهاجمة الوهابيين في مدينة (الدرعية)  
 عاصمة زعيمهم فاحتل مدينة الرس الواقعة على مقربة من الدرعية ثم راسله عبدالله بن  
 سعود الذي تولى زعامة الوهابيين بعد موت أبيه وأرسل اليه رسولا يدعى الشيخ احمد  
 الحنبلى يطلب منه الكف عن القتال والخضوع لاهل المؤمنين وترك ضلالتهم فاجابه طوسن  
 باشا بانه لا يمكنه اجابة ملتزمه الا بعد أخذ رأى والده واتفاق على مهادة عشرين يوماً  
 ريثما يخبر طوسن باشا والده وعند ذلك أنى اليه خبر عودة والده الى مصر فاخذ على نفسه  
 اتمام الصلح واخبار والده بعد اتمامه فاتفق مع عبدالله بن سعود الوهابى على أن يحتل طوسن  
 باشا بجيوشه مدينة الدرعية ويرد الوهابيون مأخذوه من الجواهرات والنفائس من الحجرة  
 الشريفة النبوية خصوصاً الكوكب الدرى الذى زنته مائة وثلاثة وأربعون قيراطاً من  
 الماس وكتب لوالده بذلك فأنى اليه الرد بتكليف عبد الله بن سعود بالتوجه الى  
 الاستانة وان لم يقبل يرسل اليه جيشاً جديداً لمحاربتة

وفى هذه الاثناء جمع طوسن باشا خبر تمرّد الجنود على والده بالعاصمة ونهبهم المدينة  
 فرجع هو أيضاً الى العاصمة منيماً قيادة جيوشه لاحد من كان معه من القواد ووصل هو  
 الى القاهرة في غاية ذى القعدة سنة ١٢٣٠ الموافق ٧ نوفمبر سنة ١٨١٥

وبعد استتباب الامن في العاصمة أخذ محمد علي باشا في تجهيز حملة جديدة لمحاربة  
 الوهابيين فجهازها وجعل قائدها بكر أولاده ابراهيم باشا فصار هذا الشبل الى بلاد العرب من  
 طريق قنا فالقصر فجدّة وأبحر من فرضة بولاق في ١٢ شوال سنة ١٢٣١ فوصل ينبع في ٩  
 ذى القعدة من السنة المذكورة ومنها قصد المدينة المنورة لزيارة قبر خاتم المرسلين سيدنا محمد  
 صلى الله عليه وسلم ثم سار بجيوشه الى بلاد نجد بعد ان رتب النقط في خط رجعتة الى فرضتى

والملائكة والدليل على ذلك قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ورسول الله يفرق بين من عبد الاصنام ومن عبد الصالحين بل كفر الكل وقتلهم حتى يكون الدين كله لله واذا عرفت هذه القاعدة فاعرف القاعدة الرابعة وهي انهم يخلصون لله في الشدائد وينسون ما يشركون والدليل على ذلك قوله تعالى فاذا ركبو في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وأهل زماننا يخلصون الدعاء في الشدائد لغير الله فاذا عرفت هذا فاعرف القاعدة الخامسة وهي ان المشركين في زمان النبي أخف شركا من عقلاء مشركي زماننا لان أولئك يخلصون لله في الشدائد وهؤلاء يدعون مشائخهم في الشدائد والرخاء والله أعلم بالصواب ( انتهى )

محاربة محمد على باشا  
للوهايين

ولما رأى السلطان محمود انه من الضروري قمع هذه الفئة التي يخشى من امتدادها على تفریق كلمة الاسلام الامر الذي جعله الاوروبيون مطمح أنظارهم للتمكن من فصر عرى اتحادهم وامتلاك بلادهم ولبعد ولايات الشام وبعداد عن مركز الفتنة كلف محمد على باشا الى مصر ومؤسس عائلتها الخديوية بمحاربته واسترجاع مكة المشرفة والمدينة المنورة من أيدي زعمائها وأرسل اليه فرمانا بذلك في ذي القعدة سنة ١٢٢٢ الموافق دسمبر سنة ١٨٠٧ ولما كان ارسال الجيوش الى بلاد العرب عن طريق البر أمراً متعسراً ان لم يكن مستحيلاً لا تتشار الوهايين في جميع الطرق وقطعهم المواصلات عزم محمد على باشا على ارسالهم بطريق البحر الاحمر فامر بانشاء السفن في السويس لنقل الجنود الى فرضة ينبع فكانت الاخشاب الصالحة لعمل المراكب تقطع في جميع جهات القطر ويؤتى بها الى الورش التي اقيمت في بولاق فتجهز فيها ثم تنقل على ظهور الجمال الى السويس فتركب بكل سهولة

ولما استعدادت المراكب وجمعت الجيوش والكتائب أضمر هذا الشهم على ابادة طائفة المماليك ليخلص البلاد من شرهم ويمكنه التفرغ لاصلاحها واخراج مشروعاته المفيدة من حيز الفكر الى حيز العمل

ابادة المماليك

ولتتميم هذا المشروع أعدت حفلة في القلعة في يوم الجمعة ٥ صفر سنة ١٢٢٦ الموافق أول مارث سنة ١٨١١ لتسليم ولده طوسن باشا فرمان المؤذن بتقليده قيادة الجيش المزمع ارساله الى بلاد العرب لمحاربة الوهايين والسييف المهدي اليه من قبل الحضرة السلطانية وفي اليوم المعهود طلع جميع رؤساء المماليك الى القلعة في موكب منتظم ولما دخل الجميع من باب العزب وانحشروا في المضيق الموصل منه الى الباب الاوسط أغلقت الابواب وأطلقت عليهم البنادق من خلف الاسوار ومن أعلاها حتى قتلوا عن آخرهم وفي الوقت نفسه نهبت جنود محمد على باشا منازلهم بالمدينة وقتلت من تخلف منهم عن الحضور ثم أرسل الى عماله في الاقاليم بقتل جميع المماليك القاطنين خارج العاصمة فقتلهم وصاروا



الناس وخلقهم له كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاذا عرفت أن الله خلق  
العبد للعبادة فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد كما ان الصلاة لا تسمى صلاة  
الا مع الطهارة فاذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث اذا دخل في الطهارة كما قال  
الله تعالى ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك  
حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون فمن دعا غير الله طالبا منه ما لا يقدر عليه الا الله من جلب  
خير أو دفع ضرر أشرك في العبادة كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من  
لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء  
وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان  
تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا  
ينبئكم مثل خبري تبارك وتعالى أن دعا غير الله شرك فمن قال يارسول الله أو يا ابن عباس  
أو يا عبد القادر زاعما انه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه فهو المشرك الذي  
يهدر دمه وماله الا أن يتوب من ذلك وكذلك الذين يحلفون بغير الله أو الذي يتوكل على غير  
الله أو يرجو غير الله أو يخاف وقوع الشر من غير الله أو يلتجئ الى غير الله أو يستعين بغير الله  
فما لا يقدر عليه الا الله فهو أيضا مشرك وما ذكرنا من أنواع الشرك هو الذي قال الله فيه  
ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهو الذي قاتل رسول الله المشركين  
عليه وأمرهم باخلاص العبادة كله لله تعالى وبصح ذلك أى التشنيع عليهم بمعرفة أربع  
قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه أولا ان تعلم ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله يقرّون ان  
الله هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الامور والدليل على ذلك قوله تعالى قل من  
يرزقكم من السماء والارض أمن بملك السمع والا بصر ومن يخرج الحى من الميت ويخرج  
الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون وقوله تعالى قل لمن الارض ومن  
فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب  
العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يحير ولا  
يحار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فاني تسحرون اذا عرفت هذه القاعدة وأشكل  
عليك الامر فاعلم انهم بهذا اقرّوا ثم توجهوا الى غير الله يدعونه من دون الله فاشركوا القاعدة  
الثانية انهم يقولون ما نرجوهم الا لطالب الشفاعة عند الله نريد من الله لا منهم ولكن  
بشفاعتهم وهو شرك والدليل على ذلك قول الله تعالى ويعبدون من دون الله مالا يضرهم  
ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى  
الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وقال الله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم  
الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب  
كفار واذا عرفت هذه القاعدة فاعرف القاعدة الثالثة وهى ان منهم من طلب  
الشفاعة من الاصنام ومنهم من تبرأ من الاصنام وتعلق بالصالحين مثل عيسى وامه



الاهالى وعاد المهاجرون الى اوطانهم وامتد العصيان فى جميع أنحاء بلاد الصرب  
وبعد ان استمر القتال سجالاتا بينهم وبين الجيوش العثمانية نحو السنتين قبل ميلوش  
أوبرينوفتش بالنياية عن الامة الصربية الرجوع الى سلطان الدولة بشرط أن لا تتدخل  
فى شؤونهم الداخلية ولا فى تحصيل الضرائب بل يعين لادارة البلاد وتوزيع الضرائب  
وتحصيلها مجلس مؤلف من اثني عشر عضوا ينتخبهم الاهالى من أعيان الامة وهم ينتخبون  
رئيساً لهم من بينهم يكون كحاكم عمومى وتكتفى الدولة بالمراقبة واحتلال الحصون والقلاع  
فقبل الباب العالى هذه الشروط وعين من بدعى مرعشلى باشا والياً للصرب وأعطيت اليه  
تعليمات شديدة تقضى عليه بمعاملة الصربيين بالرفق واللين كي يحافظوا على ولاء الدولة ولا  
يسعوا فى فصم ما بقى بينهما من عرى التبعية (سنة ١٨١٧) ثم عين ميلوش أوبرينوفتش  
رئيساً لمجلس الصرب الذى يمكننا أن نسميه من الآن مجلس نوابهم وأطلقوا عليه اسم  
(سوبرانيا) وصارت الصرب مستقلة تقريباً واستبد ميلوش كملك مطلق التصرف لاسطة  
لوالى العثمانى عليه مطلقاً اكتفاء باحتلال الحصون والقلاع ولم يكن له منافس فى السطة  
الا قره جورج أكبر زعماء الثورة الذى هاجر الى بلاد الروسيا فأكرم القيصر مثواه ومنحه  
رتبة جنرال عسكري ونشان (سانت آن) ولذلك خشى ميلوش من نفوذه ومساعدة الروسيا  
له فأصر على قتله وتربص له حتى اذا حضر ختفياً الى بلاد الصرب قاصداً بلاد اليونان بناء  
على طلب زعمائها أرسل اليه ميلوش من قتله ثم أرسل رأسه الى الاستانة علامة على حسن  
ولائه وإخلاصه للدولة العلية صاحبة السيادة الاسمية على بلاده

الوهابيون  
ومذهبهم

الوهابيون قوم من العرب اتبعوا طريقة عبد الوهاب وهو رجل ولد بالدرعية بأرض  
العرب من بلاد الحجاز كان من وقت صغره تظهر عليه النجابة وعلو الهمة والكرم  
وشب على ذلك واشتهر بالبركارم عند كل من يلوذه  
وبعد ان درس مذهب أبى حنيفة فى بلاده سافر الى أصفهان ولاد بعلمائها وأخذ  
عندهم حتى اتسعت معلوماته فى فروع الشريعة وخصوصاً فى تفسير القرآن ثم عاد الى بلاده فى  
سنة ١١٧١ هجرية فأخذ يقرر مذهب أبى حنيفة مدة ثم أدته ألمعيته الى الاجتهاد  
والاستقلال فانشأ مذهباً مستقلاً وقرره لتلامذته فاتبعوه وأكبوا عليه ودخل الناس فيه  
بكثرة وشاع أمره فى نجد والاحساء والقطيف وكثير من بلاد العرب مثل عمان وبنى عتبة  
من أرض اليمن ولم يزل أمرهم شائعاً ومذهبهم متزايداً الى أن قبض الله لهم عز يزمر محمد على  
باشا فأطفأ سراجهم فى سنة ١٢٣٢ وكسر شوكتهم وأخفى ذكركم وهاك رسالة من كلامهم  
تدل على بعض مذهبهم ومعتقداتهم وهى منقولة حرفياً من الجزء الثانى عشر صحيفة ٨٣  
من كتاب الخطط الجديدة التوفيقية تأليف العالم العلامة فقيد الوطن المرحوم على مبارك  
باشا المتوفى ليلة الثلاث ٥ جمادى الاولى سنة ١٣١١ (١٤ نوفمبر سنة ١٨٩٣)  
اعلموا رحمكم الله أن الحنيفية ملّة ابراهيم أن نعبد الله مخلصاً له الدين وبذلك امر الله جميع

## مصابات الدانوب

ولقد اعتبرت فرنسا هذه المعاهدة خيانة من الدولة للروابط القديمة الموجودة بين الدولتين  
اذبرامها تمكنت روسيا من استعمال الجيوش التي كانت مشغولة بمحاربة العثمانيين في  
صد أغارات فرنسا عن بلادها والزام نابليون القهقري بعد حرق مدينة موسكو واهلاك  
أغلب جيوشه عند عبورهم نهر (بيرزينا) عائد إلى بلادهم مكسورين مدحورين  
ونسى نابليون أن الدولة لم تات أمراً جديداً بل اقتدت بما فعله هو في تلسيت من التخلي  
عنها والزامها على إيقاف الحرب فضلاً عما جاء بمعاهدة تاسيت من الشروط السرية القاضية  
بتجزئة الدولة العلية الأمر الذي كاد يخرج من حيز الفكر إلى حيز الوجود لولا طلب  
القيصر اسكندر الأول ضم مدينته القسطنطينية إليه ليكون له بوغاز البوسفور والدرديل  
وبالتالي مفاتيح أوروبا بل مفاتيح العالم بأسره وعدم قبول نابليون بذلك خوفاً على مملكته  
الشاسعة من تعدّي الروس

ومن الغريب أن جميع دول أوروبا لا تأنف من استعمال أنواع الغش والخديعة في  
سياساتهم حتى صارت لفظة سياسة عندهم مرادفة للكذب والمين والتظاهر بغير الحقائق ولو  
عاملنهم إحدى الدول الشرقية لا بمثل هذه السياسة التي يتبرأ منها الشرقيون بل بالصدقة  
مع المحافظة على الحقوق فما دام حقنا منافياً كما هو الغالب لمطامعهم في بلادنا ومونا بما تصفوا  
به ونحن برآء منه

هذا ولما بلغ رؤساء ثورة الصرب خبر معاهدة بخارست القاضية بارجاعهم إلى  
سلطة الدولة العلية المطلقة بعد ما بذلوه من الاموال والارواح في اعطائهم نوعاً من  
الاستقلال الاداري ووعد قيصر روسيا بمساعدتهم احتدموا غيظاً ولم يقبلوا الرجوع إلى  
حالتهم الاصلية وآثروا الفناء في الدفاع عن استقلالهم فسيرت الدولة اليهم الجيوش  
فأخضعتهم إلى سلطانها قهراً وعاد الموظفون العثمانيون إلى مراكزهم كما كانوا قبل الثورة  
واسترجع جنود السباه اقطاعاتهم الاصلية فهاجر زعماء الثورة إلى النمسا والمجر منتظرين  
أول فرصة لاهاجها الامّة ثانية طلباً للاستقلال الا أحد هم المدعو (ميلوش أو برينوفتش) (١)  
فانه بقي في بلاده وأظهر الولاء للدولة حتى عينته بوظيفة شيخ بلد لا إحدى القرى وظل  
يهيج أفكار الاهالي على الثورة ويثبت فيهم روح الحرية حتى اذا أنس منهم الاستعداد  
للقيام كرجل واحد انتهز فرصة عيد الزحف في سنة ١٨١٥ الذي يحتفل به  
المسيحيون في يوم الاحد السابق لعيد الفصح حيث كان جميع أهالي قريته والقرى المجاورة  
مجمعين ونشر بينهم لواء العصيان ودعاهم إلى الثورة فلبوه مسرعين وانضم اليهم وجميع

(١) أحد زعماء الثورة الصربية ولقبه الحقيقي تيودور روفتش وسمي أوبروفتش نسبة لابن زوج  
والدته وكان أبوه من رعاة الخنازير أما هو فنار أولاً باتفاق قره جورج الذي سبق ذكره ثم لما هاجر  
جورج إلى روسيا صار هو رئيساً للحركة الثورية وقتل قره جورج ليتخلص من منافسته وباقي  
تاريخه يعلم من سياق هذا الكتاب

هذه الثورة وسيلة لاعداد الانكشارية وابطال طائفهم كلية وواقفه السلطان محمود على ذلك

وبناء على هذا القرار سارت جيوش السلطان في صبيحة اليوم التالي تتقدمها المدافع تقذف الصواعق على الانكشارية من كل صوب وحذب ولما رأى الثائرون أن لامناص لهم من الهلاك أضرموا النار في جميع جوانب المدينة ولما كانت أغلب أماكنها من الخشب علا لهيب النيران وكاد الحريق يلتهمها بآجمعها فاضطر السلطان للاذعان لطلبات الانكشارية حتى يمكنه انقاذ المدينة من الدمار العاجل مؤجلا ابطال هذه الفئة المفسدة الى فرصة أخرى وبذل جهده في اتحاد النيران التي كادت تلتهم المدينة بأسرها ولم يتداركها السلطان محمود بحكمته واستمر الانكشارية في ثورتهم وهيجهانهم

وبعد انتهاء هذه الفئة وجه السلطان اهتمامه لاصلاح الشؤون الداخلية والاستعداد لاهلاك طائفة الانكشارية وللتفرغ لذلك عقد الصلح مع دولة الانكاز في ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٢٢٤ الموافق ٦ يناير سنة ١٨٠٩ وافتتح الخبارات مع روسيا بدون أن يتوصل الى اتفاق مرض للطرفين فاستؤنفت الحركات العدوانية ودارت رحى الحرب بين الجيشين وكانت نتيجةها ان انهزم الصدر الاعظم ضيا يوسف باشا الذي عين في هذا المنصب الرفيع بعد موت مصطفي باشا اليرقدار مع أنه هو الذي انتصر الفرنسيون عليه بمصر بالقرب من المطرية سنة ١٧٩٩ وهذا مما يدل على عدم الماهية بفنون الحرب واستولى الروس على مدائن اسماعيل وسلاستريه وروستيجق ونيكوبلي وبازارجق في سنتي ١٨٠٩ و ١٨١٠ ثم عزل وتولى مكانه من يدعى أحمد باشا وهو سار الى الروس في ستين ألف مقاتل في سنة ١٨١١ وانتص عليهم واضطروهم لاخلاء مدينة روستيجق فأخلوها في ١٣ جمادى الثانية سنة ١٢٢٦ الموافق ٥ يولييه من السنة المذكورة مكرهين بعد ان هدموا قلاعها وأسوارها بالالغام وأضرموا النار في منازلها وعبروا نهر الطونة راجعين الى شاطئه الايسر فتبعهم أحمد باشا بجيوشه وبعد عدة وقائع لاحاجة لذكرها تفصيلا عاد الروس فاحتلوا روستيجق ثانية

وفي هذه الاثناء فترت العلاقات بين روسيا ونابوليون لعدم تنفيذ شروط معاهدة تلسيت وكانت الحرب بينهما قاب قوسين أو أدنى فسعت الروسية في مصالحة الدولة ولعدم وقوف وزراء الدولة على ماجريات الامور السياسية باوروبا قبلوا افتتاح الخبارات وعينت الدولة مندوبين من قبلها اجتمعوا مع مندوبي الروسية في مدينة بخارست وبعد مداورات طويلة توصل الفريقان الى امضاء معاهدة عرفت في التاريخ باسم معاهدة بخارست امضيت في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٢٢٧ الموافق ٢٨ مايو سنة ١٨١٢ أهم شروطها بقاء ولايتي الافلاق والبغدان تابعتين للدولة ورجوع الصرب الى حوزتها مع بعض امتيازات قليلة الاهمية عديمة الجدوى وحفظت الروسية لنفسها اقليم بساريا وأحد

معاهدة بخارست  
مع روسيا

كل ماجاء في مشروع البيرقدار وحرروا محضراً بذلك ثم لم يكتف هو بذلك بل استحصل على فتوى بضرورة تنفيذ نظمات الانكشارية بكل صرامة وأصدر أوامره بذلك وأدخل أغلب ضباط الجيوش المنتظمة التي أمر بإبطالها في جيش الانكشارية بالوظائف العالية فأخذوا في تنفيذ رغائبه بكل اعتناء وشدة فاعتاظ الانكشارية لذلك واتحدوا على مقاومته وتضافروا على الايقاع به ولم يكن للبيرقدار معين في تنفيذ قرار الجمعية الا ستة عشر ألف مقاتل أتت معه من روستيق وثلاثة آلاف جندي تحت قيادة عبد الرحمن باشا رئيس الجنود المنتظمة سابقاً وبعض سفن حربية تحت امره أمير البحر رامن باشا

ثم لم يمض قليل حتى ساروا الى فيليبس وأظهروا التمرد والعصيان فارسل البيرقدار اثني عشر ألف مقاتل من جيوشه لمحاربتهم ولم يبق الا أربعة آلاف والثلاثة الآلاف القائدين لهم عبد الرحمن باشا ولذلك انتهز الانكشارية هذه الفرصة وقاموا كرجل واحد في ٢٧ رمضان سنة ١٢٢٣ الموافق ١٤ نوفمبر سنة ١٨٠٨ وساروا الى سراي السلطان مصطفى بقصد ارجاعه الى عرش الحكومة فاعترضهم البيرقدار وقاومهم مقاومة عنيفة ولما أحس بان الضعف قد داخل جيوشه وخشى من فوز الثائرين وعزل السلطان محمود أمر بقتل مصطفى الرابع والقائه جثته للثائرين كما فعل مصطفى الرابع مع السلطان سليم الثالث فلما رأى الانكشارية جثة السلطان مصطفى زادوا هياجاً واضرموا النار في السراي الملكية لكي يلجئوا البيرقدار على الفرار منها لكن فضل الصدر الاعظم الموت على التسليم لهذه الفئة الباغية والانصياع لطلباتها وبقي يدافع هو ومن معه حتى مات حرقاً ويقال أنه تحصن في أحد الابراج ثم اشعل ما كان به من البارود ومات هو ومن معه تحت أقدامه ولوحث هذه الرواية أو تلك فككتاهما شهدان على ما كان متصفاً به من الشهامة والشجاعة وانه يخدم مبدأ لا شخصاً وهذا المبدأ هو اصلاح الجندية وتدريبها على النظمات المستحدثة لتحققه ان الانكشارية مهما كانت قوتهم ومنعتهم لا يقووا على الثبات امام الجيوش المنتظمة المتقدمة اجود الاسلحة واتقنها

هذا وفي اثناء دفاع البيرقدار كان أمير البحر رامن باشا قد احضر ثلاث سفن حربية وواقفها بمرّ البوسفور وسلط مدافعها على ثكنات الانكشارية ثم نزل الى البر مع فريق من البحارة والمدفعية وسار بهم لمساعدة البيرقدار بينما كان عبد الرحمن باشا آتياً مع فرقته المؤلفة من ثلاثة آلاف جندي لموازرة الوزير لكن كان قد سبق السيف العذل وقتل مصطفى باشا البيرقدار الا ان رامن باشا وعبد الرحمن باشا ومن معهم ما فتوا يقاتلون الانكشارية حتى انهزموا امامهم في جميع الجهات بعد ان استمر إطلاق البنادق والمدافع في الاستانة طول اليوم وفي آخر النهار ارتأى رامن باشا البحرى العفوعن الثائرين جميعاً لو القوا سلاحهم وسلموا انفسهم لرحمة السلطان فلم يوافقه عبد الرحمن باشا بل اراد اتخاذ



يقبلوا بذلك بل أحاطوا به وبمن معه من الفرسان وكادوا بأسرونه لولا ما أظهره من الشجاعة التي تمكن بها من التخلص والحق بالبيرقदार وكان قد وصل هو والصدر الاعظم الى الاستانة وعسكر خارجها

ولما علم السلطان بهذه الوقائع خشي من تعدى الثورة عليه ووصول ضررها اليه وأمر بعزل المفتي وصرف جنود قباچجي مصطفى الغير منتظمة التي عضدته على عزل السلطان سليم فأظهر البيرقदार الاكتفاء بما حصل ولم يكشف أحداً بعزمه على إعادة السلطان سليم الى عرش الخلافة العظمى وأشاع أنه عازم على العودة الى روسيا حتى لكان في صبيحة ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٣٣ الموافق ٢٨ يونيه سنة ١٨٠٨ ألقى القبض على شلي مصطفى باشا الصدر الاعظم وسار بجيوشه الى السراي السلطانية وطلب ارجاع السلطان سليم الثالث الى الملك فامر السلطان مصطفى بقتله وإلقاء جثته الى النائرين كي يكفوا عن الثورة لما يعلمون ان الذي يريدون ارجاعه قد دخل في خبر كان لكن أنى الامر على عكس ما كان يؤمل فتد زاد النائرون هياجاً ونادوا على الفور بعزل السلطان مصطفى الرابع وحجزه في نفس السراي التي كان محجوزاً بها السلطان سليم فعزل بعد أن حكم ثلاثة عشر شهراً وقتل في سرايه بعد ذلك بقليل وأقيم بعده

### ٣٠ « السلطان الغازي محمود فاه الثاني »

ابن السلطان عبد الحميد الاول ولد في ١٣ رمضان سنة ١٨٩٩ وافتتح أعماله بأن قد مصطفى باشا البيرقदार منصب الصدر العظمى ووكل اليه أمر تنظيم الانكشارية واجبارهم على اتباع نظاماتهم القديمة المسنونة من عهد السلطان سليمان القانوني واهملت شيئاً فشيئاً فبعد ان انتقم البيرقदार من قاوموه عند ارجاع السلطان سليم وكانوا سبباً في قتله استدعى جميع ذوات الدولة ووزرائها السابقين وأعيانها لمجلس حافل ولما لبوا دعوته قام فيهم خطيباً وأظهر لهم ما كانت عليه حالة الانكشارية وما وصلت اليه وما يجب ان تكون عليه من النظام وضرورة تقليدكم الاسلحة النارية المخترعة حديثاً والتي كان استعمالها في جيوش الروسية سبب انتصاراتهم الاخيرة على جيوش الدولة ثم ختم كلامه بان عرض عليهم عدة اقتراحات مهمة منها الزامهم بملازمة ثكناتهم العسكرية خصوصاً غير المتزوجين منهم وقطع علائف ومرتبات الساكنين خارجاً عنها وجعل تمرينهم على التعليمات العسكرية المسنونة في قانون السلطان سليمان الزامياً وتسليحهم بالاسلحة الجديدة النارية وتمرينهم على الاصول العسكرية الجديدة المستعملة في جيوش أوروبا والتي اكتسبتهم قوة عظيمة وغير ذلك من الإصلاحات والترتيبات التي لو انبعت لاصبح جيش الانكشارية اقوى جيوش العالم كما كان في بادىء الامر قبل تسلطن الخلل عليه وتداخله في الامور الداخلية والخارجية ونصب الوزراء والملوك وعزلهم بلا حق مطلقاً فأقر الجميع على

الاستانة وما حولها وتقسيمها فيما بينهما مع ارضاء النمسا بجزء بسير وكيفية ذلك التقسيم أن يكون لفرنسا بلاد بوسنه وألبانيا (الارنؤود) وایروس وبلاد اليونان ومقدونيا والنمسا بلاد الصرب وللروسيا الافلاق والبغدان والبلغار واقليم ترانس لغاية نهر ماريتسا (راجع مؤلف المسو لافاليه على تاريخ الدولة العلية)

ولا يخفى ما في هذه المعاهدة من الاضرار بحقوق الدولة العلية والتخلي عنها وتركها بمفردها أمام الروسيا رغماً عن وعود فرنسا السابقة التي كانت سبباً في ائارة هذه الحرب وناهيك ما جاء في المعاهدة السرية من تقسيم الاملاك المحروسة فيظهر للمطالع أن كل وعود الا الجانب للشرقيين وعود عرقوبية وسراب كاذب يحسبه الظمان ماء وان اظهارهم لنا الولاء والصداقة لم يكن الا لنوال امانهم والفوز بغاياتهم فالعاقل من لم يتمسك بذيل وعودهم ولا يخالج فكره أن دولة أوروبية تودّ خيراً أو تبغى صلاحاً لدولة أو أمة شرقية مطلقاً والحوادث التاريخية التي ذكرت وستذكر في هذا الكتاب أكبر شاهد فعلها تكون عبرة لمن تذكر

هذا ثم أرسل نابليون في ٣ جمادى الاولى الموافق ٩ يوليو الجنرال (جليمينو) أحد اركان حربه الى الجيوش العثمانية والروسية المتحاربة لتبليغهم المعاهدة المذكورة وعرض توسط الدولة الفرنسية عليهم فقبل الفريقان بذلك وفي ١٩ جمادى الثانية الموافق ٢٤ أغسطس أمضيت بينهما بحضور المندوب الفرنسي هدية ابتدائية ومع ذلك فلم تخل الروسيا ولا بقى الافلاق والبغدان وهو أول اخلال بشروط معاهدة تسليت ولذلك لم يمكن الفريقان ان يتفقا على شروط الصلح النهائي لكن لم يستأنف القتال الا بعد سنتين لاستتغال كل فريق منهما بما هو أهم من ذلك

ولنرجع الى ذكر ما حصل في الاستانة بعد نجاح ثورة قباچجى اوغلى فنقول انه لم يمض قليل حتى وقع الخلاف بين رؤساء الثورة فاتحد أولاً قباچجى اوغلى مع المفتى على عزل القائم مقام مصطفى باشا فعزل وأبعد الى خارج البلاد وأقيم مكانه من يدعى طاهر باشا ثم عزل لرغبته المحافظة على حقوق وظيفته وسافر الى روستجق والتجأ الى حاكمها مصطفى باشا البيرقدار وكان هذا الاخير من محازى السلطان سام وودّ ارجاعه لمنصة الاحكام فكشف بذلك جلبي مصطفى باشا الصدر الأعظم وباقي الوزراء وأقنعهم بوجوب مجازاة المفتى وقباچجى مصطفى على تهيج الجنود الغير منتظمة وعزل السلطان والاستئثار بالسلطة فوافقه على هذا الامر كل من كاشفهم به وأصدر الصدر حكماً على قباچجى مصطفى قاضياً باعدامه ووكل على تنفيذه أحد رجال هذه المؤامرة واسمه حاجى على وهو تعهد بالتبض عليه عنوة وسار الى الاستانة في مائة فارس بينما كان البيرقدار قاصدها في ستة عشر ألف جندي عن طريق أدرنه ولما وصل حاجى الى ضواحي الاستانة علم أن قباچجى مصطفى متم في قصره خارج المدينة فهاجمه فيه وقتله ثم أبرز جنوده حكم الصدر الأعظم وأخبرهم أنه عين قائدهم فلم

ابن السلطان عبد الحميد الاول المولود سنة ١١٩٣ هـ الموافقة سنة ١٧٧٩ م وكلف المفتي بتبليغ السلطان سليم خبر عزله فذهب اليه وبلغه ذلك مظهر أسفه من هذه الحادثة الجبرية فقبل السلطان وذهب الى سرايه الخصوصية وتفرق الجنود النظامية شذرا مذر وأهمل هذا المشروع الجليل لعدم موافقته لاغراض الانكشارية ومن حازهم ولم يكن السلطان مصطفى الا كآلة يديرها بمغضو النظام الجديد كيف شاؤا تبعاً لاهوائهم فنبت الوزراء الذين لم يقتلوا في الثورة في وظائفهم واعتمد تعيين قباقيب اوغلي حاكما لجميع قلاع البوسفور فأعاد الانكشارية قدورهم الى ثكناتهم دلالة على ارتياحهم مما حصل وخلوهم الى الراحة والسكينة

ولما وصلت أنباء هذه الثورة الى الجيوش العثمانية المشتغلة بمحاربة الروس عند نهر الطونة شمل الانكشارية السرور لابطال النظام الجديد ولما رأوا من قائدهم العام وهو المصدر الاعظم حلمي ابراهيم باشا عدم الاستحسان لما حصل قتلوه وأقاموا مكانه جلي مصطفى باشا فوق نقش في الجيوش ولولا وجود أغلب جيوش روسيا في ألمانيا لمحاربة الامبراطور نابليون الذي كانت تخزع عروش الملوك امامه سجداً لكانت نتائج هذه الحروب أوخم مما سمعها ومن حسن الحظ أيضاً أن وصل في أثناء ذلك خبر انتصار نابليون على الروس ومخالفهم في واقعة (فريدلاند) (١) في ٦ ربيع الثاني سنة ١٢٢٢ الموافق ١٤ يونيه سنة ١٨٠٧ فتقهقرت الجنود الروسية المحتلة لولاية البغدان من غير محارب ولا قتال

وعقب ذلك حصل الصلح بين فرنسا وروسيا بمقتضى معاهدة (تيلسيت) (٢) في أول جمادى الاولى سنة ١٢٢٢ الموافق ٧ يوليه سنة ١٨٠٧ التي جاء بالبند الثاني والعشرين وما بعده منها ان روسيا تكف عن محاربة الدولة حتى يتوسط نابليون بين الطرفين وانه بمجرد ما أمضيت الهدنة الابتدائية تخلى جيوش روسيا ولايتي الافلاق والبغدان بدون أن تدخلها الجيوش العثمانية حتى يتم الصلح نهائياً وجاء في المعاهدة السرية التي اتفق عليها نابليون واسكندر الاول قيصر روسيا أنه ان لم يقبل الباب العالي توسط فرنسا بسبب الحوادث الاخيرة التي حدثت بالاستانة أو ان لم يتم المقصود بكيفية مرضية بعد قبول هذا التوسط بخمسة وثلاثين يوماً فتتجدد فرنسا مع روسيا على سائر جميع الولايات العثمانية باوروبا ما عدا

(١) مدينة صغيرة ببلاد روسيا الشرقية لا يتجاوز عدد سكانها أربعة الاف نسمة واشتهرت بانتصار نابليون الاول بها على جيوش الروس

(٢) قرية بشرق روسيا على نهر (نيمن) الفاصل بين روسيا والبروسيا بها اجتمع نابليون الاول بامبراطور روسيا اسكندر الاول واتفقا على تقسيم أوروبا بينهما ثم حال دون اتمام مشروعهما عدم الاتفاق على الاستانة اذ كل منهما كان يود جعلها من نصيبه وينسب لنابليون أنه قال ان الاستانة مفتاح العالم من استول عليها أمكنه أن يسود على العالم بأسره

قلاع الدردنيل والبوسفور لدفع الطواريء البحرية وفي غضون ذلك توفي المفتي الذي كان معصدا للسلطان على ادخال الاصلاحات العسكرية وتولى مكانه قاضي عسكر الرومالي وكان على الضد من سلته فاتحد مع مصطفى باشا قائم مقام الصدر الاعظم المتغيب في محاربة الروس ولقيف من العلماء على السعي في ابطال النظام العسكرى الجديد قائلين انه بدعة مخالفة للشرع وللوصول الى غايتهم هذه اخذوا يغرون العساكر الغير منتظمة التي كانت اضيفت الى الفرق المنتظمة حتى اذا القوا النظام ادرجوا ضمن العساكر النظامية وادخلوا في آذانهم انهم لم يأتوا بهم من بلادهم الا لاجبارهم على الانخراط في سلك النظام وكراههم على لبس الملابس الافرنكية والتزى بزى النصارى مع ما في ذلك من مخالفة للقرآن الشريف والشرع المنيف على زعمهم

ولما ملأت هذه الاوهام عقول هؤلاء السذج وأشربت قلوبهم هذه الاضاليل أرسل مصطفى باشا القائم مقام الى احدى القلاع الموجود بها جنود منتظمة وغير منتظمة رسولا أظهر انه آت لالباس الغير منتظمين الملابس النظامية فهاجوا وماجوا وقصدوا قتل الرسول فتمنعهم المنتظمون وحصلت بينهم معركة سالت فيها الدماء ثم انتشرت هذه الفتنة وامتد لها الى جميع القلاع وحصلت عدة معارك بين الفريقين كانت نتيجةها قتل رسول السوء والتجأ الجنود النظامية الى ثكناتهم ولما بلغ السلطان خبر هذه الحادثة أبهم عليه مصطفى باشا القائم مقام الامر وأفهمه أنها حادثة غير مهمة

وبعد هذا النجاح أخذت الجنود الغير منتظمة تستعد بايعازهم بجها لامر آخر ذى بال واجتمعوا في الجهة المعروفة ببيوكدره وانتخبوا لهم رئيساً منهم اسمه قباقيجى اوغلى وهو أخذ في الاستعداد للدخول الى الاستانة وفي صبيحة يوم ٢٧ مايو سنة ١٨٠٧ دخل هو ومن معه من الجنود الغير منتظمة وانضم اليهم نحو مائتين من البحرية وثمانمائة من الانكشارية حتى اذا وصل هذا الجمع الى الحل المعروف باسم (آت ميدان) أتوا بقدر الانكشارية وصفوها علامة على العصيان وقرىء عليهم أسماء جميع المعصدين لمشروع النظام العسكرى من الوزراء والذوات والاعيان فانتشر الفانون الى منازلهم وقتلواهم وأتوا برؤوسهم ووضعوها أمام القدرور ولما بلغ السلطان خبر هذه الثورة أصدر على الفور أمراً بإلغاء النظام الجديد وصرف العساكر النظامية لکن لم يكتف الثائرون بذلك بل قرروا عزل السلطان خوفاً من ان يعود لتنفيذ مشروعه وساعدهم على ذلك المفتي الذى هو فى الحقيقة الحرك لهذه الثورة فافقت بأن كل سلطان يدخل نظامات الافرنج وعوائدهم وبحبر الرعية على اتباعها لا يكون صالحاً للملك واستمرت هذه الثورة يومين ثم نودى فى ٢١ ربيع الآخر سنة ١٢٢٢ الموافق ٢٨ يونيو سنة ١٨٠٧ بفصل السلطان سليم الثالث فعزل وكانت مدة حكمه ١٩ سنة وبنى الى ان توفي فى ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٢٣ وعمره ٤٨ سنة تقريباً واقيم بعده.





ولما وجد محمد على أن عدد من أتى منهم كاف لمحاربة الانكشارية حاصر أحمد باشا في منزله وألزمه الخروج من مصر ثم سلط الارنؤد على الانكشارية فخار بهم في مصر القديمة وقتلوا أغلبهم وفر الباقيون وبنك لم يبق بمصر منازع لمحمد على ثم سار هو والبرديسى الى دمياط لمحاربة خسرو باشا الذى كان متحصنا بها فخار به وأسراه في ١٤ ربيع الاول سنة ١٢١٨ الموافق ٤ يوليه سنة ١٨٠٣ وعاداه الى القاهرة حيث سجنه بالقلعة وبعد ذلك بقليل عاد من انكنازته محمد بيك الافى أحد زعماء المماليك وكان ذهب اليها ليطلب منها مساعدته على الاستقلال بمصر ويقال انه وعدّها بتسليم بعض الثغور لو حصل على مرغوبه فخشى محمد على باشا من اتحاده مع البرديسى وعمد الى ايجاد النفرة بينهما ولما أحس الافى بما يدبره له سافر الى الصعيد ثم أهاج محمد على الاهالى بمصر على البرديسى فحاصروه في منزله وأطلق محمد على المدافع عليه حتى أخرجه من مصر هو وكافة المماليك ثم أخرج خسرو باشا من سجنه وأرسله الى رشيد ومنها الى اسلامبول بناء على طلب الاعيان واقام الجند مكانه من يدعى خورشيد باشا ومحمد على وكيله لكن لم يلبث ان اتحب الاهالى محمد على والياً وكتبوا الى الباب العالى فأصدر فرماناً بذلك وصل بمصر في ١٠ ربيع الثانى سنة ١٢٢٠ الموافق ٨ يوليه سنة ١٨٠٥

ثم سعى الانكناز لى الباب العالى وطلبوا منه عزله او نقله الى ولاية اخرى لتوسمهم فيه المعارضة لمشروعاتهم المحجفة باستقلال مصر فصغى الباب العالى الى وسائسهم وامر بنقله الى ولاية سلاينك فلم يقبل علماء مصر ولا قواد الحيوش بذلك وكتبوا الى الدولة يلمسون منها ابقاءه في ولاية مصر فقبل السلطان وارسل اليه فرماناً بتعيينه وصل اليه في ٢٤ شعبان سنة ١٢٢١ الموافق ٧ نوفمبر سنة ١٨٠٦ وفي ٧ رمضان نوبى محمد بيك الافى وفي ٢٠ شوال توفى عثمان بيك البرديسى وبذلك صفا الجو لمحمد على باشا ولم يبق له منازع من الامراء المماليك الا انه كان مضطراً للمراعاة من بقى منهم وهن جنودهم المنتشرين في اغاب جهات القطر للافساد لا لحفظ الأمن الى ان اجهز عليهم في واقعة القلعة الشهيرة التى حصلت في يوم الجمعة ٥ صفر سنة ١٢٢٦ الموافق اول مارث سنة ١٨١١ ولترجع لذكركما حصل بالاستانة من الحوادث بعد خروج المراكب الانكنازية من الدردنيل فنقول

عزل السلطان  
سليم الثالث

انه في هذه الاثناء كانت رعى الحرب دائرة بين العثمانيين والروس فدخل والى بوسنه بحيوشه الى بلاد الصرب لمنع التأثير من اللحاق بالجيش الروسى وسار الصدر الاعظم وفرقتان من الانكشارية وجيوش آسيا المنتظمة الى مدينة (شومله) وكان مصطفى باشا البيرقدار حاكم مدينة (روسجوق) يستعد للاغارة على بلاد الافلاق بخمسة عشر الف جندي قام هو بتنظيمهم وتدريبهم وخصص نفراً ليس بقليل من النظام الجديد للبقاء في

ثم أراد الاميرال الانكليزي أن يأتي عملاً يمجو مالحقة من العار بسبب فشله في هذه  
المأمرية فقصده ثغر الاسكندرية ومعه خمسة آلاف جندي برى تحت قيادة الجنرال  
فريذر فاحتلها في ١٠ محرم سنة ١٢٢٢ الموافق ٢٠ مارت سنة ١٨٠٧ ثم سير فرقة الى  
ثغر رشيد لاحتلاله فانهمزمت وعادت بخفي حنين ثم أعاد الكرة عليها في شهر ابريل  
وحاصر المدينة في ٨ صفر الموافق ١٨ أبريل لكن لم يقو على فتحها لارسال محمد علي باشا  
المدد اليها وأخيراً رحلوا عن الديار المصرية ونزلوا في مراكبهم في ١٠ رجب سنة ١٢٢٢  
الموافق ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ لعدم امكانهم التفرغ لفتحها مع اشتغالهم بالحروب في  
أوروبا ولوجود الحكومة المصرية في قبضة مذن مصر وباعثها من رمسها ومعيد مجدها من  
له عليها الايادي البيضاء طول الدهر الامير الجليل المرحوم (محمد علي باشا) مؤسس العائلة  
السكرية الخديوية وثالث جد الخديوية الحالي  افندينا عباس باشا حلمي الثاني   
ولنات هنا على كيفية حصول محمد علي باشا على ولاية مصر بعارة وجيزة وعلى من  
يريد معرفة تاريخه بالتطويل أن يرجع لمؤلفنا كتاب الهبة التوفيقية في تاريخ مؤسس  
العائلة الخديوية المطبوع بمطبعة بولاق الاميرية سنة ١٣٠٨ هجرية

محمد علي باشا  
والي مصر

ولد هذا الرجل العظيم الشأن في مدينة قوله (١) سنة ١١٨٢ هـ الموافقة سنة ١٧٦٩  
وتوفي والده وهو صغير فرباه عم له حتى بلغ أشده فزوجه ابنته ثم اشتغل بتجارة الدخان  
وربح منها كثيراً

ولما دخل الفرنسيون مصر كما سبق شرحه أتى محمد علي مع من أرسل من الجنود  
لحار بهم وشهدوا قعة أتى قير وعينه خسرو باشا الذي عين والياً لمصر بعد خروج الفرنسيين  
برتبة (سرجشمه) أي قائد فرقة تباع أربعة آلاف مقاتل ومن ثم أخذ في استمالة قلوب  
الجند اليه للاستعانة بهم عند سبوح الفرصة ثم وقع النفور بينه وبين الوالي لنسبة خسرو باشا  
اليه الاتحاد مع المماليك فسمى الوالي بالايقاع به لكن لم يتمكن من التنفيذ لقيام جنود  
الارنؤد عليه (وربما كان ذلك بإيعاز من محمد علي) وطردهم اياه من القاهرة لعدم دفعه  
مرتباتهم واختار الاهاالي بعده طاهر باشا والياً مؤقتاً حتى يعين الباب العالي بديلاً لخسرو  
باشا لكن لم يلبث ان قام الانكشارية عليه وقتلوه لدفعه مرتبات الارنؤود دونهم وأراد  
الانكشارية تنصيب أحد الذوات العثمانيين واسمه أحمد باشا وكان آتياً لمصر قاصداً  
التوجه الى الاقطار الحجازية فلم يقبل محمد علي بذلك وأراد انتهاز هذه الفرصة للحصول  
على ما كان يكتنه صدره وهو الاستئثار بوادي النيل وكان أمراء المماليك فأتى عثمان بيك

(١) بلدة قديمة من بلاد مقدونية وطن اسكندر الاكبر واسمها عند اليونان نيا بوليس أي البلاد الجديدة  
واقعة على بحر جزائر الروم بها ميناء مسعة ونجارتها ليست بقليلة ويبلغ سكانها ثمانية آلاف نسمة جلهم من  
المسلمين وتبعد مقدار ١٢٨ كيلو متر عن مدينة سلا نيك وهي وطن المرحوم الحاج محمد علي باشا مؤسس  
العائلة الخديوية ولد بها سنة ١٧٦٩ وتوفي بالقاهرة في ١٣ رمضان سنة ١٢٦٥ الموافق ٣ أغسطس  
سنة ١٨٤٩ ودفن في الجامع الذي بناه بالقاهرة

واطلاق مدافعها على الاستانة نفسها فلم تقبل الدولة هذه المطالب بل أخذت في تحصين البوغاز واقامة القلاع على ضفتيه لكن لم يكن الوقت كافياً لتحصينه بكيفية تجعل المرور منه غير ممكن وفي ١٢ ذى الحجة سنة ١٢٢١ الموافق ٢٠ فبراير سنة ١٨٠٧ قرن الانكلاز القول بالفعل واجتاز الاميرال اللورد (دوك وورث) بوغاز الدردنيل بدون أن يحصل لمراكبه ضرر يذكر من مقذوفات القلاع ووصل الى فرضة (جاليبولي) ودمر كافة السفن الحربية العثمانية الراسية بها ومكث خارج البوسفور ينتظر تنفيذ لأمره التي سبق ذكرها

وبورود الخبر الى الدولة بذلك وقع الرعب في قلوب سكان الاستانة خشية من وصول السفن الانكليزية الى البوسفور وهناك تكون الطامة الكبرى لوجود أغلب السرايات الملوكية ودواوين الحكومة على ضفتيه ووقع الوزراء في حيص بيص فاقروا بعدم دواول طويلة أن يذعنوا لطلب انكلاز وأرسلوا الى الجنرال سبستيانى يدعونه للخروج من الاستانة خوفاً من تفاقم الخطب فقابل الجنرال الفرنسي الرسل العثماني محاطاً بجميع مستخدمى السفارة والضباط الفرنسيين المستخدمين بجيوش الدولة وبحريتها وأجابه قائلاً انى لا أخرج من الاستانة الا مكرها ثم طلب أن يقابل السلطان مقابلة خصوصية فاجيب طلبه ولما قبله أظهر له استعداد فرنسا لمساعدة الدولة وان الامبراطور نابليون قد أصدر أوامره الى جيوشه المعسكة بسواحل الادرياتيك للسفر الى الاستانة لمساعدة الدولة على مقاومة انكلاز ورفض طلباتها فافتنع جلالته بعدم جواز الانصياع لطلبات الانكليز وانها لو رأت من الدولة العلية مقاومة أذمت هى استحب مطالبها خوفاً على تجارتها من البوار لو صدرت الاوامر بعدم قبولها فى الممالك المحروسة

فأخذ فى تحصين العاصمة وبناء القلاع حولها وتسليحها بالمدافع الضخمة وشكل الفرنسيون النازلون بالاستانة فرقة من مائتى مقاتل أغلبهم من المدفعية وكذلك الاسبانىون لمضادة سفيرهم المركز دالمنيرا لسياسة انكلاز فى الشرق واهتم كل من فى الاستانة فى هذا العمل الوطنى حتى الشيوخ والاطفال والنساء وبذل الانكشارية من الاهتمام أكثر مما كان يؤمل منهم وكان السلطان بنفسه يناظر الاشغال ويبحث المشتغلين بها على مواصلة الليل بالنهار لاتمام القلاع لصد هجمات الاعداء فلم يمض بضعة أيام حتى صارت المدينة فى مأمن من كل طارئ ووقفت عدة سفن فى مدخل البوسفور لمنع كل مهاجم هذا مع استمرار الاشغال فى بوغاز الدردنيل فلما رأى الاميرال الانكليزى استحالة دخوله البوسفور وقرب انتهاء تحصينات الدردنيل خشى من حصر مراكبه بين البوغازين وقفل راجعاً الى البحر الابيض فى ٢٠ ذى الحجة سنة ١٢٢١ الموافق أول منارث سنة ١٨٠٧ فتجأ منه بمراكبه بعد ان قتل من رجاله ستمائة وغرق من سفنه اثنان من مقذوفات قلاع الدردنيل واجتمع بمراكب الروسية عند مدخل البوغاز

يقبل الانكشارية هذا الامر وأظهروا التمرد ولذا أرسل السلطان الى عبد الرحمن باشا والى بلاد القرماني الذي كان من أكبر المعضدين للإصلاح العسكري أن يأتي الى الاستانة بجيوشه المنتظمة ليوجهوا الى البلاد التي امتنع بها الانكشارية عن تنفيذ الامر السلطاني فأتى الى القسطنطينية في أوائل سنة ١٨٠٦ و بعد ان مكث نحو شهر استعرض السلطان في خلاله الجنود النظامية سافر عبد الرحمن باشا و جنوده قاصداً مدينة أدرنه في أواسط يولييه من السنة المذكورة ولما وصل اليها وجد الانكشارية نائرين وأبوابها موصدة أمامه فعاد الى الاستانة بعد حصول عدة وقائع حربية بينه وبين النائرين ولما رأى السلطان امتداد الثورة واتحاد بعض العلماء والطلبة ضد النظام الجديد أذعن لمطالب الانكشارية وأرجع العساكر النظامية الى ولايات آسيا وعزل الوزراء وعين أغا الانكشارية صداراً أعظم ومع ذلك فلم تنته هذه المسئلة بسلام بل جرت بعد قليل الى عزل السلطان كما سيجيء وفي غضون ذلك كانت بلاد العرب قائمة قاعدة في طلب الاستقلال وحصلت بين أهلها وبين العساكر الشاهانية عدة محاربات كان النصر فيها نارة لتفريق وطورا للتفريق الآخر واستمر الحال على هذا المتوال الى أواخر سنة ١٨٠٦ ففرض عليهم والى اشقوده ان الباب العالي يمنحهم ادارة مستقلة لكن بما أن أغلب أراضيهم معطاة الى العساكر السباه فيدفع الصربيون تعويضاً قدره ستمائة ألف فلورين لتوزع على أصحاب الالتزامات بصفة تعويض على تركهم التزاماتهم للادارة الصربية فقبل زعيمهم جورج يتروفش بذلك لكن رفض الباب العالي هذا الاقتراح وأبى الا دخالهم في طاعته كما كانوا عند ذلك انتشب الحرب بين الدولة العلية والروسيا التي سيأتي بيان أسبابها

هذا ولترجع الى ذكر علاقات الباب العالي وفرنسا والروسيا وانكثرتا بعد خروج الفرنسيين من مصر فتقول ان بونابرت أرسل الى بلاد الشرق الجنرال سبستيانى لتجديد ربط الاتحاد والوداد مع الدولة العلية فسافر الى الاستانة حاملاً خطاباً من بونابرت الى السدة السلطانية وفي أثناء اقامته بالاستانة تمكن بمساعيه من عزل أميرى الافلاق والبغدان الحازين للروسيا فعزلا في ٥ جمادى الثاني سنة ١٢٢١ الموافق ٢٠ اغسطس سنة ١٨٠٦ وعين بدلتهما من المخلصين للدولة العلية فساء ذلك الروسيا وخشيت من امتداد نفوذ فرنسا في الشرق فارسلت جيوشها لاحتلال هاتين الولايتين بدون اعلان حرب بدعوى ان تغيير أميرهما مضر بحقوق جوارها فانتشبت نيران القتال بينها وبين الدولة واتحدت انكثرتا مع الروسيا في هذه الحرب لتأييد طلباتها فارسلت احدى دولاتها تحت قيادة اللورد (دوق وورث) أمام الدردنيل وأرسل سفيرها السير (ار بوثوث) بلاغاً الى الباب العالي يطلب منه تحالف الدولة العلية وانكثرتا وتسليم الاساطيل العثمانية وقلاع الدردنيل الى انكثرتا والتنازل عن ولايتي الافلاق والبغدان الى الروسيا وطردها الجنرال (سبستيانى) من الاستانة واعلان الحرب على فرنسا والا تكن انكثرتا مضطرة لاجتياز بوعاز الدردنيل



ثم في سنة ١٨٠٢ كلفه الباب الا الى بحار بة قبيلة (السوليين) (١) التي عصمت الدولة واعتصمت بالجبال المنيعه فسار اليها بحيشه المؤلف من الارنؤود ومسلمي الاروام الناشئين بين قلال الجبال ووهادها وحاصرهم من كل صوب حتى اذا لم يروا بداً من التسليم أو الموت طلبوا الامان في غضون سنة ١٨٠٣ بشرط أن يؤذن لهم بالمهاجرة الى جزائر اليونان المستقلة فأذن لهم وفي أثناء انسحابهم انقضت عليهم جيوشه الغير منتظمة وقتلت منهم خلقاً كثيراً وبذلك ساد الامن في كافة بلاد الارنؤود وايروس وجبالها وضربت السكينة أطناها في جميع البلاد ومفاوزها وطرقاتها وكافاه السلطان على ايجاد الامن في هذه المسالك الوعرة بان قلده رتبة (روملى واليسى) أى الى الروملى وبما أن هذه الرتبة تخول للحائز عليها حق قيادة الجيوش حال اشتغال المصدر الاعظم في مهام الدولة الاخرى سار على باشا في ثمانين ألف مقاتل لمحاربة أهالى مقدونيا الذين ثاروا طلباً للاستقلال بناء على ايعاز روسيا وتغلب عليهم بعد محاربات عنيفة وأدخلهم كرهاً في طاعة الدولة وكانت هذه الخدمة الجليلة من موجبات زيادة تقوذه فداخله الغرور وأوجست منه الدولة خيفة لما ظهر لها من ميله الى الاستقلال ولما أحس هو بذلك خشى أن يناله أذى منها فتحضن في بلاد ايروس وأخضع لسلطانها من بها من الامراء وصار كحاكم مستقل بها وسند كرم محل به من الدمار جزاء نبذه طاعة الدولة في حينه

ولم تسكن بلاد الروملى خالية من الاضطرابات بل وصل اليها سائر العصابات المسلحة وانتشرت فيها أزيد من انتشارها في باقي ولايات الدولة باوروبا حتى لم يتمكن الانكشارية من كبح جماحهم بل فاز المفسدون عليهم في عدة وقائع وصارت البلاد في كرب عظيم وبلاء شديد وهدد هؤلاء الثائرون مدينة أدرنه نفسها مع متاعها

فأراد السلطان تجربة الجيوش المنتظمة في محاربتهم وارسل في سنة ١٨٠٤ أليامان الاستانة مع فرقة من المدفعية وأخرى من الخيالة وثلاثة أليات من التي نظمها الى بلاد القرمات فقامت هذه الجنود بما عهد اليها خير قيام ولم تقو العصب على الوقوف أمامها كما هو محقق ومثبت من أن العسكري المنتظم يقاوم عشرة أو أكثر من الغير منتظمين وبعد قليل ظهرت بلاد الروملى من أدران الفساد وعادت السكينة الى ربوعها ورجعت الجنود المنتظمة الى الاستانة مكلفة بالظفر فانشرح السلطان من نجاح مشروع هذا النظام الجديد وأغدى عليهم العطايا والهبات ثم أصدر في شهر مارت سنة ١٨٠٥ أمراً سامياً (خط شريف) الى جميع الولايات بتركية أوروبا بجمع جميع الشبان من الانكشارية والاهالى البالغين سن الخامسة والعشرين وادخلهم العسكرية وترتيبهم على النظام الجديد فلم

(١) هم سكان بلدة صغيرة في وسط جبال الارنؤود تبعد عن مدينة يانيه بمسافة ٤٥ كيلومتراً تدعى سولي اشتهروا بمقاومتهم الدولة العلية وعدم الرضوخ لها واعتصامهم بالجبال فطار صيتهم في جميع أنحاء أوروبا

لهم رئيساً من أهلهم وهو جورج بتروفش (١) وطاردوا الانكشارية حتى أبعدهم عن الاراضي والقرى وصار لا يمكنهم الخروج من المدن لترص الاهالي لهم ثم أرسل الباب العالي الى بكير باشا والى بوسنه يامره بمساعدة الصرب ومحاربة الانكشارية وطردهم ثانية من بلغراد فأبى بجيشه وحاصرها مع بتروفش حتى دخلها وأخرج الانكشارية منها

وبعد ذلك رجع بكير باشا الى ولايته ومن ذلك الحين لم ترجع السكينة الى بلاد الصرب بل تألبوا جماعات تحت رئاسة بتروفش للدفاع عن أنفسهم ولم يهدأ لهم بال حتى تحصلوا على الاستقلال الادارى ثم السياسى كما سيمانى في موضعه

وفي هذه الاثناء كانت الاضطرابات سائدة في بلاد الارنوود لقيام على باشا والى يانيه على الباب العالي واستثارة بالهياطة حول ولايته أفاعلى باشا المذكور فهاجوا أحد بيكوات الاروام الذين اعتنقت عائلاتهم الاسلام في بدء الفتح العثمانى ثم صار رئيساً لحدى العصابات التى تألفت بايعاز الروسيا ودسائسها لقطع السبل وايقاف حركة التجارة في جبال اليونان والارنوود بدعوى الوطنية وما ذلك في الحقيقة الا للسلب والنهب ثم رأى ان موالاته الدولة أنفع لصالحه فعدل عن طريقته الاولى ونبذ وسوسة الاجانب ظهر يأوطلب من الباب العالي تعيينه حاكماً على الجهة التى ولد بها من بلاد ابيروس العليا باليونان فقبل منه الباب العالي هذا الطلب رغبة منه في اطفاء الفتن الداخلية وكلفه بمحاربة والى اشقودره ووالى (دلونو) اللذين عصيا الدولة طمعاً في الاستقلال فخارهما وتغلب عليهما

ثم بعد محاربة الروسيا عين في سنة ١٧٨٧ در بند باشى أى محافظاً على السبل والطرق من تعدى العصب المتسلحة التى تكثر عادة في البلاد أثناء الحروب وبعدها وفي سنة ١٧٨٨ عين والياً على يانيه وفي سنة ١٧٩٧ لما استولت فرنسا على كافة السواحل والنفور التابعة لجمهورية البندقية راسلهم على باشا مؤكداً لهم حسن ولائه لبونابرت وحكومته ولم يكن ذلك منه الا لحفظ البلاد العثمانية من تعدى الفرنسيين

ولما أعلنت الدولة الحرب على فرنسا بسبب احتلال مصر احتل صاحب الترجمة نعر (بوترنتو) وسار لفتح مدينة بروازه فقابله عدد من الفرنسيين فخارهم وفاز عليهم بالنصر ودخل المدينة عنوة

(١) ولد هذا الثائر الصربى بمدينة بلغراد سنة ١٧٧٠ وكان يلقب بقره جورج أى لاسود وهو أول من جمع كلمة الصربين على مقاومة الدولة العلية وطلب الاستقلال وفي سنة ١٨٠٦ نال بعض امتيازات استرجعها الدولة فيما بعد وطرده منها سنة ١٨١٣ فهاجر الى الروسيا حيث أكرمه الحكومة وعينه قائداً في جيوشها وفي سنة ١٨١٧ حاول الرجوع الى الصرب لانارة الفتن فقبض عليه (ميلوش اورسوفتش) وقتله وأرسل رأسه الى الاستانة علامة على ولائه للدولة وبنسب الى جورج المذكور أنه قتل أباه وأخاه بمجرد ما أنس منهم الميل الى الدولة العثمانية

الانكشارية وتنظيمها على الطراز الاوروى وكذلك البحرية وبانشاء اورطين سوارى  
والاين مشاة منتظمين ويكون مقرهم فى الاستانة وأن يكون لكل منهم موسيقى  
عسكرية وامام لتعليم الدين واقامة الصلاة وأن يبنى قشلاقان أحدهما باسكدار والاخر  
بيوكدره وأن يخصص للصرف عليهم جميع الاقطاعات العسكرية التى تحل بموت أصحابها  
وتعود للحكومة ثم أصدر أوامره الى عبدالرحمن باشا والى بلاد القرم بأن يألّف عدّة أليات  
وتدريها على النظام الجديد فصّاع بالامر بكل اهتمام حتى لم تمض ثلاث سنوات الا وقد  
تم تنظيم ثمانية أليات كاملة العدد والعدد

ولنأت هنا على تلخيص ما كان واقعاً ببلاد الصرب والارنؤد من الفتن ليسكون القارىء  
مطلعاً على حالة الدولة الداخلية وما بهامن موجبات التمهقر التى أساسها الاصلى عدم السعي  
وقت الفتح فى نحو عصبيات الامم المختلفة بعد الاستيلاء عليها ببذل الجهد فى اضعاف ثم  
تلاشى لغتهم وعوائدهم حتى يصير الكل أمة واحدة عثمانية فنقول  
لما فتحت بلاد الصرب نهائياً بعد واقعة (قوص اوه) الشهيرة أعطيت كافة أراضيها  
اقطاعات الى الفرسان العثمانية (سباه) أى انها تبقى تحت يد ملاكها الاصلين المسيحيين  
بشرط دفع جعل أو خراج معين لمن أعطيت له وترك لهم حق انتخاب مشايخ بلادهم  
فاستبد معهم ما تزموا الاقطاعات وعاملوهم معاملة نفرت قلوبهم وأوجدت فيهم محبة  
الاستقلال فكثير منهم قطاع الطرق

ولما انتشبت الحرب الاخيرة بين الدولة والنمسا والروسيا هاجر كثير منهم الى بلاد الجرج  
وانخرطوا فى سلك الجندية النمساوية لمحاربة الدولة ولما وضعت الحرب أوزارها عادوا الى  
بلادهم بعد أن تمرنوا على فنون الحرب وضروب القتال وأشربوا حب الاستقلال والحرية  
وبعد عودتهم اضطهدهم الانكشارية لرفعهم السلاح ضد دولتهم فى صفوف أعدائهم ولو  
أن الباب العالى عفا عنهم عفواً عمومياً الا أن هذه الفئة المقسدة اتخذت ذلك سبباً لنهب  
قرى الصرب والتعدى عليهم بكافة أنواع الاهانة

ولما اشتكى الاهالى من هذه المظالم أمرت الدولة والى بلغراد بعاقبة الانكشارية  
واخراجهم من أراضي الصرب قاطية فلم يمتثلوا هذه الاوامر ولذا حاربهم الوالى بمساعدة  
السباه وتغلب عليهم وأخرجهم من ولاية بلغراد بعد أن قتل رئيسهم دلى أحمد فالتيجاوا الى  
بازونداوغلى الذى سبق ذكره واستقلاله تقريباً بولاية (ودين) وهو توسط لهم لدى  
الباب العالى واستحصل لهم على الاذن بالعودة الى بلغراد بشرط ملازمة الهدو والسكينة  
لكنهم لم يرجعوا عن غيهم بل بمجرد عودتهم استأنفوا اضطهادهم للصرب ثم تطاولوا الى  
محاصرة مدينة بلنراد بمساعدة بازونداوغلى ودخلوها عنوة وقتلوا واليها وانتشروا فى  
أطراف البلاد يعمون فى الارض فساداً

ولما ضاق الصربون ذرعاً اجتمعوا للدفاع عن أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وانتخبوا

الفتن الداخلية  
واسبابها



ولما دارت المحادثات بين فرنسا وانكلترا للوصول الى مصالحة ايمان (١) أرادت انكلترا ادخال الباب العالى فيها حتى تثبت اشتراكها وتحالفها معها بصيغة دولية فلم تقبل الدولة ولا فرنسا بذلك وأصرّ بونابرت على الاتفاق مع الدولة رأساً وتم الاتفاق بينهما في ٢٣ صفر سنة ١٢١٧ الموافق ٢٥ يونيه سنة ١٨٠٢ على أن ترجع مصر الى الدولة مع كافة ما كان لها من الحقوق وأن يقيم في جزائر اليونان جمهورية مستقلة تحت حماية الباب العالى (وكان ذلك بالاتفاق مع روسيا) وتعهدت الدولة العلية برّد ماصودر من أملاك الفرنسيين ببلادها ومنح فرنسا جميع امتيازاتها السابقة المضمونة لها بمعاهدة سنة ١٧٤٠ وأن يكون لمراكبها التجارية حق الملاحة في البحر الاسود اسوة بمراكب روسيا وبعد ذلك أخلت انكلترا جيوشها عن مصر والاسكندرية في ذى القعدة سنة ١٢١٧ الموافقة شهر فبراير سنة ١٨٠٣

وفي هذه الاثناء حصلت في داخلية الدولة بعض اضطرابات بسبب شروع السلطان سليم الثالث في تنظيم الجيوش على النظام الجديد فان الانكشارية لم ينظروا لهذه الاصلاحات العسكرية بعين الارتياح لخوفهم من أن تكون مقدمة لالغاء وجاقتهم فلما مات الجنرال دوبايت الفرنسي الذي كان استحضّر لتدريب النظام في سنة ١٧٩٧ سعى الانكشارية مع بعض العلماء المغايرين لكل أمر مستحدث بدون نظار الى ما يحره من النفع لدى جلالته السلطان وتحصلوا على لغو الفرق المنتظمة فاخذ القبودان كوجك حسين باشا نحو ٦٠٠ منهم وشكلهم على هيئة أورطة منتظمة على نفقته الخصوصية وأجزل اليهم الهبات حتى أتى الشبان للانضمام اليها باختيارهم وأخذ الانكشارية يفتقون أمام سرياه وقت تعليم العساكر ويهزؤون بهم تارة ويهدّدونهم أخرى وحسين باشا لا يعبأ بهم بل جدّ في طريقه وسار في مشروعه ولما سار بونابرت من مصر الى الشام سافر هو الى عكا مع فرقه فكانت العساكر النظامية في مقدمة المدافعين ومن أشدّهم بأساً على جيوش الفرنسيين ولما عادوا من مدينة عكا تحقّق عليهم رايات النصر أمر السلطان أن تكون نفقتهم على الحكومة وأن يزداد عددهم لما تحقّقه جلالته من فائدة النظام في الجندية بأزاء جيوش أوروبا المنتظمة ثم انتهز فرصة وجود أكبر قوّاد الانكشارية بمصر لمحاربة الفرنسيين وأصدر أمراً سامياً (خط شريف) قاضياً بفصل المدفعية عن

(١) مدينة شهيرة بتمال فرنسا تبعد عن باريس بمسافة ١٣٣ كيلو متر ويبلغ عدد سكانها ثمانين ألفاً من النفوس وبها مامل كثيرة لنزل القطن وحيّا كته وكثير من المدارس الابتدائية والتجهازية ومدرسة تجهيزية للطب والصيدليه ومكتبة عمومية بلغ عدد ما بها من الكتب في السنة الاخيرة ستين ألف مجلد وبها أيضاً محكمة ابتدائية وأخرى استئنافية وفي ٢٥ مارس سنة ١٨٠٢ أمضيت بها معاهدة بين فرنسا وانكلترا وهولاندا واسبانيا ملخصها ان حفظت فرنسا جميع فتوحاتها ما عدا مدينتي رومانيا وبولي وجزيرة اليه وردت انكلترة ما أخذته من المستعمرات من اسبانيا وهولاندا وفرنسا ما عدا جزيرة سيلان بجنوب الهند وجزيرة ترينيتي بامريكا الوسطى



سفير الدولة العلية المدعو أسعد افندى وأظهر له ضرر اتحاد الدولة مع روسيا وانكاثره خصوصاً وأن روسيا قد احتلت جزائر اليونان الواقعة ما بين جنوب إيطاليا وبحيث جزيرة مورده وجنود انكاثره باقية بمصر مطالة في اخلائها هي وما احتلته من نفور الشام وأخيراً أقنعه بوجوب تجديد العلاقات الودية مع فرنسا فكتب السفير العثماني دولته بذلك وبعد الحصول منها على الاذن أمضى مع بونابرت مشروع معاهدة بتاريخ أول جمادى الآخرة سنة ١٢١٦ الموافق ٩ أكتوبر سنة ١٨٠١ و ١٧ فاندعير من العام العاشر للجمهورية الفرنسية أساسها اخلاء مصر وتأييد امتيازات فرنسا السابقة في الشرق وهذا نصها نقلا عن قاموس فيليب جلال

﴿البند الأول﴾ ينعمد السلم والولاء فيما بين الجمهورية الفرنسية والباب العالي فيزول بناء على ذلك ما كان بينهما من العدوان ابتداء من اليوم الذي تبادل فيه التصديقات على هذه البنود الابتدائية وبعد أن تجرى مبادلة التصديق تجلى في الحال العساكر الفرنسية عن مملكة مصر وترد المملكة المذكورة الى الباب العالي المحفوظة أراضيها وممالكها بالتمام والكمال كما كانت قبل الحرب الحالية على أنه من المقرر أن كل ما يسمح به من الامتيازات في الممالك المصرية لسائر الممالك الاجنبية بعد انجلاء الفرنسيين عنها يكون مسموحا بها للفرنسيين أيضاً

﴿البند الثاني﴾ تعترف جمهورية فرنسا بتشكيل جمهورية السبع جزائر وبلاد البندقية السابقة وتسكنل استمراره ويقبل الباب العالي كفالة فرنسا وروميا بذلك

﴿البند الثالث﴾ ستعقد الجمهورية الفرنسية والباب العالي العثماني على تعيين طريقة نهائية تختص بأموال رعاياهما وأمتعهما التي حجزت أو أخذت مصادرة أثناء الحرب ويطلق سراح الوكلاء السياسيين والوكلاء التجارية والاسرى على اختلاف درجاتهم حال حصول التصديق على هذه البنود الابتدائية

﴿البند الرابع﴾ ان المعاهدات السكائنة فيما بين فرنسا والباب العالي حتى قبل الحرب الحاضرة تجددت بتمامها وبناء على ذلك حق للجمهورية فرنسا أن تتمتع في كافة أنحاء الممالك العثمانية بجميع الحقوق التجارية وحقوق الملاحة التي كانت متمتعة بها قبلاً أو سينتمتع بها غيرها من الدول الاكثر تفضيلاً في مستقبل الايام

وتبادل التصديقات على هذه البنود في ظرف ثمانين يوماً وحرر عن باريس في ١٧ فندعير من العام العاشر للجمهورية فرنسا الموافق يوم غرة جمادى الآخرة سنة ١٢١٦ وعقب ذلك أبرم بونابرت مع عامل الجزائر معاهدة بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٨٠١ وأخرى مع تونس بتاريخ ٢٣ فبراير سنة ١٨٠٢ قاضيتين باحترام سفن فرنسا التجارية كما كان في زمن السلطان سليمان القانوني

وبعد ذلك ساد الأمن بالقاهرة وفي ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ الموافق ٢١ محرم سنة ١٢١٥ قتل شخص حلبي اسمه سليمان القائد الكبير في بستان سراي الاني بالازبكية (الموجود محلها الآن فندق شبرد) وهرب فبحثوا عليه حتى وجدوه مختفياً ببستان مجاور للبستان الذي حصل فيه القتل فضبطوه وبعد تحقيق طويل قتلوه هو ورفاق له ثلاثة انهموا معه في القتل وبعد دفن القائد الكبير عين مكانه الجنرال (منو) وكان قد اعتنق الدين الاسلامي وتسمى عبد الله منو

خروج  
الفرنساويين  
من مصر

ولما علم الانكايز والعمانيون بموت كبير وخروج بونابرت ومعه أمهر القواد من مصر أيقنوا بالغبلة عليهم وأزلوا بأبي قير ثلاثين ألف مقاتل تحت قيادة الجنرال (ابركرومي) في أوائل سنة ١٨٠١ فسار القائد منو لمحاربهم فانهزم أمامهم في ٢١ مارت ورجع الى مدينة الاسكندرية ليمتصن بها فقطع الانكايز سد أبي قير المانع لمياه البحر الابيض من الاغارة على أرض مصر حتى يحصر القائد منو وجيوشه في الاسكندرية غير مبالين بما ينجم عن قطع هذا السد من الخراب والدمار لجزء ليس بتليل من الوجه البحري

ثم سار الانكايز والأتراك الى القاهرة عن طريق الصحاحية وحاصروا من بقي منها من الفرنسيين ولتحقق القائد (بليار) أنه لا مناص له من التسليم خابر القائدين العثماني والانكايزي وطلب منهما اخلاء وادي النيل بالشروط السابق تدوينها باتفاق العريش في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ فقبلا منه وأمضيا معه اتفاقاً بذلك في ١٦ صفر سنة ١٢١٦

الموافق ٢٧ يونيو سنة ١٨٠١  
فأخلى المدينة في ٢٨ صفر من السنة المذكورة وخرج منها بجميع أسلحته ومدافعه ومهمات

وبعد ان أقاموا في برّ الجزيرة أربعة أيام ساروا الى ثغر رشيد تتبعهم فرق من الجنود الاسلامية والانكايزية لمنع تعرض الاهالي لهم وفي أواخر ربيع الاول أبحروا من رشيد على مراكب انكايزية

أما القائد منو فبقى محصوراً في الاسكندرية ولم يقبل التسليم الا في ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٢١٦ الموافق ٢ من شهر سبتمبر سنة ١٨٠١ بعد ان وقعت بينه وبين العثمانيين والانكايز موقعة عظيمة قتل فيها كثير من الطرفين فخرج منها مع من بقي معه وسافر الى بلاده على مراكب الانكايز وبذلك انتهت الحرب ورجعت البلاد الى حاكمها الشرعي ومالكها الاصل وخليفة رسول رب العالمين بعد أن وطئها هاتما الاجنبي وارتكب فيها من الاعمال ما يضيق نطاق هذا الكتاب عن وصفه نسأله تعالى أن يمنّ عليها بالتخلص من الاجانب المحتلين لها الآن عسكرياً ومدنياً كما حررها من رقية الفرنسيين فان (مصر) كنانة الله في أرضه من أرادها بسوء أهلكه الله انه هو السميع المجيب

وبعد ذلك تخابر بونابرت الذي كان تعيين رئيساً للجمهورية الفرنسية بالقب قنصل مع

في جزيرة رودس فقطع بعدم النجاح وعاد بن بقي من جيوشه الى القاهرة ودخلها في ٢١ مايو من السنة المذكورة

وفي يوليو نزل جيش رودس العثماني بأني قير وتحصن بها وكان يبلغ عدده ١٨ ألف مقاتل فسار بونابرت من القاهرة لمحاربتهم فتغلب عليهم والتجأ من لم يقتل منهم الى المراكب في ٢٤ صفر سنة ١٢١٤ الموافق ٢٥ يوليو وأسر قائدهم الاكبر مصطفى باشا وكثيراً من الجنود

وفي ٢٢ أغسطس سافر بونابرت من الاسكندرية قاصداً فرنسا خفية مع بعض قواده حتى لا يضبطه الانكليز القاطعون بمراكبهم سبل البحر الابيض على الفرنسيين وذلك ان الاميرال الانكليزي أرسل اليه عدة نسخ من الجرائد الفرنسية المذكور بها خبر تغلب النمساويين على فرنسا ووقوع الفوضى في داخليتها فأراد بونابرت الرجوع اليها لاستمالة الخواطر اليه وتأليف حزب يعضده في الوصول الى غرضه وهو أن يعين رئيساً للجمهورية أو أكثر من ذلك خصوصاً وقد نال اسماً عظيماً في محاربات ايطاليا والنمسا قبل مجيئه لمصر وحاز نخباً ثانياً بسبب فتحه وادى النيل فغادره تاركا القائد (كليبر) وكيلا عنه ويقال انه أذنه باخلاء القطر لورأى تغلب القوى الخارجية عليه لعدم امكان مساعدته بالمال أو الرجال انظراً لوجود السفن الانكليزية تشق عباب البحر الابيض طولاً وعرضاً فبقى الجيش الفرنسي بمصر بدون مراكب تحميه من نزول الانكليز والعثمانيين الى الثغور أو تأني اليه بالمدد أو مجرد الاخبار من فرنسا ونقص عدده الى خمسة عشر ألفاً بعد من مات ببر الشام بالطاعون والحرب وظاهر أن هذا العدد غير كاف لحماية السواحل وحفظ طريق الصالحية والحفاظة على الأمن في الداخل ولذلك ينس القائد كليبر من حفظ مصر واتفق مع الباب العالي والاميرال سديني سميت في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ على أن تنسحب العساكر الفرنسية بسلاحها ومدافعها وترجع الى فرنسا على مراكب انكليزية لكن بعد أن ابتداء الفرنسيون في اخلاء القلاع أرسل الاميرال كيث الانكليزي الى كليبر يخبره أن الحكومة الانكليزية لم تقبل هذا الاتفاق الا اذا ألقى الفرنسيون سلاحهم بين أيادي الانكليز فاحتفظ القائد الفرنسي لذلك وسار لمحاربة الجيش التركي الذي أتى الى مصر تحت قيادة الوزير يوسف باشا لاستسلامها من الفرنسيين فتقابل الجيشان عند المطرية في ٢٣ شوال سنة ١٢١٤ الموافق ٢٤ مارث سنة ١٨٠٠ وبعد محاربة عنيفة فاز كليبر بالنصر وعاد الى القاهرة فوجدها في قبضة ابراهيم بك أحد الامراء المصرية وكان دخلها حال اشتغال الفرنسيين بالحاربة فأطلق القنابل عليها وخرّب منها جزءاً عظيماً واستمرّ الحرب في شوارعها نحو العشرة أيام مما هو مذكور في تاريخ الجبرتي تفصيلاً عن ذكر حوادث الشهر المذكور (راجع جزء ثالث صحيفة ٩٠ وما بعدها)



مشتغلتين بمحاربة الجمهورية الفرنسية خوفاً من امتداد مبادئها الحرة الى بلادها فتفل عرشهما كما حصل للويس السادس عشر ملك فرنسا ومن جهة أخرى عرضت عليها الدولة الانكليزية مساعدتها على اخراج الفرنسيين من مصر لارغبة في حفظ أملاك الدولة بل خوفاً على طريق الهند من أن تكون في قبضة دولة قوية يمكنها معاكستها فقبلت الدولة العلية مساعدتها بكل ارتياح وكذلك عرضت عليها روسيا امدادها بمراكبها الحربية وانضمام دونائتها الى الدونائتين العثمانية والانكليزية فقبلت أيضاً وأعلنت الحرب رسمياً على فرنسا في ٢١ ربيع الاول سنة ١٢١٣ الموافق ٢ سبتمبر سنة ١٧٩٨ وأخذت في جمع الجيوش بمدينة دمشق وبجزيرة رودس لارسالها الى مصر وأتت الدونامة الروسية من البحر الاسود الى بوغاز الاستانة وخرجت الى البحر الابيض مع الدونامة العثمانية وذلك بمقتضى معاهدة أبرمت بين هذه الدول الثلاث التي انفتحت لأول مرة على عمل حربي مع ما بين الدولة العلية والروسية من العداوة القديمة المستمرة

ولما شعر بونابرت باجتماع الجيوش لمحاربتة تحقق انه ان لم يفاجيء الدولة العلية في بلاد الشام قبل أن تتم استعداداتها الحربية تكون عواقب الحرب وخيمة عليه وان من يحتل مصر لا يكون آمناً عليها الا اذا احتل القطر السوري فلهذه الدواعي عزم بونابرت على فتح بلاد الشام وقام من مصر ومعه ثلاثة عشر ألف مقاتل قاصداً بلاد الشام من طريق العريش فاحتلها في أواخر شعبان سنة ١٢١٣ ثم دخل مدينة غزة في ١٩ رمضان وارتحل عنها في ٢٣ منه ووصل الرملة في ٢٥ منه ومنها الى يافة فوصلها في ستة وعشرين رمضان الموافق ٧ مارث ولما آانس منها المقاومة حاصرها وادخلها عنوة في يوم أول شوال ثم رحل منها قاصداً مدينة عكا وقبل مزاولته ليافا ارتكب أمراً شنيعاً لم يسبق في التاريخ وهو أمره بقتل جميع الجرحى والمرضى من عساكره حتى لا يعوقوه في سيره ثم حاصر مدينة عكا من جهة البر وهاجمها مراراً لكن لم يتمكن من فتحها لوصول المدد اليها تباعاً من طريق البحر واستيلاء الاميرال الانكليزي (سدني سميث) (١) على مدافع الحصار التي أرسلها من مصر لاطلاقها على الاسوار ولتليقظ أحمد باشا الجزائر قائد حاميتها لافساد الالغام التي ينشئها الفرنسيون لنسفها وفي أوائل أبريل بلغه تحرك جيش دمشق العثماني لانهجاد مدينة عكا فأرسل القائد كليبر مع فرقة من الجيش لمحاربتة ومنعه من الوصول اليها فالتقى هذا القائد بالعثمانيين عند جبل طاوور وأحاطوا به احاطة السوار بالمعصم وكادوا يفوزون عليه لولا مجيء بونابرت اليه بثلاثة آلاف مقاتل ومهاجمته لهم من الخلف فتفرق الجيش العثماني في ١٦ أبريل ثم عاد بونابرت الى عكا فوصله خبر تقدم الجيش المجتمع

(١) أميرال انكليزي ولد سنة ١٧٦٤ وتوفي سنة ١٨٤٠ كلفه الاميرال هودجين عندما كان محتلاً لمدينة طولون بمحرق الدونامة الفرنسية فمحقها في سنة ١٧٩٣ ثم أخذ أسيراً في فرنسا وبقي به سنتين مسجوناً بسجن التامبل بباريس ثم هرب فساعد علي الدفاع عن مدينة عكا وعين أميرالاً سنة ١٨٢١ ثم اعتزل الاعمال وقضي باقي عمره في تأسيس ومساعدة الاعمال الخيرية



وفي ١٩ مايو سنة ١٧٩٨ رحل بونابرت بهذا الجيش بدون أن يعلم أحداً بوجهته فوصل جزيرة مالطة في ١٠ يونيو واحتلها بعد أن دافع من فيها من رهبان القديس حنا الاورشليمي وفي ١٧ محرم سنة ١٢١٣ الموافق ٢ يوليو وصل أمام مدينة الاسكندرية وأنزل عساكره على بعد أربع فراسخ منها وبعد أن دخلها عنوة ترك بها القائد كليروسار هو قاصداً مدينة القاهرة عن طريق الصحراء الممتدة غرب فرع رشيد فقابل به مراد بيك بشرذمة من المماليك عند مدينة شبراخيت بالبحيرة في ٢٩ محرم الموافق ١٣ منه فهزمه بونابرت وواصل السير حتى وصل الى مدينة انبابة مقابل القاهرة وحصلت بينه وبين ابراهيم بيك ومراد بيك أمراء المماليك واقعة الاهرام الشهيرة في ٧ صفر الموافق ٢١ يوليو التي أظهر فيها المماليك من الشجاعة ما أدهش الفرنسيين وبعد أن بذلوا وسعهم في الدفاع عن مصر لا أقول بلادهم بل غنيمتهم تقهقروا أمام المدافع الفرنسية فدخل بونابرت وجيوشه مدينة القاهرة بعد أن أعلن بها أنه لم يأت لفتح مصر بل أنه حليف الباب العالي أي لتوطيد سلطته ومحاربة المماليك العاصين أو امره كما قال الانكليز عند دخولهم مصر سنة ١٨٨٢ وأرسل القائد (دسكس) الى الصعيد لاقتفاء أثر مراد بك فتبعه حتى وصل جزيرة فيله (قصر أنس الوجود) في ٢٥ رمضان سنة ١٢١٣ الموافق ٣ مارت سنة ١٧٩٩ ووجه فرقة أخرى احتلت مدينة القصر على البحر الأحمر في ٢٤ ذى الحجة من هذه السنة الموافق ٢٩ مايو من السنة المذكورة وبذلك صار القطر المصري من البحر الابيض المتوسط الى اقصى الصعيد في قبضته ثم أسس المجلس العلمي للبحث عما يجعل احتلاله بوادي النيل دائماً

لكن لم يلبث أن وصله خبر واقعة أبي قير البحرية التي دمر فيها النسن (١) أمير البحر الانكليزي الشهير جميع المراكب والسفن الحربية الفرنسية في ١٧ صفر سنة ١٢١٣ الموافق أول أغسطس سنة ١٧٩٨ وتسلطن الانكليز على البحر المتوسط وقطع المواصلات بينه وبين فرنسا وذلك أن وقت خروج المراكب الفرنسية من طولون كان نلسن المذكور يحاصر مدينة قادس بإسبانيا فترك الحصار وأخذ يبحث عن الدونامة الفرنسية فلم يعثر عليها الا بعد أن احتلت جزيرة مالطة ومدينة الاسكندرية كما سبق ولما علمت الدولة العلية باحتلال الفرنسيين القطر المصري أخذت في الاستعداد لحاربهم لاسيما وانها كانت مطمئنة البال هادئة البال من جهة النمسا والروسيا اللتين كانتا

(١) ولد هذا الاميرال سنة ١٧٥٨ ودخل البحرية وسنة ١٢ سنة وامتاز بين أقرانه وتقدم بسرعة حتى عين وكيل أميرال في سنة ١٧٩٧ وفي سنة ١٧٩٨ حاول الاستيلاء على جزيرة ترينيداد هدى جزائر كنار التابعة لاسبانيا فلم ينجح وتبع الدونامة الفرنسية حتى أحرقها في أبي قير وفي ٢١ اكتوبر سنة ١٨٠٥ قابل دونانتي فرنسا واسبانيا بالقرب من رأس الطرف الاغر المشهور بترافلجار فحاربهما وانتصر عليهما وقتل في هذه الواقعة ونقل جثته الى لوندرة ودفنت في كنيسة وستمنستر المدة لدفن ملوك انكلترا ومشاهير رجالها وزرت قبره في يوليو سنة ١٨٩٥ وأقيم له بلوندره عدة تماثيل أشهرها ما أقيم في ساحة ترافلجار

عصيانهم المرة بعد الاخرى وعزلهم الصدور والوزراء وتعدّتهم على السلاطين بالعدل أو القتل لما يرون منهم معارضاً لتسادهم أو ضعفاً في معاقبتهم

هذا وقد كانت الدولة في أشد الحاجة والافتقار لهذه الاصلاحات الداخلية فان روابط الولاء بين الولاة والعاصمة كانت ضعفت وسعى كل في الاستقلال أو في عدم دفع الاموال الاميرية الى الخزينة السلطانية مع نضوبها بسبب الحروب واغتيالها لانفسهم واستبدد المال بك بمصر برئاسة الامراء المصرية وأشهرهم مراد بك وابراهيم بك وعثمان بك البرديسي وغيرهم مما هو مذکور تفصيلاً في تاريخ الجبرتي

وكذلك ظهرت في هذه الاثناء فتنة عثمان باشا والى ودين الملقب ببازوند اوغلي (١) وانضمام كثير من أهالى الصرب اليه واستظهاره على جنود الدولة التي أرسلت لاقاعه واخيراً سافر اليه كوجك حسين باشا بنفسه وبعد عدة مناوشات كان الحرب فيها سجالاً بينهما خشى هذا الوزير من دسائس أرباب الغايات ان تعصى كافة ايلات البلقان فتدارك الامر ومنح بازوند اوغلي ولاية ودين طول حياته وبذلك حسمت الفتنة سنة ١٢١٢ الموافقة سنة ١٧٩٧

دخول  
الفرنساوين  
مصر

وفي سنة ١٢١٣ الموافقة سنة ١٧٩٨ أمرت الجمهورية الفرنسية بوابرت (٢) القائد الشهير بالمسير الى مصر لفتحها بغير اعلان حرب على الدولة العلية وأوصته بكتمان هذا الامر حتى لا تعلم به انكلترا فتسعى في احباطه مع ان القصد منه لم يكن الا منع مرور تجارة الانكليز من مصر الى الهند وبالعكس فجهز في مدينة طولون جيشاً مؤلفاً من ٣٦ ألف مقاتل أغلبهم من العساكر المدربين في الحروب التي جرت بين فرنسا واطاليا وانتهت بمعاهدة كامبوفورميو وعشرة آلاف بحري تحملهم دونائة مركبة من ٣٠ سفينة حربية و ٧٢ قراويت و ٤٠٠ مركب حمل وأضاف الى جيشه ١٢٢ عالماً على اختلاف العلوم والمعارف لدرس القطر المصري والبحث عما يلزم لاصلاحه واستغلاله

عصيان  
بازند اوغلي

(١) قل جودت باشا في تاريخه ان هذا الاسم أصله باسيان وحرف في الاستعمال فصار بازود (٢) ولد هذا الرجل الشهير في ١٥ أغسطس سنة ١٧٦٩ بمدينة اجاكسيو بجزيرة كورسيكا ثم دخل المدارس الحربية وترقى الي وظيفة ملازم ثاني طوبجي سنة ١٧٨٥ واشتهر في استخلاص مدينة طولون من قبضة الانكليز ثم عين قائداً للبحرية في إيطاليا سنة ١٧٩٦ وبعد ان قهر الجيوش النمساوية عدالي باريس حيث كاف فتح مصر وناقم مأموريته عدالي فرنسا لتتبعه نوابه في أغسطس سنة ١٧٩٩ وتولي بها قيادة جميع الجيوش وعين بعد قليل رئيساً للحكومة (فصل) وفي ١٨ مايو سنة ١٨٠٤ تولى به اميراطوراً على فرنسا باسم نابليون الاول وفي ٢ ديسمبر من السنة المذكورة أتى البابا بيوس السابع الي مدينة بريس وتوجه اليه في حفة عمومية وقهر جيوش أوروبا التي تالبت عليه عدة مرات وانخرع أخيراً في سنة ١٨١٤ واستغفى في ١١ ابريل وسافر الى جزيرة البله التي عينت منفي له بمجوار ايطاليا ولم يلبث ان عاد منها ونزل بخليج جوان بجنوب فرنسا في أول مارس سنة ١٨١٥ فطالب عليه الدول جمع ونهرته في واقعة وترلو ببلاد البليج في ١٨ يونيو سنة ١٨١٥ وأرسل أسيراً الى جزيرة سانت هيلانة إحدى جزائر افريقيا التابعة للانكليز وتوفي بها في ٥ مايو سنة ١٨٢١ ودفن فيها ثم نقل جثته الي باريس في سنة ١٨٤٠ ودفنت بسراي الانفاليد في قبر من الرخام الاحمر وقد زرته في يوليو سنة ١٨٩٥

وصارت أبدية الوجود بمقتضى هذه المعاهدة مصدقا عليها بانها طبق الاصل اه  
الا أن روسيا لم تتبع النمسا حليفها في طريق الصلح بل استمرت على محاربة الدولة  
بمقدوها في ١٦ ربيع آخر سنة ١٢٠٥ الموافق ٢٢ ديسمبر سنة ١٧٩٠ استولى القائد  
سوواروف على مدينة اسماعيل عنوة وارتكبت فيها من الاعمال الوحشية ما تشعرونه  
الابدان من قتل وقتك وسبي ولم يرحموا النساء والاطفال ولما وصل خبر سقوط هذه  
المدينة الى الاستانة هاج الشعب ضد حسن باشا البحرى الذى كان مكافأ بحمايتها وطلبوا  
من السلطان قتله فأمر بذلك

ثم توسطت انكترالروسيا وهولاندا بين الدولة والروسية ودارت المخابرات مدة ثم تم  
الصلح بين الطرفين في ١٥ جمادى الاولى سنة ١٢٠٦ الموافق ٩ يناير سنة ١٧٩٢ على أن  
تمتلك روسيا بلاد القرم نهائياً وجزء من بلاد القوبان وبساراييا والاقالم الواقعة بين نهري  
بوج ودينستر بحيث يكون هذا النهر الاخير فاصلاً بين المملكتين وتتنازل لها الدولة عن  
مدينة اوزى (أوتساكوف) وأمضيت بذلك معاهدة في مدينة ياش أطلق عليها اسم هذه  
المدينة نسبة اليها

وبعد تمام الصلح مع النمسا والروسيا أخذت الدولة في اصلاح داخلتها وخصوصاً  
العسكرية والبحرية فعين أحداً المقتر بين من الذات السلطانية واسمه كوشك حسين باشا  
قبوداناعاماً وكان من الشبان الاذكاء الذين درسوا أحوال أوروبا ووقفوا على دقائق  
سياستها حتى وثق به السلطان وثقاً تاماً وزوجه احدى اخواته فيدل جهده في مطاردة قراصين  
البحر لتسهيل سبيل التجارة وشمر عن ساعد الجدى في اصلاح الثغور وبناء القلاع الحصينة  
لحمايتها ثم أنشأ عدة مراكز بحرية على شاكله أحدث المراكب الفرنسية والانكليزية  
واستحضر عدداً عظيماً من مهرة المهندسين من السويد وفرنسا لصب المدافع في معامل  
الطوبخانة العامة وأصبح مدرسة البحرية ومدرسة الطوبخانية التي أسسها البارون دى  
توت المجرى وترجم لتلاميذها مؤلفات المعلم فويان الفرنسية في فن الاستحكامات  
وأضاف الى مدرسة الطوبخانية مكتبة جمع فيها أهم ما كتب في الفنون الحربية الحديثة  
والرياضيات لتكون التلامذة على اطلاع تام في كل ما يختص بترقية شأن الطوبخانية ثم  
وضع نظاماً للجنود المشاة وشرع في تنسيق الفرق الجديدة وتدريبها على النظام الاوروبى  
فانشأ أول فرقة منتظمة في سنة ١٧٩٦ وجعل عددها ١٦٠٠ جندي تحت قيادة ضابط  
انكليزى دخل في الدين الاسلامى وسمى انكليز مصطفي وكان القصد من ترتيب العساكر  
النظامية الاستغناء بهم عن جنود الانكشارية الذين صاروا عالة على الدولة ومن عوامل  
تأخيرها بعد ان كانوا أهم عوامل تقدمها وقت الفتوحات المستمرة التي كانوا يعدون منها  
بكثير من الغنائم حتى اعتادوا النهب وصاروا لما يجدوا بلاداً مفتوحة حديثاً لسلب أهلها  
يتعدون على أهالى الاستانة والعواصم الاخرى بالسلب والنهب وغير ذلك فضلاً عن

بعض اصلاحات  
داخلية



﴿البند الحادى عشر﴾ ويصير التنبيه أيضاً على الولاية المذكورين والتأكيد عليهم بحماية رعايا الطرف الآخر الذين تضطربهم تجارهم أو أشغالهم الى اجتياز الحدود والسفر فى داخل الولايات وأن يساعدوهم على السفر فى الأنهر ذهاباً أو اياباً بكمال الحرية مراعين وملزمين غيرهم براءات واجبات الوفادة والضيافة وجميع بنود ومواد المعاهدات والاتفاقات وغيرها المؤيدة فى البندين الثانى والثالث من هذه المعاهدة بدون أن يطلبوا أو يسمحوا لائى أحد أن يطلب منهم أى مكوس أو ضرائب أخرى على أشخاصهم أو بضائعهم غير المحددة فى المعاهدات المذكورة

﴿البند الثانى عشر﴾ أما بخصوص اجراء اصول الدين الكاثولىكى المسيحى فى الدولة العثمانية وحرية قسوسه والمتمسكين به وحفظ واصلاح كنائسه وحرية التعبد والمتعبدين والتردد على الاماكن المقدسة باورشليم وغيرها وحماية هذه الاماكن والحج اليها فان الباب العالى السلطانى يحدد ويؤيد تبعاً لقاعدة ارجاع كل أمر الى ما كان عليه جميع الامتيازات الممنوحة للدين الكاثولىكى بمقتضى البند التاسع من المعاهدة السابقة وبمقتضى جميع القرارات والاوامر الاخرى الصادرة من بادىء أمره

﴿البند الثالث عشر﴾ يرسل كل من الطرفين الى الطرف الآخر سفراء من الدرجة الثالثة لمناسبة هذا الصلح وعند تبليغ تولى جلالة ملوك الدولتين على كرسى اجدادهم ويصير مقابلة هؤلاء السفراء على حسب الرسوم المتبعة وبالابهة والاعتبار والمعاملة التى كانت حاصلة قبل الحرب ويكون لهم حق التمتع بما يخوله لهم قانون الملل وبالا امتيازات المرتبة بوظيفتهم بمقتضى المعاهدات السابقة ويكون الحال كذلك للسفراء المعينين الآن لدى الباب العالى العثمانى ومن يخلفهم مع مراعاة اختلاف درجاتهم ورتبهم وبالنسبة لجميع الموظفين المعينين معهم وتابعيهم وخدامهم ومساكنهم وبما ان كثيراً من السعاة المكافين بحمل الرسائل والمكاتبات من والى الحكومة الامبراطورية الملوكية صار التعدى عليهم وسلب ما معهم قبل الحرب فالباب العالى العثمانى لا يترك أى طريقة للتعويض عليهم كما انه سيتخذ الاحتياطات القوية الضامنة لذهاب هؤلاء السعاة وايابهم تحت حمايته بكل طمأنينة

﴿البند الرابع عشر﴾ قد صار تحرير نسختين من هذه المعاهدة مطابقتين لبعضهما احدهما باللغة الفرنسية والاخرى بالغة الألمانية التى استعملت لسهولة التفاهم ويصير التوقيع عليها من مندوبى ملك النمسا وامبراطور ألمانيا والثانية باللغة التركية ويصير امضاءها من مندوبى جلالة السلطان الاعظم ثم يصير مباداتهما بمعرفة وكلاء الدول المتوسطة وارسالهما الى الطرفين العالين المتعاقدين وبعد امضاءهما بثلاثين يوماً أو أقل ان أمكن يصير تبادل براءة اعتمادهما بحملة امضاء جلالة الملكين الانجمنين بواسطة سفراء الدول المتوسطة وتسليمهما الى مندوبى المتعاقدين مرفقة بصور المعاهدات والاتفاقات والاوراق التى تجددت وتأيدت



لقاعدة ارجاع كل شىء الى ما كان عليه قبل الحرب ولحوكل ما نشأ عنها من المصائب بان يرد الى الحكومة الامبراطورية الملوكية في ظرف شهرين من تاريخ التوقيع على المعاهدة كل من يوجد من رعاياها في حالة الرق أو أخذ أثناء الحرب ذكراً كان أو أنثى أيا كان سنه أو حالته وفي حوزة من كان وفي أى جهة من أملاك الدولة يكون مجاناً بدون دفع فدية أو غيرها بحيث لا يوجد من الآن فصاعداً رعايا لاحد الطرفين تحت حكم الآخر الا الذين يدخلون في الدين الاسلامى من جهة أو في الدين المسيحى من جهة أخرى باختياره وبعد الاثبات بالطرق المقررة لمثل هذه الحالة

﴿البند الثامن﴾ ومع ذلك فان الرعايا الذين يكونون قد تركوا الدولة التابعين اليها قبل هذه الحرب أو في أثناءها وأقاموا باراضى الدولة الاخرى ولا يزالون مقيمين بها باختيارهم لا يجوز لحاكمهم الاصلى طابعهم بل يبقون تابعين لحاكم البلاد التى هاجروا اليها ويعاملون كما قاي رعاياه ومن جهة أخرى فان من يكون له عقارات في كل من الدولتين يكون له الخيار في الإقامة في ظل الدولة التى يريد بها بشرط أن لا يكون لهم الا حاكم واحد ولذا فيجب عليه بيع عقاراته الكائنة في الدولة التى لا يروم البقاء تحت لوائها

﴿البند التاسع﴾ قد تعاهد الفريقان المتعاقدان رغبة منهما في احياء التجارة التى هى ثمرة السلم في أقرب وقت وفي معاملة التجار الذين لا تخفى منفعتهم على العمران بقاعدة ارجاع كل شىء الى ما كان عليه قبل الحرب في البندين الثانى والثالث على أن لا يلحق برعاياهما ضرر بسبب هذه الحرب بل يكون لهم الحق في العودة الى أعمالهم في النقطة التى كانت عليها وقت اعلان الحرب والتمسك بما لهم من الحقوق والطلبات السابقة للحرب أيا كانت والحفاظ على ديونهم ومطالبه مديونهم والمطالبة بالتعويضات التى تستحق لهم بسبب عدم دفع بعض ديونهم أو الضرر الذى لحق بهم عند اعلان الحرب خلافا لما جاء بالمادة السابعة عشرة من معاهدة بلغراد والثامنة عشرة من معاهدة بيساروفتس التجارية وأن يستعينوا في جميع الاعمال بالحكام والحكومات المختصة وعليها أن تنصفهم بالسرعة وبدون محاباة وبدون أن تعتبر مدة الحرب وجهاً شرعياً لرد طابعانهم

﴿البند العاشر﴾ تعطى الاوامر المشددة الصارمة في أقرب وقت الى حكام وولاة الدولتين المتعاقدتين العاملين على انقاطعات الواقعة على تخوم الدولتين باعادة السكينة والطمأنينة العمومية ومراعاة حقوق الجوار على جميع الحدود واحترام ما وضعته لجان التحديد من الحدود وعدم تعدّيها وارتكاب السلب والنهب فيما وراءها والتعويض عما ينشأ عنها من الضرر ومجازاة المخالفين لذلك والمذنبين بنسبة ذنوبهم وجرائمهم مع مراعاة القواعد والمبادئ المقررة لذلك في المعاهدات والاتفاقات السابقة بين الطرفين المتعاقدين وبالاختصار ترسل اليهم الاوامر بارجاع الحالة الى ما كانت عليه من النظام والهدوء قبل الحرب وجعلهم مسؤولين عن جميع ذلك شخصياً

هذه الاتفاقات والقرمانات واللوائح تكون معمولاً بها كما لو كانت منسوخة حرفياً في هذه المعاهدة

§ البند الرابع § ان الحكومة الامبراطورية الملكية تتعهد بان ترد الى الباب العالي العثماني جميع ما احتلته من الاقاليم والاراضي والمدن والقلاع والحصون التي احتلتها جيوش الامبراطور أثناء هذه الحرب بما فيها امارة الافلاق والاجزاء المحتلة من بلاد البغدان حتى تعود الى الحالة وحدود المملكتين الى ما كانت عليه يوم ٩ فبراير سنة ١٧٨٨ وللقابلة تساهل الباب العالي واجرا آتة المبنية على المحبة والعدالة بمثلاً

وتتعهد الحكومة المذكورة برد القلاع والحصون الى الحالة التي كانت عليها وقت احتلالها مع المدافع العثمانية التي كانت بها اذ ذاك

§ البند الخامس § أما قلعة (شوتيم) واقليمها المسمى على لسان العوام باسم (ريا) فيصير اخلاؤها وتسليمها للدولة العثمانية بالشروط السابقة المختصة بباقي القلاع لكن لا يكون تسليمها الا بعد أن يتم الصلح بينها وبين امبراطور جميع الروسية وفي الوقت الذي يعين لاخلاء جنود الروسية لما فتحت في هذه الحروب والى هذا الوقت تبقى الجيوش الامبراطورية الملكية محتلة لهذه القلعة واقليمها بصفة ودعة حرّة بدون أن تشترك في الحرب الحاضرة أو تقدم أى مساعدة للحكومة الروسية ضد الباب العالي العثماني بأي كيفية كانت

§ البند السادس § بعد مبادلة التصديق على هذه المعاهدة يتبدى الفريقان في اخلاء وتسليم ما تعاهدا باخلائه وتسليمه الى الفريق الآخر لارجاع الحدود الى ما كانت عليه في المواعيد المحددة بعد ثم يعين كل منهما مندوبين كما جاء في المادة الثالثة عشرة من معاهدة بلغراد يخصص بعضهم بما يتعلق بالفلاح واقاليم البغدان الخمسة وعليهم نهو في ظرف ثلاثين يوماً تمضي من تاريخ التوقيع على المعاهدة ويخصص الباقي لارجاع حدود البوسنة والصرى وقرية حرصو القديمة وضواحيها الى الحالة التي كانت عليها قبل ٩ فبراير سنة ١٧٨٨ ويعطى للفريق الآخر مدة شهرين من التاريخ السابق ذكره لضرورة هذا الميعاد لتدمير ما أنشئ من الاستحكامات الجديدة في القلاع المراد ارجاعها وتسليمها في الحالة التي كانت عليها وقت فتحها ونقل ما بها من المدافع والمؤن والذخائر

§ البند السابع § حيث ان الحكومة الامبراطورية الملكية قد أخذت سبيل كل من أسر من رعايا الدولة العالية المالكين والعسكريين في الحرب الاخيرة وسلمتهم الى المندوبين العثمانيين في روستيج وودين وبوسنه ولم تسلمها الحكومة العثمانية في مقابل ذلك الا رعايا الحكومة الامبراطورية وعساكرها الذين كانوا موجودين في السجون العمومية أو في حوزة بعض أمراء البشناق

وحيث انه يوجد منهم عدد عظيم في حالة الرق بالممالك المحروسة فيتعهد الباب العالي اتباعاً

من بلادها وردت اليها النمسا بلاد الصرب ومدينة بلغراد وجميع فتوحاتها تقريباً وهذا نص معاهدة زشتوى مترجمة عن إحدى المجموعات السياسية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية

﴿البند الاول﴾ سيكون الصلح من الآن بين الدولة العلية وامبراطورية النمسا صاحباً ابدياً برأ وبحراً بينهما وبين متبوعيهما ومن يكون لهما حق السيادة عليهم ويكون الاتحاد بينهما في غاية الاحكام ويمنع كل من الطرفين حصول التعدي والاهانة على الآخر ويعفو عن اشتراك في الحرب من رعايا أحد الطرفين ضد الآخر وعلى الاخص جميع صنوف أهالي الجبل الاسود والبوسنة والصرب والافلاق والبغدان بحيث يكون لهم الحق بمقتضى هذا العفو العمومي في الرجوع الى اوطانهم والتمتع بجميع املاكهم وحقوقهم أي كانت بدون أن يسألوا أو يحاكموا أو يعاقبوا على عصيانهم ضد ملكهم صاحب السيادة عليهم ( الخليفة الاعظم ) أو لظاهر ولائهم للحكومة الامبراطورية الملوكية ( النمسا )

﴿البند الثاني﴾ يتخذ كل من الطرفين العالمين المتعاقدين ما كانت عليه الحالة العمومية قبل اشهر الحرب في ٩ فبراير سنة ١٧٨٨ أساساً للمعاهدة الحالية ولذلك فانهم يجددان ويؤيدان تمامها مع مراعاة معناها ومبناها بغاية الضبط والدقة بدون أدنى تغيير فيها أو عمل أو اتيان أي أمر مناقض لما جاء بهامعاهدة بلغراد الرقيمة ١٨ سبتمبر سنة ١٧٣٩ واتفاق ٥ نوفمبر من السنة المذكورة واتفاق ٢ مارت سنة ١٧٤١ المنسبر لمعاهدة بلغراد واتفاق ٢٥ مايو سنة ١٧٤٧ الذي جعل الصلح المبرم في بلغراد دائم الوجود واتفاق ٧ مايو سنة ١٧٧٥ الخاص بالتنازل عن اقليم ( بوكووين ) واتفاق ١٢ مايو سنة ١٧٧٦ المبين لحدود هذا الاقليم بحيث ان جميع المعاهدات والاتفاقات السالف بيانها يكون معمولاً بها والاجراء على موجبها واجب الى ما شاء الله كما لو كانت مسطرة حرفياً في هذه المعاهدة

﴿البند الثالث﴾ ان الباب العالي يجدد ويؤيد بالصفة المشروعة أعلاه الاتفاق الرقيم ٨ أغسطس سنة ١٧٨٣ الذي تعهدت الدولة العلية بمقتضاه بحماية جميع المراكب الالمانية التجارية المختصة بأحد ثغور ألمانيا من تعديات قراصين بلاد المغرب وباقي رعايا الدولة وأن تعوض على أحبابها كل ما يعود عليهم من الضرر وكذا يجدد الاتفاق الرقيم ٢٤ فبراير سنة ١٧٨٤ الخاص بمنح تجار الحكومة الامبراطورية الملوكية حرية التجارة والملاحة في جميع بلاد الدولة وبحارها وأنهارها وفرمان ٤ دسمبر سنة ١٧٨٨ الخاص بمرور واقامة وعودة الماشية ورعاتها من اقليم ترنسلفانيا الى ولايتي الافلاق والبغدان وجميع الفرمانات والاتفاقيات واللوائح الوزارية التي كانت معتبرة لدى الطرفين ومعمولاً بها قبل ٩ فبراير سنة ١٧٨٨ لوجود الراحة واستتباب الأمن على الحدود والخاصة بصلح وراحة وفائدة رعايا النمسا وتجارتها وملاحتها بحيث ان جميع

الجيش العثماني وانتصر عليه نصراً ميبناً ولذلك ترك الإمبراطور قيادة جيوشه الى القائد (لندن) ثم بعد ذلك بقليل توفي السلطان عبد الحميد الاول في ١٢ رجب سنة ١٢٠٣ الموافق ٧ أبريل سنة ١٧٨٩ بالغا من العمر ٦٦ سنة ومدة حكمه ١٥ سنة وثمانية شهور وتولى بعده

## ٢٨ « السلطان الغازي سليم خان الثالث »

ابن السلطان مصطفى الثالث المولود سنة ١١٧٥ هـ الموافق سنة ١٧٦٢ م وجو السياسة مكفهر ورحى الحرب دائرة بلا انقطاع فبذل جهده في تقوية الجيوش وارسال المؤن والذخائر لكن كان الياس قد استولى على الجنود وغادر كثير منهم مراكزهم وفي هذه السنة اتحد القائد الروسي مع قائد الجيوش النمساوية في الاعمال الحربية وضما جيوشهما لبعضهما فاستظفرا على العثمانيين في ٣١ يولييه وفي ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٨٩ وكانت عاقبة ذلك أن استولى الروس على مدينة بندر الحصينة واحتلوا معظم بلاد القلاخ والبغدان وبسارايا ودخل النمساويون مدينة بلغراد وفتحوا بلاد الصرب

فكانت الدولة في خطر عظيم ولو استمر اتحاد النمسا والروسيا لفقدت أغلب أملاكها لكن من حسن حظها توفي الإمبراطور يوسف الثاني في ٢٠ فبراير سنة ١٧٩٠ وخلفه ليوبولد الثاني (١) فشعلته الثورة الفرنسية التي قامت على الملك لويس السادس عشر (٢) خوفا من امتداد لهبها وسعت في مصالحة الدولة بتوسط بعض الدول المعادية لفرنسا وأمضى معها في سبتمبر سنة ١٧٩٠ شروط صالح ابتدائية صارت نهائية بمقتضى معاهدة أبرمت بينهما في ٢٢ ذى الحجة سنة ١٢٠٥ الموافق ٤ أغسطس سنة ١٧٩١ بمدينة (ستوا) التي تسمى في كتب الترك (زشتوى) ولم تترك الدولة بمقتضاها الاملا يذكر

(١) ولد هذا الإمبراطور سنة ١٧٤٧ وكان أميراً لتسكانا بإيطاليا ثم تولى الإمبراطورية بعد موت أخيه يوسف الثاني سنة ١٧٩٠ وأهم أعماله اخضاع ولايتي المجر والبلاد الواطئة الى سلطته وكانت قد اشتهرتا العصيان طلبا للاستقلال ثم اتحد مع روسيا على محاربة فرنسا وتوفي سنة ١٧٩٢ قبل اشهار الحرب وخلفه ابنه فرنسوا الثاني

(٢) هو حفيد لويس الخامس عشر توفي سنة ١٧٧٤ بعد موت جده وكان ميالا للحرية الآن ضعفه أضره كثيراً وحارب انكثرا وساعد الامريكانين على الاستقلال اضافة لشوكتها ثم ابتدأت الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ ولمدم نباته صار يتبع رأى الاعيان تارة ويميل الى رجال الثورة تارة أخرى حتي أغضب الجميع بترده وعدم نباته وبعد ان اعترف بالقانون الاساسي الذي سنته جمعية النواب للمملكة أراد الهروب من فرنسا والالتجاء الى الاجانب فقبض في مدينة رافين في ٢٠ يونيو سنة ١٧٩١ ومن ذلك الوقت توالى عليه المصائب وأهين عدة مرات ثم حصلت حادثة عشرة أغسطس سنة ١٧٩٢ التي أفضت الى اسقاط الملكية ولما اجتمع مجلس الامة المعروف بالكونفانسيون في ٢١ سبتمبر التالي قرر باطال الملكية واقامة الجمهورية ومحاكمة الملك على التجائه الى الاجانب وحجسه مدة المحاكمة هو وزوجته وولده وابنته وأخته وكثير من الاعيان وفي ١٩ يناير سنة ١٧٩٢ حكم عليه مجلس الامة بالاعدام وقتل هذا الحكم في ٢١ منه فقتل الملك مأسوفاً عليه لانه لم يكن جانياً فعلا بل أطاع زوجته عن غير ترو

مدني زشتوى



في الحرب فأخذوا في تحصين ميناء (سباستوبول) وأقاموا ترسانة عظيمة في ميناء (كرزن) وأنشأوا عمارة بحرية من الطراز الأول في البحر الاسود وأرسلوا جواسيسهم الى بلاد اليونان وولايي الفلاخ والبعدان لتهييج المسيحيين على الدولة ثم توصلت كاترينه الى ادخال هرقل ملك الكرج تحت حمايتها مقدمة لفتح بلاده نهائياً

وأخيراً في سنة ١٧٨٧ ساحت كاترينه في البلاد الجنوبية وبلاد القرم بابهة واحتفال زائد واقام لها القائد بوتكين أقواس نصر كتب عليها (طريق بيزانطة) فعلمت الدولة من كل هذه الاحوال أنها تقصد محاربتها نهائياً وتؤكد لها هذا العزم لما تقابلت كاترينه في سياحتها هذه مع ملك بولونيا وامبراطور النمسا ولذلك أرادت هي المبادرة باعلان الحرب قبل تمام استعداد أعدائها ولايجاد سبب له أرسلت بلاغا الى سفير روسيا بالاستئانة المسمو (جولغا كوف) في صيف سنة ١٧٨٧ تطالب به منه تسليم (موروكرداتو) حاكم الفلاخ الذي كان عصي الدولة والتجأ الى روسيا والتنازل عن حماية بلاد الكرج بما أنها تحت سيادة الدولة وعزل بعض قناصلها المسيحيين للاهالي وقبول قناصل للدولة في مياي البحر الاسود وأن يكون لها الحق في تفتيش مراكب روسيا التجارية التي تمر من بوغاز الاستانة للتحقق من أنها لا تحمل سلاحاً أو ذخائر حربية

فرفض السفير هذه الطلبات باذن دولته فأعلن الباب العالي الحرب عليها فوراً وسجن سفيرها في أغسطس سنة ١٧٨٧

ولما كان الجنرال بوتكين لم يتم معدّات الحرب وقع في حيص بيص وكتب الى كاترينه يخبرها بعدم صلاحية البقاء في القرم ناحياً لها باخلاصها في أقرب وقت لاسيا وأن ملك السويد (جوستاف الثالث) أراد انتهاء هذه الفرصة لاسترجاع ما فقدته دولته من المقاطعات والبلاد التي أخذتها منها روسيا لم يكن لم تنف هذه الحوادث همه هذه الامبراطورة التي أعانتها الايام بل كتبت للجنرال بوتكين بعدم انتظار العثمانيين والسير بكل شجاعة واقدام على مدينتي بندر واوزي فصدع بأمرها وسار نحو (اوزي) فحاصرها مدّة ثم دخلها عنوة في ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٢٠٣ الموافق ١٩ نوفمبر سنة ١٧٨٨ وفي هذه الاثناء كانت النمسا أعلنت الحرب على الدولة مساعدة للروسيا وحاول امبراطورها يوسف الثاني (١) الاستيلاء على مدينة بلغراد فعاذ بالخيمية الى مدينة تمسوار حيث اقتفى أثره

(١) هو ابن الامبراطورة ماريه تريزه من زوجها الدوك دي اورين الذي تسمي فيما بعد فرنسا الاول ولد سنة ١٧٤١ ونولي سنة ١٧٦٥ لكن لم يصير ملكاً حقيقياً الا بعد موت أبيه سنة ١٧٨٠ ومن ثم أخذ في تنفيذ أفكاره فألغى استعباد الفلاحين وأبطل التعذيب وأجاز الطلاق والزواج المدنيين ومنح الحرية الدينية لجميع رعاياه رغماً عن معارضة الاشراف والقسوس وسفر البابا بيوس السادس الى ويانا للحصول على ابطال التساهل في أمر الدين وتوفي سنة ١٧٩٠ وهو أخو الملكة ماري انتوانيت زوجة لويس السادس عشر ملك فرنسا التي قتلها الفرنسيون في أكتوبر سنة ١٧٩٣ كما قتلوا زوجها وأخته الميزابيت وغيرها أثناء الثورة

أبو الذهب أثناء محاصرة عكا ثم سقطت المدينة في أيدي العثمانيين وانتهت الفتنة بسلام أما روسيا فاخذت تبث رجالها في بلاد القرم لاجداد المشاغب الداخلية بها وبالتالى لابتلاعها وضمها الى أملاكها حيث لم يكن قصدها من استقلالها السياسى وقطع روابط تبعيتها للدولة الا الوصول لهذه الغاية وما زالت مستمرة في القاء الدسائس ونشر الفتق بين الاهالى حتى عزلوا أميرهم دوات كراى الذى اتخذه الاهالى بمقتضى نصوص معاهدة قينارجة وأقاموا جاهين كراى مكانه فلم يقبل تعيينه فربق عظيم من الاعيان وخيف من وقوع حروب داخلية ولذا امرت روسيا الجنرال بوتسكين باحتلالها فدخلها بسبعين ألف جندي كانوا منتظرين على الحدود لهذه الغاية فلم يمهدها الذى كانت تسعى وراءه من مدة وهو امتلاك كافة سواحل البحر الاسود الشمالية في غضون سنة ١٧٧٣ فهاجت الدولة وأرادت اشهار الحرب على روسيا لالزامها باحترام معاهدة قينارجة القضائية باستقلال بلاد القرم استقلالاً سياسياً تاماً لكن حوّلت أظارها ثانياً عن الحرب بمساعى فرنسا التى أقنعتها بان هذه الحرب مع استعداد كاترينه وتاهبها لها لا يكون وراءها الا الخراب والدمار لعلمها أن روسيا أبرمت مع النمسا وفقارساً تم بين كاترينه الثانية وبين الامبراطور يوسف الثانى عند مقابلتهما بمدينة (كرزن) قاضياً بحجارية الدولة لانشاء حكومة مستقلة تكون حاجزاً بينهما وبين الدولة ومكونة من الفلاخ والبغدان واقليم يساريا يكون اسمها مملكة (داسى) (١) ويعين لها ملك من المذهب الارثوذكسى وبأن تأخذ روسيا مينا (اوتسكوف) التى تسمى فى كتب الترك بمدينة اوزى وبعض جزائر الروم وتأخذ النمسا بلاد الصرب وبوسنه وهرسك من أملاك الدولة وبلاد دالماسيا من أملاك البندقية وتعطيها عوضاً عن ذلك بلاد مور وجزيرتي كريدوقيرص وأن تعطى باقى دول أوروبا أجزاء أخرى يتفق عليها فيما بعد

أما ان أتيح لهم النصر ودخلوا مدينة الاستانة فيعيدون مملكة بيزانطة الالهية كما كانت قبل الفتح العثمانى ويعين الفرانكوسى قسطنطين بن بولص ملكا عليها بشرط أن يتنازل عن حقوقه فى مملكة الروسيا حتى لا يتفق وجود المملكتين الروسية والبيزانطية (الوهية) فى قبضة ملك واحد

خوفاً من وقوع الحرب بسبب القرم مع عدم استعداد الدولة وقدرتها فى ذلك الوقت على مقاومة روسيا فضلت قبول مشورة فرنسا والاعتراف بضم القرم للروسيا على أن تعرض الحرب تكون عاقبتها وخيمة واعترفت بذلك فى سنة ١٧٧٤ لكن لم يكن قصدها للروسيا ومساعدتها الا انتشاب القتال ليحظى كل منهم بامنيته عملوا على اثارة خاطر الدولة وإيقاعها

(١) اسم كل من أطلق قديماً في أيام الرومانيين على اقليم متسع واقع على الشاطئ الايسر لبحر الطونة ويشمل البلاد المهمة الآن رومانيا وتراسفانيا واجزاء الشرقى من بلاد البحر فتحه الامبراطور الرومانى تراجان حوالى سنة ١٠٠ ميلادية ثم تنويع الملك الامبراطور اوريان أطلق هذا الاسم على اقليم المكون الآن للروماني الشرقى وجزء من بلاد مقدونية

تماماً ونراعى حق الرعاية جميع ماوقع من قيود وشروط في الثمان والعشرين مادة المذكورة ونجربى جميع عهود ومواثيق الصلح والصلح وكذلك شرط المادتين المحررتين في نيشانيّ الهمايونيين اللذين صار اعطاؤهما ويكون ذلك مدة دوام واستمرار المواد التي صار تأييدها والتصديق عليها من مرخص دولة روسيا ومرخصنا بحيث انه لا يحصل فيها خلل ولا مخالفة من طرفها ولا من طرفنا السلطاني الهمايونى ولا من طرف اخلافنا ووكلائنا ذوى المقام المتصفين بالانصاف والميرميرانيين أصحاب الاحشام والامراء ذوى الاحترام وعموم عساكرنا المنصورة وكافة المتشرّفين بشرف العبودية من صنوف الخدمة ( تمت )

ذكر مادتان في خامّة العهدة احدهما تتضمن المصاريف الحربية وذلك لان الدولة العلمية كانت تعهدت بتأدية خمسة عشر ألف كيس للروسيا في مدة ثلاث سنين يدفع منها في كل سنة قسط وهو خمسة آلاف كيس والمادة الثانية سرعة تخليّة جزائر البحر الابيض تأييداً لما هو مذکور في المادة السابعة عشرة من العهدة المذكورة وأسطول روسيا الموجود في البحر الابيض وان كان مشترطاً في المادة المذكورة انه يخرج في مدة ثلاثة أشهر فدولة روسيا قد تعهدت باخراجه قبل المدة المذكورة اذا أمكن

وبذلك انتهت هذه الحرب ونالت روسيا أقوى أمانها بعد اذلال مملكة اسوج ومحوها من العالم السياسى تقريباً بحصرها ضمن حدودها الطبيعية وهي طمس آثار مملكة بولونيا من الوجود كلية تقريباً ونجزة معظمها بينها وبين النمسا والبروسيا بمقتضى معاهدة بين روسيا والبروسيا في ١٧ فبراير سنة ١٧٧٢ وقبلتها النمسا في ابريل وأعلنت لملك بولونيا في ١٨ سبتمبر سنة ١٧٧٢ وبذلك سقطت الحاجزان الاولان من الحواجز الثلاثة الخائلة بين تقدّم روسيا من جهة أوروبا وأمكنها ان توجه كل قواها لمكافحة الدولة العلمية التي عملت بجهد بعض وزرائها ومحابة البعض الآخر على تقدّم روسيا بدون تبصر في نتائج هذه السياسة ولو أصغت الى طلبات شازل الثاني عشر السويدي وساعدته على محاربة بطرس الاكبر في بدء ظهوره وسعت معه على اطفاء هذه الشرارة التي امتدّ لهيبها وكادت تلتهمها ولو لم يرفع الوزير بطه جى محمد باشا الحصار عن بطرس الاكبر لما أحاط به وخيلته وجيوشه احاطة السوار بالمعصم على نهر البروت لما وصلت دولتنا العلمية الى ما وصلت اليه بمعاهدة قينارجة التي ما لبثت ان ظهرت نتائجها في العالم

وبعد ذلك أخذت الدولة في اصلاح بعض الشؤون الداخلية وبذل القبطان باشى حسن باشا جهده في انشاء المراكب الحربية بدل ما فقد في محاربة الروسية الاخيرة ومن جهة أخرى استعان بمحمد بيك أبى الذهب على طاهر عمر فأتى لحاصرته بمدينة عكا من جهة البر وحاصرها حسن باشا البحرى من جهة البحر وضائق عليه الحصار حتى فرّ هارباً من العقاب على عصيانه قاصداً جبال (صفد) فقتل في أثناء هروبه وتخلصت الدولة من شره وكذلك قتل



فيتقابل السفيران في رأس الحدود بمعاملة متعاقبة ويراعي بحق السفيرين المومى الهما  
الرسم المعتاد المرعى بحق سفراء دول أوروبا الاوفراعتباراً لدى دولتى العلية وترسل هدايا  
بواسطة السفيرين المومى الهما لائحة بشأن دولتهما ليكون ذلك دليلاً على صفاء الجهتين  
﴿المادة الثامنة والعشرون﴾ بعدامضاء مواد هذه المصالحاة المؤبدة من معتمدى دولتى  
العية وهما الموقع الرسمى أحمد ورئيس الكتاب ابراهيم منيب دام مجدهما ومن مرخص  
دولة روسيا البرنس ربنين جنرال لقونيا ختمت عواقبه بالخير تصدر التنبيهات من جانب  
الصدر الاعظم والجنرال فلدمارشال الى جميع عساكر الدولتين الموجودة برأى وبحراً فى كل  
جهة لمنع كل نوع من معاملة خصامية بينهما ويرسل أيضاً فى الحال من جانب الصدر الاعظم  
والجنرال فلدمارشال معاونان الى أساطيلهم الموجودة فى البحر الابيض والبحر الاسود  
وتجاه بلاد القرم والى جميع المواقع الحربية لمنع العدوان وأسباب القتال فى كل محل بعد  
انقضاء المصالحاة والمعينان المرسلان من طرف الصدر الاعظم والجنرال فلدمارشال لا بد أن  
يكونا بحسب التنبيهات مصونين ومأمونين من كل وجه واذا سبق وصول معاون روسيا الى  
سر عسكرها فالومى اليه يبعث الى سر عسكر دولتى العلية أمر الصدر الاعظم الحاوى على  
التنبيه وان سبق وصول معاون الصدر الاعظم يبعث سر عسكر الدولة العلية الى سر عسكر  
روسيا أمر الفلدمارشال الحاوى كذلك على التنبيه وبما ان الصدر الاعظم وفلدمارشال دولة  
روسيا (بتروقونت رومانجوف) قد فوض اليهما من طرفي الهما بونى ومن طرف امبراطورية  
روسيا المشار اليها أمر تمهيد عقود وعهود عهدة الصلح المباركة المنعقدة بجميع مواد  
الصلح المؤبد المسطورة فى العهدة المذكورة يصير امضاءها من طرف الصدر الاعظم  
والفلدمارشال وختمها باختامهما للتصديق كما لو كانت جرت بحضورهما والمواد المنعقدة التى  
تمهدت وصار الوعد بها تراعى مراعاة قوية بدون تغيير ولا تبديل وتجربى بالدقة بحسب  
منطوقها ولا يفعل شئ مخالف لها قطعاً وبحرر فى المواد المذكورة التى تقررت وجربى  
التصديق عليها من طرف الصدر الاعظم والفلدمارشال المومى الهما سندان مضميان  
بامضاءهما ومختومان بختميهما أحدهما وهو سندان الصدر الاعظم تحرر بالتركية  
والايطالية وسندان الفلدمارشال يكتب بالروسية والايطالية أيضاً وبتمتضى الرخصة  
المعطاة الى المرخصين من طرف الدولتين ينبغى أن يوصلوا الى الفلدمارشال السندان الواحد  
باعتبار كونه صادراً من جانب دولتى العلية وبعدامضاء المواد بخمسة أيام وان أمكن فى مدة  
أقل من ذلك تجرى مبادلة السندات وحالما يسلم المرخصون سندات الصدر الاعظم  
يأخذون سندات الفلدمارشال القونت رومانجوف

﴿الخاتمة﴾ ان ماجرى تحديده وتمهيدته بحسب المواد المذكورة من الصلح والصلح  
المبطل للحرب والكفاح يكون مقررأ ومعتبرأ من بعد الآن وبحسب ما اعتادت عليه  
سلطنتى من شيم الصداقة الكريمة ومن الوفاء بالعهود فاننا نجربى العهد والميثاق والتصديق



المذكورة لا تقع مداخلة من جانب دولتي العلية في أمورها ويبقى العمل في كيفية تناول ما يلزم من المأكولات ومدايكة سائر لوازم عساكر روسيا في الممالك الموجودة فيها على ما هو الآن الى حين خروجها منها تماماً ولا تضع دولتي العلية قدماً في القلاع المستردة المذكورة مالم يرسل سر عسكر روسيا الاول الخبر الى مأموري دولتي العلية الذين عينوا لهذا الامر بخليعة وفراغ كل محل من الممالك المذكورة وبعدم اجراء حكومتها فيها والذخائر والمهمات التي للروسيا في هذه القلاع والقصبات يصير اخراجها من طرف عساكر روسيا بالوجه الذي تريده وتترك مدافع دولتي العلية التي وجدت في القلاع المستردة لدولتي العلية والذين استعملوا في خدمة دولة روسيا من أهالي الولايات المستردة لدولتي العلية من أي جنس وفي أي حال وكيفية كانوا اذا رغبوا في الانسحاب والانتقال بأهلهم وعيالهم وأموالهم مع عساكر روسيا في المدة السنوية المنعقدة لا يمنعون وتتعهد دولتي العلية بعدم ممانعتهم بأي وجه كان بموجب الشروط المذكورة سواء خرجوا في ذلك الزمن أو في مدة سنة كاملة

المادة الخامسة والعشرون \* جميع أسرى الحرب من ذكور واث من أي درجة ورتبة كانوا يسرحون ويردون الى اوطانهم ما عدا المسيحيين الذين دخلوا في الدين الحمدي بارادتهم في دولتي العلية والمسلمين الذين تنصروا بارادتهم في أثناء وجودهم في أراضي روسيا وهذا كله بعدمبادلة التصديق على صكوك هذه العهدة المباركة حالا بلا عذر أصلاً وبلا عوض وبغير فدية وكذلك جميع المسيحيين الذين وقعوا في الاسترقاق من طهين وبغدانين وافلاقيين ومن أهالي المورة والجزائر والكرجيين كافة بلا استثناء يعتقون بلائق وبغير عوض وكذلك الذين استرقوا من رعايا روسيا ووجدوا في ممالك الحروسية يصير تسليمهم وردهم الى مواطنهم وذلك بعد انعقاد هذه المصالحة المباركة وكذلك تجري هذه الامور ايضاً بهذه الصورة عينها في حق رعايا دولتي العلية

المادة السادسة والعشرون \* لا ول وصول الخبر عن امضاء هذه المواد الى القرم واويزي يخبر سر عسكر روسيا الموجود في القرم بالواقع محافظاً أوزى وفي مدة شهرين يرسلان مأمورين معتمدين لاجل تسليم وتسليم قلعة قابرون مع النصحاري المصروفة في المادة الثامنة عشرة التي مر ذكرها والمعتمدون المذكورون يجبرون تمام المادة المذكورة في مدة شهرين من تاريخ مقابلتهم واجتماعهم يعني ان المادة المذكورة تجري بنهما في مسدة أربعة أشهر من تاريخ يوم امضاء هذه المعاهدة وان أمكن ففي أقل من ذلك بدون تأخير يخبرون المصدر الاعظم والقائد مارشال عن اكمال مأموريتهم

المادة السابعة والعشرون \* لاجل زيادة تأكيد وتميد وتقوية هذه المصالحة المباركة والموالة والمصافاة بين الدولتين يصير بعث وتسيير سفيرين كبيرين فوق العادة حاملين صكوك التصديق لهذه المصالحة الخيرية ويكون ذلك في الوقت الذي يتعين برضاء الطرفين

حركات ضد دولتي العلية في أثناء امتداد الحاربة وأن تكف يدها الى الابد عن أخذ الورك  
عن الصبيان والبنات وعن طلب أي نوع كان من الجزية وانه ماعدا الذين لهم تعلق بها من  
القديم لا تدعى على فرد واحد من الطوائف المذكورة بكونه من رعاياها وانما تترك مرة  
أخرى جميع الاراضي وسائر الاستحكامات التي ضبطها الكرجيون والمكربون لحكومتهم  
ولحفاظتهم المطاعة وانما لا تتعرض ولا تجرى تضييقاً على أديرة وكنائس الديانة بوجه ما  
ولا تمنع زعم القديم ولا بناء الجديد منها وبأن تمنع باشاجدر وجميع رؤساء الجيوش والضباط  
من التعرض بأي داع كان لاموال الاديرة والكنائس المذكورة واضاعتها ولا تتعرض دولة  
الروسيا للطوائف المذكورة ولا تتدخل في أمورهم لانهم من رعايا دولتي العلية

المادة الرابعة والعشرون بعد امضاء المواد والتصديق عليها بنهياً بالخال جميع عساكر  
الروسيا الموجودة في الجهة اليمنى من نهر الطونة للعودة والرجوع بحيث في ظرف شهر  
واحد تقطع الضفة اليسرى من نهر الطونة المذكور وبعد مرور العساكر المذكورة تماماً  
الى الضفة اليسرى المرقومة بصير إخلاء قلعة حرسوه وتسلم لعساكر الاسلام وبعده تحصيل  
المبادرة دفعة وفي آن واحد لتخليه مملكتي الافلاق والبوحيق وقد تعين لهذا الاخلاء مهلة  
شهرين وبعده انسحاب كافة عسكر روسيا من المملكتين المذكورتين تترك عساكر روسيا  
من الجهة الواحدة قلعة يركوك وبعده قلعة ابرائل ومن الجهة الاخرى قصبة اسمعيل وقلعة  
كلي واقكرمان وتسعى متوجهة لتلتحق بسائر عساكرها نازكة القلاع المذكورة للعساكر  
الاسلامية وقد خصص لتخليه المملكتين المذكورتين مهلة ثلاثة أشهر وبعده تترك  
عساكر روسيا مملكة بغداد وتزحف في الجهة اليسرى من نهر طورله وعلى هذه الصورة تحصيل  
تخليه المواضع والممالك السابق ذكرها يعني في مدة خمسة أشهر بعد امضاء المعاهدة  
والمصالحة المؤبدة بين الدولتين وعند مرور كافة عساكر روسيا للضفة اليسرى من نهر طورله  
حينئذ بصير تسليم قلاع خوتين وبندر للعساكر الاسلامية وأما أراضي قلوبون التي سبق  
التصريح عنها وزاوية الصبحراء الواقعة بين آق صو وأوزي صو بصير تسليمها على الوجه  
الموضح في المادة الثامنة عشرة بهذه الشروط وفي الوقت المذكور لدولة الروسية وتكون الى  
الابد مصنونة من التعرض وعلى عساكر روسيا الموجودة في جهات جزائر البحر الابيض  
أن تجرى السرعة الممكنة ما يتعلق باسطول الجزائر المذكورة من المصالح والتنظيمات  
الداخلية وترد الجزائر المذكورة كالأول لتضبطها دولتي العلية مصنونة من التعرض لانه  
نظر ألبعد المسافة لا يمكن تعيين وقت لذلك ونظر الاستعجال عزيمة اسطول روسيا ولكونها  
دولة مصافية فدولتي العلية تتعهد باعانة الاسطول المذكور في ايفاء لوازمه وباعطائه كل  
شيء في الوسع والامكان وما دامت عساكر روسيا موجودة في الممالك المستردة لدولتي  
العية على الصورة المذكورة حكومتها وما يتعلق بها من النظامات تستمر جارية فيها كما  
كانت في الوقت الذي كانت فيه بيدها والى حين خروج جميع عساكر روسيا من الممالك

المذكورين رسم سنوى من أى نوع كان أصلاً ( رابعاً ) الذين يرغبون فى ترك الوطن ويريدون التوجه الى بلاد أخرى تعطى لهم الرخصة من جانب دولتى العلية بنقل أموالهم وأشياءهم ولكى يكون لهم وقت كافى لتنظيم مصالحهم يمهلون مدّة سنة كاملة اعتباراً من تاريخ مبادلة التصديق على صك المعاهدة ( خامساً ) يلزم رجوع اسطول روسيا من مياه الدولة العلية فى مدّة ثلاثة أشهر من بعد مبادلة التصديق على هذا الصك واذا احتاج الاسطول لشيء فعلى دولتى العلية أن تعينه على قدر الامكان .

المادة الثامنة عشرة \* قلعة قابرون الواقعة فى بوغاز اوزى صوى مع مقدار كافى من الاراضى الكائنة فى ساحل الطرف الشمالى من النهر المذكور مع الصحراء الخالية الواقعة بين آق صوو واوزى صوى تبقى مستقلة على الدوام تحت تصرّف روسيا بلا معارضة

المادة التاسعة عشرة \* يكى قلعة الواقعة فى جزيرة القريم وجميع ما هو موجود داخل كرش ونغورها مع أراضيهما من البحر الاسود الى حدود كرش القديمة طولا لحدّ الحبل المسمى بوخارجه وسن بوخارجه على خط مستقيم من الاعلى الى بحر ازاك يبقى تحت تصرف روسيا على الدوام بلا معارضة

المادة العشرون \* بحسب مفهوم السندات التى عقدت بين الحاكم تولستوى وبين حسن باشا محافظ آجو بتاريخ سنة ١٧٠٠ ميلادية وسنة ١١٠٠ هجرية خصصت قلعة ازاك بحدودها الاولى الى دولة روسيا للأبد

المادة الحادية والعشرون \* وحيث ان القبارطين أى القبارطة الكبيرة والقبارطة الصغيرة لهما تعلق مع خانات القريم بسبب وقوعهما فى جوار طائفة التاتار قد أحيلت مادة تخصيصها لدولة روسيا الى خانات القريم ومشورتهم والى رأى رؤساء التاتار

المادة الثانية والعشرون \* قد تقرر بالاتفاق بين الدولتين محو وازالة جميع الشروط والعهود السابقة والعهد الواقعة فى قلعة بلغراد المنعقدة بينهما وما حدث بعدها من كافة الشروط محواً أبدياً وهو ان كلا من الدولتين المتعاقبتين لا يقوم بداعية ما من حيث العهود المذكورة ويستثنى من تلك الشروط الواقعة فى سنة ١٧٠٠ ميلادية بين الحاكم تولستوى وبين حسن باشا محافظ آجو فيما يتعلق بتعيين وتحديد حدود القلعة المذكورة وحدود قوبان فان الشروط المذكورة تبقى كالاول بلا تغيير

المادة الثالثة والعشرون \* ان قلاع بغداد جق وكوتانسى وشهر بان الكائنة فى حوالى كورجى ومكريل المستولية عليها عساكر الروسيا تقبلها دولة الروسيا على أن تكون هذه القلاع لاصحابها الاصليين وذلك انه بعد التحقيق اذا تبين ان دولتى العلية كانت مالكة لها منذ القديم أو منذ مدّة مديدة حينئذ تكون عائدة لدولتى العلية وبعد مبادلة التصديق على هذا الصك المبارك تحلى عساكر الروسيا القلاع المذكورة فى الوقت المعين ودولتى العلية تتعهد أيضاً بحسب مضمون المادة السابقة بان تشمل بالغفو جميع الذين صدرت منهم



وفي سائر المواضع المأخوذة بغير حق المتعلقة من القديم بالاديرة وبسائر الاشخاص فهذه جميعاً ردّ للمرسومين المعبر عنهم الآن بالرعايا (رابعاً) يكون لجماعة الرهبان الاعتبار بما يناسبهم من الامتياز (خامساً) يرخص للاعيان الذين يرغبون التوجه الى محل آخر بترك الوطن أن يتقلا أشياءهم بالحرية وأن يمهلوا مدة سنة للانتقال من وطنهم وذلك ليكون لهم وقت كافٍ لتنظيم مصالحهم وتعتبر هذه المهلة من تاريخ التصديق على الصك (سادساً) لا يصير تحصيل شيء لا نفوذ ولا خلاف ذلك من الحسابات القديمة مهما كانت (سابعاً) لا يصير تكليفهم ولا مطالبتهم بشيء عن مدة الحرب بتمامها بل نظراً لما صادفوه بأثناء امتداد الحرب من المضرات والتخريب قد أعطى بعد ذلك للمذكورين أيضاً مهلة سنتين تعتبر من تاريخ مبادلة صك التصديق الهمايوني (ثامناً) بعد انقضاء هذه المهلة تتعهد دولتنا العلية بمعاملتهم بالمروءة الكلية في أمر تعيين الجزية وتحافظ على سخائها الجليل على قدر الامكان ويصير تأدية جزيتهم بواسطة مبعوثهم مرة في كل سنتين وبعد أداء هذه الجزية بتمامها فلا يتعرض لهم أحد أصلاً كائناً من كان من باشا أو حاكم ولا يطالبون بشيء ما من اقتراحات الضرائب بأى اسم كانت بل يكونون متمتعين بالامتيازات التي تمتعوا بها في الزمن السعيد أيام سلطنة جدّى الاحبجد السلطان محمد خان الرابع (تاسعاً) يرخص لامراء هذه الحكومات أن يتم كل منهم من طرفه وكيلاً لدى دولتي العلية باسم مصلحتكدار ويكونوا هؤلاء الوكلاء نصارى من ملة الروم بدلاً عن القيوكة خدابات الذين كانوا يتعاطون رؤية أمور الملك وتجرى في حقهم من جانب دولتي العلية المعاملة بكمال المروءة وينالون ما يستحقونه بحسب قواعد الملل أى انهم يكونون معتبرين ومن كل تعرض آمنين ومصانين (عاشراً) تعطى الرخصة وتحصل الموافقة من جانب الدولة العلية الى سفراء امبراطورية روسيا بأن يتذكروا عند الاقتضاء فيما يتعلق بصيانة ومساعدة الحكومتين المذكورتين وتتعهد الدولة العلية برعاية ما يعرضه سفراء روسيا من المواد بحسب اعتبار الصداقة الائمة بالدولتين

المادة السابعة عشرة (أولاً) يلزم دولة روسيا أن ردّ الى دولتي العلية جزائر البحر الأبيض التي هي الآن تحت حكمها وتتعهد دولتي العلية بأن تجرى في حق أهل الجزائر المذكورة كمال الرعاية والعدل وتعاملهم بالعفو عن جميع أنواع القباحات المصرّح بها في المادة السالفة وعموم الافعال التي جرت بمظنة الخالفة لامور دولتي العلية فهذه جميعها تكون نسياناً مسياً ومعفى عنها بالكلية (ثانياً) لا يصير أدنى تعرض وتضييق على ديانة المسيحيين ولا يحصل ممانعة ما في أمر تعيين وتجديد الكنائس ولا يصير التعرض والمداخلة أصلاً في حق الاشخاص الذين يخدمون الكنائس المذكورة (ثالثاً) بسبب التكديرات والتخريبات التي أوورثها لهم هذه الحاربة من تاريخ وجودهم تحت حكومة دولة روسيا وبعد مرور سنتين من تاريخ استرداد الجزائر المذكورة لدولتي العلية لا يستحصل من أهالي الجزائر



وجهدا للحصول دولة روسيا على مرغوبها وتكفل حكومات الايلات المذكورة بانها تحافظ على العهد المرسومة

المادة الثالثة عشرة \* يلزم استعمال هذه العبارة في اللسان التركي (تماما روسيه لولرك بادشاهي) يعني (امبراطور جميع بلاد روسيا) من طرف دولتنا العلية في جميع السندات وعامة المكاتيب وفي كل خصوص اقتضى وضع هذا اللقب المعتبر أعني (تماما روسيه لولرك امبراطور بحجه سي)

المادة الرابعة عشرة \* يجوز لدولة روسيا أن تبني كنيسة على الطريق العام في محلة بك أوغلي في جهة غلطة غير الكنيسة المخصوصة قياسا على سائر الدول هذه الكنيسة هي كنيسة العوام وتسمى باسم كنيسة (دوسوغرنه) وتكون تحت صيانة سفير دولة روسيا الى الابد وتكون أمانة من كل تعرض ومداخلة وتصير حراستها

المادة الخامسة عشرة \* انه بتتضي النظام الذي به تعينت وتحددت حدود الدولتين يبعد عن الملاحظة وجود أمر يستوجب نزاع جسمي يوجب المباحثة لرعايا الطرفين لكن لاجل دفع أسباب المضار والخسائر المحتمل ظهورها من عوارض غير مأمولة قد وقع القرار بالاتفاق بين الدولتين انه عند حدوث أمر كهذا يجب على الحاكم الموجود على طرف الحدود أن يفتش على المادة التي حدثت أو انه يجري فحصها بمعرفة مأمورين يتعينون لذلك وبعد تفتيش المادة كما ينبغي يجرون احقاق الحق لصاحبه بلا تأخير وحصل التعهد الصافي بان مادة حسن النظام والموالة التي تمهدت حديثا وانهتت بهذه العهدة المباركة لا تتغير أصلا بحدوث قضايا كهذه

المادة السادسة عشرة \* ترد دولة روسيا لدولتي العلية مملوكة البوجاق مع قلاع اقكرمان وكلي واسماعيل وسائر القصبات والقرى بما فيها من جميع الاشياء وترد لدولتي العلية قلعة بندر أيضا وكذلك ترد لدولتي العلية اياقي الأفلاق والبغدان مع كافة قلاعها ومدنها وقصباتها وقرراها وما هو داخلها من جميع الاشياء وقد قبلت دولتي العلية الممالك المرقومة على الشروط الآتي بيانها وتعهدت بحفظ الشروط المذكورة تماما ووعدت بذلك وعدا معمولا به (أولا) يجري العفو عن أهالي هاته الحكومات الجديدة جميعا من أي قسم كانوا من المراتب والكيفيات والحال والاسم والوجهة بلا استثناء وأن تغضي عما ظن فيهم من الاعمال المغايرة وكل تهمة تتعلق بهم من الحركات التي كانت مخالفة لأمر دولتي العلية تكون نسبيا منسيا الى الابد وعلى موجب مضمون المادة الاولى يصير اعادتهم الى مناصبهم ورتبهم وترد أملاكهم السابقة ويعودون الى ما كانوا يملكونه من الاملاك قبل الحرب وتحدد أمورهم (ثانيا) الديانة المسيحية تكون من كل الوجوه حرة كالاول ولا يحصل ممانعة لاجرائها قط ولا يمنع احداث كنائس جديدة ولا ترميم الكنائس القديمة (ثالثا) الاراضي والاملاك الموجودة ضمن دائرة ابرائل وخوتين

ويكون كانه لم يكن ولا أحد من الدولتين يستفيد من مثل هذا شيئاً

المادة الحادية عشرة قد تقرر لاجل منفعة الدولتين سيرسفنهما وسفن تجارهما بلا مانع في جميع بحارهما وتعطى الرخصة من جانب دولتي العلية الى سفن روسيا وسفن تجارها بان تتمتع بالتجارة في كل الاسا كل وكل محل بالوجه الذي أجازته دولتي العلية فيها لسائر الدول وأن يكثوا في المعابر والنغور المتصلة بالبحار المذكورة وفي عموم المرافئ والشطوط الساحلية من البحر الابيض الى البحر الاسود ومن البحر الاسود الى البحر الابيض وكما صار البيان أعلاه بحق هذه المادة قد أعطيت الرخصة من جانب دولتي العلية الى رعايا دولة روسيا بان يجروا برأ مع أهالي ممالك دولتنا العلية ويكون لهم ما حصلت به المساعدة والمسألة والمعايات في التجارة البحرية الى أحب أصدقاءنا فرنسا وانكارتة ويسيرون على هذا النوال في نهر الطونة وعند ظهور أى نوع كان من الاحتياج سواء كان في أمر التجارة أو فيما يتعلق بنفس التجار أو بالجميع تراعى شروط الملتين المذكورتين وتعتبر على الوجه المحرر لفظاً بالفظ في هذه المادة ولتجار روسيا أن يتقلوا ويخرجوا كل نوع من الامتعة بعد ان يؤدوا الرسوم التي يعطيها غيرهم من الملل المذكورة ويجوز لهم أن يصلوا الى سواحل ومرافئ البحر الاسود وسائر البحار والى محروسة القسطنطينية وقد رخص لرعايا الطرفين بالتجارة وتسير السفن في عموم مياه المواضع المذكورة بلا استثناء وأعطيت لهم الرخصة من جانب الدولتين بالاقامة في بلادهما المدة اللازمة لادارة مصالحهم وتجارتهم وحصل التعهد بذلك من الطرفين بهذا الباب بان يكون لتجار روسيا أيضاً ما لرعايا سائر الدول المتحابة من الحرية والمسألة ولكون المحافظة على النظام في كل المواد هي من أزم الامور أعطيت الرخصة من جانب دولتنا العلية بتعيين قناصل ووكلاء قناصل من طرف دولة روسيا في عموم المواقع التي ترى انها لازمة لذلك ويعتبرون في سائر الامور مثل قناصل سائر الدول المتحابة وقد رخص لهؤلاء القناصل ووكلاء القناصل بان يستخدموا في معيهم مترجمين من المسلمين الخائزين برآتي الشاهانية المعبر عنهم ببرآتي ويكون لهؤلاء المترجمين ما لامثالهم الموجودين في خدمة انكارتة وفرنسا وسائر الملل من المعايات وأعطيت الرخصة من جانب دولة روسيا الى رعايا دولتي العلية بان يتاجروا برأ وبحراً في ممالك روسيا ويكون لهم ما لسائر الملل المتحابة مع روسيا من الامتيازات والمعايات وذلك بعد أداء الرسوم المعتادة وتجري المساعدة بكل وجه لسفن الدولتين التي تطرأ عليها الطوارئ في أثناء سيرها في البحر يعني عند وقوع حوادث تلزم لها الاعانة بما يلزم جانب سائر الدول الاوفر صداقة ويؤخذ لهذه السفن ما يلزمها من الاشياء بالاسعار الجارية

المادة الثانية عشرة اذا رغبت دولة روسيا أن تعقد معاهدة تجارية مع الافريقيين أى حكومات طرابلس الغرب وتونس والجزائر فدولتنا العلية تتعهد ببذل اعتبارها

بأنه قد هذه المصالح المباركة فلدولة روسيا أن تعين من طرفها في الاستانة (أنوبيانو) يعني سفيراً متوسطاً أو مرخصاً من الدرجة الثانية فيقيم دائماً لدى دولتنا العلية وعلى الدولة العلية أن تجري للسفير المسمى اليه بالنظر لرتبته مراسم الاعتبار والرعاية الجارية منها لسفراء الدول الأوفراعتباراً وإذا وقع احتفال رسمي عموماً وكان سفيراً مبراطور الألمان في رتبة رفيعة أو صغيرة فإنه يكون بعد سفير ندرلاند (أي هولندا أو الفلمنك) الكبير وإذا لم يكن لدولة ندرلاند سفير كبير فإنه يكون بعد سفير ونديك الكبير (أي البندقية)

المادة السادسة \* إذا وقعت سرقة أو تهمة عظيمة أو أمر غير لائق يستوجب التعذير من الذين هم بالفعل في خدمة سفير دولة روسيا فبعد التقرير يجب استرداد تلك الأشياء المسروقة بالتمام على الوجه الذي يبينه السفير والذين يتصورون قبول الدين الحمدي وهم في حالة السكر فلا يقبلون في الدين الحمدي بل بعد زوال السكر ورجوعهم إلى حالتهم الأصلية بعود عقولهم لرؤسهم يطلب منهم بيان أقرارهم واعترافهم في مواجهة من يرسله السفير أيضاً وأمام بعض المسلمين ممن ليس لهم غرض ثم يصير قبولهم على هذا الوجه

المادة السابعة \* تتعهد دولتنا العلية أن تصون حق الديانة المسيحية وكنائس المسيحيين صيانة قوية وتمنح سفراء دولة روسيا الرخصة بابرار التفهيمات المتنوعة عند كل احتياج سواء كان متعلقاً في الكنيسة المذكورة في المادة الرابعة عشرة الكائنة في محروسة القسطنطينية أو في صيانة خادميها وإذا عرض السفير المسمى اليه شيئاً ما بواسطة معتمده يتعاق بدولة مصافية ومحجورة لدولتي العلية فتتعهد دولتنا العلية بقبول المعروض والمعتمد

المادة الثامنة \* تعطى الرخصة التامة لرهبان دولة روسيا ولسائر رعاياها بزيارة القدس الشريف وسائر الأماكن التي تستحق الزيارة ولا يتكلف المسافرون ولا السائحون لدفع نوع من أنواع الجزية والخراج والويركو أصلاً ولا يطلب ذلك منهم أثناء الطريق لافي القدس الشريف ولا في سائر الأماكن وتعطى لهم الفرمانات بالوجه اللائق مع أوامر الطريق التي تعطى إلى رعايا سائر الدول والذين يقيمون منهم في أراضي دولتي العلية لا يمكن أن يحصل لهم تعرض ومداخلة بوجه من الوجوه بل تصير حمايتهم وصيانتهم تماماً بمقتضى قوة أحكام الشريعة

المادة التاسعة \* المترجمون الموجودون في خدمة سفراء روسيا المقيمين في محروسة القسطنطينية من أي ملة كانوا حيث خدموا أمورا الدولة وخدمتهم هذه راجعة للدولتين فانهم يعاملون بكمال المروءة والاعتبار ولا تجوز مؤاخذتهم في الأمور المكشوفة بها من طرف من هم بخدمته

المادة العاشرة \* لحين امضاء هذه المصالح المباركة وإيصال التنبيهات اللازمة من طرف سردارية عساكر الطرفين للمجالات المختصة إذا حدث خلال ذلك مخاصمة في أي محل كان لا يعد ذلك تعرضاً وما يحصل بسبب ذلك من الفتوحات والاستيلاء لا يعتبر



أن لا تكون تلك القبائل تابعة لدولة أجنبية بوجه ما والخانات المنتخبون من نسل آل جنكيز المستقلون في حكوماتهم باتفاق جميع طوائف التاتار يبقون على ما هم عليه يحكمون في الطوائف المرقومة بحسب قانونهم وعاداتهم القديمة بشرط أن لا يؤثروا ضريبة عن مادة ما لدولة من الدول الأخرى ودولتنا العلية ودولة روسيا لا يتداخلان في أمر انتخاب الخانات المسمى اليهم ونصبتهم ولا فيما يحدث من أمورهم المخصوصة ولا في أمور حكومتهم بوجه ما بل يكون حكمهم نافذاً في حكومتهم وفي الأمور الخارجية كدولة مستقلة مثل سائر الدول المستقلة وطائفة التاتار المرقومة تكون مقبولة ومعترفاً بكونها غير تابعة لأحد سوى الحق سبحانه وتعالى وحيث أن الطائفة المذكورة هي من أهل الإسلام وكون ذاتي السلطانية الموسومة بالعدالة هي أمام المسلمين وخليفة الموحدين فانها توجب على الطائفة المرقومة أن لا تنافي خلافاً في الحرية الممنوحة لدولتهم وبلادهم بل يجب أن تنظم أمورهم المذهبية من طرفي الهمايونى بمقتضى الشريعة الإسلامية وأراضى كرش وأراضى القلعة المسماة بالقلعة الجديدة التى خصصت لدولة روسيا والقصبة الواقعة بجانب قرى وقوبان ماعدا ثغورها والقلاع والاماكن والأراضى التى وقع الاستيلاء عليها وجميع الأراضى الواقعة بين مياه نهري برادونسكى ودى دادزى ومياه نهري آق صوو ووطورله حتى حدود مملكة (له) فهذه جميعها ترد للطوائف المرقومة وقلعة اوزى مع قطعها القديمة تبقى تحت تصرف دولتى العلية كالمسابق وبعد تكميل عهدة المصالحات تتعهد دولة روسيا باخراج جميع عساكرها من الممالك التاتارية وتتعهد دولتى العلية أيضاً بكف يداهما عنها ولها كلياً كان اوجزئاً من جميع أنواع القلاع والقصبات والمساكن وسائر الاشياء الواقعة في جزيرة القريم وجزيرة قوبان وطمان وأن لا ترسل فيما يأتى محافظاً عسكرياً للمحل المرقوم أو عساكر بل ترد الممالك المذكورة لطوائف التاتار المرقومة بالوجه المحرر وكما ان دولة روسيا جعلت الطوائف المرقومة غير تابعة لأحد ومستقلة حقيقة في حكومتها على وجه أن تكون الحرية المطابقة معمولاً بها فيها كذلك دولتنا العلية تتعهد بان لا ترسل فيما يأتى للقصبات والقلاع والأراضى والمساكن المذكورة محافظاً عسكرياً ولا غيره من زمرة عساكر السكبان أو غيرها كيفما كان اسمهم ونوعهم والحرية الممنوحة للطوائف المرقومة من طرف دولة روسيا تمنحها لها أيضاً دولتنا العلية مع الاستقلال بحيث لا تكون الطوائف المذكورة تابعة لأحد

﴿المادة الرابعة﴾ لما كان بمقتضى القواعد الأصلية المخصوصة بجميع الدول يجوز لكل دولة أن تجرى في ممالكها ما تراه مناسباً من النظام فلدولتين المتعاقبتين الرخصة الكاملة المطلقة بدون تقييدان تبنيما ما تستنسبه من القلاع والمدن والقصبات والابنية وأن يصلح كل منهما ومجدد ما يكون قديماً من قلاعهما وقصباتهما وسائر أملاكهما

﴿المادة الخامسة﴾ وحيث انه قد تبشر تجديد ما للجوار من حقوق الموالاة والمصافاة



وفي الثاني انها تقدم للروسيا المساعدات المقتضية للجلاء عما احتلته من جزائر الروم  
وسحب دونائتها منها وهذا نص معاهدة قينارجة نقلا عن ترجمة الجزء الاول من تاريخ  
جودت باشا

﴿المادة الاولى﴾ كل ما سبق وقوعه بين الدولة العلية ودولة روسيا من عداوة ومخاصمة  
قد محى وأزيل من الآن الى الابد وكل الاضرار والتعدييات التي صار الشروع في استعمالها  
واجرائها من الطرفين بالاتالات الحربية وبغيرها صارت نسبياً منسباً الى الابد ولا يجري  
بعد الآن ولا في وقت ما انتقام بل صار الصلح برأ وبجرأ عوضاً عن العدوان بوجه لا يعتره  
التغير بل يراعى وبصان من طرفي الهما يوني ومن طرف خلفائى الاماجد وكذلك يحفظ  
وبصان ما جرى عهد مع ملكة روسيا المشار اليها وحلفائهما من الاتفاق والموالات الصافية  
المؤبدة والسالمة من التغيير وتستمر هذه المواد جارية ومعتبرة بكمال الدقة والاهتمام وتكون  
قضية الموالات مرعية بهذه الصورة بين الدولتين وفي املا كهما وبين رعايا الطرفين بحيث  
لا تقع فيما بعد ضدية بين الفريقين لاسراً ولا جهراً ولا نوع من أنواع البغضاء والاضرار  
وبحسب الموالات والمصافاة المتجدتين تكون جرائم جميع الرعايا المنهمين لدى الدولتين  
وكيفما كانت تهمتهم بلا استثناء نسبياً منسباً ويعرض عنها بالسكية من الجهتين والذين  
أخذوا منهم ووضعوا في السجون يطلق سبيلهم وتعطى الرخصة برجوع الاشخاص الذين  
نقوا الى الجهات وبعد امضاء المصالحة ردت الهمة ما كانوا أحرزوه من الرتب والاموال  
والذين استحقوا منهم عقاباً من أى نوع كان لا يتعرض لهم بسبب ماصلاً أو بوسيلة ما أصلاً  
ولا بضرر وتأديب واذا تصدى أحد لضررهم والتعرض لهم يصير تأديبه وكل من  
المذكورين يكون تحت حماية ومحافظة القوانين ومن الواجب معاشرتهم بحسب عادات  
الولايات قياساً على الولايات المتاخمة

﴿المادة الثانية﴾ بعد تنقيح هذه العهدة المباركة ومبادلة صكوك التصديق اذا ظهر من  
بعض رعايا الدولتين عدم الطاعة أو خيانة أو انهموا بهمة أخرى ووجدوا في بلاد احدى  
الدولتين لقصد الاختفاء أو الالتجاء فهؤلاء ماعدا الذين دخلوا منهم في الدين الاسلامي في  
دولى العلية والذين تنصروا في دولة روسيا لا يقبلون أصلاً ولا تجرى لهم الحماية بل بالخال  
ردون الى بلادهم أو يطردون من بلاد الدولة التي التجأوا اليها وذلك حتى لا يحصل بين  
الدولتين بسبب اشخاص لا تقع فيهم أمر ينفضى الى البرودة بين الطرفين أو يكون باعثاً  
لبحث لا طائل تحته كذلك اذا حصل من أحد رعايا الطرفين سواء كان من الاسلام أو من  
زمرة المسيحيين ذنب أو تقصير وعلى أى ملاحظة كانت التجأ لحدى الدولتين فانه  
ينبغي رده عند طلبه بلا تأخير

﴿المادة الثالثة﴾ جميع قبائل القريم وطوائف بوجاق وقوبان وبديسان وجانبويق  
ويديجكول التانارية يصير قبولها والاعتراف بحريتها بلا استثناء من طرف الدولتين بشرط

## ٢٧ « السلطان الغازى عبد الحميد خان الاول »

ابن السلطان أحمد الثالث ولد سنة ١٨٣٧ هـ الموافقة سنة ١٧٢٤ م وقضى مدة حكم أخيه مصطفى الثالث محجوزاً في سرايته كما جرت به العادة وفي اليوم الثالث من توليته توجه في موكب حافل الى جامع أنى أيوب لتلقه سيف السلطان عثمان مؤسس هذه الدولة ولم يوزع على الجنود الانعامات المعتادة لضروب خزائن الدولة التي استنزفتها الحرب الاخيرة ثم أقر الصدر الاعظم محسن زاده وأغلب كبار الموظفين والقواد البرية والبحرية في مناصبهم لعدم وقوع الخلل في الاعمال أما الروسيا فكانت تستعد استعداداً هائلاً لرد ما فقدته من الاسم والشرف في أواخر أيام المرحوم مصطفى الثالث ولم يأت شهر يونيو سنة ١٧٧٤ الا وقد زحف القائد مارشال رومانزوف الروسى بعد ان انضم اليه ما جمع من الجيوش تحت قيادة (سواروف) وكرامنسكى وبعدهم مناورات ومناوشات اجتاز القائد مارشال نهر الطونة وسار قاصداً مدينة وارنه فالتقى مع الجيش الذى أرسله الصدر الاعظم من معسكره بمدينة (شوملا) تحت قيادة الرئيس أفندى عبدالرزاق وهزمه بالقرب من مدينة يقال لها (قوزليجق) في ١٤ يوليو سنة ١٧٧٤ وسار قاصداً معسكر محسن زاده الصدر الاعظم فطلب الصدر من رومانزوف المهادنة وتوقيف القتال وأرسل اليه مندوبين للاتفاق على عقد الصلح وقبول الشروط التي رفضتها الدولة عند اجتماع مؤتمر بوخارست فاجتمع المندوبان العثمانيان مع البرنس رابينس سفير الروسيا في مدينة قينارجيه وبعد محادثات طويلة واخذورد بين الطرفين قبل الصدر المعاهدة التي تم الاتفاق عليها في ٢١ يوليو سنة ١٧٧٤ وهى مكونة من ثمانية وعشرين بنداً أهمها استقلال تزار القرم وبسارابيا وقوبان مع حفظ سيادة الدولة العلية فيما يتعلق بالامور الدينية وتسليم كافة البلاد والاقليم التي احتلتها الروسيا الى خان القرم ماعدا قلعتى كريس ويكى قلعه ورد ما أخذ من أملاك الدولة بالقلاخ والبغدان وبلاد الكرج ومنكريل وجزائر الروم ماعدا قبرطه الصغيرة وقبرطه الكبيرة وآزاق وقالبورن وأن يعطى الى امبراطور الروسيا لقب باديشاه في المعاهدات والمحركات الرسمية وأن يكون للمراكب الروسية حرية الملاحة في البحر الاسود والبحر المتوسط وأن تبنى الروسيا كنيسة بتسم بيرا بالاساتانة ويكون لها حق حماية جميع المسيحيين التابعين للمذهب الارثوذكسى من رعايا الدولة وأن تكون كافة المعاهدات السابقة لاغية وغير ذلك ومن الغريب انه لم يذكر شىء فيها عن مملكة بولونيا (لهستان) سبب هذه الحرب التي عادت على الدولة باوخم العواقب

وأضيف الى هذه المعاهدة بندان سريان جاء في أحدهما أن الدولة تدفع الى الروسيا مبلغ خمسة عشر ألف كبسة بصفة غرامة حربية على ثلاثة أقساط متساوية في أول يناير سنة

مارث سنة ١٧٧٣ وأصدرت أوامرها للجيش باستئناف القتال بكل شدة خصوصاً في بلاد الطونة فانهمز الروس أمام مدينة روستوجوق وكذلك أمام مدينة ساستيريا التي حاولوا الاستيلاء عليها في ٣٠ مايو سنة ١٧٧٣ بعد أن قتل منهم ثمانية آلاف جندي وبمناسبة هذا الانتصار منح السلطان لقب غازي للقائد عثمان باشا الذي حى المدينة فتهقر الروس وفي رجوعهم مروا بمدينة بازارجق ولم يجدوا بها حامية قتلوا جميع من فيها من شيوخ ونساء وأطفال وبمجرد ما شعروا بقدوم الجنود المظفرة انسحبوا منها بكل سرعة تاركين أمتعتهم حتى قال المؤرخ (همر) ان العثمانيين وجدوا اللحم في القدر على النار وهذا مما يدل على ما وقع في قلوب الجنود الروسية من الرعب من الاسود العثمانية التي لولا عدم كفاءة أوقلة صداقة بعض قوادهم لما علموا للتهقر أو الهزيمة اسما

وفي ذلك الوقت كان على بيك الملقب بشيخ البلد الذي استقل تقيماً بشؤون مصر تخابر مع قائد الدونامة الروسية بالبحر الأبيض المتوسط ليمدّه بالذخائر والاسلحة حتى يتم استقلال مصر فساعدته القائد الروسي رغبة في وجود الحروب الداخلية في الدولة وبذلك أمكن على بيك فتح مدائن غزة ونابلس وأورشليم ويافا ودمشق وكان يستعدّ للسير الى حدود بلاد الاناطول اذ نازعليه أحد بيكوات المماليك وهو محمد بيك الشهير بأبي الذهب فعاد على بيك الى مصر لمحاربتة فانهمز

وبعد ان تحصن في القلعة التجهأ الى الشيخ طاهر الذي كان عاملاً على مدينة عكة من قبل الدولة العلية واستأثر بها واتحد معه على محاربة العثمانيين بالاتحاد مع الروس وتخليص مدينة صيدا التي كانوا يحاصرونها فسارا الى هذه المدينة والتقىا بالعثمانيين خارجها وانتصرا عليهم بمساعدة المراكب الروسية التي كانت ترسل مقدوفاتها على الجيش العثماني ثم أطلقت السفن الروسية قنابلها على مدينة بيروت فأخربت منها نحو ثلاثمائة بيت وبعد ذلك عاد على بيك الى مصر في محرم سنة ١١٨٧ الموافق ابريل سنة ١٧٧٣ لمحاربة محمد بيك أبي الذهب وانضم الى جيوشه أربعمائة جندي روسي فقاتلهم أبو الذهب عند الصالحية بالشرقية وفاز عليهم بالنصر وأسر على بيك وأربعة من ضباط الروس بعد ان قتل كل من كان معهم ورجعا الى مصر حيث توفي على بيك مما أصابه من الجراح فقتلع رأسه وسلم مع الاربعة ضباط الروسين الى الوالي العثماني خليل باشا وهو أرسلهم الى القسطنطينية

ثم توفي السلطان مصطفى الثالث في ٨ ذي القعدة سنة ١١٨٧ الموافق ٢١ يناير سنة ١٧٧٤ وبلغت مدّة حكمه ستة عشرة سنة وثمانية شهور وكان رحمه الله عادلاً محباً للخير وله عدّة ماثر خيرية كالمدراس والتكايا

ومن آثاره ان أنشأ في اسكدار جامعاً على قبر والدته ووقف عليه خيرات كثيرة وأصلح جامع السلطان محمد الفاتح التي زلزلت أركانه زلزلة شديدة وتولى بعده أخوه

عصيان على بك  
بمصر

وكانت نتيجة هذه الاصلاحات التي تمت بسرعة غربية ان هاجم القبطان حسن بك مع بعض السفن الحربية سفن الروس المحاصرة لجزيرة لمنوس سنة ١٧٧١ ولزمها رفع الحصار عنها بعدمقاتلة خفيفة وكوفئ حسن بك على هذا الانتصار بتعيينه قبطان باشا الدونانجات العثمانية ورقى الى رتبة باشا ومن جهة أخرى لم يفلح الروس في طرابزون التي أرادوا الاستيلاء عليها وبالاحتصار كان النصر حليف الجنود العثمانية برأ وبجراً الا في بلاد القرم فقد احتلها البرنس (دجوروكي) الروسي ثم أعلن بانفصالها عن الدولة واستقلالها تحت سيادة وحماية روسيا وأقام من يدعى جاهين كراي خاناً عليها باسم كاترينه الثانية وفي ٩ ربيع الاول سنة ١١٨٦ الموافق ١٠ يونيو سنة ١٧٧٢ تهدان القرهقان بناء على توسط النمسا والروسيا وأمضيت الهدنة في مدينة (جورجيو) من مدن البلغار وأرسل كل منهما مندوبيه للمخاطبة في شأن الصلح الى مدينة فوكشان بولاية البغدان فاجتمع المؤتمر أول اجتماع في ٩ جمادى الاولى سنة ١١٨٦ الموافق ٨ أغسطس سنة ١٧٧٢ وبعدها اتفق الجميع على امداد أجل المهادنة الى ٢٣ جمادى الثاني سنة ١١٨٦ الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٧٧٢ طلب مندوبو كاترينه الاعتراف باستقلال تتر القرم وحرية الملاحة لسفن الروسية التجارية في البحر الاسود وجميع بحار الدولة عليه ولما لم تقبل الدولة هذه الشروط انفض الجمع على غير جدوى ثم مدّت المهادنة سبعة أشهر واجتمع المؤتمر ثانياً في مدينة بخارست في ١٣ شعبان سنة ١١٨٦ الموافق ١٢ نوفمبر سنة ١٧٧٢ وفيه طلبت كاترينه باسنان مندوبها بطلبات أكثر اجحافاً بحقوق الدولة وأرسلت بها بلاغها ثانياً في ٢٣ القعدة سنة ١١٨٦ الموافق ١٥ فبراير سنة ١٧٧٣ وهي

﴿أولاً﴾ أن تنازل الدولة للروسيا عن حصن (كريش) ويكي قلعه حفاظاً لاستقلال التتار  
﴿ثانياً﴾ أن تمنح المراكب الروسية تجارية كانت أو حربية حرية الملاحة في البحر الاسود وبحر جزائر اليونان

﴿ثالثاً﴾ تسليم ما بقى من حصون القرم مع الدولة العلية الى التتار  
﴿رابعاً﴾ اعطاء جرجوار غيكا والى الفلاخ (وكان أسيراً في الروسيا) هذه الولاية له ولورثته الشرعيين بشرط دفع جزية معينة كل ثلاث سنوات مرة  
﴿خامساً﴾ التنازل عن مدينة (قالبورن) للروسيا وهدم حصون مدينة اوكرزاف (اوزي)  
﴿سادساً﴾ أن يعطى لقب باديشاه الى قيصر أو قيصره الروسيا في المعاهدات والمخاطبات السياسية

﴿سابعاً﴾ أن يكون للروسيا حق حماية جميع المسيحيين الارثوذكسيين في بلاد الدولة

فيظهر للمطلع على هذه الشروط أن كاترينه ما كانت تظن قبول الدولة لها بل جعلتها طريقة لاستمرار الحرب ولذلك رفضتها الدولة بكل شمم في ٢٨ ذى الحجة سنة ١١٨٦ الموافق ٢٢



الجزع على العساكر المارين فوقه وهموا بالرجوع الى معسكرهم وتبعهم بعض من كان قد وصل الى الشاطئ الا آخر ففرقت المراكب واستشهد نحو ستة آلاف جندي وصار من بقي منهم على الشاطئ الروسى هدفا لمدافعهم وبنادقهم الى صوبت اليهم من كل فج حتى قتلوا عن آخرهم في ١٧ جمادى الاولى سنة ١١٨٣ الموافق ١٨ سبتمبر ١٧٦٩

وبعد هذا الالهزام الذى لم يكن فيه للروس من خسران التزم مولدناوى على باشا بالتقهقر بعد اخلاء مدينة شوكرسيم فدخلها البرنس جالتسين واحتل على الفور اياك الفلاخ والبغدان وفي هذه الاثناء كانت رسل الروس تعمل على اثارة الخواطر في بلاد مورده حتى اذا استعدت الاهالى للثورة خرجت بعض المراكب الروسية من بحر بلطيق قاصدة بلاد اليونان بعد الطواف حول أوروبا الغربية واستولت على مدينة كورون باليونان لتشجيع الاروام على العصيان لاسكن لم تلبث هذه الفتنة ان اطفئت وخرجت مراكب الروس من ميناء كورون قاصدة جزيرة ساقز فالتقت بالمراكب العثمانية في المضيق المار بين الجزيرة وساحل آسيا وبعد ان استمر القتال عدّة ساعات انتصر العثمانيون ورجعوا بعد تمام النصر الى ميناء جشمه فتبعهم حرقاقتان من مراكب الروس ظنّ العثمانيون انهم فارّون من دونانمة العدو وآتون للانضمام اليهم فلم يعارضوهم في الدخول الى الميناء فبمجرد دخولهم ألقوا النيران على المراكب العثمانية فاشتعلت واحترقت عن آخرها باشتعال ما كان بها من البارود في يوم ١١ ربيع الاول سنة ١١٨٤ الموافق ٦ يوليو سنة ١٧٧٠

وبعد ذلك قصد الاميرال الروسى (الفنستون) الهجوم على مدينة القسطنطينية لعدم وجود ما يمنعه من الاستحكامات من المرور في بوغاز الدردنيل ولكن لم يوافق القائد (ارلوف) على ذلك ففضل احتلال جزيرة لمنوس قبل ذلك لتكون قاعدة لاعمالهم الحربية فحاصرها وتمكن في أثناء ذلك (البارون دى توت) (١) المجرى الذى دخل في خدمة الدولة العلية من تحصين مضيق الدردنيل وبناء القلاع فيه على ضفتيه وتسليحها بالمدافع الضخمة حتى صار المرور منه من رابع المستحيلات ثم حوّل عدّة مراكب تجارية الى سفن حربية بوضع المدافع فيها وزيادة على ذلك كافه السلطان مصطفى الثالث بانشاء مسبك لصب المدافع بالاستانة وبترتيب الطوبجية على المنظمات الجديدة فقام بالامر خير قيام وأسس مدرسة لتخريج ضباط للطوبجية وأركان حرب متعلمين الفنون العسكرية الحديثة وأخرى لتربية ضباط للبحرية كان مركزها بالترسانة تخرج منها في قليل من الزمن عدّة قباطين قادرين على أخذ الارتقاعات ورسم بعض الشواطىء بالطرق الهندسية المضبوطة

(١) ولد بفرنسا سنة ١٨٣٣ وتجنس بالجنسية الفرنسية واستخدم في سفارة فرنسا بالاستانة وفي سنة ١٧٦٧ عين قنصلها في القرم ثم استخدمه السلطان مصطفى الثالث فأخلص في خدمته وأصلح الطوبجية وحصن الدردنيل حتى صار من أحسن المعاول البحرية ثم عاد الى فرنسا وعين مفتشا عاما لمراكزها القنصلية بالشرق وبلاد الغرب ولما حصلت الثورة الفرنسية الشهيرة هاجر سنة ١٧٩٠ وأقام في بلاد المجر الى أن توفي سنة ١٧٩٣

عرضته عليهم روسيا فينبغي حينئذ لروسيا أن تصرف الافكار لمراقبة ما يحدث من النزاع والخلاف بينهما فإذا وقع ذلك فلا بد أن يحصل تعب للطرفين ويستتبع هذا مع الآخر وفي ذلك الوقت يجب على روسيا أن تنتظر الفرصة العظيمة وتسوق حالا معسكراتها المجتمعة أول بأول على ألمانيا فتحجم في تلك الجهات ثم تخرج قسمين كليين من السفن أحدهما من بحر ازاك المملوء بالمساكر الوافرة المجتمعة من أقوام الاناضول المتنوعة والثاني من ليمان ارخانكل النكاثنة في البحر المنجمد الشمالي فتسير هذه السفن وتعمّر في البحر الابيض والبحر المحيط الشمالي مع الاسطول المرتب في البحر الاسود وبحر البلطيق وتهمجم كالسيل على سواحل فرنسا واما ألمانيا فنها تسكون اذذاك مشغولة بحالها وبما ذكرناه تصبح الممالك المتاخمة لروسيا كدورن مغلوبيتين على هذه الصورة فالقطعة التي تبقى من أوروبا تدخل بالطبع تحت الانقياد بسهولة وبدون محاربة وتصبح جميع قطعة أوروبا قابلة للفتح والتسخير اه

ومع كل فأرادت الدولة استردالك مافات وأوعزت الى (كريم كراي) خان القرم أن يفتح باباً للحرب فصدع بالامر ولكي يجعل الحق من جهة الدولة احتال على بعض القوزاق التابعين للروسيا حتى أوقعهم في حيلة نصهباهم وأدت بهم الى التعدي على حدود الدولة العلية والاغارة على احدى المدن التابعة اليها وقتل بعض سكانها فأشهرت الدولة الحرب على روسيا وافتتحها كريم كراي بأن أغار بخيله ورجله على اقليم سربيا الجديدة الذي عمرته روسيا مع أن المعاهدات التي بينها وبين الدولة كانت تقضي عليها بتركه صحراء بدون استعمار ليكون فاصلا بين أملاك الدولتين وعمرته روسيا لمنع وصول المساعدة من خان القرم الى بولونيا عند ميسس الحاجة

وكانت نتيجة اغارة كريم كراي على هذه الولاية خراب كثير من المستعمرات الروسية وعودته بكثير من الاسرى وتوفي قبل أن تنتهي الحرب

ثم سار الوزير شانجي محمد أمين باشا الذي تولى الصدارة في جمادى الآخرة سنة ١١٨٢ بمحيوشه للدفاع عن مدينة (شوكريم) التي حاصرها البرنس جالسين الروسي فلم ينجح لعدم اتباعه الاوامر العسكرية الواردة اليه من السلطان المهتم بنفسه بامور الحرب ولو لم يقد الجيوش بذاته الشريفة وكان جزاء القائد المذكور أن قتل بأمر السلطان في ربيع الآخر سنة ١١٨٣ وأرسل رأسه الى الاستانة عبرة لغيره من القواد وعين مكانه في الوزارة والسرعسكرية مولدواني على باشا وكان أشدّ اهتماماً من سلفه بامور الجنود وكثرت اطلاعا على ضروب القتال لكن عاكسته الطبيعة وكانت هي السبب في تقهقره فانه حين كان يعبر مع جيوشه نهر (دينستر) على جسر من المراكب لمهاجم الجيش الروسي المعسكر على الضفة الاخرى زادت مياه النهر بفترة وفاضت على شواطئه بكيفية مريعة حتى استولى

ضبط البحر الاسود شيئاً فشيئاً وذلك لاجل انشاء دار صناعات بحرية فيه والاستيلاء على بحر البaltic أيضاً لانه أزم موقع لحصول المصود وللتعجيل بضعف بل بزوال دولة ايران لتمكين من الوصول الى خليج البصرة وربما تمكن من اعادة تجارة الممالك الشرقية القديمة الى بلاد الشام والوصول منها الى بلاد الهند التي هي بمثابة مخزن للدنيا وبهذه الوسيلة نستغنى عن ذهب انكارتز

﴿البند العاشر﴾ ينبغي الاهتمام بالحصول على الاتفاق والاتحاد مع دولة أوستريا والمحافظة على ذلك ومن اللازم التظاهر بترويج أفكار الدولة المشار اليها من جهة ما تبغى اجراءه من النفوذ في المستقبل في بلاد ألمانيا وأما باطناً فينبغي لنا أن نسعى في تحريك عروق حسد وعداوة سائر حكام ألمانيا لها وتحريك كل منهم لطلب الاستعانة والاستعداد من دولة روسيا ومن اللازم اجراء نوع حماية للدول المذكورة بصورة يتسنى لها فيها الحكم على تلك الدول في المستقبل

﴿البند الحادى عشر﴾ ينبغي تحريض العائلة المالكة في أوستريا على طرد الاتراك وتبعيدهم من قطعة الروملى وحينما نستولى على استانبول علينا أن نسلط دول أوروبا القديمة على دولة أوستريا حرباً أو نساكن حسدها ومراقبتها لنا باعطائها حصصاً صغيرة من الاماكن التي نكون قد أخذناها من قبل وبعده نسعى بنزع هذه الحصص من يدها

﴿البند الثانى عشر﴾ ينبغي أن نستميل لجهتنا جميع المسيحيين الذين هم من مذهب الروم المنسكين رياسة البابا الرومية والمتنشرين في بلاد الحجر والممالك العثمانية وفي جنوبى ممالك (له) ونجعلهم أن يتخذوا دولة روسيا مرجعاً ومعيناً لهم ومن اللازم قبل كل شىء احداث رياسة مذهبية حتى نتمكن من اجراء نوع نفوذ وحكومة رهبانية عليهم فنسعى بهذه الوسيلة لاكتساب أصدقاء كثيرين ذوى غيرة نستعين بهم في ولاية كل من أعدائنا

﴿البند الثالث عشر﴾ حينما يصبح الاسويجيون متشبتين والبرانيون مغلوبين واللاهيوون محكومين والممالك العثمانية مضبوطة أيضاً حينئذ نجتمع معسكراتنا في محل واحد مع المحافظة على البحر الاسود وبحر البaltic بقوتنا البحرية وعند ذلك نظهر أولاً لدولة فرنسا كيفية مقاسمة حكومات الدنيا بأسرها بيننا ثم لدولة أوستريا ويعرض ذلك على كل من الدولتين المشار اليهما كل منهما على حدة بصورة خفية جداً لقبول ذلك وحيث انه لا بد من أن احدهما تقبل بهذه الصورة فعند ذلك ينبغي مداراة واحترام كل منهما ونجعل من كان منهما قابلاً لعرضناه عليهم واسطة لتسكيل الاخرى واذ تكون دولة روسيا حينئذ قد ضبطت جميع الممالك الشرقية ويكون مثل ذلك أعظم قطع أوروبا حديثة الدخول في يد تصرفها فعنده يسهل عليها أن تقهر وتنسكل فيما بعد أية دولة بقيت في الميدان من الدولتين المذكورتين

﴿البند الرابع عشر﴾ على فرض الحال أن كلا من الدولتين المشار اليهما لم تقبل بما



﴿البند الثالث﴾ عند سنوح الفرصة ينبغي وضع اليد والمداخلة في جميع الامور والمصالح الجارية في أوروبا وفي اختلافاتها ومنازعاتها وعلى الخصوص في وقوعات ممالك ألمانيا الممكن الاستفادة منها بلا واسطة بسبب شدة قربها

﴿البند الرابع﴾ ينبغي استعمال أصول الرشوة لاجل القاء الفساد والبغضاء والحسد دائماً في داخلية ممالك (له) أي بولونيا وتفریق كلمتهم واسمالة أعيان الأمة ببذل المال واكتساب النفوذ في مجلس الحكومة حتى تتمكن من المداخلة في انتخاب الملك وبعد الحصول على انتخاب من هو من حزب روسيا من تلك الأمة ينبغي حينئذ دخول عساكر روسيا الى داخل البلاد لاجل حمايتهم والتعصب لهم باقامة العساكر المذكورة مدة مديدة هناك الى أن تحصل الفرصة لاتخاذ وسيلة تمسكتان الإقامة وعندما تظهر مخالفة في ذلك من طرف الدول المجاورة فلاجل اخمد نار الفتنة مؤقتاً ينبغي أن نقاسم المخالفين في ممالك (له) ثم نترقب الفرص لاسترجاع الحصص التي تكون قد أعطيت لهم

﴿البند الخامس﴾ ينبغي الاستيلاء على بعض الجهات من ممالك اسوج بقدر الامكان ثم نسعى في اغتنام وسيلة لاستكمال الباقي منها ولا نتوصل الى ذلك الا بوجه تضطرفه تلك الدولة الى أن تعان الحرب على دولة روسيا وتهاجمها والذي يلزم أولاً هو أن نصرف المساعي والهمة لاقاء الفساد والنفرة دائماً بين اسوج والدانمرك بحيث أن يكون الاختلاف والمراقبة بينهم دائماًين باقين

﴿البند السادس﴾ يجب على الاسرة الامبراطورية الروسية أن يتزوجوا دائماً بنات العائلة المالوكية الألمانية وذلك لتكثير روابط الزوجية والاتحاد بينهم واشترائهم في المنافع اذ بهذه الصورة يمكن اجراء نفوذهم في داخل ألمانيا وبريطون أيضاً الممالك المذكورة لجهة منافعتنا ومصالحنا

﴿البند السابع﴾ ان دولة انكتره هي الدولة الاكثر احتياجاً اليها في أمورها البحرية ولهذا الدولة فائدة عظيمة جداً أيضاً في أمر زيادة قوتنا البحرية فلذلك من الواجب ترجيح الاتفاق معها في أمر النجارة على سائر الدول وبيع محصولات ممالكنا كالأخشاب وسائر الاشياء الى انكتره وجلب الذهب من عندهم الى ممالكنا واستكمال أسباب الروابط والمناسبات متادياً بين تجار وملاحى الطرفين فيتوسع بهذه الوسيلة أمر التجارة وسير السفن في ممالكنا

﴿البند الثامن﴾ على الروسين أن ينتشروا بوما فيوما شمالاً في سواحل بحر البلطيق وجنوباً في سواحل البحر الاسود

﴿البند التاسع﴾ ينبغي التقرب بقدر الامكان من استانبول والهند وحيث أنه من القضايا المسألة أن من يحكم على استانبول يمكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها فلذلك من اللازم احدثات المحاربات المتتابعة تارة مع الدولة العثمانية وتارة مع الدولة الايرانية وينبغي



أوغست الثالث ملك بولونيا سمعت كاترين الثانية امبراطورة روسيا ( ١ ) التي تولت عقب قتل بطرس الثالث في تعيين عاشقها ستانسلال بونيا توسكى ملكا عليها باستعمال نفوذها في مجلس الامة عند الانتخاب خلافا لما تعهدت به للدولة العلية وما ذلك الا نفاذ السياسة بطرس الاكبر الفاضية بازالة الحواجز الثلاثة الحائلة بينها وبين أوروبا الغربية وهي السويد وبولونيا والدولة العلية وقد أزيل الحاجز الاول باستيلاء روسيا على جميع الولايات السويدية الفاصلة بينها وبين ألمانيا بحيث لم يبق للسويد أملاك خارجة عن بلادها الاصلية بمقتضى معاهدة ( في ستاد ) المبرمة بينهما سنة ١٧٧٢ وأزيل الثاني تقريباً بتعيين أحد أتباع الامبراطورة كاترين ملكا على بولونيا

ولذلك انتهت الدولة الى نتيجة هذه السياسة وعلمت أنها ان لم تضع حداً لتقدم نفوذ روسيا في بولونيا فلا تلبث هذه المماسكة أن تعجز عن العالم السياسي بانضمامها للروسيا أو بتجزئتها بينها وبين مجاورها لكن كان تنهها هذا بمدفوات الوقت المناسب فانه كان يجب عليها مساعدة السويد وبذل النفس والنفيس في حفظ ولاياتها الواقعة على بحر بلطيق من الوقوع في أيدي روسيا أولى من تركها غنيمة باردة لها ما يطعمها في الاستمرار في تنفيذ وصية بطرس الاكبر ويحمل بنا في هذا الموقع أن نأثي للمطالع بنص الوصية المذكورة وهما هي منقولة بحروفها من الجزء الاول من تاريخ جودت باشا

وصية بطرس  
الاكبر

البند الاول \* من اللازم أن تقاد العساكر دائماً الى الحرب وينبغي للأمة الروسية أن تكون متمادية على حالة السكفاح لتكون أليفة الوغاء وترك وقت لراحة العساكر أولاً لاجل اصلاح المالية وتوفيرها وان كان ضروريا يلزم أن يكون تنظيم المعسكرات متعاقباً وتكون مراقبة الوقت الموافق للهجوم متصلة أنا بأن وعلى هذه الصورة ينبغي لروسيا أن تتخذ زمن الصلح والأمان وسيلة قوية للحرب وهكذا من الحرب للصلح وذلك لاجل زيادة قوتها وتوسيع منافعها

البند الثاني \* في وقت الحرب ينبغي اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لاستيجلاب ضباط للجنود من بين الملل والاقوام الذين هم أكثر معلومات في أوروبا وكذلك في زمن الصلح يتعين استيجلاب أرباب العلم والمعارف منهم أيضاً ويلزم الانتماء بما يجعل الامة الروسية تستفيد من منافع سائر الممالك ومحسناتها بحيث أنها لا تضيع سعياً أصلا في تحسين الحسنيات الخصوصية بمملكاتها

(١) هي بنت البرنس ( انجلت زروست ) الالمانى ولدت سنة ١٧٢٩ وتزوجت بالامير الالمانى الذى عينته الامبراطورة اليزبيت وارثا لها في الملك ثم لما تولى زوجها الملك باسم بطرس الثالث استمالت كاترين أهالي روسيا اليها وعزلته في سنة ١٧٦٢ وبعد موته توجت هي امبراطورة للروسيا واشتهرت بالسهر على خطة بطرس الاكبر فستولت على بلاد القرم وقلمة ازاك وغيرها واقسمت مملكة بولونيا مع النمسا والبروسيا وتوفت سنة ١٧٩٧ وكانت محبة للعلوم مساعدة للعلماء على بث معارفهم في بلادها لكن دنت اسمها باتخاذها الاخلاء العديدين من رجال حكومتها بل ومن خدمها

محرم سنة ١١٦٩ الموافق ٢٢ اكتوبر سنة ١٧٥٥ وعين مكانه من يدعى مصطفى باشا ثم عزله في ٢٠ ربيع الاول سنة ١١٧٠ الموافق ١٣ دسمبر سنة ١٧٥٦ وعين مكانه محمد راغب باشا الشهير (١) وكان من فحول الرجال الذين تقبلوا في المناصب على اختلافها ومما زاده خبرة في أمور السياسة الاورباوية واطلاعا على دقائقها مباشرة تحرير معاهدة بلغراد بصيغة مكتوب بحجى واطلاعه على كافة المخبرات التي دارت بين الدولة والدول ذات الشأن للوصول الى ابرامها ثم توفي السلطان عثمان الثالث في ١٦ صفر سنة ١١٧١ الموافق ٣٠ اكتوبر سنة ١٧٥٧ بدون أن يحصل في أيام حكمه القلائل ما يستحق الذكر وكانت مدة حكمه ٣ سنين و ١١ شهراً وعمره ستون سنة وخلفه

### ٢٦ « السلطان الغازى مصطفى خان الثالث »

ابن السلطان أحمد الثالث المولود سنة ١١٣٩ وكان ميالا للاصلاح محبا للتقدم بلاده خصوصاً وزيره الاول راغب باشا الذى مر ذكره فأخذ هذا الوزير في اصلاح بعض الشؤون بمساعدة السلطان وتعضيده فعهد بادارة الاوقاف العمومية الى أحد أغوات السراى (قنزل أناسى) وأسس مستشفيات للحجج على الواردات الخارجية اذا كانت الاوبئة منتشرة في الخارج لعدم تعدد بها الى الممالك المحروسة وأنشأ مكتبة عمومية على مصاريفه الخاصة وفكر في طريقة غريبة لتسهيل المواصلات داخل المملكة منعاً لحصول الغلاء والمجاعات في احدى الولايات وذلك أن يصل بين نهر الدجلة وبوغاز الاستانة بخليج عظيم تستعمل الانهار الطبيعية مجرى له على قدر الامكان فيسهل نقل الغلال من أطراف المملكة الى الاستانة فيمتنع عنها الغلاء كلية وهو مشروع جليل يقدره العارفون حق قدره ولوأمله المنون لأئمه وسبق المسعودى لسبس الى ابحمال بحر الروم بخليج فارس فالحيط الهندى اسكنه توفى رحمه الله في ٢٤ رمضان سنة ١١٧٦ الموافق ٨ أبريل سنة ١٧٦٢ ولم يجد مشروعه منفذاً حتى الآن

وبعدموت هذا الوزير الجليل انتشب الحرب بين الدولة العلية والروسيا وذلك انه لما توفى

(١) محمد راغب باشا صاحب السقينة المشهورة هو ابن رجل من كتاب المالية اجتهد في تحصيل العلوم والمعارف حتى نفع فيها وعين في عدة وظائف حسابية وكتابية مهمة في الجيوش الحاربة في بلادهم ثم عد الى الاستانة ووظف بمأمور الادارة الخارج ثم بعد ان انتقل الى عدة وظائف أخرى تدل على ثقة الحكومة به واعتادها على أمانته عين بوظيفة كاتب بالصدارة العظمى فحضر المخبرات التي دارت مع مندوبى نادر شاه للوصول الى الصلح وكذلك كانت له اليد الطولى في ابرام معاهدة بامراد وبعدها عين بوظيفة رئيس أفندى التي تماثل وظيفة ناظر الخارجية الان ثم عين واليا على مصر فولاية آيدى فجلب وأخيراً عين صدراً أعظم سنة ١١٧٠ واستمر في الصدارة ست سنوات حتى توفي في ٢٤ رمضان سنة ١١٧٦ وله عدة تأليف مهمة في السياسة وديوان مشهور وكان محبا لتقدم العلوم وأسس بالاستانة مدرسة عالية ألحق بها مكتبة جمعت أنفس الكتب وأندر المؤلفات

أنها تعد من الغلطات المهمة التي عادت على الدولة بوخيم العواقب لانها أضاعت فرصة لو انتهزتها لفازت بالقدح المعلى واسترجعت مافصل عنها من الفتوحات بدون كثير عناء وهناك غلطة أخرى ارتكبها رجال الدولة وهي نزع السلطة في اقليمى الفلاخ والبغدان من أشراف البلاد خوفاً من تمردهم وطلبهم الاستقلال وتعيين بعض أغنياء الروم من تجار الاستانة قرالات ممتازين فيهما في مقابل جعل سنوى يدفع للخزانة السلطانية وكانت تعطى لمن يدفع خراجاً أكثر من غيره وظاهر أن من يقدم على التعهد بمثل هذه المبالغ الطائلة عازم ولا شك على الحصول على ما يدفعه أضعافاً مضاعفة من دماء الاهالى فاستبدّ هؤلاء المعينون بالسكان وساموهم الذل والخسف وقتكوا بالأشراف الاصليين وقتلوا كل من خالفهم منهم وابعوا ألقاب الشرف جهاراً حتى انقرضت أغلب العائلات الاثيلة في المجد وحلت محلها عائلات جديدة أغلبها من تجار الاروام الذين اشتروا الألقاب بدرهم معدودة وكانت نتيجة هذه السياسة أن سئم الاهالى هذه السلطة ومالوا بكليتهم الى الروسية ووجهوا أنظارهم لها معتقدين أنها ستكون منقذتهم من هذه المظالم المستمرة ولو أنصفت الدولة لجلت لهما ولايتين بدون امتيازات تتناوبها الولاة فما كانت تطمح الى الاستقلال الادارى فالسياسى

وفي يوم الجمعة ٢٧ صفر سنة ١١٦٨ الموافق ١٣ دسمبر سنة ١٧٥٤ توفى السلطان محمود الاول بالغا من العمر ستين سنة مأسوفا عليه من جميع العثمانيين لاتصافه بالعدل والحلم وميله للمساواة بين جميع رعاياه بدون نظرفئة دون أخرى وكانت مدة حكمه ٢٥ سنة وفي أيامه السعيدة اتسع نطاق الدولة باسيا وأوروبا ومحت معاهدة بلغراد ملحق بالدولة من العار بسبب معاهدة كارلوفتس ومن آثاره الحسنة تأسيس أربع كتيبخانات أحقها بجوامع آياصوفيا ومحمد الفاتح والوالدة وغلطة سراى ومن وزرائه الذين تركوا لهم فى التاريخ اسما طوبال عثمان باشا وحكيم زاده على باشا

## ٢٥ « السلطان الغازى عثمانه الثانى »

ولد هذا السلطان فى سنة ١١١٠ هـ الموافقة سنة ١٦٩٦ م وبعد أن تقلد السيف فى جامع أبى أيوب الانصارى على حسب العادة القديمة وأبقى كبار الموظفين فى وظائفهم عين فى منصب الصدارة العظمى نشأ على باشا بدل محمد سعيد باشا الذى سبق تعيينه صدراً بعد عودته من مأموريته فى فرانسفا فاعتمد على باشا هذا على ميل السلطان اليه وسار فى طريق غير حميد حتى أهاج ضده الاهالى أجمع واكون السلطان كان من عادته المرور ليلا فى الشوارع والازقة متنكراً لتفقد أحوال الرعية والوقوف على حقيقة أحوالهم سمع أثناء تجواله بما يرتكبه وزيره من أنواع المظالم والمغارم وبعد أن تحقق ما نسب اليه بنفسه أمر بقتله جزاء له وبوضع رأسه فى محن من القضة على باب السراى عبرة لغيره فقتل فى ١٦



للتجار الفرنسيين وأمضى الطرفان هذه المعاهدة الجديدة في ١٧ سبتمبر سنة ١٧٤٠ وهي عبارة عن معاهدة سنة ١٦٧٣ مع بعض تسهيلات جديدة لفرنسا وتجارتها وأرسل السلطان سفيراً من طرفه اسمه محمد سعيد ليقدّم صورة المعاهدة الى ملك فرنسا لويس الخامس عشر مع كثير من الهدايا الثمينة فقابله الملك بالاحتفاء والاكرام الاتق بمقام مرسله السامي وعند عودته شيعه بالتبجيل والاحلال وأرسل معه مركبين حربيين وجملة من المدفعية الفرنسيين هدية منه للخليفة الاعظم ليكونوا معلمين في الجيوش العثمانية فيمروا الجنود المظفرة على المنظمات الجديدة التي أدخلها (لوفوا) الشهير في الجيوش الفرنسية

وبعد ذلك بقليل توفي شارل السادس امبراطور النمسا في ٢٠ من شهر اكتوبر سنة ١٧٤٠ وتولت بعده ابنته (مارية تيريزه) (١) فالتحّت فرنسا مع بعض الدول على محاربة هذه الملكة واقتسام أملاكها لما بين فرنسا والعائلة الحاكمة في النمسا من الضغائن القديمة وسعى فرنسا دائماً في اذلال النمسا وهدم أركان سلطتها وبسبب موت هذا الملك حصلت الحرب الشهيرة بين فرنسا والنمسا المعروفة في التاريخ بمحاربة ارث ملك النمسا التي استمرت عدّة سنين وانتهت بفوز ماريه تيريزه على فرنسا لما لا يدخل في موضوع هذا الكتاب ولما ابتدأت هذه الحرب أظهرت فرنسا للدولة العلية بواسطة سفيرها لدى الباب العالي ما يعود عليها من الفوائد والتحدت معها على محاربة النمسا وعرضت عليها احتلال بلاد المجر واسترجاعها الى أملاكها بحيث ترجع الدولة الى ما كانت عليه من الاتساع أيام سليمان الاول القانوني ويمكنها بعد ذلك مقاومة روسيا والوقوف في طريق تقدمها وأبانت لها انها ان لم تفعل ذلك تتمدّت الروسية شيئاً فشيئاً وقويت شوكتها تدرجاً حتى يخشى منها على وجود الدولة ولا يخفى انها ملاحظات صادقة ولوائها صادرة من فرنسا طمعاً في نوال غايتها وهي اذلال النمسا الا أنه كان يجب على رجال الدولة النظر اليها بعين الاعتبار فان هذه فرصة لم تجدّد بعد لكن قضت التقادير الالهية أن لا تصفى الى هذه النصائح حياً في السلم وعدم اراقه دماء العباد والاشتغال بالاصلاحيات الداخلية وكتبت الى الدول ذات الشأن تدعوهم للتصالح وهذه سياسة صادرة عن احساسات شريفة الا

(١) ولدت في سنة ١٧١٧ وتزوجت بالدوك دي لورين سنة ١٧٣٦ ولعمد وجود اخوة لها أوصي لها والدها شارل السادس بالملك لكن لما توفي سنة ١٧٤٠ لم يعترف ملكا روسيا وفرنسا بهذه الوصية بل أغر ملك بروسيا علي اقليم سيليزيا وادعي أمير بافوريا الاحتمية في الملك وساعده فرنسا علي ذلك وتوجه امبراطوراً باسم شارل السابع ثم تركت بلاد النمسا والتجّت الي بلاد المجر حيث أقسم لها أشرافها بمساعدتها حتى المات فجعمت الجيوش وبعد ان استمر الحرب خمس سنين توفي شارل السابع متزعزعا في الملك وانتخب زوجها امبراطوراً باسم فرنسوا الاول وفي سنة ١٧٤٨ فزت بالنصر بمساعدة انكلترا وأمضت معاهدة (اكس لا شابل) ثم حاربت البروسيا بمساعدة فرنسا لاسترجاع اقليم سيليزيا وهي الحرب المروقة بحرب السبع سنين فلم تقلع وفي سنة ١٧٧٢ شاركت روسيا والبروسيا في تقسيم بولونيا وتوفيت سنة ١٧٨٠



سبق شرحها لتتفرغ لصدد هجمات الروس

ولحسن حظ الدولة كان قد تقلد منصب المصدرة رجل محنك اشتهر بحسن السياسة وسمو الادراك وهو الحاج محمد باشا فلم يغفل طرفه عين عن جمع الجيوش وتجهيز المعدات حتى أمكنه في أقرب وقت إيقاف تقدم الروس الذين كانوا قد احتلوا اقليم البغدان ودخلوا مدينة ياسي عاصمة هذا الاقليم ومن جهة أخرى انتصرت الجيوش العثمانية على جيوش النمسا التي أغارت على بلاد البوسنة والصرب والفلاخ فانتصر المسلمون في الصرب وأجلاوا النمساويين على الجلاء عنها تاركين في كل موضع قدم جثث رجالهم وتمهقروا الى ماوراء نهر الدانوب في سنة ١٧٣٧ واستمر الحال على هذا المنوال مما تنوى عهده في الدولة من النصر والفوز على الاعداء حتى طلبت النمسا الصلح بواسطة المسيو (فلنوف) سفير فرنسا فقبل التوسط بكل ارياح وسار الى معسكر الصدر الاعظم وعرض عليه الصلح بالنيابة عن النمسا فاشتراط شروطا ما كانت النمسا لتقبلها لولا انتصار المسلمين على قائدها الشهير (وليس) في يوم ٢٣ يوليو سنة ١٧٣٩ فكان هذا الفوز الاخير أكبر مساعدا للوصول الى الصلح الذي تم بينهما وبين الروسية في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١١٥٢ الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٧٣٩ على أن تتنازل النمسا للدولة العلية عن مدينة باغراد وما أعطى لها من بلاد الصرب والفلاخ بمقتضى معاهدة ساروفتس أما الروسية فتعهدت قيصرتها (حنة) (١) بهدم قلاع ميناء آراق وعدم تجديدها في المستقبل وعدم انشاء سفن حربية أو تجارية بالبحر الاسود أو بحر آراق بل تكون تجارتها على مراكب أجنبية وبأن ترد للدولة كل ما فتحته من الاقاليم والبلدان وسميت هذه المعاهدة بمعاهدة بلغراد وبذلك انتهت هذه الحرب باسترداد جزء عظيم مما فقدته الدولة من ممالكها بمقتضى معاهدة كارلوفتس بضعف وعدم كفاءة أو عدم صداقة وإخلاص بعض الوزراء مما جعل الدولة على شفا جرف هارولوا خلاص هؤلاء الوزراء وجعلوا ترقية شأن الدولة نصب أعينهم ونبذوا الغايات الشخصية ظهرا بالما فقدمت شبرا من أرضها ولكن يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الاباب وبعد ذلك بذل المسيو (فلنوف) سفير فرنسا جهده في اقتناع الباب العالي بضرورة الاتحاد مع السويد لمحاربة الروسية لوتعدت على أحدهما خوفا من أن يلحق بهما تباعا ما أودى ببولونيا وجعلها خاضعة فعلا لا واما الروسية فافتنعت الدولة وأبرمت مع السويد محالفة هجوم ودفاع ضد الروسية في سنة ١٧٤٠ وفي هذه السنة تحصل سفير فرنسا على تجديد الامتيازات القنصلية وكافة المزايا المنوطة

(١) حنة ابوانوفنا امبراطورة الروسية هي بنت (ابوان) أخي بطرس الاكبر ولدت سنة ١٦٩٢ وتوفيت سنة ١٧٤٠ تزوجت بدوك كوسلاند وتولت ملك الروسية سنة ١٧٣٠ عقب موت بطرس الثاني واتحدت مع النمسا في مسألة وراثة عرش بولونيا ونجحت في انتخاب أوغست الثالث ملكا لها وحاربت الترك من سنة ١٧٣٥ الى سنة ١٧٣٩ بدون فائدة تذكر وكانت سياسة ألمانيا سائدة في بلادها بمساعي ودسائس خليفها الالمانى المدعو (جان بيرن)

فاسرع الوزير طوبال (أى الاعرج) عثمان باشا الى محاربتة وجرت بينهما مائدة وقائع قتل فيها عثمان باشا المذكور فطلبت الدولة الصلح وبعد مخاضرات طويلة اتفق مندوب الدولة مع نادرخان فى ١٨ جمادى الاولى سنة ١١٤٩ الموافق ٢٤ سبتمبر سنة ١٧٣٦ فى مدينة تفليس حيث نودى بنادرخان ملكا على العجم على أن ترد الدولة الى العجم كل ما أخذته منها وأن تكون حدود الدولتين كما تقرر بمعاودة سنة ١٦٣٩ المبrome فى زمن السلطان الغازى مراد الرابع

• معاودة بلنراد

وفى غضون ذلك قامت الحرب بين الدولة والروسية بسبب مملكة بولونيا وذلك أن كل من روسيا والنمسا والبروسيا اتفقت فى سنة ١٧٢٢ بمقتضى اتفاق سرى على أن لا يجوز تعيين ملك وطنى على بولونيا خوفا من اتحاده مع الالهالى الامر الذى يكون من ورائه استقامة أحوال هذه المملكة الداخلية مع ان قصد روسيا وجود الاضطرابات بها دائما حتى تضعف كلية فتستولى عليها باجمعها أو تقسمها مع مجاورها تبعا لمسايسة بطرس الاكبر القاضية بالسعى فى تلاشى دولتى السويد وبولونيا فالدولة العلية فلما توفى اوغست الثانى ملك بولونيا انتخب الالهالى فى سنة ١٧٣٣ ستانسلاس لسكنيسكى ملكا عليهم بسعى فرنسا التى كان من صالح سياسيتها بقاء بولونيا فى العالم السياسى عزيزة الجانب يحكمها ملك من أهلها

فاعلنت روسيا والنمسا الحرب على بولونيا ونادرا باغوست الثالث ابن اغوست الثانى ملكا عليها ولولم ينتخبه الالهالى ومن جهة أخرى أشهرت فرنسا الحرب على النمسا دفاعا عما لبولونيا من الحق الصريح فى انتخاب من تريد وسعت لدى الباب العالى بواسطة المسيو دى بونفال الذى خدم الدولة بعد ان أسلم واشتهر فيها باسم أحمد باشا قائد الطوبجية لاستمالته للدفاع عن استقلال بولونيا الحاجز الحصين بينها وبين روسيا موضحة لها سياسة هذه الدولة الطامحة أنظارها لامتلاك القسطنطينية كما أوصى لها بذلك بطرس الاكبر فلم يصغ وزراء الدولة لندائها لجهل فى السياسة أولا سباب أخرى ولذلك تغلبت روسيا على ستانسلاس واحتلت جنودها مملكة بولونيا بأسرها ووزراء الدولة لاهون عن نتائج هذه السياسة الوخيمة التى ربما كانت السبب فى وصول الدولة الى الدرجة التى هى عليها الآن ولما أحسست النمسا ان فرنسا تسعى وراء التحالف مع الدولة فخشيت من حصول هذا الاتفاق الذى يكون نتيجة عدم نجاح مسعاها مع روسيا فى بولونيا أسرع فى ارضاء فرنسا فأبرمت معها معاودة وانه فى سنة ١٧٣٥ وأخذت فى التآهب والاستعداد للاشتراك مع روسيا فى محاربة الدولة وأوعزت الى روسيا بافتتاح القتال فأتخذت هذه الاخيرة مرور بعض قوزاق القرم من أراضيها فى مارت سنة ١٧٣٦ متجهين الى بلاد الكرج لمساعدة الدولة ضد العجم حجة لا إعلان الحرب وأغارت بكل قواها على بلاد القرم واحتلت مينا آزاق وغيرها من المنغور البحرية وهو ما حدى بالدولة الى ابرام الصلح مع نادرشاه بالكيفية التى

يتعدى اذاهم الى شخصه سلم لهم بقتل الوزير والاميرال دون المفقى فقبلوا وألقوا جثثهم الى البحر لكن لم يمنعهم انصياع السلطان لطلباتهم من التناول اليه بل جرأهم تساهله معهم على العصيان عليه جهاراً فاعلنوا باسقاطه في مساء اليوم المذكور عن منصبة الاحكام ونادوا بابن أخيه السلطان محمود الاول خليفة للمسلمين وأميراً للمؤمنين فاذعن السلطان أحمد الثالث ونسازل عن الملك بدون معارضة وكانت مدة حكمه ٢٧ سنة و ١١ شهراً

ومما يذكر في التاريخ لهذا الملك ادخال المطبعة في بلاده وتأسيس دار طباعة في الاستانة العلية بعد اقرار المفقى واصداره الفتوى بذلك مشترطاً عدم طبع القرآن الشريف خوفاً من التحريف واسترجاع اقليم موره وقلعة آراق وفتح عدة ولايات من مملكة العجم وبقي معزولاً الى ان توفي في سنة ١١٤٩

## ٢٤ « السلطان الغازي محمود شاه الاول وظهور نادر شاه »

هو ابن السلطان مصطفى الثاني ولد في ٤ محرم سنة ١١٠٨ الموافق ٣ أغسطس سنة ١٦٩٦ ولما تولى لم يكن له الا الاسم فقط وكان النفوذ لطبرونا خليل يولى من يشاء وعزل من يشاء تبعاً للاهواء والاعراض حتى عيل صبر السلطان من استبداد وتجمهر حوله رؤساء الانكشارية لتعدى هذا الزعيم على حقوقهم واثقوا على العذر به تخلصاً من شره فقتلوه ولم يقو محاربوه على الاخذ بثأره بل اطفئت ثورتهم في دماهم وبذلك عادت السكينة للمدينة وأمن الناس على أموالهم وأرواحهم

وبعد استتاب الامن استأنفت الدولة الحرب مع مملكة الفرس وتغلبت الجيوش العثمانية على جنود الشاه طهماسب في عدة وقائع اهرقت فيها الدماء مدراراً فطلب الشاه الصلح وتم بين الدولتين الامر في ١٢ رجب سنة ١١٤٤ الموافق ١٠ يناير سنة ١٧٣٢ على ان تترك مملكة العجم للدولة العلية كل ما فتحته ماعدامدائن تبريز وأردهان وهمدان وباقي اقليم لورستان لكن عارض نادرخان (١) أكبر ولاية للدولة في هذه المعاهدة وسار بجيوشه الى مدينة أصفهان وعزل الشاه طهماسب وولى مكانه ابنة القاصر عباسا الثالث وأقام نفسه وصياً عليه ثم قصد البلاد العثمانية وبعد ان انتصر على جنود الدولة حصر مدينة بغداد

(١) لم يكن هذا القائد من احدى العائلات الملوكة بل غاية ما يلعب عنه انه ولد في بلاد خراسان سنة ١٦٨٨ م تقريباً وبعد ان اشتغل في مهن كثيرة مختلفة ألف عصابة متسلحة للسلب والنهب واستولى على خراسان واستبد بها أثناء الاضطرابات التي أعقبت موت الشاه حسين في سنة ١٧٢٢ ثم دخل في خدمة الشاه طهماسب وحارب معه مقتضي الملك من الافغان ثم لما قبل الشاه المذكور معاهدة ١٢ رجب سنة ١١٤٤ عزله نادرخان وأقام مكانه ابنه الرضيع عباسا الثالث وبعد أربع سنوات توفي عباس هذا واغتصب نادر الملك وحارب الموغول في الهند وفتح مدينة دهلي وأخيراً قتله بقواد جيوشه سنة ١٧٤٧ لظلمه واعتسافه



بوزراء الدولة العلية نفسها ووضع أول حجر لهذا المشروع باضافة البند المتعلق ببولونيافي  
المعاهدة الجديدة

تقسيم مملكة العجم بين العثمانيين والروس وعزل السلطان الغازي أحمد الثالث  
هذا ولما تولى من يدعى داماد ابراهيم باشا منصب الصدارة سنة ١١٣٠ هـ أراد ان  
يستعيز عمافقده الدولة من ولايات أوروبا بفتح بلاد جديدة في جهة آسيا ولقد أتاح له  
الحظ حصول انقلابات ببلاد العجم بسبب تنازل الشاه حسين عن الملك جبراً الى مير محمد  
أمير أفغانستان فأسرع الصدر ابراهيم باشا باحتلال أرمينيا وبلاد الكرج لكن كان سبقه  
بطرس الأكبر واجتاز جبال القوقاز التي كانت تحد بلاده من جهة الجنوب واحتل إقليم  
طاغستان مع كافة سواحل بحر الخزر الغربية فكادت الحرب تقوم بين الدولة والروس  
ولعدم امكان الروس مقاومة الجيوش العثمانية وتحقق بطرس الأكبر من عدم اقتداره  
على محاربتها طلب من سفير فرنسا باللاستانة المسمى (دوبو) أن يتوسط بينهما فقبل هذه  
الامورية ووفق بين الطرفين بان يمتلك كل منهما ما احتله من البلاد وقبلت الدولتان ذلك  
وأضمتا بهذه الشروط معاهدة بتاريخ ٢ شوال سنة ١١٣٦ الموافق ٢٤ يونيو سنة

١٧٢٤

أما الفرس فلم يقبلوا هذا التقسيم المزري بشرفهم والقاضى بضياح جزء ليس بقليل من  
بلادهم بل قاموا كرجل واحد لمحاربة الاجانب واخراجهم من ديارهم لكن لم تكن  
شجاعتهم كافية لصد هجمات العثمانيين الذين فتحوا في سنة ١٧٢٥ عدة مدن وقلاع  
أهمها مدائن همدان واريوان وتبريز وساعد ذلك تسلط القوضى في داخلية ايران  
وتنازع كل من الشاه أشرف الذي قتل مير محمد أمير أفغانستان والشاه طهماسب ملك  
ساسان وانتهت هذه الحرب بالصالح مع الشاه أشرف في ٢٥ صفر سنة ١١٤٠ الموافق  
١٣ اكتوبر سنة ١٧٢٧ انالمات الشاه أشرف وانقرط طهماسب بالملك طلب من  
الدولة العلية أن ترد إليه كل ما أخذته من بلاد أجداده فلم تجبه الدولة ولذا أغار على بلادها  
ولعدم ميل السلطان الى الحرب ورغبته في الصلح ثار الانكشارية وأهاجوا الاهالى  
فأطاعوهم طلباً للسلب والنهب في ١٥ ربيع الأول ١١٤٣ الموافق ٢٨ سبتمبر سنة ١٧٣٠  
وطلب زعيم هذه الثورة المدعو (بترونا خليل) من السلطان قتل الصدر الاعظم والمفتي  
وقبودان باشا أى أميرال الاساطيل البحرية بحجة انهم مائلون لمسالة العجم فامتنع  
السلطان عن اجابة طلبهم ولما رأى منهم التصميم على قتلهم طوعاً أو كرهاً فخوفاً من أن

سنة ١٧٤٨ وفي سنة ١٧٥٦ ابتدأت الحرب المعروفة بحرب السبع سنين التي أخذت انكلترا في خلالها  
اقليم كندا بأمريكا وغيرها من المستعمرات الفرنسية وانتهت بمعاهدة باريس سنة ١٧٦٣ واشهر هذا  
الملك بعدم الاهتمام بأمور الدولة والاسترسال في الشهوات واتخاذ الخليلات العديدا حتى أثقل كاهل  
الحكومة بالديون وأضاع المستعمرات وتوفي سنة ١٧٧٤ وكانت ادارته السيئة من أقوى الاسباب التي  
ادت الي الثورة الفرنسية العظمى في أواخر الجيل الثامن عشر



فكان من المحقق تقريباً فوزه على العثمانيين لتضلعه من فنون الحرب التي لا تقوى عليها  
شجاعة العثمانيين وما اتصفوا به من الثبات  
ومما يؤيد ذلك أن البرنس أوجين انتصر عليهم في موقعة بترواردن في يوم ٥ أغسطس  
سنة ١٧١٦ وفيها قتل الصدر الأعظم على رأسه ما دلاً فتحه مواقع الخطر حتى لا يعيش  
بعد الانهزام وبذلك فتح النمساويون مدينة (تمسوار) بعد أن حاصروها أربعة وأربعين  
يوماً ووضعوا الحصار أمام مدينة بلغراد ودخلوها في ١٩ أغسطس سنة ١٧١٧ بعد أن  
تغلبوا على الصدر الجديد خليل باشا الذي أتى لمساعدة المدينة ثم ابتدأت الخبايا للصالح  
فتم بينهما في ٢٢ شعبان سنة ١١٣٠ الموافق ٢١ يوليو سنة ١٧١٨ على أن تأخذ النمسا  
ولاية تمسوار ومدينة بلغراد مع جزء عظيم من بلاد الصرب وآخر من بلاد الفلاخ وأن تبقى  
جمهورية البندقية محتلة ثغور شاطئ دالماسيا أما بلاد مور فيترجع إلى الدولة وسميت  
هذه المعاهدة معاهدة (يساروفتس) وعقب ذلك طلبت روسيا من الدولة تحوير المعاهدة  
السابقة بكيفية تيسر لتجارها المرور من أراضي الدولة وبيع سلعهم فيها ولحاجتها التوجه  
إلى القديس وغيره من الأماكن والأديرة المقدسة عندهم بدون دفع خراج مدة إقامتهم  
أو رسوم على جوزات المرور فقبلت الدولة وأضافت إلى هذه المعاهدة الجديدة المؤرخة ٩  
نوفمبر سنة ١٧٢٠ شرطاً من الأهمية السياسية بمكان عظيم وهو تعهد كل من روسيا  
والباب العالي بمنع زيادة نفوذ الملك المنتخب ببولونيا على نفوذ الأشراف وعدم تمكنه من  
جعل منصبه وراثياً في عائلته ومنع حصول هذين الأمرين بكل الوسائل الممكنة بما  
فيها الحرب

ولا تخفى أهمية هذا الشرط الأخير الذي لم يقصد به بطرس الأكبر إلا إيجاد النفرة بين ملوك  
بولونيا والدولة إنفاذا لما كان ينويه لها كما سنشرحه في موضعه فإن جل مقاصد هذا  
القيصر المؤسس الحقيقي للمملكة الروسية وواضع دعائمها كان التفريق بين مجاوريه الثلاثة  
(السويد وبولونيا والدولة العثمانية) وإضعافهم الواحد بعد الآخر فتزيد قوته بنسبة  
تأخرهم وتقهرهم وقد نجح تماماً بما يتعلق بالسويد بجعل بعض وزراء الدولة العلمية  
ضروب السياسة وعدم اطلاعهم على دوائر علاقات الدول ببعضها ثم شرع في تنفيذ  
ما ينويه ضد بولونيا والدولة العلية وكان قد سافر إلى باريس سنة ١٧١٧ وقابل ملكها  
الفتي لويس الخامس عشر (١) ووصيه ليستعملها لسياسته فآخفق مسعاه ولذلك استعان

(١) وللهذا الملك في سنة ١٧١٠ وتوفي سنة ١٧١٥ بموت لويس الرابع عشر جد أبيه وأصغر سناً عين  
فيليب دوك أورليان وصياً عليه ولما بلغ الرشد في سنة ١٧٢٣ أبقى وصيه وزيراً له ولما توفي هذا الوزير عين  
بعده الدوك دي بوريون وفي وزارته تزوج السلطان بآنة ملك بولونيا ثم خلفه في الوزارة صري الملك المدعو  
(فلوري) ولما توفي شارل السادس إمبراطور النمسا عن غير وارث ذكر وقبضت ابنته (مارية تريزه) على  
أعنة الملك فعارض ملك فرنسا وساعد ملك بافيا على أن ينتخب إمبراطوراً وانتخب فعلاً فشب نار الحرب  
بين فرنسا والإمبراطورية شوباً هائلاً انتهى بفوز ماريه تريزه وأمضيت بذلك معاهدة (أكس لا شابل)

التوحش والهمجية عدّة أجيال لكن استمالت كازينا بلطه جي محمد باشا اليها وأعطته  
كافة ما كان معهم من الجواهر الكريمة والمصوغات الثمينة فخان الدولة ورفع الحصار عن  
القيصر وجيشه مكتفياً بمضاء القيصر لمعاهدة (فلكنزن) المؤرخة ٩ جمادى الآخرة  
سنة ١١٢٣ الموافق ٢٥ يولييه سنة ١٧١١ الذي أخلى يمتضاها مدينة ازاق وتمهدها فيها  
بعدم التداخل في شؤون القوزاق مطلقاً لكن لا يخفى على كل مطلع له ذرة من العقل ان هذه  
المزية لم تكن شيئاً مذكوراً في جانب ما كان يمكن الدولة أن تناله من القيصر لو أهلكت  
جيشه واستولت عليه أسيراً ولذلك احتدم شارل الثاني عشر السويدي نزول بندر غيظاً  
وسعى لدى السلطان بمساعدة خان القرم دولت كراي حتى تحصل على عزله وإبعاده الى  
جزيرة لمنوس

وتولى بعده يوسف باشا وكان محباً للسلم فامضى مع الروسيا معاهدة جديدة تقضى بعدم  
الحاربة بينهما مدة ٢٥ سنة لكن لم تمض على هذه المعاهدة بضعة أشهر حتى قامت الحرب  
ثانية بين الدولتين بسبب عدم قيام بطرس الأكبر بأحد شروط معاهدة فلكنزن القاضي  
بتخريب فرضة تجاركة الواقعة على بحر ازاق فتدخلت انكلترا وهولانده في منع الحرب  
لاضرارها بتجارتهما و بعد مخاضات طويلة أمضيت بينهما معاهدة جديدة سميت بمعاهدة  
أدرنه في ٢٤ جمادى الأولى سنة ١١٢٥ الموافق ١٨ يولييه سنة ١٧١٣ تنازات الروسيا  
بمقتضاها عمالها من الاراضي على البحر الاسود حتى لم يبق لها عليه مين أو نفور وفي مقابلة  
ذلك أبطل ما كانت تدفعه سنوياً الى أمراء القوم بصفة جزية كي لا يتمدوا على قوافلها التجارية  
وعند ذلك يؤس شارل السويدي من نوال غرضه وهو مساعدة الدولة العلية على الروسيا  
فبارح بلاد الدولة في أول اكتوبر سنة ١٧١٣ بعد ان أقام فيها نحو سنتين

ثم تولى منصب الصدارة على باشا اماد بمدي يوسف باشا وكان ميالاً للحرب غيوراً على صالح  
الدولة ميالاً لاسترجاع ماضع من أملاكها خصوصاً بلاد مورد ولذلك أعلن الحرب على  
جمهورية البندقية وفي قليل من الزمن استرد البعيد جزيرة باجمها والمدن التي كانت باقية  
للبنادقة بجزيرة كريد حتى لم يبق لهم ببلاد اليونان الا جزيرة كورفو فاستعانت البندقية بشارل  
الثالث اميراطور النمسا أحد الماضيين على معاهدة كارلوفتس ولكون الحرب كانت قد  
انقضت ووضعت أوزارها بين النمسا وفرنسا وتم الصلح بينهما بمعاهدتي أوترك وريستاه  
أسرع الاميراطور لم يد المساعدة الى البنادقة بان أرسل الى السلطان بلاغا يطلب منه  
فيه ارجاع كل ما أخذه من البنادقة وكان أعطى لهم بمقتضى معاهدة كارلوفتس والانيكون  
امتناعه بمخابرة اعلان للحرب فلم تقبل الدولة هذا الطلب وفضلت الحرب في هذا الوقت الغير  
مناسب بعدم تبصر وزيرها فانه كان من الواجب عليه عدم عمل ما يسبب هذه الحروب مع  
عدم اشتغال النمسا بمحاربة فرنسا وامكانها توجيه كل قواها وأمهر قوادها الى ساحة القتال  
خضوصاً القائد الذائع الصيت البرنس (أوجين دي سافوا) الذي سبق ذكره أكثر من مرة

دسمبر سنة ١٦٧٣ وعند تميمه وزع أموالا طائلة على الانكشارية وسلم لهم في قتل المفتي فيض الله أفدى لمقاومته لهم في أعمالهم ثم لما قررت الاحوال وعادت السكينة اقتصر من رؤس الانكشارية فقتل منهم عدد اليس بقليل وعزل في ٦ رجب سنة ١١١٥ الصدر الاعظم نšanجی أحمد باشا الذي انتخبه الانكشارية وقت ثورتهم وعين في هذه الوظيفة المهمة زوج أخته داماد حسن باشا لكن لم تحمه مصاهرته للسلطان ولما آتاه من الاعمال النافعة كاستجديد الترسانة وانشاء كثير من المدارس من أن يكون هدفالدسائس المفسدين أرباب الغايات الذين لا يروق في أعينهم وجود أعنة الامور في قبضة رجل حازم يحول بينهم وبين ما يشتهون فاعملوا فكرمهم وبذلوا جهدهم حتى تحصلوا على عزله في ٢٨ جمادى الاولى ١١١٦ ومن بعده كثرت تغيير الصدور تبعاً للاهواء وكانت نتيجة ذلك ان الدولة لم تلتفت لاجرا آت بطرس الاكبر ملك الروسيا في داخلية بلاده ولم تدرك كنه سياسته الخارجية المبنية على أضعاف الاقوياء من مجاوريه أى السويد و بولونيا والدولة العثمانية وانه قد ابتدأ في تنفيذ مشروعه هذابان حارب شارل الثاني عشر (١) السويدي وانتصر عليه أخيراً نصراً عظيماً في واقعة (بولتاوا) في سنة ١٧٠٩ ولوظفنت الدولة ووزرائها الى ما انطوت عليه هذه السياسة للزمها مساعدة السويدي على الروسيا حتى يكونا مع بولونيا حاجزاً ضد أطماعها لكنها لم تنفقه لهذا السر السياسي فقلبت لشارل الثاني عشر ظهر المجن حتى لما التجأ بعد واقعة بولتاوا الى مدينة (بندر) وأخذ في استمالة الدولة لمحاربة الروسيا ولكن لم ينتجح في مسعاه لمعارضة الوزير نعمان باشا كوبرلي للحرب

ثم لما عزل الوزير وتولى بعده (بطلجى محمد باشا) مال لا ثارة الحرب على الروسيا فاشهر عليها الحرب وقاد الجيوش بنفسه وبعده مناورات مهمة حصرت الجيوش العثمانية البالغ قدرها مائتي ألف جندي قيصر الروسيا وخيلته كآثرينا (٢) ولواستمر عليهم الحصار قليلاً لاخذ أسيراً هو ومن معه وانجحت الدولة الروسية كليمه من العالم السيامي أو بالاكل بقيت في

(١) هو ابن شارل الحادى عشر ولد سنة ١٦٨٢ وتولى الملك سنة ١٦٩٧ ولصغر سنه تألب ضده ملك الدانيمرك وملك بولونيا وقصر الروسيا فحارب الدانيمرك أولاً وانتصر عليها ثم حارب الروسيا فتقرها ثم سار الى بلاد بولونيا وانتصر عليها وعزل ملكها وأقام مكانه أحد محالفيه وفي سنة ١٧٠٩ قصد مدينة موسكو فانتصر عليه بطرس الاكبر في واقعة بولتاوا واحتوى هو بمدينة بندر ببلاد الترك حيث أقام عدة سنين وفي أثناء غيابه عن بلاده عاد ملك بولونيا اليها واستولى الروس على عدة ولايات من أملاكه وأخيراً خرج من بلاد الترك قهراً عنه بعد أن قاوم مقاومة شديدة وقتل سنة ١٧١٨ عند حصاره احدي بلاد الروس

(٢) هي كآثرينا الاول وأصلها من عائلة فقيرة باحدى ولايات ليفونيا تزوجت أولاً بعسكري سويدي ثم أخذت أسيرة سنة ١٧٠٢ عند دخول الروس مدينة مريم بورج وانقرط جالها اتخذها البرنس منشكوف خلية له وفي سنة ١٧١١ أعجبت بطرس الاكبر فاتخذها لنفسه ورافقه في أغلب حروبه وبمدان آت منه بعدد أولاد أعلن بزواجها وتزوجها امبراطورة في سنة ١٧٢٤ ولما توفي في السنة التالية أخلفته على سرير الامبراطورية واتبعت خطته في الاصلاحات وتوفيت سنة ١٧٢٧

ويمكننا القول بان الاتفاق قد تم من ذلك التاريخ بين جميع الدول ان لم يكن صراحة فضمننا على الوقوف أمام تقدم الدولة العلية أولا ثم تقسيم بلادها بينهم شيئا فشيئا وهو ما يسمونه في عرف السياسة بالمسألة الشرقية المبينة على الخوف من انتشار الدين الاسلامي وحلوله محل الدين المسيحي ليس الا أما ما يسترثون خلفه غاياتهم من الدفاع عن حقوق الامم المسيحية الضعيفة الخاضعة للدولة فما لم يعد أحد يعتربه

وبعد اتمام هذه المعاهدة التي ربما كانت أوحش عاقبة لولا استظهار كور بريلي حسين باشا على البرنس أوجين قائد الجيوش النمساوية في بلاد البوسنة وجه هذا الوزير اهتمامه الى الامور الداخلية والشؤون المالية والاحوال العسكرية مما لا قوام لاي دولة الا بانتظامها وتقويم المعوج منها فاني لكل منها بالدواء الكافي والعلاج الشافي وترك كثيرا من الاموال المتأخرة على الاهالي لاسيما المسيحيين منهم حتى لا يجد منهم المفسدون المضلون نصراء الاجانب وسامرتهم اذنا صاغية لدسائسهم الابهامية ووساوسهم الشيطانية التي يسمون بها بلادهم للاجانب طمعا في مال أوجاه لن يكونوا بالغية ولله في خلقه آيات ثم استقال هذا الوزير المصلح في ١٢ ربيع الآخر سنة ١١١٤ الموافق ٥ سبتمبر سنة ١٧٠٢ وعين مكانه في منصب الصدارة (دال طبان مصطفى باشا) وكان جنديا ميالا للحرب ولذلك لم يسر على خطة سلفه من اصلاح الشؤون الداخلية وتنظيم البلاد وانشاء الطرق العمومية وغيرها من الاعمال والاشغال العمومية وعدم اضاءة النفوس والاموال في الحروب وازافة البلاد لبعضها بدون اصلاح أو تنظيم اكتفاء بما يؤخذ من الغنائم وقت الحرب بل أراد أن يخرق عهدة كارلوفتس مع حداثتها ويشير الحرب على النمسا ولشعور الاهالي والجنود بمضار هذه السياسة على الدولة لما وراءها من تألب الدول عليها ثانيا وأخذ بعض بلادها تدمروا ضد الوزير واشترك معهم بعض الجنود وطلبوا من السلطان عزله فاقاله في ٦ رمضان سنة ١١١٤ الموافق ٢٦ نوفمبر سنة ١٧٠٢ وتعين محله (رامي محمد باشا) فسار على أثر كور بريلي حسين باشا وشرع في ابطال المفاسد ومعاينة المرتشين ومنع المظالم فهاج ضده أرباب الغايات وكثير عدايمه وأناروا عليه الانكشارية لميلهم بالطبع الى الهياج للسلب والنهب وهتك الاعراض فطلبوا عزله من السلطان فامتنع وأرسل اقمعهم فرقة من الجنود فانضمت الى الثائرين وعزلوا السلطان مصطفى الثاني في ٢ ربيع الآخر سنة ١١١٥ الموافق ١٥ أغسطس سنة ١٧٠٣ بعد أن حكم ٨ سنوات و٨ شهور وبقى معزولا الى أن توفي في ٢٢ شعبان من السنة المذكورة الموافق ٣١ ديسمبر سنة ١٧٠٣ وعمره أربعون سنة تقريبا وأقاموا مكانه بعد عزله أخاه

### ٢٣ « السلطان الغازي احمد شاه الثالث »

ابن السلطان الغازي محمد الرابع المولود في ٣ رمضان سنة ١٠٨٣ الموافق ٢٣



جندى وأخذه أسيراً وقتله في ٢٢ سبتمبر سنة ١٦٩٥ الموافق ١٢ صفر سنة ١١٠٧  
وفي سنة ١٦٩٦ فاز السلطان فوزاً ميبناً على منتخب (ساكس) في موقعة أولاش وبعد  
ذلك تلامد البرنس (أوجين دى سافوا) القائد الشهير قيادة الجيش النمساوى فاعمل الفكرة  
في عدم ملاقاته الجيش العثماني في الاراضى السهلة بل حاوله مدّة بدون أن يتمكن السلطان  
من مهاجمته حتى فاجأه هو أثناء عبور الجنود العثمانية لنهر (تيس) وعدم استعدادها  
للدفاع بالقرب من قرية صغيرة اسمها زينتافقتل منهم عدداً عظيماً من ضمنهم الصدر الأعظم  
الماس محمد باشا وغرق منهم في النهر أكثر ممن قتل ولولا وجود السلطان على الضفة  
الآخرى لسقط في أيديهم أسيراً وكان ذلك في ٢٥ صفر سنة ١١٠٩ الموافق ١١ سبتمبر  
سنة ١٦٩٧ ثم تبعهم البرنس أوجين ودخل بلاد البوسنة فاتحاً وأعين بعد ذلك عموجه زاده  
حسين باشا كوبريلى صدر أعظم

وفي أثناء اشتغال السلطان ببلاد البحر عاد بطرس الأكبر الروسى لفتح ميناء ازاق لاهميتها  
لمملكته فدخلها في خلال سنة ١٦٩٦ ولم تزل تابعة للروسيا حتى الآن فكانت الدولة  
في خطر شديد من جهتي روسيا والنمسا لكن أوقف الصدر الأعظم كوبريلى حسين باشا  
البرنس أوجين في سيره وألزمه التوقيع أمامه حتى أدخل بلاد البوسنة ورجع الى ماوراء نهر  
(ساف) واسترد الأميرال البحري العثماني الملقب (مزومورتو) جزيرة ساقز بعد أن انتصر  
دفعتين على مرابك البندقية ثم ابتدأت المخبرات للوصول الى الصلح فتدخل ملك فرنسا  
لويس الرابع عشر وأراد أن يدخل الدولة في معاهدة (ريسويك) (١) فلم تقبل لعلمها  
أن جميع الدول بد واحدة عليها ولو أظهرت لها احداها التودد فذلك لم يكن الا لغاية  
كامنة في النفس والتاريخ الحالى شاهد عدل

وبعد خسارة طويلة أمضيت بين الدولة العلية والنمسا والروسيا والبندقية وبولونيا معاهدة  
كارلوفتس في ٢٤ رجب سنة ١١١٠ الموافق ٢٦ يناير سنة ١٦٩٩

فتركت الدولة بلاد البحر باجمعها واقام ترنسلفانيا لدولة النمسا وتنازلت عن مدينة ازاق  
وفرضتها للروسيا فصار لها بذلك يد على البحر الاسود وزادت أهمية جوارها للدولة العلية  
أضعاف ما كانت عليه من قبل وردت لمملكة بولونيا مدينة (كامينك) واقليمى (بودوليا)  
واوكرين وتنازلت للبندقية عن بحيت جزيرة مورا الى نهر (هكساميلون) واقليم دلماسيا  
على البحر الادرياتيكي باجمعه تقريباً واتفقت مع النمسا على معاهدة خمس وعشرين سنة  
وأن لا تدفع هي أو غيرها شيئاً للدولة العلية على سبيل الجزية أو مجرد الهدية وبهذه  
المعاهدة فقدت الدولة جزءاً ليس بقليل من أملاكها بأوروبا وزادت أطماع الدول في  
بلادها كما سيأتى مفصلاً

(١) قرية بلاد هولانده أمضيت فيها في ٢٠ سبتمبر سنة ١٦٩٧ معاهدة بين فرنسا من جهة وألمانيا  
واسبانيا وانكلترا وهولانده من جهة أخرى وبمقتضاها اعترفت الدول بامتلاك فرنسا لمدينة  
ستراسبورج وبلاد الألزاس

السلطان سليمان الاول وتولى بعده أخوه

## ٢١ « السلطان الغازي احمد بنه الثاني »

المولود في ٦ الحجة سنة ١٠٥٢ الموافق ٢٥ فبراير سنة ١٦٤٣ فابقي الصدر الاعظم اعتماداً عليه في الحرب والسلم لكن لم تمهل المنية هذا الوزير الشهير بل قصفت عوده الرطيب وهو في عنفوان شبابه فتوفي في ٢٤ ذى القعدة سنة ١١٠٢ الموافق ١٨ أغسطس سنة ١٦٩١ في ساحة القتال عند مهاجمة الجيوش النمساوية القائدها لوزدي باد فكان موته ضربة على الدولة لعدم كفاءة عربه جى على باشا الذى أخلفه في منصب الصدارة ولم تحصل أمور ذات بال في أيام هذا السلطان بل اقتضت الحرب على بعض مناوشات ليس لها من الاهمية شأن يذكر غير أن البنادقة احتلت في سنة ١٦٩٤ جزيرة ساقر ثم انتقل الى رحمة مولاه في ٢٢ جمادى الثانية سنة ١١٠٦ الموافق ٦ فبراير سنة ١٦٩٥ وعمره ٥٤ سنة قرية تقريباً بعد أن حكم ٤ سنين و ٨ أشهر ودفن في تربة جده سليمان الاول مع أخيه سليمان الثاني وتولى بعده

## ٢٢ « السلطان الغازي مصطفى بنه الثاني »

ابن السلطان محمد الرابع المولود في ٨ ذى القعدة سنة ١٠٧٤ الموافق ٢ يونيه سنة ١٦٦٤ وكان متصفاً بالشجاعة وثبات الجاش ولذلك أعلن بعد توليته بثلاثة أيام رغبته في قيادة الجيوش بنفسه فسار الى بلاد بولونيا مستعيناً بفرسان القوزاق وانتصر على البولونيين عدة مرات ولولا ملاقاه من الدفاع أمام مدينة لمبرج لتقدم كثيراً لكن كان هذا الحصن المنيع من أكبر العوائق لاستمرار فتوحاته ومن جهة أخرى حارب الروس واضطرم لرفع الحصار عن مدينة ازاق ببلاد القرم التى حاصرها بطرس الاكبر ( ١ ) لتكون ثغراً لبلاده على البحر الاسود اذ كانت قبائل القوزاق تحول بين هذا البحر وبين بلاده فرفع الحصار عنها رغم أنه في اكتوبر سنة ١٦٩٥ معللاً نفسه بمعاودة الكرة عليها عند تهوى الاسباب وبعد ذلك أغار السلطان بجيوشه ثانياً على بلاد الجرج وفتح حصن ( لبا ) عنوة وهزم الجنرال ( فترانى ) في موقعة لوجوس وقتل من عساكره ستة آلاف

( ١ ) وللهذا الامبراطور الشهير ممدن الروسيا سنة ١٦٧٢ وتولى الملك سنة ١٦٨٢ فنازعه أخوه الاكبر ( ايوان ) وأخته صوفيا وفي سنة ١٦٨٩ استقل بالملك بعد استقالة أخيه وحجز أخته في أحد الاديرة ومن ذلك الحين أخذ في اصلاح داخلته ثم سافر الى ممالك أوروبا سنة ١٦٩٧ للنظر في نظاماتها وتقليد ما ينطبق منها على عوائد بلاده وحاد الى موسكو بعد سنة وأبطل جيش ( الاسترلن ) الذى كان أشبه بعساكر الانكشارية وجماعات المالك بك مصر وأسس مدينة سان بطرسبورج ونقل اليها عاصمة أملاكه وحارب شارل الثاني عشر ملك السويد وملكه العجم وأخذ منها عدة ولايات مهمة وتوفي في ٨ فبراير سنة ١٧٢٥ وخلفته زوجته كاترينه الاولى

أربعين سنة وخمسة أشهر وبقى في العزلة الى أن توفي في ٨ ربيع الآخر سنة ١١٠٤ الموافق ١٧ ديسمبر سنة ١٦٩٢ بالغاً من العمر ٥٣ سنة ودفن في تربة والدته ترخان سلطان وولوا بعد عزله أخاه

## ٢٠ « السلطان الغازي سليمان خان الثاني »

هو ابن السلطان ابراهيم الاول ولد في ١٥ محرم سنة ١٠٥٢ الموافق ١٥ أبريل سنة ١٦٤٢ فأغدى العطا با على الجنود ولم يعاقبهم على عصيانهم الذي كانت نتيجة عزل خلفه ولذلك ما لبثت ان تمردت ثانياً وقتلت قوادها وحاصرت الصدر الجديد سيواس باشا في سرايه وقتلوه وسبوا أزواجه فكانت الاستانة فوضى وانتهر الاعداء هذه الاختلالات والاضطرابات المستمرة لفتح الحصون العثمانية فاحتل النمساويون قلاع (ارلو) و (لبا) وغيرها واحتل موروز بني البندقى مدينة ليبه من بلاد اليونان وكافة سواحل دلماسيا سنة ١٦٨٧ وفي السنة التالية أى سنة ١٦٨٨ سقطت مدائن سمندرية وقلومبازو بلغراد في أيدي النمساويين ثم فقدت الدولة العثمانية في سنة ١٦٨٩ مدائن نيش وودين من بلاد الصرب وذلك لعدم كفاءة الصدر مصطفى باشا الذي أخلف سيواس باشا قتيلاً الانكشارية ولما رأى السلطان توالى المصائب عزل هذا الصدر وعين مكانه كوبريلى مصطفى باشا ابن كوبريلى محمد باشا الكبير ولم يكن أضعف همه من والده بل كان يشبهه في علو المكانة ومضاء العزيمة في بذل جهده في بث روح النظام في الجنود باللين طوراً وبالشدة أخرى ومنعهم عن اغتيال حقوق الاهالى وصرف لهم متأخراتهم من مال الاوقاف حتى لا يكون لهم حجة في اختلاس شيء من الاهالى فانتظم حال الجيش وصار يمكن التعويل عليه في الحروب ومن جهة أخرى أباح للمسيحيين بناء مائتدّم من كنائسهم في الاستانة وعاقب بأشد العقاب كل من تعرّض لهم في اقامة شعائر دينهم حتى استمال جميع مسيحيي الدولة وكانت نتيجة معاملته المسيحيين بالتسوط أن نار أهالى موره الاروام على البنادقة فطردوهم من ديارهم لتعرّضهم لهم في اقامة شعائر مذهبهم الارثوذكسى واجبارهم على اعتناق المذهب السكاوليكى ودخلوا في حى الدولة العلية طائعين مختارين لعدم تعرّضهم الديانهم مطلقاً ولما انتظم الجيش وطهر من الادران التي كادت تؤدى به الى الدمار وساد الامن داخل البلاد سار بنفسه لمحاربة الاعداء فاستردّ في قليل من الزمن مدائن نيش وودين وسمندرية وبلغراد في سنة ١٦٩٠ بينا كان سليم كراى خان القرم يخضع ثائرى الصرب وتيكلى الحجرى يرجع اقليم ترانسلفانيا الى أملاك الدولة وبذلك أعاد كوبريلى مصطفى باشا بعض ما فقدته الدولة من المجد والسؤدد بسبب ضعف الوزراء وعدم اطاعة الانكشارية وفي ٢٦ رمضان سنة ١١٠٢ الموافق ٢٣ يونيه سنة ١٦٩١ توفي السلطان سليمان الثاني عن غير عقب وعمره ٥٠ سنة بعد أن حكم ثلاث سنوات وثمانية أشهر ودفن في تربة جدّه

البنادقة في سنة ١٦٨٦ أغلب مدن اليونان حتى كورانتة وآينده أما النمسا فاغارت جيوشها على بلاد المجر واحتلوا مدينة بسم الواقعة امام مدينة بودو حاصروا هذه المدينة أيضا ولولا مدافعة حاكمها وحاميتها دفاع الابطال لسقطت في ايديهم

وفي سنة ١٦٨٥ احتل النمساويون عدة حصون وقلاع شهيرة اهمها قلعة نوهزل وبسبب هذه الانهزامات المتعاقبة عزل الصدر ابراهيم باشا ونفى في جزيرة رودس ولم يلبث في منصب الصدارة الا سنتين وتعين مكانه السر عسكر سليمان باشا وكان مشهوراً بحسن التدبير والشجاعة والاقدام لكن كانت الدولة قد وصلت الى درجة من التدهور أمام هذه القوى المتالبة عليها صار معها الخلاص صعبا سيما وقائد الجيوش النمساوية كان الدوك دي لورين الشهير

وكان اول اعمال سليمان باشا الاسراع الى انجاد مدينة بود التي كان يحاصرها الدوك دي لورين بتسعين الف جندي لكن لم تجد مساعده شيئا فان القائد المذكور دخلها عنوة في يوم ١٣ شوال سنة ١٠٩٧ الموافق ٢ سبتمبر سنة ١٦٨٦ بعد ان قتل حاكمها عبيد باشا وأربعة آلاف من جنوده في الدفاع عنها ولم تدخل هذه المدينة ثانياً في حوزة العثمانيين الى الآن

وبعد سقوط هذه المدينة في قبضة النمساويين ومخالفهم اراد الصدر سليمان باشا أن يأتي عملاً يكفر عنه عند الامة ما أتاه من التهاون في مساعدة مدينة بود لكن اتاه الضرر من حيث كان يريد النفع لنفسه فانه جمع من بقايا كتائبه جيشاً مؤلفاً من ستين الف مقاتل يعززهم سبعون مدفعا وانتظر انتضاء الشتاء والربيع لشدة بردها وكثرة ما يسقط فيهم من التلوج في هذه الجهات باذلا جهده في جمع الذخيرة الكافية وفي تدريب جنوده خيفة الفشل والتصاق الهوان باسمه ثم هاجم جيوش التحالف المقدس في سهل موهاكر الذي سبق انتصار العثمانيين فيه على المجر نصراً عزيزاً قبل هذا التاريخ بمائة وستين سنة فالتحم الجيشان في ٣ شوال سنة ١٠٩٨ الموافق ١٢ اغسطس سنة ١٦٨٧ وبعد قتال شديد دارت الدائرة على الجيوش العثمانية فانهمزوا عن آخرهم وأخذ العدو في جمع مامعهم من المدافع والسلاح والمؤن والذخائر واحتلت جيوشه اقليم ترنسلفانيا وعدة قلاع من (كر واسيه) ولما ذاع خبر هذا الانكسار بين الجيوش الموجودة بالاستانة هاجوا وماجوا وأرسلوا للجيوش الباقية مع الصدر سليمان باشا فاشهروا عليه العصيان ولولا فراره الى بلغراد لاعدموه الحياة ثم ارسل الانكشارية والسياد وفداً للاستانة يطلب من السلطان الامر بقتل الصدر فلم يبدأ من ذلك وامر بقتله تسكيناً للثورة غضب الجند ولما لم يقد شيئا ولم تعد السكينة بين الجيوش وخيف على المملكة العثمانية من الداخل قرر الوزير الثاني (القائم مقام) قره مصطفى باتحاده مع العلماء عزل السلطان محمد الرابع فعزلوه في ٢ محرم سنة ١٠٩٩ الموافق ٨ نوفمبر سنة ١٦٨٧ بعد ان حكم



البارود ولما لم يبق عليه الا مهاجمة الاخيرة المتممة للفتح أتى سويسكى ملك بولونيا ومنتخبى (ساكس) و(بافيرا) بجيوشهم بناء على الحاح البابا عليهم واستنهاضهم لمحاربة المسلمين حتى أضرم فى قلوبهم نار التعصب الدينى وفى يوم ٢٠ رمضان سنة ١٠٩٤ الموافق ١٢ سبتمبر سنة ١٦٨٣ هاجم سويسكى ومن معه العثمانيين فى المرتفعات المتحصنين بها وبعد ان استمر القتال طول النهار فاز المسيحيون بالنصر وانهمز قره مصطفى باشا وجيوشه أمامهم تاركا كافة المدافع والذخائر والمؤن فكان يوماً مشهوداً يجعل الولدان شيباً ثم جمع قره مصطفى باشا ما بقى من جنوده ولم يشدهم على نهر (راب) ومن هناك قفل راجعاً الى مدينة بود والملك سويسكى سائر خلفه يقتل كل من تخلف فى السير وفتح مدينة جران بكل سهولة ولما وصل خبر هذا الخذلان الذى لم يسبق لجيوش الدولة أمر السلطان محمد الرابع بقتل الصدر قره مصطفى باشا وأرسل أحد رجال حاشيته فقتله وأرسل برأسه الى القسطنطينية وعين مكانه ابراهيم باشا سنة ١٠٩٥

وبعد استخلاص مدينة ويانه تألبت كل من النمسا وبولونيا والبندقية ورهينة مالطة والبابا ومملكة روسيا على محاربة الدولة الاسلامية الوحيدة لمحوها من العالم السياسى والذى يدل على أن هذا التحالف كان دينياً محضاً تسميته بالتحالف المقدس ومما زاد احوال هذه الدولة القائمة بفرداها أمام جميع الدول المسيحية ارتباطا كقطع العلاقات بينها وبين فرنسا بسبب المناوشات البحرية المستمرة بين مراكبها وقرصانات المغرب فان الاميرال دوكين (١) تبع ثمان مراكب من ميناء طرابلس الغرب الى جزيرة ساقز ولما التجأت الى فرضتها واراد الاميرال الدخول الى الميناء خلفها ومنعه حاكم الجزيرة اطلق مدافعه على المدينة بدون اعلان حرب وجاوبته قلاعها ولم يمتنع عن القاء القنابل على بيوت السكان حتى دمر المدينة وفى سنة ١٦٤٨ اطلق دوكين ايضا المدافع على مدينة الجزائر بالغرب مدة ولم يكف عن القاء المقذوفات النارية عليها حتى دفع اليه اهلها مليونين ومائتى الف قرش غرامة حربية واطلقوا سراح من عندهم من اسرى الفرنسيين وفى السنة التالية فعل هذا الأمر الشنيع أيضا فى ميناء طرابلس الغرب ولاشتغال الدولة بمحاربة التحالف المقدس ضربت كشحا عن هذه التعدييات المخالفة لقوانين الحرب ووجهت اهتمامها الى الجيوش المتعددة التى زحفت على بلادها من كل حدب فان جيوش الملك سويسكى كانت تهدد بلاد البغدان وسفن البنادقة تهدد سواحل اليونان وبلاد موره ولعدم وجود المراكب الكافية لصد هجمات سفن البنادقة التى كانت تمزقها مراكب البابا ورهينة مالطة احتلت جيوش

(١) وللهذا الاميرال بمدينة (ديب) من أعمال فرنسا سنة ١٦١٠ من عائلة شريفة واتخذ الملاحه مهنة ونبغ فيها بسرعة غريبة حتى صار ريانا لسفينة وسنه سبعة عشر سنة ولما حصلت الاضطرابات فى صفر لويس الرابع عشر هاجر الى بلاد السويد وعين بها (فيس أميرال) واتصر على دونائمة الدانمارك وفي سنة ١٦٤٧ رجع الى فرنسا واشهر فى عدة وقائع شهيرة وبسبب اتباعه المذهب البروتستانتي لم يعين اميرالاً ولم يمنح ما كان يستحقه من القاب الشرف وتوفي سنة ١٦٨٨

أوكرين للقوزاق وولاية (بودوليا) للدولة العلية ويدفع لها جزية سنوية قدرها مائتان وعشرين ألف بندقي ذهباً فقبل السلطان هذه الشروط وأمضيت بينهما في ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٠٨٣ الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٦٧٢ أى بعد اعلان الحرب بشهر واحد وسميت هذه المعاهدة بمعاهدة بوزاكس

لكن لم تقبل الامة البولونية بهذا الوفاق بل أصرت على استمرار القتال وأرسلت قائدهم الشهير سوبيسكى بجيوش جرارة لمحاربة العثمانيين فاستردّ مدينة لمبرج واطّهاراً لممونية الامة تحتجته ملكاً عليها بعد موت ميشل سنة ١٦٧٣ واستمرت الحرب بين الدولتين سجلاً الى سنة ١٦٧٦ وفيها جدّد الملك سوبيسكى الصلح بعد أن فقد معظم جيوشه في هذه الحروب المستمرة وتنازل للدولة العلية عما كان تنازل لها عنه الملك ميشل الى بعض مدن قليلة الاهمية وكانت هذه المعاهدة خاتمة أعمال كوبرلي أحمد باشا الذي توفي بعد اتمامها بقليل في ٢٤ رمضان سنة ١٠٨٧ الموافق ٣٠ اكتوبر سنة ١٦٧٦ عن واحد وأربعين سنة قضى منها خمسة عشر سنة في منصب الصدارة العظمى بكل أمانة وصداقة سائراً في ذلك على خطة والده المرحوم كوبرلي محمد باشا وتقلد منصب الصدارة بعده زوج أخته مرهم مصطفى ولم يكن كفواً للسير في الطريق الذي رسمه كوبرلي الكبير وولده بل اتبع مصالحه الذاتية وابع المناصب العالية والمعاهدات والامتيازات المحجفة بالدولة حالاً واستقبالاً بدراهم معدودة وبسوء سياسته كدّر خواطر القوزاق وأبعدهم عن الدولة حتى ان خان اقليم (أوكرين) عصاها جهاًراً في فبراير سنة ١٦٧٧ واستنجد بالروسيا التي كانت آخذة اذ ذاك في تنظيم داخليةها وتقدّم أمتها وكانت تتوق للدخول ضمن المجتمع الاوروبي فامدّته بالرجال وحاربت عساكر الدولة واستمرت الحرب بين القوزاق والروس من جهة والعثمانيين من جهة أخرى بين أخذ وردّ حتى سنة ١٦٨١ حيث تم الصلح بينهم على بقاء الحالة على ما كانت عليه قبل ابتداء الحرب وسميت هذه المعاهدة بمعاهدة رادزين

وفي هذه السنة سار قرد مرهم مصطفى باشا الى بلاد المجر لمحاربة النمسا بناء على استدعاء (تيليكى) أحد أشرف المجر الذي أثار الايلات المجرية التابعة للنمسا للتخلص من استبدادها الديني فان الامبراطور ليوبولد لكونه كان وليكيا كان يأمر بقتل كل من يلوح عليه أدنى ميل الى مذهب البروتستانت

وبعد ان انتصر عدّة مرات على النمسا وبين قصص مدينة ويانه عاصمة النمسا فحاصرها سنة ١٦٨٣ مدة شهرين واستولى على كافة قلاعها الامامية وهدم أسوارها بالمدافع وألغام

ويانه بمسافة ٥٨٠ كيلو متراً في الاتجاه الشمالي الشرقي واشهرت في التاريخ بدخول شارل الثاني ملك السويد بها غنوة سنة ١٧٠٤ وتنصيبه ستانسلاس ملكاً على بولونيا ضد رثائب في الدول وهي تابعة للنمسا من تعهد تقسيم بولونيا سنة ١٧٧٣

حصار مدينة  
يانه اخر دفعة

الاختاب فانه أرسل ابن المسيو دى لاهى الذى حبسه الوزير كويرىلى أحمد باشا فى ادرنه  
 كما سبق ذكره، ولذلك لم تقم مأموريته شيئاً بل أبى الصمد تجديد الامتيازات الفرنسية واية  
 التجارية وحررها حق أمرار بضائعها من مصر فالسويس الى الهند وزيادة على ذلك منحت  
 الى جمهورية (جنوا) امتيازات خصوصية شبيهة بامتيازات انكلترا ولذلك جاهرت  
 فرنسا بمساعدة مدينة (كانديا) على محاربة العثمانيين فسار الصمد سنة ١٦٦٧ بنفسه لتمام  
 فتح هذه المدينة الحصينة التى كادت تعي الدولة واستمر الحصار والقتال مدة أكثر من  
 سنتين لامتداد فرنسا لها بالمال والرجال والسفن الحربية وأخيراً اضطرت الحامية الى  
 التسليم فسلمها قائدها (موروزينى) فى ٢٩ ربيع الثانى سنة ١٠٨٠ الموافق ٢٦ سبتمبر  
 سنة ١٦٦٩ بعد ان أمضى مع الصمد معاهدة بالنيابة عن جمهورية البندقية تقضى بالتنازل  
 للدولة العلية عن جزيرة كريد ماعد اثلاث قرى وهى (قره بوزا) و (سودا) و (سبيننا  
 لونجا) وصدقت المندقية عليها فى فبراير سنة ١٦٧٠ وفى هذه الاثناء كان المسيو دى لاهى  
 سفير فرنسا مقياً بالاستانة يسعى جهده فى الحصول على تجديد الامتيازات فلم يفلح  
 وفى سنة ١٦٧٠ أرسل لويز الرابع عشر سفيراً غيره يدعى الماركى دى نوانتل بعمارة بحرية  
 حربية بقصد ارباب الصمد وتهديده بالحرب اذ لم يدعن لطلبات فرنسا الساكن لم ترهبه هذه  
 التظاهرات بل قابل السفير بكل سكون وقال له ان تلك المعاهدات لم تكن الامتيازات سلطانية  
 لا معاهدات اضطرارية واجبة التنفيذ وانه ان لم يرتح لهذا الجواب فاعليه الالرحيل  
 ولما وصل هذا الجواب الى ملك فرنسا أراد اعلان الحرب على الدولة ولولا نصائح  
 الوزير (كولبر) لركبت فرنسا هذا المركب الحشن وجلبت لنفسها ضرراً فادحاً بقفل  
 أبواب الشرق أمام مراكها بل تمكن كولبر بحكمته وسياسته ومعاملة الدولة العلية باللين  
 والخضوع من تجديد المعاهدات القديمة فى سنة ١٦٧٣ وفوض ثانياً الى فرنسا حق  
 حماية بيت المقدس كما كان لها ذلك من أيام السلطان سليمان وبذلك عادت العلاقات الى  
 سابق صفائها بين الدولتين ومازاد حدود الدولة اتساعاً ومنعة من جهة الشمال خضوع  
 جميع القوزاق الساكنين بالجزء الجنوبي من بلاد روسيا الى الخليفة الاعظم محمد الرابع  
 بدون حرب بل حباً فى الدخول فى حى حامى دولة الاسلام ولذلك أغارت بولونيا على ولاية  
 (أوكرين) فاستتجد حاكمها الاكبر بالعثمانيين فانجده السلطان وسار بنفسه فى جيش  
 جرار ووصل فى قليل من الزمن الى حصن رامينك فى ٢٣ ربيع آخر سنة ١٠٨٣ الموافق  
 ١٨ أغسطس سنة ١٦٧٢ واحتل هذا الحصن عنوة بعد محاصرة استمرت عشرة أيام  
 وكذلك احتل مدينة لمبرج الشهيرة (١) فطلب سلطانهم (ميشل) الصلح على أن يترك اقليم

١٦٦٩ أضاف اليه الملك نظارة البحرية فرتبها أحسن ترتيب وأنشأ عدة سفن وتوفي سنة ١٦٨٣ بعد  
 ان خلد اسمه فى تاريخ فرنسا بأعماله التى لم يزل كثير منها باقياً الى الان  
 (١) هي عاصمة ولاية غاليسيا التابعة لمملكة النمسا ويبلغ عدد سكانها ١٢١ ألف نسمة وتبعد عن مدينة



ابتداء الحرب امداده باربعين ألفاً من الالمانيين المحالفين له فاني خوفاً من اظهار الضعف  
فسمي البابا جهده لدي ملك فرنسا حتى قبل بارساله ستة آلاف جنسدي فرنساوي  
وأربعة وعشرين ألفاً من محالفيه الالمانيين تحت قيادة الكونت دي كوليني  
وانضم هذا الجيش الى الجيش النمساوي الفائده الكونت دي ستروتزي وابتدأت  
المناوشات بين الجيشين المتحاربين فقتل القائد العام النمساوي وخلقه القائد المشير  
(مونت كوكولي) وكان قد انضم الى الجيش الفرنسي عدد عظيم من شبان الاشرف  
تحت رئاسة الدوك دي لافوياد وفي الاوائل كان النصر في جانب العثمانيين فاحتل  
كوبرلي أحد باشا مدينة (سرنوار) وعسكر على شاطئ نهر يقال له نهر (راب) والاعداء  
معسكرون أمامه وبعد ان حاول عبوره وصده الجيش النمساوي الفرنسي جمع كل  
قواه في يوم ٨ محرم سنة ١٠٧٥ الموافق أول اغسطس سنة ١٦٦٤ وعبر النهر عنوة وبعد  
قليل انتصر على قاب جيش العدو ولولا تدخل الفرنسيين وخصوصاً الاشرف منهم  
لنم للعثمانيين النصر لكن لم يمكن الانكسارية الثبات أما جنود العدو الاكثر منهم  
عدداً فانهم كلما قتل منهم صف تقدم الآخر وبذلك انتهى اليوم بدون انتصار نام  
لاحد الفريقين فان العثمانيين حافظوا على مراكزهم بدون تقدم للامام وسميت هذه  
الواقعة بواقعة (سان جونار) نسبة الكنيسة القديمة حصلت الحرب بالقرب منها وبعد  
ذلك تبادلت الاخبار توصلاً للصالح وبعد عشرة أيام أبرمت بين الطرفين معاهدة أهم  
مابها اخلاء الجيش لاقليم ترانسلفانيا وتعيين (اباني) حاكماً عليها تحت سيادة الدولة العلية  
وتقسيم بلاد المجر بين الدولتين بان يكون للنمسا ثلاث ولايات وللپاب العالي أربعة مع  
بقاء حصني (نوفيجراد) (ونوهزل) تابعين للدولة العلية

هذا ولأن الحرب انتهت على حدود النمسا الان فرنسا مازالت مراكمها تطارد سفن  
المغرب بحجة انها تغزو سفينها وما زالت هذه حججهم حتى استولوا على اقليم الجزائر وتونس في  
هذا القرن واستمر هذا الحرب مدة بغير صفة رسمية وفي سنة ١٦٦٦ أرسل الوزيرا الفرنسي  
(كولبر) (١) الذي خلف (مازارين) سفيراً للدولة لاصلاح ذات بينهما لكن لم يصب في

مشحون بالوقع الشهيرة التي امتاز فيها كثير من القواد البرية والبحرية مما يطول شرحه وفي عصره  
تقدمت جميع العلوم وازدهرت التجارة والزراعة لكن تضعفت الاحوال في آخر حكمه بسبب استمرار الحروب  
ومما يجعل في تاريخه نقطة سوداء اضطهاد البروتستانت والفاؤه ما منحه لهم هنري الرابع من الحرية الدينية  
بمقتضى الامر السامي الصادر في مدينة (نانت) حتى هاجر كثير من الاشرف والمزارعين والصناع الى البلاد  
الخارجية للتمتع بالحرية الدينية وتوفي في أول سبتمبر سنة ١٧١٥ عن ٧٧ سنة وكانت مدة حكمه ٧٢ سنة  
وخلفه في الملك لويز الخامس عشر ابن أحد أحفاده

(١) اقتصادي شهير ولد سنة ١٦٦٩ فدرّب على الاعمال في وزارة الكردنال مازرين وفي سنة ١٦٦٣  
عين مراقباً عاماً للمالية فأجرى بها عدة اصلاحات وسوى كافة ديون الحكومة ونقص الضرائب حتى عمت  
الرفية والرخوة واليه يرجع فضل تأسيس المرصد الفلكي وقبح خليج لانج دوك الموصل بين البحر الابيض  
اشتوسط والمحيط الاطلانطقي لتسهيل الملاحة وله عدة ما ر أخرى يضيق المقام عن حصرها وفي سنة



بكل تعاضل وكبرياء ولذلك ساعدت فرنسا جزيرة كريدجها وأرسلت إليها أربعة آلاف جندي وأجازت إلى البندقية جمع عساكر متطوعة من فرنسا وأمدت النمسا بالمال طمعاً في اشغال الدولة وانتقاماً منها لكن لم تكن هذه الاجراآت عزيمة كوبريلي محمد باشا بل مالبث يقاوم أعداء الدولة في الداخل والخارج حتى أعاد لها سالف مجدها وجعلها محترمة في أعين الدول أجمع بعد ان كادت تؤدي بها الفتنة الداخلية إلى الدمار ولما أحس باقتراب أجله لاشتداد المرض عليه طلب منه السلطان محمد الرابع أن يدلّه على من يعينه خلفاً له بعد وفاته فأوصاه بتولية ابنه أحمد ثم توفي سنة ١٠٧٢ الموافقة سنة ١٦٦١ وخلفه ابنه كوبريلي زاده أحمد باشا

فتح قلعة نوهزل

وكان خير خلف لخير سلف فانه كان متصفاً بالشجاعة والاقدام وحسن الرأي واصالة التدبير واستمر على خطة أبيه من عدم التساهل مع الجندية ومجازاة من يقع منه أقل أمر مخل بالنظام بأشدّ العقاب ومحاربة أعداء الدولة بدون فتور أو ملال حتى نزل من أذهانهم ما خمرها من تضعضع أحوال الدولة وقرب زوالها ولذلك لم يقبل ما فاتحته به دولة النمسا وجمهورية البندقية من الصلح وقاد الجيوش بنفسه وعبر نهر الطونة لحاربة النمسا ووضع الحصار أمام قلعة (نوهزل) في يوم ١٣ محرم سنة ١٠٧٤ الموافق ١٧ أغسطس سنة ١٦٦٣ ومع ان هذه القلعة كانت مشهورة في جميع أوروبا بالمناعة وعدم إمكان أي أحد التغلب عليها وفتحها فقد اضطر كوبريلي أحمد باشا حاميتها إلى التسليم بشرط خروج من بها من الجنود بدون أن يمسه ضرر تاركين ما بها من الاسلحة والذخائر وأخلوها فعلاً في ٢٥ صفر سنة ١٠٧٤ الموافق ٢٨ سبتمبر سنة ١٦٦٣ بعد البدء في حصارها بستة أسابيع ولذلك اضطررت أوروبا باجمعها لهول هذا الخبر الذي دوى في آذان ملوك أوروبا ووزرائها كالرعد حتى وضعوا أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت وكان هذا الفتح المبين أشد تأثيراً على ليوبولد (١) امبراطور النمسا أكثر من غيره لدخول الجيوش العثمانية في بلاده وانتشارها في اقليم مورافيا وسيليزيا فاتحين غازين حتى خيل له أن السلطان سليمان قد بعث من رمسه لفتح ويانه عاصمة دولته ولذلك وسط البابا الاسكندر السابع في طلبه المساعدة له من لوز الرابع عشر (٢) ملك فرنسا وكان قد عرض عليه في

(١) هو ليوبولد الاول امبراطور ألمانيا ولد سنة ١٦٤٠ وتولي بعده وتأييده فرديناند الثالث سنة ١٦٥٨ وحارب الترك وقومهم مقاومة شديدة في واقعة سان جوتار حيث كانت جيوشه تحت قيادة الجنرال منت كوكلي في سنة ١٦٦٤ وفي عهده ضمت بلاد الألزاس إلى فرنسا وفي سنة ١٦٨٣ قضى على النمساويين مدينة ويانه عاصمة بلاده وحاصروها بالاتحاد مع الحبر ولولا مساعدة جميع الممالك المسيحية له تقريباً لسقطت في قبضتهم وفي سنة ١٦٩٩ أمضى مع الباب العالي معاهدة كارلوفتس الشهيرة التي سبقت ذكرها في صلب هذا الكتاب وفي أواخر حكمه ابتدأت بينه وبين فرنسا الحرب بسبب ملك اسبانيا الذي كان يريد لوز الرابع عشر إقامة حفيده فيليب الخامس ملك اسبانيا وتوفي سنة ١٧٠٥ قبل انتهاء هذه الحروب

(٢) واد هذا الملك العظيم الشأن سنة ١٦٣٨ وتولي الملك بعد موت أبيه لوز الثالث عشر وسنه خمس سنوات وكانت أيامه أيام حروب مع اسبانيا والنمسا وغيرهما وتالبت عليه أغلب الدول أكثر من مرة وتاريخه

اذلالها اعلاء لسان فرنسا فاخذ نفوذ فرنسا لدى الباب العالي في الضعف شيئاً فشيئاً حتى تقاسمت معها البندقية حق حماية الكنائس المسيحية في غلطة أيام السلطان مراد الرابع الذي طرد طغمة اليسوعيين من الاستانة سنة ١٦٢٨ بناء على الحاح سفراء انكليترا وهو لانداسمياً وراء اضعاف نفوذ الكاتوليك وقرير نفوذ البروتستانت بما ان دولتي انكليترا وهولاندا كانتا في ذلك العصر بروتستانتين دون باقي الدول الاوروبية ولعدم مدافعة فرنسا عن امتيازاتها اختيص اليونانيون بخدمة بيت المقدس مع ان ذلك كان متوطاً بارهبان الكاتوليك بمقتضى المعاهدات المبرمة مع سليمان الاول وتجددت أيام محمد الثالث وأحد الاول كما مر وما زاد علاقات الدولتين فتوراً وجعل الحق بجانب الدولة العثمانية تدخل فرنسا سرّاً بمساعدة البنادقة على الدفاع عن جزيرة كريد وامدادها لهم بالسلاح وضبط عدة مراسلات رمزية كانت مرسلة الى الميسو (دى لاهى) مع شخص فرنساوى موظف في بحرية البندقية وهو سلمها بنفسه الى الوزير (كوبريلى) سنة ١٦٥٩ طمعاً في المال وكان اذ ذاك بمدينة أدرنه ولما لم يمكنه حل رموزها أرسل الى الاستانة يستدعى السفير الفرنساوى ولتمرضه أرسل ولده الى أدرنه مكانه فلما مثل بين يدي الصدر الاعظم وسأله عن معنى هذه الرموز لم يراع في جوابه آداب المخاطبة فامر بسجنه في الحال ولما بلغ خبر سجنه الى والده سافر الى أدرنه خوفاً على حياة ولده ولم يمنعه اشتداد مرضه عن السفر وقابل الوزير كوبريلى محمد باشا ولما لم يرشده السفير عن معنى الجوابات المرموزة لم يقبل اخلاص سبيل ابنه بل سافر الى ولاية ترنسلفانيا ولم يطلق سراحه الا بعد عودته في سنة ١٦٦٠ ولما علم الكردينال مازرين (١) بحبس ابن السفير أرسل الى الاستانة سفيراً فوق العادة اسمه الميسو دى بلندل ومعه جواب من سلطان فرنسا يطلب فيه الاعتذار عما حصل وعزل الصدر الاعظم لكن لم يسمح لهذا السفير بالوصول الى السلطان بل قابله الصدر الاعظم

زمانه وكانت كل مساعيه موجهة نحو أمرين أولهما اذلال أشراف فرنسا لتقوية سلطة الحكومة وثانيهما اضعاف مملكة النمسا حتى لا يخشي منها على فرنسا فساعد جوتساف ادولف ملك السويد على حاربتهام حاربها فرنسا جهاراً وبسبب سياسته هذه أمضيت معاهدة وست فليا الشهيرة سنة ١٦٤٨ بعد موته بست سنوات واضطهد البروتستانت وفتح مدينة لاروشيل التي احتماها سنة ١٦٢٨ وكان مجباً للانتقام لا يتأخر أمام أى أمر لفاذ أغراضه لكنه أفاد فرنسا في الداخل والخارج ولولا لسقط بسبب ضعف ملكها لويز الثالث عشر ووهن عزمته ولهذا الكردينال الفضل في تأسيس مجلس العلوم الفرنساوى (اكاديمي) سنة ١٦٣٥ وتأسيس حديقة النباتات وعدة مدارس أخرى وكانت ولادته سنة ١٥٨٥ ووفاته سنة ١٦٤٢

(١) ولد هذا الكردينال بأحدى مدن إيطاليا سنة ١٦٠٢ واستدعاه ريشليوالى فرنسا ليرشحه لمنصب الوزارة ولما قرب موته أوصى الملك لويز الثالث عشر بتعيينه بعده فمينة وزيراً بعد وفاته سنة ١٦٤٣ ثم عضواً في مجلس الوصاية على ولده لويز الرابع عشر وبحسن سياسته أمضيت معاهدة وست فليا ومعاهدة البيريني وتوفي سنة ١٦٦١ بعد ان سهل سبل ارتقاء فرنسا الى أوج عظمتها في عهد لويز الرابع عشر الملقب بالكبير

العمارة العثمانية على البنادقة واستردت منهم ما احتلوه من الثغور والجزائر وفي أثناء ذلك كانت نيران الحروب متأججة بين مملكة بولونيا وشارل جوستاف (١) ملك السويد فأرسل هذا سفراء الى الباب العالي يطلبون منه ابرام معاهدة هجومية ودفاعية لحاربة بولونيا وتكون هذه المملكة تحت حماية الدولة بالفعل فامتنعت عن قبول هذا الوفاق ولما علمت ان (راكوكسى) أمير ترانسلفانيا اتحد مع السويد على قتال بولونيا بالتحاده مع قرال الفلاخ والبغدان أمرت بعزله وعزل قرال الفلاخ المدعو قسطنطين الاول وتعيين (مهن) الرومى مكانه فقابل راكوكسى الارادة السلطانية بالعصيان وانتصر على العثمانيين بالقرب من (ليبيا) سنة ١٦٥٨ لحصول عصيانه فجأة وعدم الاستعداد لصدّه ثم سار كوبريلى لقمعه وضم الى جنوده جيوش مهن أمير الفلاخ الجديد الذى كان يريد مساعدة راكوكسى. لكنه لم يرداً من مرافقة كوبريلى خوفاً من ظهور خيائته وفي وقت غير مناسب وبالتحاد الجيشين تمكن كوبريلى من قهر هذا العاصى وطرده من البلاد وتعيين من يدعى (اشاتىوس بركى) قرالاً على ترانسلفانيا بشرط أن يدفع خراجاً سنوياً قدره أربعون ألف دوكا وبعد استتباب الأمن عاد الصدرالى الاستانة وبعجراً عودته أظهر مهن قرال الفلاخ العصيان واضطهد المسلمين وقتل منهم خلقاً كثيراً وصادرهم فى أموالهم وأملأهم واستدعى راكوكسى المعزول لمساعدته واعدأ له بارجاعه الى ولايته بعد النصر على العثمانيين وأرسلوا الى (غيك) قرال البغدان يوسوسون له بالانضمام اليهما فلم يصغ الى وسائسهم ولذلك ساروا اليه وانتصروا عليه بالقرب من مدينة (ياسى) (٢) عاصمة أمارته ولما وصل خبر تمردهم الى الاستانة رجع كوبريلى على جناح السرعة لحاربهم ما قبل اشتداد الخطب واتسع الخرق على الراقع وانتصر عليهما نصراً مبيناً ثم عزل مهن جزاء خيائته وعين (غيك) قرال البغدان قرالاً على الفلاخ أيضاً سنة ١٦٥٩ وفى السنة التالية احتل والى بود عاصمة المجر مدينة (جروس واردين) التابعة للنمسا بعد مناوشات خفيفة فاعتبرت النمسا ذلك اعلاناً للحرب وابتدأت الحركات العدوانية بين الطرفين

هذا وإن ذكر هنا شيئاً من علاقات الدولة مع فرنسا أثناء هذه الاضطرابات الداخلية التى جرت فيها الدماء وقتل فيها مملكان كما مر فبقول انه لم يحصل تغير فى هذه العلاقات الا فى وقت اشتغال فرنسا فى محاربة النمسا أيام وزارة (الكاردينال ريشليو) (٣) الذى كان عاملاً على

(١) ولد هذا الملك الشهير فى سنة ١٦٢٢ وتولى ملك السويد سنة ١٦٥٤ وكان ميالاً للحرب لتوسيع نطاق مملكته والسيادة على شمال أوروبا فحارب بولونيا سنة ١٦٥٥ وقهر جيوشها فى واقعة وارسوفيا وفتح معظم ولاياتها ثم حارب الدانمرك فى شتاء سنة ١٦٥٧ ولشدة البرد ونجمد مياه البحر بين سواحل السويد ومدينة كوبنهاج عاصمة الدانمرك فربح جيشه على البحر وهاجم المدينة ودخلها وألزم ملكها أن يتنازل له عن عدة مقاطعات مهمة ثم عاود عليها الكثرة فى أثناء حصارها وتوفى فى سنة ١٦٦٠ ونجت الدانمرك منه (٢) تسمى هذه المدينة باش عند الترك وهى مدينة رومانية قديمة وعاصمة ولاية البغدان وأطلق اسمها على معاهدة أمضيت فيها بين الروس والدولة العلية فى ٩ يناير سنة ١٧٩٢

(٣) اشتهر هذا الكاردينال فى تاريخ العالم الاوروبى بالسياسة والتدبير وبسميه البعض ببنمارك



الجنود البحرية سبب انهزام الدونامة العثمانية أمام دونامة العدو أمام مدينة فوقيه (١) سنة ١٦٤٩ ثم تاربا آسيا الصغرى في هذه السنة أيضاً رجل يدعى (قاطر جى أوغلى) وانضم اليه آخر يدعى (كورجى بنى) وهزما أحمد باشا والى الاناطول وسار الى القسطنطينية ولولا وقوع الشقاق بينهما لحيف على العاصمة من وقوعها في قبضتهم ما لكان وقع الخلف بينهما وافتراقا فحاربهما الجنود وهزم الثانى وقتل وأرسل رأسه الى السلطان وتمكن الآخر وهو قاطر جى أوغلى من الحصول على العفو عنه وتعيينه والياً لآلقرمان وبذلك انتهت هذه الثورة ولولا اشتغال النمسا بالحرب الهائلة الدينية المعروفة بحرب الثلاثين سنة (٢) لانهزت هذه الفرصة وفتحت بلاد الجربدون مقاومة ومن جهة أخرى لولا ولا العجز وتفضيلهم الحكومة العثمانية على حكومة النمسا لثاروا طلباً للاستقلال وبعد ذلك توالى الثورات تارة من الانكشارية وطوراً من السباه وآونة من الاهالى لما يثقل علمهم نير استبداد الجنود وتعاقب عزل وتنصيب الصدور بسرعة غريبة لم تسبق في الدولة ولا في أيام حكم السلطان سليم تبعاً لاهواء والغايات واختل النظام أو بعبارة صريحة صار عدم النظام نظاماً للدولة

وفي هذه الاثناء تغلبت مراكب جمهورية البندقية على عمارة الدولة عند مدخل الدردنيل واحتلت (تيدوس) وجزيرة ملنوس وغيرهما ومنعت بذلك المراكب الحاملة للقمح وأصناف المأكولات عن الوصول الى القسطنطينية من هذا الطريق حتى غلت جميع الاصناف واستمر الحال على هذا المنوال ولا نظام ولا أمن ولا سكينه وبالاختصار لا حكومة ثابتة الى أن قيض لها المولى سيجان وتعالى الوزير محمد باشا الشهير بكويرلى الذى تولى منصب الضمادة سنة ١٠٦٧ الموافقة لسنة ١٦٥٦ فعامل الانكشارية معاملة من يريد أن يطاع اطاعة عمياء وقتل منهم خلقاً كثيراً عند ما ناروا كعادتهم لما رأوه رجلاً خبيراً بدخائل الامور قادراً على قمعهم والزمامهم العود الى السكينه وأمر بعد تعيينه بقليل بشنق بطريرك الاروالم لما ثبت له تدخله في الدسائس والفتن الداخلية

ومما يؤثر عن هذا الوزير الجليل انه استصدر أمر من السلطان بمنع قتل سلفه وكان قد أمر بقتله وتعيينه والياً على (كانيشه) وفي أواسط يولييه سنة ١٦٥٧ أرسل المراكب لحاربة سفن البنادقة المحاصرة لمدخل الدردنيل فخارتها ولم تساعدوا الظروف عن نوال النصر ثم بعد موت القائد البحري البندقي الشهير (موشينجو) (٣) بنحو سبعة أسابيع انتصرت

(١) مدينة يونانية قديمة اسمها (قوسه) على ساحل البحر المتوسط وتبعد عن مدينة أزمير بنحو ٤٢ كيلومتر وكانت في أيام اليونان القدماء زاهرة متقدمة ويقال ان مؤسس مدينة مرسيليا بفرنسا من سكانها وهي الآن منحة وتجارها لا تذكر بسبب وقوعها بالقرب من أزمير ولا يزيد عدد سكانها عن أربعة آلاف نسمة

(٢) هي الحرب التي تاجع سعيها بين الكاثوليك والبروتستانت من سنة ١٦١٨ الى سنة ١٦٤٨ وانتهت بمعاهدة وستفاليا التي تعتبر أساس التوازن الدولي في أوروبا

(٣) قائد بحري من عائلة قديمة جداً بالبندقية نبغ منها عدة رؤساء لهذه الجمهورية



خانية أهم ثغور الجزيرة في ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٠٥٥ الموافق ٢٤ يونيه سنة ١٦٤٥ وافتتحها بدون حرب تقريباً لعدم وصول الدونامة البندقية إليها في الوقت المناسب فانتقم البنادقة بحرق ثغور بتراس وكورون ومودون من بلادهم و يقال ان السلطان أراد في مقابلة ذلك قتل المسيحيين أجمع ولولا معارضة المفتي أسعد زاده أنى سعيه أفندى لم هذا الامر وربما كانت هذه دسيسة في كتب الافرنج لانها تشهد على أى حال بحسن سياسة هذا المفتي لسعيه في منع هذا الامر الذى لو تم كان يلحق بالدولة عار عظيم كما لحق بمسيحي اسبانيا لما ارتكبوه من القتل والفتك بالمسلمين بعد فتح مدينة غرناطة (١) وفي سنة ١٦٤٦ فتح أغلب الجزيرة وفي السنة التالية وضع الحصار أمام مدينة (كنديا) عاصمة الجزيرة لكن حال دون تمامه وفتح المدينة عصيان الجنود في الاستتابة

وتفصيله ان السلطان ابراهيم أراد أن يفتك برؤس الانكشارية في ليلة زفاف احدى بناته على ابن الصدر الاعظم لتذمرهم وانتقادهم على أعماله ورغبتهم في التداخل في شؤون الدولة والخروج عن حدودهم فعلموا بقصد السلطان وتآمروا على عزله واجتمعوا بمسجد يقال له (أورطه جامع) وانضم اليهم بعض العلماء والمفتي عبد الرحيم أفندى وأهاجوا عساكر الانكشارية والسيباه وقرر الجميع بعزله وتولية ابنه محمد الرابع المولود في ٢٩ رمضان سنة ١٥٠١ الموافق أول يناير سنة ١٦٤٢ أى الذى لم يتم السابعة من عمره وتمت هذه الثورة يوم ١٨ رجب سنة ١٠٥٨ الموافق ٨ أغسطس سنة ١٦٤٨ وبعد ذلك بعشرة أيام أظهر السباه عدم ارتياحهم من الملك الفتى وطلبوا إعادة السلطان ابراهيم الى عرش الخلافة خشى رؤساء العصاة التى عزلته من تغلب السباه وارجاعه رغم أنهم وصمموا على قتله فساروا الى السراى ومعهم الجلاذ (قره على) وقتلوه خنقاً كما قتلوا السلطان عثمان الثانى من قبله فكانت مدة حكمه ٨ سنين و ٩ شهور وسنه ٣٤ سنة وبذلك ارتاح خاطرهم واطمان بالهم وانفرد

## ١٩ « السلطان الغازى محمد فاه الرابع »

بالملك ولصغر سنه وقعت المملكة في الفوضى وصارت الجنود لا ترحم صغيراً ولا توقر كبيراً وسعوا في الارض فساداً وأرجعت الحالة الى ما وصلت اليه قبل تولى السلطان مراد الرابع بل الى أتمس منها وسرى عدم النظام الى الجنود المحاصرة لمدينة (كنديا) بكيفية اضطرت قائدهم المنر عسكر حسين باشا لرفع الحصار عنها وكذلك كان سرعان هذا الداء العضال الى

(١) هي مدينة بيلاد الاندلس كانت مقر المملكة بنى أمية الغربية ودخلها الافرنج سنة ١٤٩٢ في خلافة أبى عبد الله محمد ومن بقى بهامن المسلمين أجبر على الردة أو المهاجرة مع مصادرة أموالهم فهاجر أغلبهم واضطهد من تخلف منهم اضطهاداً شديداً لم يسمع مثله في التاريخ حتى لم يبق بها ولا يجمع بلاد الاندلس مسلم واحد وحوادث جميع مساجدهم الى كنائس وبددت كتبهم العلمية وبوجد بها كثير من الابنية الغربية محفوظة حتى الان وخصوصاً قصر الحمراء الشهير

مدينة بغداد بشرط أن تتركه الى مدينة (اريوان) ودارت المخابرات بين الدولتين نحو عشرة أشهر كاملة وفي ٢١ جمادى الاولى سنة ١٠٤٩ الموافق ١٩ سبتمبر سنة ١٦٣٩ تم الصلح على ذلك وانقطعت أسباب العدوان من بينهما وكان يؤمل في السلطان مراد الرابع أن يضارع السلطان الغازي سليمان الاول القانوني في الفتوحات وبعد الصيت لولا أن قصفت المنون عود حياته الرطيب وهو في مقتبل الشباب فتوفي رحمه الله عن غير عقب في ١٦ شوال سنة ١٠٤٩ هجرية الموافق ٩ فبراير سنة ١٦٤٠ وسنه ٣١ سنة ومدة حكمه ١٦ سنة و١١ شهراً وتولى بعده اخوه ابراهيم

## ١٨ « السلطان الغازي ابراهيم شاه الاول »

( وفتح جزيرة كريد )

هو ابن السلطان أحمد الاول ولد في ١٢ شوال سنة ١٠٢٤ الموافق ٤ نوفمبر سنة ١٦١٥ وكان غير ميال للحاربة النمسا فاطم أن خاطرها وأوعز لامير ترنسلفانيا بكف العدوان عنها لكن كان من جهة أخرى محافظاً على كرامة الدولة غير مترخ في معاقبة من يمسها بسوء أو يتعدى حدودها ولذلك افتتح حروبه الخارجية بارسال جيش جرار الى بلاد القرم لحاربة القوزاق الذين احتلوا مدينة ازاق فحاربهم العثمانيون وأبلاؤهم بلاء حسنا واستردوا المدينة منهم بعد أن أحرقوها وذلك سنة ١٦٤٢ ومن أعماله أيضاً فتح جزيرة كريد وكانت تابعة لجمهورية البندقية وحصل فتحها بسبب حكاية غريبة تكاد تقرب من الروايات الموضوعة وذلك أن أغات السراري ( قنزلر اغاسي ) كان عنده جارية حسنة وضعت حديثاً فعجبت السلطان واختارها لان تكون ظمراً أى مرضعة لابنه الوحيد محمد ولشغف السلطان بالجارية ومحبتة لابنها حصلت بعض أمور داخلية مكدره فاراد أغات السراري ملافاة لهذه الشقاكات العائلية أن يتعد عن الاستانة بحجة زيارة بيت الله الحرام ويستصحب الجارية وابنها معه ولما أذن له السلطان بذلك سافر وبينما هو في الطريق اذاجمته مراكب رهبان مالطه وقتلوه وأخذوا الولد ظناً منهم أنه ابن السلطان ولما تحققوا من غلطتهم ربوا الولد على الدين المسيحي وأدخلوه طائفتهم واشتهر عند الافرنج باسم ( بدرى اوتوماتو ) أى الاب العثماني وبعد ذلك نزل الرهبان الى جزيرة كريد وأحسن البنادقة وقادتهم فاغتاظ السلطان من ذلك غيظاً شديداً وحبس قناصل البندقية وانكثرتا وهولاندا ولم يفرج عنهم الا بعد ان أقنعه وزيره الاول بان أغلب هؤلاء الرهبان بل كلهم من الفرنساويين ومع ذلك فانهم غير تابعين للحكومة الفرنسية ولا لغيرها فهدأ باله لكنه أمر تجهيز عمارة بحرية قوية لفتح جزيرة كريد لاهمية موقعها الجغرافي الحربي عند مدخل بحر ارجيل اليونان ولتوسطها في الطريق بين الاستانة وولاية الغرب فجهزت الدونامة وسارت باحتفال زائد تحت قيادة من يدعى يوسف باشا الى أن ألقت مراسيها امام مدينة

فمكثت الخواطر ولم يحصل ما يعبث بالأمم بعد ذلك في مدته وبعد كثير شوكة  
 الانكسارية أراد السلطان أن يعيد للدولة ما فقدته من القوت فحسب أهمل بعض  
 أسلافه وعدم إطاعة الانكسارية وامتناعهم عن الحرب عند الحاجة القصوى فأرسل  
 إلى والي دمشق بحجارة خرد الدين أمير الدروز وأدخاله في طاعة الدولة فقام إلى بالامورية  
 خير قيام وهزم خرد الدين وأسر هو وولديه وأرسلهم إلى القسطنطينية حيث عاملهم  
 السلطان بكل احتفاء وكرام ولكن لما بلغ السلطان أن أحد أحفاده ثار ثائرا ونهب  
 بعض مدائن الشام أمر بقتله وولده الأكر فقتل في ذي القعدة سنة ١٠٤٤ (أبريل سنة  
 ١٦٣٥) فاطاع الدروز وبقيت الإمارة في ذرية غلي الدين المذكر نحو مائة سنة ثم  
 انتقلت إلى عائلة شهاب التي منها الأمير بشير الشير في حروب إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا  
 والدولة في النصف الأول من هذا القرن المسيحي

ثم سار السلطان بنفسه الشرقية إلى بلاد العجم لاسترجاع قنوجات السلطان الغازي  
 سلمان الأول القانوني ففتح مدينة أريوان في ٢٥ صفر سنة ١٠٤٥ الموافق ١٠ أغسطس  
 سنة ١٦٣٥ وأرسل السلطان رسولين إلى الاستانة ليربين المدينة مدة سبعة أيام وقتل  
 أخويه بإيديه وسلمان بلوغه عنهما ما كثر خاطروهما لما بالعادة المذمومة وبعد ذلك قصد  
 السلطان مدينة تبريز ففتحها عنوة في ٢٨ ربيع الأول سنة ١٠٤٥ الموافق ١٠ سبتمبر سنة  
 ١٦٣٥ المذكرة ثم عاد إلى الاستانة للاستراحة من غناء الشق ومشاقت الحرب ولما يدرك على  
 أن وجود السلطان مع جنوشه له أهمية عظمى وسيبعث فيهم ووجاه جديدة أنه بمجرد رجوع  
 السلطان اشتد عزم العجم ووقفوا أمام الجيوش العثمانية بعد أن كانوا يفرلون من أمامهم  
 أيما التوقا بهم والسلطان قائدهم ثم تغلبوا عليهم واستردوا مدينة (أريوان) وفازوا بالغلبة  
 في واقعة منتظمة في وادي مهر بان سنة ١٠٣٩ الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٦٣٥  
 فلما وصل خبر انتصار العجم على الجنود العثمانية إلى مسامع السلطان أراد أن يذهب وكسر  
 شوكتهم فسار بجيش عظيم كامل العدد والعدد إلى مدينة دار السلام وابتدأ حصارها  
 بكيفية منتظمة في ١٨ رجب سنة ١٠٤٨ الموافق ١٠ نوفمبر سنة ١٦٣٨ وكان يشغل  
 بنفسه في أعمال الحصار الشاقة لتسيط الجند ولسلطان على أسوارها المتساقط الضخمة  
 التي نقلها العمال ولما فتحت المدافع فيها فبيحة كافية للهجوم أصدر السلطان أوامره بذلك  
 فخرجت الجيوش كالتيوت السكاوشر في صبيحة ١٨ شعبان سنة ١٠٤٨ الموافق ١٠  
 ديسمبر سنة ١٦٣٨ ولم يبق لها قتال الصمد الأعظم طيار محمد باشا الذي تولى بعد موت بيرام  
 نجبه بالها المتوفى في ١٨ ربيع الآخر سنة ١٠٤٨ الموافق ١٧ أغسطس سنة ١٦٣٨ بل  
 استمرت الحرب ٤٨ ساعة متوالية ختمت بانتصار الجنود العثمانية نصراً مبيناً ووجه  
 المدينة وأرجاعها إلى المملوكية العثمانية ولم يزل تابعة لها حتى الآن بعد  
 ويعلم ذلك رغب شاه العجم عدم استمرار القتال وعرض الصلح على الدولة العلية بأن يتولها

فتح أريوان  
 واسترجاع بغداد



بلشاه جيشه فسان اليه الصدر خليل باشا بنفسه وحضره ثم رفع عنه الحصار بعد شهرين  
 (مؤخر سنة ١٠٥٧ هـ) فعزل من الصدارة سنة ١٠٣٥ هـ هجرة نوري مكانه بخسر باشا  
 وهو حاكم السكرة على أرضه روم وأدخل بأبطله باشا في طاعة للدولة وعينه والياً على البشناق  
 (بوسنه) سنة ١٠٣٧ هـ الموافق سنة ١٦٢٨ م وفي هذه الاثناء كانت ثورات الخوارج  
 متتابعة بالإستانة وفي كل مرة يطلبون قتل من يشاؤون من رؤساء الحكومة المخالفين لهم  
 في الزعم ولا يرى السلطان مندوحة من اجابة طلباتهم لشكناهم وخوفهم أن يصل اليه  
 أذنتهم ثم توفي الشاه عباس بن تولى ابنه شاه مرزا وكان حديث السن فدخل العثم في اقعدة  
 القواد العثمانيين ولسان خسرو باشا من خيمته الى بلاد العجم غفا عن تدبير جنوده ووصل  
 بشاه العناء الشديد الى مدينة همدان فدخلها فجاء في أواخر شوال سنة ١٠٣٩ هـ الموافق ١٨  
 يونيو سنة ١٦٣٠ م ثم قصد مدينة بغداد وانصرف لثناء عونه اليها ثلاث دفعات متواليات  
 على عجوش العجم ووصل اليها كما ابتدأ في محاصرتها في شهر سبتمبر من السنة المذكورة  
 فبدأ فعنها قائم حاميها دفاط شيد أوصد هجوم العثمانيين عنها في ٧ ربيع الثاني سنة  
 ١٠٤٠ هـ الموافق ١٤ نوفمبر سنة ١٦٣١ م وطعم هجوم الشتاء رفع خسرو باشا عنها الحصار ورجع  
 الى مدينة الموصل لقضاء فصول الشتاء وفي الرابع من أيار معاودة النكسة على مدينة  
 بغداد فلم يقتل الخوارج وأمر بذلك اضطر الى التفرق الى مدينة حلب خوفاً من وصول  
 للعدو اليه بالموصل وهو غير واثق من جنوده وفي غرضون ذلك أصدر السلطان أمره بعزل خسرو باشا واعادة حافظ باشا الى منصب  
 الصدارة فسمي للعزل الذي الجند وأفهمهم أنهم لم يعزل إلا لمساعدتهم فثاروا وأرسلوا الى  
 الأستانة يطلبون لزجاءه ولما لم يحجب السلطان طلبهم ساروا الى القسطنطينية وقاموا بشورة  
 عظيمة خيف منها على حياة الملك فأنهم دخلوا السراي السلطانية في ١٨ رجب سنة  
 ١٠٤١ هـ الموافق ٩ فبراير سنة ١٦٣٢ م فقتلوا حافظ باشا رغبة في تدمير السلطان  
 ومنعهم عنه فاعتاظ السلطان وأمر بقتل خمسون باشا محمول هذه الفتنة فقتل ولم يبق بقية  
 من الباقين في الصدارة وعين من بعده في عام محمداً باشا صندرك الأعظم وفي تلك الحين أظهر  
 السلطان عزماً شديداً وثباتاً قوياً في مجازاة رؤس الانكشارية بموغيرهم من كان يهيج  
 بالخطاير ويقادح الراحة العمومية وصار يأمر بتسليم كل من ثبت عليه ما قبل بالشر في  
 الحركات الاخيرة فبذلك دخلهم الرعب وقعت بها بعض قلوبهم وخشيعة الصغار والكبار  
 والاعز والحقير وسار كل في حوز يقضه مكاب على عياله بدون أن يمانى ما يكد له من كائن  
 الواحدة العمومية وأمن الناس به على أموالهم وأعراضهم من الخديعة في التسلية في  
 القسطنطينية وضوا حيلهم وجميع الحماة المماكة وكانت آخر ثورة الانكشارية في آخر  
 شهر ربيع الثاني سنة ١٠٤٢ هـ الموافق ١٨ مايو سنة ١٦٣٣ م فخرجوا عن قسطنطينية فاجتبا  
 في التفرق فاقام السلطان بقتله وإعدامه جميعه من شياطين السراي حتى برأه المتجملين وفي

حاكم السكرة  
 على أرضه روم

رة الانكشارية  
 قتلهم الصدر  
 لأعظم حافظ  
 شاة ونورة فخر  
 دين الدرزي



١٠١٨ الموافق ٢٩ أغسطس سنة ١٦٠٩ وولاه الانكشارية بعد عزل عمه السلطان مصطفى الاول ابن السلطان محمد الثالث مع حداثة سنه كي لا يكون معارضاً لهم في أعمالهم الاستبدادية ولا مضعفاً لتفوذهم الذي اكتسبوه بقتل سلطان وعزل غيره واستمر وامتد العشر سنين الاولى من حكمه على غمهم وطغيانهم

محاربة العجم  
واستيلائهم على  
بغداد

وانتهز الشاه عباس ملك العجم هذا الاختلال فرصة لتوسيع أملاكه من جهة حدود الدولة العلية فكان الامر حينئذ بعكس ما كان عليه أيام المرحوم الغازي السلطان سليمان القانوني وذلك أن رئيس الشرطة في مدينة بغداد واسمه بكير أغا ثار على الوالى وقتله واستبد في الاحكام فأرسلت له الدولة قائد يدعى حافظ باشا حاربه وحصره في دار السلام فسولت لبكير أغا نفسه الخبيثة أن يخون الدولة وراسل الشاه عباسا وعرض عليه تسليم المدينة فسار الشاه بجنوده لاحتلالها وفي الوقت نفسه عرض بكير أغا على القائد العثماني ان يرد المدينة للعثمانيين لو أقرته الدولة على ولايتها فقبل ذلك واحتلتها الجنود المنظرة قبل وصول شاه العجم وهو لما وصلها حاصرها ثلاثة أشهر ثم فتحها بخيانة ابن بكير اغا الذي سلمها له بشرط تعيينه حاكماً عليها من قبلهم لكن خاب سعيه فقد قتله الشاه جزاء خيائته كما قتل أباه وفي ذلك عبرة لكل جاهل خائن يظن أن الاجنبي يعتد فيه الاخلاص ويكافئه لو ساعده على ابتلاع وطنه فهل يرجو من باع وطنه العزيز بيع المتاع خيراً من تلك الدولة كلا فانها تستعمله آلة لنوال غرضها ثم تلفظه لفظ النواة فيرجع بعض بنان الندم على ضياع شرفه وتسويد صفحات تاريخه حيث لا يتفخ الندم وينكص على عقبه مذموماً مدحوراً وبمناسبة سقوط بغداد في أيدي العجم وعدم إخباره السلطان بذلك سعى المنافقون بالصدر الاعظم كيانكش على باشا الدى السلطان وأفهموه أنها لم تسقط الا لخيائته فحنق عليه وأمر بقتله وولى مكانه جر كس محمد باشا ولم يلبث هذا الاخير أن توفي وعين بعده حافظ أحمد باشا سنة ١٠٣٣ هجرية الموافق سنة ١٦٢٤ وهو الذي اشتهر في مكافحة أباطه باشا والفوز عليه في واقعة قيصرية ومحاصرتة في أرضروم حتى التزم بالخضوع للدولة وظهر الولاء لها فغفت عنه عفو كريم مقتدر وأقرته في ولايته سنة ١٦٢٤ فسار حافظ باشا الصدر الجديد الى مدينة بغداد لاستردادها وحاصرها في أوائل سنة ١٦٢٤ وضيق عليها الحصار ولما استمر الحصار مدة بدون أن تنتهي عزيمة المحصورين تدمر الانكشارية وأظهروا عدم الرغبة في الحرب بكيفية اضطرت له رفع الحصار عن المدينة والرجوع الى الموصل ومنها الى ديار بكر حيث ثار الجند مرة ثانية فعزل السلطان حافظ باشا سنة ١٠٣٤ هجرية الموافقة سنة ١٦٢٤ وعين بدله من يدعى خليل باشا الذي سبق تقلده هذا المنصب في عهد السلاطين أحمد الاول ومصطفى الاول وعثمان الثاني شهيد الانكشارية وكانت فاتحة أعماله انه استدعى أباطه باشا الى معسكره فظن انه يريد العذر به فرفع راية العصيان ثانياً وقتل حامية أرضروم من الانكشارية وانتصر على القائد حسين

قهرها الى ثكناتهم موسمية سباً وشتماً واهانة مما لم يسبق له مثيل في تاريخ دولتنا العلية وزيادة على ذلك أنهم نقلوه من هناك الى القلعة المعروفة بذات السبع قلل (يدى قله) حيث كان بانتظاره كل من يدعى داود باشا وعمر باشا الكيخيا وقلندراوغلى وغيرهم فاعدموا السلطان عثمان الحياة غير مباين بهذا الجرم العظيم والاثم الذى مابعده اثم الا الكفر المبين فانه ان كانت مخالفة أوامر الخليفة الاعظم تعدّ كفراً بنص الكتاب الشريف فبالك بقتله وهنا يتقف القلم وكيف المداد عن وصف هذه الفعلة الشنعاء والكبيرة الشعواء ناركا وصفها للتارىء اللبيب والمطلع الاديب لعجزى عن هذا المقام العالى وتقصيرى عن هذه المراتب العوالى وقلة بضاعتى وقصور قريحى مكتفياً بنقل أسماء مرتكبها الى الخلف لتكون هدف سخطتهم ومرمى سهام فضيحتهم وقتل رحمه الله ولم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ومدة حكمه أربع سنين وأربعة أشهر

وبعد ذلك صارت الحكومة العوبة فى أيدى الانكشارية ينصبون الوزراء ويعزلونهم بحسب أهوائهم فعزلوا داود باشا قاتل السلطان بعد بضعة أيام وصاروا يتمتعون المناصب لمن يحجز الهمم العطايا فكانت الوظائف تباع جهاراً وارتكبوا أنواع المظالم فى القسطنطينية ولما بلغ خبر قتل السلطان الى الولاة وانتشرت بينهم أخبار القوضى السائدة فى الاستانة وسوس لهم ابليس الطمع فاطاعوه وسرى فى عروقهم شيطان الغواية فاتبعوه فاشهر الى طرابلس الشام استقلاله وطرده الانكشارية من ولايته واقبى أثره الى أرضروم المدعو أباطه باشا مدعياً انه يريد الانتقام للمرحوم السلطان عثمان شهيد الانكشارية وسار بمن تبعه الى سيواس وانقره ففتحهما مصادراً التزامات الانكشارية واقطاعانهم قاتلاً كل من وقع فى محالبه من هذه الفئة التى تلوتت بدم سلاله سلاطينهم وتبعه الى سيواس وسنجق قره شهر ثم سار الى مدينة بورصة فحاصرها ودخلها بعد ثلاثة أشهر الا قلعها فلم تسلم

واستمرت الاضطرابات الداخلية فى نفس كرسى الخلافة العظمى ولا أمن ولا سكينه مدة ثمانية عشر شهراً متوالية حتى اذا شعر العموم بما وراء هذه القوضى من الدمار والخراب وشبع الانكشارية نهياً وسلباً وقتلاً فى نفوس الالهالى وأموالهم عينوا من يدعى (كيانكش على باشا) صدرأ أعظم لتوسمهم فيه الخبرة والاستعداد فأشار عليهم بعزل السلطان مصطفى نانيا لضعف عزيمته ووهن قواه العقلية فعزلوه فى ١٥ ذى القعدة سنة ١٠٣٢ الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٦٢٣ ولولا مكانه السلطان مراد الرابع وبقي فى العزل الى أن توفى فى غضون سنة ١٠٤٩ هـ الموافق سنة ١٦٣٩ م

### ١٧ «السلطان الغازى مراد خام الرابع»

هو ابن السلطان أحمد الاول ابن السلطان محمد الثالث ولد فى ٢٨ جمادى الاولى سنة





العلية يمنع تزار القرم من التعدي على حدودها وفي سنة ١٦١٢ حصلت ولايات القلمنك (١) على امتيازات تجارية تضارع ممنتجاته كل من فرانسا وانكلترا وهم أي القلمنك الذين أدخلوا في البلاد الإسلامية استعمال التبغ أي تدخين البخان فعارض المفتي في استعماله وأصدر فتوى بمنعه فهاج الجنيد واشترك معهم بعض مستخدمي السراي السلطانية حتى اضطروه إلى إباحته وفي ٢٣ ذي القعدة سنة ١٠٢٦ الموافق ٢٢ نوفمبر سنة ١٦١٧ توفي السلطان أحمد الأول وعمره ٢٨ سنة ومدة حكمه ١٤ سنة ترميا ولصغر سن ولده عثمان الذي كان لم يجاوز ثلاثة عشر سنة من عمره خالف العادة المتبعة من ابتداء الغازي السلطان عثمان الأول أي تنصيب أكبر الأولاد أو أحدهم مكان والده وأوصى بالملك بعده لأخيه

### ١٥ « السلطان مصطفى بناه الأول »

ولد هذا السلطان بسنة ١٠٠١ وقضى طول عمره داخل محلات الحرم ولم يتعاطى أشغال مظان بل ولم يعلم من أمور المملكة شيئا كما كانت عادة بعض ملوك بني عثمان وهي أن كل سلطان يتولى يأمر بقتل أخوته أو يحجزهم في السراي كي لا يكون منهم منازع في الملك وهي عادة مستحبة جدا ألما فيها من قتل أقرب الناس بلا ذنب أو جرم إلا ما يجنيه لهم الوهم من الخوف على الملك والاستئثار به مع أنهم لو استخضعوا أخوتهم في المناصب العالية لاسيا قيادة الجيوش كما يفعل ملوك أوروبا الآن لحفظوا دمار الدولة وأخلصوا في خدمتها أكثر من الذوات الذين أغلبهم (كما رأيت وترى في سياق هذا الكتاب) من غير الجنس التركي بل من الممالك الجركس أو الأفرنج الذين ربما اعتنقوا الدين الإسلامي ودخلوا في خدمة الدولة أعداء في لباس أصدقاء لتنفيذ أغراض دولهم وكادت تقوم الحرب بين الدولة وفرنسا عند توليته وذلك أن كاتم أسرار السفارة الفرنسية ساعد أحد أشراق بولونيا وكان مسجوناً بالاستمارة على الهروب منها فسمجن كاتم السراي والمترجم والسفير ولم يلبث هذا السلطان على سرير الملك الاثلاثة أشهر تقريبا ثم عزله أرباب العايات وفي مقدمتهم المفتي وقبيل أغاسي أي أغا السراي وساعدهم الانكشارية على ذلك لثوزيع

(١) بلاد القلمنك والبلاد الواقعة المشهورة الآن باسم هولانده مكونة من عدة ولايات كانت في الأصل تابعة لمملكة النمسا ثم استقلت سبعة من الولايات الثلاثة في أواخر القرن السادس عشر وشكلت بهيئة جمهورية سميت بالولايات المتحدة واستمرت الباقية تابعة لملك اسبانيا لانقلابها بالارث وفي سنة ١٧٩٤ أعطيت إلى النمسا وبقيت في حياتها إلى سنة ١٧٩٠ تقريبا حيث فتحها فرنسا وفي سنة ١٨٢٤ تشكلت جميع البلاد الواقعة بما فيها الولايات التي كانت متحدة والاراضي المكونة لمملكة بلجيكا الآن بهيئة حكومة ملوكية مستقلة وفي سنة ١٨٣٠ انقسمت هذه المملكة إلى قسمين سمي الجزء الشمالي منها بمملكة هولاندا والجنوبي باسم مملكة بلجيكا وهي مكونة من الولايات التي كانت تابعة لاسبانيا والنمسا أما هولاندا فمكونة من الولايات التي كانت متصلة بهيئة جمهورية مستقلة



الجزيرة التي كانت للسلطان (باتوري) بشرط رجوع ما يكون منها ألمانيا وخصوصا اقليم ترنسلفانيا الى امبراطور ألمانيا بعد موت بوسكاي ولزيادة اضطراب أحوال الدولة بأسيا وتعمد استمرار الحرب مع النمسا بدون مساعدة جيوش المجر لها أبرمت الصلح مع امبراطور النمسا في سنة ١٦٠٦ عينها على أن لا تدفع النمسا الجزية السنوية التي قدرها ثلاثون ألف دوكا في المستقبل مقابل التعويض عنها للدولة بدفع مبلغ مائتي ألف دوكا وأن تضم الدولة العلية لاملأ كما حصون (جران) و (ارلو) و (كانيشا) وفي سنة ١٦٠٨ اجتمع نواب النمسا والمجر في مدينة برسبورج وصدقوا على هذا الاتفاق وكذلك صدق عليه لمدة عشرين سنة من تاريخ التصديق مندوبو مملكة ألمانيا مجتمعين بهيئة مؤتمر بمدينة (ويانه) سنة ١٦١٥ أما بلاد المجر فبقيت تابعة للدولة بعضها تبعية فعلية والبعض تبعية حماية وسميت هذه المعاهدة بمعاهدة (ستواتوروك)

وبعد التصديق نهائيا على هذا الاتفاق من جميع أولى الشأن توفي (بوسكاي) وامتنع أهالي اقليم ترنسلفانيا عن الدخول ضمن أملاك الامبراطورية مفضلين البقاء تحت حماية الدولة العثمانية الاسلامية التي لم تتعرض لهم لا في دينهم ولا في عوائدهم اكتفاء بالجزية السنوية فعينت لهم الدولة (سيجسمون راجوتسكي) ثم (جبرائيل باتوري) ثم (بيلان جابور) وهو من أشد خصماء دولة النمسا وألد أعدائها وتعهد هذا الأمير بمنع أمراء الفلاح والبغدان من اقتناء الاراضي والقصور في امارته حتى لا يلتجؤا اليها لومردوا على الدولة وبتسليمهم لها لو فرّوا اليها وبذلك صارت ترنسلفانيا حائلا بين الامارتين وبلاد المجر

هذا ولو أن الحروب انقطعت على كافة حدود الدولة تقريرا لأنه قد حصلت ما بين سنة ١٦١١ وسنة ١٦١٤ بعض مناوشات بحرية بين مراكب الدولة وسفن رهبان مالطة وملاك اسبانيا وولايات ايطاليا كان الفوز فيها غالبا لمراكب الاعداء ولذلك أمر الصدر نصوح باشا بجمع جميع سفن الدولة في مياه البحر الابيض المتوسط لصدد تعديات مراكب الافرنج وحفظ طريق البحر بين الاستانة وولايات الغرب فانهز بعض أخطاط القوزاق انسحاب السفن الحربية من البحر الاسود وأغاروا على نغر سينوب ونهبوا ما به ولما علم السلطان بذلك غضب على الصدر الاعظم وسعى به بعض مبغضيه طمعا في نوال منصبه وما فتئوا يوغرون صدر سيده عليه حتى أمر بقتله في ١٤ اكتوبر سنة ١٦١٤ خنق في قصره

هذا وازدادت في أيام السلطان أحمد الاول العلاقات السياسية مع دول الافرنج خجّدت مع فرانسوا العقود والعهود القديمة في سنة ١٦٠٤ مع بعض زيادات طمعة وفي سنة ١٦٠٩ جدّدت مع مملكة بولونيا الاتفاقات التي أبرمت معها في زمن السلطان محمد الثالث وأهم ما بها تعهد بولونيا بمنع قوزاق الروسية من الاغارة على اقليم البغدان وتعهد الدولة

السابقة اضطراب الاحوال في الولايات الشرقية عموماً وسعى كل أمة من الامم المختلفة النازلة بها للحصول على الاستقلال وكان أهم رؤساء هذه الحركة رجلاً كردياً لقب بجان بولاد (ومعناها بالعربية من نفسه كالبولاد) لشدة بأسه وقوة اقدامه والامير خفر الدين الدرزي وغيرهما لكن قبض الله للدولة في هذه الشدة الوزير مراد باشا الملقب بتقويوجي الذي عين صديراً أعظم وكان قد تجاوز الثمانين ليكون عوناً وعضداً للسلطان الفتي فتقدم مع كبر سنه ووهن قواه قيادة الجيوش وحارب الثائرين بهمة ونشاط زائدين فانتهصر على خفر الدين وجان بولاد واقتفى أثرهم حتى اخفيا في بادية الشام واستمال (قلندر أوغلي) أحد زعماء الثورة في الاناطول وعينه والياً على انقرة وقبض على آخر يدعى أحمد بك وقتله بعد أن فرق جنده بالقرب من قونية ولما رأى جان بولاد الكردي عدم نجاح الثورة سافر للاستانة وأظهر الطاعة للسلطان فغفاه عنه وعينه والياً لمسوار

وفي سنة ١٦٠٨ انتصر على من بقي من العصاة بقرب (وان) وفي السنة التالية قتل آخر زعمائهم المدعو يوسف باشا الذي كان استقل بأقاليم صاروخان ومنشاشا وآيدين وبذلك عادت السكينة وساد الامن بهمة هذا الشجاع الذي لقب بسيف الدولة عن استحقاق هذا واتهم الشاه عباس هذه الفرصة لاسترجاع بلاد العراق العجمي واحتل مدائن تبريز ووان وغيرهما ولمناسبة اضمحلال جيوش الدولة في هذه الحروب التي استمرت عدة سنوات متوالية وموت أهم قوادها خصوصاً الصدر الأعظم قويوجي يوم ٥ أغسطس سنة ١٦١١ تراسلت الدولتان على الصلح وتم الامر بينهما في سنة ١٦١٢ بمساعي نصوح باشا الذي تولى منصب الصدارة بعد موت قويوجي مراد باشا على أن تترك الدولة العلية لمملكة العجم جميع الاقاليم والبلدان والقلاع والحصون التي فتحها العثمانيون من عهد السلطان الغازي سليمان الأول القانوني بما فيها مدينة بغداد وهذه أول معاهدة تركت فيها الدولة بعض فتوحاتها ويمكننا القول بكل أسف وحزن أنها كانت فاتحة الانحطاط وأول المعاهدات المشؤمة التي ختمت بمعاهدة برلين الشهيرة

أمام جهة الجر والنمسا في أثناء اشتغال الدولة بحروبها الداخلية استبد النمساويون ببلاد الجر وأساقفاً معاملة أشرافها نظير اخلاصهم للدولة العلية حتى رفضوا نير النمسا المسيحية وطلبوا من الدولة أن ترفعهم بعين حمايتها وتخلصهم من استرقاق النمسا لهم وانتخبوا الامير (بوسكاي) ملكاً عليهم سنة ١٦٠٥ فانشرحت الدولة لهذه النتيجة التي ما كانت تنتظرها من أمة مسيحية لاسيما وهي في حالة كربة لكثرة الحروب الداخلية وتقهقر جيوشها أمام الشاه عباس فقبلت هذا الاسترحام واعتمدت انتخاب (بوسكاي) وأمدته بجميوشها ففتحت في زمن يسير حصون (جران) و(يسجراد) و(سبريم) وغيرها وفي سنة ١٦٠٦ خشيت النمسا من امتداد الفتوحات العثمانية فسعت في صلح بوسكاي عن الدولة فاعترفت باتخابه ملكاً للمجر وأميراً لأقليم ترانسلفانيا ونازات عن كافة الاقاليم

واستفحل أمره حتى خيفت العاقبة ولمارات الدولة تحسم هذه النازلة أخذت في استعمال طرق السلم والتودد فاجزلت اليه العطايا وأغدقت عليه الهبات ثم عرضت عليه ولاية بوسنة فقبل بعد تعاملات كثيرة ووضع السلاح وأعلن باخلاصه للدولة العلية سنة ١٦٠٣ وسافر بجنوده ومن انضم اليها من أخلاط الاكراد وأوباش القربان واستعمل قوته لمحاربة الأفرنج على حدود الدولة من جهة أوربا حتى هلكت جيوشه عن آخرها في المناوشات المستمرة بينها وبين عساكر المجر والنمسا واستراحت الدولة من شرها

وأعقبت هذه الثورة العظيمة ثورة أخرى في نفس الاستانة العلية كاد شرها يتعدى الى نفس الخليفة الاعظم وذلك أن جنود السباه أى الخيالة طلبوا من الدولة أن تعوض عليهم ما فقدوه من ريع الاقطاعات المعطاة لهم في بلاد آسيا التي كانوا يسمونها (تمارا) بسبب فتنة قره يازجى ودلى حسن بآسيا الصغرى ولمالم يكن في وسع الدولة تلبية طلبهم لنقص دخلها هي أيضاً بسبب هذه الفتنة تمردوا وثاروا وطلبوا نهب ما في المساجد من التحف الذهبية والفضية فاستعانت الدولة عليهم بجنود الانكشارية وأدخلتهم في طاعتها بعد سفك الدماء ولواخذ الانكشارية معهم وساعدوهم على مطالبهم لخيف على حياة الدولة من الداخل والخارج

ومن ذلك يظهر جلياً اختلال النظام العسكرى وعدم صلاحيته لحفظ اسم الدولة وشرفها بين أعدائها وفي هذه السنة توفي السلطان وكانت وفاته رحمه الله في ١٢ رجب سنة ١٠١٢ الموافق ١٦ دسمبر سنة ١٦٠٣ وعمره ٣٧ سنة ومدة حكمه ٩ سنين وخلفه ابنه احمد الاول

## ١٤ « السلطان الفاضل احمد خان الاول »

❦ وانتصار الشاه عباس ❦

ولد هذا السلطان في ١٢ جمادى الثانية سنة ٩٩٨ الموافق ١٨ ابريل سنة ١٥٩٠ فتولى الملك ولم يتجاوز سنه الرابعة عشر الا بقليل ولم يأمر بقتل أخيه مصطفى بل اكتفى بحجزه بين الخدم والجواري وكانت أركان الدولة غير ثابتة في كافة بلاد آسيا وناار الحرب مستعرة على حدود العجم شرقاً والنمسا غرباً وكانت الحرب مع العجم شديدة الوطأة في هذه المرة لتولى الشاه عباس (١) الشهير قيادتها ومما جعل لها أهمية أعظم من كافة الحروب

(١) لقب هذا الشاه بالكبير وأخلف محمد مرزا في الملك سنة ١٥٨٥ ونودي به ملكاً في خراسان ثم سار الى مدينة مشهد التي كانت قد احتلتها قبائل الازبك فاستخلصها منهم وانتصر عليهم بقرب مدينة هرات سنة ١٥٩٧ ثم حارب الترك واستخلص منهم الولايات التي سبق أخذها من مملكة العجم واحتل مدائن بغداد والموصل وديار بكر ثم اتحد مع شركة الهند الانكليزية وطرد البرتغاليين من نهر هرمز وتوفي سنة ١٠٣٧ هـ الموافقة سنة ١٦٢٨ م بعد أن حكم البلاد بقاية الحكمة والسداد مدة ثلاث وأربعين سنة

أيدى وزرائه الذين منهم سنان باشا و جلاله زاده ( هو ابن القائد جفالة باشا الجنوى الاصل الذى قتل فى محاربة العجم الاخيرة وصحة اسمه سيكالا ثم حرّف فصار جفالة ) وآخر يدعى حسن باشا فقتلوا فى الارض و باعوا المناصب العسكرية و قتلوا عيار العملة حتى علا الضجيج من جميع الجهات و تعاقب انهزام الجيوش العثمانية أمام مختايل الفلاخى فضم لسلطانه بمساعدة الجيوش النمساوية اقليم البغدان و جزء عظيم من ترنسلانيا لعدم وجود القواد الا كفء لصدّهم

ومما يجتهد للسلطان الغازى محمد الثالث الذكر و يجعله رصيفاً لاجداده الاوائل أنه لما تحقق أن هذا الانحلال ناشىء من تحجبه عن الاعمال و عدم قيادته الجيوش برز بنفسه و تقلد المركز الذى كان ترك مراد الثالث و سلمه الثانى له من دواعى تهقير الدولة أمام أعدائها ألا وهو مركز قيادة عموم الجيوش فسار الى بلغراد ومنها الى ميدان الحرب و النزال و بعد قليل دبّت فى الجيوش الحمية الدينية و الغيرة العسكرية ففتحت قلعة ( ارلو ) الحصينة التى عجز السلطان سليمان عن فتحها فى سنة ١٥٥٦ و دمر جيوش المجر و النمسا تدميراً فى سهل ( كرزت ) بالقرب من هذه القلعة فى ٢٦ اكتوبر سنة ١٥٩٦ حتى شبهت هذه الموقعة بواقعة ( موها كز ) التى انتصر فيها السلطان سليمان سنة ١٥٢٦ و بعد هذه الموقعة استمر الحرب سجالاً بدون أن تحصل بين الطرفين وقائع حاسمة

وفى ابتداء القرن السابع عشر للميلاد حصلت فى بلاد الاناطول ثورة داخلية كادت تكون وخيمة العاقبة على الدولة خصوصاً و نيران الحروب مستعرة لهما على حدود المجر و النمسا وذلك ان فرقة من الجيوش المؤجرة ( ويسمونها بالتركية علوفه جى ) التى هى بالنسبة للانكشارية كنسبة الباشبوزق للجيوش المنتظمة لم تثبت فى واقعة ( كرزت ) المتقدم ذكرها بل ولت الادبار و ركنت الى الفرار ففتحت الى ولايات آسيا و أطلق عليها اسم ( فرارى ) تخمير ألهم و عبرة لغيرهم و هناك ادعى أحد رؤسائهم واسمه ( قره يازى بحى ) أن النبى صلى الله عليه وسلم جاءه مناماً و وعده بالنصر على آل عثمان و فتح ولايات آسيا فتبعه كثير من هذه الفئة و شق عصا الطاعة و تغلب على والى القرمات و دخل مدينة ( عين تاب ) عنوة فارسلت اليه الجيوش و حاصرت فيها و لما رأى أن لامناص له من التسليم أو الموت عرض على الوزير المحاصر له الطاعة للسلطان بشرط تعيينه والياً لآماسيا فقبل شرطه و رفع عنه الحصار لكن بمجرد ابتعاد الجيوش عنه رفع راية العصيان ثانياً و اتحد مع أخيه المسمى ( دلى حسن ) و الى بغداد فاتبع و سوسة أخيه و كفر ببيعة الدولة و جاهر بعصيانها فإرسل صقلى حسن باشا مع جيش جرار لحاربهما و انتصر و لا على قره يازى بحى و الجأه الى الاحتماء بجميال جائق على البحر الاسود حيث توفى من الجراح التى أصابته فى الحرب تاركاً أخاه للاخذ بثأره و فعلا فاز الدلى حسن على صقلى حسن باشا و قتله على أسوار مدينة ( توقات ) ثم هزم ولاية ديار بكر و حلب و دمشق و حاصر مدينة ( كوتاهية ) فى سنة ١٦٠١



ان الحرب كانت نارة لاحد الفريقين وطوراً للآخر فقتل حسن باشا والى الهرسك وانهمز  
والى (بود) وفتحت جيوش النمسا التى انحازت الى المجر عدة قلاع عثمانية ثم استرد هاسنان  
باشا الصدر الاعظم سنة ١٥٩٥ وفى هذا الموقع يجب علينا وعلى كل عثمانى التأسف  
والتحسر على عدم خروج السلطان بنفسه الى الحرب وتمجيده عن أعين جيوشه وعدم  
قيادتهم بذاته الشريفة الى ساحات النصر فلولا ذلك لكانت الغلبة دائماً لهم باذنه تعالى فقد  
عودهم عز وجل النصر على الاعداء فى زمن أجداده سليمان وسليم الاول ومن قبلهم لان  
وجود الخليفة الاعظم فى رأس جيوشه يبعث فيهم روحاً جديدة فيتحدون معه قلباً وقلباً  
ويسرون معه الى النصر المبين والفرز العظيم وكمن فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله  
ومما زاد أحوال المملكة ارتباكاً اشهر الفلاخ والبغدان وترنسلانيا العصيان بالاتحاد  
وتحالفهم مع رودلف الثانى ملك النمسا وامبراطور ألمانيا على محاربة الدولة والحصول على  
الاستقلال فسار اليهم الصدر الاعظم سنان باشا فى سنة ١٥٩٥ ودخل مدينة بوخارست  
عاصمة الفلاخ عنوة ثم انتصر عليه (مخائيل) أمير الفلاخ الملقب فى كتب الفرنج  
بالشيخاى ودخل مدينة (ترجوفتس) وقتل حاميتها ورئيسها فاخذ العثمانيون فى  
الانسحاب والتقهقر خلف نهر الدانوب وتبعهم مخائيل الفلاخى وانتصر عليهم مرة ثانية  
بالقرب من مدينة (جورجيو) عند عبورهم النهر وفتح المدينة وعدة مدائن أخرى أهمها  
مدينة (نيكوبلى)

وفى هذه الاثناء ولى فرهاد باشا منصب الصدرية فى سنة ٩٩٩ هـ ثم أعيد سياوس  
باشا ثالثاً اليها سنة ١٠٠٠ هـ ثم أصيب السلطان بداء عياء وتوفى مساء جمادى الاولى سنة  
١٠٠٣ الموافق ٢٠ يناير سنة ١٥٩٦ وله من العمر خمسون سنة وكانت مدة ملكه  
احدى وعشرين سنة تقريباً وكان شاعراً مجيداً فطناً لبيباً الا أنه كان كثير الميل  
لاقتناء الجوارى الحسان عامل لا مشورتهم وكان من ضمن حظياته جارية بندقية الاصل  
من عائلة شهيرة بها اسمها (بافو) سباها قرصين البحر وبيعت فى السراى السلطانية وسميت  
صفية اصطفاها السلطان لنفسه وتداخلت كثيراً فى السياسة الخارجية وساعدت بلادها  
الاصلية كثيراً وهى والدة السلطان محمد الثالث

### « السلطان الفاضل محمد فاضل الثالث »

﴿ وفتح حصن ارلو ونورة جنود العلوفه جيه ﴾

ولد هذا السلطان فى ٧ ذى القعدة سنة ٩٧٤ هـ الموافق ١٦ مايو سنة ١٥٦٦ م  
وتولى بعد موت أبيه مراد الثالث ابن صفية الايطالية الاصل وكان له تسعة عشر أخاً  
غير الاخوات فامر بختهم قبل دفن أبيه ودفنوا معاً تجاه أياصوفيا  
وفى أوائل حكمه سار على أثر سلفه فى عدم الخروج الى الحرب وترك أمور الداخلية فى

من الفرسان القوزاق المشهود لهم بالبسالة والاقدام وحاصر عثم ان باشا وجيوشه التي أضناها  
التعب وأنهم كما السير ولولا عصيان أخيه اسلام كراى عليه لوعده بالامارة من قبل الدولة  
العلية وتفرق جيوشه من حوله وقتله غدرآ بدسيسة أخيه لانتصر على العثمانيين لكن  
خانده أخوه ودس اليه من قتله طمعاً في الامارة سنة ١٥٨٤ وبعد ذلك رجع عثمان باشا  
الى الاستانة برآ وقوبل بكل تكريم واعظام وبعد أيام قلائل عين صدرآ أعظم بدل  
سياموس باشا المجرى وسر عسكر الجيش الكرج وكان تعيينه في سنة ٩٩٢ هـ

فسار في جيش عرمرم مؤلف من مائتين وستين ألف مقاتل قاصداً بلاد اذربيجان  
فاخترقها بدون كثير مقاومة ثم قصد مدينة تبريز عاصمة العجم فدخلها بعد ان انتصر على  
حمزة مرزا وترك فيها حامية قوية وبعد ان استمر الحرب سجالاً بين الدولتين نحو ست  
سنوات توفي في خلالها الصدر الاعظم عثمان باشا سر عسكر الجيش ثم الصلح وأمضى بينهما  
في ٢١ مارت سنة ١٥٨٥ على أن تنازل العجم للدولة العثمانية عن اقليم الكرج وشروان  
ولورستان وجزء من اذربيجان ومدينة تبريز ونولى بعده خادم مسيح باشا صدرآ أعظم  
سنة ٩٩٣ هـ وفي السنة التالية أعيد سياموس باشا الى هذا المنصب الخطير وبذلك هدأت  
الاحوال وانقطعت الحروب على سائر حدود المملكة تقريباً

الآن هذه السكينة لم تكن لترضى الانكشارية الذين كانوا يفضلون استمرار الحروب  
للنهب والسلب وارتكاب ما لا خير فيه فكانت اذا انقطعت الحروب تترددوا وار تكبوا هذه  
القبائح في بلاد الدولة المعسكرين بها بل وفي نفس الاستانة فلما بلغهم أن الخبايا سائرة بين  
الدولة والعجم للوصول الى الصلح ناروا بالقسطنطينية وطلبوا تسليم الدفتردار ( ناظر المالية )  
ومحمد باشا بكرك بك الروملى لقتلهم بادعوى أنهم أرادوا أن يصرف اليهم نفرداً ناقصة العيار  
وحاصروها في منزلهم الى أن قتلوهما شرفقطة ولم يتوالسلطان على منعمهم وتمردوا مرة أخرى  
سنة ١٥٩٣ في الاستانة وأخرى في مدينة بود وقتلوا واليها وفي القاهرة وفي تبريز  
مما يطول شرحه ووصلت بهم القيجة الى آخرها ولذلك أشار سنان باشا الذي أعيد الى  
منصة الوزارة في سنة ٩٩٧ هـ باشا عالم بمجارية بلاد الجر وأوعز الى حسن باشا والى  
بلاد البشناق ( بوسنه ) أن يجتاز حدود بلاد الجر إعلاناً للحرب لاسكن هل يرجى نجاح  
أو فلاح حقيقى من جيوش بلغ عندها عدم النظام الدرجة القصوى حتى استطالت لقتل  
الولاة وعزل الحكام كلاً ولو كان قائدها الاسكندر المقدونى أو ابراهيم باشا المصرى  
أو نابليون الفرنساوى ( ورب معترض يعترض علينا في تسمية ابراهيم باشا بالمصرى مع أنه  
لم يولد بها فتجاوبه أن ابراهيم باشا نشر الرأية المصرية في بلاد العرب والشام وجنوب  
الاناطول والسودان وانتصر بالمصريين لا بغيرهم ولم يكن ذلك منه الا لاعلاء شأن الوطن  
المصرى واستقلاله في الداخل ونشر ثقوه في الخارج ولذلك حق لنا أن نسميه المصرى بل  
المصرى الوحيد بعد والده محمد على باشا الكبير) ولرجع الى ذكر حروب الدولة مع المجر فنقول

الذي لا يمكن استمرار القتال في غضون هذه البردوترا كم الثلوج في هذه الاصقاع وقسمت بلاد الكرج الى أربعة أقسام وهي شروان وتقليس وتكون القسمان الباقيان من بلاد الكرج الاصيلية وحصنت مدينة قارص بكيفية جعلتها أمتع معاقل الدولة على الحدود وما فتئت كذلك حتى احتلها الروس سنة ١٨٧٧ وعين لسل مناهها كم عام (بكر بك) وفي أواسط الشتاء أتت أربعة جيوش جرارة تحت أمرة الأمير حمزة مرزا وهاجمت بلاد شروان من كل فج حتى اضطر حاكمها عثمان باشا الى اخلاء مدينة شروان والاحتفاء بمدينة (در بند) وكذلك حاصر الاعجام مدينة تقليس نفسها ولم يقووا على استرجاعها لثبات حاميتها العثمانية حتى أتى اليها المدد ورفع عنها الحصار عنوة سنة ١٥٧٩ وفي غضون ذلك قتل الصدر الاعظم محمد باشا صاعلي الذي حافظ على نفوذ الدولة بعدموت السلطان سليمان وتمكن بسياسته ودهائه من ابرام الصلح مع دول أوروبا والمعادية لها وأنشأ عمارة بحرية بعد واقعة (ليمانته) وفتحت جزيرة قبرص بتعليماته وارشاداته وكوفى على خدماته الجليلة بالقتل لالذنب جناه أوجانية ارتكها بل هي دسائس حاشية السلطان قضت عليه بالموت غدرأ تبعا لدسائس الا جانب الذين لا يروق في أعينهم وجود مثل هذا الوزير يدير دولاب الاعمال على محور الاستقامة ففسدوا اليه من قتله نخاصا من صادق خدمته للدولة فكان موته ضربة شديدة ومحنة عظيمة لاسيما وقد كثرت بعده تنصيب وعزل الصدور فعين أولا من يدعى أحمد باشا ثم عزل في أغسطس سنة ١٥٨٠ وعين بعده سنان باشا أحد القواد المشهورين وأحد رؤساء الجيش المحارب في بلاد الكرج وتولى قيادة هذا الجيش بعدموت قائده العام مصطفى الذي قيل أنه انتحرم سوما لعدم حصوله على منصب الصدارة ولكنه عزل من منصبه بعد قليل ونفى الى خارج البلاد وتولى مكانه (سيافوس باشا) الجرى الاصل في الصدارة العظمى وفرهاد (أوفر حات) باشا أحد القواد العظام قائدا عاما للجيش المحارب في الكرج ولم يأت هذا القائد باعمال تذكر لعدم انقياد الانكشارية وامثالهم لاوامر رؤسائهم

أما عثمان باشا حاكم اقليم شروان فسار الى فتح بلاد (طاغستان) (١) على شاطئ بحر الخزر وبعد أن أتم فتحها عقب موقعة عظيمة انتصر فيها على الاعجام نصراً ميّزاً في ٩ مايو سنة ١٥٨٣ سار بطريق البر الى بلاد القرم مختاراً جبال (قاف) أو القوقاز وسهل روسيا الجنوبية لعزل خانها عقاباً له على امتناعه عن ارسال المدد الى الدولة العلية لمحاربة العجم فوصل اليها بعد أن عانى من المشقات أقصاها ومن الصعوبات منهاها لوعورة الطريق ومتاوشة الروس له الى مدينة (كافا) عاصمة الخان محمد كراي فجمع الخان جيشاً عظيماً

(١) طاغستان ومنهاها البلاد الجبلية اقليم باسيا واقع شرقي بلاد كرستان ومغصور بين بحر الخزر وجبال القوقاز كان تابع للعجم ثم تنازل عنه الحكومة الروسية سنة ١٨١٦ أهم مدنه مدينة باكو الواقعة على بحر الخزر والشهيرة بمعادن زيت البترول وقد أنشأت منها حديثاً طريق حديدية تصل الي نهر باطوم على البحر الاسود مارة على مدينة تقليس لتسهيل نقل البترول وتصديره الى جميع جهات الدنيا



السلطان في الملك وحصلت بينهما عدة وقائع مهمة وأخيراً استنجد سلطانها بالعثمانيين واستعان مدعى الملك بالبرتغاليين فاعزت الدولة أو بالحري محمد باشا صقلى لوالى طرابلس بانجاد سلطانها الشرعى فأسرع بمساعدته والتقى الترك والبرتغال بالقرب من محل يقال له القصر الكبير وكان يوم مشهوداً دارت فيه الدائرة على البرتغال وقتل فيه رئيس الثائرين المستنجد بهم وبعد تمام النصر وإعادة الأمن والسكينة الى ربوع مراكش عادت الجيوش العثمانية حاملة ما أغدق اليها من الهدايا وبذلك دخلت مملكة مراكش ضمن دائرة نفوذ الدولة وصار شمال أفريقيا بأكمله تابعاً لها تماماً أو خاضعاً لنفوذها ولم يبق لها في عصرنا هذا الا ولاية طرابلس والسيادة الاسمية على مصر واستولت فرنسا على تونس والجزائر وصارت مراكش ميدان مسابقة لدسائس الاجانب تسعى كل دولة في ازدياد نفوذها بها وبعبارة أخرى لا يتلأحها فلاحول ولا قوة الا بالله

وفي هذه السنة ابتدأت المخابرات بين الدولة واسبانيا للوصول الى الصلح وبدان استمرت نحو خمس سنين ثم الصلح بينهما لكن لم يمنع ذلك القراصين من الطرفين على نهب السفن التجارية وسبي واسترقاق من بها من النساء والرجال حتى كان يستعد للسفر في البحر الابيض المتوسط كما يستعد لرحلة جربية لعدم وجود الأمن وكثرة القراصين بما لم يسبق له مثيل لان كلا من الطرفين كان يعتبر غزو سفن الطرف الآخر من الواجبات الدينية والقربات المشروعة

هذا وأهم ما حصل في أيام السلطان مراد الثالث محاربة بلاد العجم بناء على ايعاز الصدر الاعظم محمد باشا صقلى وانهاز فرصة الاضطرابات الداخلية بها وذلك انه لما توفي الشاه طهماسب سنة ٩٨٤ هـ الموافقة سنة ١٥٧٦ م تولى بعده ابنه حيدر وقتل بعد بضعة ساعات قبل دفن أبيه ودفنا معاً ثم تولى بعده اسمعيل بن طهماسب وتوفي مسموماً سنة ٩٨٥ هـ وأخلفه أخوه محمد خدا بنده وكانت البلاد منقسمة عليه فارسلت الجيوش السلطانية لحاربته وفتح ماتي سر من بلادده وجعل لاله مصطفى باشا قائداً لها فصار بجيوشه قاصداً اقليم الكرج (١) من بلاد الجركس في أواخر سنة ١٥٧٧ م وكانت تابعة الى مملكة العجم وفتحها واحتل مدينة تفليس عاصمة الكرج بعد ان انتصر على جنود الشاه وتغلب على قائدهم المسمى دقاق بالقرب من حصن (جادر) في ٨ أغسطس سنة ١٥٧٨ وعين أمراء الكرج حكماً (سناجق) من قبل الدولة وبعد أن قهر ثانياً جيوش العجم في ٨ سبتمبر من السنة المذكورة عاد مصطفى باشا وجيوشه الى مدينة طرابزون لتضمية فصل الشتاء

(١) الكرج أو بلاد كرستان اقليم واقع في جنوب جبال القوقاز ويحده غرباً البحر الاسود وشرقاً اقليم طاغستان وجنوباً بلاد أرمينيا وتغلبت عليها أيدي جميع الفاتحين بآسيا ففتحتها العرب في خلافة مروان الثاني ثم قامت بها حكومة مستقلة ثم أغار عليها جنكيز خان وتيمور الاعرج واستولي عليها العثمانيون مدة وأخيراً ألحقت بمملكة الروس ولم تزل تابعة لها حتى الان

محاربة العجم  
ودخول العثمانيين  
مدينة تبريز رابع  
دفعة



ولد هذا السلطان بالقسطنطينية في ٥ جمادى الاولى سنة ٩٥٣ هـ الموافق ٤ يولييه سنة ١٥٤٦ وكانت فاتحة أعماله أن أصدر أمراً بعدم شرب الخمر الذي شاع استعماله أيام السلطان السابق وأفرط فيه الجنود خصوصاً الانكشارية فنار الانكشارية لذلك واضطروه لباحثه لهم بمقدار لا يترتب منه ذهول العقل وتكدير الراحة العمومية وأمر بقتل اخوته وكانوا خمسة ليأمن على الملك من المنازعة اذ صار قتل الاخوة عادة تقريباً وفي أوائل سنة ١٥٧٥ ترك (هنري دي فالوا) ملك بولونيا مقرر حكومته عائداً لفرانسا ولما بلغ الباب العالي خبر سفره أوصى أشرف بولونيا بانتخاب (باتوري) أمير ترنسلفانيا التابع للدولة العلية ملكاً عليهم فاتخبوه في أواخر السنة المذكورة وبذلك صارت بولونيا تقسمها تحت حمايتها

هذاهو حصص على حدود المساعدة مناوشات سال فيها الدماء بين الطرفين بدون اشهار حرب وفي أواخر سنة ١٥٧٦ أمضيت هدنة سلم بين الباب العالي والامبراطور (رودلف) (١) الذي أخلف (مكسميليان الثاني) لمدة ثمانى سنوات بتدبير من أول يناير سنة ١٥٧٧ وعند بيان أملاك الدولة العلية بهذه المعاهدة ذكرت بولونيا ضمن الاقاليم التي للدولة حق السيادة عليها وما يؤيد أن مملكة بولونيا كانت تحت حمايتها استنجد (باتوري) بها ضد اغارات التتار على حدوده الشرقية وتعهد الباب العالي بحمايتها بمعاهدة رسمية تاريخها ٣٠ يوليو سنة ١٥٧٧

وكانت علاقات هذا السلطان مع فرانسا حسنة جداً وكذلك مع جمهورية البندقية فجدد لهما الامتيازات القنصلية والتجارية مع زيادة بعض بنود في صالحهما أهمها أن يكون سفير فرانسا مقدماً على كافة سفراء الدول الاخرى في المقابلات والاحتفالات الرسمية حيثكثر توارد السفراء على بابه العالي للسعى في ابرام معاهدات تجارية تكون ذريعة في المستقبل للتدخل الفعلي وفي أيامه تحصلت إيزابلا ملكة الانكليز على امتياز خصوصي لتجار بلادها وهي ان مراكيها تحمل العلم الانكليزي وكان لايجوز لها ذلك قبلاً بل كانت السفن على اختلاف أجناسها ماعدا سفن البندقية لا تدخل الى مين الدولة العلية الا تحت ظل العلم الفرنسي ليس الا كما قضت بذلك اليهود التي أبرمت مع السلطان سليمان وابنه السلطان سليم الثاني وتجددت في أوائل حكم هذا السلطان

وفي سنة ١٥٧٨ حصلت فتنة داخلية في مملكة مراكش بالمغرب الاقصى ونازع زعيمها

(١) هو ابن مكسميليان ولد في مدينة ويانة سنة ١٥٥٢ وتمين ملكاً لبلاد المجر سنة ١٥٧٦ ثم ملكاً للنمسا ثم انتخب امبراطوراً لالمانيا سنة ١٥٧٦ وكان ضعيفاً مشغولاً بالكيغيا والفاك قهره الترك أكثر من مرة وفي سنة ١٦١١ عزله أخوه ماتياس الذي أنتخب امبراطوراً بعده وتوفي رودلف سنة ١٦١٢

وضع الحماية على بولونيا

عثمانية وأحرقت وأغرقت ٩٤ وغنمت ٣٠٠ مدفعا و ٣٠ ألف أسيراً وهذه أول واقعة حصلت بين الدولة من جهة وأكثر من دولتين مسيحيتين من جهة أخرى واشترك البابا فيها يدل على أن المحرك لهذه التآلبات ضد الدولة الاسلامية الوحيدة هو الدين كما أبدته الحوادث والحروب فيما بعد لا السياسة كما يدعون

وكان لهذا الفوز رنة فرح في قلوب المسيحيين أجمع حتى أن البابا خطب في كنيسة مارى بطرس برومه وشكر دون جوان على انتصاره على السفن الاسلامية وذلك مما لا يحفل عند المطالع أقل رية أو شك في أن المسئلة الشرقية مسئلة دينية لاسياسية كما ادّعا ويدعيه الاوروبيون ويعتبره السذج الغير المطلعين

ولما وصل خبر هذه الحادثة الى الاستانة هاج المسلمون على المسيحيين وهموا بقتل المرسلين الكاثوليك لولا تدارك الوزير محمد باشا صقلى الأمر بان حيز هؤلاء المرسلين تحت الحفظ حتى تعود السكينة الى ربوعها وقد أخرجهم بناء على الحاح سفير فرنسا ولم تقعد هذه الحادثة المشؤمة همة هذا الوزير بل اتهم فرصة الشتاء وعدم امكان استمرار الحرب لتشييد دونامة أخرى وبذل النفس والنفيس في تجهيزها وتسليحها حتى اذا أقبل صيف سنة ١٥٧٢ كان قد تم استعداد ٢٥٠ سفينة جديدة وفي هذه السنة لم تحصل وقائع بحرية مهمة لوقوع الشقاق بين القبودان البندقى والقبودان الاسبانيونى حتى أن جمهورية البندقية سمعت في التقرب الى الدولة العلية فعرضت عليها الصلح واستمرت بينهم المخبرات مدة وفي ٣ ذى القعدة سنة ٩٨٠ الموافق ٧ مارث سنة ١٥٧٣ تم الصلح على أن تتنازل البندقية للدولة عن جزيرة قبرص وأن تدفع لها غرامة حربية قدرها ٣٠٠ ألف دوكا

أما من جهة اسبانيا فقد قصد دون جوان مدينة تونس في أواخر سنة ١٥٧٢ واحتلها بدون مقاومة لا ربحال من كان بها من العثمانيين عند قدوم السفن الاسبانية ولية وتحققهم من أن الدفاع لا يجدى نفعا لقلّة عددهم بالنسبة للاسبانيون فاحتلها دون جوان وأعاد اليها سلطانها مولاي حسن الذى التجا اليهم عند احتلال العثمانيين لبلادهم لكن لم يلبث الانحوا ٨ أشهر لاسترجاعها ثانية الى أملاك الدولة بمعرفة سنان باشا في أغسطس سنة ١٥٧٥ وفي جهة بلاد البغدان انتصر العثمانيون بعد موقعة هائلة أهرقت فيها الدماء كالسيول المنهمرة في ٩ يونيو سنة ١٥٧٤ على الامير (ايونيا) الذى تمرّد على الدولة طلباً للاستقلال وصلب جزاء عصيانه وعبرة لغيره

وفي ٢٧ شعبان سنة ٩٨٢ الموافق ١٢ ديسمبر سنة ١٥٧٤ توفى السلطان سليم الثانى وعمره اثنين وخمسون سنة قريّة ومدة حكمه ثمانية سنين و ٥ أشهر وتوفى عن ستة أولاد وهم مراد ومحمد وسليمان ومعهطى وجها نكير وعبد الله وثلاثة بنات تولى بعده ابنه السلطان مراد الثالث

أعماله أيضاً فتح جزيرة قبرص (١) التي كانت تابعة للبندقية فأرسلت اليها المراكب الحربية في سنة ٩٧٨ الموافقة سنة ١٥٧٠ تحت أمرة بيالى باشا تحمل مائة ألف جندي يقودها لاله مصطفي باشا الذي كانت له اليد الطولى في عصيان وقتل بايزيد أخى السلطان سليم فرست السفن أمام مدينة ليازون ( لفقوسه كذا ذكرها القرماني ) في أول أغسطس وفتحت في ربيع الآخر سنة ٨٧٨ الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٥٧٠ ثم وضع الحصار أمام مدينة فاجوست (ماغوسه كذا ذكرها القرماني ) ولأقتراب فصل الشتاء أمهل فتحها الى أوائل الربيع وابتدأت أعمال الحصار ثانياً في ابريل سنة ١٥٧١ وفتحت في ١٠ ربيع الاول سنة ٩٧٩ الموافق ٢ أغسطس من السنة المذكورة وبذلك تم فتح جزيرة قبرص وصارت من ذلك العهد تابعة للدولة العثمانية الى ان احتلها الانكليز بكيفية غريبة سنة ١٨٧٨ كما ترى في أواخر هذا الكتاب

واقعة ليانت  
البحرية

وفي هذه الاثناء غزت المراكب العثمانية جزيرة كريد وطنته (٢) وغيرها بدون ان تفتحها واحتلت مدائن دلسنيو وانتيامارى (٣) على البحر الادرياتيكي ولما رأت البندقية تغلب العثمانيين عليها وفتح كثير من بلادها استعانت باسبانيا والبابا وتم بينهم الاتفاق على محاربة الدولة بجزراً خوفاً من امتداد سلطتها على بلاد ايطاليا فجمعوا مراكبهم وجعلوا دون جوان (٤) ابن شارلكان سفاحاً من احدى خليلاته أميراً عليها فسارت سفن المسيحيين الى شواطئ الدولة وكانت تلك الدونامة المختلطة مؤلفة من ٧٠ سفينة اسبانية و ١٤٠ من سفن البنادقة و ١٢ للبابا و ٩ من سفن رهيئة مالطة

وقابلت هذه الدونامة العمارة العثمانية مؤلفة من ٣٠٠ سفينة في ١٧ جمادى الاولى سنة ٩٧٩ (١٧ أكتوبر سنة ١٥٧١) بالقرب من ليمنته واشتبك بينهم القتال مدة ثلاث ساعات متوالية انتهى الامر بعدها بانتصار الدونامة المسيحية فأخذت ١٣٠ سفينة

(١) قبرص جزيرة صغيرة مهمة بالنسبة لمركزها الجغرافي بالقرب من سواحل الشام ومصر واحتلالها ضروري لمن يريد بقاء هاتين الولايتين في حوزته ومع ضرورتها للدولة العلية سلمتها لانكلتره بمقتضى معاهدة بتاريخ ٤ يونيو سنة ١٨٧٨ حينما كان الروس محتلين ضواحي الاستانة وتهدت بالخروج منها لو خرجت الروسيا من مدائن قارس وباطوم واردهان التي فتحتها أثناء الحرب الروسية التركية الاخيرة وامتلكتها بمقتضى معاهدة برلين

(٢) احدى جزائر الروم الكائنة غرب اليونان ولا تبعد عن ساحل مورده الابعشرين كيلومتروهي جيدة الهواء تنتج كافة أنواع الفواكه ويصنع بها الزيت والنيذ ويبلغ عدد سكانها خمسين ألف نسمة وتكثر بها الزلازل الشديدة

(٣) هما بلدتان باقليم الجبل الاسود تانيتهما علي البحر الادرياتيكي وأضيفتا الي امارة الجبل بمقتضى معاهدة برلين الرقيمة ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨

(٤) ولدهذا الامير من سفاح شارلكان بمدينة راتسيون سنة ١٥٤٥ وبمد موت أبيه أراد قلب الثاني ادخاله ضمن احدى الرهينات ولما لم يقبل عينه قائداً في جيشه وفي سنة ١٥٧٠ كلفه باذلال من بقي من المسلمين باقليم غرناطة فأذاقهم أنواع الذل والعذاب حتي هاجروا الي أفريقيا ولم يبق منهم أحد وفي سنة ١٥٧٦ كلفه بمحاربة أهالي الفلمنك فقهروهم في سنة ١٥٧٨ وتوفي بعد ذلك ببضع أشهر

١٥٦٩ الاتفاقيات التي تمت بين الدولتين في عصر السلطان سليمان وأبد السلطان سليم الامتيازات القنصلية وزاد عليها امتيازات أخرى أهمها معافاة كل فرنساوى من دفع الخراج الشخصى وأن يكون للقناصل الحق في البحث عنم يكون عند العثمانيين من فرنساويين في حالة الرق واطلاق سراحهم والبحث عنم أخذهم وباعهم بصفة رقيق لجازاته وان يرّد السلطان كافة الاشياء التي تأخذها قرصانات البحر من المراكب الفرنسية ومعاقبة الاتّخذ لها وأن تكون المراكب العثمانية ملزمة بمساعدة ما يرتطم من السفن الفرنسية على شواطئ الدولة ويحفظ ما بها من الرجال والمتاع وأن يكون لفرنسا كل الامتيازات الممنوحة لجمهورية البنادقة

وزيادة توثيق عرى الاتحاد بين الدولة وفرنسا وزيادة نفوذ اتحادهما اتفقت الدولتان على ترشيح (هنرى دى فالوا) أخى ملك فرنسا لعرش بولونيا ليكون لهم ظهر أصد النمسا من جهة والروسيا من أخرى وقد تم ذلك فعلا وصارت بولونيا تحت حماية الدولة العلية حماية فعلية وان لم تكن اسمية وبذلك صارت فرنسا ملكة التجارة في البحر الابيض المتوسط وجميع البلاد التابعة للدولة وأرسلت تحت ظل هذه المعاهدات عدّة ارساليات دينية كاثوليكية الى كافة بلاد الدولة الموجود بها مسيحيون خصوصاً في بلاد الشام لتعليم أولادهم وتربيتهم على محبة فرنسا وكانت هذه الامتيازات الموجبة لضعف الدولة بسبب تدخل القناصل في الاجراءات الداخلية بدعوى رفع النظام عن المسيحيين واتخاذها لها سبباً لامتداد نفوذها بين رعايا الدولة المسيحيين واهم نتائج هذا التدخل وأضره ما لا وأومخه عاقبة استعمال هذه الارساليات الدينية في حفظ جنسية ولغة كل شعب مسيحي حتى اذا ضعفت الدولة أمكن هذه الشعوب الاستقلال بمساعدة الدول المسيحية أو الانضمام الى احدى هاته الدول كما شوهد ذلك في هذا القرن الاخير مما سيأتى مفصلاً بالشرح الكافي والبيان الوافي

ومن أعمال الوزير محمد باشا صاعق الى أن أرسل جيشاً عظيماً الى بلاد اليمن في سنة ٩٧٦ الموافقة سنة ١٥٦٩ م تحت قيادة عثمان باشا الذي عين عاملاً عليها لقمع ثورة أهاليها الذين عصوا الدولة. انبعاثاً لمرسلطانهم الشريف مطهر بن شرف الدين يحيى فانتصر عثمان باشا عليهم بمساعدة سنان باشا والى مصر ودخلت الجيوش المظفرة بمدينة صنعاء بعد ان فتحت جميع القلاع

وفي أوائل السنة التالية اعترف الشريف مطهر بسيادة الباب العالي على بلاده ومن

فتح جزيرة قبرص

الكاتوليك والبروتستانت الى ان تم بينهما الصلح سنة ١٥٧٣ واتفق افرقان على أن يزوج الملك أخته الملك (نافر) الذي صار فيما بعد ملكاً لفرنسا باسم هنرى الرابع أحد زعماء البروتستانت لكن لم ترض والدته كاترينه لهذا الزواج بل دبرت مذبحة سان برتلمي وأثرت على فكر ولد هافا فمقتل جميع البروتستانت في كافة أنحاء المملكة وفي مدينة باريس أثناء الاحتفال بزواج أخته ونفذ هذا الامر الوخيم في مساء ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ وتولى هذا الملك بعد ذلك بسنتين أى سنة ١٥٧٤



بالاسلام من النصارى أو من غلمان وخدم السلاطين ونتيجة ذلك واضحة كما ظهر للقارىء عند مطالعة أسباب قتل مصطفى بن السلطان سليمان بناء على دسائس زوجته والوزير رستم باشا ومنها الاباحية الانكشارية بالزواج والاقامة خارج ثكناتهم مع اعطائهم بعض امتيازات وقبول الاختلاط ضمن زميرتهم مما جعلها من أكبر موجبات تاخر الدولة بعد ان كانت من أعظم عوامل تقدمها الى غير ذلك من الاسباب التى سنوردها تباعاً بحسب مقتضيات الأحوال

### « السلطان الغازى سليم الثانى »

ولد السلطان سليم الثانى فى ٦ رجب سنة ٩٣٠ هجرية الموافق ١٠ مايو سنة ١٥٣٣ م وهو ابن روكسلان الروسية سابقة الذكر وتولى الملك بعد موت أبيه ووصل الى القسطنطينية فى ٩ ربيع أول سنة ٩٧٤ الموافق ٢٤ ديسمبر سنة ١٥٦٦ م وبعد ان مكث بها يومين سار على عجل الى مدينة سكودار للاحتفال بارجاع جثة والده المرحوم الى القسطنطينية فقابل به خارج المدينة سفراء فرانس والبندقية القادمين لتهنئته بالملك ولما وصل مدينة صوفيا فى ١٦ أكتوبر أرسل الرسل الى كافة الممالك الخارجية والولايات الداخلية يخبرهم بموت أبيه وتوليته على عرش آل عثمان ومنها قصد مدينة بلغراد ومكث فيها حتى أتى الوزير محمد باشا صقلى بجثة والده المرحوم وذلك ان الوزير محمد باشا لم يعلن بوفاة السلطان سليمان الا فى أثناء عودته من مدينة سكودار الى بلغراد بل أوهم الجنود ان السلطان مريض ولا يمكن لاحد مقابله ولما أعلن موته الى الجنود بعد موته نحو خمسين يوماً لبست الجيوش عليه الحداد وساروا الى بلغراد حيث كان سليم الثانى فى انتظارهم فطلبت الجنود منه أن يوزع عليهم العطايا المعتادة فأتى ثم أذعن لطلباتهم لاثارهم العصيان والتمرد وعدم اطاعتهم أوامر ضباطهم وامتهانهم لهم بحضور السلطان

ولم يكن السلطان متصفاً بما يؤهله للقيام بحفظ فتوحات أبيه فضلاً عن اضافة شئ اليها ولولا وجود الوزير الطويل محمد باشا صقلى المدرب على الاعمال الحربية والسياسية للحق الدولة الفشل لكان حسن سياسة هذا الوزير وعظم اسم الدولة ومهابتها فى قلوب أعدائها حفظتها من السقوط مرة واحدة فتم الصالح بينها وبين النمسا بمعاهدة تاريخها ١٧ فبراير سنة ١٥٦٨ من شروطها حفظ النمسا أملاكها فى بلاد المجر ودفعها الجزية السنوية المقررة بالعهود السابقة واعترافها بتبعية أمراء ترانسلفانيا والتفلاخ والبغيدان الى الدولة العلية وتجددت أيضاً الهدنة مع ملك بولونيا باعتراف الباب العالي بالتحالف الذى حصل ما بين ملك بولونيا وأمير البغدان وكذلك جددت مع شارل التاسع (١) ملك فرنسا فى سنة

(١) هو تاني أولاده تاني الثاني وكاترين دى مديسي ولد سنة ١٥٥٠ وتولي سنة ١٥٦٠ بعد موت أخيه فرانسوا الثاني واعتمد باوغيه سن الرشد عين والدته وصية عليه وفي أيامه استمرت الحروب الداخلية بين

المعسكر وأرسل لولده سليم بمدينة كوناويه يخبره بذلك ويطلب منه الحضور على جناح السرعة الى الاستانة منعاً للاقلال وفي يوم ٨ سبتمبر هجم العثمانيون على القلعة واحتلوها عنوة وفي انتهاء القتال حصلت فرقة عظيمة انفجرت بسببها أرض القلعة وانهدم بناؤها على من بها من طرفي المتحاربين وذلك أن المحصورين لما رأوا أن لا مناص لهم من الانهزام أو الموت دبروا هذه المكيدة باعمال عدّة ألقوا أشعلوها بعد احتلال العثمانيين اياها حتى عوتوا ويهلك كافة من دخلها من جنود العثمانيين وأعان الوزير هذا الانتصار لكافة الجيآت باسم الملك حرصاً على عدم اذاعة موته الذي لم يذعه الا بعد ان أتت اليه أخبار أكيدة من الاستانة بوصول ولده سليم اليها واستلامه مهام الاعمال بها

واشتهر المرحوم السلطان سليمان بالقانوني لما وضعه من النظمات الداخلية في كافة فروع الحكومة فادخل بعض تغييرات في نظام العلماء والمدرسين الذي وضعه السلطان محمد الفاتح وجعل أكبر الوظائف العلمية وظيفته الملتقى وقسم جيش الانكشارية الى ثلاث فرق بحسب سني خدمتهم وجعل مرتب كل نفر من الفرقة الأولى من ثلاثة غروش الى سبعة غروش يومياً والثانية من ثمانية غروش الى تسعة غروش يومياً للنفر الواحد وفي الثالثة المؤلفة من أسيديوا باهات دائمة جعل مرتب النفر منهم ثلاثين غرشاً الى مائة وعشرين غرشاً شهرياً وكان عدد الجيش عند وفاته ثلاثمائة ألف منها خمسون ألفاً من الجيوش المنتظمة والباقية غير منتظمة وعدده المدافع ثلاثمائة والسفن الحربية ثلاثمائة أيضاً وتقدمت الفتوحات في أيامه تقدماً عظيماً لم تصل اليه بعده وبلغت الدولة أوج سعادتها وأخذت بعده في الوقوف تارة والتقهقر أخرى حتى وصلت الى الحالة التي عليها الآن لجملة أسباب منها زيادة الثروة بسبب الفتوحات العديدة والغنائم السكثيرة ولا يخفى أن الثروة تورث غالباً الفخاخرة في المصرف والتغالي في الزهو والترف وكل أمة سادت فيها هذه الخصال لا بد لها من التأخر ومنها أن الانكشارية كانوا لا يخرجون الى الحرب الا اذا كان السلطان معهم ولذا كانت أعم الحروب والغزوات تحت امرة السلطان وقيادته لانه ان لم يخرج بنفسه لما حاربت الانكشارية التي علمها المدار الأول في الحروب فغير السلطان سليمان هذه السنة الحميدة وأجاز للانكشارية القتال تحت أمرة قائدهم الاكبر ولولم يكن السلطان موجوداً فكان هذا التغيير سبباً في تقاعس أغلب من خلفه من السلاطين عن الخروج من قصورهم الباذخة وتفضيلهم البقاء بين غلمانهم وجوارهم -م- المختلفات الاجناس على الخروج للقتال وتكبد مشاقه ومنها أن كافة أمور الدولة المهمة كانت تنظر في ديوان الوزراء تحت رئاسة السلطان فابطل السلطان سليمان هذه العادة وصار الديوان ينعقد تحت رئاسة أكبر الوزراء وهو الصدر الاعظم والسلطان لاه عن ذلك معرض لدسائس الوزراء ومن يستعينون بهم من جواربه وأزواجه وترتب على ذلك ان صارت الامور بيد الوزراء المغايرين للجنس العثماني أصلاً ونسباً اذ ان أغلبهم من أسلم أو تظاهر

اسباب الانحطاط

العظمى وطموح أنظار اسبانيا الى ارجاعها اذ أن محتلتها يكون دائماً لسواحل اسبانيا ونابولي التي كانت تابعة لاسبانيا في هذا الحين

حصار جزيرة  
مالطه

فعزيزت الدونانات العثمانية وفي أوائل سنة ١٥٦٥ أرسلت عمارة بحرية مؤلفة من نحو مائتي سفينة لفتح جزيرة مالطه مقر رهبنة القديس حنا الاورشليمي لاهمية هذه الجزيرة الواقعة بين اقليم تونس وجنوب ايطاليا وضرورة احتلالها لكل دولة تريد أن تكون لها اليد الطولى على البحر الابيض المتوسط فابتدى حصارها في شهر مايو من السنة المذكورة واستمر نحو الاربعة شهور بدون أن يكون موت القبودان الشهير طرغول المعروف عند الافرنج باسم دراجوت في أثناء الحصار سبباً في عدم استمراره ولما قرب فصل الشتاء الذي تكثر فيه الزوايع البحرية رفع الحصار عنها في ١١ سبتمبر سنة ١٥٦٥ وعادت السفن بحيوشها الى دار السعادة

فتح مدينة  
سكودار

وفي أثناء ذلك قامت الحرب على قدم بيلاد الجرجلان مكسميليان (١) الذي خلف والده فردينان ملك النمسا بعد موته سنة ١٥٦٤ احتل مدينة نوكاى (٢) من أعمال الجرجر مقابلة احتلال اسطفن زابولى ملك الجرجل احدى مدائنه ولان الصدر الاعظم الطويل محمد باشا الذي تولى منصب الصدارة عقب موت سميح على باشا كان محباً للحرب لانه من صفة القلبة البشناق الميالين للقتال والجلاد

ومع ان السلطان كان يتالم من داء النقرس تقلد بنفسه رئاسة الجيش في ناسع شوال سنة ٩٧٣ الموافق ٢٩ ابريل سنة ١٥٦٦ م وسار لصد هجمات النمسا عن بلاد الجرجر التابعة له سيادة وعند ما وصل اليها قابله ملكها الشاب اسطفن فاحسن اليه وأكرم مثواه ووعدته أن يرحل حتى يعيد له ما اغتيل من بلاده ثم قام بصحبته قاصداً قلعة (ارلو) الشهيرة التي عجز عن فتحها قبل ذلك التاريخ باربع عشرة سنة كما سبق ذكره لكن بلغه في أثناء الطريق ان أمير سكودار (٣) تغلب على فرقة من جيوشه فإراد أن يغزو بلاد دقل محاصرة قلعة (ارلو) فسار الى مدينة سكودار وابتدأ في حصارها وفي أقل من أسبوعين احتل معاقها الامامية وبعد ذلك أخلى المحصورون المدينة خفية واحتموا بقلعتها مصرين على الدفاع عنها لا آخر رمق

موت السلطان  
سليمان

وفي أوائل شهر سبتمبر اشتد مرض السلطان وتوفي في ٢٠ صفر سنة ٩٧٤ الموافق ٥ سبتمبر سنة ١٥٦٦ عن أربع وسبعين سنة قرية أى بعد حصار المدينة بنحو خمسة شهور وكانت مدة ملكه ثمانية واربعين سنة قضاه في توسيع نطاق الدولة واعلاء شأنها حتى بلغت في أيامه أعلى درجات السكمال واخفى الوزير خبر موته خوفاً من وقوع الفشل في

- (١) هو مكسميليان الثاني ابن فردينان الاول ولد سنة ١٥٢٧ وأخلف والده سنة ١٥٦٨ وتوفي سنة ١٥٧٦ ولم يحصل في أيامه شيء يذكر سوى محارباته مع الدولة العلية انفصلة في هذا الكتاب
- (٢) مدينة صغيرة ببلاد الجرجر شهيرة بما يصر فيها من البئذ الذي يصدر منها الى جميع جهات الدنيا
- (٣) مدينة ببلاد الجرجر تسمى (زيجت) وذكر في تاريخ القرماني باسم سكودار

ولم تكن هذه الحادثة خاتمة القضاة بل أعقبها بقتل ابنه الثاني بايزيد وأولاده الخمس وذلك ان  
مر بنى بايزيد المدعو ( لاله مصطفي ) عين ناظر خاصة بسليم سلطان ولكون هذا الامير كان  
يخشى مزاحمة أخيه بايزيد له في الملك بعد موت أبيهما فكشف لاله مصطفي بأنه يريد اغتار  
صدر ابيه على بايزيد ليقتله ويكون هو ( سليم ) الوارث الوحيد للملك آل عثمان فأخذ مصطفي  
يبحث عن الطريقة الموصلة لهذه الغاية المشؤمة حتى هداه شيطان عقله وابليس سريره الى  
أن يكتب لبازيد يقول له ان سلما منهمك في الشهوات ولا يلق أن يخاف والده ومع ذلك  
فوالده مصمم على استخلافه مع عدم أهليته للملك وعدم استعداده للخلافة فتبادلت بينهما  
المكاتبات بشأن ذلك وأخيراً كتب بايزيد الى أخيه سليم خطابا به بعض عبارات تمس  
كرامة والدهما فارسل سليم الخطاب لابيه ولما اطلع السلطان سليمان على هذا الخطاب غضب  
غضباً شديداً وكتب لبازيد يوجه على ما أتاه ويأمره بالانتقال من قونية التي كان معيناً والياً  
عليها الى مدينة اماسيه فخشي بايزيد أن يكون قصد أبيه الغدر به وامتنع عن التوجه الى اماسيه  
وجمع جيشاً يبلغ عدده عشرين ألف نسمة وأظهر التمرد فارسل اليه أبوه الوزير محمد باشا الملقب  
بصفة الى حاربه فتقابل الجيشان بقرب قونية واستمر القتال يومى ٣٠ و ٣١ مايو سنة  
١٥٦١ وأخيراً هزم بايزيد وتقهقر الى اماسيه ومنها الى بلاد العجم حيث التجأ هو وأولاده  
الى الشاه ظهماسب فتقابل به وأظهر له الاخلاص والاستعداد لحمايته لكنه كتب السلطان  
سليمان وابنه سليمان سرّاً على تسليم بايزيد وأولاده اليهما مع انهم احتجوا بحماهم ولم يرع  
ذمتهم بل خانهم وسلمهم الى رسل السلطان فقتلهم جميعاً وهم بايزيد وأولاده الاربع أورخان  
ومحمود وعبدالله وعثمان في مدينة قزوین ببلاد العجم في ١٥ محرم سنة ٩٦٩ الموافق ٢٥  
سبتمبر سنة ١٥٦١ ونقل جثثهم الى مدينة سيواس حيث واروها الثرى وكان لبازيد  
ابن صغير في مدينة بورصة فخنق أيضاً ودفن في جانب والده واخوته

هذا أمان جهة البحر فلم تنقطع الحروب بينها وبين الدولة العلية وكذلك المخابرات كانت غير  
منقطعة للوصول الى الصلح ولا حاجة لنا في تفصيل الوقائع التي حصلت بين الجيشين لعدم وجود  
فائدة في ذلك سوى ملال المطالع بل نكتفي بالقول انه في سنة ١٥٥٥ حصلت هدنة بين  
الطرفين لستة أشهر ومثلها في سنة ١٥٥٧ وفي شهر يونيه سنة ١٥٦٢ تم الصلح بينهما لمدة  
ثمانية سنوات بشرط استمرار النمسا على دفع الجزية السنوية التي قررتا المعاهدات  
السابقة وساعد على ذلك حب سميز على باشا الذي أخلف رسمه باشا بعده ووه في منصب  
الصدارة العظمى السلم وعدم ميله لسفك الدماء

ومع ذلك فلم تنقطع المناوشات بالمرّة على حدود النمسا والبحر بل استمرت بنوع غير رسمي وبعد  
هذا الصلح الا وهي من بيت العنكبوت لما بين العنصرين المتجاورين من عوامل البغضاء  
تمكن السلطان من توجيه اهتمامه الى تعزيز سفنه الحربية لحماية الجزائر وطرابلس الغرب  
التي افتتحها طرغول في غضون سنة ١٥٥١ الموافقة سنة ٩٥٨ لبعدها عن مقر الخلافة



ذلك حتى يتولى بعده ابنها سليم ولما لها من الثقة بالصدر الاعظم رستم باشا اذ كان تعيينه  
بعساعيا لدى السلطان بعد موت إياس باشا وما زالت تساعده حتى زوجه السلطان ابنته منها  
كاشفته برغوبها وهو تميم الطريق لتولى ابنها سليم فانتهز هذا الوزير فرصة انتشار الحرب  
بين الدولة ومملوكة العجم في سنة ١٥٥٣ ووجود مصطفى ضمن قواد الجيش وكتب الى  
أبيه بأن ولده يحرص الانكشارية على عزله وتنصيبه كما فعل السلطان سليم الاول مع  
أبيه السلطان بايزيد الثاني فلما وصل هذا الخبر الى السلطان وكانت والدته سليم قد تمكنت  
من تغيير أفكاره نحوه قام في الحال قاصداً بلاد العجم متظاهراً بأنه يريد أن يتولى قيادة  
الجيش ولما وصل الى المعسكر استدعى ولده المسكين الى سرادقه في يوم ١٢ شوال سنة  
٩٦٠ هـ الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٥٥٣ و بمجرد وصوله الى الداخل خنقه بعض الحجاب  
المزويطين بتنفيذ مثل هذه الاوامر فقتل رحمه الله شهيداً دسائس زوجة والده وعدم تثبيت  
أبيه مما نسب اليه وكانت هذه الشنعة الشنعاء نقطة سوداء في تاريخ السلطان سليمان الذي  
اتسعت دائرة السلطنة في أيامه ولولا دسيسة هذه المرأة الاجنبية التي ربما كانت مؤجرة  
لهذه الغاية لبقى اسمه لاشوية شائبة ثم نقلت جثة هذا الشهيد الى مدينة بورصة ودفنت  
مع جثث أجداده ولم تكتمف هذه المرأة البربرية الطباع بقتل مصطفى سلطان بل  
أرسلت الى مدينة بورصة من قتل ابنه الرضيع وقال في ذلك بعض الشعراء

يادهر ويحك مأبقة لي جلداً \* وأنت والد سوء تأكل الولدا

وكان رحمه الله محبواً لدى الانكشارية لشياعته ولدى العلماء والشعراء لاشتغاله بالادب  
وميله الى الشعر فرثاه كثير من الشعراء بقصائد رنانة ولم يخشوا سطوة أبيه

أما الانكشارية فناروا وطلبوا من السلطان قتل الوزير رستم باشا المدبر لهذه المكيذة  
حبا في حفظ منصبه فعزله السلطان تسكيناً لخطايرهم وولى مكانه الوزير أحمد باشا لكن لم يهدأ  
بالزوجة السلطان حتى أغرت زوجها على قتل هذا الوزير وارجاع رستم باشا مكافأة له على  
تنفيذ سعى أغراضها

وبعد قتل هذا البري عتوجبت الجيوش الى بلاد العجم ولم يحصل في هذه المرة وقائع مهمة بل  
بعد ان غزت الجيوش العثمانية بلاد شروان بدون فائدة تذكر مال الفريقان للصالح فتم  
بينهما في ٨ رجب سنة ٩٦٢ الموافق ٢٩ مايو سنة ١٥٥٥ على أن يباح للاعاجم الحج  
الى بيت الله الحرام ويزاروا مذهبهم بدون تعرض وكان للسلطان سليمان ابن آخر اسمه  
(جهانكير) حزن حزناً شديداً على قتل أخيه مصطفى حتى توفي شهيداً محبة الاخوية بعد  
موت أخيه بقليل واختلف في موته فقيل انه قتل نفسه أمام والده بعد أن بكته على قتل أخيه  
وقيل غير ذلك

وبعد ذلك بقليل توفيت هذه المرأة التي سودت بدسائسها آخر سنى حكم السلطان سليمان الذي  
اشتهر قبل ذلك بكل الكمالات

سفينة يصادفها وله أن يغزو بل وأن ينهب ويأسر الرجال والنساء البالغين أو القاصرين حتى أنه يمكنه متى شاء أن يحافظ ويملك جميع ما يفتنمه سواء كان من بني الانسان أو المدن أو البيوت الخلوية وأن يعدها ويستعملها لاحتياجاته ولو ضد رغبة القرنك وبالرغم عن مضادتهم الشديدة في ذلك

البند ٨ ✽ اذا تحصل جلالة السلطان سليمان على تلك احدى الاربعة مدن مع حصنها في اقليم (البوى) بواسطة مساعى فردينان سنسيفرن برنس دى سالرنيتين بمقتضى تعهد هذا الامير لجلالة السلطان سليمان يعيد الى هنرى مبلغ الثلاثمائة ألف قطعة من الذهب التى ضمن له كما تقدم دفعها وذلك فى حالة ما اذا كانت دفعت اليه

البند ٩ ✽ جلالة السلطان سليمان يسلم غدا عن ذلك الثلاثين سفينة حربية وبجارتها بدون أدنى فدية وكذا المدافع والمؤن وجميع المواد ويستثنى من ذلك رجال بحريته الخصوصيون وعساكره كما وأنه يدفع فى أقرب وقت لبرنس سالرن الذى بذل نفسه وكل ما فى وسعه للحصول عليها وكان نصيبه أن حرم من منصبه وطرد من وطنه وبيته مبلغ الثلاثين ألف قطعة من الذهب التى صرفها بكل ارتياح وكرم

فهذه البنود بالحالة التى هى مكتوبة بها أعلاه قد وضحت بحسب ما جرت به العادة بكلام مضبوط لا يقبل التأويل بواسطة أرامونت سفير هنرى لدى جلالة السلطان سليمان الذى أضاف اليها قسما صريحا بحضور برنس سالرنيتين بصمة كونه نائبا أمينا ومن جهة أخرى فقد تصدق عليهما من رستم باشا بموجب السلطة الممنوحة له من لدن جلالة السلطان سليمان

وقد أبرم جميع ذلك واتفق عليه بالقسطنطينية فى أول فبراير سنة ١٥٥٣ فسارت مراكز الدولتين وفتحت جزيرة كورسيكا بعد شن الغارة على بلاد كلابريا وجزيرة صقلية (١) من أعمال إيطاليا لكن لوقوع الفرة بين القائدين لم يستمر احتلالها بل افتقرت العمارتان ورجع القبودان العثماني الى الاستانة

وكانت هذه آخر دفعة حارب فيها العثمانيون والفرنساويون كتفالكثف لتغير الظروف والاحوال حتى أتت حرب القرم الاخيرة التى حصلت فى أواسط هذا القرن وداربت فيها فرنسا وانكلترة مع الدولة العلية دولة الروس لادفاعا عن الدولة العثمانية بل لضعاف الروسى حتى لا تمكن من الاستيلاء على بوزاز البوسفور كما سياتى مفصلا

ولنذكر هنا حادثة شنيعة وهى قتل السلطان لولده الاكبر مصطفى ببناء على دسيسة احدى زوجاته المسماة فى كتب الفرنج وركسلان أما فى كتب الترك فاسمها (خورم) أى الباسمة

(١) هي أكبر جزائر البحر المتوسط وواقعة فى طرف مملكة إيطاليا وعاصمتها مدينة بالرمه واحتلتها العرب عدة قرون فى أيام دولة بني الاغلب والفاطمين بتونس ثم استقلت وهى الآن تابعة لمملكة إيطاليا وبها ولد المؤرخ الشهير ديودور الصقلي وغيره من فحول الرجال

﴿ البند ٢ ﴾ متى توفر هذا الشرط بوجه العدالة فان جلالة سلطان الترك سليمان يقوم تجهيز ستين مركبا حربياذات ثلاثة صفوف و ٢٥ قرصانا بحريا ويرسلها للملك هنرى فى مدة أربعة شهور متوالية من ابتداء أول مايو القابل

﴿ البند ٣ ﴾ أما فى حالة ما اذا أراد هنرى دى فالوا أن يستعمل العمارة المذكورة فى أثناء هذه المدة للاستعانة بها على الجهات الغربية أى الجهات الواقعة من ابتداء كروتون لغاية ( جاءت ) فانه يقوم بدفع مائة وخمسين ألف قطعة من الذهب الى جلالة سلطان الترك سليمان بغاية من الضبط

﴿ البند ٤ ﴾ كل سفينة تابعة للإمبراطور أو للمتحالقين معه سواء كانت معدة للنقل أو كانت من المراكب الخفيفة وسواء كانت سفنا حربية صغيرة أو كبيرة فبمجرد وقوعها أسيرة لدى العمارة العثمانية تصير من تلك اللحظة ملكا للسلطان سليمان ملك الترك

﴿ البند ٥ ﴾ المدن والقصبات والقرى والكفور التى تتغلب عليها هذه العمارة تكون مباحة غنيمة للترك وجميع سكانها راشدين أو قاصرين رجالا كانوا أو نساء ولو أنهم معتنقون الديانة المسيحية ويكونون قد سلموا أنفسهم باختيارهم فانه لا بد من تركهم أسراء وعبيدا للترك بمقتضى واجبات الاتفاق الصريحة بهذا الصدد التى قررها الامر بين السلطان سليمان وبين فرانسوا أبى هنرى من منذ سبع عشرة سنة الآن امتلاك هذه المدن والقصبات والقرى والكفور والمؤن والذخائر وكذلك مدافع البرونز صغيرة كانت أو كبيرة مع جميع متعلقاتها من حيوانات وغيرها التى توجد فيها فانها تترك للملك هنرى بموجب هذه المعاهدة

﴿ البند ٦ ﴾ اذا أصدر الملك هنرى أمره الى عمارة جلالة السلطان سليمان بان تحارب شارل ملك النمساغير متجهة نحو الغرب بل نحو الشرق والجنوب ويقصد بذلك مسيرها فى الشواطىء من عند مصب نهر ترنتو لغاية كروتون بحيث ان هذه العمارة تقوم باعباء أوامر هنرى بدون مقابل فقد اتفق على أن المواد الحربية ومؤنات المدن والقصبات التى تقع تحت يد الترك يتنازل عنها للملك هنرى ولكن المدن والقصبات والقرى والكفور فانها تترك غنيمة للترك كما تقرر ذلك بالبند السابق وأما الوطنيون والمزارعون والقاطنون البالغون والقاصرون الرجال منهم والنساء فانهم يسلمون للأسر بدون معارضة حتى ولو كانوا ممن يعتنقون الديانة المسيحية بل ولو كانوا ممن أسلم نفسه بمحض ارادته

﴿ البند ٧ ﴾ يمكن لاميرال جلالة الملك سليمان أن يستولى ويأسر باسم مليكه الانفم كل مكان تقدم عليه العمارة التركية المظفرة متى رأى ثمة من فائدة وذلك من ابتداء حدود نهر ترونتو لغاية أوترانت وكروتون ومن ثم لغاية صقلية وناپولى وعموما جميع الاقاليم المملوكة للإمبراطور شارل الخامس ملك النمسا سواء كان ذلك السكان داخل الاراضى أو سواء كان مدينة أو قسبة أو قرية أو كفرة أو ميناء أو خليج أو له الحق فى الاستيلاء على أى

من الزمن ثم رفع عنها الحصار لمنعتها وعدم وجود الوقت الكافي لتشديد الحصار عليها  
واجبارها على التسليم بمنع المؤونة عنها لاقترب فصل الشتاء وشدته في هذه الاقاليم  
وفي أثناء ذلك كان القبودان (طرغول) الذي أخلف القبودان الشهير خير الدين باشا في  
غزو مراكب الافرنج وشواطئ بلادهم حاز شهرة عظيمة في الحروب البحرية وخافت  
بأسه جميع دول الافرنج المعادية للدولة العلية وحفظ اسم البحرية العثمانية من السقوط  
بموت رئيسها بل ومؤسسها الاكبر خير الدين باشا

وبعد موت السلطان فرانسوا الاول ملك فرنسا حذاولده هنري الثاني حذود ونسج على  
منواله في موالاته الدولة العلية والمحافظة على محبتها وتوثيق عرى الالفة والاتحاد معها  
للاستعانة بحريتها عند الحاجة فأبقى الميسو جريل درامون سفيراً له بدار السعادة وامره  
بمرافقة السلطان في حملته الاخيرة على بلاد العجم فرافقه وفي عودته زار بيت المقدس  
فقابله الرهبان والتسوس بكل احتفال لتأييد المعاهدات السابقة القاضية بجعل جميع  
الكاثوليك المستوطنين باراضي الدولة العلية تحت حماية فرنسا ثم عاد الى فرنسا فوجد  
نيران الحرب قد اشتعلت ثانياً بينها وبين النمسا فعاد الى القسطنطينية واتفق مع الباب  
العالي على أن تحدد الدونامة التركية مع العمارة الفرنسية لفتح جزيرة كورسيكا (١)  
بجائزة لاهالي جنوده المحتلين لها على مساعدتهم لشارلكان ولتكون مركزاً لأعمال  
الدونامتين في غزو سواحل اسبانيا واطاليا وأبرمت بذلك معاهدة بتاريخ ١٦ صفر سنة  
٩٦٠ الموافق أول فبراير سنة ١٥٥٣ وهذا نصها مترجمة عن مجموعة البارون دي  
تستا السابق ذكرها

ان جلالة السلطان سلمان وهنري دي فالوا الثاني ملك الفرانك قد أبرما اتحاداً مشتملاً على  
العبارة الآتية بخصوص الحرب البحرية (جعله الله حميد العاقبة) الذي سيشرعان فيه  
ضد الامبراطور شارلكان

البند ١ بما أن جلالة السلطان سلمان سلطان الترك بارساله عمارة بحرية في بحر  
التوشكان ضد الامبراطور شارل الخامس قد أعان بذلك هنري دي فالوامة سنتين بناء  
على طلبه المتكرر في بادئ الامر وبالخصوص بناء على ترحيانه البالغة أقصى درجات الحض  
فقد اتفق بان الملك هنري يدفع ثلاثمائة الف قطعة من الذهب بصفة متأخر مرتب  
الدونامة وذلك حين ماتصير الملاحة مأمونة لنقل التمدد بالعمارة وأن السفن الحربية التابعة  
للكملك هنري لا تتباعد عن العمارة المذكورة وتعتبر كأنها مرهونة نظير المبلغ المذكور  
حتى يدفع لاميرال عمارة السلطان سلمان

(١) إحدى جزائر البحر الابيض الكبيرة وقربها لفرانسا احتلها المسلمون مدة وصارت أخيراً  
تابعة لجمهورية جنوة وفي سنة ١٧٦٨ تنازلت عنها هذه الجمهورية ليويز الخامس عشر ملك فرنسا وفي سنة  
١٧٩٣ احتلها الانجليز ثم استردتها فرنسا سنة ١٧٠٦ ولم تزل تابعة لها حتى الآن وبها ولد نابليون  
الاول امبراطور فرنسا في سنة ١٧٦٩ أي بعد تنازل جنوة عنها لفرنسا سنة واحدة

معاهدة سنة  
١٥٥٣ بين  
الدولة العلية  
وفرنسا



الضخمة وسار بها في يونيه سنة ١٥٣٨ ومعه عشرون ألف جندي وفتح مدائن عدن  
ومسقط وحاصر جزيرة هرمز عنده دخل العجم ثم قصد سواحل الجوزرات وفتح أغلب  
الحصون التي أقامها البرتغاليون هناك لكن أخفق أمام نجر (ديو) بعد أن حاصره مدة  
ثم قفل راجعاً بالغنائم وفتح في أيامه باقي اقليم اليمن وجعل ولاية عثمانية  
وفي سنة ١٥٤٧ قبل تمام الصلح مع النمسا أتى الى الباب العالي أخ شاه العجم يدعى  
(القااصب مرزا) وطلب من السلطان انجاده ضد أخيه الذي اهتمهم له حقوقاً فاتهز  
السلطان هذه الفرصة لتجديد الاغارة على بلاد العجم وانتظر ريثما يتم الصلح باوروبا ويهدأ  
باله من جهتها

دخول العثمانيين  
مدينة تبريز ثالث  
دفعة

وفي أوائل سنة ١٥٤٨ سار بجيوشه قاصداً مدينة تبريز فدخلها ثالث دفعة وفتح في  
طريقه الجزء التابع للعجم من بلاد السكرد وقلعة (وان) الشهيرة وعاد يحفر به النصر والمظفر  
الى القسطنطينية في ديسمبر سنة ١٥٤٩ أما القااصب مرزا فأخذ أسيراً في إحدى الوقائع  
الحربية بعد أن سار مع جيش من الاكراد الى قرب مدينة أصفهان  
ولم تدم السكينة في ربوع بلاد الجرج والنمسا بد سيسة راهب يدعى مارتينوزي كانت قرّبتة  
اليها الملكة (إزابيلا) بناء على وصية زوجها لها قبل موته فانه سعى في التوفيق بين الملكة  
وفردينان ملك النمسا حتى انه تحصل بقوة دهائه وسلطته الدينية على أن تنازلت الملكة الى  
فردينان عن اقليم ترانسلفانيا ومدينة تمسفار خلافاً لشروط الهدنة وسير فردينان جيشاً نمساوياً  
لاحتلالهما وفي أثناء هذه المخاضات كان الراهب يكتب السلطان سليمان ويظهر له  
الاخلاص وصدق الولاء لكن لم تحف حقيقة الامر على السلطان بل علم بهذا التنازل  
المخالف للعهد وأرسل على الفور جيوشه المظفرة للمحافظة على نقاد شروط الهدنة وارجاع  
النمساويين الى حدودهم فإرسل جيشاً مؤلفاً من ثمانين ألف جندي الى بلاد الجرج في شهر  
سبتمبر سنة ١٥٥١ ولم يقابل هذا الجيش في طريقه مقاومة تذكر بل فتح بكل سهولة  
القلاع والحصون المحتلة لها جيوش النمسا لاخلاء النمساويين لها عند اقتراب الجنود  
العثمانية اليها ودنوها منها ولما رأى الراهب مارتينوزي أفول نجمه وعدم نجاحه في  
الحصول على مرغوبه أراد السعي لدى السلطان سليمان مظهرأ له ميله لمساعدته في اخضاع  
اقليم ترانسلفانيا الذي قاوم الجيوش العثمانية مقاومة شديدة طمعاً في أن يعين هو واليا  
عليها فاحس فردينان بخيائته ودس عليه من قتله في ديسمبر سنة ١٥٥١

وفي سنة ١٥٥٢ انتصر العثمانيون على النمساويين في عدة وقائع وفتح الوزير الثاني احمد باشا  
مدينة (تمسفار) وحاصرت الجيوش بعد ذلك مدينة (ارلو) (١) ببلاد النمسا الحصينة مدة

(١) مدينة صغيرة ببلاد الجرج واقعة في الشمال الشرقي لمدينة بود على مسافة مائة كيلو متر وثمانين  
اشتهرت في التاريخ بصد هجمات العثمانيين والزاهم رفع الحصار عنها في سنة ١٥٥٢ لكن فتحها  
العثمانيون عنوة سنة ١٥٩٦ وبعد صلح سنة ١٦٠٦ صارت تتبع النمسا تارة وامارة ترانسلفانيا تارة أخرى  
واسمها بلغة الجرج ايجر

له ثمانمائة ألف ريال فرانسواى للصرف على جنوده

وفي ربيع من السنة التالية سنة ١٥٤٤ رفض فرانسوا الاول مساعدة العمارة العثمانية له لهماج جميع المسيحيين عليه ونسبتهم اياه للمروق عن دينه لاستعانتهم بالمسلمين وأبرم مع شارل لكان في مارت سنة ١٥٤٤ معاهدة (كربسى) القاضية بالصلح فعاد خير الدين باشا الى القسطنطينية وتوفى سنة ٩٥٣ هـ الموافق سنة ١٥٤٦ م ودفن بجهة بشكطاش على شاطئ البوسفور في المحل المعد لمرسى الدونائمات العثمانية

ابرام الصلح مع  
النمسا

أمان جهة النمسا فاستمر القتال بينهما وبين العثمانيين مدة من الزمن كان النصر فيها غالباً في جانب الجنود المنظرة الاسلامية وأخيراً ابتدئ في المخابرات بين الطرفين للتوصل الى عقد صلح مرضى لسكل منهما واستمرت المخابرات جارية الى سنة ١٥٤٧ لعدم اتفاقهما وسعى سفير فرانسوا المسيوجبريل درامون في عدم الوصول الى الوفاق طمعاً منه في تجديد علائق الالفة بين دولته والدولة العلية لكن وفاة فرانسوا الاول في شهر مارت سنة ١٥٤٧ ساعدت على انعام الصالح فتم الامر بينهما في ١٩ يونيه (أول جمادى الاولى سنة ٩٥٤) على هدنة خمس سنوات بشرط أن يدفع فردينان ملك النمسا جزية سنوية مقدارها ثلاثون ألف دوكان نظير ما بقى تحته من بلاد المجر (١) وأن تبقى بلاد المجر تابعة لابن زابولى أميرها الاخير تحت وصاية أمه (انزابلا) ورعاية الدولة العلية

هذا ولندكر ما حصل في هذه المدة من الحروب في جهات آسيا فنقول انه حضر الى دار الخلافة العظمى سنة ١٥٣٧ سفير من قبل صاحب دهل بالهند يستجده ضد همايون ابن ظاهر الدين محمد الشهير ببار صاحب دهل وآخر من قبل صاحب الجوزرات بالهند أيضاً يطالب منه المساعدة ضد البرتغاليين الذين أغاروا على بلاده واحتلوا أهم ثغورها

فتح عدن

فارسل السلطان أوامره الى من يدعى سلمان باشا الى مصر اذ ذاك تجهيز عمارة بحرية بشعر السويس على البحر الاحمر لمحاربة البرتغاليين وفتح عدن (٢) وبلاد اليمن حتى لا تستولى عليها البرتغال أو أى دولة أوروبية أخرى فتصير حجرة عثرة في سبيل تقدم الدولة العلية في جهات الشرق وقاعدة لأعمال الدولة التي تحتلها ضد مصر فصعد سلمان باشا بأمره وشيد عمارة بحرية هائلة مؤلفة من سبعين سفينة في أقرب وقت وسلاحها بالمدافع

سلمها الخازيون لملوك اى الانكليز ثم استردها الفرنسيون في ديسمبر من السنة المذكورة بهمة و استعداد نابليون بوناپرت التي كانت هذه الواقعة فتحة أعماله ومقدمة انتصاره

(١) قد استمرت النمسا عي دفع الجزية لدولة العلية الى سنة ١٦٩٩ فبطلت بمقتضى معاهدة كرفونس (٢) بحيث جزيرة بنجوب بلاد اليمن وبها مدينة مهمة بالنسبة مركزها المتوسط بين مصر والهند واقربها من بوغاز باب المندب ولذلك تنازعها الفاتحون وأخيراً فتحها العثمانيون كما رأيت ثم خرجت من تحت سلطتهم وتناوبتها أبدى كل من نال على اليمن من العرب وغيرهم وفي سنة ١٨٣٩ احتلها الانكليز وأقاموا بها مستودعاً لجمع الخبزي وزادت أهميتها بالنسبة لهم بعد فتح بوغاز السويس واتخاذ مراكبهم هذه الطريق لانها أفضل الطرق الي هندهم التي هي لهم بمثابة الروح من الجسد

وعقب ذلك بقليل وصل الى معسكر السلطان سليمان وفد من قبل ملك النمسا يحمل اليه كثير من الهدايا النفيسة منها ساعة تدل على الايام والشهور وسير الكواكب وعرض عليه هذا الوفد دفع مائة ألف فلورين سنوياً جزية عن جميع بلاد المجر لو تركها له السلطان أو أربعين الفا فقط عن الجزء المحتلة له جيوش النمسا فحاجبه السلطان أن لا يتخبر معهم بخصوص الصلح الا من بعد أن يخلى فرينان القلاع المجرية التي بيده ولذا لم يتم الصلح وبقي العدوان مستمراً وبعد ذلك بأيام قلائل وصل الى السلطان سفير فرنساوى يخبره باستئناف الحروب بين فرنسا وشارلكان وأنه يسعى في تجديد التحالف بين الدولة والباب العالي لمحاربة شارلكان وما يدل على ضعف سياسة فرانسوا الاول وعدم ثباته أنه بعد ان أمضى مع شارلكان هدنة (نيس) ساعده أيضاً لدى الدولة العثمانية للحصول على هدنة بينها وبينه وكتب في سنة ١٥٣٩ بذلك خطابا للسلطان سليمان فجاوبه السلطان انه لا يهادنه الا اذا رد له (الملك فرانسوا) جميع القلاع والحصون التي فتحها ولما لم يقبل شارلكان ذلك ففترت العلاقات بينهما وصارت الحرب قاب قوسين أو أدنى (سنة ١٥٤١) وأرسل الميسو (رنسون) الى القسطنطينية ليتفق مع السلطان على الترتيبات الحربية اللازمة وفي أثناء مسير هذا السفير من اقليم ميلان قتله أحد أعوان حاكم هذا الاقليم التابع لشارلكان وبناء على أوامره طمعا في العثور على أوراق معه للسلطان يوجد بها ما يمس الدين المسيحي فينشرها بين ملوك وأمرأه أوروبا ليوغرصدورهم عليه ويتركوه بلا مساعدة فيفوز هو بالغلبة عليه لكن خاب مسعاه حيث لم يجد معه أوراقا من هذا القبيل بل أهرق دم السفير هدرًا

ولما بلغ فرانسوا الاول خبر قتل سفيره أرسل بدله أحد ضباطه الميسو بولان الى السلطان سليمان يطلب منه مساعدته على محاربة شارلكان بسفنه وقائدها خير الدين باشا فتردد السلطان أولاً لعدم ثبات ملك فرنسا وضعف عزمه وقبل أخيراً بناء على الحاح السفير وتعضيد خير الدين باشا له لا سيما وقد وصل اليه خبر مهاجمة شارلكان بجيوشه لمدينة الجزائر وارنداده عنها خائباً في ٣١ اكتوبر سنة ١٥٤١ وفي ربيع سنة ١٥٤٣ سافر السلطان بجيوشه الى بلاد المجر لاستئناف المحاربات وفي الوقت نفسه أفلح خير الدين باشا من مياه الاستانة بمراكبه ومعه السفير الفرنسي بولان قاصداً مرسميليا إحدى مين فرنسا الجنوبية فوصلها بعد أن غزى في طريقه سواحل جزيرة صقلية وقوبل من الفرنسيين بكل تحية وإكبار وانضمت سفنه الى سفنهم ومنها أفلعوا الى مدينة نيس فحاصروها من جهة البحر وفتحوها عنوة في ٢١ جمادى الاولى سنة ٩٥٠ الموافق ٢٠ أغسطس سنة ١٥٤٣ ولوقوع الشحنة بين العسكرين لم يتم احتلالها ثم أذن لخير الدين باشا ومراكبه بتمضية فصل الشتاء في ميناطولون (١) بفرنسا وأعطى

(١) مدينة شهيرة في جنوب فرنسا على البحر الأبيض المتوسط بها مرسي سفنها الحربية وفي سنة ١٧٩٣



ألف مقاتل لشن الغارة على بلاد إيطاليا وكان معه ولداه محمد وسليم وسفير فرانسيس الميسو (دولافوري) وفي الوقت نفسه نزل خير الدين باشا أينما أوتراته بجنوب إيطاليا استعداداً لمهاجمتها من جهة الجنوب بينما يهاجمها السلطان سليمان من جهة الشرق وملك فرنسا من جهة الغرب لكن احتجام فرنسا عن التقدم أطاعة للرأى للعام كما ذكرنا كان السبب في عدم نجاح هذا المشروع الذي لو تم لكانت نتيجة دخوله بلاد إيطاليا بأسرها تحت ظل الدولة العلية وانهى الأمر بان تهادن ملك فرنسا مع الامبراطور شارل كان وأمضيا مهادنة نيس سنة ١٥٣٨ أما من جهة البندقية فاستمرت الحرب بينها وبين الدولة العلية سجالات انتهت بالصلح في أواخر سنة ١٥٣٨ بتنازل البندقية عن ملفوازي ونابولي دي رومانيا من بلاد موره

هذا أما من جهة بلاد المجر فابتدأت الحروب ثانية سنة ١٥٣٧ وانتهت بانضمام جيش الماني مرسل من قبل شارل كان تحت رياسة أشهر قواده في ٢٢ ديسمبر سنة ١٥٣٧ وفي سنة ١٥٣٨ عصى أمير البغدان بناء على تحريض فردينان ملك النمسا له فقهر وولى مكانه أخوه اسطفن وعززت الحماية العثمانية منعاً لحصول مثل ذلك

وفي هذه الاثناء اتفق فردينان وزابولي ملك المجر على اقتسام البلاد أولى من تداخل العثمانيين في شؤونهم كما سبق ووجود المجر تحت حمايتهم الأمر المشين لكافة الممالك المسيحية وكانت هذه دسيسة من فردينان للايقاع بزابولي الذي قبل حماية العثمانيين له مدّة من الزمن فارسل صورة هذا الاتفاق الى الباب العالي ليملمه بعدم ولاء زابولي له

ثم مات زابولي سنة ١٨٤٠ قبل أن تقتص الدولة العلية منه على خيانتة تاركاً طفلاً صغيراً ولد قبل موته بخمسة عشر يوماً فاغارت على الفور جيوش النمسا على المجر منتهزين هذه القرصة لنوال ما آثر بهم أى استخلاص بلاد المجر من حماية وبابعة الدولة العلية وحاصروا أرملة زابولي وابنه في مدينة بود واحتلوا مدينة بيست (١) المتقابلة لها على نهر الطونة وعدة قلاع بالقرب منها وبمجرد وصول هذا الخبر للدولة العلية قام السلطان بنفسه قاصداً بلاد المجر في شهر يوليو سنة ١٥٤١ ووصل في ٢٩ أغسطس الى مدينة بود التي رفع النمساويون عنها الحصار بمجرد سماعهم خبر قدوم السلطان وجيوشه واشتدّ ياس الجنود المجرية المحصورة داخلها خشية من وقوعهم بين نارين وفي اليوم التالي قدم الى السلطان سليمان ولد زابولي وفي أثناء الاحتفال بقدومه احتل الانكشارية المدينة ثم دخلها السلطان باحتفال زائد وجعل بلاد المجر ولاية عثمانية وحول أكبر كتائبها الى مسجد جامع وتهدد جلالة السلطان كتابة الى أرملة زابولي بأنه لا يحتل بلادها الا مدّة طفوليته ويعيدها له متى بلغ رشده

وت زابولي ملك  
المجر وسفير  
سلطان الى بود  
قارية النمساويين

(١) مدينة شهيرة ببلاد المجر على نهر الطونة أمام مدينة بود كانت معزل عنها ثم صارتا مدينة واحدة بعد بناء الكوبرى الموصل بينهما وأطلق عليها اسم (بودابست)



بالاستيطان في اقليم تونس واقامة شعائر دينهم بدون معارضة وأن يتنازل لشارلكان عن مدائن بونه و بنى زرت وحلق الوادى وأن يدفع له مبلغ اثني عشر ألف دوكا مصاريف الحرب وأن يقدم له سنوياً اثني عشر حصاناً وقدرها من المهارة العربية علامة امتنانه بشرط أنه لو خلف احدى هذه الشروط يدفع أول مرة خمسين ألف دوكا وفي الثانية مائة ألف وفي الثالثة يسقط حقه في الملك وفي ١٧ اغسطس سافر الامبراطور شارلكان تاركا في حلق الوادى ألف جندي اسبانيولى وعشرة مراكب حربية أما خير الدين باشفانه لما رأى تحزب الالهالى وميلهم لسلطانهم المعزول وعدم وجود الجنود الكافية معه وبعده عن مركز السلطنة لامداده في الوقت اللازم ارتحل بمجنوده على مراكبه

اتحاد فرنسا  
والدولة العلية  
علي محاربة  
النمسا وبعض  
وقائع اخرى

ولنرجع الى ذكر محالفة فرنسا مع الدولة العلية وتبناجها فنقول ان اتفاقهما كان قاضياً بان الدولة العلية تجعل وجهة حروبها بلاد نابولي وجزيرة صقلية واسبانيا عوضاً عن مهاجمة النمسا التي تتحد جميع امارات وممالك ألمانيا للمدافعة عنها اذ هي مع استقلالها جزء من التحالف الالماني وأن جيوش فرنسا تدخل بلاد ايطاليا من جهة (اقليم ييموني) بشمال ايطاليا حينما تدخلها الجيوش العثمانية من جهة مملكة نابولي

لكن عدم دخول جمهورية البندقية في هذا التحالف واطهارها العدوان لهم كان سبباً في عدم نجاح كل هذه التدبيرات وساعد على ذلك هياج الرأي العام المسيحي ضد التحالف الفرنساوى العثماني واحتجاج فرنسوا الاول أمام النفور العام خشية أن يرمى بالمروق عن دينه المسيحي باتحاده مع دولة اسلامية لمحاربة دولة تدين بدينه

فاراد السلطان سليمان الانتقام من جمهورية البنادقة على عدم انجيازها لتحالفه مع انه راعى جوارها ولم يغز بلادها فارسل خير الدين باشا الذى ترقى الى رتبة قبودان باشا جميع الدونمات العثمانية ومعه نحو ألف سفينة لمحاصرة جزيرة كورفو فحاصرها في شهر سبتمبر سنة ١٥٣٧ وأنى السلطان بنفسه لمناظرة الحصار لكنه أمر برفعه عنها لشدة دفاع أهلها وعدم ضياع وقته النفيس حول هذه الجزيرة الصغيرة وعاد هي الى القسطنطينية فوصلها أول نوفمبر من السنة المذكورة وأرسل خير الدين باشا لفتح ما بقى من جزائر الروم ففتح أغلبها وغزى جزيرة كريد (١) وفي عودته قابل دوناتمة مؤلفة من مائة وسبعين سفينة تقريباً يقودها اندرى رو بأدميرال شارلكان فخاربها وانتصر عليها في ٢٥ سبتمبر سنة ١٥٣٨ وفي مايو سنة ١٥٣٨ جمع السلطان سليمان ببلاد الارنوود جيشاً عظيماً مؤلفاً من مائة

(١) جزيرة شهيرة بالبحر الابيض المتوسط ذات موقع حربي من الاهمية على جانب عظيم لوجودها عند مدخل ارخبيل اليونان بحيث يكون المحتل لها كالقايض على بوغاز الدردنيل احتلها العرب مدة من الزمان ثم استرجعها الروم سنة ٩٦١ ميلادية وفي سنة ١٢٠٤ أخذها البنادقة لما فتح الصليبيون مدينة الاستانة وفتحها العثمانيون ولم تزل تابعة لهم حتى الآن الا أنها لا تخلو دائماً من الاضطرابات بسبب الدسائس ولها بعض امتيازات وتبذل لمملكة اليونان وسعها لضمها اليها الا أن بعض الدول ذوات الصالح في البحر المتوسط لا تسمح لها بذلك خوفاً من ازدياد نفوذ اليونان في هذا البحر

الاسبانيول في جزيرة صغيرة أمام مدينة الجزائر ثم أرسل اليه السلطان سليمان بعد تحالفه مع فرنسا أن يكف عن مراكب الفرنسيين وشواطئهم فحوّل كل قوّاده على شاطئ أسبانيا وانتقم من أهلها على ما ارتكبه من الفظائع والمنكرات مع المسلمين بعد سقوط غرناطة في أيديهم وساعد كثيراً ممن بقي ببلاد الأندلس من المسلمين على الرجوع الى بلاد الغرب والاستيطان بها فراراً من اضطهاد الاسبانيول واجبارهم لهم على الخروج من دين الاسلام واعتناق الدين المسيحي مما لا يدخل في موضوع هذا الكتاب

وفي أوائل سنة ١٥٣٣ استدعاه السلطان سليمان الى الاستانة ليتفق معه على ما يلزم اتخاذه من الاحتياطات لصد هجمات الاميرال (أندري دوريا) الجنوي أجير شارلكان فسافر ببعض المراكب ووصل القسطنطينية بعد سفر الصدر الاعظم ابراهيم باشا لمحاربة العجم بقليل فقابله الملك وأحسن وقادته وأمره بالاستعداد وانشاء المراكب الكافية لفتح اقليم تونس فاشتغل خير الدين باشا طول الشتاء بانشاء المراكب

وفي أوائل صيف سنة ١٥٣٤ بعد ما سافر السلطان سليمان قاصداً مدينة تبريز كما مر خرج خير الدين عراكبه من بوزاز الدردنيل غير قاصد تونس مباشرة بل عرج في طريقه على جزيرة مالطة وبعض موانئ جنوب إيطاليا لغزو مراكبها وأهلها بدون احتلالها حتى لا يعلم قصده الاصلى وهو فتح تونس ثم قصد مدينة تونس في أوائل سنة ١٥٣٥ وأعلن الاهاالي انه آت لعزل السلطان مولاي حسن آخر سلالة بني حفص (١) وكان الاهاالي ناقلين عليه ليلد اشار لكان ونصيب أخيه حسن الرشيد مكانه وبذلك احتل مدينة تونس ونعزها المسمى حلق الوادي بدون كثير عناء باسم السلطان سليمان العثماني

ولما وصل الاميراطور شارلكان خبر سقوط تونس اتحد مع رهبنة القديس حنا الاورشليمي التي نزلت بجزيرة مالطة بعد فتح جزيرة رودس على استرجاع تونس واعادة مولاي حسن الى تحت مملكته وجهاز عمارة قوية قادها هو بنفسه ونزل مع أشرف اسبانيا من ثغر برشلونه في ٢٩ ماو سنة ١٥٣٥ ووصل الى حلق الوادي في ١٦ يونيه وحاصرها هي ومدينة تونس مدة شهر تقريباً وفتحها في ١٤ يوليو واستولى على ما بقاعها وثغرها من المدافع والمراكب وفي يوم ٢١ يوليو دخلت جيوش شارلكان المدينة وصرّح لهم بنهبها فقتلوا ونهبوا وفسقوا وارتكبوا كل أنواع الحرّات وهدموا المساجد وحرقوا وذاغوا أغلب الكتب النفيسة وفي أول اغسطس دخلها شارلكان ومنع الجيش عن هذه الاعمال فاستتب الامن وسادت السكينة وفي ثمانية منه أمضيت معاهدة بين شارلكان ومولاي حسن الذي أعيد الى مملكة تقضى عليه باخلاء سبيل الارقاء المسيحيين والاباحة لجميع المسيحيين

(١) أولهم أبو محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن الشيخ أبي حفص ولي إمارة تونس في ١٠ شوال سنة ٦٠٣ ولما توفي سنة ٦١٨ خلفه ابنه زكريا يحيى وفي سنة ٦٤٧ ملك بعده ابنه أبو عبد الله محمد وابق بالمستصر ودعي بامير المؤمنين واستمرت هذه العائلة المالكة على اقليم تونس الى ان فتحها العثمانيون نهائياً في سنة ٩٨١ فتكون مدة حكمهم ٣٧٨ سنة

هذا الاتفاق سبباً في تدخل فرنسا وباقي دول أوروبا في شؤون المملكة الداخلية خصوصاً في هذا القرن الأخير كما سيحكي، وكانت هي آخر أعمال الصدر الأعظم إبراهيم باشا فان السلطان توحس منه خيفة لازدياد نفوذه على الجنود والقواد وازداد تحذره منه بعد محاربة العجم الأخيرة التي كان فيها إبراهيم باشا المذكور سر عسكر لجميع الجيوش فانه أمضى بعض الاوامر العسكرية بلقب سر عسكر سلطان وخشي السلطان أن تكون تلك الاعمال مقدّمات لاغتصابه الملك لنفسه فامر بقتله في ٢٢ رمضان سنة ٩٤٢ الموافق ٥ مارث سنة ١٥٣٦ فقتل وخلفه في مركز الصدارة اياس باشا بدسيسة روكسلان الروسية احدى حظيات السلطان وسياتي ذكر ما أتته من الدسائس والمقاسد عند الكلام على قتل السلطان لابنه مصطفى

خير الدين باشا  
البحري وقتل  
اقلبي الجزائر  
وتونس

ولنات ههنا على ملخص تاريخ خير الدين باشا البحري الذي اشتهر في كتب الافرنج باسم (بارب روس) أي ذى اللحية الصهباء وما فتحة من البلاد في سواحل بلاد الغرب وجنوب ايطاليا وانا لم نذكر حوادثه حسب ترتيبها لعدم الفصل بها بين أعمال السلطان سليمان الحربية في جهات النمسا غرباً وبلاد العجم شرقاً خوفاً من تشييت فكر المطالع فنقول ان أصل خير الدين باشا من أروام جزيرة (مدلى) احدى جزائر الروم وكان هو وأخ له يدعى (اوروج) يشتغلان بحرفة القراصين يحراروم ثم أسلما ودخلا في خدمة السلطان محمد الحفصى صاحب تونس واستمرّا في حرفتهما وهي أسر مراكب المسيحيين التجارية وأخذ كافة ما بها من البضائع وبيع ركبها وملاحها بصفة رقيق وفي ذات يوم أرسلالى السلطان سليم الاول احدى المراكب الماسورة اظهاراً لخضوعهم لسلطانه فقبلها منها وارسل لهما خلعاً سنية وعشر سفن ليستعينوا بها على غزو مراكب الافرنج فقبوت شوكتهما واشرا بت أعناقهما لاحتلال بعض سواحل الغرب باسم سلطان آل عمان فاستولى خير الدين على نعر (شرشل) باقليم الجزائر ثم عاد الى تونس ومنها أرسل الى السلطان سليم الذي كان اذ ذاك بمصر رسولاً يدعى (كرداوغلى) يؤكد لديه اخلاصه وولاءه للسدة السلطانية العثمانية أما اوروج فبعد ان استولى على مدينة الجزائر نفسها وهزم الجيوش الاسبانية التي أرسلها شارلكان لمساعدة الجزائريين على محاربة اوروج فتح أيضاً مدينة تلمسان وقتل بعدها بقليل في محاربة الاسبانيين لكن لم يتمكن هؤلاء من استخلاص تلمسان والجزائر بل حفظهما خير الدين وقتل أمير الجزائر وأرسل من قبله احد أتباعه واسمه الحاج حسين الى السلطان سليم (وقد كان أتم فتح مصر) ليخبره بفتح مدينة الجزائر باسمه الشريف فقبله السلطان وعين خير الدين باشا بك على اقليم الجزائر وبذا صار هذا الاقليم ولاية عثمانية يدعى فيه في خطبة الجمعة باسم السلطان سليم وتضرب النقود باسمه وبعد ذلك استمر خير الدين باشا في غزو مراكب الافرنج والنزول على بعض شواطئ ايطاليا وفرنسا واسبانيا واخذ كل ما تصل اليه يده من اموال واهالى وفتح الحصن الذي أقامه



الاشياء مقابلة دفع الثمن المناسب بدون الزامها تفرغ ما بها من البضائع لدفع الاثمان ثم يباح لها الذهاب أينما تريد واذا وصلت الى الاستانة وأرادت السفر منها بعد الاستحضار على جواز الخروج من أمين الجرك ودفع الرسم اللازم وتفتيشها بمعرفة الامين المشار اليه فلا يجوز ولا يمكن تفتيشها في أى محل آخر الا عند الحصون القائمة بمدخل بوغاز جاليولى (الدردنيل) بدون دفع شىء مطلقاً لا عند هذا البوغاز ولا في أى مكان آخر عند خروجها خلاف ماصار دفعه سواء كان الطالب باسم جلالة السلطان أو أحد مأموريه

§ البند الثالث عشر لو كسرت أو أغرقت مراكب إحدى الدولتين بالصدفة أو غيرها عند البلاد التابعة للطرف الآخر فمن ينجم من هذا الخطر يبقى متمتعاً بحريته لا يمانع في أخذ ما يكون له من الامتعة وغيرها أما لو غرق جميع من بها فما يكن تخليصه من البضائع يسلم الى القنصل أو نائبه لتسليمها لاربابها بدون أن يأخذ القبودان باشا أو السنجق بيك أو الصوباشى أو القاضى أو غيرهم من مأمورى الدولة أو رعاياها شيئاً منها والا فيعاقب من يرتكب ذلك بشدة العقاب وعلى هؤلاء المأمورين أن يساعدوا من يخصص لاستلام الاشياء المذكورة

§ البند الرابع عشر لو هرب أحد الارقاء المملوكين لاحد العثمانيين واحتتمى في بيت أو مركب احد الفرنسيين فلا يجبر الفرنسيون على البحث عنه في بيته أو مركبه ولو وجد عنده يعاقب الفرنسيون بمعرفة قنصله ويرد الرقيق لسيده واذ لم يوجد الرقيق بدار أو مركب الفرنسي فلا يسأل عن ذلك مطلقاً

§ البند الخامس عشر كل تابع لملك فرنسا اذ لم يكن أقام باراضى الدولة العلية مدة عشر سنوات كاملة بدون انقطاع لا يلزم بدفع الخراج أو أى ضريبة أيا كان اسمها ولا يلزم بحراسة الاراضى المجاورة أو مخازن جلالة السلطان ولا بالشغل في الترسانة أو أى عمل آخر وكذلك تكون معاملة رعايا الدولة في بلاد فرنسا

وقد اشترط ملك فرنسا ان يكون للبابا وملك انكلترا أخيه وحليفه الابدى وملك ايقوسيا الحق في الاشتراك بمنافع هذه المعاهدة لو أرادوا بشرط انهم يبلغون تصديقهم عليها الى جلالة السلطان ويطلب منه اعتماد ذلك في ظرف ثمانية شهور تضى من هذا اليوم

§ البند السادس عشر يرسل كل من جلالة السلطان وملك فرنسا تصديقه للآخر على هذه المعاهدة في ظرف ستة شهور تضى من تاريخ امضاءها مع الوعد من كليهما بالحفاظة عليها والتنبية على جميع العمال والقضاة والمأمورين وجميع الرعايا بمراعاة كامل نصوصها بكل دقة ولكى لا يدعى أحد الجهل بهذه المعاهدة بصير نشر صورتها في الاستانة واسكندرية ومصر ومرسيليا وناربونة وفي جميع الاماكن الاخرى الشهيرة في البر والبحر التابعة لكل من الطرفين انتهت المعاهدة

وبذلك صارت فرنسا الدولة الاوروبية الوحيدة الحائزة امتيازات لرعاياها ولكن كان



ممتلكاته على حسب ما جاء بها ولو توفي ولم يوص قسماً تركته الى وارثه أو الوكيل عنه بمعرفة القنصل لو كان في محل وفاته قنصل والافتحفظ التركة بمعرفة قاضي الجهة بعد ان تعمل بها قائمة جرد على يد شهود أمواله كانت الوفاة في جهة بها قنصل فلا يكون للقاضي أو مأمور بيت المال أو غيرهما حق في ضبط التركة مطلقاً ولو سبق ضبطها بمعرفة أحد منهم يصير تسليمها الى القنصل أو من ينوب عنه لو طلبها قبل الوارث أو وكيله وعلى القنصل توصيلها وتسليمها الى صاحب الحق فيها

﴿البند العاشر﴾ بمجرد اعتماد جلالة السلطان وملك فرنسا لهذه المعاهدة لجميع رعاياهما الموجودين عندهما أو عند تابعيهما أو على مراكبهم أو سفنهم أو في أي محل أو إقليم تابع لسلطتهما في حالة الرق سواء كان ذلك بشرائهم أو بأسرهم وقت الحرب يصير اخراجهم فوراً من حالة الاسترقاق الى بحبوحة الحرية بمجرد طلب وتقرير السفير أو القنصل أو أي شخص آخر معين لهذا الخصوص ولو كان أحدهم قد غير دينه ومعتقه فلا يكون ذلك مانعاً لا إطلاق سراحه

ومن الآن فصاعداً لا يجوز لجلالة السلطان أو ملك فرنسا ولا لقبودانات البحر ورجال الحرب أو أي شخص آخر تابع لأحدهما أو لمن يستأجرونهم لذلك سواء في البر والبحر أخذ أو شراء أو بيع أو حجز أسراء الحرب بصفة أرقاء ولو نجاسر قرصان أو غيره من رعايا إحدى الدولتين المتعاقدين على أخذ أحد رعايا الطرف الآخر أو اغتصاب أملاكه أو أمواله يصير اخبار حاكم الجهة وعليه ضبط الفاعل ومعاقبته على مخالفته شروط المصلح عبرة لغيره ورد ما يوجد عنده من الأشياء المغتصبة الى من أخذت منه وإذا لم يضبط الفاعل فيمنع هو وجميع شركائه من الدخول في البلاد وتضبط ممتلكاته بجانب الحكومة التابع اليها ويصير التعويض على ما حصل له من الضرر مما يصادر من أملاك الجاني وهذا لا يمنع من مجازاته لو صار ضبطه فيما بعد ولم يجنى عليه أن يستعين على الحصول على ذلك بضامني هذا المصلح وهم السرعسكر عن الجانب السلطاني وأكبر القضاة عن ملك فرنسا

﴿البند الحادي عشر﴾ لو تقابلت دونات إحدى الدولتين المتعاقدين ببعض مراكب رعايا الدولة الاخرى فعلى هذه المراكب تنزيل قلعها ورفع أعلام دولتها حتى اذا علمت حقيقة أنها لا تحجزها أو تضيقها السفن الحربية أو أي تابع آخر للدولة صاحبة الدونامة وإذا حصل ضرر لأحدهما فعلى الملك صاحب الدونامة تعويض هذا الضرر فوراً وإذا تقابلت سفن رعايا الدولتين فعليهما رفع العلم وابداء السلام بطلقة مدفع والجأوة بالصدق لو سئل رباها عن الدولة التابع اليها ولما تعلم حقيقة أنها لا يجوز لأحدها أن تفتش الاخرى بالقوة أو تسبب لها أي عائق كان

﴿البند الثاني عشر﴾ اذا وصلت إحدى المراكب الفرنسية أو غيرها بطريق الصدفة أو غيرها الى إحدى مين أو شطوط الدولة العلمية تعطى ما يلزمها من الماء كولات وغيرهما من

أو قاضي شرعى أو (صوباشى) أو أى موظف آخر ولكن لو امتنع أحد رعايا الملك عن اطاعة أوامر أو أحكام القنصل فله أن يستعين بموظفى جلالة السلطان على تنفيذها وعليهم مساعدته ومعاونته وعلى أى حال ليس للقاضى الشرعى أو أى موظف آخر أن يحكم فى المنازعات التى تقع بين التجار الفرنساويين وباقى رعايا فرنسا حتى لو طلبوا منه الحكم بينهم وإن أصدر حكماً فى مثل هذه الاحوال يكون حكمه لاغياً لا يعمل به مطلقاً

البند الرابع لا يجوز سماع الدعاوى المدنية التى يقيمها الاتراك أو جباة الخراج أو غيرهم من رعايا جلالة السلطان ضد التجار أو غيرهم من رعايا فرنسا أو الحكم عليهم فيها ما لم يكن مع المدعين سندات بخط المدعى عليهم أو حجة رسمية صادرة من القاضى الشرعى أو القنصل الفرنساوى وفى حالة وجود سندات أو حجج لا تسمع الدعاوى أو شهادة مقدمها إلا بحضور وترجمان القنصل

البند الخامس ولا يجوز للقضاة الشرعيين أو غيرهم من مأمورى الحكومة العثمانية سماع أى دعوى جنائية أو الحكم ضد تجار ورعايا فرنسا بناء على شكوى الاتراك أو جباة الخراج أو غيرهم من رعايا الدولة العلية بل على القاضى أو المأمور الذى ترفع اليه الشكوى أن يدعو المتهمين بالحضور بالباب العالى محل إقامة الصدر الأعظم الرسمى وفى حالة عدم وجود الباب المشار اليه (أى إذا حصلت الواقعة فى محل غير الاستانة) يدعوهم أمام أكبر مأمورى الحكومة السلطانية وهناك يجوز قبول شهادة جاني الخراج والشخص الفرنساوى ضد بعضهما

البند السادس لا يجوز محاكمة التجار الفرنساويين ومستخدميهم وخدامهم فيها يختص بالمسائل الدينية أمام القاضى أو السنجق بيك أو الصوباشى أو غيرهم من المأمورين بل تكون محاكمتهم أمام الباب العالى ومن جهة أخرى يكون مصرح لهم باتباع شعائر دينهم ولا يمكن جبرهم على الاسلام أو اعتبارهم مسلمين ما لم يقرؤا بذلك غير مكرهين

البند السابع لو تعاقد واحد أو أكثر من رعايا فرنسا مع أحد العثمانيين أو اشترى منه بضائع أو استدان منه نقوداً ثم خرج من الممالك العثمانية قبل أن يقوم بامتثاله فلا يسأل القنصل أو أقارب الغائب أو أى شخص فرنساوى آخر عن ذلك مطلقاً وكذلك لا يكون ملك فرنسا ملزماً بشئ بل عليه أن يوفى طلب المدعى من شخص المدعى عليه أو أملاكه لو وجدت باراضى الدولة الفرنسية أو كان له أملاك بها

البند الثامن لا يجوز استخدام التجار الفرنساويين أو مستخدميهم وأخدامهم أو سفنهم أو فلائكمهم أو ما يوجد بهما من اللوازم أو المدافع والذخائر أو التجارة جبراً عنهم فى خدمة جلالة السلطان الأعظم أو غيره فى البر والبحر ما لم يكن ذلك بطوعهم واختيارهم

البند التاسع يكون لتجار فرنسا ورعاياها الحق فى التصرف فى كافة متعلقاتهم بالصيغة بعد موتهم وعند وفاة أحد منهم وفاة طبيعية أو قهرية عن وصية فتوزع أمواله وباقى

على مدينة بغداد ومعه ألفا جندي لحمايتها وفي أثناء مسيره وصل الى معسكره سفير فرنساوى اسمه مسيو (لافورى) أرسل له نتهته على فتوحاته الاخيرة ثم وصل الى مدينة تبريز رابع الحرم سنة ٩٤٢ وأقام بها ١٥ يوما قضاها في تعيين الولاة على المدائن المفتوحة حديثا وترتب شؤون الداخلية ثم قتل راجعاً الى الاستانة فوصلها في ١٤ رجب سنة ٩٤٢ الموافق ٨ يناير سنة ١٥٣٦.

الامتيازات  
القنصلية

وفي أوائل شهر فبراير سنة ١٥٣٦ تم الاتفاق بين المسيو لافورى سفير فرنسا والباب العالى وصدر به خط شريف بمنح بعض امتيازات لرعايا ملك فرنسا النازلين باراضى الممالك المحروسة وهذا نص هذه المعاهدة مترجماً من مجموعة البارون دى تسنا الموجودة فى الكتبخانة الخديوية

ليكن معلوماً لدى العموم أنه فى شهر ... سنة ٩٤٢ من الهجرة الحمدية الموافق شهر فبراير سنة ١٥٣٦ من الميلاد قد اتفق بمدينة الاستانة العلية كل من المسيو جان دى لافورى مستشار وسفير صاحب السعادة الامير فرنسو المتعمق فى المسيحية ملك فرنسا المعين لدى الملك العظيم ذى القوة والنصر السلطان سليمان خاقان الترك الى آخر ألقابه والامير الجليل ذى البطش الشديد سرعسكر السلطان بعد ان تباحثا فى مضار الحرب وما ينشأ عنه من المصائب وما يترتب على السلم من الراحة والطمانينة على البنود الاتية

﴿ البند الاول ﴾ قد تعاهد المتعاقدان بالنيابة عن جلالة الخليفة الاعظم وملك فرانساعلى السلم الاكيد والوفاق الصادق مدة حياتهما وفى جميع الممالك والولايات والحصون والمدن والمين والثغور والبحار والجزائر وجميع الاماكن المملوكة لهم الآن أو التى تدخل فى حوزتهم فيما بعد بحيث يجوز لرعاياها ونابعيها السفر بحراً براكب مسلحة أو غير مسلحة والتجول فى بلاد الطرف الآخر والحىء اليها والاقامة بها أو الرجوع الى الثغور والمدن أو غيرها بقصد الاتجار على حسب رغبتهم بكمال الحرية بدون أن يحصل لهم أدنى تعد عليهم أو على متاجرهم

﴿ البند الثانى ﴾ يجوز لرعايا وتابعى الطرفين البيع والشراء والمبادلة فى كافة السلع الغير ممنوع الاتجار فيها ولسيرها ونقلها براً وبحراً من مملكة الى أخرى مع دفع العوائد والضرائب المعتادة قديماً بحيث يدفع فرنساوى فى البلاد العثمانية ما يدفعه الترك ويدفع الترك فى البلاد الفرنسية ما يدفعه فرنساويون بدون أن يدفع أى الطرفين عوائد أو ضرائب أو مكوساً أخرى

﴿ البند الثالث ﴾ كلما يعين ملك فرنسا قنصلاً فى مدينة القسطنطينية أو فى برا أو غيرهما من مدائن المملكة العثمانية كالقنصل المعين الآن بمدينة الاسكندرية يصير قبوله ومعاملته بكيفية لائقة ويكون له أن يسمع ويحكم ويقطع بمقتضى قانونه وذمته فى جميع ما يقع فى دائرته من القضايا المدنية والجنائية بين رعايا ملك فرنسا بدون أن ينعم من ذلك حاكم



٢٨ القعدة سنة ٩٣٩ هـ وأهم ما فيها أن ردت النمساويون مدينة كورون للدولة العلية ولا يردوا شيئاً مما فتحوه من بلاد الجرج وأن ماتتفق عليه النمسا مع زابولى صاحب بلاد الجرج لا ينفذ ما لم يعتمد جلالته السلطان العثماني وهي أول معاهدة صلح بين النمسا والباب العالي هذا وقد حصل في أثناء اشتغال السلطان بمحاربة النمسا بعض اضطرابات على حدود بلاد العجم وساعد على ذلك خيانة شريف بك خان مدينة بدليس الواقعة على حدود المملكتين وانحيازها الى مملكة العجم ولذلك أرسل السلطان وزيره الاول ابراهيم باشا لمحاربة هذا العاصي والسير بعد ذلك الى مدينة تبريز عاصمة العجم لفتحها فسافر ابراهيم باشا وقبل وصوله الى قونية وصل اليه في ٢ ربيع الآخر سنة ٩٤٠ هـ الموافق ٢١ اكتوبر سنة ١٥٣٣ شمس الدين ابن حاكم اذربيجان الذي كان تابعاً لملك العجم وانضم الى السلطنة العثمانية ومعه رأس شريف بك الذي حاربه والده وقتله ولذلك سار ابراهيم باشا الى مدينة حلب لامضاء فصل الشتاء بها وفي أوائل ربيع سنة ١٥٣٤ هـ قام منها بجيوشه قاصداً مدينة تبريز ففتح في طريقه جميع الحصون والقلاع المجاورة لبحيرة (وان) ووصل بدون كبير معارضة الى تبريز ودخلها بسلام في غرة شهر محرم الحرام سنة ٩٤١ هـ الموافق ١٣ يوليو سنة ١٥٣٤ م وبقي بها قلعة وجعل في وسطها حامية عثمانية لمنع السكان عن اتيان كل ما يمكن أن يكدر صفو الراحة العمومية

دخول العثمانيين  
مدينة تبريز ثاني  
دفعة

وفي ٢٧ سبتمبر من السنة المذكورة الموافق ١٦ صفر سنة ٩٤١ هـ وصل السلطان سليمان الغازي الى تبريز فقابله الاهالي بكل ترحيل وتعظيم وبعد ان عين السلطان ابن الامير شروان قائد الحامية مدينة تبريز وقبل خضوع أمير كيلان المدعو ملك مظفر خان وغيره من أمراء القرس الذين تركوا لواء شاه طهماسب ملك العجم وانحازوا الى ظل الخليفة الاعظم سار السلطان بجيوشه الى مدينة سلطانية التي تقهر اليها الشاه بجيوشه لكن لصعوبة الطرق واستحالة مرور المدافع الضخمة وعربات النقل بها لكثرة الامطار والاحوال تركها السلطان وقصد مدينة بغداد لفتحها فلما اقترب منها تقدم ابراهيم باشا الصدر الاعظم وسر عسكر الجيوش العثمانية لاحتلالها قبل قدوم السلطان فدخلها في يوم ٢٤ جمادى الآخرة سنة ٩٤١ هـ الموافق ٣١ ديسمبر سنة ١٥٣٤ هـ ووجد بها خاوية من الجنود اذ تركها حاكمها بكل جنوده هرباً من الوقوع في قبضة الجنود العثمانية فيذبحونه الحمام وبعد ان أقام السلطان في مدينة بغداد مدة أربعة أشهر رتب الادارة الداخلية في خلالها وزار قبور الأئمة العظام وقبر الامام علي رابع الخلفاء الراشدين كرم الله وجهه في مدينة نجف وقبر ابنه الحسين في كربلا وأرسل الخطابات الى البندقية وويانه اعلاناً بانتصاره على الشاه طهماسب وافتتاحه مدائن تبريز وبغداد

فتح مدينة بغداد

وفي ٢٨ رمضان سنة ٩٤١ هـ الموافق ٢ ابريل سنة ١٥٣٥ هـ سافر السلطان بجيوشه عائداً الى مدينة تبريز ماراً ببلاد الاكراد واقليم المراهة وولى سليمان باشا أحد قواد جيوشه



لا هائلها على ما أبدوه من حب الوطن والشهامة والاقدام في الدفاع عنه  
ثم سار الجيش الهولندي الى عاصمة النمسا ولما اقترب منها مال الى جهة اليسار قاصداً اقليم  
(استيريا) ومنها عاد الى بلغراد ثانياً بدون أن يحاصر مدينة ويانه لما بلغه من استعداد  
شارلكان للدفاع عنها وجمع الجيوش فيها بين نمساويين وألمان واسبانول وغيرهم وعدم  
وجود مدافع حصار معه ولا اقتراب فصل الشتاء بزهريره وجليده الذين لا يمكن معهما  
استمرار الحصار بكيفية ضامنة لفتحها وادخلها في حوزة الاسلام كما فتحت بلاد البحر  
وعاصمتها من قبلها

ولما وصل السلطان في ايايه الى مدينة فيليبسبرغ (صاحب كراي) التتري خانا لبلاد القرم  
بدل أخيه مكافأة له على خدماته أثناء مرور الجيش باراضي النمسا ورتب لآخيه سعادت  
كراي معاشاً سنوياً يليق بمقامه وفي ١٩ ربيع آخر سنة ٩٣٩ الموافق ١٨ نوفمبر سنة  
١٥٣٢ عاد السلطان الى مدينة القسطنطينية وزينت المدينة وضواحيها عدة ليال  
متواليات احتفالاً بعودة جلالته

وفي أثناء انتشار هذه الحروب من جهة البرأت تحت إمرة الاميرال (اندرى دوريا) (١)  
عمارة بحرية مؤلفة من سفن شارلكان الحربية ومعها عدة من سفن البابا بقصد محاربة  
العثمانيين من جهة البحر فاحتل (اندرى دوريا) المذكور مينى كورون و بانراس ببلاد  
موره بعد قتل من كان بها من الجنود الانكشارية وتدمير القلعتين اللتين أقامهما  
السلطان بايزيد الثاني على ضفتي خليج ليالت ببلاد اليونان وتهديد جزائر الروم الخاضعة  
لسلطان الدولة العلية

وفي أوائل سنة ١٥٣٣ أرسل فردينان ارشيدوق النمسا سفيراً من قبله يدعى جيروم دى  
زارا الى الاستانة يعرض طلب الصلح على جلالة السلطان فقابل الصدر الاعظم ابراهيم باشا  
وتباحثا في شروط الصلح وفي يوم ١٤ يناير سنة ١٥٣٣ قابل السلطان السفير ولم يقبل  
السلطان الصلح بل قبل المهادنة مؤقتاً حتى تسلم اليه مفاتيح مدينة (جران) وبعدها تحوّل  
المندة الى صلح فارسى السفير ابنه فسمازيان دى زارا في أوّل فبراير الى ويانه يصحبه رسول  
من قبل السلطان لعرض هذه الشروط على فردينان فعرضها فردينان على أكبر الدولة  
وأعيانها فقبلوها وأرسل الى الاستانة خطاباً بذلك على يد الرسول العثمانى في ٢٩ مايوسنة  
١٥٣٣ وبعد ذلك تحررت بين الطرفين معاهدة الصلح في ٢٢ يونيو سنة ١٥٣٣ الموافق

(١) هو قائد بحرى شهير من عائلة جنوبية الاصل عريقة في الجهد والشرف كان ضد الفرنسيين في  
حروب ايطاليا التي أثارها شارلكان وفرانسوا الاول ملك فرنسا ثم انحاز الى فرنسا وحارب سفن  
شارلكان وانتصر عليها وحصلت بينه وبين مراكب العثمانيين عدة وقف ثم ترك فرنسا وانحاز الى  
شارلكان مقابلة ارجاءه مدينة جنوه الى استقلالها الاصل في سنة ١٥٢٨ وحارب مراكب فرنسا والدولة  
العثمانية وأخيراً اشتغل بتنظيم جمهورية جنوه حتى استحق أن يلقب بأبى الوطن وأقيم له بها تمثال عظيم  
كتب عليه (الى أبى الوطن) وكانت ولادته سنة ١٤٦٨ ووفاته سنة ١٥٦٠ بعد أن عمر نحو قرن كامل

جزأ منها وفتح بها الماصار توسيعه بالغام البارود حتى صار يمكن الجيوش الهجوم منه بكل سهولة ثم أمر الجنود بالهجوم فجمعت كلاً اسود في أيام ١٠ و ١١ و ١٢ أكتوبر وأخيراً في يوم ٢٠ صفر سنة ٩٣٧ هـ الموافق ١٤ أكتوبر سنة ١٥٢٩ و بعد ان استمر القتال طول يومه عادت الجنود العثمانية الى معسكرها بدون أن تقوى على الدخول في المدينة ولما رأى السلطان أن ذخيرة الطوبخية التي عليها المعول في الحصار قد نفذت والشتاء قد أقبل بشدته وثلوجه المعهودة في هذه الجهات الشديدة البرودة أصدر أمراً بالرجوع عن ويانه هذه السنة وأعداد الجيوش لمعاودة الكرة عليها في أقرب وقت وكانت هذه هي المرة الاولى التي لم يفز السلطان سليمان بالنصر فيها ومر في عودته على مدينة (بود) عاصمة الجر وبعد ان ودع ملكها ازابولى عاد الى القسطنطينية من طريق باغراد

وفي ربيع سنة ١٥٣١ أرسل ملك النمسا جيشاً لمحاصرة مدينة (بود) واستخلاصها من قبضة (زابولى) خليفة العثمانيين وحليفهم فصدوا عنها بقوة الحامية الاسلامية المعسكرة فيها وفي ١٩ رمضان سنة ٩٣٨ الموافق ٢٥ ابريل سنة ١٥٣٢ سار السلطان سليمان قاصداً مدينة ويانه ثانية لفتحها ومحوما لفتحها من الفشل أمامها في المرة الاولى بعد ان رفض ما عرضه عليه فردينان ارشيدوق النمسا من الصلح ولما وصل الى مدينة نيش ببلاد الصرب وجد في انتظاره سفراء من قبل ارشيدوق النمسا ووجد بمدينة بلغراد سفيراً جديداً من قبل ملك فرانسا (فرنساوا الاول) وهو الميسيو (رنسون) فقابله السلطان في أول ذى الحجة سنة ٩٣٨ الموافق ٥ يوليو سنة ١٥٣٢ باحتفال فائق لم يسبق مثله لاي سفير غيره وذلك أنه صف لاستقباله عدد عظيم من الجنود وأطلقت المدافع تحية لقدمه وقابله السلطان بمقابلة خصوصية محاطا بوزرائه وقواد جيوشه على ضمد ما حصل لمرسلي فردينان الذين قوبلوا بكل تحقير وامتهان وبعد المقابلة وتبادل عبارات السلام بين السفير الفرنسي و جلالة الخليفة الأعظم عاد السفير للملك حاملاً خطاباً لمرسله يؤكد السلطان فيه اتحادها على محاربة شارلكان وعده بمدايه بالعمارة العثمانية اذا ما است الحاجة ثم سار السلطان بجيوشه التي كان يبلغ عددهم مائتي ألف مقاتل وانضم اليهم بعد مزاولتهم مدينة بلغراد خمسة عشر ألف فارس من تتر القرم تحت قيادة صاحب كراي اخي خان القرم وفي أثناء المسير نحو مدينة ويانه فتح الجيش عدة قلاع وحصون بدون مقاومة تذكر الآن مدينة (جائز) (١) أبدت من الدفاع أكثر مما كان يتوقع منها لقلة حاميتها لكن لم تجد مدافعتها شيئاً بل سلم قائدتها القلعة في ٢٦ محرم سنة ٩٣٩ الموافق ٢٩ اغسطس سنة ١٥٣٢ بشرط عدم دخول الجنود العثمانية المدينة فقبل السلطان هذا الشرط مكافأة

(١) قرية ببلاد المجر على نهر بهذا الاسم ويسمى المجرىون كرج ولم يزد عدد سكانها على سبعة آلاف نسمة ولولا الشهامة التي أبدتها في الدفع عن نفسها عند ما حاصرها العثمانيون في سنة ١٥٣٢ لما ذكرها اسم في التاريخ

الملك ووصل رسوله الى الباب العالى وقابل السلطان في ٣ فبراير سنة ١٥٦٨ فوعده السلطان بمساعدته وأمضيت معاهدة بذلك بتاريخ ٢٩ فبراير سنة ١٥٢٨ م وبناء على هذا الاتفاق أصدر السلطان الاوامر الى جميع الجهات بالاستعداد للحرب وجمع الجيوش والذخائر وعين وزيره الاول ابراهيم باشا السابق ذكره مراراً سر عسكر للجيش أى قائداً عاماً له مكافأة له على خدماته الجليلة في مصر حين أرسل اليها لتتيب أحوالها ولما أظهره من المعلومات العسكرية في واقعة موها كس الاخيرة وبعد ذلك بسنة تقريباً سافر السلطان سليمان من الاستانة قاصداً محاربة المجر في ١٠ مايو سنة ١٥٢٩ يقود جيشاً مؤلفاً من مائتين وخمسين ألف جندي ونحو ثلاثمائة مدفع ووصل الى مدينة فليبه في ١٢ شوال سنة ٩٣٦ الموافق ٩ يونيه سنة ١٥٢٩ ومنها الى مدينة (موها كس) حيث أتى (زابولى) لمقابلة السلطان فقابله في ١٦ ذى الحجة سنة ٩٣٦ الموافق ٢٠ يوليه سنة ١٥٢٩ محاطاً بوزرائه الثلاثة ابراهيم باشا وايباشا وقاسم باشا وبكافة القواد وبعد ان مكث زابولى ملك المجر بحضرته العلية وقتاً قليلاً أذن له السلطان بالانصراف بعد ان أعطاه ثلاثة من الخيول المطهمة وثلاث خلع سنينة

ثم سار الخليفة الاعظم الى مدينة (بود) عاصمة المجر التي كان فردينان ملك النمسا محتلاً لها فوصلها في ٣ سبتمبر وابتدأ الحصار اسكن لم يلبث فردينان ان فرّ هارباً من بود قاصداً مدينة (ويانه) عاصمة النمسا (١) وفي ٨ منه طلب قائد الحامية النمساوية بمدينة بود تسليم المدينة وقلاعها اذا وعدهم السلطان بالسماح لهم بالخروج بدون تعرض لحياضهم ولما أجابهم السلطان لذلك أدخلوا المدينة وفي حال خروجهم منها انتقض عليهم الانكشارية وقتلوا أغلبهم غير طائعين لاوامر رؤسائهم مهتدين من رغب في منهم من القواد والضباط وبعد ذلك بسبعة أيام أى في يوم ١٥ منه أرسل السلطان أحد قواد الانكشارية ليرافق (زابولى) الى القصر الملوكي ويقلده تاج الملوكية

وبعد اعادة زابولى الى عرش ملك بلاد المجر بمساعدة الجيوش العثمانية قام السلطان بجيوشه قاصداً مدينة (ويانه) لغزوها مستصحباً معه الملك زابولى تاركا في مدينة بود حامية عثمانية تحت قيادة أحد أغوات (ضباط) الانكشارية لحفظ الامن بها وتوطيده في جميع أنحاء الى أن يعود الملك زابولى اليها وفي ٢٧ سبتمبر من السنة المذكورة وصل السلطان سليمان بجيوشه أمام عاصمة بلاد النمسا ووضع الحصار حولها وسلط مدافعه على أسوارها فهدم

(١) هي عاصمة امبراطورية النمسا ومملكة المجر معا تامة على نهر الطونة وكانت عاصمة الامبراطورية الالمانية الى ان سقطت سنة ١٨٠٩ وحاصرها العثمانيون مرتين الاولى سنة ١٥٢٩ والثانية في سنة ١٦٨٣ كما سترى ودخلها نابليون الاول فاتحاً مرتين في سنة ١٨٠٥ وسنة ١٨٠٩ وفي هذه المرة تزوج نابليون بآبنة الامبراطور فرنسو المسماة (مارى لويوز) وفي سنة ١٨٤٨ حصلت بها ثورة عظيمة أقضت الى اطلاق المدافع عليها وتدمير جز عظيم منها ثم أعيد بناؤها أحسن مما كانت وبها كثير من المتزهات الجميلة وبمدها البعض أجل مدينة في العالم بعد باريز القناء الملقبة بحجة الفردوس الارضية

ابتداء الحروب  
مع النمسا وحصار  
ويانه عاصمتها  
اول دفعة

وفرقه الانكشارية في الصف الثالث فهجم فرسان الجر المشهورون بالبسالة والاقدام تحت قيادة السلطان لويس على صفوف العساكر العثمانية الاولى فتقهقر أمامهم العثمانيون خلف المدافع ولما وصلت فرسان الجر بالقرب من المدافع أمر السلطان بإطلاقها عليهم فاطلقت تباعاً وتوالى إطلاقها بسرعة غريبة أوقعت الرعب في قلوب الجر فأخذوا في التقهقر تتبعهم العساكر المظفرة حتى قتل أغلب الفرسان الجرية وقتل ملكهم ولم يعثر على جثته فكانت هذه الواقعة سبب ضياع استقلال بلاد الجر بأسرها لعدم وجود جيش آخر يقاوم العثمانيين في مسيرهم وحصول القوضى في البلاد بسبب موت سلطانهم ولذلك أرسل أهالي مدينة بود (١) عاصمة المجر مفاتيح المدينة الى السلطان فاستلمها وسار يحف به النصر ويحدوه الجلال حتى وصل الى مدينة بود ودخلها في ٣ ذى الحجة سنة ٩٣٢ الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٥٢٦ مشدداً الاوامر على الجنود بعدم التعرض للاهالي والحفاظة على النظام لكن لم تجد تنبيهاته شيئاً بل انتشرت الجنود في جميع أنحاء المدينة وفي جميع أرجاء بلاد المجر ناهبين قاتلين مرتكبين كل الفظائع التي ترتكها الجيوش الغير منتظمة عقب الانتصار كما شوهد ذلك في جميع البلاد حتى في هذا العصر الموسوم بعصر التمدن

وبعد دخول السلطان الى مدينة بود جمع اعيان القوم وأمرأهم ووعدهم بأن يعين جان زابولي أمير ترانسلفانيا ملكاً عليهم ثم عذرهم الله الى مقر خلافته مستصحباً معه كثير من نفائس البلاد وأهمها الكتب التي كانت موجودة في خزائن متياس كورفن وكذلك فعل نابليون الشهير حينما دخل مصر في أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة فانه أخذ كثيراً من كتب الفقه وأحكام الشريعة الفراء وتلك كانت عادته عند دخوله أى مملكة من ممالك أوروبا فانه كان يحمل الى فرنسا كل ما بها من التحف كالصور والمائيل والكتب والآثار ولولا هذه العادة لما أفعمت متاحفها بالآثار والنقائس

وفي أثناء عودته أقام أسبوعاً في مدينة أدرنه ووصل الى مدينة القسطنطينية المحمية في ١٧ صفر سنة ٩٣٣ الموافق ٢٣ نوفمبر سنة ١٥٢٦

وفي أواخر سنة ١٥٢٧ ادعى فردينان ملك النمسا (وهو أخو شارلكان الشهير) الاحقية في أن يكون ملكاً على بلاد المجر بسبب قرابته مع الملك لويس الذي قتل في واقعة موهاكس وسار بجنوده لمحاربة جان زابولي أمير ترانسلفانيا الذي عينه السلطان سليمان ملكاً على بلاد المجر وهزمه فارسل زابولي الى السلطان سليمان يستنجد به على منازعته في

اغارة ملك النمسا على المجر وفتح مدينة بودواتصار العثمانيين عليه استرجاع المجر

(١) مدينة قديمة على نهر الطونة في مقابل مدينة بوس وتبعد عن مدينة وبانه نحو مائتي كيلو متر وكان ينهالون بوس كوبري أقبح على عدة مرات ثم أنشئ مكانه كوبري حديد على الطراز الجديد وهي غاية الروق والجمال وبها كثير من المدارس وهي معتبرة تحت مملكة المجر مع انضمامها في العموميات الى امبراطورية النمسا ولذلك يلقب امبراطور النمسا بملك المجر ويسمى بالنمساوية (أوفن) ويبلغ عدد سكانها مائة وخمسين ألف نسمة أو يزيدون



الله العليّ المعطى المغنى المعين

بعناية حضرة عزة الله جلّت قدرته وعلمت كلمته وبمعجزات سيد زمرة الانبياء  
وقدوة فرقة الاصفياء محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم الكثرة البركات وبموازرة  
قدس ارواح حماة الاربعة ابي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضوان الله تعالى عليهم اجمعين  
وجميع اولياء الله انا سلطان السلاطين وبرهان الخواقين متوّج الملوك ظل الله في الارضين  
سلطان البحر الابيض والبحر الاسود والاناضول والرومى وقرمان الروم وولاية ذى  
القدرية وديار بكر وكردستان واذر بيجان والعجم والشام وحلب ومصر ومكة والمدينة  
والقدس وجميع ديار العرب واليمن وممالك كثيرة ايضاً التى فتحتها آبائى الكرام وأجدادى  
العظام بقوتهم القاهرة اثار الله براهينهم وبلاد اخرى كثيرة افنتحتها يد جلالتي بسيف  
الظفر انا السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان الى فرنسيس  
ملك ولاية فرنسا ووصل الى أعتاب ملجأ السلاطين المكتوب الذى أرسلتموه مع  
تابعكم فرانقبان النشيط مع بعض الاخبار التى أوصيتموه بها شفاهياً وأعلمنا أن عدوّكم  
استولى على بلادكم وانكم الآن محبوسون وتستدعون من هذا الجانب مدد العناية  
بخصوص خلاصكم وكل ما قلتموه عرض على أعتاب سرير سدنتنا الملوكانية وأحاط  
به عالمى الشريف على وجه التفصيل فصار بتمامه معلوماً فلا عجب من حبس الملوك  
وضيقهم فكأن منشرح الصدر ولا تكن مشغول الخاطر فان آبائى الكرام وأجدادى  
العظام نور الله مراقدهم لم يكونوا خالين من الحرب لاجل فتح البلاد وردّ العدو ونحن  
ايضاً سالكون على طريقهم وفى كل وقت نفتح البلاد الصعبة والقلاع الحصينة وخذولنا  
ليلاً ونهاراً مسرّوجة وسيوفنا مسلولة فالحق سبحانه وتعالى ييسر الخير بارادته ومشيئته  
وأما باقى الاحوال والاخبار تقهّمونها من تابعكم المذكور فليكن معلومكم هذا تحريراً فى  
أوائل شهر آخر الربيعين سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة

بمقام دار السلطنة العلمية

القسطنطينية المحروسة المحمية

فتح بلاد المجر  
وعاصمتها

وفى ٢٥ ابريل سنة ١٥٢٦ سافر السلطان سليمان من القسطنطينية لمحاربة المجر  
الذين كانت الحرب غير منقطعة بينهم وبين العثمانيين على التخوم وكان الجيش العثمانى  
مؤلفاً من نحو مائة ألف جندى و ٣٠٠ مدفع و ٨٠٠ سفينة فى نهر الطونة لتقل الجيوش  
من بر الى آخر فسار الجيش تحت قيادة السلطان ووزرائه الثلاثة الى بلاد المجر من  
طريق الصرب مارين بقلعة بلغراد التى جعلت قاعدة لاعمالهم الحربية

وبعد ان افتتح الجيش عدة قلاع ذات أهمية حربية على نهر الطونة وصل باجمعه الى  
وادي موهاكس فى ٢٠ ذى القعدة سنة ٩٣٢ الموافق ٢٨ أغسطس سنة ١٥٢٦ وفى  
اليوم الثانى اصطفت الجنود العثمانية على ثلاثة صفوف وكان السلطان ومعه كافة المدافع

الذى كان اذ ذاك بمصر ومحل الجرك وعدة أماكن أخرى من منازل الايمان وحارة اليهود ولولا أن تدارك السلطان الخطب بنفسه لامتد العصيان لكنه أسكتهم عن السلب وأنهب بتوزيع ألف دوكا عليهم ثم بعد ذلك عزل بعض رؤسائهم الذين كانوا سبب هذا العصيان وقتل بعضهم

﴿ ابتداء المخبرات والمراسلات بين الدولة العلية وملك فرنسا ﴾  
وفى ذلك العهد ابتدأت المخبرات بين ملك فرنسا والدولة العلية وذلك أن شارل ملك النمسا كان فى آن واحد ملكاً لاسبانيا والبلاد المنخفضة (هولاندا) وإمبراطوراً لالمانيا وحاكماً لجزء عظيم من ايطاليا الجنوبية وكانت جمهوريتا جنوا وفلورنسا تابعتين اليه وجمهورية البنادقة طوع أمره ومدينة وهران باقليم جزائر الغرب تابعة له وكذلك جزيرة مينورقة وجزيرة صقلية فكانت أملاكه محيطة بمملكة فرنسا من جميع الجهات الامن جهة البحر

ولذلك سعى فرنسيس الاول ملك فرنسا فى التحالف مع دولة آل عثمان والاتحاد معها على محاربة شارل ملك النمسا لتجاربه الدولة العلية من جهة البحر والنمسا وتشغله عن جيوش فرنسا من جهة الغرب فيتمكن ملك فرنسا بذلك من الاخذ بثأر واقعة (بافيا) بايطاليا التى أخذ فيها فرنسيس الاول أسيراً

ويظهر من سعى فرنسا فى استمالة الدولة العلية الاسلامية اليها وبذل الجهد فى محالفتها مع كون فرنسا معتبرة لدى البابا أول الدول الكاثوليكية وأهمها محافظة على عدم تقدم الاسلام باوروبا ان الدولة العثمانية بلغت فى ذلك الوقت شأناً عظيماً لم تبلغه من قبل وصار وجودها ضرورياً لحفظ التوازن السياسى باوروبا

وأول سفير أرسل من قبل فرنسا الى الباب العالي أرسلته الملكة كلويز زوجة فرنسيس الاول حالة وجوده مأسوراً فى بلاد اسبانيا لكن لم يصل هذا السفير الى الباب العالي بل قبض عليه حاكم بوسنه أثناء مروره قاصداً القسطنطينية وقتله هو وأتباعه وفى أواخر سنة ١٥٢٥ أرسل سفير آخر وهو جان فرنجياني ووصل القسطنطينية ومعه جواب من ملك فرنسا الى جلالة السلطان الاعظم يطلب منه بكل تواضع أن يهاجم ملك البحر أحد حلفاء شارل ملك النمسا حتى يمنع من مساعدته ويمكن فرنسا بذلك ان تنتصر على شارل ملك النمسا وتسترد ما سلبه منها من الشرف فى واقعة بافيا

وقابل السلطان سليمان السفير الفرنسي فى ٦ ديسمبر سنة ١٥٢٥ باحتفال زائد وأجزل له العطايا وبعد أن عرض عليه السفير مطالب ملكه وعده السلطان بمحاربة البحر لكن لم تمض بينهما معاهدة بل اكتفى السلطان بأن كتب لملك فرنسا بتاريخ أوائل ربيع الثانى سنة ٩٣٢ جواباً يظهر له فيه استعداد له لمساعدته وهذه صورته نقلاً عن ترجمة الجزء الاول من تاريخ جودت باشا

محاصراً لجزيرة رودس ولما وصل أحمد باشا الى القاهرة أخذ في استئالة من بقى من أمراء المماليك اليه باقطاعهم الاراضى واغضائه عما يرتكبونه من أنواع الاثام والمظالم ولما تحقق من اخلاصهم أعلن العصيان مرة واحدة واستولى على القلعة بعد قتل حاميتها فارسل اليه السلطان أمراً بعزله من ولاية مصر وبالعود الى الاستانة وتسليم الولاية خلفه (قره موسى) فقتل الرسول وقره موسى والى الجديد ثم خانه أحد وزرائه واسمه محمد بك وأراد القبض عليه فهرب واختفى عند عرب البادية فاقتنى أثره حتى ضبطه وقتله وأرسل رأسه الى الاستانة فعين بدله قاسم باشا والى الاسبق وكوفى محمد بك بتقليده وظيفة دفتردار الولاية سنة ١٥٢٤

وفى ٢٤ رجب سنة ٩٣٠ الموافق ٢٨ مايو سنة ١٥٢٤ ولد للسلطان غلامسمى سلماً وهو الذى خلفه باسم سليم الثانى وفى ٢ شعبان الموافق ٥ يونيه احتفل بالاستانة بزواج الصدر الاعظم ابراهيم باشا باحدى أخوات السلطان ثم أرسله الى مصر مع عدد عظيم من الانكشارية والسباه (السوارى) لارجاع الامن الى ربوعها وترتيب مالياتها وتنظيم أمور هافسافر ووصل اليها فى ٢٤ مارث سنة ١٥٢٥ وأقام بالقاهرة حتى أتم ما موربته وغادرها فى ٢٢ شعبان سنة ٩٣١ الموافق ١٤ يونيه سنة ١٥٢٥ قاصداً الاستانة عن طريق البر ماراً بدمشق وقيصره ووصل القسطنطينية فى ٧ سبتمبر من السنة نفسها وقوبل بكل اجلال واحترام لعلو منزلته عند السلطان

وفى هذه الاثناء حصلت بعض فتن داخلية فى بلاد القرم وذلك ان غازى وبابا ولدى محمد كراى خان القرم ثارا على والدهما وعمهما فقتلتهما سنة ٩٢٩ (سنة ١٥٢٢) وتقلد غازى كراى أكبرهما الامارة وجعل أخاه وزيراً له لئلا يميل السلطان ذلك بل عين عمهما سعادت كراى خاناً بدلاً أخيه محمد كراى المقتول وأمدّه بجيش من الانكشارية فقبل غازى تعيين عمه وصار هو وزيراً له وبعد ذلك بستة أشهر قتل غازى وأخوه بابا بأمر عمهم سعادت وفى سنة ٩٣٨ (سنة ١٥٣٠) قام أخوهما اسلام كراى واستولى على الامارة وفر سعادت الى القسطنطينية ومكث بها حتى توفى سنة ٩٤٤ (سنة ١٥٣٧) ودفن بجامع أبى أيوب بالاستانة وكانت نتيجة هذه الفتن زيادة تدخل الدولة العلية فى أمور بلاد القرم حتى فى تعيين أمرائها وصارت بذلك ولاية عثمانية تقريباً

وفى سنة ١٥٢٤ أراد السلطان أن يجعل اقليم الفلاخ ولاية عثمانية ولم يكن للدولة عليه اذ ذلك الا سيادة والجزية فسير اليها جيشاً استولى على عاصمتها وعلى أميرها وأرسلوه الى الاستانة فثار الاعيان وعينوا خائفاً له وساعدوه على ذلك أمير اقليم ترانسلفانيا المجاور له فقبل السلطان من عينوه فى مقابلة زيادة الجزية عما كانت عليه

هذا وفى ٢٥ مارث سنة ١٥٢٥ تدمر الانكشارية بعد عودة السلطان من مدينة أدرنه التى كان توجه اليها للاقامة بها فى فصل الشتاء ونهبوا سراى ابراهيم باشا الصدر الاعظم

تدخل الدولة  
العية فى بلاد القرم  
والفلاخ وقتنة  
الانكشارية



الرهينة قبل الشروع في الحرب كتابا يعرض عليه اخلاء الجزيرة والانسحاب منها بكل من معه من المسيحيين الذين يؤثرون المهاجرة على البقاء متعهدا له بعدم التعرض لانفسهم ولا موالهم ولما لم يقبل رئيسهم هذا الاقتراح أمر السلطان العمارة البحرية فأقلعت قاصدة رودس وسافر هو من طريق البر الى خليج (مرمورا) المقابل للجزيرة من جهة آسيا فوصلتها الدونامة في ٢٦ يونيه سنة ١٥٢٢ وأرسلت الى البر مدافع الخصار والمؤنة والذخائر ووصل اليها السلطان في ٢٨ يوليه وبمجرد وصوله ابتدأ الحصار بغاية الشدة ودافع من بها دفاع الأبطال خصوصاً الرهبان ويقال ان النساء كانت تساعد الرجال في الدفاع بالقاء الاحجار على المحاصرين وصب الزيت الحارة على رؤسهم لكن لم يجد كل ذلك شيئاً أمام المدافع العمانية التي توجد بعض قللها الى الآن في الجزيرة يستغرب رائيها من ضخماتها ولما أعيت الحيل رئيس هذه الرهينة واسمه ( فيلية دى ليل ادم ) الفرنساوى الاصل وتعدت مؤنته وذخائره أرسل اثنين من رهبانه الى السلطان في ٢ صفر سنة ٩٢٩ الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٥٢٢ يطالب منه السماح لهم باخلاء الجزيرة في مسافة اثني عشر يوماً بشرط أن تبتعد الجيوش العمانية عن المدينة المحصورة مسافة ميل من كل جهاتها حتى لا يحصل للمحصورين ضرر عند خروجهم فقبل السلطان ذلك لكن في ٢٥ منه دخل المدينة فريق من الانكشارية رغم أوامر السلطان واحتلوا المدينة وارتكبوا كافة أنواع القبايح حسب عادتهم فغضب السلطان وأمر براءة شروط التسليم وعاقب المفسدين فأعيد الامن وسادت السكينة وفي اليوم التالي قابل السلطان رئيس الرهينة وأنعم عليه بمخلعة سنوية وفي يوم ١٣ صفر سنة ٩٢٩ الموافق أول يناير سنة ١٥٢٣ سافرت هذه الفئة المحضية نفسها للدفاع عن الدين المسيحي ومحاربة المسلمين قاصدة جزيرة مالطة (١) التي تنازل لها عنها الملك شارل كان واستمرت هذه الرهينة نازلة بها حتى احتياها بونابرت عند قدومه مصر سنة ١٢١٣ هـ الموافقة سنة ١٧٩٨ م

وبعد ذلك عاد السلطان الى القسطنطينية ووفد اليها سفراء من قبل روسيا والبندقية لهنئته بالنصر وأرسل اليه أيضاً ملك العجم سفيراً لهذا الغرض وأرسل معه خمسمائة فارس ولما وصل الى الاستانة أمر السلطان ان لا يدخلها معه الا عشرون فقط وفي شهر يونيه سنة ١٥٢٣ عزل الوزير الاول أي الصدر الاعظم نير محمد باشا بناء على دسائس الوزير أحمد باشا طمعاً في وظيفته لكن خاب مسعاه فقد عين السلطان مكانه أحد خواصه ابراهيم باشا وعين أحمد باشا والياً على مصر لوقاة خير بك في الوقت الذي كان فيه السلطان

(١) جزيرة صغيرة في البحر الابيض المتوسط بالقرب من ساحل ايطاليا وأفريقيا ولا هيئتها الحربية العظمى تنازعها الملوك والامم المختلفة من فينيقيين ورومانيين وغيرهم واحتلها المسلمون مدة من السنين وأخيراً تبعت شارل كان وهو تنازل عنها ارهينة رودس كما رأيت وظلت في حوزتهم الى سنة ١٧٩٨ حيث احتلها بونابرت أثناء مجيئه لفتح مصر وفي سنة ١٨٠٠ احتلها الانكليز ليسودوا على البحر الابيض كما احتلوا بوغاز جبل طارق من قبل وفي سنة ١٨١٥ أيد مؤتمر ويانة احتلالها



محمد الفاتح من فتحها لتكون حلقة اتصال بين القسطنطينية ومصر من جهة البحر والى لا يكون للمسيحيين مركز حصين في وسط بلاده تاجاً اليه عمارات الدول المعادية للدولة وقت الحرب وأراد الاسراع في تتم هذا العمل العظيم الذي عجز أسلافه عنه لوجود ملوك أوروبا مشغولين في جهات أخرى لا يمكنهم مساعدة الرهينة المحتلة لها فكان ملك فرنسا (فرانسوا) (١) الاول وشارل الخامس الشهير بشارل كان (٢) ملك اسبانيا وألمانيا معاً مشغولين بحجارة بعضهم والبابا (لاون) العاشر مشغولاً بمجادلة ومقاومة الراهب الالمانى (لوتر) (٣) مؤسس مذهب البروتستانت وبلاد المجر مضطربة في الداخل بسبب عدم اتفاق أمرائها وأعيانها وصغر سن ملكها لويس الثاني كل هذه الاسباب حملت السلطان على انتهاز هذه الفرصة لفتح هذا الحصن المنيع لكن اقتضت شفقتة أن يرسل الى رئيس

(١) ولد هذا الملك سنة ١٤٩٤ وتولي الملك سنة ١٥١٥ وكانت كل حروبه بسبب ادعائه أن له حقوقاً على ولاية ميلان بايطاليا من جهة جدته فسار عقب توليه الملك الى هذه الجهة لفتحها وفتحها بعد ان انتصر على السويسريين في واقعة مارينان ثم لما انتخب شارل كان ملك اسبانيا امبراطوراً لالمانيا وما يقبها بعد موت مكسميليان جده لابييه في سنة ١٥٢٠ ابتدأت الحروب بينه وبين فرانسوا ملك فرنسا بسبب ادعائه كل منهما الاحقية في ولاية ميلان وكانت الدائرة فيها على فرنسا فانصر عليها شارل كان عدة كرات وأخيراً في بافيا سنة ١٥٢٥ حيث أخذ فرنسوا أسيراً وسبق الي اسبانيا ولم يفرج عنه الا بعد ان أمضي معاهدة بكل ما طلبه منه شارل كان ولما خرج من السجن لم يعمل بما تعهد به بل رجع الى المحاربة واستمرت الحرب بينهم بدون انقطاع تقريباً الى سنة ١٥٤٤ وفيها تصالحا على أن تكون ولاية ميلان لدوك أورليان ثاني أولاد فرنسوا ملك فرنسا وتوفي بعد ذلك بثلاث سنوات في سنة ١٥٤٧ واشتهر هذا الملك بالتعصب الديني واضطهاد البروتستانت

(٢) ولد هذا الملك الشهير سنة ١٥٠٠ وورث ملك اسبانيا عن والدته جان ابنة فردينان وايزابلا ملك اسبانيا الذين أخرج المسلمون في أيامهما من الاندلس وانتخب أميراً لالمانيا بعد موت جده لابييه الامبراطور مكسميليان وقضى أيامه في محاربة فرنسوا الاول كما مر في ترجمة هذا الملك وبعد موت فرنسوا الاول رجع الى محاربة افرنساويين وحاصر مدينة متس الشهيرة بدون أن يتمكن من فتحها سنة ١٥٥٢ وحارب خير الدين باشا أمير البحر العثماني الشهير بباربروس وقصد الاسيلاء على مدينة الجزائر فلم يفلح واضطهد البروتستانت الا انه اضطر أخيراً في سنة ١٥٤٧ أن يمنحهم الحرية الدينية بعد ان حاربوه وانتصروا عليه وفي سنة ١٥٥٦ سم الملك فتنازل عن اسبانيا لابنة فيليب الثاني وعن ألمانيا وما بها لآخيه فردينان واعتزل في أحد الاديرة حتى توفي سنة ١٥٥٨

(٣) هو راهب كاثوليكي المذهب ألماني الجنس أراد اصلاح المذهب الكاثوليكي وقال بعدم مشروعية النظام الكنائسي والرهينة على الاطلاق والاعتراف وتجمد القربان وغير ذلك من الامور التي أقر عليها أئمة المذهب الكاثوليكي منذ أجيال فخرمه البابا وحكم بمروقه عن الدين بعد أن كلفه بالتوبة والرجوع عن طريقته وحرّم مطالعة تأليفه ولكن لم يكثر لوتر بهذه الاجراءات بل استمر ينشر مذهبه ويؤيده بالبراهين حتى انتشر في جميع الاطراف وتبعه كثير من أمراء ألمانيا وتوفي سنة ١٥٤٦ وكانت ولادته سنة ١٤٨٣ بعد أن تزوج راهبة اتبعته وأتت منه بمدة أولاد وهو مؤسس المذهب البروتستانتي المشتق من لفظة بروتستوى اقامة الحجّة وهو المذهب السائد الآن في شمال ألمانيا والدانيمرك والسويد والفلمنك وانكلترا وأمريكا الشمالية ومنتشر في غالب الجهات الاخرى واتبعه بعض اقباط مصر وانتشبت بسببه عدة حروب في ألمانيا وفرنسا أهمها الحرب المعروفة بحرب الثلاثين سنة التي استمرت من سنة ١٦١٨ الى سنة ١٦٤٨ وانتهت باستحصال البروتستانت على الحرية الدينية

حلب في ٢٢ ديسمبر وكان الغزالي اذ ذاك محاصراً لها فارتد على عتيبه بدون قتال عائداً الى دمشق وتحصن فيها فتأثره فرحات باشا بجنوده وحاصره فيها وفي يوم ١٧ صفر سنة ٩٢٧ الموافق ٢٨ يناير سنة ١٥٢١ خرج الغزالي من المدينة طلباً للقتال فهزم وقتل أغلب من كان معه وفر هو متنكراً لكن خانه بعض أتباعه وسلمه الى فرحات باشا فقتله في ٨ صفر وأرسل رأسه الى القسطنطينية

وعند وصول رأسه الى العاصمة ورد خبر قتل السفير الذي أرسله السلطان الى ملك المجر يطلب منه دفع الجزية أو الحرب فاستشاط السلطان غضباً وأمر تجهيز الجيوش وجمع كل ما يلزمهم من المؤنة والذخائر لحاربة المجر وسار هو بنفسه في مقدمة الجيش وأرسل أحد مشاهير قواده واسمه أحمد باشا لحاصرة مدينة (شابتس) القريبة من بلغراد ففتحتها في ٢ شعبان سنة ٩٢٧ ووصل اليها السلطان في اليوم التالي ثم سافر بالجيوش التي كانت مشغولة بحصار هذه المدينة لمساعدة وزيره بير باشا على تضيق الحصار على مدينة بلغراد ففتحت بعد دفاع شديد وأخذت الجنود المجرية قلعتها في ٢٥ رمضان سنة ٩٢٧ الموافق ٢٩ أغسطس سنة ١٥٢١ ودخلها السلطان وصلى الجمعة في إحدى كنائسها التي حولت مسجداً وصارت هذه المدينة التي كانت أمني حصن للمجر بين ضد تقدم الدولة العلية أكبر مساعد لها على فتح ما وراء نهر الدانوب من الاقاليم والبلدان وأعلن السلطان هذا الانتصار الى جميع الولاة وملوك أوروبا ورئيس جمهورية البنادقة ثم عاد الى القسطنطينية مكلاً بالنصر والظفر على الاعداء وأرسل اليه قيصر الروس يهنئه بالفوز والظفر وكذلك رؤساء جمهوريتي البندقية وراجوزة (١)

وفي أول محرم سنة ٩٢٨ أمضيت بين الدولة العثمانية وجمهورية البنادقة معاهدة تجارية تؤيد المعاهدات السابقة وزيد عليها أن وكيل الجمهورية في الاستانة (قنصلها) يجب تغييره كل ثلاث سنوات وان قضايا التركات تنظر بطرفه وأن يكون له الحق في ارسال ترجمان لحضور المرافعة في القضايا التي تقام ضد رعايا حكومته أمام المحاكم العثمانية وأن يكون الخراج الذي يدفع منها الى الدولة نظير احتلالها جزيرتي قبرص وزانطة عشرة آلاف دوكة عن الاولى وخمسمائة عن الثانية ولهذا المعاهدة أهمية عظيمة لانها أساس الامتيازات الفصلية ببلاد الدولة العلية

وبعد ذلك أخذ السلطان في الاستعداد برأوب مجراً لفتح جزيرة رودس التي لم يتمكن السلطان

فتح مدينة بلغراد

فتح جزيرة  
رودس

(١) مينا تجارى ببلاد دالماسيا على الساحل الشرقى بجزر لادرياتيكي أسست حوالي القرن السابع للمسيح وأقامها أهلها حكومة جمهورية مستقلة دفعت الجزية لدولة العثمانية وأبرمت معها عدة معاهدات تجارية مشابهة لما أبرم مع جمهوريتي البندقية وجينوة واستمرت متمعة بالحرية مستمنة تمام لاستقلال حتى احتلها نابليون الاول سنة ١٨٠٦ وظلت تابعة لفرنسا الى ان سقطت حكومة نابليون نهائياً سنة ١٨١٥ وأخافا من جمهورية التي امتد بعد سقوطه اتسوية حالة أوروبا الى مملكة النمسا ولم تنزل تابعة لها حتى الان ويبلغ عدد سكانها عشرين ألف نسمة

## ١٠ « السلطان الغزالي - ليمانه ضاه الاول القانوني »

ولهذا الملك الذي بلغت الدول العلمية في مدته أعلى درجات الكمال في غرة شعبان سنة ٩٠٠ هجرية الموافقة ٢٧ ابريل سنة ١٤٩٤ م وهو عاشر ملوك آل عثمان ولو عدّه بعض المؤرخين حادى عشرهم باعتبار سليمان الذي نازع أخاه محمد جلبي الملك سلطانا فلذلك خطأ لانه لم يحكم بصفة قانونية ولذلك أجمع المؤرخون على تسمية السلطان سليمان بالاول واعتباره عاشر ملوك هذه الدولة وهو الاصح

وبمجرد وصول خبر موت أبيه اليه قام قاصداً القسطنطينية ودخلها في يوم ١٦ شوال سنة ٩٢٦ الموافق ٣٠ سبتمبر سنة ١٥٢٠ وكان في انتظاره على افريز السراى جنود الانكشارية فقابلوه بالتهليل وطلب الهدايا المعتاد توزيعها عليهم عند تولية كل ملك وبعد ظهر ذلك اليوم حضر بير محمد باشا من ادرنه وأخبر عن وصول جثة المرحوم السلطان سليم في اليوم التالي

وفي صبيحة ١٧ شوال جرت رسوم المقابلات السلطانية فوفد الامراء والوزراء والاعيان يعزون السلطان بموت والده ويهنؤنه بالخلافة في آن واحد وهو يقابلهم بملايس الحداد وعند الظهر وصل اليه خبر قدوم الجثة فخرج لمقابلة النعش خارج المدينة وسار في الجنازة حتى واروها التراب على أحد مرتفعات المدينة وأمر ببناء جامع شامق وهو جامع سليمية ومدرسة في الحل الذي دفن فيه

وكانت باكورة أعماله بعد توزيع النقود على الانكشارية تعيين مربيه قاسم باشا مستشاراً خاصاً وابلاغ توليته على عرش الخلافة العظمى الى كافة الولاة وأشراف مكة والمدينة بخطابات مفعمة بالنصائح والآيات القرآنية المبينة فضل العدل والقسط في الاحكام ووخامة عاقبة الظلم وكان يستهل خطابه بالآية الشريفة ( انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم )

ولما وصل خبر توليته الى حاكم الشام واسمه الغزالي وهو من أصحاب قانصوه الغوري الذين خانوه في واقعة مرج دابق تمرّد وأشهر العصيان واستولى على قلعة دمشق وأرسل أحد اتباعه لاحتلال مدينة بيروت واجتهد في استمالة خير بك العامل على مصر اليه وأرسل اليه جوابا يحثه فيه على العصيان مبينا له سهولة النجاح بالنظر الى بعدهم عن مقر الخلافة وحدانة سنن السلطان فجاوبه خير بك بانه لا يشترك معه الا اذا استولى على مدينة حلب ولم يكن جوابه هذا الامدانة وخداها فانه أرسل خطابات الغزالي الى السلطان فعين السلطان فرحات باشا أحد وزرائه لقمع هذا المتمرد ومعه جيش كاف لاختناق هذه الثورة قبل امتدادها

فسار فرحات باشا بكل همة في أواخر ذي الحجة سنة ٩٢٦ (نوفمبر سنة ١٥٢٠) ووصل الى

وفي ٢٠ رمضان سنة ٩٢٣ وصل السلطان الى مدينة دمشق ومكث بها الى ٢٢ صفر سنة ٩٢٤ ثم سافر الى مدينة حلب بعد ان حضر الاحتفال باقامة الصلاة أول مرة في الجامع الذي أقامه بدمشق على قبر يحيى الدين بن العربي في ٢٤ محرم سنة ٩٢٤ وبعد ان أقام بحلب مدة شهرين سافر قاصداً عاصمة ملكة فوصلها في ١٧ رجب سنة ٩٢٤ الموافق ٢٥ يولييه سنة ١٥١٨ ثم ارتحل عنها الى مدينة ادرنه بعد عشرة أيام قضائها في الاستراحة من أتعاب السفر وكان ولده سليمان معيناً حاكماً لها مدة غياب والده وبعد وصول أبيه بتسعة أيام استأذنه الأمير سليمان في السفر الى ولاية صاروخان المعين والياً عليها

وفي أثناء اقامة السلطان بمدينة ادرنه وصل اليه سفير من قبل مملكة اسبانيا ليخبره بشأن حرية زيارة المسيحيين للقدس الشريف الذي كان قبلاً تابعاً لسلطنة مصر وتبعها في دخولها تحت ظل الدولة العلية في مقابلة دفع المبلغ الذي كان يدفع سنوياً للمماليك فاحسن السلطان مقابلاته وصرح بقبوله ذلك اذا أرسل ملكه رسولا آخر نحو لاله حق ابرام معاهدة مع الباب العالي وكذلك أتى اليه فيها سفير من قبل جمهورية البندقية ليدفع له خراج سنتين متاخر الخراج المقرر عليها نظير بقائها في جزيرة قبرص

وكان في هذه المدة مشغولاً تجهيز عمارية بحرية لمعاودة الكرة على جزيرة رودس بحر أو كان يستعد أيضاً لمحاربة شاه العجم نائياً فجمع خمسة عشر ألف فارس بمدينة قيصرية وضم اليهم ثلاثين ألف جندي من المشاة تحت قيادة فرحات باشا بييلر بك الاناطول وأرسل اليهم عدداً عظيماً من المدافع والذخائر لسكر لمعمله المنون ريثما يتم مشروع فتح جزيرة رودس بل عاجله في رحلته من القسطنطينية الى ادرنه فتوفي في يوم ٩ شوال سنة ٩٢٦ الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٥٢٠ في السنة التاسعة من حكمه والحادية والخمسين من عمره اذ كانت ولادته في سنة ٩٧٥

وأخفى طبيبه الخصوصي خبر موته عن الخاشية ولم يبلغه الا للوزراء فاجتمع كل من بير محمد باشا وأحمد باشا ومصطفى باشا وقرروا اخفاء هذا الامر حتى يحضر ولده سليمان من اقليم صاروخان خوفاً من أن تنور الانكشارية كما هي عادتهم فكانت مدة حكمه كمدة حكم جدّه محمد الفاتح أيام فتوحات خارجية وتنظيمات داخلية

الا أنه كان ميالاً لسفك الدماء فقتل سبعة من وزرائه لاسباب واهية وكان كل وزير مهدّد بالقتل لاقول هفوة حتى صار يدعى على من يرام موته بأن يصبح وزيراً له وبني كثيراً من الجوامع وحول أجمل كنائس القسطنطينية الى مساجد مع سبق الوعد من السلطان محمد الثاني الفاتح لبطريق الروم بعدم مس نصف الكنائس الثاني الذي تركه لهم بعد فتح المدينة كما مر



لاعضاء المجلس مزية تقض أوامر الباشا بأسباب تبدو لهم وعزله ان رأوا ذلك والتصديق على جميع الاوامر التي تصدر منه في الامور الداخلية وجعل حكام المديرية الاربع والعشرين من الممالك وخصهم بمزية جمع الخراج من البلاد وقمع العزبان وصدّهم عنها والحفاظة على ما في داخلها وكل ذلك بأوامر تصدر لهم من المجلس وجردهم عن التصرف من أنفسهم ولقب أحدهم المقيم بالقاهرة بشيخ البلد ثم رتب الخراج وقسمه أقساماً ثلاثة وجعل من القسم الاول ماهية عشرين ألف عسكري بالقطر من المشاة واثنى عشر ألفاً من الخيالة والقسم الثاني يرسل الى المدينة المنورة ومكة المشرفة والقسم الثالث يرسل الى خزينة الباب العالي ولم يلتفت الى راحة الاهالى بل تركها عرضة للمضار كما كانت ومن هذا الترتيب تمكنت الدولة العلية من ابقاء الديار المصرية تحت تصرفها نحو مائتي سنة ثم أهملت بعد ذلك القوانين التي وضعها السلطان سليم من حين استيلائه علمها وكانت هي الاساس ولم تلتفت الدولة لما كان يحصل من الممالك من الامور الخلة بالنظام فضعفت شوكة الدولة وهيبتها التي كانت لها على مصر وأخذت البيكوات تكثر من الممالك وتتقوى بها حتى فاقت بقوتها الدولة العثمانية في الديار المصرية فأل الامر والنهي لهم في الحكومة وصارت حكومة الدولة صورية غير حقيقية وسبب ذلك اكثارهم من شراء الممالك ولو كانت الدولة العلية تنبّهت لهذا الامر ومنعت بيع الرقيق لكانت الامور باقية على ماوضعها السلطان سليم ولكن غفلت عن هذا الامر كما غفلت عن أمور كثيرة ومن ذلك حق الاهالى الذل والاهانة وهاجر كثير منهم الى الديار الشامية والحجازية وغيرهما وخربت البلاد وتعطلت الزراعة من قلة المزارعين وعدم الاعتناء بتطهير الجداول والخلجان الذي عليه مدار الخصب ونتج من ذلك ومن خوف الدولة العلية من تمكن الباشا في الحكومة أن تقلبت البيكوات وصارت كلمتهم هي النافذة وانفردوا بالتصرف اه

وفي أوائل شهر سبتمبر سنة ١٥١٧ سافر السلطان سليم من القاهرة عائداً الى القسطنطينية التي صارت من ذلك الوقت مقر الخلافة الاسلامية العظمى وكان سفره عن طريق بلاد الشام مستصحباً معه آخر بني العباس وعين خير بك واليا على مصر وهو أحد أمراء الممالك الذين خانوا طومان باي وانضموا اليه وترك بالقاهرة حامية كافية لحفظ الامن تحت قيادة خير الدين أغا لانكشاري وفي أثناء مروره بصحراء العريش التفت لوزيره الاكبر يونس باشا الذي كان فتح مصر على غير رأيه وقال له ما معناه انه قد أتم فتحها خلافاً لرأيه فجاوبه يونس باشا بان فتحها لم يعد عليه بشيء الا قتل نحو نصف الجيش بما أنه سلمها لخائن كان غرضه التملك عليها لنفسه فلا يؤمن ولاؤه للدولة فغضب السلطان من هذا الكلام الموجه اليه بصفة لوم وأمر بقتله في الحال فقتل وكان ذلك في ٦ رمضان سنة ٩٢٣ وعين مكانه بير محمد باشا الذي كان معيماً قائم مقام السلطان في القسطنطينية أثناء تغيبه في فتح مصر اثنته به بناء على ما أظهره من أصالة الرأي في محاربة الشاه اسمعيل

قصد طومان باى وبعض الشجعان مركز السلطان سليم وقتلوا من حوله وأسروا وزيره  
سمنان بك وقتله طومان باى بيده ظناً منه انه هو السلطان سليم بنفسه ولم تنفع شجاعتهم  
شيئاً بل تغلب عليهم بمدافعه ومدافعهم التي استولى عليها وقت الحرب

وبعد ذلك بنائية أيام أى في يوم ٨ محرم سنة ٩٢٣ دخل العثمانيون مدينة القاهرة  
رغمًا عن مقاومة المماليك الذين حاربوهم من شارع لآخر ومن منزل لآخر حتى قتل  
منهم ومن أهالى البلد ما يبلغ خمسين ألف نسمة

أما طومان باى فلتجأ ومن بقى معه الى بر الجيزة وصار يناوش العثمانيين ويقتل كل من  
يأسره منهم لكنه لم يلبث ان وقع في أيدي العثمانيين بخيانة بعض من معه وشق بامر  
السلطان سليم في ١٣ ابريل سنة ١٥١٧ الموافق ٢١ ربيع الاول سنة ٩٢٣ بباب  
زويله ودفن بالقبر الذي كان أعده السلطان الغورى لنفسه وبعد ان مكث السلطان سليم  
بالقاهرة نحو شهر أقام في منيل الروضة وأخذ في زيارة جوامع المدينة وكل ما بها من الآثار  
ووزع على أعيان المدينة العطايا والخلع السنية وحضر الاحتفال الذي يحصل بمصر سنوياً  
لفتح الخليج الناصرى عند بلوغ النيل الدرجة الكافية لرى الاراضى المصرية ثم حضر  
احتفال سفر المحمل الشريف وقافلة الحجاج التي ترسل معها الكسوة الشريفة الى الاراضى  
الحجازية وارسل الصرة المعتاد ارسالها الى الحرمين الشريفين بقصد توزيعها على الفقراء  
من عهد السلطان محمد جلبي العثماني وأبلغها الى ثمانية وعشرين ألف دوكة

ومما جعل لفتح وادى النيل أهمية تاريخية عظيمة ان محمد المتوكل على الله آخر ذرية الدولة  
العباسية الذى حضر أجداده لمصر بعد سقوط مدينة بغداد مقر خلافة بنى العباس في  
قبضة هولاكو خان التترى سنة ٦٥٦ هـ الموافقة سنة ١٠٩١ وكانت له الخلافة بمصر  
اسمًا تنازل عن حقّه في الخلافة الاسلامية الى السلطان سليم العثماني وسلمه الآثار  
النبوية الشريفة وهى البيرق والسيف والبردة وسلمه أيضاً مفاتيح الحرمين الشريفين  
ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني أميراً للمؤمنين وخليفة لرسول رب العالمين  
اسمًا وفعلاً

هذا وقد جاء بالجزء السابع من المخطط الجديدة التوفيقية للمرحوم على باشا مبارك  
بخصوص ما أجراه السلطان سليم الغازى من الترتيبات بمصر ما يأتى  
لما أخذ مصر ورأى غالب حكمها من المماليك الذين ورثوها عن ساداتهم رأى ان يعد  
الولاية عن مركز الدولة ربما أوجب خروج حاكمها عن الطاعة وتطالبة الاستقلال فجعل  
حكومة مصر منقسمة الى ثلاثة أقسام وجعل في كل قسم رئيساً وجعلهم جميعاً منقادين  
لكلمة واحدة هى كلمة وزير الديوان الكبير وجعله مركباً من الباشا الاولى من قبله ومن  
بيكوات السبع وجاقات وجعل للباشا مزبة توصيل أوامر السلطان الى المجلس وحفظ  
البلاد وتوصيل الخراج الى القسطنطينية ومنع كل من الاعضاء العلو على صاحبه وجعل

كانوا سبب الامتناع عن التقدم في بلاد فارس كما سبق الذ. كرخشية من امتداد الفساد وعدم الاطاعة في الجيوش وأمر بقتل قاضي عسكر هذه الفئة واسمه جعفر جلبي لانه كان من أكبر المحركين لهذا الامتناع وخوفاً من حصول مثل ذلك في المستقبل جعل لنفسه حق تعيين قائدهم العام ولم يكن من بينهم ليكون له بذلك السيطرة عليهم وكان النظام السابق يقضى بتعيينه من أقدم ضباط الانكشارية

وبعد عودة السلطان الى القسطنطينية فتحت الجيوش العثمانية مدائن ماردين واورفه والرقه والموصل وبذا تم فتح إقليم ديار بكر وأطاعت كافة قبائل الكرد بدون كثير عناء بشرط بقائهم تحت حكم رؤساء قبائلهم

فتسح مصر  
ودخلها ضمن  
الممالك الخروسة

ولم ينته السلطان سليم من محاربة الشيعة وفتح بلاد ديار بكر والموصل حتى أخذ في الاستعداد لفتح سلطنة مصر بما أن سلطانها قانصوه الغورى (١) كان تحالف مع الشاه اسماعيل لمحاربة الدولة العلية ولما علم سلطان مصر بتأهب سلطان آل عثمان لمحاربتة أرسل اليه رسولا يعرض عليه أن يتوسط بينه وبين العجم لأبرام الصلح فلم يقبل بل طرد السفير بعد أن أهانه وسار بجيشه الى بلاد الشام قاصداً وادى النيل وكان قانصوه الغورى استعد أيضاً لمحاربتة فتقابل الجيشان بقرب حلب الشهباء في واد يقال له مرج دابق وهزم الغورى بسبب وقوع الخلاف بين فرق جيشه المؤلف من المماليك وساعدت المدافع العثمانين على النصر وقتل الغورى في أثناء انهزام الجيش وسنه ثمانون سنة وكان ذلك في يوم الاحد ٢٥ رجب سنة ٩٢٢ الموافق ٢٤ اغسطس سنة ١٥١٦

وبعد هذه الموقعة احتل السلطان سليم بكل سهولة مدائن حماه وحمص ودمشق وعين بها ولاية من طرفه وقابل من بها من العلماء فاحسن وفادتهم وفرق الانعامات على المساجد وأمر بترميم الجامع الاموى بدمشق ولما صلى السلطان الجمعة به أضاف الخطيب عند مادعاه هذه العبارة (خادم الحرمين الشريفين) وهى مستعملة في الخطبة الى الآن هذا ولما وصل خبر موت السلطان الغورى الى مصر انتخب المماليك طومان باى خلفاً له وأرسل اليه السلطان سليم يعرض عليه الصلح بشرط اعترافه بمساعدة الباب العالى على القطر المصرى فلم يقبل بل استعد للملاقاة الجيوش العثمانية عند الحدود فالتقت مقدمتا الجيشين عند حدود بلاد الشام وهزمت مقدمة المماليك واحتل العثمانيون مدينة غزة على طريق مصر وساروا نحو القاهرة حتى وصلوا بالقرب منها وعسكر السلطان بجيشه في أوخر ذى الحجة سنة ٩٢٢ بالخانقاه المعروفة بالخانكة وفي ٢٩ ذى الحجة سنة ٩٢٢ الموافق ٢٢ يناير سنة ١٥١٧ انتشب القتال بين الطرفين بجهة العادلى (جهة الوايلي) وفي أثناء القتال

(١) هو الملك الاشرف أبو النصر سيف الدين قانصوه الغورى الظاهري الاشرفي أصله من ممالك الاشرف الظاهر خشقتم ثم انتقل الى الاشرف قائد باى بوبع له بالملك سنة ٩٠٦ هجرية ومن آثاره انه بنى سور مدينة جدة ودائر الحجر الاسود وبعض أروقة المسجد الحرام وباب ابراهيم وعدة خانات وآبار في طريق الحج المصرى ومجرى الماء من مصر العتيقة الى قلعة الجبل وعمر بعض أبراج الاسكندرية



وفداً الى سلطان مصر يطلب منه التحالف لا يتألف سير الدولة العثمانية ميئاناً له انه ان لم يتفق احارت الدولة كلا منهما على حدته وقهرته وسلمت أملاً كدولاً بحاجد سبب للحرب أمر السلطان سليم بحصر عدد الشيعة المنتشرين في الولايات المتاخمة لبلاد العجم بطريقة سرية ثم أمر بقتلهم جميعاً فقتلوا ويقال ان عددهم كان يبلغ نحو الاربعين ألفاً وهذه المذبحة كالمذبحة التي حصلت بباريس في ٥ جماد أول سنة ٩٨٠ الموافق ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ المشهورة في التواريخ بمذبحة سان برتليمي (١)

وبعد ذلك أعلن السلطان سليم الشاه اسمعيل بالحرب وسافر بجيوشه من مدينة ادرنة في ٢٢ محرم سنة ٩٢٠ الموافق ١٩ مارس سنة ١٥١٤ وفي أثناء مسيره تبادل مع الشاه اسمعيل رسائل مقنعة بالسباب وسار الجيش العثماني تحت قيادة السلطان سليم نفسه كما جرت به العادة قاصداً مدينة تبريز عاصمة العجم وكانت الجيوش الفارسية تتهمقر أمامه خدعة منهم لينهك التعب الجيوش العثمانية فينقضوا عليهم واستمروا في تهمقرهم الى أرباض تبريز فوقع القتال بين الجيشين في وادي جال دران في ٢ رجب سنة ٩٢٠ الموافق ٢٤ أغسطس سنة ١٥١٤ فانتصرت الجيوش العثمانية نصراً ميئاناً لمساعدة الطوبخية لها وفرّ الشاه بما بقي من جيوشه ووقع كثير من قواده في الاسر وأسرت أيضاً إحدى زوجاته ولم يقبل السلطان أن يردّها لزوجها بل زوجها الاحد كاتبه بده انتقاماً من الشاه وفتحت المدينة أبوابها ودخلها السلطان منصوراً في يوم ١٤ رجب سنة ٩٢٠ الموافق ٤ سبتمبر سنة ١٥١٤ واستولى على خزائن الشاه وأرسلها الى القسطنطينية وكذلك أرسل اليها أربعين شخصاً من أهم مصنّاع هذه المدينة الامر الذي يدل على عدم اغفاله تقدّم الصنائع أثناء اشتغاله بالحروب وبعد ان استراح ثمانية أيام قام بجيوشه وأخلى مدينة تبريز لعدم وجود المؤونة الكافية لجيوشه مهامة فمضى أثر الشاه اسمعيل حتى وصل الى شاطئ نهر الرس وعندها امتنع الانكشارية عن التقدم لاشدّاد البرد وعدم وجود الملابس والمؤونة اللازمة لهم فقتل راجعاً الى مدينة اماسيا بآسيا الصغرى للاستراحة زمن الشتاء والاستعداد للحرب في أوائل الربيع ومر في عودته من بلاد أرمينيا اسكنه لم يفتحها لعدم وجود الوقت الكافي لذلك

وعند ما أقبل الربيع بنضارته رجع السلطان الى بلاد العجم ففتح قلعة كوماش الشهيرة وامارة ذي القدر سنة ١٥١٥ ثم رجع الى القسطنطينية تاركاً قواده لاتمام فتح الولايات الفارسية الشرقية ولما وصل اليها أمر بقتل عدد عظيم من ضباط الانكشارية الذين

(١) هي مذبحة البروتستانت بجميع أنحاء فرنسا بذبحهم الكاثوليك بامر ملك فرنسا شارل التاسع بناء على ايمان والدته كاترين دي ميدي في يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ واختلف في عدد من قتل في هذا اليوم فأبلغه بعضهم الى ستين ألفاً منهم كثير من الاشراف والاميرال كوليني الشهير وغيره ويقال ان بعض الحكام امتنع عن تنفيذ هذا الامر فاستحقوا السخط والمقوبة من الملك وحفظ التاريخ أسماءهم مخفية بكل تكريم وتبجيل



ولم ترد أملاك الدولة العلمية في زمن السلطان بايزيد الثاني الا قليلا لحبه السلم وحقن الدماء فكانت حروبه الخارجية اضطرارية للمدافعة عن الحدود حتى لا يستخف بها أعداؤها وكان سامي الطباع كارهاً للقتل وكان أشهر وزراءه داود باشا الذي تولى الوزارة بعد ذلك أحمد ومكث بها أربع عشرة سنة واستقال منها باختياره سنة ٩٧٤ وقضى باقي عمره في عمل الخيرات والمبرات

## ٩ « السلطان سليم الاول الغازي الملقب بياوراي القاطع »

لما كان تعيينه بمساعي الانكشارية يقتضى توزيع المكافآت عليهم حسب المعتاد أعطى لكل نفر منهم خمسين دوكانم عين ابنه سليمان حاكماً للقسطنطينية وسافر بحموشه الى بلاد آسيا لمحاربة اخوته وأولاد اخوته حتى يهدأ بالهداخلية ولم يبق له منازع في الملك فاقبض أثر أخيه أحمد الى انقره ولم يتمكن من القبض عليه لوجود علاقات بينه وبين الوزير مصطفى باشا الذي كان يخبره بمقاصد السلطان لكن علم السلطان بهذه الحيلة فقتل الوزير بمرقطة جزاء له وعبرة لغيره ثم ذهب الى بورصة حيث قبض على خمسة من أولاد اخوته وأمر بقتلهم وبعدها توجه بكل سرعة الى صاروخان مقر أخيه كركود فقرر منه الى الجبال وبعد البحث عليه عدة أسابيع قبض عليه وقتل

أما أحمد فجمع جيشاً من محازبيه وقاتل العساكر العثمانية فانهمز وقتل بالقرب من مدينة يكي شهر في يوم ١٧ صفر سنة ٩١٩ الموافق ٢٤ ابريل سنة ١٥١٣

ولما اطمأن خاطره من جهة داخليته عاد الى مدينة ادرنه حيث كان بانتظاره سفراء من قبل البندقية والجر والموسكو وسلطنة مصر فابرم مع جميعهم هدنة لمدة طويلة بما ان مطامعه كانت متجهة الى بلاد الفرس التي كانت أخذت في النمو والارتقاء في عصر مملكتها شاه اسمعيل الشيعي (١) فانه فتح ولاية شروان وجعل مركزه مدينة تبريز سنة ١٥٠١ وبعدها فتح العراق العربي وبلاد خراسان وديار بكر سنة ١٥٠٨ وأرسل أحد قواده فاحتل مدينة بغداد وفي سنة ١٥١٠ ضم الى أملاكه بلاد فارس واذر بيجان وبذلك امتدت مملكته من الخليج الفارسي الى بحر الخزر من منابع الفرات الى ما وراء نهر اموداريا ولما عصى السلطان سليم واخوته والدهم السلطان بايزيد الثاني ساعد الشاه اسمعيل الامير أحمد على والده ثم على أخيه من بعده وقبل من فر من أولاده عنده زيادة على ذلك أرسل

(١) هو اسمعيل ابن الشيخ حيدر وينتهي نسبه الى الشيخ صفى الدين ابن جبرائيل العلوي الحسيني واسمعيل هذا هو مؤسس الدولة الصفوية الفارسية وكان أبوه حيدر قد حارب صاحب شروان فانهمز وقتل صاحب شروان أولاده الاسماعيل وأخاه بار علي فاستمر اسمعيل مختفياً عند الامراء الحجازيين لايه حتى اجتمع له جند كثير فظهر وحارب صاحب شروان وقتله واستمر في فتوحاته حتى هزمه السلطان ياوز سليم الغازي وتوفي اسمعيل شاه الصفوي سنة ٩٣٠ هجرية عن ٣٨ سنة وأربعة شهور ومكث أربعاً وعشرين سنة

محاربة العجم  
ودخول العثمانيين  
مدينة تبريز

السلطان الى ابرام الصلح مع محاربيه باوروبا وهم الجرج والبنادقة فتم الصلح بينه وبين الجمهورية سنة ١٥٠٢ وفي السنة التالية تم الصلح كذلك مع ملك الجرج ولقد تذكر صفاء حياة الملك في سنى حكمه الاخيرة بعصيان أولاده عليه واضرامهم نار الحروب الداخلية التي لولا ما وقع في قلوب أعدائها من الرعب لكانت هذه الحروب العائلية فرصة عظيمة لهم وذلك ان السلطان بايزيد الثاني كان له ثمانية أولاد ذكور توفي منهم خمسة في صغرهم وبقي ثلاثة وهم كركود وأحمد وسليم وكان أولهم مشغولا بالعلوم والآداب ومجالسة العلماء ولذا كان يمتعه الجيش لعدم ميله للحرب والثاني كان محبوا لدى الاعيان والامراء وكان على بنشأ أكبر الوزراء مخلصا له وكان ثالثهم وهو سليم محبا للحرب ومحبوا لدى الجند عموما والانكشارية خصوصا

عصيان اولاد  
السلطان عليه  
وتنازله عن الملك  
لابنه سليم

ولاختلافهم في المشارب والآراء خشى والدهم وقوع الشقاق بينهم ففرق بينهم وعين كركود والياً على احدى الولايات البعيدة وأحمد على اماسيا وسليما على طرابزون وعين أيضاً سليمان بن ابنه سام على كافا من بلاد القرم فلم يرض سليم بهذا التعيين بل ترك مقر وظيفته وسافر الى كافا بالقرم وأرسل الى أبيه يطلب منه تعيينه في احدى ولايات أوروبا فلم يقبل السلطان بل أصر على بقاءه بطرابزون فعصى سام والده جهاراً وسار بجيش جمعه من قبائل التتر الى بلاد الروملى وأرسل والده جيشاً لارهابه ولما وجد من ابنه التصميم على المحاربة قبل تعيينه باوروبا حقناً للدماء وعينه والياً على مدينتي سمندرية وودين (١)

سنة ١٥١١

ولما وصل الى كركود خبر نجاح أخيه سام في مقاومته انتقل الى ولاية صاروخان واستلم ادارتها بدون أمر أبيه ليكون قريباً من القسطنطينية عند الحاجة ثم سار سام الى أدرنه وأعان نفسه سلطاناً عليها فأرسل والده اليه من هزمه وأجأه الى الفرار ببلاد القرم وأرسل جيشاً آخر لمحاربة كركود بأسيا فهزمه أيضاً لكن التزم السلطان بايزيد بالعمو عن ابنه سام بناء على الحاج الانكشارية لتعلمتهم به واعادته الى ولاية سمندرية وفي أثناء توجهه سليم اليها قابله الانكشارية وأنوابه الى القسطنطينية باحتفال زائد وساروا به الى سراي السلطان وطلبوا منه التنازل عن الملك لولده المذكور فقبل واستقال في يوم ٨ صفر سنة ٩١٨ الموافق ٢٥ ابريل سنة ١٥١٢ وبعد ذلك بعشرين يوماً سافر للإقامة ببلدة ديموتيا فتوفي في الطريق يوم ١٠ ربيع الاول سنة ٩١٨ الموافق ٢٦ مايو سنة ١٥١٢ عن ٦٧ سنة ومدة حكمه ٣٢ سنة ويدعى بعض المؤرخين أن ولده دس اليه السم خروفاً من رجوعه الى منصة الملك كما فعل السلطان مراد الثاني الذي سبق ذكره

(١) مدينة حصينة ببلاد الباغار على نهر الدانوب على جانب عظيم من الاهمية الحربية تبعد ٢٢٥ كيلو متر عن بلغراد سكانها خمسون ألفاً شهيرة بعصيان حاكمها (بازوان اوغلي) سنة ١٧٩٨ واستقلاله بها وهي الان داخلية ضمن حدود مملكة الصرب بمقتضى معاهدة برلين الاخيرة المبرمة سنة ١٨٧٨

المملكتين في سنة ١٤٩٠ وتجددت في سنة ١٤٩٢ لكن لم يلبث هذا الوفاق ان تكدر صفائهما بسبب ادعاء كل من الدولتين حق السيادة على بلاد البغدان واغارة ملك بولونيا عليها فالزم العثمانيون بطرد الحجز منها والاغارة على حدود بولونيا بمساعدة أمير بغدان نفسه الذي قبل حماية الباب العالي عليها

وكذلك ابتدأت المخابرات بين الدولة العلية في ذلك الحين وبين البابا اسكندر السادس (بورجه) وملك نابولي ودوك ميلانو وجمهورية فلورنسا (١) فكان كل منهم يجتهد في محالفة الدولة العلية والاستمالة بمجنودها البرية ومراكبها البحرية لمحاربة من عاداه وفي قطع علائق الاتحاد بينها وبين من خلفه وبذلك المساعي تمكن الايطاليون من إيجاد الفجوة بين الدولة وبين جمهورية البنادقة حتى تسبب عنها حرب عوان بينهما فأرسل السلطان جيوشه من البر والبحر لفتح مدينة لينته من بلاد اليونان وكانت تابعة للبنادقة ففتحت بكل سهولة عقب انتصار العمارة العثمانية على مراكب البنادقة التي اعترضتها عند مدخل الخليج المسمى باسم هذه المدينة وفي الوقت نفسه أغار والى بلاد البشناق على اقليم فيريول ثم اجتاز نهر ايزو ونطو ووصلت طلائعه الى أرباض مدينة فيشنسا وأوقف القتال بسبب اشتداد البرد وفي السنة التالية احتل العثمانيون نغور مودون وكورون وناورين (٢) من بلاد اليونان وكانت من أملاك البنادقة في هذه البحار

نحافت جمهورية البندقية من تقدم الاتراك الى مركز حكمها من ضياع استقلالها واستغاثت بممالك أوروبا المسيحية فأنجدها البابا وملك فرنسا ببعض مراكب حربية وساعدوها على محاصرة جزيرة ميدللي لاشغال الدولة عن بلادها فلم تتحج بل فتج العثمانيون مدينة (رودسو) الواقعة على بحر الادرياتيک ولولا عصيان أولاد السلطان عليه ببلاد الاناطول كما سيجيء لفتح باقي بلاد البنادقة لكن اضطرت أحوال المماسكة الداخلية

والروسيا وفي سنة ١٧٩٥ قسمت ما بقي منها وأعدمت هذه المملكة من الوجود ثم لما قامت دولة نابوليون الاول جمع منها نحو خمسا وسماها غراندوقية وارسوفيا وفي سنة ١٨١٥ جزئت هذه الغراندوقية بين البروسيا والروسيا لكن حفظت روسيا لما أخذته استقلاله الاداري وفي سنة ١٨٣٠ نار البولونيون طلبا للاستقلال السياسي فحاربهم الروسيا مدة عشرة أشهر وانتصرت عليهم وسلبت منهم جميع امتيازاتهم ولم يزلوا حتى الآن يسعون وراء الاستقلال بهمة لا تقهدها الصعوبات ولا تضعفها الاضطهادات (١) مدينة باطاليا من أجل مدن الدنيا وبها كثير من العمارات الشائقة والتماثيل المفتخرة والتحف والصور الجميلة والمتنزهات العمومية كانت في القرون الوسطى جمهورية مستقلة ثم امتلكتها عائلة (مديسي) الشهيرة وأخيرا صارت عاصمة لمملكة إيطاليا بعد انتصار الفرنسيين والاطالين على النمسا سنة ١٨٥٩ الى ان انتقلت الحكومة الى مدينة روم بعد ان دخلها الايطاليون في ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٧٠ أثناء حرب فرنسا والروسيا

(٢) مينا مجرية في بلاد اليونان شهيرة بتعدى مراكب فرنسا وانكلترا والروسيا معا على الدونامة التركية المصرية وحرقها عن آخرها في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ بدون اعلان حرب مساعدة لليونان على الاستقلال كما ستراه في موضعه

فوضعوا العراقيين أمامه وأرسلوا إلى السلطان بايزيد يخبرونه بمشروع ملك فرنسا ودسائسه وطلبوا منه أن يرسل جيوشه إلى بلاد إيطاليا وأن يأخذ حذرهم في داخلته وفي هذه الأثناء حاصر ملك فرنسا مدينة روم وطلب من البابا أن يسلمه الأمير جما العثماني فسلمه إليه ويقال أنه دس له السم قبل تسليمه إليه وما فتى هذا الأمير مصاحباً لجيوش فرنسا حتى توفي في يوم ١٨ جمادى الأولى سنة ٩٠٠ الموافق ١٤ فبراير سنة ١٤٩٥ في مدينة نابولي ودفن في بلدة (جايت) بإيطاليا ثم نقلت جثته بعد ذلك بمدة إلى البلاد العثمانية ودفن في مدينة بورصة في قبور أجداده وتوفي رحمه الله عن ٣٦ سنة قضى منها ١٣ في هذه الحالة الشبيهة بالأسر خارجاً عن بلاده

هذا ولأننا على ذكر ما حصل في مدة سلطنة بايزيد الثاني من الحروب بطريق الإيجاز لعدم حصول فتوحات في أيامه تقريباً فكانت أغلبها على التخوم لصده هجمات المتآخمين ومجازاتهم على ما يرتكبونه من السلب لكن في سنة ١٤٨٧ كانت الحروب تنتشب بين العثمانيين وملوك مصر لمتاخمة بلادهم عند أطنه وطرسموس فبعد مناوشات خفيفة بين الطرفين على الحدود توسط بينهما باي تونس لعدم حصول الحرب بين أميرين مسلمين فاتفقا على حل مرض للطرفين وساعد على ذلك حب السلطان بايزيد للسلطان كاسبر الذي كان ذلك في سنة ١٤٩١ وفي السنين التالية حصلت عدة وقائع ذات شأن لم تحصل منها الدولة على نتائج تذكر إذ لم تفتح مدينة بلغراد التي كانت مطمح أنظار الدولة لبقائها كنقطة سوداء على شاطئ نهر الدانوب إلا بمن الفاصل بين أملاك الدولة والمجر

وفي عهد هذا السلطان ابتدأت علاقات الدولة العلية مع مملكة الروس وذلك أنه بعد تفرق مملكة الروس الأولى عقب اغارة المغول على بلادهم وتسلبهم عليها مدة استخلاصها إوان الثالث وكان يلقب (دوق موسكو) (١) وأعاد لها بعض مجدها السابق في سنة ١٤٨١ م وأبدت العلاقات بينها وبين الدولة في سنة ١٤٩٢ حيث وصل إلى القسطنطينية أول سفير روسي ومعه جملة هدايا للسلطان وبعد ذلك بأربع سنوات أتى إليها سفير آخر واستحصل من الدولة على بعض امتيازات لتجارة الروس وكذلك ابتدأت في عهده المواصلات الحبية مع مملكة (بولونيا) (٢) فعقدت معاهدة بين

ابتداء العلاقات  
مع دول أوروبا

(١) موسكو مدينة عظيمة في وسط بلاد روسيا كانت عاصمة لها إلى أن قتل بطرس الأكبر تحت الحكومة إلى مدينة سان بطرسبورج التي أسسها على خليج فنلاند أخرج من بحر بلطيق سنة ١٧٠٣ وبقرها انتصر نابليون الأول إمبراطور فرنسا على روسيا سنة ١٨١٢ فدخلها بعد أن أحرقوها عن آخرها حتى لا يمكن العدو المكث بها ولذلك اضطرت نابليون إلى العودة إلى بلاده وفي هذا التفقر هلك أغلب جيشه مما هو مشهور ومسطور

(٢) ويسمى في كتب الترك (لهستان) كانت مملكة قوية يبلغ عدد سكانها خمسة عشر مليوناً من النفوس وتختها مدينة وارسوفيا وكانت حكومتها ملكية مقيدة انتخابية أي أن الملك يعين بالانتخاب ويكون انتخابه من أمراء الأجانب واستمرت محترمة إلى سنة ١٧٧٣ حيث انفتحت روسيا والنمسا والبروسيا على تجزئتها فاقسموا أغلب بلادها غير تاركين إلا جزءاً قليلاً وفي سنة ١٧٩٣ قسم أغلب ما بقي منها بين النمسا



قاسم بك آخر ذرية أمراء القرمين ووعده انه لو أنجده وساعده للحصول على ملك آل عثمان يرد له بلاده أجداده فأغتر قاسم بك بهذه الوعود وجمع أحزابه وسار مع الامير جم لمحاصرة مدينة قونية عاصمة بلاد القرمين سابقا فصددهم عنها القائد العثماني كذلك احمد باشا فاتح مدينتي كافا واوترنت وأزم الامير جما بالفرار

ثم حاول هذا الامير الصلح مع أخيه بشرط اقطاعه بعض ولايات ولما رفض السلطان هذا الطلب الذي لا يكون وراءه الا انقسام الدولة أرسل الامير جم رسولا من طرفه الى رئيس رهبنة القديس حنا الاورشليمي برووس يطلب منه مساعدته على أغراضه فقبلوه عندهم بالجزيرة ووصل اليها في ٦ جمادى الثانية سنة ٨٨٧ الموافق ٢٣ يوليو سنة ١٤٨٢ وقابله أهلها بكل ترحيب واحترام وبعد قليل وصلت الى الجزيرة وفود من السلطان بايزيد لمحاربة رئيس الرهبنة على ابقاء أخيه جم عندهم تحت الحفظ وفي مقابلة ذلك يتعهد لهم السلطان بعدم التعرض لاستقلال الجزيرة مدة حياته وبدفع مبلغا سنويا للرهبنة المذكورة قدره ٤ ألف دوكا فقبل رئيسهم ذلك وأوفوا بوعدهم ولم يقبلوا تسليمه الى ملك الجرج أو امبراطور ألمانيا الذين طالبا اطلاق سراحه ليستعمله آلة في اضعاف الدولة العثمانية بل أرسله رئيس الرهبنة الى فرانسوا ووضع تحت الحفظ أولا في مدينة نيس (١) ثم في شمبيري وبقي ينقل من بلدة لاخرى مدة سبع سنوات وفي سنة ١٤٨٩ سلمه رئيس الرهبنة الى البابا انوسان الثامن وهو خاير السلطان بايزيد طالبا أن يحفظه عنده وتدفع اليه الدولة ما كانت تدفعه الى رهبنة رودس فقبلت ثم مات هذا البابا وأخلفه اسكندر بورجالشهير (٢) ويقال ان هذا البابا عرض على السلطان بايزيد أن يخلصه من أخيه وبعبارة أخرى يقتله لو دفع اليه ثلثمائة ألف دوكا

وفي أثناء هذه المخابرات أغار شارل الثامن ملك فرانسوا على بلاد ايطاليا لتنفيذ مشروعه الوهمي وهو فتح مدينة القسطنطينية والوصول اليها عن طريق بلاد البنادقة فالبانيا ولذلك كان أرسل دعاة الفتنة والفساد الى بلاد مقدونيا واليونان لاثارة الافكار ضد العثمانيين اسكن خشى ملك نابولي وجمهورية البنادقة من تعاظم شأن الدولة الفرانسواوية

(١) مدينة لطيفة في جنوب فرانسوا على البحر الابيض المتوسط معتدلة الهواء وقليلة البرد فيها عن الجهات الشمالية يقصدها السياح في زمن الشتاء من جميع جهات الدنيا لترويح النفوس والاجسام من عناء الاشغال كانت تابعة لاطاليا ثم فتحها فرانسوايون سنة ١٧٩٢ وفي سنة ١٨١٤ ردت لاطاليا وهي أعطتها لفرانسوا ثانية مع مقاطعة السافوا في سنة ١٨٦٠ مكافاة لها على مساعدتها على مجاربة النمسا والحصول على الاستقلال وتكوين الوحدة لاطاليا

(٢) هو اسكندر السادس ولد سنة ١٤٣١ باسبانيا وانتخب لرياسة المذهب الكاثوليكي سنة ١٤٩١ وخلف عدة أولاد أشهرهم في التاريخ ابنه سيزار بورجا وابنته لوكريس التي أنشأ ( فكتور هوغو ) الشاعر الفرانسواي الداع الصيت رواية محزنة باسمها شرح فيها ما ارتكبتها هي وأبوها من فظائع الامور وينسب لهذا البابا ارتكاب جميع الانام والمخرمات وتوفي سنة ١٥٠٣ قيل انه سم نفسه غلطا بسم كان حزمه لاعدام أحد أعدائه

## ٨ « السلطان الغازى بايزيد بن محمد الثانى وأهموه الامير جم »

توفى السلطان أبو الفتح محمد الثانى عن ولدين أكبرهما بايزيد المولود سنة ٨٥١ هـ الموافق سنة ١٤٤٧ م وكان حاكماً باماسيا وثانيهما جم المشهور فى كتب الافرنج باسم البرنس (يزيد) وكان حاكماً فى القرمان فأخفى الصدر الاعظم قزمانى محمد باشا موت السلطان محمد حتى يأتى بكر أولاده بايزيد ولكنه لشدة ارتباطه ومودته بالأصغر أرسل اليه سرّاً يخبره بموت أبيه كى يحضر قبل أخيه الأكبر ويستلم مقاليد الدولة ولما أذيع هذا الخبر نار الانكشارية على هذا الوزير وقتلوه وعثوا فى المدينة سلباً ونهباً وأقاموا ابن السلطان بايزيد واسمه (كرود) نائباً عاماً عن أبيه حين حضوره وذلك فى يوم ٥ ربيع الاول سنة ٨٨٦ الموافق ٤ مايو سنة ١٤٨١ وفى يوم ١٣ ربيع الاول وصل الرسول الى بايزيد فسافر فى اليوم التالى باربعة آلاف فارس ووصل القسطنطينية بعد مسير تسعة أيام مع أن المسافة تبلغ ١٦٠ فرسخاً تقطع عادة فى نحو ١٥ يوماً فقبّله أمراء الدولة وأعيانها عند بوزاز البوسغور وفى أثناء اجتيازه البوزاز أحاطت به عدة قوارب ملأى بالانكشارية وطلبوا منه عزل أحد الوزراء المدعو مصطفى باشا وتعيين اسحق باشا ضابط القسطنطينية مكانه فاجاب طلبهم وكذلك عند وصوله الى السراى المملوكية وجدهم مصطفىين أمامها طالبين العفو عنهم فيما وقع من قتل الوزير ونهب المدينة وأن ينعم عليهم بمبلغ سروراً بتعيينه فاجابهم الى جميع مطالبهم وصارت هذه سنة لكل من تولى بعده الى أن أبطلها السلطان عبدالحميد خان الاول سنة ١٧٧٤ أما الرسول الذى كان أرسله الوزير محمد الى الامير جم فقبض عليه سنان باشا حاكم الاناطول وقتله حتى لا يصل خبر موت السلطان محمد اليه

وكان السلطان بايزيد الثانى ميالاً للسلم أكثر منه الى الحرب محب للعلوم الادبية مشغلاً بها ولذلك سماه بعض مؤرخى الترك بايزيد الصوفى لكن دعت سياسة الدولة الى ترك أشغاله السامية المحضة والاشتغال بالحرب وكانت أول حروبه داخلية وذلك أن أخاه جم لما بلغه خبر موت أبيه سار على الفور مع من حاذبه ولأذبه قاصداً مدينة بورصة فدخلها عنوة بعد أن هزم ألفى انكشارى ثم أرسل الى أخيه يعرض عليه الصلح بشرط تقسيم المملكة بينهما فيختص جم بولايات آسيا وبايزيد بأوروبا فلم يقبل بايزيد بل أتى اليه وقهره بالقرب من مدينة (يكي شهر) فى يوم ٢٣ جمادى الاولى سنة ٨٨٦ الموافق ٢٠ يوليو سنة ١٤٨١ وتبعه حتى أوصله الى نخوم البلاد التابعة لصر وفي عودته الى عاصمته طلب منه الانكشارية أن يبيح لهم نهب مدينة بورصة مجازاة لها على قبولها الامير جم فلم يوافقهم على ذلك وخوفاً من حصول شغب منهم دفع الى كل نفر منهم قرشين فأقام جم هذه السنة بالقاهرة ضعيفاً عند السلطان قايدباى ثم عاد فى السنة الثانية الى حاب ومنها راسل

معهما ليتفرغ لصد هجمات الجيوش العثمانية وكانت هذه الجزيرة محصنة تحصيناً مديناً  
وابتداً العثمانيون في حصارها في يوم ١٣ ربيع الاول سنة ٨٨٥ الموافق ٢٣ مايو سنة  
١٤٨٠ وظلت المدافع تقذف عليها القنابل الحجرية تهدم أسوارها لكن كان يصلح  
سكانها في الليل كل ماتخر به المدافع بالنهار ولذلك استمر حصارها ثلاثة أشهر حاول  
العثمانيون في خلالها الاستيلاء على أهم قلاعها واسمها قلعة القديس نيقولا بدون نتيجة  
وفي يوم ٢٠ جمادى الاولى سنة ٨٨٥ الموافق ٢٨ يوليو سنة ١٤٨٠ أمر القائد العام  
بالهجوم على القلعة ودخولها من الفتحة التي فتحتها المدافع في أسوارها فهجمت عليها  
الجيوش وقاموا بالاعداء بكل بسالة واقدام وبعد أخذ وردّ تقهر العثمانيون بعد أن قتل  
وجرح منهم كثيرون ورفع الباقون عنها الحصار

وفي يوم ٤ ربيع الاول سنة ٨٨٦ هـ الموافق ٣ مايو سنة ١٤٨١ م توفي أبو الفتح  
السلطان محمد الثاني الغازي عن ثلاث وخمسين سنة ومدة حكمه ٣١ سنة تم في خلالها  
مقاومة أجداده ففتح القسطنطينية وزاد عليها فتح مملكة طرابزون الرومية والصرب  
والبوسناق وألبانيا (الارنؤود) وجميع أقاليم آسيا الصغرى ولم يبق في بلاد البلقان الا  
مدينة بلغراد التابعة للمجر وبعض جزائر تابعة للبنادقة ودفن في المدفن المخصوص الذي  
أنشأه في أحد الجوامع التي أسسها في الاستانة

ترتيباته الداخلية

وكانت مهارة هذا السلطان في الاعمال المدنية تعادل خبرته في الاعمال الحربية فاليه  
ينسب ترتيب الحكومة على نظمات جديدة فسمى نفس الحكومة العثمانية بالباب العالي  
وجعل لها أربعة أركان وهي الوزير وقاضي عسكر والدفتدار (وتعادل اختصاصاته  
اختصاصات ناظر المالية الآن) والرابع يسمى نيشانجي (وهو عبارة عن كاتب سرّ  
السلطان) ثم بعد امتداد سلطة الدولة العلية في جهة أوروبا جعل لها قاضي عسكر  
مخصوص اسمه قاضي عسكر الروملي وقاضي عسكر آخر للاناطول وكان اختصاصهما  
التعيين في وظائف القضاء ماعدا بعض وظائف خصوصية يختص بها الوزير الاكبر ثم  
رتب وظائف الجند فجعل للانكشارية رئيساً مخصصاً (أغا) وناطه باشغال الضبط والربط  
بمدينة القسطنطينية ورئيساً آخر للطوبجية وثالثاً لما يختص بدخائر ومؤنة الجيوش وكذلك  
وضع ترتيباً لداخلية الخصوصية وأهم أعماله المدنية ترتيب وظائف القضاء من أكبر  
وظيفة وهي قضاء الروملي الى أقل وظيفة ووضع أول مبادئ القانون المدني وقانون  
العقوبات فأبدل العقوبات البدنية أي السن بالسن والعين بالعين وجعل غرضها الغرامات  
النقدية بكيفية واضحة أهمها السلطان سليمان القانوني الآتي ذكره

ومن مآثره أيضاً عدة جوامع في القسطنطينية وغيرها وله اليد البيضاء في انشاء كثير  
من المكاتب الابتدائية والمدارس العالية مما يطول شرحه

بك الشهير فاحتلها السلطان ثم طلب منهم مدينة اشقودره (١) ولما رفضوا التنازل عنها اليه حاصرها وأطلق عليها مدافعه ستة أسابيع متوالية بدون أن يضعف قوة سكانها وشجاعتهم فتركها لفرصة أخرى وفتح ما كان حولها للبنادقة من البلاد والقلاع حتى صارت مدينة اشقودره منفصلة بالكلية عن باقي بلاد البنادقة وكان لابد من فتحها بعد قليل لعدم امكان وصول المدد اليها وإذا فضل البنادقة أن يرموا صلحا جديدا مع السلطان ويتنازلوا عن اشقودره في مقابلة بعض امتيازات تجارية وتم الصلح بين الفريقين على ذلك وأمضيت به بينهما معاهدة في يوم ٥ ذى القعدة سنة ٨٨٣ الموافق ٢٦ يناير سنة ١٤٧٩ وكانت هذه أول خطوة خطتها الدولة العلية العثمانية للتدخل في شؤون أوروبا اذ كانت جمهورية البنادقة حين ذلك أهم دول أوروبا لاسيما في التجارة البحرية وما كان يعادها في ذلك الاجمهورية جنوا

فتح جزائر  
اليونان ومدينة  
أوترانت

وبعد أن تم الصلح مع البنادقة وجهت الجيوش الى بلاد المجر لفتح اقليم ترانسلفانيا فتحها كينيس كوت مدينة تيمسوار (٢) بالقرب من مدينة كرلسبرج في ١٣ أكتوبر سنة ١٤٧٦ وقتل في هذه الموقعة كثير من العثمانيين وارتكب المجر فظائع وحشية بعد الانتصار فقتلوا جميع الاسرى ونصبوا مؤاندهم على جثثهم وفي سنة ١٤٨٠ فتحت جزائر اليونان الواقعة بين بلاد اليونان واطاليا وبعدها سار القائد البحري كدك احمد باشا بمرأه كيه لفتح مدينة أوترانت (٣) باطاليا التي كان عزم السلطان على فتحها جميعها ويقال انه أقسم بان يربط حصانه في كنيسة القديس بطرس بمدينة رومه مقر البابا ففتحت مدينة أوترانت عنوة في يوم ٤ جمادى الثانية سنة ٨٨٥ الموافق ١١ أغسطس سنة ١٤٨٠

حصار مدينة  
رودس

وفي هذا الحين كانت أرسلات عمارة بحرية أخرى لفتح جزيرة رودس (٤) التي كانت مركز رهبنة القديس حنا الاورشليمي وكان رئيسها اذ ذاك بميردوبوسون القرنساوى الاصل وكانت الحرب قائمة بينه وبين سلطان مصر وبأى تونس فاجتهد في ابرام الصلح

(١) مدينة قديمة يقال ان مؤسسها اسكندر المقدوني تبعت بلاد ألبانيا (الارنود) في تقلباتها السياسية فملكها الصرب ثم استقلت مدة ثم امتلكها البنادقة مدة ثم العثمانيون ولم تزل تابعة لهم حتى الان وبلغ عدد سكانها خمسة وعشرين ألفا وهي عاصمة ولاية اشقودره  
(٢) مدينة بلاد المجر شهيرة بحصانتها وقوتها امتلكها العثمانيون من سنة ١٥٥٢ الى سنة ١٧١٦ وفي سنة ١٦٦٢ أبرمت بها معاهدة بين العثمانيين وأمباطور النمساوي ذكرها  
(٣) مدينة قديمة بجنوب بلاد ايطاليا شهيرة باستخراج زيت الزيتون وسكانها قليلون وامتلكها العرب مدة  
(٤) جزيرة بالقرب من شاطئ آسيا الصغرى طيبة الهواء حسنة التربة كثيرة الفواكه والازهار يشق اسمها من لفظة (رودون) اليونانية ومعناها الورد ولحسن مناخها واعتدال طقسها ينتقل اليها كثير من أمراء الاساتنة ومصر للتنعم بمعدل هوائها خصوصا في فصل الصيف فتحها السلطان سليمان الاول الغازي سنة ١٥٢٢ ولم تزل تابعة لدولة العلية وكان بها تمثال عظيم الجثة يقال ان ارتفاعه كان يبلغ ثلاثة وثلاثين مترا هدمته الزلازل في القرن الثالث قبل المسيح



البلاد فرجع اليه السلطان وقهره وليستريح باله من هذه الجهة أيضاً ضم اماره القرم الى بلاده وغضب على وزيره محمود باشا الذي عارضه في هذا الامر

وبعد ذلك بقليل زحف (اوزون حسن) أحد خلفاء تيمورلنك الذي كان سلطاناً ممتداً على كافة البلاد والاقالم الواقعة بين نهري آموداريا والفرات وفتح مدينة توقات عنوة ونهب أهلها فاخذ السلطان في تجهيز جيش جرار وأرسل لاولاده داود باشا بكر بك الاناطول ومصطفى باشا حاكم القرم يأمرهما بالمسير لمحاربة العدو فسارا بجيوشهما اليه وقابلا جيش اوزون حسن على حدود اقليم الحميد وهزمه شر هزيمة (١٤٧١)

وبعد ما بقليل سار اليه السلطان بنفسه ومعه مائة ألف جندي وأجهز على ما بقي معه من الجنود بالقرب من مدينة اذربيجان التي لا تبعد كثيراً عن نهر الفرات ولم يعد اوزون حسن لمحاربة الدولة بعد ذلك وفي هذه الاثناء كانت الحرب ممتطعة بين العثمانيين والبنادقة الذين استعانوا ببابا رومه وأمير نابولي ومع كل فكان النصر دائماً للعثمانيين ولم يتمكن البنادقة من استرجاع شيء مما أخذ منهم وفي سنة ١٤٧٥ أراد السلطان فتح بلاد البغدان فارساً اليها جيشاً بعد ان عرض دفع الجزية على أميرها المسمى اسطفن الرابع ولم يقبل

وبعد محاربة عنيفة قتل فيها كثير من الجيشين المتحاربين عادت الجيوش العثمانية بدون فتح شيء من هذا الاقليم ولما بلغ خبر هذا الانهزام آذان السلطان عزم على فتح بلاد القرم حتى يستعين بفرسانها المشهورين في القتال على محاربة البغدان وكان للجمهورية جنوا مستعمرة في بحيث جزيرة القرم في مدينة كافا فارساً السلطان اليها عمارة بحرية ففتحها بعد حصار ستة أيام وبعدها سقطت جميع الاماكن التابعة للجمهورية جنواً بذلك صارت جميع شواطئ القرم تابعة للدولة العثمانية ولم يقاومها التتار النازلون بها ولذلك اكتفى السلطان بضرب الجزية عليها

وبعد ذلك فتحت العمارة العثمانية ميناء آق كرمان ومنها أفلعت السفن الحربية الى مصاب نهر الدانوب لاعادة الكرة على بلاد البغدان بينما كان السلطان يحتازنهر الدانوب من جهة البر بجيش عظيم فتهزم أمامه جيش البغدان لعدم امكانه المحاربة في السهول وتبعه الجيش العثماني حتى اذا أوغل خلفه في غابة كثيفة يجهل مفاوزها انقض عليه الجيش البغداني وهزمه (١٤٧٦) وبذلك اشتهر اسطفن الرابع أمير البغدان بمقاومة العثمانيين كما اشتهر هونياد المجري واسكندر بك الالباني من قبل وسماه البابا بجراح النصرانية وحامي الديانة المسيحية

وفي سنة ١٤٧٧ أغار السلطان على بلاد البنادقة ووصل الى اقليم الفريول بعد ان مر باقليمى كرواسيا ودماسيا (وهما تابعا الآن لملكة النمسا والمجر) تخاف البنادقة على مدينتهم الاصلية وأبرموا الصلح معه تاركين له مدينة كرويا التي كانت عاصمة اسكندر

والبنادقة (١) بسبب هروب أحد الرقيق الى كورون التابعة لهم وامتناعهم عن تسليمه بحجة انه اعتنق الدين المسيحي فاتخذ العثمانيون ذلك سبباً للاستيلاء على مدينة ارجوس وغيرها فاستنجد البنادقة بحكومتهم وهي ارسلت اليهم عمارة بحرية أنزلت ما بها من الجيوش الى بلاد موره فثار سكانها وقتلوا الجنود العثمانية المحافضة على بلادهم وأقاموا ما كان تهدم من سور برزخ كورنته لمنع وصول المدد من الدولة العلية وحاصروا مدينة كورنته نفسها واستخلصوا مدينة ارجوس من الأتراك لكن لما علموا بتدوم السلطان مع جيش يبلغ عدده ثمانين ألف مقاتل تركوا البرزخ راجعين على أعقابهم فدخل العثمانيون بلاد موره بدون كبير معارضة واسترجعوا كل ما أخذوه وأرجعوا السكينة الى البلاد وفي السنة التالية أعاد البنادقة الكرة على بلاد موره بدون فائدة

وبعد ذلك أخذ البابايوس الثاني يسعى في تحريض الأمم المسيحية على محاربة المسلمين حرباً دينية لكن عاجله المنون قبل اتمام مشروعه الا أن تحرير يضا نه هاجت اسكندر بك الاباني فحارب الجنود العثمانية وحصل بينهما عدة وقائع احرق فيها كثير من الدماء وكانت الحرب فيها سجالات وفي سنة ١٤٦٧ توفي اسكندر بك بعد ان حارب الدولة العلية خمساً وعشرين سنة بدون ان تقوى على قمعه فكان من أشد خصوم الدولة والد أعدائها ثم بعد هذنة استمرت سنة واحدة عادت الحروب بين العثمانيين والبنادقة وكانت نتيجةها ان افتتح العثمانيون جزيرة نخبريوننت وتسمى في كتب الترك اجرييوش مركز مستعمرات البنادقة في جزائر الروم وتم فتحها في سنة ١٤٧٠ وبعد ان ساد الأمن في أنحاء اورويا حوّل السلطان انظاره الى بلاد القرم بآسيا الصغرى ووجد سيلا سهلاً للتدخل وهو ان اميرها المدعو ابراهيم اوصى بعدم موته بالحكم الى احد اولاده واسمه الامير اسحق ولكون امه ام ولد نازعه الحكم اخوته من ابيه الذين من الزوجات فتدخل السلطان محمد الثاني وحارب اسحق وهزمه وولى محله اكبر اخوته وعاد الى اورويا فحارب اسكندر بك كما مر فانتهز الامير اسحق غيابه وعاد الكرة على قونية لاسترداد ما اوصى به اليه ابوه من

(١) هم سكان مدينة البندقية الواقعة على البحر الادرياتيكي وهي أهم الممرات التجارية فيها فزت في مسابقة جمهورية فينيس ولم تقو على مجاراة جمهورية الاملاتولي عليها الاختلال وصارت سيدة البحار الى ان اكتشف طريق رأس الرجاء الصالح بطرف افريقيا الجنوبي الموصل الى الهند واكتشفت قرية امريكا فتحوّل التجاره الى هذا الطريق الجديد وضمّت البندقية واستمرت هذه الجمهورية بمجارية المؤمنين الذين جردوها من جميع أملاكها شيئاً فشيئاً فأخذ منها السلطان محمد الفاتح جزائر اليونان وما كان لها بلاد موره وفي سنة ١٥٧١ استولى السلطان سليم الثاني على جزيرة قبرص وفي سنة ١٦٦٩ فتح السلطان محمد الرابع جزيرة كريد وكانت تابعت لها وفي سنة ١٧٩٧ احتلها الفرنسيون ثم ضمت الى النمسا وفي سنة ١٨٠٥ ضمت الى ايطاليا وفي سنة ١٨١٥ عدت الى النمسا وفي سنة ١٨٤٨ ثارت عليها ونشكت بهيئة جمهورية وفي السنة التالية أخضعها النمسا لسلطانها وفي سنة ١٨٥٩ تنازلت عنها النمسا الى نابليون الثالث امبراطور فرنسا وهو تنازل عنها الى فيكتور امانويل ملك بيمونتي الذي صار فيما بعد ملك ايطاليا ولم يزل تابعة لاطاليا حتى الآن وقد زرتها في شهر يونيو سنة ١٨٩٥ أثناء سياحي الاولى بأوروبا

منها أرسل اليه هذا الامير وفد أعرض على السلطان دفع جزية سنوية قدرها عشرة آلاف دوكا بشرط أن يضادق على جميع الشروط الواردة بالمعاهدة التي أبرمت في سنة ١٣٩٣ بين أمير الفلاخ اذذاك والسلطان بايزيد فقبل السلطان محمد الثاني هذا الاقتراح وعاد بجيوشه ولم يقصد أمير الفلاخ بهذه المعاهدة الا التمكن من الاتحاد مع ملك الجرج و محاربة العثمانيين فلما علم السلطان باتحادهما أرسل اليه مندوبين يسألانه عن الحقيقة فتقبض عليهما وقتلهما بوضعهما على عمود محدد من الخشب (خازوق) وأغار بعدها على بلاد بلغاريا التابعة للدولة العلية وعثى فيها الفساد ورجع بخمس وعشرين ألف أسير فارسل اليه السلطان يدعوه الى الطاعة واخلاء سبيل الاسرى فلما مثل الرسل أمامه أمرهم برفع عمائهم لتعظيمه وعند ابائهم طلبه لخالفته لعوائدهم أمر هذا الظالم بان تسمر عمائهم على رؤسهم بمسامير من حديد

فلما وصلت هذه الاخبار الى السلطان محمد استشاط غضباً وسار على الفور بمائة وخمسين ألف مقاتل لمحاربة هذا الشقي الظلوم فوصل في أقرب وقت الى مدينة بخارست (١) عاصمة الامير بعد ان هزمه وفرق جيوشه لسكرته لم يتمكن من القبض عليه لجازانه على ما اقترفه من المظالم والمآثم لهروبه والتجائه الى ملك الجرج فنادى السلطان بعزله وانصب مكانه أخاه راوول لثقتبه بما أنه تربى في حضنة السلطان منذ نعومة أظفاره وبذاضمت بلاد الفلاخ الى الدولة العلية ويقال ان عند وصول السلطان محمد الى ضواحي بخارست وجد حول المدينة جثث الاسرى الذين أتى بهم أمير الفلاخ من بلاد بلغاريا وقتلهم عن آخرهم بما فيهم الاطفال والنساء وكان عددهم جميعا عشرين ألفا

وفي سنة ١٤٦٢ حارب السلطان بلاد بوسنة لامتناع أميرها عن دفع الخراج وأسره بعد محاربة عنيفة هو وولده وأمر بقتلها فدانته له جميع بلاد البشناق (أهالي بوسنة) وفي سنة ١٤٦٤ أراد متياس كرفن (٢) ملك الجرج استخلاص بوسنة من العثمانيين فهزم بعد ان قتل معظم جيشه وكانت عاقبة تداخله ان جعلت بوسنة ولاية كباقي ولايات الدولة وسلبت ما كان منح لها من الامتيازات ودخل في جيش الانكشارية ثلاثون الفا من شبانها واسلم اغلب اشراف اهلها

هذا وكانت ابتدأت حركات العدوان في سنة ١٤٦٣ بين العثمانيين

(١) وتسمى في الكتب التركية (بكرش) بلدة جميلة جداً قديمة العهد ولم تشتهر الا بعد المعاهدة التي أبرمت فيها بين الدولة العلية والروسية سنة ١٨١٢ وهي الآن عاصمة مملكة رومانيا المكونة من أمارتي الافلاق والبغدان

(٢) هو ابن هونيد الجرجي ولد سنة ١٤٤٣ وانتخب ملكا على بلاد الجرج سنة ١٤٥٨ وسنة خمس عشرة سنة واشتهر بمحاربة كافة جيرانه دفاعا عن استقلال الجرج وأسس مدرسة جامعة بمدينة (بود) ومكتبة عمومية وبنى فيها مرصدا فلكيا وتوفي سنة ١٤٩٠

لسلطة البابا بل كانوا يفضلون تسلط المسلمين عليهم لما رأوه من عدم تعرضهم للدين  
مطلقاً ولذلك أبرم أمير الصرب الصلح مع السلطان محمد الثاني على أن يدفع له سنوياً  
ثمانين ألف دوكا وذلك في سنة ١٤٥٤ وفي السنة التالية أعاد السلطان عليها الكرة بحيش  
مؤلف من خمسين ألف مقاتل وثلاثمائة مدفع ومر بجيوشه من جنوب بلاد الصرب الى  
شمالها بدون أن يلتقي أقل معارضة حتى وصل مدينة بلغراد الواقعة على نهر الدانوب  
وحاصرها من جهة البر والبحر وكان هونيد المجري دخل المدينة قبل أنام الحصار عليها  
ودافع عنها دفاع الابطال حتى يئس السلطان من فتحها ورفع عنها الحصار سنة ١٤٥٥ لكن  
وان لم يتمكن العثمانيون من فتح عاصمة الصرب الا انهم رجعوا أمراً عظيماً وهو اصابة هونيد  
بجراح بليغة مات بسببها بعد دفع الحصار عن المدينة بخمسة وعشرين يوماً وأراح المسلمين منه  
ولما علم السلطان بموته أرسل الصدر الأعظم محمود باشا لأم فتح بلاد الصرب فتم فتحها من  
سنة ١٤٥٨ الى سنة ١٤٦٠ وبذلك فقدت الصرب استقلالها نهائياً بعد ان أعيت الدولة  
العلية أكثر من مرة

وفي هذه الاثناء تم فتح بلاد مور في سنة ١٤٥٨ فتح السلطان مدينة كورنث وما  
جاورها من بلاد اليونان حتى جرد توماس باليولج أخا قسطنطين من جميع بلاده ولم يترك  
اقليم مور لآخيه دميتريوس الا بشرط دفع الجزية

وبمجرد ما رجع السلطان بجيوشه ثار توماس وحارب الأتراك وأخاه معا فاستنجد  
دميتريوس بالسلطان فرجع بحيش عزم لم يرجع حتى تم فتح اقليم مور سنة ١٤٦٠  
وهرب توماس الى ايطاليا ونفى دميتريوس في إحدى جزائر الارخبيل

وفي ذلك الوقت فتحت جزائر تاسوس وانبروس وغيرها من جزائر بحر الروم  
وبعد عودة السلطان من بلاد اليونان أبرم صلحاً مؤقتاً مع اسكندر بك وترك له  
اقليمى ألبانيا وبيروس ثم حول أنظاره الى آسيا الصغرى ليفتح ما بقي منها فسار بجيشه  
بدون أن يعلم أحد ابوجهته في أوائل سنة ١٤٦١ وهاجم أولاً ميناء أماستريس وكانت  
مركز تجارة أهالي جينوة النازلين بهذه الاصفاع ولكون سكانها تجاراً يحافظون على أموالهم  
ولا يهمهم دين أو جنسية متبوعهم مادام غير متعرض لأموالهم ولا أرواحهم فتحت أبواب  
المدينة ودخلها العثمانيون بغير حرب ثم أرسل الى اسفنديار أمير مدينة سينوب يطلب  
منه تسليم بلده والخضوع له ولاجل تعزيز هذا الطالب أرسل أحد قواده ومعه  
عدد عظيم من المراكب لحصر ميناء فسلمها اليه الأمير وأقطعها الملك اراضى واسعة باقليم  
يثنيا مكافاة له على خضوعه ثم قصد بنفسه مدينة طرابزون ودخلها بدون مقاومة شديدة  
وقبض على الملك واولاده وزوجته وأرسلهم الى القسطنطينية

ولما عاد اليها جهز جيشاً لمحاربة أمير الفلاخ المدعو فلاددره قول اي الشيطان لمعاقبته  
على ما ارتكبه من الفظائع مع أهالي بلاده والتعدى على تجار العثمانيين النازلين بها فلما قرب



حيث كان يصلى فيها البطريق وحوله عدد عظيم من الالهالى ويعتقد الروم حتى الآن أن حائط الكنيسة انشق ودخل فيه البطريق والصور المقدسة وفي اعتقادهم أن الحائط تنشق ثانية يوم يخرج الانراك من القسطنطينية ويخرج البطريق منها ويتم صلاته التي قطعها عند دخول العثمانيين عليه عند الفتح وقد أرخ بعضهم هذا الفتح المبين (بلدة طيبة) سنة ٨٥٧ وسميت المدينة اسلامبول أى تحت الاسلام أو مدينة الاسلام

أما قسطنطين فقاتل حتى مات في الدفاع عن وطنه وبعد فتحها جعلت عاصمة للدولة ولن تزال كذلك ان شاء الله ولذكّر هنا أن المسلمين حاصروا القسطنطينية احدى عشرة مرة قبل هذه المرة الاخيرة منها سبعة في القرنين الاولين للاسلام فحاصروها معاوية في خلافة سيدنا على سنة ٣٤ هـ (٦٥٤ م) وحاصرها يزيد بن معاوية سنة ٤٧ هـ (٦٦٧ م) في خلافة سيدنا على أيضاً وحاصرها شقيقان بن أوس في خلافة معاوية سنة ٥٢ هـ (٦٧٢ م) وفي سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) حاصرها مسلمة في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز الاموى وحوصرت أيضاً في خلافة هشام سنة ١٢١ هـ (٧٣٩ م) وفي المرة السابعة حاصرها أحد قواد الخليفة هرون الرشيد سنة ١٨٢ هـ (٧٦٨ م)

هذا ثم دخل السلطان المدينة عند الظهر فوجد الجنود مشغولة بالسلب والنهب وغيره فأصدر أوامره بمنع كل اعتداء فساد الأمن حالاً ثم زار كنيسة أياصوفيا وأمر بان يؤذن فيها بالصلاة اعلاناً بجعلها مسجداً جامعاً للمسلمين وبعد تمام الفتح على هذه الصورة أعلن في كافة الجهات بان لا يعارض في اقامة شعائر ديانة المسيحيين بل انه يضمن لهم حرية دينهم وحفظ أملاكهم فرجع من هاجر من المسيحيين وأعطاهم نصف الكنائس وجعل النصف الآخر جوامع للمسلمين ثم جمع أئمة دينهم لينتخبوا بطريقاً لهم فاختروا جورج سكولاريوس واعتمد السلطان هذا الانتخاب وجعله رئيساً لطائفة الاروام واحتفل بتبنيته بنفس الالهة والنظام الذي كان يعمل للبطارقة في أيام ملوك الروم المسيحيين وأعطاه حرساً من عساكر الانكشارية ومنحه حق الحكم في القضايا المدنية والجنائية بكافة أنواعها المختصة بالاروام وعين معه في ذلك مجلساً مشكلاً من أكبر موظفي الكنيسة وأعطى هذا الحق في الولايات المطارنة والقسوس وفي مقابلة هذه المنح فرض عليهم دفع الخراج مستثني من ذلك أئمة الدين فقط

وبعد اتمام هذه الترتيبات واعادة ما هدم من أسوار المدينة وتحصينها سافر بحموشه لفتح بلاد جديدة فقصده بلاد مورة لكن لم ينتظر اميرها دميتريوس وتوماس اخوا قسطنطين قدومه بل ارسلوا اليه يخبرانه بقبولهما دفع جزية سنوية قدرها اثنا عشر الف دوكا فتبذل ذلك السلطان وغير وجهته قاصداً بلاد الصرب فاتى هونيد الشجاع المجرى ورد عنهم مقدمة الجيوش العثمانية لكن لم يرغب الصرب في مساعدة المجرى لهم لاختلاف مذهبهم حيث كان المجري كاثوليكين تابعين لبابا رومة والصرب ارتوذ كسيتين لا يدعونون

ولما شاهد قسطنطين آخر ملوك الروم هذه الاستعدادات استنجد بأوروبا فلبى طلبه أهالي جنوه (١) وأرسلوا له عمارة بحرية تحت إمرة جوستينيانى فأنى بمراكبه وأراد الدخول الى ميناء القسطنطينية فعارضته السفن العثمانية وانتشر بينهما حرب هائلة فى يوم ١١ ربيع الثانى سنة ٨٥٧ الموافق ٢١ ابريل سنة ١٤٥٣ انتهت بفوز جوستينيانى ودخوله الميناء بعد ان رفع المحصورون السلاسل الحديدية التى وضعت لمنع المراكب العثمانية من الوصول اليها ثم أعيدت بعد مروره كما كانت وبعدها أخذ السلطان بنفسه فى طريقة لدخول مراكبه الى الميناء لتمام الحصار براً وبحراً فخطر بباله فكر غريب فى بابه وهو أن ينقل المراكب على البرليجيتازوا السلاسل الموضوعة لمنعها وتم هذا الامر المستغرب بان مهد طريقاً على البر اختلف فى طوله والمرجح انه فرسخان أى ستة أميال ورصت فوقه ألواح من الخشب صبت عليها كمية من الزيت والدهن لسهولة زلق المراكب عليها وبهذه الكيفية أمكن نقل نحو السبعين سفينة فى ليلة واحدة حتى اذا أصبح النهار ونظرها المحصورون أيقنوا أن لا مناص من نصر العثمانيين عليهم لكن لم تخمد عزائمهم بل ازدادوا اقداً ومصمموا على الدفاع عن أوطانهم حتى الممات وفى يوم ١٥ جماد أول سنة ٨٥٧ الموافق ٢٤ مايو سنة ١٤٥٣ أرسل السلطان محمد الى قسطنطين يخبره أنه لو سلم البلد اليه طوعاً بتمعه له بعدم مس حرية الاهالى أو أملاكهم وأن يعطيه جزيرة مورده فلم يقبل قسطنطين ذلك بل أثار الموت على تسليم المدينة فعند ذلك نبه السلطان على جيوشه بالاستعداد للهجوم فى يوم ٢٠ جماد أول سنة ٨٥٧ الموافق ٢٩ مايو سنة ١٤٥٣ ووعد الجيوش بمكافاتهم عند تمام النصر وباقطاعهم أراضى كثيرة وفى الليلة السابعة لليوم المحدد أشعلت الجنود العثمانية الانوار أمام خيامها للاحتفال بالنصر المحقق لديهم وظلوا طول ليلهم يلهلون ويكبرون حتى اذا لاح الفجر صدرت اليهم الاوامر بالهجوم فهجم مائة وخمسون ألف جندى وتسلموا الاسوار حتى دخلوا المدينة من كل فج وأعملوا السيف فيمن عارضهم ودخلوا كنيسة القديسة صوفيا

(١) جنوه مدينة قديمة جداً يقال انها انشئت سنة ٧٠٧ قبل الميلاد واستولى عليها الرومانيون سنة ٢٢٢ قبل الميلاد وظلت تابعة لهم حتى سقطت الدولة الرومانية ثم تناوبتها أيدي قبائل الغتبرين المختلفة وأخيراً فتحها شارلمان الفرنساوى المتوفى سنة ٨١٤ م واستقلت فى القرن العاشر واتخذت التجارة مهنة ونافت جمهوريتي يشه المساء الآن (ينز) والبندقية المساء الآن (فنسيا) وفى القرن الثالث عشر حاربت يشه وتغلبت عليها ولاشت تجارتها وخذت منها جزيرة (كورسيكا) ثم أعطاها ملوك أوروبا لاستانة قريبي يره وغطه فى ضواحي ينزاطه (القسطنطينية) ومدينة (كافا) ببلاد القرم ومدينة ازميز وغيرها ومن ثم وقعت منافسة بينها وبين البنادقة بسبب السيادة على البحار وحاربتها واتصرت عليها مراراً وبقيت سيدة البحار الشرقية الى أواخر القرن الرابع عشر ثم أخذت فى التقهقر شيئاً فشيئاً بسبب عدم انتظام أمورها الداخلية وتفرق كلمة أهلها ففقدت استقلالها وصارت تدخل تارة فى حى اسبانيا وأخرى فى حى فرانسوا وارجع الى استقلالها الى أن احتلها الفرنسيون سنة ١٧٩٦ وشكواها بيعة جمهورية فى السنة التالية وبعد سقوط امبراطورية نابليون الاول فى سنة ١٨١٥ ضمت الى تومباردية وهى الآن تابعة لمملكة إيطاليا

الاجزاء من بلاد القرممان ومدينة سينوب (١) ومملكة طرابزون الرومية (٢) وصارت مملكة الروم الشرقية قاصرة على مدينة القسطنطينية وضواحيها وكان إقليم (موره) مجزأ بين البنادقة وعدة امارات صغيرة يحكمها بعض أعيان الروم أو الافرنج الذين تخلقوا عن اخوانهم بعد انتهاء الحروب الصليبية وبلاد الارنؤد وابيروس في حى اسكندر بك السالف الذكر وبلاد البشناق (البوسنه) مستقلة والضرب تابعة للدولة العلية تابعة سيادية وما بقى من بحيث جزيرة البلقان داخلا تحت سلطة الدولة العلية

وبعد ان أمر بنقل جثة والده الى مدينة بورصة لدفنها بها أمر بقتل أخ له رضيع اسمه أحمد وبارجاع الاميرة مارا الصربية الى والدها ثم أخذ يستعد لتتبع فتح ما بقى من بلاد البلقان ومدينة القسطنطينية حتى تكون جميع أملاكه متصلة لا يخلها عدو مهاجم أو صديق منافق لكنه قبل التعرض لفتح القسطنطينية أراد أن يحصن بوغاز البوسفور حتى لا يأتى لها مدد من مملكة طرابزون وذلك بان يقيم قلعة على شاطئ البوغاز من جهة أوروبا تكون مقابلة للحصن الذى أنشاه السلطان بايزيد بلدرم بتراسيا ولما بلغ ملك الروم هذا الخبر أرسل الى السلطان سفيرا يعرض عليه دفع الجزية التى يقررها فرض طلبه وسعى فى إيجاد سبب لفتح باب الحرب ولم يلبث ان وجد هذا السبب بتعدى الجنود العمانية على بعض قرى الروم ودفاع هؤلاء عن أنفسهم وقتل البعض من الفريقيين

فحاصر السلطان المدينة فى أوائل ابريل سنة ١٤٥٣ من جهة البر بحيش يبلغ المائتين وخمسين الف جندى ومن جهة البحر بعمارة مؤلفة من مائة وعشرين سفينة وأقام حول المدينة أربع عشرة بطارية طويلة وضع بها مدافع جسيمة صنعها صانع مجرى شهر اسمه (اوربان) كانت تقذف كرات من الحجر زنة كل واحدة منها اثنا عشر قنطاراً الى مسافة ميل وفى اثناء الحصارا كتشف قبر اى ايوب الانصارى الذى استشهد حين حصار القسطنطينية فى سنة ٥٢ هـ فى خلافة معاوية بن ابي سفيان الاموى وبعد الفتح بنى له مسجد جامع وجرت العادة بعد ذلك ان كل سلطان يتولى بتقليد سيف عمان الغازى الاول بهذا المسجد وهذا الاحتفال يعد بمثابة التتويج عند ملوك الافرنج ولم تزل هذه العادة متمعة حتى الآن

(١) مدينة حصينة فى شمال الاناطول على البحر الاسود تبعد ١٤٠ كيلومترا عن مدينة أوزدروم ويظن أنها معاصرة الحربية وشهيرة بما ارتكبه الروسا فيها من تدمير الدونامة العثمانية سنة ١٨٥٣ قبل اعلان الحرب المعروفة بحرب القرم

(٢) مدينة قديمة بأسيا على البحر الاسود تبعد ١٤٠ كيلومترا عن مدينة أوزدروم ويظن أنها معاصرة لمدينة ترواده الشهيرة واسمها مشتق من لفظة (تراينزوس) اللاتينية ومنماها الشكل المعين ولما انقسمت المملكة الرومانية الى شرقية وغربية ظلت تابعة للمملكة الشرقية الى سنة ١٢٠٤ م حيث فتحها الافرنج الذين أتوا أثناء حرب الصليب ثم سكنها أحد أعضاء عائلة (الكومين) وأسست بها مملكة طرابزون التى استمرت مستقلة ولو أنها تابعة اسما الى مملكة الروم بالقسطنطينية الى أن فتحها العثمانيون سنة ١٤٦١ وقاتلوا آخر ملوكها المدعو (داود) وستة من أولاده وكان له ولد سابع فى إقليم موره ببلاد اليونان ثم هاجر الى جزيرة (كورسيكا) وآخر ذرية هذه العائلة (الدوشيس دي ابرانيس) التى توفيت سنة ١٨٣٨



ولم يتم فتح بلاد موهره لازدياد عصيان اسكندر بك واثارته الفتن في بلاد ألبانيا واوكتفي بضرب الجزية على أهلها هذه المرة ولما هدا باله من جهة اسكندر بك عاود الكرة عليها واسكندر بك هذا هو أحد أولاد جورج كستريو أمير ألبانيا الشمالية الذين سبق ذكر أخذ السلطان لهم رهينة وضم بلاد أبيهم اليه بعد موته وكان قد أسلم أو بالحرى تظاهر بالاسلام لنوال ما يكتنه صدره وظهر الاخلاص للسلطان حتى قر به اليه وفي سنة ١٤٤٣ حينما كان السلطان مشتغلا بمحاربة هونياد وملك الصرب ألزم كاتب أول الملك على أن يمضى له أمراً بتوجيه ادارة مدينة (آق حصار) من أعمال بلاد ألبانيا اليه وأخذ هذا الامر بعد ان قتل ممضيه خوفاً من افشاء سره وسار الى هذا البلد ودخله وفي الحال استدعى اليه رؤساء قبائل الارنؤد وأظهر لهم مشروعه وهو استخلاص ألبانيا من يد الأتراك فوافقوه على ماوسوسه لهم وأمدوه بالمال والرجال فسار معهم وطرد العثمانيين من أغلب بلاد أجداده وانتصر على القائد على باشا سنة ١٤٤٣ وساعده على امتداد نفوذه تنازل السلطان مراد واشتغاله بمحاربة المجر لكن لما تم النصر للسلطان في واقعة وارنه واستتب الامن في بلاد اليونان أمكنه جمع جيش جرار اتفق هذا الخائن فتقصده بمائة ألف مقاتل واسترد منه مدينتين من أهم مدن البانيا سنة ١٤٤٧ ثم تركه حين بلغه خبر اغارة هونياد المجرى على بلاد الصرب ليعيد لنفسه ما فقد من الشرف في واقعة وارنه وكان معه في هذه الدفعة اربعة وعشرون الف رجل منهم عشرة آلاف من الفلاح فاصطدم الجيش العثماني بقيادة السلطان نفسه مع جيش هونياد في وادى (قوص أوه) فانتصر عليه السلطان نصراً مبيناً في ١٨ شعبان سنة ٨٥٢ الموافق ١٧ اكتوبر سنة ١٤٤٨ كما انتصر السلطان مراد الاول على لازار ملك الصرب سنة ١٣٨٩ في هذا الموقع ثم عاد السلطان مراد الثانى لمحاربة اسكندر بك بالمانيا وحاصر مدينة (آق حصار) مدة ولم يجد سييلاً الى فتحها لضعف جيوشه بسبب هذه الحروب المتواصلة اراد ان يتفق مع اسكندر بك على الصلح بان يتلده السلطان اماره بلاد البانيا في مقابلة جزية سنوية ولما لم يقبل اسكندر بك هذا الاقتراح رفع السلطان الحصار عن المدينة وعاد الى ادرنه عاصمة مملكته ليجهز جيوشاً جديدة كافية لقمع هذا الثائر لكنه توفى في يوم ٥ محرم سنة ٨٥٥ الموافق (٩ فبراير سنة ١٤٥١) وتولى بعده ابنه السلطان ابو الفتح محمد الثانى ونقلت جثته الى مدينة بورصة وسنه ٤٩ سنة ومدة حكمه ٣٠ سنة

### ٧ « السلطان الغازى محمد الثانى الفاتح وفتح القسطنطينية »

ولد هذا السلطان في ٢٦ رجب سنة ٨٣٣ الموافق ٢٠ ابريل سنة ١٤٢٩ وهو سابع سلاطين هذه السلالة المملوكية ولما تولى الملك بعد ابيه لم يكن بأسيا الصغيرى خارجاً عن سلطانه



أسيراً في موقعة هائلة بالقرب من بلدة يقال لها (وازاغ) سنة ١٤٤٢ وبعد ذلك سار القائد المجري الى بلاد الصرب وتغلب على السلطان مراد نفسه في مدينة نيش (١) واقتنى أثره الى ما وراء جبال البلقان سنة ١٤٤٣ وظهر عليه في ثلاث وقائع أخرى وأخيراً أبرم السلطان مراد معهم الصلح على أن يتنازل عن سيادته على بلاد الفلاخ ويردّ الى أمير الصرب مدائن سمندرية والأوجه حصار وأن يهادن المجر مدة عشر سنوات وأمضيت هذه المعاهدة في ٢٦ ربيع الاول سنة ٨٤٨ الموافق ١٢ يوليو سنة ١٤٤٤

تنازل السلطان  
عن الملك وعود  
اليه

وعقب ذلك توفي أكبر أولاد السلطان واسمه علاء الدين خزن عليه والده حزناً شديداً وسُمّ الحياة فتنازل عن الملك لابنه محمد البالغ من العمر أربع عشرة سنة وسافر هو الى ولاية آيدن للإقامة بعيداً عن هموم الدنيا وغموها

لكنه لم يمكث في خلوته بضع أشهر حتى أتاه خبر غدر المجر واغارتهم على بلاد البلغار غير مراعين شروط الهدنة اعتماداً على تغرير السكردينال (سيزاريني) مندوب البابا وتفهمه ملك المجران عدم رعاية الذمة والعهود مع المسلمين لا تعدّ حثّاً ولا نقضاً

ولما ورد عليه خبر هذه الخيانة ونكث العهد قام بحيشه لمحاربة المجر فوجدهم محاصرين لمدينة وارنة الواقعة على البحر الاسود وبعد قليل اشتبك القتال بين الجيشين فقتل ملك المجر المدعو (لادسلال) وتفرق الجند بعد ذلك ولم تقم شجاعة هوناد شيئا وفي اليوم التالي هاجم العثمانيون معسكر المجر واحتلوه بعد قتال شديد قتل فيه السكردينال (سيزاريني) سبب هذه الحرب وتم للمسلمين هذا الفوز المبين في ٢٨ رجب سنة ٨٤٨ الموافق ١٢ نوفمبر سنة ١٤٤٤

وبعد تمام النصر واستخلاص مدينة وارنه رجع السلطان الى عزلته لكنه لم يلبث فيها هذه المرة أيضاً لأن عساكر الانكشارية ازدروا بمسلكهم الفتي محمد الثاني وعصوه ونهبوا مدينة ادرنه عاصمة الدولة فرجع اليهم السلطان مراد الثاني في أوائل سنة ١٤٤٥م وأخمد فتنتهم وخوفاً من رجوعهم الى اقلات راحة الدولة أراد أن يشغلهم بالحرب فأغار على بلاد اليونان وساعده على ذلك تحزى ايمانويل ملك الروم بلاده بين أولاده بان أعطى مدينة القسطنطينية وضواحيها الى ابنه حنا وبلاد موره وثيبه وجزاً من تساليا لابنه قسطنطين وهو آخر ملوك الروم ولما علم قسطنطين بعزم السلطان مراد على فتح بلاده حصن برزخ كورنثه وبنى فيه قلعة جعلت اجتيازه غير ممكن لكن لم يعق هذا السور المنيع الجيوش العثمانية بل سلبط عليه السلطان مدافعه (ذكر المؤرخون أن هذا أوّل استعمال للمدافع في جيوش الدولة العلية) حتى أحدث فيها ثلماً دخلت منه الجيوش الى مدينة كورنثه ففتحتها

(١) ويقال لها نيسا مدينة في جنوب الصرب لا يزيد عدد سكانها عن عشرة الاف نسمة واقعة على الطريق الموصل الى الاستانة وسلاطيك حصلت بها عدة وقائع حربية أهمها انتصار الصربيين على جيوش الدولة سنة ١٨٧٨ أثناء الحرب الروسية الاخيرة

وبعد ذلك أراد السلطان مراد أن يفتح ما بقي من بلاد الصرب وبلاد ألبانيا (الارنؤد) والفلاخ قبل أن يعيد الكرة على القسطنطينية حتى لا يكون لها من هذه الولايات نصير فوجه اهتمامه أولاً إلى بلاد ألبانيا فأطاعه سكان يانيه وسكان أغلب باقي البلاد بدون كثير عناء مشترطين عدم التعرض لهم في دينهم ولا عوائدهم وأزم (جان كستريو) أمير الجزء الشمالي من بلاد ألبانيا أن يسلم له أولاده الأربعة رهينة على صدقه وولائه ثم ضم أملاكه إليه بعد وفاته سنة ١٤٣١

وفي سنة ١٤٣٣ اعترف (فلاد) أمير الفلاخ الملقب (دره قول) أي الشيطان بسيادة الباب العالي عليه تخلصاً من الحرب التي كان لا يشك في وخامة عاقبتها عليه لكن لم يكن هذا الخضوع الا ظاهرياً فإنه ما لبث ان ثار هو وأمير الصرب بناء على تحريض ملك انجرلهمما فخار بهما السلطان وقهرهما ثم سار الى بلاد انجر وخرّب كثيراً من بلدانها وعاد منها في سنة ١٤٣٨ بسبعين ألف أسير على ما يقال

وفي السنة التالية عصى جورج برنكوفتش أمير الصرب فكانت عاقبة عصيانه ان فتح السلطان مراد مدينة سمندرية (١) بالقرب من مدينة بلغراد (٢) عاصمة بلاد الصرب بعد ان حاصرها ثلاثة أشهر وفر برنكوفتش الى بلاد المجر محتمياً عند ملكها (آلير) الذي خلف سيجسمون ثم حاصر السلطان مدينة بلغراد عاصمة الصرب مدة ستة شهور ولم يتمكن من فتحها اشدّة دفاع من بها من الجنود

فتركها وَاغَارَ على بلاد (ترنسلفانيا) (٣) وحاصر مدينة (هرمان ستاد) التابعة لملك المجر وكان حاكم هذا الاقليم هونياد (٤) قائد عموم جيوش المجر فأتى هذا القائد الشهير على جناح السرعة للدفاع عنها وانتصر على العثمانيين وقتل منهم عشرين ألف نفس وقتل قائدهم والزم من بقي منهم بالرجوع خلف نهر الدانوب ولما بلغ السلطان خبر انهزام جيوشه ارسل اليهم ثمانين ألف مقاتل تحت قيادة شهاب الدين باشا فهزمه ايضاً هونياد المجرى واخذه

(١) ومعاها القديس اندريا مدينة واقعة على نهر الطونة تبعد ٤٥ كيلو متر عن بلغراد عاصمة الصرب وبلغ عدد سكانها ١٥ ألفاً ولها أهمية عظمى حربية

(٢) ومعناها المدينة البيضاء مدينة حصينة على نهر الطونة بالقرب من مصب نهر (ساف) وهي عاصمة مملكة الصرب الآن بينها وبين الاسكندرية طريق حدودي طوله ثمانمائة كيلومتر وأهميتها في التاريخ العثماني عظيمة انتازها بنو العثمانيين والتمساويين وفي سنة ١٧٣٩ قضيت فيها معاهدة شهيرة كما ستري وبلغ عدد سكانها مائة ألف نسمة

(٣) ومعناها البلاد الواقعة في ما وراء العباب أطلق عليها أهالي النمسا هذا الاسم اوجود غابات كثيفة تغطيها عنها وهي من أهم اقاليم مملكة النمسا اوفره المادن بها ويزيد عدد سكانها عن ثلاثة ملايين ولجاورتها بلاد انجر صارت عرضة لسكل من أراد الاغارة على بلاد المجر وتبعت مدة للدولة العثمانية (٤) ولدهذا القائد في سنة ١٥٠٠ وعينه لاداسلاك بوكولونيا وانجر حكاما على اقليم ترانسلفانيا واشتهر بمجارية العثمانيين ومات سنة ١٥٦٤ ترجراح أصابته أثناء دفعه عن مدينة بلغراد عند حاصرها السلطان محمد الفاتح لها

الثاني الذي كان متحصنا مع من معه من الجنود خلف نهر صغير وهناك خانه بعض قواده وتركه أغلب جنوده حتى ألزم الهروب الى مدينة جاليبولي فسلمته بعض أتباعه الى ابن أخيه مراد الثاني فأمر بشنقه

وبعد ذلك أراد السلطان مراد الانتقام من ملك الروم الذي أطلق سراح عمه مصطفى ليشغله عن فتح القسطنطينية فسار اليه بخيله ورجله وحاصر مدينته ثم هاجمها في يوم ٣ رمضان سنة ٨٢٥ الموافق ٢٤ أغسطس سنة ١٤٢٢ وبعد قتال عنيف رجع العثمانيون بدون أن يتمكنوا من فتحها وبعدها رفع عنها الحصار لعصيان أخله يقال له مصطفى شق عصاه واستعان على أخيه السلطان مراد ببعض أمراء آسيا الصغرى لكن لم تلبث هذه الفتنة أن أخمدت بالقبض على مصطفى وقتله مع كثير من محازبيه فوقع الرعب في قلوب من ساعده من الأمراء وتنازل أمير قسطنطين عن نصف أملاكه للسلطان وزوجه ابنته سنة ١٤٢٣ اظهاراً لاختلاصه وولائه وفي السنة التالية عصى قره جنيد واستولى على إمارة أيدين لكن قهره حمزه بك أخو الوزير بايزيد باشا وقبض عليه وأمر بخنقه فتم خلصت الدولة بذلك من هذا الخائن الذي خان عهدها أكثر من مرة

وأعاد مراد الثاني الى أملاك الدولة العلية ولايات أيدين وصاروخان ومنتشاوغيرها من الامارات التي أعاد تيمورلنك استيلائها اليها وكذلك استرد بلاد القرمان بعد أن قتل أميرها محمد بك وعين ابنه ابراهيم واليا عليها مع بعض امتيازات بشرط أن يتنازل عن اقليم الحميد وفي سنة ١٤٢٨ توفي أمير كرميان عن غير عتب وأوصى بما كان باقيا له من بلاده الى السلطان مراد وبذلك استرد السلطان مراد الثاني جميع ما فصله تيمورلنك عن الدولة العثمانية من البلاد وصار في امكانه التفرغ لاعادة فتح ما استقل من البلاد باوربا بعد موت بايزيد الاول فابتدأ بأن ألزم ملك المجر بعد محاربة شديدة كانت نتيجةها افتتاح مدينة (كولباز) الواقعة على شاطئ نهر الدانوب الايمن بالتوقيع على معاهدة تمضى عليه بالتخلي عما يكون له من البلاد على شاطئ نهر الدانوب الايمن بحيث يكون هذا النهر فاصلا بين أملاك الدولة العلية والمجر

ولما رأى أمير الصرب المدعو (جورج برنكوفيتش) أنه لا يقوى على مقاومة الدولة قبل أن يدفع جزية سنوية قدرها خمسون ألف دوكا ذهباً ويقدم للسلطان فرقة من جنوده للمساعدة وقت الحرب وأن يزوجه ابنته (مارا) وأن يقطع علاقته مع ملك المجر وأن يتنازل أيضاً للدولة العلية عن بلدة كروشيفاتس (١) الواقعة في وسط بلاد الصرب لتجعلها حصنا منيعاً تأوى اليه جنودها منعاً لحصول الفتن وفي سنة ١٤٣٠ أعاد السلطان فتح مدينة سلايك التي كان تنازل عنها ملك الروم الى أهالي البندقية بعد أن حاصرها خمسة عشر يوماً

(١) تسمى هذه المدينة في كتب الترك (الاجه حصار) وتبعد ٥٦ كيلو متر عن مدينة نيش بالقرب من ملتقى نهر (موراوا)

شخص اتحل لنفسه هذه الصفة طمعاً في الملك الآن المؤرخ العثماني المدعو نشمري وكثيراً من مؤرخي الروم قالوا بصحة نسبه ومما يؤيد هذا القول تعيين راتب له من قبل السلطان وبلغ من كرم السلطان وحلمه انه غفان قرد جنيد نفسه وعده من محازبيه في سنة ١٤١٩ وكانت هذه التهمة آخر الحروب الداخلية التي خضبت أراضى الدولة العلية بدماء العثمانيين بسبب اغارة تيمورلنك عليها

وبعد ذلك بذل السلطان محمد جلبي قصارى جهده في محو آثار هذه الفتنة باجرائه الترتيبات الداخلية الضامنة لعدم حدوث شغب في المستقبل وبينما كان السلطان مشغولاً بهذه المهام السامية فاجأه الموت في سنة ٨٢٤ هـ الموافقة سنة ١٤٢١ م في مدينة أدرنة فأسلم أرواح وعمره ٤٣ سنة بعد ان أوصى بالملك لابنه مراد الذي كان حينئذ في اماسيا وخوفاً من حصول مالاتحمد عقباه لو علم موت السلطان محمد مع وجود ابنه مراد في بلاد آسيا اتفق وزيراه ابراهيم وبايزيد على اخفاء موته عن الجند حتى يحضر ابنه فاشاعا ان السلطان مريض وأرسل لابنه فحضر بعد واحد واربعين يوماً واستلم مقاليد الدولة واشتهر السلطان محمد بحبه للعلوم والفنون وهو أول ملك عثماني أرسل الهدية السنوية الى أمير مكة التي يطلق عليها اسم الصرة حتى الآن وهي عبارة عن قدر معين من النقود يرسل الى الأمير لتوزع على فقراء مكة والمدينة لكن لم تكن بالقدر الذي باغته الآن وقد قال بعض المؤرخين ان السلطان سليمان الاول هو أول من أرسل الصرة في سنة ٩٢٣ هـ الموافقة سنة ١٥١٧ م بعد فتح مصر ولكن اتفق من يوثق بهم من المؤرخين خصوصاً (صولاق زاده) على ان السلطان محمد جلبي هو أول من أرسلها ودفن في مدينة بورصة

## ٦ « السلطان مراد فاده الثاني الغازي »

ولد السلطان مراد الثاني سنة ٨٠٦ هـ الموافقة سنة ١٤٠٣ م وتولى سنة ٨٢٤ هـ الموافقة سنة ١٤٢١ م بعد موت أبيه وعمره ثمان عشرة سنة وافتتح أعماله بإبرام الصلح مع أمير القرمات والاتفاق مع ملك الجرج على هدنة خمس سنوات حتى يتفرغ لارجاع ماشق عصا الطاعة من ولايات آسيا لكن حدث ما شغله عن هذا العمل وذلك ان ايمانويل طلب منه أن يتعهد له بعدم محاربه مطلقاً وأن يسلمه اثنين من اخوته تاميناً على نفاذ هذا التعهد وتهدهد باطلاق سراح عمه مصطفى بن بايزيد ولما لم يجبه مراد الثاني لطلبه أخرج مصطفى من منفاه وأعطاه عشرة مراكب حربية تحت امرة (دمتريوس لاسكاريس) فأتى بها وحاصر مدينة جاليبولي فسلمت الا القلعة فتركها مصطفى بعد ان أقام حولها من الجند ما يكفي لمنع وصول المدد اليها وسار ببقية جيشه قاصداً أدرنة فخرج الوزير بايزيد باشا لمحاربه فتقدم مصطفى وخطب في العساكر باطاعته لانه أحق بالملك من ابن أخيه فاطاعته الجيوش وقتلت بايزيد باشا قائدهم فسار مصطفى بعد ذلك لمقابلة ابن أخيه مراد



طاعة الدولة فانه لما قهر أمير البلاد القرماني وكان قد استقل عفا عنه بعد أن أقسم له على القرآن الشريف بان لا يخون الدولة فيما بعد وعفا عنه ثانية بعد ان حثت في يمينه وكذلك لما حارب (قره جنيد) الذي كان حاكم أزمير من قبل السلطان بايزيد وقهره عفا عنه وتناسى كل ما وقع منه وعينه حاكما لمدينة نيكوبلي

وظهر في أيام هذا الملك شخص يسمى بدر الدين من العلماء المشهورين في ذلك الوقت وكان معينا بوظيفة قاضي عسكري جيش موسى أخى السلطان محمد وبعد انهزام موسى كما سبق ذكره ألزم بالاقامة في مدينة (ازنيك) ثم هرب منها وابتدأ في نشر مذهبه المؤسس على المساواة في الاموال والامتنعة وهذا المذهب أشبه شيء بأراء بعض اشتراكي هذا الوقت فتمعه خلق كثير من المسلمين والمسيحيين وغيرهم لانه كان يعتبر جميع الاديان على السواء ولا يفرق بينها بل كان عنده جميع الناس اخوة مهما اختلفت مذاهبهم وأديانهم واستعان في نشر مذهبه هذا بشخص يدعى (بيرقليجه مصطفى) وآخر يقال ان أصله يهودي واسمه (طورلاق كمال) واشتهر أمره بسرعة وكثرة عدد تابعيه حتى خيف على المملكة العثمانية من امتداد مذهبه فارسل اليه السلطان محمد القائد سيدهمان ابن أمير البلغار الذي دخل في دين الاسلام وعين حاكما لمدينة سمسون مع جيش جرار لمحاربة أتباع بدر الدين فظهر عليه بيرقليجه مصطفى وقتله

ولما علم السلطان بذلك جمع الجيوش وأرسل وزيره الاول المدعو بايزيد باشا لمحاربة هذه الفئة فصار اليها وقابل مصطفى في ضواحي ازمير فخاربه في موقع يقال له (قره بورنو) وقهره وأخذته أسيراً ثم قتله وكثيرا من أتباعه

وفي هذه الاثناء ضبط بدر الدين في بلاد مقدونية بعد مقاومة شديدة وشنت في سنة ١٤١٧م وبذلك اطفئت هذه الفتنة ولم يبق لها بعد ذلك من خبر وكان شنق رئيس هذه الفتنة بناء على فتوى أفتى بها مولانا سعيد أحد تلامذة التفتازاني وهذا نصها كما جاء في تاريخ همر (من أنا كم وأمركم جميعاً على رجل يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه) ولم يهدأ بال السلطان محمد بعد انتصاره على بدر الدين وأشياعه حتى ظهر أخوه مصطفى الذي لم يوقف له على أثر بعد واقعة انقره التي أسرفها والداه السلطان بايزيد الاول وطالبه بالملك وانضم اليه (قره جنيد) الذي سبق ذكر عفو السلطان عنه وأمدّه بجنود أرسلها اليه أمير الفلاخ سعيماً وراء إيجاد الفتق في داخل المملكة العثمانية فاغار الامير مصطفى على اقليم تساليا ببلاد اليونان لكنه لم يقو على مقاومة جنود أخيه السلطان محمد فدخل في مدينة سلانيك وكانت عادت الى مملكة الروم بعد موت السلطان بايزيد واحتوى عند حاكمها المعين من قبل ملك الروم فطلب السلطان تسليمه فأبى ملك الروم ذلك ووعده ان يحفظه ولا يطلق سراحه مادام السلطان على قيد الحياة فقبل السلطان محمد هذا الاقتراح ورتب لآخيه راتباً سنوياً ولقد ذهب بعض المؤرخين الى أن مصطفى هذا لم يكن ابن السلطان بايزيد بل

واماسيا أما عيسى فلما بلغه خبر وفاة والده جمع ما كان معه من الجند بمدينة بورصة حيث كان مختفياً وأعلن نفسه خليفة آل عثمان بمساعدة القائد (دمورطاش باشا) ومما يوجب الاسف والحزن ان استنجد كل من هؤلاء الثلاثة بتمورلنك سبب هذه الفتن والمفاسد فقبل وفودهم بكل ارتياح وشجعهم على المثابرة والثبات في الحرب يريد بذلك اضعا فهم ببعضهم حتى لا تقوم للدولة العلية بعدهم قائمة

فسار محمد لمحاربة أخيه عيسى وهزمه في عدة مواقع وقتله في الاخيرة منها ولم يبق له بعد ذلك منازع من اخوته في آسيا الصغرى واستخاض أخاه موسى بعد ذلك من أمير كرمان وشلمه قيادة جيش جرار أرسله به الى اوربا لمحاربة أخيه سليمان فلم يبق عليه بل انهزم أمامه وعاد مقهوراً الى آسيا ثم جمع جيشاً آخر وعاد به الى أوروبا وحارب أخاه سليمان وقتله خارج أسوار مدينة أدرنة في سنة ١٤١٠ وبعدها غار على بلاد الصرب وعاقب أهلها على خروجهم عن الطاعة وقاتل سجنس مون ملك المجر الذي تصدى له لردّه عن بلاد الصرب لكن داخل الطمع الامير موسى فعصى أخاه محمد الذي أمده بالجنود لمحاربة أخيهما سليمان واراد الاستقلال ببلاد الدولة باوروبا وحاصر القسطنطينية ليفتحها لنفسه فاستنجد ملكها بالامير محمد فأتى اليه مسرعاً لمحاربتهم والزهم بعد محاربة شديدة برفع الحصار عنها ثم حالف الامير محمد ملك القسطنطينية وامير الصرب وبثوا الدسائس في جيش موسى حتى خانه اغلب قواده ووقع اخيراً بين يدي أخيه محمد فامر بقتله سنة ٨١٦ هجرية الموافقة سنة ١٤١٣ ميلادية

### ٥ « انفراد السلطان محمد جلبي الغازي بالملك »

وبذلك انفراد محمد المولود سنة ٧٨١ هـ بما بقى من بلاد آل عثمان واشتهر في التاريخ باسم السلطان محمد جلبي الغازي ويعتبر بعض المؤرخين السلطان محمد الاول خامس سلاطين آل عثمان ولم يعتبروا اخوته لكونهم لم يلبثوا في الملك مدة طويلة وذلك لعدم الخلط في تعداد ملوك هذه الدولة ولم يراع البعض الاخر هذا الترتيب بل اعتبرهم ملوكاً ولذلك وجد اختلاف بين كتب المؤرخين في عدد سلاطين الدولة العثمانية لكن المتفق عليه هو عدم اعتبار من نازع السلطان محمد جلبي في الملك من اخوته وعدّه هو خامس سلاطين الدولة العلية

هذا وقد كانت مدة حكم السلطان محمد كلها حروباً داخلية لارجاع الامارات التي استقلت في مدة الفوضى التي اعقبت موت السلطان بايزيد في الاسر وحافظ على مخالفة ملك الروم الذي لولا مساعدته له لخيف على عرى الدولة العلية من الاتقصام وردّ له البلاد التي فتحها اخوه موسى واستمر على محافظته لعبدته الى آخر عمره ومما يؤثر عن هذا السلطان انه استعمل الحزم مع الحلم في معاملة من قهرهم من شق عصا

وافتح مدينة سيواس بارمينيا وأخذ ابن السلطان بايزيد المدعو ارطغرل أسيراً وقطع رأسه ولذلك جمع السلطان بايزيد جيوشه وسار لمحاربة تيمور الاعرج فقتل بالالجيشان في سهل انقره واستمر الحرب من قبل شروق الشمس الى بعد غروبها وأظهر السلطان في خلالها من الشجاعة ما بهر العقول وأدهش الاذهان ولكن ضعف جيشه بفرار فرق آيدين ومنتشا وصاروخان وكرميان وانضمامها الى جيوش تيمور لوجود أولاد أمراءهم الاصليين في معسكر التتار ولم يبق مع السلطان الا عشرة آلاف انكشاري وعساكر الصرب فحارب معهم طول النهار حتى سقط أسيراً في أيدي المغول هو وابنه موسى وهرب أولاده سليمان ومحمد وعيسى ولم يوقف لابنه الخامس مصطفى على أثره وكان ذلك في ١٩ ذي الحجة سنة ٨٠٤ الموافق ٢٠ يولييه سنة ١٤٠٢ فعامل تيمورلنك أسيره بايزيد بالحسنى وأكرم مثواه لكنه شدد في المراقبة عليه نوعاً بعد ان شرع في الهروب ثلاث مرات وضبط ويقال أنه سجنه في قفص من الحديد حتى مات في ١٥ شعبان سنة ٨٠٥ الموافق ٩ مارش سنة ١٤٠٣ وعمره ٤٤ سنة ومدة حكمه ١٣ سنة وهذه رواية نقلها بعض مؤرخي الافرنج بدون تروء وذلك أن بايزيد رغب أن يسير مع جيش تيمورلنك في تختروان لمحمله حصانان ومقفلة شبابيكه بقضبان من حديد ولكون بعض مؤرخي الترك أطلق على التختروان لفظ قفص ظن بعض المترجمين من الافرنج أنه وضعه في قفص كما توضع الوحوش الكاسرة ونقل هذه الرواية على علاتها كثير من المتقدمين لكن لما تقدم علم التاريخ وترجمت التواريخ التركية أصلح متأخرو المؤرخين خطأهم وأجمعوا على أنه لم يضعه في قفص مطلقاً (راجع الجزء الثاني من مؤلف همر المطبوع بباريس سنة ١٨٣٥ صحيفة ٩٦ وما بعدها) وما يؤيد حسن معاملة تيمورلنك للسلطان بايزيد أنه صرح لابنه موسى بنقل جثته بكل احتفال الى مدينة بورصة حيث دفن بجانب السلطان مراد (مع بقاء موسى في حالة الاسر وفي حراسة أمير كرميان)

الفوضى بعد موت  
السلطان بايزيد

وبعد موت السلطان بايزيد تجزأت الدولة الى عدة أمارات صغيرة كما حصل بعد سقوط دولة آل سلاجوق لأن تيمورلنك أعاد الى أمراء قسطنطين وصاروخان وكرميان وآيدين ومنتشا وقرمان ما فقدوه من البلاد

واستقل في هذه الفترة كل من البلغار والصرب والفلاخ ولم يبق تابعاً للراية العثمانية الا قليل من البلدان وما زاد الخطر على هذه الدولة الاسلامية عدم اتفاق أولاد بايزيد على تنصيب أحدهم بل كان كل منهم يدعي الأحقية لنفسه فاقام سليمان في مدينة ادرنه حيث ولاه الجنود سلطاناً أولاً لجل أن يستظهر على اخوته عقد محالقة مع ملك الروم (إيمانويل الثاني) وتنازل له عن مدينة سلانليك وسواحل البحر الاسود لينجده على اخوته الباقين ولزيادة الوثوق منه تزوج إحدى قريباته وكان محمد بن بايزيد يحارب جنود تيمورلنك في جبال الاناطول واستخلص منهم مدينتي توقات

سنة آلاف محارب أغلبهم من أشراف فرنسا وفيهم كثير من أقارب ملك فرنسا نفسه وانضم اليه حين مسيره الى بلاد البحر أمراء (بافاريا) (١) واستيريا وشوابية القديس حنا الاورشليمي (٢) وكثير من الالمانين ثم اجتاز هذا الجيش نهر الدانوب وعسكر حول مدينة نيكوبلي لمحاصرتها فسار اليهم السلطان بايزيد ومعه مائتا ألف مقاتل بهم كثير من اهالي الصرب تحت قيادة اميرهم (اسطفن) بن لازار وغيرهم من الامم المسيحية الخاضعة لسلطان العثمانيين وقتلهم قتالا عنيفا في يوم ٢٣ ذى القعدة سنة ٧٩٨ الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٣٩٦ كانت نتيجة انتصار العثمانيين على الجيوش المتألفة عليهم واسر كثير من اشراف فرنسا منهم الكونت دى نيفر نفسه وقتل أغلبهم وأطلق سراح الباقي والكونت دى نيفر بعد دفع فداء اتفق على مقدره ويقال ان السلطان بايزيد لما أطلق سراح الكونت دى نيفر وكان قد الزم بالتمسك على أن لا يعود لمحاربته قال له انى أجيز لك أن لا تحفظ هذا النمين فأنت في حل من الرجوع لمحاربتى اذ لا شئ أحب الى من محاربة جميع مسيحي أوروبا والانتصار عليهم

هذا وقد شدد الحصار بعد ذلك على مدينة القسطنطينية ولولا اغارة الموغول على بلاد آسيا الصغرى لتمكن من فتحها لكن الامور مرهونة باوقاتها فاكثف بابر ام الصلاح مع ملكها هذه المرة بشرط دفع عشرة آلاف ذهب سنويا من عملة وقتها وأن يحجز للمسلمين أن ينتوا بها جامعا لاقامة شعائر الدين الخفيفي وأن تقام لهم محكمة شرعية لنظر قضايا المستوطنين بها منهم

### « اغارة تيورلنك على آسيا الصغرى »

( وواقعة انقره ووقوع السلطان بايزيد أسيرا في أيدي تيور )

وسبب اغارة تيورلنك التتري الموغولي على الدولة العثمانية أن أمير بغداد والعراق المدعو احمد جلایر التجأ الى السلطان بايزيد حينما هاجمه الموغول في بلاده فارسل تيورلنك الى السلطان بطلبه فاقى تسليمه اليه فاغار تيور بجيوشه الجاررة على بلاد آسيا الصغرى

(١) مملكة مستقلة بأنايا يبلغ عدد سكانها خمسة ملايين من النفوس وتختها مدينة (مونوخ) (أو مونكن) كما يسميها الالمان وهي داخلية الآن ضمن الامبراطورية الالمانية التي تشكلت سنة ١٨٧١ عقب تغلب روسيا على فرنسا مع بقاء استقلالها وحكومتها وملكها كما كانت

(٢) هم طائفة من الرهبان الذين ذهبوا الى بلاد فلسطين في القرن الحادى عشر للمسيح أثناء الحروب الصليبية التي أثارها مسيحيون على المسلمين لامتلاك القدس الشريف لخدمة حجاج النصارى ولما استولى السلطان صلاح الدين الايوبي على مدينة اورشليم سنة ١١٨٧ انتقلت هذه الطائفة الى عكا ثم الى جزيرة رودس واتخذتها مركزا لمحاربة المسلمين وتعطيل تجارتهم ونهب مراكزهم وأسر من بها ولما فتح السلطان سليم القانونى هذه الجزيرة سنة ١٥٢٢ كما سيجيء رحلت هذه الطائفة الى جزيرة مالطة التي أعطاها لهم الامبراطور شارلسكان فحتلواها الى ان فتحها بونابرت سنة ١٧٩٨ أثناء مجيئه الى مصر فتمت هذه الطائفة تقريبا ولم يبق الا اسمها



وفي أثناء اشتغال السلطان بحاربة الفلاخ أراد علاء الدين أمير القرم أن يسترد ما تنازل عنه للدولة العلمية فجهز جيشاً عظيماً واستعان ببعض مجاوريه وسار بخيله ورجله قاصدا مهاجمة مدينة انقره بعد أن فاز على ديمورطاش باشا في إحدى الوقائع وأخذه أسيراً فلما بلغ خبره إلى مسامع السلطان قام بنفسه إلى بلاد الأناطول وجده في طاب علاء الدين حتى تقابل الجيشتان في موضع يقال له ( آق جاي ) فهزمه السلطان بيزيد وأسر هو وولديه محمد وعلي وضم ما بقى من أملاكه إليه وبذلك امتدت سلطنة القرم وصارت ولاية عثمانية

ثم فتحت امارات سيواس وتوقات وكان آخر أمرائها يدعى الغازي برهان الدين وبذل ما يبق من الامارات التي قامت على اطلال دولة آل سلاجوق الامارة قسطنطينية خارجة عن أملاك الدولة العثمانية وكان أميرها يسمى بيزيد أيضاً واحتفى ببلاده كثير من أولاد الأمراء الذين فتح بلادهم فكان ذلك سبب غزو بلاده وذلك أن السلطان أرسل إليه من يطلب منه تسليم أولاد صاحب أيدين وصاروخان فامتنع فسار إليه السلطان بيزيد بنفسه وأغار على بلاده وفتح مدائن ساسون وجانك وعثمانجق وبذلك انقضت جميع الامارات الصغيرة القائمة ببلاد الأناطول وصار العلم العثماني يخفق منصوراً فوق صروحها أما بيزيد صاحب قسطنطينية فلجأ إلى تيمور لنك سلطان الموغول (١)

ومع استمرار الحصار حول القسطنطينية ضم السلطان بلاد البلقان إلى الأملاك العثمانية فصارت ولاية عثمانية كباقي الولايات بعد أن قتل أميرها (سيمسان) وأسلم ابنه وعين حاكماً لسمسون سنة ١٣٩٤

واقعة نيكوبلي

فلما علم (سيمسون) ملك المجر خبر ما حل ببلاد البلقان خشى على مملكته اذ حصارها متخافاً عدةً تقطع للدولة العلمية فاستنجد بأوروبا وساعده البابا وأعلن الحرب الدينية بين أقوام أوروبا الغربية فاجاب الدعوة دول (بورغونيا) (٢) وأرسل ابنه السكونتي نيفر ومعه

(١) أي تيمور الاعرج ولد سنة ١٣٣٦ ميلادية تقريباً ببلدة بالقرب من سمرقند ويتصل نسبه بكنجيز خان التتري من جهة النساء وخاف عمه سيف الدين في اماره كيش سنة ١٣٦٠ وأخذ في فتح ما حوله من الامارات والقبائل ثم فتح بلاد خوارزم وكشغرو بلاد ايران ومنها سار إلى جنوب الروسية وفتح إقليم آراق ثم قصد بلاد الهند فانتصر علي صاحب (دهلي) وفتح معظم الهند الانكليزية ومنها عاد إلى الغرب ففتح بلاد الشام ومدينة بغداد التي خربها عن آخرها وقبل أن ينظم هذه الفتوحات العديدة قصد بلاد الصين في جيش بجل عن الحصر بعد أن حارب السلطان بيزيد العثماني وأخذه أسيراً فعاجله النون قبل أن يصل الصين في إقليم خوقند في ١٧ شبان سنة ٨٠٧ الموافق ١٩ فبراير سنة ١٤٠٥ ميلادية وبعد موته تفرقت مملكته بين ولده شاه رخ وأحفاده وأولاد أحفاده

(٢) كانت ولاية عظيمة في شرق فرنسا شبه مستقلة لم يكن للوك فرنسا عليها سوى السيادة وحق طلب الجنود للحرب عند الضرورة وأهم أمراءها شارل الجسور الذي توفي سنة ١٤٧٧ عن غير عقب ذكر وضمت أملاكه إلى مملكة فرنسا وصارت كباقي الولايات وفي سنة ١٧٨٩ قسمت إلى عدة مديريات بمقتضى الترتيب الذي وضع أثناء الثورة الفرنسية العظيم وبشهر هذا الاقليم بالنبيذ الجيد

السلطان مراد يمر من بين القتلى اذ قام من بينهم جندى صربى اسمه (ميلوك كوفلوقش) وطعن السلطان بنخنجر طعنة كانت هي القاضية عليه بعد قليل فسقط القتال قتيلاً تحت سيوف الانكشارية لكن لم يقدّم قتله شيئاً اذ أسلم السلطان الروح بعد ذلك بقليل بعد ان ضم كثيراً من البلاد الى مملكته له والده السلطان اورخان مأمراً ببيانه وكانت وفاته في ١٥ شعبان سنة ٧٩١ هـ الموافق ٨ اكتوبر سنة ١٣٨٨ عن خمس وستين سنة وبلغت مدة حكمه ثلاثين سنة ونقلت جثته الى مدينة بورصة

### ٤ « السلطان الغازى بايزيد خان الاول »

وتولى بعده السلطان بايزيد خان الاول بكر اولاده وكانت ولادته سنة ٧٦١ هـ جريية (الموافقة سنة ١٣٦٠ م) اتفق اركان الدولة على توليته وكان له أخ أصغر منه بقليل يدعى يعقوب متصفا بالشجاعة والاقدام وعلو الهمة خيف على المملكة منه من أن يدعى الملك ويرتكن على أن الملك انتقل الى السلطان اورخان بعد وفاة أبيه السلطان عثمان ولم يتولى بعده ابنته البكر علاء الدين ولذلك قتل بانفاق أمراء الدولة وقواد جيوشها وادعى مؤرخو الافرنج أن قتله كان بناء على فتوى شرعية أفتى بها علماء ذلك الزمان منعاً لحصول الفتنة بناء على قوله تعالى والفتنة أشد من القتل

وابتدا السلطان بايزيد الاول أعماله بان ولى الامير (اسطفن) بن لازار ملك الصرب حاكماً عليها وتزوج أخته (أوليفيرا) وأجازها بان يحكم بلاده على حسب قوانينهم بشرط دفع جزية معينة وتقديم عدد معين من الجنود ينضمون الى الجيوش الشاهانية وقت الحرب وفعل ذلك ولم يضم بلاد الصرب الى أملاكه ويجعلها ولاية كباقي الولايات ليسكن بال الصربيين حتى لا يكونوا شغلاً شاغلاً له نظراً لشبهاتهم وجبههم الاستقلال والامساك بالامن في أوروبا قصد بلاد آسيا وفتح مدينة (الاشهر) المعروفة عند الافرنج باسم (فيلا دلفيا) سنة ١٣٩١ هـ وهي آخر مدينة بقيت للروم في آسيا وهابها أمير (آيدن) فترك له أملاكه وعاش مطمئن الخاطر في احدى المدن الخارجة عن النفوذ العثمانى وكذلك ترك أميراً منتشاً وصاروخان ولايتهم واحتميا عند أمير (قسطنونى)

وتنازل الامير علاء الدين حاكم بلاد القرمات للسلطان عن جزء عظيم من أملاكه ليؤمنه على الباقي

وبعد هذه الفتوحات التى تم أغلبها بدون حرب عاد السلطان الى أوروبا وحارب (امانويل باليولوج) ملك الروم وحاصره فى القسطنطينية وبعد ان ضيق عليها الحصار ترك حوها جيشاً جراراً وسافر لغزو بلاد الفلاخ فظهر أميرها المدعو (دوك مانيس) وأكرهه على التوقيع على معاهدة يعترف فيها بسيادة الدولة العثمانية على بلاده ويتعهد لها بدفع جزية سنوية مع بقاء بلاده له يحكمها بمقتضى عوائد وقوانين أهلها وتم ذلك فى

حازبه من أشرف الروم وطلب من ملك الروم قتل ابنه فقأ عينيه ونفاه حتى مات (١) ولما مات القائد خير الدين باشا أشهر قواد الدولة ظن متآخوها انه لم يبق لديها من القواد من يزدكدهم في نحرهم فاتحد علاء الدين أمير القرمات الذي سبق ذكره مع بعض الامراء المستقلين واستعدوا للقتال وابتدؤا المناوشات لكن لم يمهلمهم السلطان مراد بل أرسل اليهم ديمورطاش باشا فحاربهم وقهرهم في سهل قونية وأخذ علاء الدين أسيراً ولولا توسط ابنته التي كان تزوجها السلطان مراد عقب الحاربة الاولى لجرده من أملاكه ولكن مراعاة لزوجته لم يأخذ منه شيئاً هذه الدفعة بل أقره في أملاكه بشرط دفع الجزية وكان ذلك سنة ١٣٨٦ أما في أوروبا فانخذ الصرب وجود اعظم قواد السلطنة وجيوشها بالاناطول فرصة الحاربة العساكر العثمانية فغاز الصرب أولاً في سنة ١٣٨٧ وكان (سيسمان) قرال اى أمير البلغار يتأهب للانضمام الى (لازار) ملك الصرب اذ فاجأ الوزير على باشا جيوش البلغار واحتل (ترنوه) و (شوبله) وأجأ سيسمان الى الفرار والاحتماء في مدينة نيكوبلى (٢) سنة ١٣٨٨ وبدان جمع شمل ما بقى من جيوشه داخل هذه المدينة أراد محاربة العثمانيين ثانية فخرج من (نيكوبلى) وهاجم الجيوش الاسلامية مهاجمة يأس فانهمز هزيمة لم يبق له بعدها قائمة ووقع أسيراً فضم السلطان مراد نصف بلاده اليه ولم يأمر بقتله بل منحه نعمة الحياة ورتب له ما يقوم بمعاشه مراعيًا في ذلك مقامه السابق وعينه حاكماً شبه مستقل على النصف الباقي (١٣٨٩) ولما علم لازار ملك الصرب بانخذال رفيقه قرال البلغار مال بجيوشه قليلاً جهة الغرب للانضمام الى أمراء ألبانيا (الارنود) فلم يتمكن السلطان مراد من ذلك بل جد السير في طلبه حتى لحقه في سهل (قوص اوه) سنة ١٣٨٩ وانتشب القتال بين الجيشين بحالة يشيب من هولها الولدان دافع في خلاله الصربيون دفاع الابطال وبقى الحرب بينهما مستجالاً مدة من الزمن تناثرت فيها الرؤوس وزهقت النفوس وأخيراً فر صهر الملك لازار المدعو (فوك برانكوفتش) ومعه عشرة آلاف فارس والتحق بجيش المسلمين فدارت الدائرة على الصربيين وجرح لازار ووقع أسيراً في أيدي العثمانيين فقتلوه وبهذه الواقعة المهمة التي بقى ذكرها شهيراً في أوروبا بأسرها زال استقلال الصرب كما فقدت البلغار والروملية والاناطول استقلالها من قبل وكما ستفقد اليونان وغيرها الاستقلال فيما بعد وبعد تمام النصر والغلبة للعثمانيين كان

(١) لا يظن القارىء أن العثمانيين انفردوا بارتكاب هذا الاتم الجسيم فان من تصفح التاريخ يعلم ان كثيراً من الملوك حاكوا أولادهم وقتلوهما لم تثبت عليهم خيانة الامة والدولة فقد سجن بطرس الأكبر الروسي ولي عهده الكسيس ولما تأكد جنايته وعدم استعداده للقيام بأعباء المملكة بعده جمع مجلساً عالياً مركباً من أهم رجال الدولة وحكم عليه هذا الجاسم بالاعدام لكن لم ينفذ عليه الحكم جهاراً بل وجد ميتاً في سجنه في صبيحة اليوم المحدد لتنفيذ الحكم عليه ولم تعلم كيفية موته بالضبط لكن من المؤكد أن موته كان بإيعاز والده كي لا يشق أمام الامة

(٢) اسمها بالرومية نيكوبوليس ومعناها مدينة النصر أسسها الامبراطور الروماني تراجانوس المتوفى سنة ١١٧ بعد المسيح عقب انتصاره على أعدائه

وفي سنة ١٣٧٩ اتحد ( لازارجر بلينانوفتش ) الذي تربع على تخت مملكة الصرب بعد قتل ( اوروك ) مع ( سيسمان ) أمير البلغار على مقاتلة العثمانيين ومحاربتهم لكنهما بعد عدة مناوشات خفيفة تحققا في خلالها عجزها عن مكافحة العساكر الاسلامية أبرما الصلح مع السلطان على أن يتزوج السلطان بنت أمير البلغار وعلى أن يدفع له الاميران خراجا سنويا معيناً

ولما توفي ( البكار بك ) لاله شاهين عين محله ديمورطاش باشا و ينسب الى هذا الوزير تنظيم فرق الخيالة العثمانيين المسماة ( سيباه ) على نظام جديد واختار أن تكون أعلامهم باللون الاحمر الذي لا يزال شعار الدولة العثمانية حتى الآن واقطع كل ثغر منهم جزءاً من الارض بزرعه أصحابه الاصليون مسيحيين كانوا أو مسلمين في مقابلة دفع جعل معين لصاحب الاقطاع وذلك بشرط أن يسكن الجندى في أرضه وقت السلم ويستعد للحرب عند الاقتضاء على نفقته وأن يقدم أيضاً جندياً آخر معه وكان كل اقطاع لم يتجاوز ايراده السنوى عشرين ألف غرش يسمى تيمارا وما زاد ايراده على ذلك يسمى ( زعامت ) وكانت هذه الاقطاعات لا يرثها الا الذكور من الاعقاب واذا انقرضت الذرية المذكور ترجع الى الحكومة وهي تقطعها الى جندى آخر بنفس هذه الشروط

ولاجل أن يكون للسلطان مراد حلفاء بين من بقي مستقلاً من أمراء آسيا الصغرى زوج ولده ( بايزيد ) الملقب بيلدرم أى البرق بنت أمير كرميان وهو قدّم للسلطان مدينة ( كوتاهيه ) الشهيرة بصفة مهر لابنته كما هي عادة الافرنج الآن وفي ابتداء سنة ١٣٨١ ابتدأت الفتوحات ثانياً وأخذت سيرها الاول فلزم السلطان أمير اقليم ( الحميد ) بالتمنازل له عن بلاده وحارب ديمورطاش باشا الصرب والبلغار لتأخيرهما في دفع الخراج المتفق عليه وفتح مدائن ( موناستر ) و ( برليه ) و ( استيب ) و وقعت مدينة صوفيا (١) في قبضة العثمانيين بعد محاصرة استمرت ثلاث سنوات من سنة ١٣٨١ الى سنة ١٣٨٣ وعقب ذلك فتح الصدر الاعظم خير الدين باشا مدينة سلايك الشهيرة (٢) وفي هذه الاثناء تمرد صاووجي أحد أولاد السلطان على والده بالاتحاد مع اندرونيكوس ابن امبراطور الروم حنا باليولوج الذي كان والده حرمه من الملك بعده وأوصى به الى ابنه الاصغر أمانويل وتحزب معهما بعض من أضلهم الطمع والفروغ غير ناظرين الى أن هذا الشقاق الداخلى لا يكون وراءه الا ضعف الدولة وتمكن أعدائهم من الاستظهار عليها لكن لم يدع السلطان الشفقة الوالدية تتغلب عليه بل أرسل لمحاربته ولده المتمرّد من قهره هو وحاز به وقتله وجميع من

- (١) هي عاصمة امارة البلغار الآن وينبغي عدد سكانها خمسين ألف نسمة  
 (٢) مدينة رومية قديمة جدا واقعة في جنوب بلاد مقدونية على بحر الارخبيل كان اسمها ( ترميا ) ثم لما تولى ( كساندر ) التوفي سنة ٢٩٨ قبل المسيح ملكاً أعني بلاد مقدونية أطلق عليها اسم زوجته أخت اسكندر الكبير المسماة ( تسالونيك ) وحرف هذا الاسم على مر الاجيال فصار سالونيك وسلايك وبيتيدي منها الآن طريق حديدي يصل الى الصرب ومنها الى جميع أوروبا



في سنة ١٣٦١ سلمها قائدها الرومي بعد قتال قليل لما داخله من اليأس من استخلاصها ولا أهمية موقعها الجغرافي ووجودها على ملتقى ثلاثة أنهر نقل اليها السلطان تحت المملكة العثمانية واستمرت عاصمة لها الى ان فتحت مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣ وفتح أيضا مدينة (فيلبه) (١) عاصمة الروم الى الشرقية وفتح القائد (افرينوس بك) مدينتي (وردار) و (كلجمينا) باسم سلطان العثمانيين وبذلك صارت مدينة القسطنطينية محاطة من جهة أوروبا بأملاك آل عثمان وفصلت عن باقي الامارات المسيحية الصغيرة التي كانت شبيه جزيرة البلقان مجزأة بينها وصارت الدولة العلية متاخمة لامارات الصرب والبلفار وألبانيا المستقلة

فاضطرب لذلك الملوك المسيحيون المجاورون للدولة العلية وطلبوا من البابا (اوربانوس) الخامس أن يتوسط لدى ملوك أوروبا الغربيين ليساعدوهم على محاربة المسلمين واخراجهم من أوروبا خوفا من امتداد فتوحاتهم الى ما وراء جبال البلقان اذ لو اجتازوها بدون معارضة ومقاومة في مضايقتها لم يقو احد بعد ذلك على ايقاف تيار فتوحاتهم ويخشي بعدها على جميع ممالك أوروبا من العثمانيين فلبى البابا استغاثتهم وكتب لجميع الملوك بالتأهب لمحاربة المسلمين وحرّضهم على محاربتهم محاربة دينية حفظا للدين المسيحي من الفتوحات الاسلامية



اكن لم ينتظر (اوروك) الخامس الذي عين ملكا على الصرب بعد (دوشان) القوى وصول المدد اليه من أوروبا بل استعان بأمرأ بوسنه والفلاخ وبعدد عظيم من فرسان الجربوسار بهم لمهاجمة مدينة (ادرنة) عاصمة الممالك العثمانية معللين النفس بالانتصار على العثمانيين ومؤملين النصر عليهم لاشتغال الملك مراد بمحاصرة مدينة (بيجا) بالقرب من بورصة بأسيا الصغرى فلما وصل خبر تقدمهم الى آذان العثمانيين قابلوهم على شاطئ نهر (ماريترا) وفاجأوهم في ليلة مظلمة بقوة عظيمة ألقت الرعب في قلوبهم وأوقعتهم في حيص بيص ولم يلبثوا الا قليلا حتى ولوا الادبار تاركين الثرى خضبا بدمائهم وكان ذلك في سنة ١٣٦٦ الموافقة سنة ١٣٦٣م اما السلطان مراد فكان في هذه الاثناء مشغولا بالقتال في بلاد آسيا الصغرى حيث فتح عدة مدن ثم عاد الى مقر سلطنته لتنظيم ما فتحه من الاقاليم والبلدان كما هو شأن الفاتح الحكيم الذي لا يكتفي بفتح البلاد وضرب الذلة والمسكنة على سكانها بل كان ينسج على منوال أبيه وجدّه أي يستريح بضع سنين من عناء الفتح ليرتب جيوشه ويكمل من نقص منها مستهددا في ساحة النصر ولما عظم شأن الدولة خشبها مجاوروها خصوصا الضعفاء منهم فارسلت جمهورية (راجوزه) في سنة ١٣٦٥ الى السلطان مراد رسلا أمضوا معه معاهدة ودّية وتجارية تعهدوا فيها بدفع جزية سنوية قدرها ٥٠٠ دوكا ذهب وهذه أول معاهدة أمضيت بين العثمانيين والدول المسيحية

(١) اسمها بالرومية فيليو بوليس أي مدينة فيلب نسبة لمؤسسها فيليب والد الاسكندر الاكبر

عظماً من جنوده لتجذته لكن فاجأ الموت الملك دوشان قبل وصوله بجيوشه الى القسطنطينية وبذلك تخلف الروم من شره وعاد العثمانيون الى بلادهم ولما نزل العثمانيون بساحل أوروبا تحقوا وضعف مملكة الروم وما آلت اليه من الانحلال فأخذ السلطان أورخان في تجهيز الكنايب سرّاً لاجتياز البحر واحتلال بعض نقاط على الشاطئ الأوروبي تكون مركزاً لأعمال العثمانيين في أوروبا حتى اذا سنحت الفرص وساعدت المقادير حاصروا مدينة القسطنطينية براً وبحراً ودخلوها فاتحين وفي سنة ١٣٥٧ اجتاز سليمان باشا أكبر اولاد السلطان أورخان وولىّ عهده وصدر مملكته الاعظم بوغاز الدردنيل ومعه أربعمائة من أشجع جنوده تحت أستار الظلام حتى اذا وصلوا الى الضفة الاخرى قبضوا على ما كان بهما من القوارب وعادوا بها الى الضفة المعسكرة عليها جيوشهم فانتقل الجيش الى الضفة أوروبا وكان عدده ثلاثين ألفاً واحتل ميناء (تزناب) وساعدتهم المقادير بسقوط جزء من أسوار جاليبولي (١) عقب زلزال شديد فدخلها العثمانيون بدون كبير عناء واحتلوا عدة مدائن أخرى منها (إسالا) و (رودستو) وغيرهما

وفي سنة ١٣٥٩ توفي سليمان باشا وولىّ عهد الدولة بسبب سقوطه من على ظهر جواده وصارت ولاية العهد بعده الى أخيه مراد وتولى منصب الصدارة بعده الوزير الدين باشا الذي سميت الإشارة اليه

### ٣ « السلطان الغازي مراد فاته الدول وواقعة قوص اوه »

وفي سنة ٧٦١ هـ الموافق سنة ١٣٦٠ م انتقل الى الدار الآخرة السلطان أورخان الغازي وسنه ٨١ سنة ومدة حكمه ٣٥ سنة بعد ان أيد الدولة بفتوحاته الجديدة وتنظيماته العديدة وترتيباته المفيدة ودفن في مدينة بورصة حيث دفن ملوك آل عثمان الستة الاول وتولى بعده ابنه  السلطان مراد الاول  المولود سنة ٧٢٦ هـ وكانت فاتحة أعماله احتلال مدينة (أنقرة) مقرّ سلطنة القرمات وذلك ان سلطان هذا القلم واسمه علاء الدين أراد انتهاز فرصة انتقال الملك من السلطان أورخان الى ابنه السلطان مراد لاثارة حمية الأمراء المستقلين وتحرّضهم على قتال العثمانيين ليدكوا صروح مجدهم ويقوضوا أركان ملكهم الاخذ في الامتداد بوما فيوما فكانت عاقبة دسائسه ان فقد اهم مدائنه وبعد ضياعها أبرم الصلح مع السلطان مراد ليحفظ ما بقى له من الاملاك وزوجه ابنته لتمكين عرى الاتحاد بينهما أما في أوروبا ففتح البكر بك (لاله شاهين) مدينة ادرنه (٢)

(١) مما يكسب هذه المدينة أهمية عظيمة وقوعها على ضفة بوغاز الدردنيل الذي هو الممر الوحيد بين بحار أوروبا وبحر مرمرة وهي تبعد عن مدينة ادرنة بمائة وأربعين كيلو متر تقريباً  
(٢) واسمها بالرومية (أدرينا بوليس) نسبة الى امبراطور ادرينا الرومي الذي أجرى فيها عدة تحسينات أوجبت اطلاق اسمه عليها وتوفي الامبراطور سنة ١٣٨ م

موقعها وأرسل قواد جيوشه المظفرة لفتح ما بقى من بلاد آسيا الصغرى ففتحوا أهم مدنها وفتح السلطان بنفسه مدينة ازמיד ولم يبق من مدن الروم المهمة بآسيا الا مدينة ازنيك فحاصرها وضيق عليها الحصار حتى دخلها بعد سنتين فسقط بسقوطها نفوذ الروم في بلاد آسيا وبما جذب اليه قلوب الالهالى ان عاملهم باللين والرفق ولم يعارضهم في اقامة شعائر دينهم وأذن لمن يريد المهاجرة باخذ كافة منقولاته وبيع عقارانه مع تمام الحرية في اجرا آتة وأسس بهذه المدينة عدة مدارس وتكيا للفقراء والمعوزين وجعل أكبر أولاده المدعو سليمان باشا حاكما عليها ولم يلبث في هذا المنصب الا قليلا حتى عين صدرا أعظم بعد وفاة عمه علاء الدين واشتهر سليمان باشا بفتح عدة مدن

وفي سنة ٧٣٦هـ الموافقة سنة ١٣٣٦م ضم السلطان اورخان الى ممالك اماره قره سى لوقوع الخلاف بين ولدى أميرها بعد موته ولولا عدم اتفاق الاخوين لما تمكن اورخان من ضمها الا بعد معاناة الحرب والكفاح وفي ذلك موعظة لمن ألقى السمع وهو شهيد وبعد ذلك اشتغل السلطان اورخان بترتيب داخلية وسنّ النظمات اللازمة لاستتباب الامن بالداخل وانتشار العمارة في البلاد وفتح المدارس وبناء الجوامع والتكيا فمن آثاره انه أسس مدرسة عالية في مدينة بورصة وأخرى في مدينة ازنيك واجزل العطايا للشعراء والعلماء فاضاف بذلك خيرات السلم الى فتوحات الحرب

وبينما هورانع في بحبوحة الامن اذا أرسل اليه ملك الروم بالقسطنطينية (١) واسمه (جان باليولوج) في غضون سنة ١٣٥٥ وفداً يطلب منه أن يمدّه بالمساعدة فصدّ اغارات (دوشان) (٢) ملك الصرب الذي بعد ان جمع تحت سلطانه كافة قبائل الصقالبة الغربية وفتح بمساعدتهم بلاد البغار زحف على مدينة القسطنطينية وعرض ملك الروم على السلطان اورخان أن يزوجه ابنته في مقابلة هذه المساعدة فاجاب السلطان طلبه وأرسل اليه عدداً

(١) كانت مدينة رومة وما فتحته من الاقاليم المتسعة مشكلة بيئة جمهورية من ابتداء وجودها الى سنة ٢٩ قبل المسيح فجعلها القائد الشهير (اكتافوس) حكومة امبراطورية وأطلق على نفسه لقب (اوغسطس) أى السامي القدر واستمرت هذه المملكة الى سنة ٣٩٥ ميلادية حيث قسمها الامبراطور ثيودوس بين ولديه الى مملكة رومانية شرقية وجعل مقرها مدينة بيزانطة التي سميت فيما بعد بالقسطنطينية وأقام عليها ابنه (اركايدوس) ومملكة رومانية غربية جعل عاصمتها مدينة رومة وأقام عليها ابنه الثاني (أنوربوس) ثم انقضت الدولة الغربية سنة ٤٧٦ ميلادية بسبب اغارة المتبربرين عليها واستمرت الشرقية الى أن فتح العثمانيون مدينة القسطنطينية في سنة ١٤٥٣ ميلادية

(٢) هو اسطفن دوشان الملقب بالقوى ولد بمدينة اشقودره ببلاد الارنؤد سنة ١٣٠٨ وصار أميراً لبلاد الصرب وملحقاً في سنة ١٣٢٢ وكان بعيد الامال يطمح بنظره الى تكوين مملكة مؤلفة من جميع الصقالبة لفتح القسطنطينية وبقايا مملكة الروم الشرقية فالتحد مع جمهورية البندقية وباقي الامارات الصغيرة المجاورة وكاد يتم له المقصود لولا أن فاجأته المنية في ٢٠ ديسمبر سنة ١٣٥٥ في ابتداء حربه مع الروم فنقلت جثته الي (برزرن) بالقرب من اشقودره حيث دفن في احدى الكنائس المعتبرة لدى القوم ومن بعده تشقت شمل هذه المملكة شيئا فشيئا وتناوبتها أيدي الفساد حتى أجهز العثمانيون عليها في واقعة (قوص اوه) سنة ١٣٨٩ كما سيحيى



نطاقها ودفن في مدينة بورصة وبلغت مدّة حكمه ٢٧ سنة ومن حسن حظ هذه الدولة أن علاء الدين لم يعارض في هذه الوصية التي حرّمته من ملك عظيم بل قبلها مقدّما الصالح العام على الصالح الخاص واكتفى بوزارة المملكة وهي الوظيفة المسماة الآن بالصدارة العظمى التي قلده إياها أخوه أورخان فاخص علاء الدين بتدبير الأمور الداخلية وتفرّغ أورخان للفتوحات ونشر الراية العثمانية على كل ماوصلت إليه يداه من البلاد المجاورة

ومن أهمّ أعمال علاء الدين أن امر بضرب العملة من الفضة والذهب ووضع نظاما للجيش المظفّر وجعلها دائمة إذ كانت قبل ذلك لا تجتمع الا وقت الحرب وتصرف بعده ثم خشي من تحزب كل فريق من الجند الى القبيلة التابع اليها وانقسام عرى الوحدة العثمانية التي كان كل سعيهم في إيجادها فأشار عليه أحد فحول ذلك الوقت واسمه (قره خليل) وهو الذي صار فيما بعد وزيراً أولاً باسم خير الدين باشا باخذ الشان من أسرى الحرب وفصلهم عن كل ما يذكرهم بجنسهم وأصلهم وتربيتهم تربية اسلامية عثمانية بحيث لا يعرفون لهم أباً الا السلطان ولا حرفة الا الجهاد في سبيل الله ولعدم وجود أقارب لهم بين الاهالي لا يخشى من تحزبهم معهم فأعجب السلطان أورخان هذا الرأي وأمر بانفاذه ولما صار عنده منهم عدد ليس بقليل سار بهم الى الحاج بكطاش شيخ طريقة البكطاشية باماسية ليدعو لهم بخير فدعاهم هذا الشيخ بالنصر على الاعداء وقال فليكن اسمهم (بنى تشارى) ويرسم بالتركية هكذا (يكيجارى) أى الجيش الجديد ثم حرف في العربية فصار انكشارى ثم ارتقى هذا الجيش في النظام وزاد عدده حتى صار لا يعول الا عليه في الحروب وكان هو من

اكبر وأهمّ عوامل امتداد سلطة الدولة العثمانية كما انهم خرجوا فيما بعد عن حدودهم وتعدّوا واستبدوا بما جعلهم سبباً في تأخر الدولة وتقهقرها وكان ضباطهم يلقبون بألقاب غريبة في بابها ولكنها تدل على ان أولئك الجنود كانوا عايشين من انعامات الساطان وانهم كاولاده فن ألقابهم شور بجى باشى وعشى باشى وسنا أغلى واوده باشى الى غير ذلك وهذه الألقاب كانت عندهم بمثابة العنوانات الخاصة بالرتب العسكرية ثم انهم كانوا يعظمون ويحجلون القدور التي كانت تقدّم اليهم فيها المأكولات فكان الانكشارية لا يفارقون تلك القدور حتى وقت الحرب وكانوا يدافعون عنها دفاع الجنود عن أعلامهم حتى كان يعتبر ضياعها في القتال أكبر اهانة تلحق باصحابها العار والفضيحة وكانوا اذا أرادوا اظهار عدم الرضا من بعض أوامر رؤسائهم يلقبون القدور أمام منازلهم واستمرت هذه الفئة عوناً للدولة على أعدائها حتى تغيرت أحوالها وازداد طغيانها وانقلب فوائدها مضرات فابطلها السلطان محمود الثاني بعد ان قتل أغلبهم في يوم ١٦ يونيو سنة ١٨٢٦ الموافق ٩ ذى القعدة سنة ١٢٤١ لمقاومتهم اجراآت السلاطين وعصيانهم عليهم وتعدّتهم على حقوقهم المقدّسة

هذا أما أورخان فاول عمل أجراه هو نقل مقر الحكومة الى مدينة بورصة لحسن



آخر السلاجوقيين بقونية قيل قتله التترو قيل قتله ولده غياث الدين طمعاً في الملك ولما قتل التتار غياث الدين أيضاً انفتح المجال لعثمان فاستأثر بجميع الاراضي المقطعة له ولقب نفسه (باديشاه آل عثمان) وجعل مقر ملكه مدينة (يكي شهر) وأخذ في تحصينها وتحسينها ثم أخذ في توسيع دائرة أملاكه فصار الى مدينة ازميزد (١) ثم ازنيك (٢) ولما لم يتمكن من فتحهما عاد الى عاصمته واشتغل في تنظيم البلاد حتى اذا أمن اضطرابها وتجهز للقتال أرسل الى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخبرهم بين ثلاثة أمور الاسلام أو الجزية أو الحرب فأسلم بعضهم وانضم اليه وقبل البعض دفع الخراج واستعان الباقون على السلطان عثمان بالتتار واستدعواهم لتجديدهم لكن لم يعبأ بهم السلطان عثمان بل هبأ لحار بهم جيشاً جراراً تحت امره ابنه أورخان فصار اليهم هذا الشبل ومعه غدد ليس بقليل من أمراء الروم ومن ضمنهم كوسه ميخائيل صديق عثمان الذي اختار الاسلام ديناً وبعد محاربة عنيفة شملت التتار وعاد مسرعاً لحاصرة مدينة بورصة (٣) فحاصرها سنة ٧١٧ هـ الموافقة سنة ١٣١٧ م وللمتكن من فتحها بسهولة هاجم حصن اردنوس السكائن على قمة جبل أولمب (٤) فدخله عنوة ثم دخل مدينة بورصة بعد ان فتح كافة ماحوطها من القلاع والحصون وحاصرها نحو عشر سنوات من غير محارب ولا قتال اذ أرسل ملك القسطنطينية أوامره لعامله على هذه المدينة بالانسحاب فأخلاه ودخلها أورخان وعساكره ولم يتعرض لاهلها بسوء مقابل دفع ثلاثين ألف من عملتهم الذهبية وأسلم حاكمها (افرنوس) وأعطى له لقب بك وصار من مشاهير قواد العثمانيين

## ٢ « السلطان الغازي أورخان الاول »

وعقب ذلك بقليل استدعى أورخان الى والده فوجده في حالة النزع ولم يلبث ان أسلم الروح الى باري السموات ومبدع الكائنات بعد ان أوصى للملك بعده لاورخان ثاني أولاده المولود في سنة ٦٨٠ لا تصافه بعلو الهمة والشجاعة والاقدام ولم يوص بها البكر أولاده علاء الدين لميله الى الورع والعزلة وتوفي رحمه الله في ٢١ رمضان سنة ٧٢٦ هجرية عن سبعين سنة قضى معظمها في تأسيس هذه الدولة الفخيمة الملاحظة بعين العناية الربانية وتوسيع

(١) هي مدينة قديمة يونانية باسيا الصغرى أصل اسمها (نيكوميدس) كانت تختل لمملكة (بوتينيا) واقعة على بحر مرمره ويدخل مينائها أكبر السفن وبها مياه معدنية وعامل للحرير وأنشئت منها سكة حديدية تصل الى بورصة ويبلغ عدد سكانها أربعين ألف نسمة

(٢) مدينة يونانية قديمة باسيا الصغرى أصل اسمها (نيقه) واقعة شرق مدينة بورصة بنحو ٨٠ كيلو متر وهي شهيرة بعمل الخزف والسجاجيد المتقنة

(٣) مدينة باسيا الصغرى شهيرة بمجودة هوائها وجمال مناظرها الطبيعية وبها مياه عديدة شافية لكثير من الامراض ويرحل اليها في زمن الصيف كثير من الاغنياء لترويح النفوس وراحة الابدان

(٤) واسمه بالتركية (اناطولى طاغ) أو (كشيش طاغ) وهو غير جبل اولمبوس الذي كان يعتقد اليونان انه مسكن آلهتهم السكائن بتركية أوروبا على حدود بلاد مقدونية

بإقطاعه عدة أقالم ومدن وصار لا يعتمد في حروبه مع مجاوريه الا عليه وعلى رجاله  
وكان عقب كل انتصار يقطعه أراض جديدة ويمنحه اموالاً جزيلة ثم لقب قبيلته بمقدمة  
السلطان لوجودها دائماً في مقدمة الجيوش وتنام النصر على يديه وفي غضون ذلك تزوج  
عثمان أكبر أولاد طغرل بنت رجل صالح كان رأساً مصادفة عند والدها وعلق بها  
واسكن أبى والدها أن زوجها له فحزن عثمان لذلك وأظهر الصبر والجلد ولم يرغب الاقتران  
بغيرها حتى قبل أبوها بعد أن قص عليه عثمان مناماً رآه ذات ليلة في بيت هذا الصالح  
وهو أنه رأى القمر صعد من صدر هذا الشيخ وبعد أن صار بداراً نزل في صدره أى في  
صدر عثمان ثم خرجت من صلبه شجرة نمت في الحال حتى غطت الاكوان بظلمها ونظر  
أكبر الجبال تحتها وخرج النيل والدجلة والفرات والطونة من جذعها ورأى ورق هذه  
الشجرة كالسيوف يحولها الريح نحو مدينة القسطنطينية

فتفاعل الشيخ من هذا المنام وزوجه ابنته ومع اعتقادنا أن هذا المنام لا بد أن يكون  
موضوعاً كما يضع المؤرخون مثل هذه الاحلام لتعليل ظهور وتقدم كل دولة سواء كان  
في ممالك الشرق أو الغرب قد ذكرناه تيمناً للقائدة وقبل أن يبنى بها كان ظلمها أميراسكى  
شهر فرفض والدها طلبه فحنق على عثمان لما تزوجها وأراد أن يقتل به فهاجمه في قصر  
أحد مجاوريه وطاب من صاحب القصر أن يسلمه اليه فابى ثم خرج عليه عثمان ومن معه  
ورده على عقبه وأسر كوسه ميخائيل أحد من كان معه من الامراء والكثرة اعجاب هذا  
الامير بشجاعة عثمان تعلق به وصار من أخصائه ثم أسلم وبقيت ذريته مشهورة في  
تاريخ الدولة باسم عائلة ميخائيل أوغلى

ولما توفي ارطغرل سنة ٦٨٧ هـ الموافقة سنة ١٢٨٨ م عين الملك علاء الدين أكبر  
أولاده مكانه وهو (عثمان) مؤسس دولتنا العلية العثمانية وفي هذه السنة ولدت زوجته  
مال خاتون ولداً ذكر وهو اورخان ولم يلبث عثمان أن تحصل على امتيازات جديدة عقب  
فتحه قلعة (قره حصار) سنة ٦٨٨ هـ بمجيء الموافقة سنة ١٢٨٩ ميلادية فنحه الملك في  
السنة المذكورة لقب (بك) واقطعه كافة الاراضى والقلاع التي فتحها واجاز له ضرب العملة  
وان يذكر اسمه في خطبة الجمعة وبذلك صار عثمان بك ملكاً بالفعل لاينة قصمه الا للقب  
وفي سنة ١٣٠٠ م تقريباً الموافقة سنة ٦٩٩ هـ اى السنة المتممة للفرن السابع من  
التاريخ الهجرى (١) اغارت جموع التتار على بلاد آسيا الصغرى وفيها كانت وفاة علاء الدين

بالتح الي مملكة آل عثمان

(١) من التواريخ في رأس كل قرن من الهجرة ماهر رجل كان له شأن في التاريخ الاسلامي ففي رأس  
القرن الاول كان ظهور الاسلام وانتشاره بين كفار العرب وفي سنة ٥٩ هـ أى في رأس القرن الثاني تولى الخلافة  
عمر بن عبدالعزيز الاموى المشهور وفي سنة ١٩٧ بويغ بالخلافة للمأمون بن هرون الرشيد وفي أوائل القرن  
الرابع أسس عبد الله المهدي عتبة الفاطميين في إفريقيا وكانت الاربعون سنة التي مكثها القادر بالله  
أبو العباس في الخلافة مشتركة بين القرن الرابع والخامس وفي أوائل القرن السادس ظهر جنكيز خان التتارى

بعد ان بلغت الدولة العباسية أوج التقدّم والمدن في خلافة هرون الرشيد وابنه المأمون الذي ترجمت في أيامه أغلب كتب اليونان وتقدّمت العلوم تحت وارف ظلها تقدّم ما لم تبلغه الدول الإسلامية قبل عصره أخذت الدولة في التدهور شيئاً فشيئاً تبعاً لناموس الحياة الطبيعية الفاضل بالهرم بعد الشيعة سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً واستمر الانحلال يخر عظامها حتى انها سقطت بسقوط دار السلام (١) في قبضة قبائل التتار في ٢٠ محرم سنة ٦٥٦ هجرية وقتلهم الخليفة المستعصم بالله آخر العباسيين ببغداد بعد أن لبثت دولتهم زيادة عن خمسة قرون دعامة التمدن الإسلامي

ومن ثم لم يكن للإسلام بعدها دولة عظيمة تحمي بيضته وتضم أشتاته بل ضاعت وحدته الملكية واستقل كل حاكم بما وكل اليه أمره من العملات واستمر الحال على هذا المنوال الى ان قيض الله للإسلام تأسيس الدولة العلمية العثمانية فجمعت تحت رايتها أغلب البلاد الإسلامية وفتحت كثيراً من الاقاليم التي لم يسبق تحليها بحلمة الدين الحنيفي وأعادت للإسلام قوّته وأعلنت بين الانام كلمته

ومؤسس هذه الدولة هو **أرطغرل** بن سليمان شاه التركاني قائد احدى قبائل الترك النازحين من سهول آسيا الغربية الى بلاد أنشيا الصغرى وذلك انه كان راجعاً الى بلاد العجم بعد موت أبيه غرقاً عند اجتيازه أحد الأنهر اذ شاهد جيشين مشتبكين فوقف على مرتفع من الارض ليمتع نظره بهذا المنظر المألوف لدى الرحل من القبائل الحربية ولما آنس الضعف في أحد الجيشين وتحقق انكساره وخذلانه ان لم يمد اليه يد المساعدة دبت فيه النخوة الحربية ونزل هو وفرسانه مسرعين لتجدة أضعف الجيشين وهاجم الجيش الثاني بقوة وشجاعة عظيمتين حتى وقع الرعب في قلوب الذين كادوا يفوزون بالنصر لولا هذا المدد الفجائي وأعمل فهم بالسيف والرمح ضرباً ووخذاً حتى هزمهم شر هزيمة وكان ذلك في أواخر القرن السابع للهجرة

وبعد تمام النصر علم **أرطغرل** بان الله قد قيضه لتجدة الامير علاء الدين سلطان قونية احدى الامارات السلجوقية التي تأسست عقب انحلال دولة آل سلاجوق بموت السلطان (ملك شاه) في ١٥ شوال سنة ٤٨٥ (١٨ نوفمبر سنة ١٠٩٢ م) (٢) فكافاه علاء الدين على مساعدته له

(١) هي مدينة بغداد ولا أزيدك بها علماً أسسها الخليفة أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين وشرع في تخطيطها سنة ١٤٥ هجرية وأتم بناءها سنة ١٤٩ هـ وهي قائمة على ضفتي نهر الدجلة تبعد عن مصب نهر شط العرب المكون من نهرى الدجلة والفرات في الخليج الفارسي بنحو خمسمائة ميل وقد سمي الجانب الشرقي منها بالرصافة والغربي بالكرخ ثم تمت وارتقت في أيام العباسيين خصوصاً هرون الرشيد والمأمون الذي أنشأ فيها مرصداً فلكياً وبلغ عدد سكانها سنة ٢١٦ هـ نحو مليونين من النفوس

(٢) لما سقطت دولة السلجوقيين تجزأت أملاكهم في بلاد الاناطول الى عشرة امارات صغيرة وهي قرمسي وصاروخان وأيدين وتكه والحيد والقرمان وكرميان وقسطموني ومنتشا وقونية ثم ضمت

وهو سادس عشر العباسيين وآخرهم بالديار المصرية وفي خلافته قصد السلطان الغازي  
 سليم العثماني بلاد الشام ومصر ليفتحها بسبب التجاء أخيه كركود الى مصر واحتجائه عند  
 الغورى كما تراه مفصلا في هذا الكتاب وحصلت موقعة هائلة بين عساكر الغورى  
 والعمانيين بمرج دابق بجوار حلب في يوم الاحد ٢٥ رجب سنة ٩٢٢ (٢٤ اغسطس سنة  
 ١٥١٦) فانتصر العمانيون وقتل الغورى في أثناء القتال ودخل السلطان سليم مصر عقب  
 ذلك في أوائل محرم سنة ٩٢٣ وعقب واقعة مرج دابق أخذ أمير المؤمنين المتوكل ضمن  
 الاسرى فأكرمه السلطان سليم غاية الاكرام وبقي معه الى أن أرسله الاستانة وهناك  
 حصلت المبايعة منه الى السلطان سليم العثماني فانتقلت الخلافة الاسلامية الى ملوك بني  
 عثمان من ذلك التاريخ ولما وصل خبر موت الغورى الى مصر اتفق الامراء بعد جدال  
 وشقاق على تولية الامير طومان باي الثاني فبايعوه بالقلعة يوم الخميس ١٤ رمضان سنة  
 ٩٢٢ (١٠ اكتوبر سنة ١٤١٦) وحضر البيعة أمير المؤمنين يعقوب المستمسك بالله  
 المعزول لوجود ابنه الخليفة الحالى بحلب ضمن أسرى السلطان سليم وكان تولى الخلافة  
 بتوكيل مطلق من ولده المتوكل والقضاة والعلماء وقام طومان باي بمحاربة العثمانيين  
 عدة أشهر ثم هرب والتجأ الى الشيخ حسن بن مرعى أحد مشايخ عربان البحيرة  
 فظهر له الصداقة ثم سلمه الى السلطان سليم فشتمه على باب زويله في يوم الاثنين ٢١  
 ربيع الاول سنة ٩٢٣ (١٣ ابريل سنة ١٥١٧) وبذلك استتب الملك لدولة بني  
 عثمان العلية الشان حفظها الله ملحوظة بعنايته الصمدانية الى آخر الزمان

﴿ انتهت المقدمة ﴾





وتلقب بالملك الظاهر أبي سعيد ثم اختلف طوائف المماليك واقتتلوا ثم اتفقوا على عزل ترمغا  
 فعزلوه في ٦ رجب سنة ٨٧٢ (٣١ يناير سنة ١٤٦٨) وولوا قايتباي الجركسي الاصل ولقب  
 بالملك الاشرف أبي النصر سيف الدين فبدأت الاحوال في مدته وانقطعت الفتنة تقريباً  
 وطالت مدته نحو ثلاثين سنة أنشأ في أثناءها كثيراً من المدارس والتكايا والجامع ببلاد  
 مصر والشام ومكة والمدينة وتوفي في يوم الاحد ٢٧ القعدة سنة ٩٠١ (٦ اغسطس سنة  
 ١٤٩٦) ودفن بالجامع الذي أنشأه بالقرافة ولم يزل موجوداً للآن شهيراً بحسن  
 هندسته ولطافة نقوشه وفي سلطنته توفي الخليفة المستنجد بالله في يوم السبت ٢٤ محرم  
 سنة ٨٨٤ فكانت مدة خلافته خمسة وعشرين سنة تولى السلطنة فيها خمسة سلاطين وهم  
 المؤيد احمد بن اينال والظاهر خورشيدقدم والظاهر بلباي والظاهر ترمغا والاشرف قايتباي  
 وفي يوم ٢٦ محرم سنة ٨٨٤ بويع عبدالعزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله ولقب  
 المتوكل على الله أبو العز وبقي في الخلافة تسعة عشر سنة وأياما وتوفي في ٣٠ محرم سنة ٩٠٣  
 و بويع بعده ابنه يعقوب ولقب المستمسك بالله أبو الصبر وفي خلافة عبدالعزيز بن يعقوب توفي  
 السلطان قايتباي كما مر وتولى ابنة محمد قبل وفاة أبيه بيوم حيث اتفق الامراء والخليفة  
 والقضاة على عزل أبيه بسبب مرضه وعدم قدرته على ادارة الاحوال وتلقب بالملك  
 الناصر أبي السعادات ناصر الدين وكانت أيامه فتن وحروب بين طوائف المماليك كانت  
 نتيجة مقتلهم في ١٥ ربيع الاول سنة ٩٠٤ وتولية أحمد ممالك أبيه الجراكسة مكانه  
 واسمه قانصوه وكان يدعى أنه أخ إحدى حظيات السلطان قايتباي وأم ولده محمد السلطان  
 السابق ولما ولي السلطنة بعد قتل ابن سيده وابن أخته حسب دعواه تلقب بالملك الظاهر  
 أبي سعيد واستمرت الفتن في أيامه مدة سنة وكسور وأخبارا عليه بعض الامراء  
 وحاربوه وانتصروا عليه في ٢٩ القعدة سنة ٩٠٥ فهرب واختفى فانفقوا على خله وتولية  
 الامير جان بلاط الجركسي ملوك قايتباي وبايعوه في ٢ ذي الحجة سنة ٩٠٥ وتلقب بالملك  
 الاشرف أبي النصر وفي السنة التالية شق الأمير طومان باي عليه عصا الطاعة وذهب الى  
 دمشق واتفق مع بعض الامراء على خلع السلطان جان بلاط فعملوا بذلك محضراً بحضور  
 علماء وأمراء دمشق وتسمى بالملك العادل ثم قصد مصر فوصلها في جمادى الاولى سنة ٩٠٦  
 ودخل القاهرة في ١١ منه فتحصن جان بلاط في القلعة وحاصره العادل سبعة أيام ثم دخلها  
 عنوة في ١٨ منه وقبض على جان بلاط وأحضر الخليفة والقضاة فقرروا بعزل جان بلاط  
 وتجديد البيعة الى طومان باي العادل ثم أرسل جان بلاط الى سجن اسكندرية وأقام به الى  
 أن خنق بامر العادل في ٤ شعبان سنة ٩٠٦ وفي أواخر رمضان سنة ٩٠٦ حصلت فتنة بين  
 طوائف المماليك فقر طومان باي واختفى ثم ضبط في ذي القعدة وقتل وعقب فراره تولى  
 الأمير قنصوه الغوري وتلقب بالملك الاشرف في مستهل شوال سنة ٩٠٦ وفي سلطنته عزل  
 الخليفة المستمسك بالله يعقوب حوالي سنة ٩٢١ و بويع ابنه محمد وتلقب بالمتوكل على الله

الاشرف أبي النصر وهو الثامن من ملوك الجراكسة والثاني والثلاثين من ملوك الترك وهو الذي استخلص جزيرة قبرص من الافرنج سنة ٨٢٥ وبني الجامع الكائن ببول الغورية وآخر بحيانة المجاورين وهو الذي دفن به وأنشأ جامعاً وخانقاه بسرياقوس وتوفي في ١٣ ذي الحجة سنة ٨٤١ (٧ يونيو سنة ١٤٣٨) وتولى بعده ابنه يوسف وعمره أربعة عشر سنة وتلقب بالملك العزيز أبي المحاسن جمال الدين ولصغر سنه تولى إدارة الامور الانابكي جقمق أحد ممالك الظاهر برقوق فطمع في الملك وخلع الملك العزيز في ١٩ ربيع الاول سنة ٨٤٢ (٩ سبتمبر سنة ١٤٣٨) وتولى هو مكانه ولقب بالملك الظاهر أبي سعيد جقمق وهو عاشر ملك من ممالك الجراكسة

وفي أيامه توفي أمير المؤمنين المعتضد بالله في ٤ ربيع الاول سنة ٨٤٥ وبويع بعده أخوه سليمان ثالث من تولى الخلافة من أولاد المتوكل وتلقب بالمستكفي بالله وقد بايع أمير المؤمنين المعتضد في مدة خلافته وهي ثمانية وعشرين سنة وكسور ستة سلاطين المظفر احمد بن المؤيد شيخ والظاهر ططر وابنه والاشرف برسباي وابنه والظاهر جقمق وتوفي المستكفي في ٢ محرم سنة ٨٥٥ وبويع بعده أخوه حمزة رابع أولاد المتوكل ولقب القائم بأمر الله وفي خلافته مرض الملك الظاهر جقمق فاستقال من السلطنة في ٢١ محرم سنة ٨٥٧ وولى ابنه عثمان وتلقب بالملك المنصور أبي السعادات نحر الدين ثم توفي الظاهر جقمق في ٤ صفر سنة ٨٥٧ (١٤ فبراير سنة ١٤٥٣) ولم تدم سلطنة المنصور عثمان الا نحو شهر ونصف اذ عزله الانابك اينال العلاني أحد ممالك الظاهر برقوق في ٨ ربيع الاول سنة ٨٥٧ (١٩ مارس سنة ١٤٥٣) بعد حرب استمرت بين ممالك الطرفين مدة اسبوع وتولى اينال مكانه وتلقب بالملك الاشرف أبي النصر سيف الدين وفي رجب سنة ٨٥٩ خلع السلطان الخليفة المستكفي وبايع أخاه يوسف خامس أولاد المتوكل في ١٣ من هذا الشهر ولقبه بالمستجد بالله أبي المحاسن وهو ثالث عشر خلفاء العباسيين بمصر وفي خلافته توفي السلطان الاشرف اينال في ١٥ جمادى الاولى سنة ٨٦٥ (٢٦ فبراير سنة ١٤٦١) وتولى بعده ابنه احمد وتلقب بالملك المؤيد أبي الفتح شهاب الدين وعزل بعد اربعة أشهر عزله بعض الامراء المماليك في ١٧ رمضان سنة ٨٦٥ (٢٦ يونيو سنة ١٤٦١) وولوا بعده خوسه قدم ملوك المؤيد شيخ وأصله رومي الجنس وتلقب بالملك الظاهر أبي سعيد سيف الدين ثم توفي خوسه قدم في ١٠ ربيع الاول سنة ٨٧٢ (١٩ اكتوبر سنة ١٤٦٧) تاركا ولدين اسكن لم يتفق الامراء على تعيين أحدهما بل ولوا الامير بلباي ملوك المؤيد شيخ وتلقب بالملك الظاهر أبي النصر سيف الدين وكان جركمي الاصل ولم يحكم في السلطنة الا نحو شهرين ثم وقعت فتنة بين ممالك السلطان اينال وممالك المؤيد شيخ الذين منهم بلباي أدت الى خلع بلباي في ٧ جمادى الاولى سنة ٨٧٢ (٤ ديسمبر سنة ١٤٦٧) وتولية عمر بغا لرومي اجلس ملوك الظاهر جقمق فبايعه الخليفة والقضاة والامراء

ودخل القاهرة في يوم الاربع ١٤ صفر سنة ٧٩٢ وبقي في السلطنة الى أن مات في فراشه في ١٥ شوال سنة ٨٠١ وتولى بعده ابنه الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج وفي مدته وصل تيمورلنك الى بلاد الشام وفتح حلب ودمشق وارتكب فيهما هو وعسكره مالا يوصف من أنواع المظالم وانتصر على السلطان يازيد العثماني ابن مراد كما استراه مفصلاً في هذا الكتاب ثم حصل خلاف بين السلطان الناصر وبعض أمراءه فاختفى في سنة ٨٠٨ وولى أخوه الملك المنصور عز الدين أبو العز عبد العزيز وجلس على سرير الملك في ٢٦ ربيع الاول سنة ٨٠٨ وبعد شهرين ظهر أخوه الناصر واستولى على الامارة ثانياً وقبض على أخيه المنصور عز الدين وسجنه في الحريم وجلس هو على السرير في ٤ جمادى الآخرة سنة ٨٠٨

وبعد ذلك توفي الخليفة محمد المتوكل في ٢٨ رجب سنة ٨٠٨ وبويع بعده بكر أولاده أبو العباس وتلقب المستعين بالله وفي سنة ٨١٥ عصى الأمراء على الملك الناصر ببلاد الشام بزعامه الأمير نوروز الحافظي والأمير شيخ الحمودي فسار الناصر لمحاربتهم فانتصر وأعليه في حرم وسجنوه ثم قتلوه بدمشق في ليلة السبت ٦ صفر ولعدم اتفاقهم على من يعين خلفاً له منهم اتفقوا أخيراً حسماً للنزاع على تعيين الخليفة المستعين بالله سلطاناً فجمع بين السلطنة الدينية والدنيوية وبايعوه في ١٧ محرم سنة ٨١٥ بشرط أن يكون الأمير نوروز نائباً على جميع بلاد الشام والأمير شيخ الحمودي نائباً بمصر لكن لم يلبث الأمير شيخ ان طمع في الملك فعزل المستعين من السلطنة وأبقاه في الخلافة فقط كما كان قبلاً وتولى الأمير شيخ السلطنة في أول شعبان سنة ٨١٥ وتلقب بالمؤيد أبي النصر وهو من ممالك الظاهر برقوق . ثم عزل المستعين من الخلافة وأرسله الى اسكندرية فاقام بها الى أن توفي في ٢١ جمادى الآخرة سنة ٨٣٣ ولما عزل بويع بعده أخوه داود ولقب المعتضد بالله

هذا ولما استبد المؤيد بملك مصر عصاه الأمير نوروز نائب بلاد الشام فخار به المؤيد وقبض عليه وقتله وبذلك صار له ملك مصر والشام معاً كما كان لسلفائه وتوفي المؤيد في ٩ محرم سنة ٨٢٤ ( ١٤ يناير سنة ١٤٢١ ) ودفن بجامعه الذي أنشأه داخل باب زويلة أمام حمام السكرية وولى ابنه الملك المنظر أبو السعادات احمد وعمره سنة واحدة وعثمانية اشهر وعين الاتاكي ططر نائباً عنه فعزله في ٢٩ شعبان سنة ٨٢٤ ( ٢٩ اغسطس سنة ١٤٢١ ) وتولى هو مكانه ولقب بالظاهر سيف الدين أبي سعيد ططر وهو من ممالك الظاهر برقوق ثم سجن الملك المنظر بن المؤيد باسكندرية الى أن مات سنة ٨٣٣ وعمره نحو احدى عشرة سنة ولم تطل مدة الظاهر ططر بل توفي في ٤ ذى الحجة سنة ٨٢٤ ( ٣١ نوفمبر سنة ١٤٢١ ) وتولى بعده ابنه محمد وعمره احدى عشرة سنة وتلقب بالملك الصالح ناصر الدين ثم عزله الأمير برسباي الدقاقي أحد ممالك الظاهر برقوق في ٨ ربيع الآخر سنة ٨٢٥ ( ١١ ابريل سنة ١٤٢٢ ) وسجنه الى أن مات سنة ٨٣٣ وتولى هو مكانه وتلقب بالملك



أخوه الأشرف علاء الدين كجك وخلع في هذه السنة وتولى بعده أخوه الناصر شهاب الدين أحمد في شوال سنة ٧٤٢ وخلع كذلك في محرم سنة ٧٤٣ وتولى بعده أخوه الملك الصالح علاء الدين أبو القداء اسمعيل رابع أولاد الناصر ولم يخلع كاخوته بل توفي في ١١ ربيع الأول سنة ٧٤٦ وتولى بعده أخوه الملك الكامل شعبان خامس أولاد الناصر وخلع ثم قتل في أوائل جمادى الآخرة سنة ٧٤٧ وتولى بعده أخوه المظفر حاجي ثم قتل كغالب اخوته في رمضان سنة ٧٤٨ وبويع بعده أخوه الملك الناصر أبو المحاسن حسن في ١٤ رمضان وهو صاحب الجامع العظيم الكائن بالقرب من القلعة وعزل أولًا في ١٧ جمادى الآخرة سنة ٧٥٢ وبويع أخوه الملك صلاح الدين صالح ثامن أولاد الناصر محمد ابن قلاوون في يوم الاثنين ١٨ منه وهو آخر من ولي السلطنة من أولاده وفي مدته توفي الخليفة الحاكم سنة ٧٥٤ وحصلت البيعة لابنه أبي بكر المعتضد بالله وهو خامس العباسيين في مصر وبقيت خلافته لسنة ٧٦٣ وفي خلالها عزل الملك صلاح الدين صالح في يوم الاثنين ثاني شوال سنة ٧٥٥ وحجز في دار الحریم الى أن توفي سنة ٧٦٢ وأعيد أخوه الملك الناصر حسن الذي سبق عزله في جمادى الآخرة سنة ٧٥٢ ثم قتل في يوم الاربعاء ٩ جمادى الاولى سنة ٧٦٢ وتولى الملك المنصور محمد ابن أخيه الملك المظفر حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون وهو الحادى والعشرين من ملوك الترك بمصر

وبعد سنة من توليته توفي الخليفة المعتضد بالله أبو بكر في ليلة الاربع ١٨ جمادى الآخرة سنة ٧٦٣ وعهد قبل وفاته بالخلافة لولده محمد فبايعه السلطان وتلقب بالمتوكل على الله وفي خلافته عزل السلطان الملك المنصور محمد في ٤ شعبان سنة ٧٦٤ وولى الملك الأشرف أبى المعالى زين الدين شعبان بن مجد الدين حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ثم قتل الملك الأشرف في ذى القعدة سنة ٧٧٨ وتولى ابنه الملك المنصور علاء الدين على وعمره سبع سنين وأشهر وتوفي في ٢٣ صفر سنة ٧٨٣ ولم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره وولى بعده أخوه الملك الصالح أمير حاج وهو آخر بنى قلاوون خلعه الاتابكي برقوق باتفاق مع الخليفة المتوكل والقضاة وشيخ الاسلام في يوم الاربع ١٩ رمضان سنة ٧٨٤ وتولى السلطنة الاتابكي برقوق ولقب بالظاهر سيف الدين أبى سعيد وبتوليته انتهى ملك بنى قلاوون بعد ان لبثت السلطنة في قلاوون وذريته مدة مائة سنة وثلاثة ابتدأت دولة المماليك الجراكسة وفي سلطنته قبض على الخليفة المتوكل في سنة ٧٨٥ وخلعه وسجنه وبايع الخليفة الواثق بالله عمر ثم عزله في سنة ٧٨٨ وبايع أخاه زكريا ابراهيم وعزله في يوم الاحد ٥ جمادى الاولى سنة ٧٩١ وأعاد الخليفة المتوكل ثانيًا بعد ان لبث في السجن متقيد بالحديد نحو خمس سنين وبعد ذلك بشهر خلع الامراء الظاهر برقوق في ٥ جمادى الثانية وأعيد الملك الصالح أمير حاج آخر بنى قلاوون ثانيًا وتلقب بالمنصور وبعد بضع شهور عزل ثانيًا في صفر سنة ٧٩٢ وبقي محجوزًا في دار الحریم الى أن مات في ١٩ شوال سنة ٨١٤ وعاد الملك الظاهر برقوق

دولة المماليك  
الجراكسة



ودفن بها وتولى بعده ابنه الملك السعيد أبو المعالي محمد وما يذكره التاريخ للسلطان الظاهر انه استرد أغلب بلاد الشام التي كانت باقية مع الافرنج وأهمها انطاكية ويافه وحلب وطرسوس وطبرية وصفد وغيرها وضم للملك مدائن دمشق وبلبيك وبيت المقدس وكثير غيرها ثم خلع الملك السعيد في ربيع أول سنة ٦٧٨ وتولى أخوه الملك العادل سيف الدين ابن الظاهر بيبرس وكان القائم بتدبير مملكته الواسعة قلاوون الالقي من ممالك الصالح نجم الدين أيوب فخلع السلطان في ١٢ رجب سنة ٦٧٨ وتمدد هو الملك اغتصابا وتقلب بالمنصور سيف الدين واستقامت له الاحوال ولم يحجر أحد على خلعه كما خلع أولاد الظاهر بيبرس لاقبائهم عدة آلاف من الممالك واسكانهم في ابراج القلعة ولذلك أطلق عليهم اسم البرجية وتوفي السلطان قلاوون في ٦ ذى القعدة سنة ٦٨٩ وولى بعده ابنه صلاح الدين خليل واقب بالاشرف وهو الذي هدم قبور الخلفاء الفاطميين وبنى مكانها الخان المسمى للآن بالخان الخليلي بقرب المشهد الحسيني وقتل الاشرف في المحرم سنة ٦٩٣ وتولى بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون في ١٨ منه وعمره تسع سنين وكسور ثم خلع الناصر بعد سنة في ١١ محرم سنة ٦٩٤ وتولى بعده كتيبغا أحد ممالك أيه قلاوون وتلقب بالعادل وهو العاشر من ملوك الاتراك وخلع في نصف صفر سنة ٦٩٦ وخلقه حسام الدين لاجين وهو أيضاً من ممالك قلاوون وتلقب بالمنصور وقتل في ١٠ ربيع الآخر سنة ٦٩٨ وأعيد الناصر محمد بن قلاوون واستمر في الملك هذه الدفعة الى سنة ٧٠٨ وفيها خلع نفسه من المملكة لاستئثار الامراء بالاحكام قهر اعنه وترك الديار المصرية وأقام بالكرك وبويع بعده ركن الدين بيبرس وتلقب بالمظفر وذلك في ٢٣ شوال سنة ٧٠٨ وفي السنة التالية اتفق باقي الامراء على عزله واعادة الملك الناصر ثالثا وكتبوا له بذلك فعاد الى القاهرة ودخلها في موكب حافل يوم الخميس ٢ شوال سنة ٧٠٨ واستمر هذه الدفعة في الملك الى أن توفي ليلة الخميس ٢٠ ذى الحجة سنة ٧٤١ وهو الذي أمر بحفر الخليج الناصري الذي يخترق القاهرة للآن وخلف أحد عشر ولدا غير البنات تولى منهم السلطنة ثمانية وهم أبو بكر وأحمد وكجك وشعبان واسماعيل وحاجي وحسن وصالح وفي آخر مدته غضب على الخليفة المستكفي ونفاه الى مدينة قوص بالصعيد في سنة ٧٣٨ وأقام بها الى أن توفي في شعبان سنة ٧٤٠ معهدا بالخلافة بعده لابنه أبي العباس أحمد لكن لم يتبع السلطان الناصر هذا العهد بل بايع أبو اسحق ابراهيم ابن أخ المستكفي ولقبه الوائق بالله ولما توفي الناصر وتولى بعده ابنه الملك المنصور سيف الدين أبو بكر خلع الوائق بالله في المحرم سنة ٧٤٢ وبايع أبا العباس أحمد بن المستكفي الذي كان عهد اليه أبوه بالخلافة ولقب الخالك بأمر الله وبقي في الخلافة الى أن مات سنة ٧٥٤

هذا ولندكر ما حصل في ملك مصر في هذه الاثناء فنقول ولي مصر وملحقاتها بعد الناصر محمد بن قلاوون ابنه المنصور أبو بكر ثم قتل في صفر سنة ٧٤٢ وتولى بعده

نجا من العباسيين ثم وصل التتر الى بلاد الشام وأخربوها واضمحل الاسلام وتفرقت أجزاؤه الى أن ظهرت دولة العثمانيين بالاناضول فاعادت اليه رونقه السابق وضمت ما تفرق من ممالكه وصارت هي الدولة الوحيدة الاسلامية أمام العالم الاوروني وسترى في هذا الكتاب مالاقته في سبيل تقدمها من الموانع وذلته من العقبات مع بيان أسباب ارتقاءها وانحطاطها وما وصلت اليه في هذه الايام من التأخر والتقهقر

ثم أخذ التتر يتقدمون الى جهات الشام ففتحوا اغلب مدنه ونهبوها وقتلوا أهلها حتى خيف على مصر من وصول أذاهم اليها ولذلك أجمع الامراء على عزل سلطانها نور الدين على لصغر سنه وعدم قدرته على صدهجمات التتر فعزل في يوم السبت ١٧ ذى القعدة سنة ٦٥٧ وولى مكانه المظفر سيف الدين قطز المعزى وهو مملوك المعز أليك التركمانى ثم قتل قطز المذكور بعد سنة قتله ركن الدين بيبرس البندقدارى في ١٥ ذى القعدة سنة ٦٥٨ وخلفه في الملك وتلقب بالظاهر وهو من ممالك الملك الصالح نجم الدين أيوب وفي أيامه وفد الى مصر الامام احمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله في ١٩ رجب سنة ٦٥٩ وأثبت نسبه بحضور الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الاسلام فبايعه الظاهر بيبرس بالخلافة ولقب المستنصر بالله وبايعه الخليفة بالسلطنة وفوض اليه امور البلاد فعاادت بذلك الخلافة الى الاسلام بعد انقطاعها نحو ثلاث سنوات ثم جمع الظاهر جيشا وارسله مع الخليفة المستنصر الى بغداد فخاربه التتر في الانبار في اواخر سنة ٦٥٩ وهزموا من كان معه من الجند ولم يوقف للخليفة على أثر بعد ذلك

وبعد انقطاع خبره اتى الى مصر في سنة ٦٦٠ الامام احمد بن علي بن أبى بكر ابن الخليفة المسترشد ابن الخليفة المستظهر وثبت نسبه بحضور العلماء فبايعه الظاهر على أن تبقى الاحكام بيده ولقب بالحاكم بأمر الله ثم أمر الظاهر بان ينقش اسم الخليفة مع اسمه على العملة ويذكر اسمه في الخطبة قبل اسم السلطان وأقام الخليفة بمصر وصارت القاهرة مقراً للخلفاء العباسيين الى أن انتقلت الخلافة الى العثمانيين في سنة ٩٢٣ كما سيحكي عوالمناكم بأمر الله هو أول العباسيين بمصر لان احمد المستنصر لم يقيم بها بل كان يقصد ارجاع الخلافة لبغداد كما كانت حال التتر ذون مشروعه وطاات خلافة الحاكم بأمر الله بمصر مدة اربعين سنة تقريباً وتوفى في ١٨ جمادى الاولى سنة ٧٠١ هجرية ودفن بعشيد السيدة نفيسة رضي الله عنها (١)

وبويع بعده ابنه المستكفي بالله أبو الربيع سليمان وهو ثاني العباسيين بمصر وفي أثناء هذه الاربعين سنة ظهرت الدولة العثمانية ببلاد الاناطول سنة ٦٩٩ وتعاقب ستة سلاطين على مصر وملحقاتها فنوفى الظاهر بيبرس في ١٨ محرم سنة ٦٧٦ بقرب دمشق

(١) وهي السيدة نفيسة بنت الامام حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب أتت من مكة الى مصر مع زوجها اسحق بن جعفر الصادق وأخذ عنها الامام الشافعي الحديث وتوفيت بمصر في رمضان سنة ١٠٨

بدميسة أخية الملك الصالح أيوب ووصل الصالح الى مصر في ٢٤ منه واستقر بها واستمر  
 الملك العادل مسجوناً الى أن توفي سنة ٦٤٥ وفي هذه الاثناء تقدم التتر في بلاد الاسلام  
 وامتلكوا جميع بلاد فارس ووصلت طلباتهم الى العراق وفي ١٠ جمادى الآخرة سنة ٦٤٠  
 توفي الخليفة المستنصر بالله أبو جعفر المنصور وبويع بعده ابنه أبو احمد عبد الله ولقب  
 المستعصم بالله وهو الثامن والثلاثين من بني العباس بعد عبد الله بن المعتز والسابع  
 والثلاثين لو أسقط بن المعتز من عدادهم والمستعصم بالله هو آخر من ولى الخلافة الاسلامية  
 من العباسيين ببغداد وفي خلافته انتصر الصالح أيوب على الافرنج بقرب غزة سنة ٦٤٢  
 هجرية (سنة ١٢٤٤ م) واستخلص مدينة القدس التي كان سلمها الملك الكامل  
 اليهم سنة ٦٢٦ فلولوا أنظارهم الى القطر المصري وأتى اليه لويس التاسع ملك فرنسا  
 ومعه جيش عظيم واحتل ثغر دمياط بدون كثير عناء في ٢١ صفر سنة ٦٤٧ (٥ مايو  
 سنة ١٢٤٩) فتحصن الصالح أيوب في المنصورة لردهم عن القاهرة وفي أثناء الاستعداد  
 للقتال توفي الصالح في ليلة الاحد ١٤ شعبان سنة ٦٤٧ فاخفت زوجته شجرة الدر خبر  
 موته الى أن حضر من الشام ولده توران شاه الذي خلفه في ملك مصر وفي أوائل محرم سنة  
 ٦٤٨ (ابريل سنة ١٢٥٠) انتصر المسلمون على الافرنج بقرب المنصورة وأخذوا ملك  
 فرنسا أسيراً مع كثير من أمراء الفرنساويين وحجز الملك في دار نحر الدين بن لقمان كاتب  
 الانشاء ووكل به طواشي يسمى صليح

و بعد ذلك بقليل قتل توران شاه بفارسكور في ٢٨ محرم سنة ٦٤٨ قتل ركن الدين  
 بيبرس احد المماليك الذين جمعهم والده السلطان الصالح لحراسته وسماه البحرية واتفقوا على  
 تولية أمه شجرة الدر فخطب باسمها ثم في صفر حصل الاتفاق بين المسلمين وملك فرنسا  
 على اطلاقه من الاسر بشرط رد مدينة دمياط اليهم فدخلها المسلمون في صفر سنة ٦٤٨  
 مايو سنة ١٢٥٠) ونزل ملك فرنسا الى البحر مع من بقي من رجاله في اليوم التالي عائدين  
 الى بلادهم وبذلك انتهت الحروب الصليبية وبقي بيت المقدس في يد المسلمين الى الان  
 هذا ثم عزلت شجرة الدر وولى مكانها المعز ايبيك التركياني مملوك زوجها السلطان  
 الصالح وهو أول المماليك البحرية في ٣٠ جمادى الآخرة سنة ٦٤٨ وتزوج شجرة الدر  
 وبذلك انتهى ملك الايوبيين بمصر ثم قتل بايعاز شجرة الدر في ٢٣ ربيع الاول سنة ٦٥٥  
 فلم يوليها المماليك بل ولوا نور الدين علي بن المعز أيبيك وحبسوا شجرة الدر ثم قتلوها في  
 ١٦ ربيع الآخر سنة ٦٥٥ وكانت تركية وقيل أرمنية

وفي أثناء ذلك تقدم التتر نحو بغداد تحت امرة هولاكو خان حفيد جنكيز خان ودخلوها  
 عنوة في ٣٠ محرم سنة ٦٥٦ وقتلوا الخليفة المستعصم وكل من قبضوا عليه من بني  
 العباس والامراء والعلماء وكان دخولهم اليها بدميسة الوزير مؤيد الدين بن العلقمي  
 فالتهمت دولة العباسيين ببغداد بعد ان استمرت خمسمائة اربعة وعشرين سنة وتشتت من



( ٨ سبتمبر سنة ١٢٢١ ) وأقيمت شعائر الاسلام في جوامعها كما كانت عليه قبل هذا وفي أول شوال سنة ٦٢٢ توفى الخليفة الناصر لدين الله وكانت مدته نحو سبعة واربعين سنة وكان مستقلا بالعراق صارفا همته للمحافظة عليه ولم يحارب الا فرنج أصلا وفي مدته ظهر التتر وخرجوا من بلادهم الواقعة غرب بلاد الصين في سنة ٦١٧ هجرية تحت قيادة رئيسهم جنكيزخان فقصودوا أولا بلاد خوارزم وفتحوها وملكوا بخارى وسمرقند وغزنة بعد محاربات عنيفة ثم سارت فرقة الى بلاد الروس الشمالية وملكوها وبقيت في ملكهم الى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد ويقال ان الخليفة الناصر هو الذي استدعاهم من بلادهم لمحاربة خوارزمشاه فخر بذلك على الاسلام اجمع من المناصب مالم يطرأ عليه أبدا لانهم كانوا يقتلون المسلمين ويسبون نساءهم ويخربون الجوامع ويحرقون الكتب النفيسة ويرتكبون أنواع المنكرات جهارا

وبعد موت الخليفة الناصر لدين الله بويع ابنه أبو النصر محمد ولقب الظاهر بامر الله ولم تطل مدته فانه توفى في ١٤ رجب سنة ٦٢٣ وبويع بعد موته ابنه أبو جعفر المنصور ولقب المستنصر بالله وفي خلافته أخذ أمر الاسلام في الضعف بعد ان بلغ من القوة مبلغا عظيما حتى استخلصوا مدينة القدس من الافرنج وسبب هذا الضعف انقسام أولاد صلاح الدين الايوبي واخبرته ومحاربتهم بعضها طمعا في امتلاك مدينة أوقرية غير ناظرين الى الاجانب المحتلين بعض بلاد الشام يتربصون الفرص للاتقضاء عليهم واسترجاع مدينة القدس ثانيا فلما توفى الملك المعظم بن الملك العادل بن أيوب في ذي القعدة سنة ٦٢٤ صاحب دمشق وخلق له ابنه الناصر داود أحمد الملك الكامل صاحب مصر وأخيه الملك الأشرف على انزع دمشق من يد الناصر ابن أخيه المعظم وليتكن الكامل من التفرغ لمحاربة الناصر ويأمن جانب الافرنج في أثناء محاربتة له كاتب الامبراطور فريديك امبراطور الالمان وصاحب ضغينة على أن يهادنه ست سنوات ويسلمه مدينة القدس وبعض المدن الاخرى بشرط عدم التعرض للجامع الأقصى ولا لجميع المسلمين وانفق مع الامبراطور على ذلك وسلمه مدينة القدس في ربيع الاخر سنة ٦٢٦ ( مارث سنة ١٢٢٩ ) بدون حرب مع ان الملك الناصر صلاح الدين بذل النفس والنفيس في استخلاصها منهم سنة ٥٨٣ وسلمها هو اليهم غنيمة باردة ليحارب ابن أخيه ويتزع بعض بلاده منه وبعد ان تم تسليم القدس الى الافرنج بهذه الكيفية التي تلحق العار بالملك الكامل مدى الدهر وتسود مخائف تاريخه جمع جيوشه حول مدينة دمشق واستولى عليها في جمادى الاولى فتمت له أمنته ونال بغيته بعد ان ضحى البلاد التي صرف صلاح الدين عمره في استخلاصها من يد الافرنج فانظر أمها القاريء الى نتيجة الانقسام أمام العدو وبند الاتحاد والتضافر ظهر يا ثم قضى الملك الكامل بتيمة عمره في محاربة اخوته وأقاربه ومات في ٢١ رجب سنة ٦٣٥ فعين الجنود الامراء بعده ابنه الملك العادل فأتى الى مصر لكن لم تطل مدته بل قبض عليه في ٨ ذي القعدة سنة ٦٣٧



في ١١ شوال سنة ٥٦٩ استولى صلاح الدين على أغلب بلاده وأقطعها لآخوته وأولاد عمومته وفتح كثيراً من البلاد التي ملكها الفرنج حتى لم يبق لهم الا مدينة القدس وبعض قرى صغيرة وفي ٢ القعدة سنة ٥٧٥ توفي الخليفة المستضيء وبويع ابنه الناصر لدين الله وفي خلافته استرد صلاح الدين الايوبي أغلب البلاد التي كانت في يد الفرنج واستخلص منهم القدس الشريف ودخله يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ (١٢ أكتوبر سنة ١١٨٧) واستمر على الفتح والغزو الى أن مات بدمشق يوم الاربع ٢٦ صفر سنة ٥٨٩ (٣ مارس سنة ١١٩٣) وبموته تفرقت أملاكه وانقرط عقد انظمامها واستقل كل من أولاده وكانوا سبعة عشر مجزء منها فاستقل بمصر الملك العزيز عماد الدين عثمان واستقل الافضل نور الدين على بدمشق فضعف حال الاسلام بعدما بلغه من القوة أيام الناصر صلاح الدين الايوبي ثم وقع الخلاف بين أولاده وطمع كل منهم فيما في يد أخيه ولو بالحرب والقتال فاتحد العزيز صاحب مصر مع عمه العادل صاحب الكرك على محاربة الافضل صاحب دمشق فأربوه وأخرجوه منها وبقي فيها العادل وعاد العزيز الى مصر مكتفياً بالخطبة والسكة ثم توفي الملك العزيز في محرم سنة ٥٩٥ وخلفه ابنه الملك المنصور وكان عمره تسع سنين ولصغر سنه ارتأى أمراء الدولة استدعاء أحد أمراء بني أيوب ليكون وزيراً له فاختاروا الافضل الذي كان صاحب دمشق وكاتبوه فخره سرعاً ثم قصد دمشق الانتقام من عمه الملك العادل واتحد مع أخيه الظاهر صاحب حاب على محاربة العادل فأحاصه دمشق مدة ثم وقع الخلاف بينهما وعاد كل منهما الى بلاده فتبع العادل الافضل وجيوشه الى مصر وهزمه وأكرهه على الخروج منها وصار هو وزيراً للملك المنصور بن العزيز ثم غدر بالمنصور وأخرجه من مصر سنة ٥٩٩ واستقل هو بمصر ودمشق وماحوطا وضار له أغلب بلاد أخيه الناصر صلاح الدين وبقي ملكه في ازدياد وشأته في ارتقاء الى أن توفي في ٧ جمادى الآخرة سنة ٦١٥ وعمره خمسة وسبعين سنة قضاه في محاربة الافرنج وصد غاراتهم عن بلاد الاسلام وخلفه في مصر ابنه الملك الكامل وفي دمشق الملك المعظم عيسى وخلفه من البنين ستة عشر ولداً غير البنات

وفي ١٠ رمضان سنة ٦١٥ (٣٠ نوفمبر سنة ١٢١٨) ضايق الافرنج الصليبيون ثغر دمياط وفتحوه عنوة وجعلوا الجامع كنيسة فابتنى الملك الكامل قلعة حصينة بالقرب منها سماها المنصورة (وهي مدينة المنصورة مركز مديرية الدقهلية الان) ليراقب حركات الافرنج ويمنع تقدمهم داخل الديار المصرية فلم يجسر الصليبيون على مهاجمتها ولبثوا ينتظرون المدد من بلادهم الى ان ارتفعت مياه النيل في صيف سنة ٦١٨ فقطع المسلمون جسوره وطفى الماء على معسكر الافرنج وحال بينهم وبين دمياط قاعدة أعمالهم وصاروا في ضيق شديد فاخذوا يخاربون الملك الكامل على أن يردوا اليه ثغر دمياط بشرط أن لا يفتك بهم فقبل الكامل بذلك وسلمت اليه مدينة دمياط في ١٩ رجب سنة ٦١٨

المهدي والقائم والمنصور والمعز والعزير والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي  
والأمر والحافظ والظافر والفائز والعاقد وصارت الخلافة للعباسيين بدون منازع ولم  
تفترق الخلافة الى الآن وستبقى كذلك بفضل الله ولما توفى نور الدين زنكي في ١١ شوال  
سنة ٥٦٩ خلفه صلاح الدين على الشام والجزيرة وجميع البلاد التي كانت تابعة لنور  
الدين واشتغل بمحاربة الافرنج فانتصر عليهم في عدة مواقع وأخذ منهم مدينة القدس  
ودخلها في ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ (١٢ أكتوبر سنة ١١٨٧)

هذا ولترجع الى ذكر آل السلاجوق فنقول ان السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه توفى  
في شوال سنة ٥٢٥ وعين بعده ابنه محمود بخاربه عمه مسعود واستمرت الحروب بينهما مدة  
كان الفوز فيها لمسعود فلما كان في ١٧ ذي القعدة سنة ٥٢٩ قتل جماعة من  
الباطنية الخليفة المسترشد أثناء محاربة وقعت بينه وبين مسعود الساجوق في المتقدم ذكره  
وبويع بعده أبو جعفر المنصور ولقب بالراشد بالله ولم يمكث في الخلافة الا نحو سنة ثم عزله  
السلطان مسعود في منتصف القعدة سنة ٥٣٠ وباع مكانه محمد بن المستظهر ولقبوه  
المقتفي لامر الله وهو الثاني والثلاثين من بني العباس

وفي ٢٥ رمضان سنة ٥٣٢ قتل الخليفة الراشد بن المستظهر (١) وكثرت الفتن والفلاقل في  
خلافة المقتفي وتفرق ملك السلاجوقيين واشتغل أمراؤهم بمحاربة بعضهم فاستقل الخليفة  
نوعا ببغداد والعراق لعدم وجود من يراحمه من السلاجوقيين أو غيرهم وبقي مرتاح البال  
بالنسبة لمن سبقه من الخلفاء الى أن مات في فراشه في ثاني ربيع الاول سنة ٥٥٥  
وبويع بعده ابنه يوسف ولقب المستنجد بالله وفي خلافته وخلافة أبيه على شأن آل  
زنكي واستخلصوا أغلب البلاد التي ملكها الافرنج وأتى صلاح الدين الايوبي مصر كحا  
مرو حارب الافرنج وردهم عن سواحلها وصار صاحب النفوذ الاوفر فيها

وفي ٩ ربيع الآخر سنة ٥٦٦ توفى المستنجد وبويع ابنه أبو محمد الحسن ولقب المستضيء  
بأمر الله واشترط عليه عضد الدين أبو الفرج الذي كان أستاذ دار أبيه أن يكون وزيرا  
له وابنه كمال الدين استاذ داره والامير قطب الدين أميرا للعسكر فقبل المستضيء بذلك ووقع في  
حجرهم وفقد ما كان لابيهم المستنجد وجده المقتفي من بعض الخربة والاستقلال وفي خلافته  
انقرضت دولة الفاطميين في مصر بموت العاضد وخطب للعباسيين بها في ثاني جمعة من  
محرم سنة ٥٦٧ أي في ١٤ منه واستقل بها صلاح الدين بن أيوب ولم يترك للعباسيين سوى  
الخطبة وفتح شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخ صلاح الدين بالدين ولما توفى نور الدين

(١) قد تولى الخلافة من الاخوة بالتعاقب الهادي والرشيد ولدى المهدي والواثق والمتوكل ولدى  
المعتصم والامين والمأمون والمعتصم أولاد هرون الرشيد والمكفي والمقتدر والقادر أولاد المعتضد والراضي  
والمقتفي والطبيع أولاد المقتدر وجميعهم من العباسيين وقد تولى الخلافة أربعة اخوة من الامويين وهم  
الوليد وسليمان وبزيد وهشام أولاد عبد الملك بن مروان

مع انه لو اجتهد في التاليف بين هؤلاء الاخوة الثلاثة والاتحاد معهم على محاربة الافرنج المهاجمين لبلادهم لما تمكنوا من امتلاك قدر ذراع منها وبقي الحال على هذه الحالة بين أولاد ملكشاه تارة بخاربون وأخرى يتصالحون الى أن مات باركيارق في ٢ ربيع الاول سنة ٤٩٨ وقبل وفاته استخلف العسكر لولده ملكشاه الذي كان عمره أربع سنوات وثمانية أشهر فلم يقبل محمد بن ملكشاه أخو باركيارق بذلك واتفق مع بعض القوادف زلومل ملكشاه ابن باركيارق وصارت السلطنة لمحمد بن ملكشاه بن البارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق وفي غضون هذه الحروب الداخلية ملك الافرنج مدينة سروج من أعمال الجزيرة وعكا وقنسرين في سنة ٤٩٤ وفتحوا في السنة التالية مدينة طرسوس وفي سنة ٤٩٦ فتحوا جبيل وغيرها من بلاد الشام لعدم وجود القوى الكافية لمقاومتهم ثم دخلوا مدينة طرابلس في ١١ ذي الحجة سنة ٥٠٣ ومدينة صيدا في سنة ٥٠٤ وصالحهم أهل حلب وحماهم على مقدار معين من المال

هذا وفي ٢٤ ذي الحجة سنة ٥١١ توفي السلطان محمد السلاجوقي وعهد بالسلطنة لابنه محمود وفي ١٦ ربيع الآخر سنة ٥١٢ توفي الخليفة المستظهر وبيع بعده ابنه أبو منصور وفضل ولقب بالمستشد بالله وفي خلافته وقعت عدة حروب بين السلطان محمود السلاجوقي وأخيه داود وبعض أعمامه سفكت فيها دماء المسلمين وتوطدت في أثنائها أقدام الافرنج في جهات الشام وأسسوا بها أربع أمارات مسيحية في اورشليم وحمص وانطاكية وطرابلس ثم وقع الخلف بين الافرنج لتبائن مقاصدهم واختلاف أجناسهم بين نورمانديين وفرنساويين وألمانيين وإيطاليانيين وانكيز فضعت سطوتهم رغما عن توارد الجنود اليهم تقودها سلاطينهم وأعظم قوادهم ومن جهة أخرى ظهر في هذه الظروف عماد الدين زنكي صاحب الموصل وأيد شوكتة وسطوته في البلاد المجاورة له واستولى على عدة أمارات اسلامية ثم عزم على اخراج الافرنج من بلاد الشام فقتل أولاد مدينة حمص وفتح اعنوة سنة ٥٣٢ واستخلص منهم أغلب بلاد الاسلام ثم أرسل الى مصر أحد قواده واسمه أسد الدين شيركوه بناء على استئجاره ووزير الخليفة العاضد الفاطمي لمساعدته على خصومة الذين كانوا ينازعونه الوزارة فأتى اليها شيركوه وبعد أن هزم خصوم شاور قتله في ربيع الآخر سنة ٥٦٤ وتولى هو في الوزارة ثم مات وتولى يوسف صلاح الدين ابن أخيه نجم الدين أيوب

وفي ٥ ربيع الآخر سنة ٥٤١ قتل عماد الدين صاحب الموصل خلفه سيف الدين غازي الى أن توفي في أواخر سنة ٥٤٤ فتولى بعده أخوه نور الدين محمود ولما مات العاضد في ١٠ محرم سنة ٥٦٧ قطع صلاح الدين خطبة الفاطميين وصار هو سلطانا على مصر وتلقب بالملك الناصر وخطب للخليفة العباسي وبذلك انتهت دولة الفاطميين بعد أن مكثت ٢٧١ سنة تقريبا تولى الخلافة في أثنائها أربعة عشر خليفة وهم



ومن أقاصى بلاد الاسلام في الشمال الى بلاد اليمن الى الجنوب وتوفي في نصف شوال سنة ٤٨٥ و بينما كانت هذه الدولة الاسلامية ترتقى في درجات الكمال كانت الدول الاسلامية في الغرب أخذت في الانحطاط فتفرقت بلاد الاندلس طوائف وملك الافرنج مدينة طليطلة وعبر يوسف بن تاشفين من مراكش الى الاندلس وضم الى رايته بعض ولاياته وضعف حال المسلمين بجزيرة صقلية وتفرق أهلها واستحكم الشقاق بينهم حتى استعانوا على بعضهم بملوك الافرنج ولما توفي ملككشاه أخفت زوجته خبر موته الى ان استحلقت القواد لا بنها محمود وعمره أربع سنين وشهور فانكر علمها ذلك ابنه الأكبر بركيارق وحارب جنودها فهزمهم واستقر له الامر وخطب له في بغداد يوم الجمعة ١٤ محرم سنة ٨٧٤ وفي يوم السبت ١٥ منه توفي الخليفة المقتدى بإمر الله وعمره ثمانية وثلاثين سنة ومدته نحو عشرين سنة وبويع بعده ابنه أبو العباس احمد المستظهر بالله وسنه ستة عشر سنة

هذا وبعد موت ملككشاه تفرق ملكه ولم يضم شتاه أحد من خلفائه بل نارت بينهم الحروب الداخلية التي أدت الى تجزئتها واستحواز كل فرد على جزء منها واستمرار الحروب بين الامراء الساجوقيين الذين استقلوا ببلاد الشام والموصل والكردي و فارس وغيرها فثار تنش أخو ملككشاه على السلطان بركيارق فقتل في الحرب في صفر سنة ٤٨٨ و بعد وفاته وقع الخائف بين ولديه رضوان ودقاق ببلاد الشام واستقل أخيرا كل منهما ببعض المدن وفي محرم سنة ٤٩٠ قتل ارسلان ارغول أخو ملككشاه الذي كان استقل بخراسان بعد موت أخيه قتله بعض غلمانه فاستولى بركيارق على بلاده وأقطعها لآخيه سنجر

وبسبب هذه الحروب المتواصلة وانقسام الحكومات الاسلامية على بعضها طمع فيهم الافرنج وعقدوا النية على محاربتهم محاربة دينية لاستخلاص مدينة القدس منهم فاتوا برا الى القسطنطينية قاعدة مملكة الروم الشرقية واستولوا عليها ثم عدوا البحر وأتوا الى بلاد الشام وانتصروا في طريقهم على الامير الساجوق الذي كان مستقلا بقونية وما جاورها وفتحوا مدينة انطاكية في جمادى الاولى سنة ٤٩١ ثم دخلوا المعرة وحاصروا واستولوا أخيرا على مدينة القدس في ليلة الجمعة ٢٣ شعبان سنة ٤٩٢ (١٥ يولييه سنة ١٠٩٩) وولوا جوذدروا القرساوي ملكا عليها وفي أثناء ذلك كان ملوك آل ساجوق لاهين عن مقاومة الافرنج بالحروب الداخلية العائلية اذ نارت على بركيارق أخ له اسمه شمس وحاربه وهزمه فهرب بركيارق الى خراسان فحاربه أخوه سنجر وهزمه أيضا فارتحل عنها قاصدا جرجان وكان ذلك في خلال سنتي ٤٩٢ و ٤٩٣ ثم في السنة التالية انتصر بركيارق على أخيه محمد في ٣ جمادى الآخرة فالتجأ محمد الى أخيه سنجر وطاربا أخاهما بركيارق فهزمه وتبعاه الى بغداد فدخلها وارتحل هو عنها قاصدا الموصل والخليفة المستظهر لا هم له الا الخطبة لمن ينتصر منهم وقطعها عن يعاقب كان لاناقة له فيها ولا جمل

لحروب الصليبية



في صفر سنة ٤٣٦ ولم تطل مدة أبي كاليبجار بل توفي في جمادى الاولى سنة ٤٤٠ بكرمان وتولى بعده ولده الملك الرحيم وفي مدته وقعت عدة فتن في بغداد بين السنة والشيعه أدت الى حرق قبور بعض الخلفاء وأمراء بني بويه وقتل فيها خلق كثير لعدم امكان الحكومة قمع الفتن وفي هذه الاثناء عظم أمر طغرل بك الساجوقى فاستولى على اصفهان في محرم سنة ٤٤٣ ودخل تبريز سنة ٤٤٦ ثم قصد حلوان ونزل بها سنة ٤٤٧ فراسله قواد الانراك واستدعوه الى بغداد باذنين له الطاعة فقبل وقبل الخليفة وخطب لطغرل بك في ٢٢ رمضان من هذه السنة ثم دخل بغداد بمن أتى معه من جيوشه بعد ان أفسخ للخليفة القائم وللملك الرحيم باحترام حتموقهم لكن لم تلبث جيوشه بالمدينة حتى حصلت فتنة بينهم وبين جنود الملك الرحيم كانت تتيجهما القبض على الملك الرحيم وقواد جيوشه وبذلك انقضت دولة آل بويه بعد ان استمرت مدة ملكهم مائة وثلاثة عشر سنة من تاريخ دخول معز بن بويه بغداد في جمادى الاولى سنة ٣٣٤ وابتدأت دولة آل ساجوق ببغداد لتوطيد أقدامهم بها زوج طغرل بك ابنة أخيه الى الخليفة سنة ٤٤٨ وتزوج هو بنت الخليفة في شعبان سنة ٤٥٤

هذا وفي سنة ٤٥٠ ثار ابراهيم أخو طغرل بك على أخيه فخاربه وقتله وفي أثناء اشتغاله بمحاربة أخيه ثار بعض الجنود ببغداد تحت قيادة من يدعى البساسيري فخرج الخليفة منها وخطب في الجوامع للمستنصر بالله الخليفة الفاطمي لكن لم تدم هذه الحالة بل عاد طغرل بك الى بغداد وأعاد الخليفة لها وحارب البساسيري حتى قبض عليه وقتله في ٨ ذى الحجة سنة ٤٥١ وفي رجب من هذه السنة توفي داود بن ميكائيل بن ساجوق أخو طغرل بك صاحب خراسان وتولى مكانه ابنه الب ارسلان ثم توفي طغرل بك في ليلة الجمعة ٨ رمضان سنة ٤٥٥ عن غير عقب وأخلفه الب ارسلان السالف الذكر فصار حاكما على خراسان والعراق والموصل واصفهان وتبريز وغيرها من البلاد التي فتحها طغرل بك قبل وفاته ثم أضاف الب ارسلان الى أملاكه بلاد كثيرة وأطاعه صاحب جند وبخارا وكذلك أصحاب ديار بكر وحلب وفتح مدينة الرملة وبيت المقدس وحاصر دمشق ولم يفتحها وحارب قطلومش بن ارسلان بن ساجوق لعصيانه عليه وقتل في الحرب خلفه ولده سلمان الذي أسس دولة ساجوقية بقونية استمرت الى ان فتحها العثمانيون واستمر الب ارسلان مالكا لجميع هذه الجهات المتسعة الى ان قتل في ١١ ربيع الاخر سنة ٤٥٦ وولى بعده ابنه ملكشاه وفي ١٣ شعبان سنة ٤٦٧ توفي الخليفة القائم بالله وكانت مدة خلافته خمسة واربعين سنة تقريبا وبويع عبد الله بن ولده محمد ذخيرة الدين لوفاة ذخيرة الدين قبل أبيه القائم ولقب عبد الله المقتدى بامر الله وهو الثامن والعشرين من بني العباس وساس ملكشاه الامور بغاية الحكمة وفتح البلاد شرقا وغربا وأقام ببغداد مرصدا فلكيا وجامعا عظيما سمى جامع السلطان وعظم في أيامه أمر الاسلام في الشرق حتى خطب باسمه من بلاد الصين الى الشام

في رمضان وقتلوه في القعدة وبايعوا محمد المستكني ثم عزلوه وبايعوا هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ثم عزلوه في سنة ٢٢٢ هـ وبه انتهت دولتهم نهائيا وكان ابتداءها سنة ١٣٩ هـ فتكون مدتهم بالاندلس مائتين ثلاثة وثمانين سنة

ثم امتدت أملاك محمود الغزنوي وفتح وغزا كثيرا من بلاد الهند وتوفي في ربيع الآخر سنة ٤٢١ هـ ومالك بعده ابنه مسعود وكانت الساطرة في اثناء خلافة القادر في قبضة بهاء الدولة ابن عضد الدولة بن بويه الى ان مات في جمادى الآخرة سنة ٤٠٣ هـ وعمره ستة وستون سنة ومدة ملكه اربعة وعشرين سنة وولى الامر بعده ابنه سلطان الدولة وفي أواخر سنة ٤١١ هـ ثار الجند على سلطان الدولة فترك بغداد واستخلف أخاه شرف الدولة فاتحد أخاه مع الجند وحارب سلطان الدولة وانتصر عليه وصار صاحب الامر في العراق وخطب له بعد أخيه في أوائل محرم سنة ٤١٢ هـ واستمر في الإمارة الى أن توفي في ربيع الأول سنة ٤١٦ هـ وبموته ضعف أمر آل بويه ببغداد وعظم أمر الأتراك وحصلت فتن كثيرة وعمت الفوضى جميع انحاءها واستمر الحال كذلك الى ان حضر جلال الدولة بن بهاء الدولة الى البصرة في رمضان سنة ٤١٨ هـ فخرج الخليفة للملاقاة وسامه قياد الامور

وفي ذي الحجة سنة ٤٢٢ هـ توفي القادر بالله وعمره يقرب من سبعة وثمانين سنة وخلافته احدى واربعين سنة وشهر وبيع بعده ابنه أبو جعفر عبد الله بعهد منه ولقب القائم بامر الله وفي خلافته ابتدأت دولة آل سلجوق وجد هذه العائلة يسمى دقاق من رؤساء قبائل الترك التي كانت تأتي من بلاد كشمير الواقعة في غرب بلاد الصين تباعا وولد له سلجوق ولتجته قدمه ملك الترك اذ ذاك واسمه ييغو ثم تركه سلجوق وقصد بلاد الاسلام واسلم هو وجميع من تبعه من رجال قبياته ونزل بجنده بقرب بخارا وأخذ في غزو الكفار من الترك فغظم امره وكثرت جنوده وخلف من الاولاد أرسلان وميكائيل وموسى قتل منهم ميكائيل في الحرب وخالف ييغو وطغرل بك وجغرو بك ثم حصصت فتن بينهم وبين بغراخان ملك تركستان في ذلك العهد أدت الى سفك الدماء ولما عظم أمر السلجوقيين خشي محمود الغزنوي من تعديهم على املاكه فخار بهم وفرق قبائلهم بين خراسان واصفهان ثم اجتمعوا ثانيا وحاربوه وانتصر واعليه وعلى ولده مسعود من بعده واستولوا على خراسان وخطب لهم على منابرهما في سنة ٤٣١ هـ وفي سنة ٤٣٢ هـ انتهز طغرل بك السلجوقي فرص الحروب الداخلية التي وقعت بين مسعود الغزنوي وأخيه محمد وابنه مودود فاستولى طغرل بك المذكور على جرجان وطبرستان وفي السنة التالية أي سنة ٤٣٤ هـ ملك خوارزم وماحولها وفي أثناء ظهور ونمو دولة آل سلجوق بهذه الجهات كانت الفوضى عامة في بغداد لقيام الفتن بين جنود آل بويه من الديلم والجيوش التركية حتى لما توفي جلال الدولة بن بويه في شعبان سنة ٤٣٥ هـ لم يبق الجند على تعيين خلف له وبقيت دار السلام بلا حكومة (ان صح تسميتها بهذا الاسم) الى ان قبل أبو كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة الإمارة وأتى الى بغداد

السلجوقيون

على بعض واستقلاهم بولاياتهم صار امرا عاديا حتى يمكن القول بان جميع الولايات  
 صارت مستقلة تتوارثها بعض العائلات وتنتقل من عائلة الى اخرى بدون علم الخليفة  
 وفي خلافته ملك سبكتكين أحد قواد السامانيين مدينة غزنة ثم سار الى بلاد الهند واستولى  
 على بعض بلادها وسبكتكين هذا هو غير سبكتكين التركي الذي كان ببغداد ومرد كره  
 هذا ولما ثار سبكتكين على بختيار واستولى على الامارة كاتب بختيار الامير عضد  
 الدولة ابن عمه ركن الدولة المستقل ببلاد فارس يستنجد به ضد الاتراك وقائدهم  
 سبكتكين فأتى عضد الدولة ومعه جيش جرار وحارب الاتراك ففر سبكتكين ودخل عضد  
 الدولة بغداد وعزل عز الدولة بختيار وقبض عليه وصار هو امير الامراء ولما بلغ خبر  
 القبض على بختيار الى ولده المرزبان بالبصرة كتب الى ركن الدولة فغضب هذا على ولده  
 عضد الدولة والزعم بان يعيد الملك الى بختيار فاذعن الى امر أبيه وأخرجهم من سجته وأعادهم  
 الى ما كان عليه وقتل هو راجعا الى بلاد فارس وفي سنة ٣٦٦ توفي ركن الدولة بن بويه  
 واستخلف على ممالكه ولده عضد الدولة وعهد ولده خفر الدولة على همدان واعمالها ولولده  
 مؤيد الدولة على اصفهان واعمالها وجعلهما تحت حكم اخيهما عضد الدولة وفي السنة  
 التالية سار عضد الدولة الى بغداد ثانيا لا لتقام من بختيار عز الدولة الذي استعان عليه بابه  
 فخار به مدة ثم أسره وقتله وصار هو الحاكم ببغداد وخلع عليه الخليفة وفي سنة ٣٦٩ قصد  
 عضد الدولة بلاد أخيه خفر الدولة فملكها وهرب أخاه والتجأ الى شمس المعالي صاحب  
 جرجان وطبرستان فتبعه عضد الدولة وملك بلاده ثم غزا بلاد الاكراد وصارت دولته في  
 اتساع ونمو الى ان توفي في ٨ شوال سنة ٣٧٢ وبعد وفاته ولي بغداد ولده كاليبجار المرزبان  
 واقبوه صمصام الدولة وكان له ولد آخر اسمه شرف الدولة كان بكرمان فلما بلغه خبر موت  
 أبيه سار الى فارس وملكها قبل أخيه صمصام الدولة واستقل بها ثم في سنة ٣٧٦ قصد  
 شرف الدولة بغداد وحارب أخاه وأسره وأرسله مسجوناً الى بلاد فارس واستبد هو بالامر  
 الى أن مات في أول جمادى الآخرة سنة ٣٧٩ فقتل الامارة بعده أخ له اسمه أبو النضر بهاء  
 الدولة وكثرت في هذه السنة الفتن بين الاتراك ورجال بني بويه

وفي سنة ٣٨١ حصلت وحشة بين الامير والخليفة فتقبض الامير على الطابع بالله وعزله وولى  
 مكانه القادر بالله أبي العباس أحمد بن الامير اسحق بن المقتدر بالله وهو السادس والعشرين  
 من نبي العباس واستمر في الخلافة لسنة ٤٢٢ وفي هذه المدة الطويلة انقرضت دولة آل  
 سامان أصحاب ماوراء النهر وملك بلادهم عيين الدولة محمود الغزنوي بن سبكتكين وذلك  
 في سنة ٣٨٩ وكان ابتداء ملكهم سنة ٢٦١ فتكون مدة دولتهم مائة ثمانية وعشرين  
 سنة وكذلك انقرضت دولة بني امية بالاندلس انتهى ملكهم أولا سنة ٤٠٧ بعزل  
 سليمان المستظهر بالله بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ثم أعيدت لهم الخلافة  
 سنة ٤١٤ وانتخب أهل قرطبة عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر

ولم تبلغ مدته الا ثلاثة أشهر وأياما ثم دخل معز الدولة بن بويه الى بغداد في جمادى  
الاولى سنة ٣٣٤ وقلده الخليفة الامارة وأمر ان يضرب اسمه على العملة وبعد ذلك  
بشهر عزل الخليفة بدميسة ابن بويه في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ ثم سمات  
عيناه وبقي مسجوناً الى ان مات سنة ٣٣٨ وبويع بعده المطيع لله ابن المقتدر وفي  
مدته توفي الاخشيد سنة ٣٣٤ وولى الامر بعده ابنه الامير محمود ولصغر سنه استولى  
على الامر كافور السوداني أحد خدم الاخشيد ثم توفي سنة ٣٤٩ فأقام كافور أخاه عليا  
ابن الاخشيد فتوفي سنة ٣٥٥ واستقل كافور بمصر وملحقاتها من بلاد الشام الى ان  
توفي في السنة التالية وبعد وفاته اختلف فيمن يعين وبقي الخلاف مدة ثم اتفق على  
تنصيب أبو الفوارس احمد بن علي بن الاخشيد وخطب له في جمادى الاولى سنة ٣٥٧  
وفي خلافة المطيع توفي عبد الرحمن الناصر الاموي بالاندلس في رمضان سنة ٣٥٠  
وعمره ثلاثة وسبعين سنة بعد ان حكم خمسين سنة ونصفا وهو أول من تلقب بالاندلس  
بأمير المؤمنين وكانوا قبلا يلقبون بالامراء وأبناء الخلفاء واستمر الحال كذلك الى سنة  
٣٢٧ وضعف العباسيون ببغداد وظهر الفاطميون في تونس وادعوا الخلافة ولقبوا بامراء  
المؤمنين فامر عبد الرحمن الاموي بان يلقب بالناصر لدين الله ويخطب له بامير المؤمنين  
وفي سنة ٣٥٦ توفي معز الدولة بن بويه وكانت امارته اثني وعشرين سنة وقبل وفاته  
عهد بالامارة الى ابنه بختيار ولقبه عز الدولة فاقره الخليفة أمير للامراء وفي اماره معز  
الدولة حصلت عدة حروب بينه وبين ابن المقداد وغيره من الامراء خصوصا سيف  
الدولة بن حمدان صاحب الموصل مما يطول شرحه وبدل على امتداد القوضى الى جميع أجزاء  
الخلافة حتى اجترأت الروم وتعدت الحدود مرارا وسببت ونهبته وقتلت في بلاد الاسلام  
وفي سنة ٣٥٨ أرسل المعز لدين الله الفاطمي جوهر القائد الصقلي الاصل بجيش كثيف  
لفتح مصر لما بلغه خبر الاختلاف الذي وقع بها عقب موت كافور الاخشيدى فوصل  
اليها جوهر وفتحها وخطب فيها للمعز في شوال من هذه السنة ثم سافر جوهر الى بلاد  
الشام ففتح البلاد التي كانت تابعة للاخشيديين وقطعت الخطبة للعباسيين ثم عاد الى مصر  
وشرع في بناء مدينة القاهرة وفي شوال سنة ٣٦١ سار المعز من تونس الى مصر فوصل  
الاسكندرية في شعبان سنة ٣٦٢ ودخل القاهرة في ١٥ رمضان سنة ٣٦٢ وجعلها  
مقر خلافته واستعمل بعض عماله على افريقيا وصقلية

فاطميون بمصر

وفي سنة ٣٦٣ سافر بختيار عز الدولة بن بويه الى الاهواز فنار عليه أحد قواد  
الأتراك واسمه سبكتكين ونهب داره وجبر المطيع لله على أن يخلع نفسه فاستقال في  
منتصف ذي القعدة سنة ٣٦٣ ومدة خلافته تسعة وعشرين سنة ونصف وبويع بعده  
لابنه عبد الكريم أبو بكر ولقب الطائع لله وهو الخامس والعشرين من بني العباس وفي  
خلافته حصلت عدة حروب داخلية لا أهمية لذكرها لان الفتن والحروب وتغلب الولاء



وفي أيام القاهرة كان ابتداء دولة بني بويه ببلاد فارس واستيلاء عماد الدولة بن بويه على شيراز ولم تطل مدة القاهرة بل تآلب عليه الجند بمسعى الوزير ابن مقله بسبب قتله مؤنس الخادم بعض القواد الأتراك فقتلوا الخليفة في ٥ جمادى الأولى سنة ٣٢٢ وأخرجوا أبا العباس أحمد بن المقتدر وبإيعوه بالخلافة في ٦ منه ولقبوه الراضى بالله وهو حادى عشر بهم وفي خلافته ولى الاخشيد مصر سنة ٣٣٣ فاستقل بها واستطال الى بعض جهات الشام وكذلك منع ابن رابق عامل واسط والبصرة ارسال الخراج ومنع البريدى ارساله من الاهواز فضاق الحال ببغداد ثم عاد ابن رابق الى طاعة الخليفة فعينه أمير الامراء وهو حارب البريدى وهزمه وبعد ذلك بقليل ثار بحكم القائد وقصد بغداد وهزم ابن رابق الذى خرج لخاربه واستولى بحكم على بغداد فعينه الخليفة أمير الامراء وصار هو الحاكم فعلا ولما هرب ابن رابق قصد الشام واستولى على دمشق وحصن وقصد مصر فحاربه الاخشيد وصدته عنها

ثم توفى الراضى بالله في منتصف ربيع الاول سنة ٣٢٩ ولم يبايع المتقى بالله ابراهيم ابن المقتدر الا في ٢٠ منه بعد ان أبلغ بحكم الذى كان بواسط موت الخليفة واستصوابه مبايعة المتقى فكان الحاكم الحقيق هو امير الامراء يعزل ويولى من يريد من الخلفاء واقتصرت الخلافة مع كونها اسمية فقط على بغداد وبعض البلاد المجاورة لها وفي أوائل حكمه قتل بحكم أثناء الصيد فقصد ابن البريدى بغداد واستولى عليها وقبده الخليفة اماره الامراء فهاجت عليه الاهالى لظلمه وأخرجوه من المدينة فعين الخليفة كورتكين أحد القواد ولما بلغ خبر موت بحكم الى ابن رابق بالشام قصد بغداد وحارب كورتكين فهرب وقبده هو اماره الامراء وفي سنة ٣٣٠ قصد ابن البريدى بغداد ثانيا فهرب الخليفة وابن رابق الى الموصل قاسمته قبلهم صاحبها ناصر الدولة بن حمدان وأكرمهما ثم قتل ابن رابق فعينه الخليفة أمير للامراء وعاد معه الى بغداد فهرب ابن البريدى وفي سنة ٣٣٣ ثار قائد تركى اسمه تورون فقلده الخليفة الامارة في رمضان وبعد مدة صجر من معاملته وخرج من بغداد قاصدا الموصل ليحتمى ببني حمدان فكاتبه تورون وأغلظ له الايمان وجدد العهد والمواثيق فعاد الخليفة وفي أثناء عودته قبض عليه تورون الخائن وسمل عينيه وحبس به ولما دخل بغداد بايع المستكفي بالله أبا القاسم عبد الله بن المستكفي في صفر سنة ٣٣٣ وهو الثالث والعشرين من بني العباس

وفي خلافته استولى سيف الدولة بن حمدان صاحب الموصل على مدينتى حلب وحصن وقصد دمشق فردّه عنها الاخشيد صاحب مصر وفي محرم سنة ٣٣٤ توفى تورون أمير الامراء فانتخب الجند أحد القواد المدعو ابن شيرزاد فأقره الخليفة مكانه ولما بلغ خبر موته معز الدولة بن بويه بالاهواز قصد بغداد للاستيلاء على اماره الامراء فهرب ابن شيرزاد

دولة بني بويه

الاشيديون  
مصر

الملقب بالافضل ثم خلعه الجند وعينوا أخاه هرون وضعف أمر بني طولون وقارب  
 الزوال وفي ٢٢ ربيع الآخر سنة ٢٨٩ توفي المعتضد وكانت خلافته عشر سنوات  
 تقريبا وعمره سبعة واربعين سنة وخلفه ابن المكتفي بالله وهو سابع عشر العباسيين  
 وفي أيامه افتتح العباسيون مصر ثانيا من هرون بن خمارويه وهزمت القرامطة عدة  
 مرات وتوفي اسمعيل الساماني وتولى بعده ابنه أبو النصر احمد فأقره الخليفة ثم توفي في  
 ١٢ ذى القعدة سنة ٢٩٥ فكانت خلافته ست سنوات ونصف وعمره ثلاثة وثلاثين سنة  
 وبويع بعده أخوه أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد وعمره ثلاثة عشر سنة  
 وهو الثامن عشر وامتدت مدة خلافته الى سنة ٣٢٠ اى بلغت خمسة وعشرين سنة  
 الا انه خلع في خلالها مرتين الاولى في سنة ٢٩٦ خلعه القضاة والقواد لصغر سنه  
 وبايعوا عبد الله ابن المعتز ولقبوه الراضى بالله لكنه لم يلبث الا ليلة واحدة ثم قتل  
 أثناء الفتن والحروب التي قامت بين أتباع المقتدر وأتباعه وأعيد المقتدر ثانيا والثانية  
 في سنة ٣١٧ خلعه الجند والقواد بسبب تسليمه أمور الخلافة للنساء والخدام واشتغاله  
 بما لا يفيد الأمة فحاصروه في داره وحملوه وأولاده ووالدته الى دار مؤنس الخادم أحد  
 القواد الذي كانت له اليد الطولى في هذه الفتن وأكرهوه على ان يخلع نفسه فقميل  
 وبايعوا أخاه محمد بن المعتضد ولقبوه القاهر بالله ثم أعيد بعد ثلاثة أيام من خلعه وأمن  
 اخاه القاهر بالله وبقي حيا الى ان خلفه بعد قتله سنة ٣٢٠ ولم يعد المؤرخون عبد الله  
 ابن المعتز في عداد الخلفاء لانه لم يحكم الا ليلة واحدة لكن اعتبرته تاسع عشرهم بما أنه  
 حصلات مبايعته وتولى الحكم وفي أيام المقتدر حصلت عدة حروب بين جنوده وبين  
 القرامطة كان النصر فيها غالبا لجنود الخليفة وابتدأت دولة الفاطميين بتونس في سنة  
 ٢٩٦ وأولهم المهدي أبو محمد عبيد الله وكان القائم بالدعوة له أبو عبد الله الشيعي فاستقل  
 بافريقيا (تونس والجزائر) بعد ان انتزعها من بني الاغلب الذين حكموا مدة مائة  
 واثنى عشر سنة أولها سنة ١٨٤ التي ولى فيها هرون الرشيد ابراهيم بن الاغلب على  
 افريقيا ثم فتح المهدي سجلماسة وتاهرت وفتح الاولى اى سجلماسة انقرض ملك بني  
 مدرار بعد ان استمر مائة وثلاثين سنة كما انتهى ملك بني رستم بفتح تاهرت بعد ان دام مائة  
 وستين سنة وبني مدينة جديدة على البحر وسماها المهدية ونقل اليها مركز حكومته بعد ان  
 حصنها ولما استتب له الحال في افريقيا حول عبد الله نظاره الى مصر وارسل اليها حملة حملات في  
 أيام المقتدر عادت بالفشل والخيبة وفي سنة ٣١٧ تعدى القرامطة على الحجاج بالايذاء  
 الشديد وقتلوا الحجير الاسود من مكانه وقتلوا الحجاج في البيت الحرام وفي سنة ٣٥٠  
 حصلت وحشة بين الخليفة ومؤنس الخادم فسار مؤنس الى الموصل فصادره الخليفة  
 في جميع أملاكه ثم جمع مؤنس جيشا جرارا وقصد بغداد وحارب جند الخليفة وانتصر  
 عليه وقتل الخليفة في المعركة في ٢٨ شوال سنة ٣٢٠ وبويع بعده أخاه محمد القاهر  
 بالله ابن المعتضد الذي بويع وخلع أول مرة في سنة ٣١٧ وهو العشرون من بني

ظهور الدولة  
 الفاطمية بتونس

بأبيكالم وظفروا به أخيراً وقتلوه في ١٨ رجب سنة ٢٥٦ وأخرجوا أبا العباس أحمد بن المتوكل من السجن وابعوه ولقب المعتمد على الله وهو خامس عشرهم وفي مدته توفي الامام البخاري في ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ والامام مسلم في سنة ٢٦١ واستفحل أمر يعقوب الصنفار فاستولى على بلخ وكابل والاهواز ثم توفي في ١٩ شوال سنة ٢٦٥ وخلفه أخوه عمرو وكتب للخليفة بالطاعة فولاد جميع البلاد التي كانت تحت يد أخيه وعظم شأن الحسن بن زيد العلوي بطبرستان واستولى على جرجان ثم توفي سنة ٢٧٠ وتولى أخوه محمد بن زيد وعصى العرب في حمص حاكمهم التركي وقتلوه واستولى الإرج على البصرة وقتلوا كثيراً من أهلها ودخلوا مدينة واسط ووصلت طلأعهم إلى بغداد ففسدوا فسادات الخلافة ضعفوا على ضعف وتخلت القوضى جميع أجزائها واستبد القواد والحكام لعدم رادع أو مراقب وفي خلافته أشهر كذلك أحمد بن طولون استقلاله ومنع ذكر اسم الخليفة في الخطبة وشار إلى بلاد الشام وفتح أكثر مدائنها وعظمت سطوته ثم مات سنة ٢٧٠ وخلفه ابنه خمارويه وكان أبو أحمد طلحة الموفق أخو الخليفة المعتمد هو قائد جنوده وصاحب السكامة في البلاد حتى ضيق على الخليفة في المصريف وتوفي في ٢٢ صفر سنة ٢٧٨ وحيث كان بوج له بولاية العهد بعد المفض جعفر بن المعتمد اجتمع القواد وابعوا أبا العباس المعتضد بولاية العهد مكان ابنه الموفق ثم عزل المعتمد ابنه جعفر قبل وفاته وأوصى بولاية العهد لاني العباس المعتضد

وفي آخر خلافة المعتمد ظهر أصحاب مذهب القرامطة بالكوفة (١) وتوفي في ١٩ رجب سنة ٢٧٩ بعد أن حكم ثلاث وعشرين سنة وبويع لاني العباس أحمد المعتضد بالله ابن الموفق بن المتوكل وهو سادس عشرهم وفي مدته زادت شوكة بني سامان المستقلين ببلاد ما وراء النهر مع اعترافهم بالسيادة للخليفة وسار اسمعيل الساماني إلى خراسان لمحاربة عمرو أخيه يعقوب الصنفار فهزمه وقبض عليه وحبس حتى مات وانقرض بموته ملك الصنفار ثم حارب الساماني محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان فهزمه وجرح العلوي جرحاً بليغاً مات بسببها سنة ٢٨٧ وخلفه ابنه الناصر للحق وفي أيام المعتضد قتل خمارويه بن طولون صاحب مصر سنة ٢٨٢ وخلفه ابنه جيش

(١) ويسمون أيضاً الاسماعيلية نسبة لاسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ويسمون كذلك بالباطنية لاعتقادهم بقاء الامامة في العلويين وان الأرض لا تخلو من امام مطلقاً ما ظهر بذاته أو مستورا وان أول الأئمة المستورين هو محمد المنتظر ابن حسن العسكري بن علي الزكي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق المتقدم ذكره ويعتقد الباطنيون أن محمد المنتظر المذكور اختفى وسنه تسع سنوات ويُنظر ظهوره ثانياً وتسمى هذه الطائفة بالاثني عشرية لاعتقادهم أن الأئمة الظاهرة اثنا عشر أولهم الامام علي كرم الله وجهه ثم ولديه الحسن والحسين ثم علي زين العابدين السابق الذكر وآخرهم محمد المنتظر وهم طائفة من الشيعة امتد نفوذهم إلى مشارق الأرض ومغاربها وكانت قاعدة أعمالهم قلعة الموت ويقال لهم كذلك الحشاشين لتماطيمهم الحشيشة وقد كان لهم شأن يذكر أيام الحروب الصليبية وقتلوا كثيراً من الأمراء والملوك

مبايعة احد اولاد المتوكل وبذلك ازداد تداخلهم في انتخاب الخلفاء وعزلهم بل وقتلهم حتى صار الامر بيدهم وزادت الفتن بين العرب والأتراك في خلافة المستعين وتايدهم تقود عائلة طاهر بن عبد الله بخراسان ولما توفي طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عبد الله في رجب سنة ٢٤٨ عين المستعين ولده محمد بن طاهر وكذلك لما توفي بغا التركي ولى ابنه موسى مكانه فصارت الوظائف وراثية تقريبا في بعض العائلات الاجنبية وفي خلافة المستعين ظهر يعقوب بن الليث الصفار وتحرك من سجستان قاصدا هرات للاستيلاء عليها وكذلك ظهر الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن زيد بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب بطبرستان واستقل بها الى ان توفي سنة ٢٨٧ وكان يلقب بالداعي الى الحق وحكم بعده الناصر للحق الحسن بن علي وكان يعرف بالاطروش وتوفي سنة ٣٠٤ وانقرض بموته ملك العلويين بطبرستان

فكانت الاحوال في غاية الاضطراب مدة حكم المستكفي وكثر الفساد وسعى كل عامل في الاستقلال بما ولى عليه وضعفت الحكومة حتى صارت العوبة في يد أصحاب الدسائس وزادت الفتن بين أحزاب الأتراك في سنة ٢٥١ حتى حاصروا المستعين بقصره بسامرا فهرب منها الى بغداد فباع العترة المعتز بالله بن المتوكل وهو أرسل أخاه أبا احمد طلحة في خمسين ألف تركي لحرارة المستعين ببغداد ثم اتفق كبار الدولة على خلع المستعين حملا للمشاكل وحقنا للدماء فاعود وأخبروه بذلك فقبل وبايع المعتز بالله وخطب له في بغداد يوم الجمعة ٤ محرم سنة ٢٥٢ ثم قتل المستعين بامر المعتز بعد ان منع من السفر الى مكة وحبس وفي مدة المعتز حصلت جملة فتن بين العسكر الأتراك فقتلوا قائدهم وصيف سنة ٥٣ ولم يعاقبهم الخليفة بل أعطى كل ما كان له الى بغا الشراي ثم أمر بقتله سنة ٢٥٤ وفي هذه السنة ولى احمد بن طولون على مصر فاستقل بها مع حفظ السيادة الاسمية للعباسيين الى ان توفي سنه ٢٧٠ وخلفه ابنه خمارويه الملقب بابي الجيوش وفي سنه ٢٥٥ استولى يعقوب الصفار على كرمان ثم على بلاد فارس ودخل شيراز وكتب للخليفة يعترف له بالسيادة وأرسل اليه هدايا عظيمة فاكتب في الخليفة وفقد بذلك جميع أملاكه الواقعة شرق بغداد تقريبا كما تقدم مصر وكما استقل الامويون بالاندلس والادريسيون بالمغرب الأقصى بحيث صارت الاقاليم التابعة للعباسيين لا تزيد عن ربع ما كان قبلهم لدولة بني أمية

وفي ٢٦ رجب سنة ٢٥٥ ثار عليه الأتراك من الجند لعدم مقدرته على أداء ما يطلبونه من الاموال فهاونوه وأشهدوا على خلعهم وبايعوا المهتدي محمد بن الواثق وهو رابع عشر العباسيين وفي ٢ شعبان من السنة المذكورة مات المعتز جوعا بمنع الطعام والشراب عنه وفي مدته ابتدا ظهور شخص اسمه علي بن محمد وداعى الانتساب للعلويين وجمع قبائل الزنوج النازلين بالقرب من البصرة وصار يعسوه ورجاله في الارض الى ان قتل سنة ٢٧٠ ولم تطل خلافة المهتدي بل حصلت حروب بينه وبين الأتراك بسبب قتله أحد قوادهم المدعو



وهذا دليل على سبق العرب الافرنج في معرفة كروية الارض وفي ايامه ترجمت اغلب كتب اليونان العلمية والفلسفية وبلغ التمدن اعلى الدرجات وفي سنة ٢١٦ زار مصر وتوفي في ١٩ رجب سنة ٢١٨ بعد ان اوصى لاختيه ابى اسحق محمد المعتصم بالله ودفن بطرسوس وسنه سبعة واربعين سنة ومدة خلافته عشرين سنة ونصف تقريبا فبايع الناس المعتصم الا بعض الجنود فبايعوا العباس بن المأمون فاستدعى المعتصم العباس فبايعه وخرج للجند ونصحهم بمبايعة المعتصم فبايعوه وهي اول مرة تداخل الجند في امر الخلافة

ومن اعمال المعتصم بناء مدينة سامرا وفتح العمورية التي كان يقدسها الروم وفي اثناء عودته من عمورية بلغه ان العباس بن المأمون يكيد له وينوي قتله فامر بسجنه فسجن ومات بعد قليل قيل ان الموكل بحراسته منع عنه الماء حتى مات وارسل المعتصم احد قواد جيوشه واسمه الافشين خيذر لمحاربة بابك المجوسي الذي استولى على جبال طبرستان مدة عشرين سنة تقريبا فخاربه وقبض عليه واحضره امام المعتصم فقتله وفي سنة ٢٢٦ غضب المعتصم على الافشين فقتله

وفي ١٨ ربيع الاول سنة ٢٢٧ توفي المعتصم وعمره ثمانية واربعين سنة تقريبا وهو اول من اضيف اسم الله تعالى الى لقبه وبويع بعده ابنه الواثق بالله هرون ولما تولى الواثق حصلت فتنة بدمشق فارسل اليها جيشا اعاد السكينة اليها وكان له وزير تركي اسمه اشناس اعطى اليه الواثق علامات الامارة وهي تاج ووشاحين ومن ثم ابتدأ وفود قبائل الترك الى بلاد العراق ودخولهم في الوظائف العالية خصوصا الجندي الامر الذي اوجب تداخلهم في امور الخلافة واستيلائهم على السطة الفعلية وتوفي اشناس التركي سنة ٢٢٩ ومما اوجب ضعف دولة العباسيين جعلهم بلاد خراسان ورائية تقريبا في عائلة طاهر بن عبد الله

وتوفي الواثق في ٢٤ ذى الحجة سنة ٢٣٢ واختلف فيمن يعين بعده فقال فريق بمبايعة ابنه محمد وقال آخر بعدم صلاحيته لصغر سنه واخيرا اتفق على مبايعة المتوكل جعفر بن المعتصم وهو عاشر بنى العباس وفي مدته توفي الامام احمد بن حنبل احد الائمة الاربعة في سنة ٢٤١ وشرع المتوكل في نقل مركز حكومته الى دمشق ونقل اليها دواوينه ولم يقيم بها الا شهرين في سنة ٢٤١ ثم عاد الى سامرا وقتل المتوكل سنة ٢٤٧ قتله بعض ممالিকে باتفاق مع ابنه المنتصر وبغا الصغير الشراي وقيل انه قتل في مجلس شرابه وقتل معه وزيره الفتح بن خاقان في ليلة الاربع ٣ شوال سنة ٢٤٧ ومدة خلافته خمسة عشر سنة تقريبا وعمره نحو اربعين سنة ثم حصلت البيعة لابنه المنتصر لكن لم تطل مدته بل توفي في يوم الاحد ٤ ربيع الاول سنة ٢٤٨ وعمره خمسة وعشرين سنة ونصف ومدة خلافته ستة شهور

وبويع بعده احمد المستعين بالله ابن محمد المعتصم ولم يرغب رجال الدولة خصوصا الاتراك

فيهم سبعة عشر سنة واما ما ذكره بعض المؤرخين ويجعلونه سببا للايقاع بالبرامة  
فغير صحيح

وفي سنة ١٩٠ توفي يحيى بن خالد بن برمك بالحبس وكذلك توفي بالحبس ولده الفضل في  
محرم سنة ١٩٣ وفي ٣ جمادى الثاني من هذه السنة توفي الخليفة هر و النرشيد في مدينة  
طوس أثناء سفره فصلى عليه ابنه صالح واخذ البيعة لآخيه محمد الامين وأرسل يخبره بذلك  
وكان الرشيد قد عهد بالخلافة بعده ولده الامين ثم للمأمون ثم لابنه القاسم ولقبه بالمؤتمن لكن  
جعل أمر استمراره في ولاية العهد وعزله في بد المأمون ان شاء استخافه وان شاء عهد بالخلافة  
لغيره فلم يتبع الامين هذا المأمون هذا العهد بل أبطل ذكر أخيه المأمون في الخطبة في سنة ١٩٥ وأمر  
بان يخطب لابنه موسى ولقبه الناطق بالحق وكان المأمون بخراسان فلما بلغه خبر هذا التغيير  
لم يقبله واجتمع حوله وباعه كل من تحول عن الامين لانهما كفي في الملاذ واحتجابه عن  
الناس وصرفه أوقاته فيما لا يعود على الخلافة بخير فجزأ الامين جيشا لمحاربة أخيه  
المأمون واستمرت هذه الفتنة الى سنة ١٩٧ وفيها تغلبت جيوش المأمون على جيوش  
الامين وحوصر الامين في بغداد مدة وقتل أخيرا في ٢٥ محرم سنة ١٩٨ وعمره ثمانية  
وعشرين سنة وبيع بالخلافة لآخيه المأمون قطيعا وهو شابع بنى العباس

وكان من أعماله خلع أخاه القاسم من ولاية العهد لما له من الحق بتمتضي عهد ابنيه الرشيد  
واقام مكانه في سنة ٢١٠ على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن  
زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وخلق شعار بنى العباس وهو السواد  
ولبس الخضرة شعار العلويين وأمر جنده بذلك فتمتع عليه العباسيون باخراجهم عن  
الخلافة وتأمرؤا على عزله وكان عمرو فعزله اهل بغداد وبيعوا ابراهيم بن المهدي العباسي  
في محرم سنة ٢٠٢ ولما بلغ المأمون خبر خروج اهل بغداد عليه سار اليهم من مرو ومعه  
على الرضا وفي صفر سنة ٢٠٣ توفي على الرضا فجأة بالطريق بمدينة طوس فصلى عليه  
المأمون ودفنه بجوار قبر والده الرشيد ثم أرسل الى أهل بغداد يخبرهم بموته وبعودته الى  
مأهده به أبوه فنفرك الناس من حول ابراهيم بن المهدي ودخلها عسكر المأمون لكنهم لم  
يظفروا به بل اختفى وبقى مختفيا الى ان ضبط في ربيع الآخر سنة ٢١٠ وعفى عنه  
المأمون وتوفي في رمضان سنة ٢٢٤ وفي أوائل سنة ٢٠٤ عاد المأمون وانقطعت الفتن  
وترك الخضرة وعاد الى لبس السواد شعار بنى العباس وعادت الاحوال الى ما كانت عليه  
وفي هذه السنة توفي بمصر الامام محمد بن ادريس الملقب بالشافعي ثالث الأئمة الاربعة  
وفي سنة ٢١٢ قال المأمون بخلق القرآن وجبر الناس على القول بذلك واضطهد كل من  
خالفة وهو الذي أمر محمد بن الواسي بن شاكر وأخويه أحمد والحسين بتحقيق طول خط  
نصف النهار لمعرفة مقدار محيط الكرة الارضية بالضبط فقاموا بهذه المامورية العلمية  
خير قيام وقاسوا احد خطوط الطول في سهل شنجار ثم أعادوا القياس ثانيا في واطئة الكوفة

من المدينة بعد موت محمد فخار به حتى قتله وبذلك انتهت هذه الفتنة وأمن المنصور جانب العلويين وفي اثناء هذه الفتنة توفي ببغداد الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان رضى الله عنه ثم تفرغ المنصور لبناء مدينة بغداد وانتقل اليها وتوفي في ذى الحجة سنة ١٥٨ وعمره ثلاثة وستين سنة ولم يتبع ما أوصى به العباس بل أوصى بالخلافة لابنه محمد المهدي خلع عيسى بن أخيه موسى من ولاية العهد

ومن اهم اعمال محمد المهدي تنظيم البريد وتعميمه بين المدائن العظيمة وغز الروم مرتين بعرفة ابنه هرون الرشيد وفي أيامه ظهر بعض الزنادقة في حلب فجمعهم المهدي وقتلهم عن اخرهم ومزق كتبهم واستمرت خلافته عشر سنين وشهر او توفي في ٢٢ محرم سنة ١٦٩ بماسندان وعمره ٤٣ سنة فاخذ ولده هرون البيعة لأخيه موسى الهادي الذي كان يحارب بمرجان وفي خلافة موسى الهادي ابن محمد المهدي ظهر الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن ابن علي بن ابى طالب وادعى الخلافة بالمدينة فاجتمع عليه كثير وباعوه فخار به العباسيون وقتلوه مع كثير من رفقاءه واهل بيته في ذى الحجة سنة ١٦٩ وفر من القتل ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابى طالب الى بلاد المغرب وهو مؤسس عائلة الادريسيين بمراكش وتوفي موسى الهادي في ١٤ ربيع الاول سنة ١٧٠ وعمره أربعة وعشرين سنة على ما قيل فقتل بعده أخوه شقيقه هرون الرشيد وعمره ٢٢ سنة وكانت ولادته بالري في ذى الحجة سنة ١٤٨ وامهما الخيزران وهى ام ولد

وهرون الرشيد هو خامس بنى العباس وفي مدته بلغت دولتهم أعلى درجات السكال وفي أيامه ظهر يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابى طالب وباعه خلاق كثير في سنة ١٧٦ فارسل اليه هرون الرشيد الفضل بن يحيى البرمكي في جيش عظيم ففضل الفضل المسألة على الحرب وكتب يحيى وامنه على نفسه فطلب ان يكتب له الرشيد بالامان بخطه ففعل وعلى ذلك حضر يحيى الى بغداد فكرمته الرشيد ثم سجنه حتى مات وفي هذه السنة حصلت بدمشق فتنة عظيمة بين المضرية والمنية قتل فيها كثير ونوفي سنة ١٧٩ توفي الامام مالك رضى الله عنه وهو ثمان الائمة الأربعة

وفي سنة ١٨٤ ولى ابراهيم بن الاغاب على أفريقيا وبقيت له في ذريته الى ان ظهر الفاطميون واستقلوا بملك افريقيا ومصر كما تراه في آخر هذه المقدمة وفي سنة ١٨٧ تحول الرشيد عن البرامكة لما رأى امتداد نفوذهم وزيادة اموالهم واملاهم وميل الناس اليهم وكثرة عطايهم فخشي من ان تطمح أنظارهم الى ما فوق ذلك او يقصدوه وعائلته بسوء طمعا في تولى الخلافة فلهمذه الاسباب اصر على الايقاع بهم فقتل جعفر بن بن يحيى في الانبار عند عودة الرشيد من الحج في اول صفر سنة ١٨٧ وارسل رأسه وجثته الى بغداد فنصبت بها أياما ثم ارسل من أحاط يحيى البرمكي وولده الفضل وصادهم في جميع اموالهم من منقول ومأبوت وبذلك انقضت وزارة البرامكة بعد ان بقيت

الخلافة ثلاثة في سنة واحدة وهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك ويزيد بن الوليد بن عبد الملك وأخوه ابراهيم ولم يقعد العباسيين عن هذا الثبات موت القائم بهذه الدعوة وهو محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس بل قام به بعده ولده ابراهيم الامام ولما شاع خبر مساعيهم قبض مروان على ابراهيم المذكور وحبس به في حران حتى مات وكان ذلك في سنة ١٢٩ فقام بالدعوة أخوه أبو العباس الذي اتعب فيما بعد بالسفاح وفيما أظهر أبو مسلم الخراساني الدعوة للعباسيين ببلاد خراسان وحارب نصر بن سيار العامل عليها من قبل الامويين وانصر عليه ودخل مدينة مرو وفي صفر سنة ١٣٢ أتى أبو العباس الى الكوفة واختفى بها الى يوم الجمعة ١٢ ربيع الاول وفيه خرج الى الجامع وبايعه الناس بالخلافة ثم أتى مروان لخاربه فهزم بالزاب وتبعه عساكر العباسيين الى أن قتل في بوضير بمصر في أوخر ذي الحجة سنة ١٣٢ وبذلك تم انتقال الخلافة الى بني العباس ولم يجعلوا مقر ملكهم مدينة دمشق بل أقام العباس بالكوفة وكذلك أخوه أبو جعفر المنصور الى أن بنى مدينة بغداد وذلك لعدم تقهر بأهل الشام ليلهم الى بني أمية لكن انتقال مقر الخلافة الى العراق كان سببا في فصم عرى الروابط بين الخلافة والولايات البعيدة مثل الاندلس وأفريقيا ( تونس والجزائر ) فانقصت تدريجا كما ترى

ولم يهدأ بال العباس من جهة الامويين الا بعد أن قتل منهم نحو تسعين رجلا قتلوا ضربا بالعمد ثم بسطت عليهم الانطاع ومدت الموائد وأكل الناس وهم يسمعون أنيهم حتى ماتوا وأمر بنش قبورهم واحرق عظامهم ولم يفلت من بني أمية على ما قيل الا من هرب الى الاندلس وكان من ضمنهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم فاستولى على الاندلس وبقيت في عقبه لسنة ٤٢٠ ولقب العباس بالسفاح لكثرة سفكه الدماء ومات في ذي الحجة سنة ١٣٦ ودفن في الانبار وقد عهد بالخلافة بعده الى أخيه أبي جعفر المنصور ثم من بعده الى عيسى ابن أخيه موسى وفي سنة ١٣٧ بايع عم المنصور وهو عبد الله بن علي لنفسه فأرسل اليه المنصور ابامسلم الخراساني فهزمه وهرب عبد الله وبقي مختفيا الى سنة ١٣٩ حتى ظفر به المنصور وقتله وفي شعبان سنة ١٣٧ قتل المنصور ابامسلم الخراساني مع انه سبب حصول العباسيين على الخلافة بسعيه واجتهاده قتله خوفا من امتداد نفوذه والخروج عليه واختلاس الخلافة لنفسه وفي سنة ١٤١ حصلت فتنة الراوندية الذين قالوا بالوهمية أبي جعفر المنصور خاربهم حتى قتلهم عن آخرهم وفي سنة ١٤٥ بايع اهل المدينة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين الملقب بالنفس الزكية بالخلافة فأرسل اليه جعفر عيسى بن موسى خاربته وقتله مع كثير من اهل بيته في رمضان من السنة المذكورة وفي اثناء ذلك كان أخوه ابراهيم قد قصد البصرة وطلب البيعة من اهلها لآخيه محمد النفس الزكية فبايعوه ثم ارسل من استولى على الاهواز وواسط ولما اتاه خبر قتل أخيه سار بمجموعه قاصدا الكوفة فلاقاه عيسى بن موسى وكان قد عاد



العزير هو تاسع الامويين وأهم ما حصل في أيامه اقامه الثورة التي أهاجها يزيد بن المهلب ليستقل بملك خراسان أرسل اليه أخاه مسامة فخار به وقتله هو وجميع من كان معه من آل المهلب

ثم توفي يزيد بن عبد الملك في ٢٥ شعبان سنة ١٠٥ وحصلت البيعة بعده لآخيه هشام بن عبد الملك عاشر بني أمية وفي أيامه غزت قوادر جيوشه بلاد فرغانة وبلاد الترك النازلين فباوراء خوارزم وفي سنة ١٢٢ بايع بعض أهل الكوفة زيد بن علي بن الحسن بن علي ابن أبي طالب بالخلافة فخار به يوسف بن عمر الثقفي والى الكوفة من قبل هشام وقتله فانتهت الفتنة

ثم توفي هشام في ٩ ربيع الاول سنة ١٢٥ وعمره خمسة وخمسين سنة وهو الذي بنى مدينة الرصافة وبويع بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو حادى عشرهم ولم يلتفت لامور المسلمين وشؤونهم بل انكب على اللهو والشرب وسماع الغناء ومنادمة العشاق ولذلك هاج عليه بنو أمية وقرباته فقتلوه في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٦ وكان عمره اثنين وأربعين سنة وبلغت مدة خلافته سنة واحدة وثلاثة أشهر

ثم بايعوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ولم تطل مدته بل توفي في ٢٠ ذى الحجة من هذه السنة وكانت مدته كلها حروب داخلية وفتن مستمرة وبعده بويع أخوه ابراهيم قاسم فلم يستتب له الامر بل ظهر مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ودعا الناس لمبايعته فبايعه أهل قنسرين وحمص وغيرها ثم سار في جيش عظيم الى دمشق لمحاربة ابراهيم ابن الوليد فهزمه ثم اختفى ابراهيم ودخل مروان الى دمشق وبايعه الناس وصار هو الخليفة دون ابراهيم وتم له ذلك في النصف الاول من سنة ١٢٧ ولم تعلم مدة خلافة ابراهيم بن الوليد ف قيل أربعة أشهر وقيل أقل من ذلك ثم استأمن ابراهيم فظهر وبايعه ومروان هذا هو رابع عشر خلفاء بني أمية وآخرهم اذ ظهرت في أيامه الدعوة للعباسيين في خراسان بمسعى ابومسلم الخراساني وذلك انه كان يوجد بالاقطار الاسلامية احزاب قوية ضد بني أمية فمنها حزب يقول باحقية اولاد سيدنا علي بن ابي طالب بالخلافة وآخر يقول باستحقاق اولاد العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وظهر حزب العلويين اكثر من مرة في مدة الامويين فعاد بالخيمه لظهوره في اوائل خلافتهم وقوة شوكتهم فقتل الحسين سنة ٦١ وقتل زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢٢ وفي هاتين الواقعتين قتل كثير من اولادهم واقاربهم حتى ضعف حزبهم وتفرق من حولهم اما بني العباس فاستعملوا التؤدة والصبر ولم يفاجؤوا الامويين في بدء ظهورهم بل بثوا اعوانهم في جميع الجهات لاستمالة الناس الى بيعتهم ووجهوا همهم الى جهات الشرق مثل العراق ويران وخراسان وما جاورها لبعدها عن مركز خلافة الامويين وعدم تعلقهم بهم تعلق اهل الشام ومصر وثابروا على هذه الخطة الى ان ضعف حال الامويين وتضعف شأنهم ووقع الشقاق والانقسام بينهم حتى تولى

ظهور دولة  
العباسيين

العراق واليمن وذلك في مدة خلافة معاوية بن يزيد ولما مات معاوية الثاني بايع أهل الشام مروان بن الحكم ثم بايعه أهل مصر وتزوج مروان بأم خالد زوجة يزيد بن معاوية حتى يامن جانب خالد فاتاه الشر من حيث كان يريد النفع وقتلته أم خالد يوم ثلاثة رمضان سنة ٦٥ وعمره ثلاثة وستون سنة

وبويع للخلافة بعده لابنه عبد الملك وفي خلافته خرج المختار بن عبيد الثقفي لاختار الحسين وقتل شمر بن ذي الجوشن وعمر بن سعد بن أبي وقاص الذي كان قائد الجيش الذي حارب الحسين وقتل ابن عمر المذكور واسمه حفص ثم حارب عبد الله بن زياد الذي كان واليا على البصرة من قبل معاوية بن أبي سفيان وأمر بقتل الحسين فانتقم الله للحسين وفي سنة ٦٧ أرسل عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا لمحاربة المختار فحاربه وقتله في رمضان وفي سنة ٧١ جهز عبد الملك بن مروان جيشا وقصد العراق لمحاربة مصعب بن الزبير فانتصر عليه وقتله في جمادى الآخرة فبايعه أهل العراقين ثم أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي إلى مكة في جيش جرار لمحاربة عبد الله بن الزبير فحاصره الحجاج بمكة ورمى البيت الحرام بالمنجنيق وأبى ابن الزبير أن يسلم نفسه واستمر في الدفاع عن مكة حتى قتل في جمادى الآخرة سنة ٧٣ فبايع أهل الحجاز وأمن عبد الملك بن مروان وبذلك استتب الأمر لبني أمية وتوحدت الخلافة الإسلامية بعد الانقسام ثم توفي عبد الملك في منتصف شوال سنة ٨٦ وعمره ستون سنة

وبويع بعده لابنه الوليد وهو سادس بني أمية ومن أهم أعماله أنه عين ابن عمه عمر بن عبد العزيز على المدينة وأمره بهدم مسجد رسول الله وبيوت أزواجه وأدخل البيوت في المسجد لتوسيعه وشرع في بناء الجامع الأموي بدمشق وفي أيامه فتحت بلاد الأندلس غربا وما وراء نهر جيحون (سرديا) شرقا ودخل محمد بن قاسم الثقفي بلاد الهند وتوفي الوليد بن عبد الملك في جمادى الآخرة سنة ٩٦ وعمره اثنين واربعين سنة ونصف

وبويع بعده لأخيه سليمان سابع الأمويين فاتخذ عمر بن عبد العزيز وزيرا له وفي أيامه أرسل أخاه مسلمة لمحاصرة القسطنطينية فأقام الجيوش حولها حتى أنه خبر موت سليمان وفي سنة ٩٨ فتح يزيد بن المهلب وإلى خراسان بلاد جرجان وطبرستان

وفي صفر سنة ٩٩ توفي سليمان بن عبد الملك وبويع بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز ثامن خلفاء بني أمية ومن أعماله التي تمدح عليها إبطاله لسب سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على المنابر يوم الجمعة وإبدال السب بقراءة قوله تعالى (إن الله يامر بالعدل والاحسان وإتقاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) وتوفي يوم الجمعة ٢٤ رجب سنة ١٠١ وكان حسن السيرة متبعا في أعماله وأوامره خطبة الخلفاء الراشدين

وبويع بعده يزيد بن عبد الملك بن مروان بعهد من سليمان بن عبد الملك إليه بعد عمر بن عبد

حبابة صاحب شرطته ليصلي بالناس فوثب عليه عمرو بن بكر وقتله ظانا انه يقتل عمرو  
ابن العاص وكذلك لم يقتل البرك بن عبد الله معاوية بل أصابه بجرح غير خطر وقتل هؤلاء  
الخوارج الثلاثة واختلف في الحل الذي دفن فيه علي كرم الله وجهه لكن المجمع عليه  
والذي ذكره ابن الاثير وأبو الفداء أنه دفن في نجف ببلاد العراق وهذا هو الاصح  
وبعد قتل الامام علي رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين بويع لابنه الحسن في العراق  
والحجاز وباقي البلاد الاسلامية ما عدا الشام ومصر ثم جمع معاوية جيشا لحاربه واستعد  
الحسن كذلك للقتال لكن ثارت الفتنة بين عساكره وتسحب كثير من كان حوله فلما  
رأى ذلك كتب الى معاوية أنه مستعد للتنازل اليه عن حقه في الخلافة بشرط أن يعطيه  
ما في بيت مال الكوفة وخراج دارا يجرد من فارس وان لا يسب عليا فأجابه معاوية على  
الشرطين الاولين ولم يقبل الثالث فطلب منه الحسن أن لا يسبه وهو يسمع فاجابه ولم يف  
بذلك فيما بعد وبعد ذلك تنازل الحسن لمعاوية وكتب الى قيس بن سعد قائد جيوشه بان  
يباع معاوية فبايعه ودخل معاوية الكوفة وصارت له الخلافة على جميع الاقاليم بدون  
مشارك أو منازع واستمرت الخلافة في عائلته لسنة ١٣٢ ثم انتقلت لبني العباس أما  
سعيدنا الحسن فعاد الى المدينة وأقام بها الى أن توفي في ربيع الاول سنة ٤٩ وكانت  
ولادته في السنة الثالثة من الهجرة قيل انه مات مسموما وأهم ما حصل في أيام معاوية  
حصار مدينة القسطنطينية في سنة ٤٨ وتأسيس عقبة بن نافع مدينة القيروان بتونس  
الخصر سنة ٥٠ ودخول سعد بن عثمان بن عفان مدينة سمرقند في سنة ٥٦ وفي هذه السنة  
بايع معاوية الناس لابنه يزيد بولاية العهد فامتنع الحسين بن علي بن أبي طالب وتبعه بعضهم  
ولما بويع ليزيد بعد موت أبيه أصر الحسين على امتناعه وسار من المدينة الى الكوفة لحاربة  
اليزيد فالتقى بعسكره في الموضع المعروف بكر بلا وقتل الحسين في يوم ١٠ محرم سنة ٦١  
وبقي عبد الله بن الزبير بمكة فتمتعا عن مبايعة يزيد ثم اتفق أهل المدينة في سنة ٦٤ على خلع  
يزيد فخلعوه وطردهوا نائبة فارس ليزيد مسلم بن عقبة فخارهم ودخل المدينة عنوة وأباحها  
لعسكره ثلاثة أيام يفعلون باهلها ما يشاؤون من قتل ونهب وهتك وبعد ان أكره سكان  
المدينة على البيعة ليزيد قصد مكة لحاربة عبد الله بن الزبير فمات قبل أن يصلها وأقام على  
الجيش مكانه الحصين بن غير الكوفي فحاصرها ورمى البيت الحرام بالمنجنيق وأحرقه بالنار  
ثم أتاه خبر موت يزيد فعاد الى الشام وقيل انه عرض على الزبير أن يبايعه فامتنع الزبير  
وتوفي يزيد ليلة ١٤ ربيع الاول سنة ٦٤ وعمره ثمانى وثلاثين سنة وكانت امه ميسون  
بنت مجدل السكيبية وبويع بعده لابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ولم تستمر خلافته  
الا بضع أشهر ثم خلع نفسه واعتكف في منزله حتى مات وسنه واحد وعشرين سنة وجمع  
الناس قبل الانعكاف وأوصاهم بان يختاروا للخلافة من أحبوا  
هذا ولما مات يزيد بن معاوية حصلت البيعة بمكة لعبد الله بن الزبير وبايعه كذلك أهل

في الاسلام وطلبت السيدة عائشة بنت ابي بكر زوجة النبي صلى الله عليه وسلم الاخذ بثار  
 عثمان وانضم اليها طلحة والزبير بن العوام وساروا ومن تبعهم الى البصرة للاستيلاء  
 عليها فلحقهم على وحصلت بين الفريقين وقعة الجمل المشهورة في نصف جمادى الآخرة  
 سنة ٣٦ فانتصر على ومن معه وقتل طلحة وولى الزبير ومن بقي معه الى المدينة وأرسل  
 على السيدة عائشة الى المدينة مع أخيها محمد بن ابي بكر وبذلك انتهت الفتنة في هذه الجهة  
 وجمع على جيوشه لمحاربة معاوية بن ابي سفيان والى بلاد الشام لامتناعه عن مبايعته  
 ومناداته باخذ ثار عثمان فحصلت بينهما وقعة صفين الشهيرة في صفر سنة ٣٧ وبعدها  
 اتفق على مع معاوية على ان يعين كل منهما حكما من طرفه ليفصل الخلاف وتهادنا على ذلك  
 وحررا به عهدا في ليلة الاربعاء ١٣ صفر سنة ٣٧ بين ابي موسى الاشعري بالنيا بة عن على  
 كرم الله وجهه وعمر وبن العاص بن وائل بالنيا بة عن معاوية واجلا القضاء الى شهر رمضان  
 من هذه السنة بحمل يقال له دومة الجندل وان لم يحتمع عافيه اجتمعا في السنة التالية باذرج  
 فاجتمع ابو موسى وعمر وبن العاص في الموعد ومع كل منهما أربع آفئس من اصحابه واتفقا  
 على ان يعزل كل منهم موكله وينتخب المسلمون من يرونه كفؤا لتولى شؤ ونهم وعلى هذا  
 الاتفاق قام ابو موسى في الجمع وقال (قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم ولولا عايكم من  
 رايتموه لهذا الامر اهلا) ثم قام عمر ووقال (ان هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه واني اخلع  
 صاحبه كما خلعه واثبت صاحبي فانه ولي عثمان والطالب بدمه واحق الناس بمقامه) فقال  
 ابو موسى مالك لا وقتك الله غدرت وفجرت واتقض الجمع بعد ذلك وعاد عمر وومن معه الى  
 معاوية وسلموا عليه بالخلافة ومن ذلك الحين اخذ امر على في الضعف وامر معاوية في القوة  
 فارسل معاوية عمر وبن العاص في سنة ٣٨ الى مصر لمحاربة محمد بن ابي بكر المعين عليها من  
 قبل سيدنا على كرم الله وجهه واستخلاصها منه فأتى اليها وقتل محمد بن سيدنا ابي بكر رضى  
 الله عنه وهو اخى السيدة عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وصارت مصر تابعة لمعاوية  
 ثم بث سرايا في البلاد التابعة لعل لا كراهة سكانها على مبايعة معاوية واستمر الحال على ذلك  
 الى سنة ٤٠ وفيها اتفق ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن ملجم المرادى وعمر بن بكر  
 التميمي والبرك بن عبد الله التميمي على قتل معاوية وعلى وعمر وبن العاص وتواعدوا على ايلة  
 سبعة عشر رمضان من هذه السنة ثم سافر كل منهم الى وجهته فسافر ابن ملجم الى الكوفة  
 لقتل على ومعه وردان بن تيم الرباب وشبيب بن اشجع وسافر البرك الى دمشق لقتل معاوية  
 وعمر وبن بكر الى مصر لقتل عمر وبن العاص وفي اليوم المتفق عليه وثب ابن ملجم ومن معه  
 على سيدنا على عند خروجه للصلاة الغداة في صبيحة ليلة الجمعة ١٧ رمضان سنة ٤٠ وضر به  
 شبيب ضربة لم تصبه ثم ضر به ابن ملجم اصاب جبهته ومات بعد قليل وضبط بن ملجم فقط  
 وفر الآخرا

هذا أماعمر وبن بكر فترصد لعمر وبن العاص فلم يخرج للصلاة وامر خارجة ابن ابي



## ﴿مقدمة تاريخية﴾

﴿فيمن ولى الخلافة الاسلامية قبل ملوك الدولة العلية العثمانية﴾

الحلفاء الراشدون

انتقلت الخلافة الى بنى عثمان سنة ٩٢٣ هجرية حين فتح السلطان سليم الاول العثماني مصر كما تجده مفصلا في هذا الكتاب واول من وليها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم في ١٢ ربيع الاول سنة ١١ من هجرته عليه الصلاة والسلام ابو بكر الصديق رضى الله عنه بوجع له بالخلافة بعد خلف طفيف وقع بين الصحابة وتوفي في مساء ليلة الاثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ بعد ان عهد بالخلافة بعده لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وفي ايامه كان ظهور مسميامة الكذاب الذي ادعى النبوة فارس اليه من حاربه وقتله وكذلك ادعت سجاح بنت الحارث النبوة وبقيت على غيرها وضلالها الى خلافة معاوية بن ابى سفيان فاسلمت وحسن اسلامها وفي خلافته فتحت مدينة الحيرة بالامان على الجزيرة

وعمر بن الخطاب اول من سمى بامير المؤمنين وكان ابو بكر يخاطب بخليفة رسول الله وامتدت فتوحات الاسلام في ايامه امتدادا عظيما حتى وصلت جيوشهم الى بلاد المغرب والى حدود الهند شرقا والى بلاد سببريا شمالا ففتحت مصر وبلاد الشام والعراق وايران وبخارا ومرو وزالت مملكة الاعجام من الوجود السياسي بعد انزام يزدجرد آخر ملوك بنى ساسان وفي خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه دوت الدواوين واشيء البريد (البوستة) لنقل المراسلات بكل سرعة ووضع التاريخ الهجرى وفي ٢٤ ذى الحجة سنة ٢٣ طعنه ابو لؤلؤة بسكين وقت الصلاة وتوفي رحمه الله في يوم السبت آخر ذى الحجة سنة ٢٣ فكانت مدة خلافته عشر سنين وستة اشهر وثمانية ايام ودفن في الحجرة الشريفة النبوية

وبويع بعده عثمان بن عفان رضى الله عنه واشهر ما حدث في خلافته فتح افريقيا (ويعنى بها تونس والجزائر ومراكش) وغزو بلاد الاندلس وجزيرة قبرص ونسخ القرآن الذى جمع في خلافة ابى بكر وكان مودوعا عند السيدة حفصة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وارسل نسخ منه الى جميع البلاد وحرق ما سواه من النسخ وبذلك حفظ القرآن من التغيير والتبديل الى يومنا هذا وسبقه كذلك الى آخر الدهر ثم عزل عثمان اغلب الولاة وعين بدلهم اقاربه فولى الكوفة الوليد بن عقبة وكان اخاه من امه وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولاهها عبد الله بن ابى سرح العامري وكان اخا عثمان من الرضاة وعزل ابا موسى الاشعري عن البصرة وولاهها ابن خاله عبد الله بن عامر فقم عليه كثير من الناس واتت المدينة وفود من مصر والكوفة والعراق وبعد مسائل يطول شرحها في هذه المقدمة حصلت فتنة كانت نتيجتها قتل عثمان في داره ليلة ١٨ ذى الحجة سنة ٣٥ فكانت مدة خلافته اثني عشر سنة الايام قلائل ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعمر رضى الله عنه وبعده تمت البيعة لسيدنا علي بن ابى طالب كرم الله وجهه وابتد الخلف والانتقام

والوقوف على احوالها فلما حطت علماً بما يجب على كل شرقي معرفة من تاريخها  
 حدّثني نفسي بوجوب تدوين هذا التاريخ ونشره بين أبناء الوطن ونصره المله فشمرت عن  
 ساعد الجد وبذلت غاية الجهد وأوردت في هذا التاليف من مواقف التحقيق ما وصلت  
 اليه الطاقة وضبطت الاعلام بقدر الامكان وشرحت في حواشي الكتاب اسماء الملوك  
 والاعيان وبعض البلدان معتمداً في ذلك كله على الامهات المعتبرة والاصول الموثوق بها  
 وقد قصدت بهذه الخدمة ان أقوم بفرض يجب على كل انسان أدائه لعرش الخلافة العظمى  
 وملجأ الاسلام في هذا الزمان مولانا أمير المؤمنين السلطان الغازي ❀ عبد الحميد خان  
 الثاني ❀ أمد الله في عمره وايده بنصره

اني ابتل الى الله القدير بان يؤكّد العروة الوثقى بين جلالته وولي امرنا صاحب الحزم  
 والتدبير مولانا الجليل النبيل صاحب الرأي الاصيل والمجد الاثيل رب الحزم والعزم  
 وخديونا الاخفم ❀ عباس باشا حلمي الثاني ❀ حفظه الله وابقاه اعلاء للوطن وابقاء  
 لجامعة الملة آمين

لكن العناية الصمدانية تداركهم بلم الشعث ورمّ الرث ورتق الفتق ورقع الخرق  
 فاضاعت الافق الاسلامي بظهور النور العثماني وأمدته بالنصر اللدنيّ والعون الرباني  
 فقامت الدولة العلية بحياطة هذا الدين وحماية الشرقيين ودعت الى الخير وامرت  
 بالمعروف ونهت عن المنكر فكانت من المفلحين ثم وقفت في طريق أوروبا حاجزاً منيعاً  
 وسوراً حصيناً وحالت دون اطماعها وأزمتها بكف غاراتها بأنواعها ثم اهتمت بالاصلاح  
 وسعت في تأييد النظام فصار لها بين الدول المقام الاول والرأى الراجح والقول النافذ  
 فكانت لا يضاهيها دولة من الدول بما أحرزته من الاملاك الواسعة في قارات أوروبا  
 وآسيا وأفريقية ونالت من العزة والتوفيق ما يجدر بكل شرقي أن يتذكره الآن لتستفزه  
 عوامل الغيرة ودواعي النشاط الى بذل نفسه ونفيسه في سبيل تقويتها وتعزيزايتها  
 وتأييد كلمتها لما كان ولا يزال لها من الحسنات الحسان على كافة بني الانسان من غير نظر  
 الى الاجناس والمذاهب والاديان مما لا يراه الباحث في أية دولة غيرها قديماً أو حديثاً بل  
 نرى عكس ذلك وتقيضه في الدول ذات الدعاوى الطويله العريضة التي تتقوّل بانها اعماد  
 المدنية والانسانية وهي مع ذلك تصدر اوامرها الرسمية بارتكاب القتل والفساد  
 التي لا يكاد يصدقها السامع مما نمسك اليراع عن تعداده في هذا المقام لعدم دخوله في  
 موضوع الكتاب لاسيا وان التلغرافات والجرائد تتوارد علينا في كل يوم ببيان هذه الالبناء  
 الشنيعة وذلك بخلاف الدولة العلية فان جميع الناس تعيش فيها بغاية الحرية والسلام وكل  
 المطرودين من الدول الاوروبية يهدون الى أراضيها فيرتعون في مجبوحة الراحة والهناء  
 آمنين على أنفسهم وأعراضهم وعروضهم وقد أصبحت الآن ملجأ وحيداً لكل من تلفظه  
 الدول الاخرى من أبناء الانسان فما ذا يكون حظ هؤلاء المذكورين اذا جارتهم في هذا  
 المضمار وناظرتهم في هذه الفعال

هذه حسنة من أقل حسناتها يحق للعثماني مهما كان جنسه ودينه ان يفاخر بها ويذكرها  
 في كل فرصة وفي كل حين وفي ذلك أكبر دواع وأعظم باعث يدفعه الى الوقوف على  
 تفاصيل تاريخها والنظر بعين الاعتبار الى ما جرى لها وعليها من التقدم والتأخر والارتفاع  
 والانحطاط فان الوقوف على هذه الماكرات مما يهذب النفوس ويقوّم الاخلاق ويقوى  
 روابط الوطنية ويعزز الجامعة المالية وبذلك تتماسك أجزاء هذه الدولة الجليله فيتقوى  
 مجموعها ويتأكد قوامها بل حياتها وأى شرقي مسلم كان أو غير مسلم لا تهزه التخوة  
 القومية والحمية المالية الى المحافظة على بقاء اسعياً في بقاء نفسه وتأييدها بكل ما في  
 وسعه لتأييد بني جنسه ولذلك دفعته دواعي الضمير الى العناية بحوادث هذه الدولة



خطبة الطبعة الأولى

# بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شاد هذا الدين على أساس مكين متين وأقامه بالبرهان القوي المبين  
 وقبض له في كل زمان من الدولة والسلطان ما يحفظ بيضته ويحمي عزته ويؤيد كلمته  
 ثم الصلاة والسلام على خلاصة بني الدنيا امام الانبياء الذي دانت القبائل لطاعته  
 وانضمت أشتات الافراد تحت رايته فوحد بين هاتيك الجموع المتكاثرة وألف بين تلك  
 القلوب المتنافرة فجعل بذلك للاسلام من السطوة والصلوة ما لم تنله قبله ملة ولا دولة  
 وبعد فقد مضى على الشرق أجيال طوال رأى فيها أهلوها من أهوال  
 الاحوال ما تشيب له الاطفال وتندك من وقعه عزائم الرجال بل شوامخ الجبال وما  
 كان ذلك الا بعد أن اشترط عقد بنية وتناثر نظام أهليه وتشاغل كل بنفسه عن أخيه  
 وذويه فاغار الدهر بخيله ورجله على الشرق ودوله وقلب لابنائهم ظهر الحزن وقلوبهم بين  
 الاحزن والحزن فتناسوا ما كان لهم من نخامة الاقتدار وجلالة الحضارة وضخامة العمران  
 واصالة الامارة وانغمسوا في بحار الكسل والخمول زاهلين واستكانوا الى المذلة والهوان  
 صاغرين حتى باتوا وأصبحوا وهم على شفا جرف هار وقد أوشكوا أن يتقض عليهم بالدمار  
 والاندثار ويكونوا عبرة لا ولي البصائر والابصار



رأيت من الواجب على خدمة للحقيقة وتفعلاً ببناء البلاد أن أدون هذا التاريخ متحريراً فيه  
صدق الاخبار عن صحيح الروايات شارحاً أسباب الوقائع وما جرت اليه من النتائج معتمداً  
في ذلك كله على المعاهدات والقرمانات وصحيح المصادر  
هذا ولما نفذت الطبعة الاولى من كتابي تاريخ الدولة العلية أعدت طبعه هذه الدفعة  
بعد ان أصلحت ما وقع به من غلطات الطبع وهفوات التحرير وأضفت اليه مقدمة  
تاريخية ضممتها تاريخ الخلافة الشريفة الاسلامية من أول ظهورها الى يوم انتقالها  
لبنى عثمان في زمن السلطان سليم الثاني بحيث يحيط المطالع بجميع حلقات سلسلة التاريخ  
الاسلامى بكل سهولة لئلا تقتصر على ذكر الحوادث التاريخية لغاية الحرب الروسية  
التركية الاخيرة التي انتهت بمعاهدة برلين الشهيرة عاقدا العزيمة على جمع ما حدث بعدها  
من الحوادث التي كانت كلها موجهة لاضعاف الدولة العلية وسلخ أجزائها عنها الواحد بعد  
الاخر مدوناً كلامها في باب مخصوص باحثاً عن أسباب ما حصل بداخلة الدولة من الفتن  
واليد أو الايدي الاجنبية العاملة فيها وما أتاه جلاله السلطان ﴿عبد الحميد الثاني﴾ من  
ضروب الحكمة في مقاومة هذه الحركات العدوانية وما أظهره حفظه الله من الحزم  
والعزم في اطفاء كل فتنة قبل ان يتعظم شرها ويتطير شررها راجياً منه تعالى أن يوفقني  
لخدمة الوطن ونفع بنيه وان يديم ويؤكد ما بين مصرنا والدولة العلية من روابط التبعية  
وأن يحفظ خديونا المعظم ﴿عباس باشا حلمي الثاني﴾ ملجأ لمصر وأبنائها ومنقذا لها  
من ورطتها انه السميع المجيب

غيرها على أمرها و (الثاني) بالنسبة لنامعشر المسلمين تاريخ الامة الاسلامية التفصيلي الذي يرينا كيف أشرق ذلك الدين القويم على قم تلك الارض المباركة أرض الحجاز فانار معظم القارتين القديمتين آسيا وافريقية وجزأ ما كان قليلا من أوروبا وكيف كان يسير به رافعو ألوته في الاقطار بالفتح المبين على سرعة لانتفضلها سرعة حتى امتد سلطان الخلافة الاسلامية في زمن يسير من تخوم الهند شرقا الى مرآ كش غربا وكيف كان عمدين هؤلاء المسلمين الصالحين لمن فتحوا بلادهم اذ أصلحوا أمرهم وقوموا أودهم وحققوا دماؤهم وحفظوا لهم ذمتهم وولاءهم وأباحوا لهم حرية أديانهم بعد أن أثقل ظلم ملوك هاتيك الازمان ظهورهم فاسترق أموالهم وأذلهم وأبعد عن طريق الحرية آمالهم وأمثال هذه النظائع حتى في هذا الزمن لا تكف غير نظرة بالعين أو اصاخة بالاذن

تاريخ هذه الامة الفاتحة الشريفة قد ينحصر على التوسع في فرعين رئيسين الخلافة العزبية والخلافة التركية وقد طرق الفرع الاول كل مؤرخي الاسلام وأما الفرع الثاني فكأن القلم العربي أن يكون منه أبعد الاقلام على أن الملك العثماني قد لم من شعث الولايات الاسلامية وقطع من تقاطعها مارد على السيطرة الاسلامية كل السيطرة الشرقية على أثر ذلك قامت قيامة التعصب الديني في الممالك الاوروبية واتفقت على اختلافها وتوحدت على تعددها وانسابت على الملك العثماني فاخذت تحاربه مثنى وثلاث ورباع لتقويض عرشه وردّه الى مهده الاول فخال عزمه بينهم وبين ما يشتهون فتربص الاوروبيون والحقد يتأجج ناراً في صدورهم والتعصب يورى شرراً في عيونهم حتى الزمن الاخير وقد استخدمت الدولة العلية دخلاء كانوا عيوناً للاعداء على أعمالها اعوانا عليها لالها يرون صدق النصيح في غشها فامل فيها الطامع ورادها الرائد ونضب لها الصائد ونال منها الخاسد حتى لقد سلبها التعصب الاوروبي كثيراً من أملاكها اما بحجة الفتح أو بحجة تأييد السلام العام واما بحجة أن التعصب الديني من قواعد الاسلام تلك الدعوى التي يدعونها توفيقاً لمصالح المختلفين منهم وجمعاً للمتفرقين من عصبتهم كافي بهم وما يدعون يحسبون اليهود وقد آواهم المسلمون مسلمين أم يزعمون وهم مبطلون أن مسيحيي الدولة إلا من أفسدوا على عهدا غير مقيمين وكيف يكون ذلك بعد أنهم ومن سواهم لدى قانون الدولة على اختلافهم في الاعتقاد سواء فلما كانت هذه الدولة قد وقتت نفسها للذب عن حرية الشرق والذود عن حوضه ولما كانت هي الحامية لبيضة الدين الاسلامي زمانا طويلا رأيت فيه من التعصب الاوروبي الاحن والحن وجب علينا أن نعلم تاريخهم التفصيلي حق العلم لنقف على ما كان يربطنا بغيرها من الدول من المعاهدات والوفقات الدولية لذلك



### خطبة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي عنده الدين الاسلام والصلاة والسلام على من أرسل لجميع الانام وعلى آله وصحبه الكرام ﴿وبعد﴾ فالعالم أجيال متعاقبة يخلف اللاحق منها السابق ويرثه معارفه صحيحها وفاسدها وأخلاقه حسننها وقبيحها وأعماله تامها وناقصها ويضيف الى ذلك معلوماته الخصوصية وتجاربه الذاتية فيكون بذلك مدنيته العصرية فاذا قام الخلف الشاب بالواجب عليه لعصره واتخذ له من تجارب السلف الشيخ مصباحا استنارت له سبل السعي وانقش أمامه الامل فيرقى في درجات المدنية بمقدار ما صرفه من العناء في العمل وما أحرزه من معارف السالقين لذلك وجب أن تكون الحوادث الماضية وأعمال الاقدمين في العصور الخالية قدوة للمتأخرين في سياستهم وعونا لهم على أعمالهم وأنى لهم الاقتداء اذا كانوا لا يعلمون بأخبار آبائهم الاولين

يسد هذه الحاجة درس التاريخ العام والخاص (فالاول) يوقفنا على أخبار كل أمة في جميع أطوارها كاسباب ظهورها والروابط ومقدارها بين أفرادها والوسائل التي اتخذتها لنموها وارتقائها وحدود محكوميتها وحكامها ووصف وقائعها في غزواتها وتحديد تخومها في كل أزمانها وامتداد أملاكها ونوع سياستها في استعمارها ومقدار نفوذها عند مفضولاتها واحترامها في أعين رصيفاتها ونواياها وأطماعها وأسباب خذلانها وسقوطها وغلبة

DR  
486

M84

## كلمة للناس

حققت الحكومة المصرية أملا كبيرا من آمال الأمة اذ قررت جعل تعليم العلوم  
باللغة العربية

وقد كان من أثر ذلك الصنيع ان اشتدَّت حاجة المتعلمين الى كتابٍ عربيّ  
في تاريخ الدولة العلية منذ قامت الى اليوم

ولما كان هذا الكتاب الذى وضعه حضرة المؤرخ المحقق الاستاذ محمد فريد بك  
أوفى كتاب عربي في بابه على ندرة الكتب المؤلفة في هذا الموضوع استأذنت حضرة  
المؤلف أن أطبع هذا الكتاب طبعة ثالثة فأذن لى بذلك

وأني أقدم هذه الطبعة الى الامة المصرية الكريمة راجيا أن أكون قد أحسنت  
بذلك صنعا وأديت واجبا وبالله التوفيق

احمد نجيب

مصر في ١٥ ذى القعدة سنة ١٣٣٠ هـ





# ناتج الدولة العلوية العثمانية

تأليف



الأستاذ محمد فريد بك المحامى

رئيس الحزب الوطنى  
وجمعية السلام العام بوادى النيل

الطبعة الثالثة — على نفقة مطبعة التقدم بمصر

مقوق الطبع محفوظة

١٣٣٠ هـ . مطبعة التقدم بشارع محمد على بمصر ١٩١٢ م

(ح)



أنور بك

( أنظر صحيفة ٤١٠ )



بیگم بیگ

(انظر صحیفه ۴۱۰)

۱۵۱ / ۱۵۲



اصمغر صرعت باشا

رسمه انجمن امایه مالک معتمدین الجزائر المانیة لفرانس و جبهه اساطیر

(أنظر صحيفة ٤٠٩)

(٢١٤ مفتح لکنا)





خليفة المسلمين واطاىه العثمانين محمد رشاد خاىه الخاصى

( أنظر صحيفه ٤١٢ )

صحيفة	صحيفة
٣٣٥ حرب الروسيا وبيان أسباب لائحة	٢٦١ أسباب حزب القرم
الكونت اندراسى	٢٦٦ واقعة سينوب البحرية
٣٣٧ حادثة سلاينك ولائحة برلين	٢٦٩ النمسا وحرب القرم
٣٣٨ ثورة البلغار وجواب اللورد دربي	٢٧٦ معاهدة باريس
٣٤١ حرب الصرب والجبل الاسود	٢٨٤ اطلاق الانكليز المدافع على مدينة
٣٤٥ مؤتمر الاستانة	جده
٣٤٧ اخلاص المجر للدولة العلية	٢٨٤ حادثة الشام واحتلال فرنسا لها
٣٤٨ لائحة لوندرو	٢٨٧ ( السلطان الغازى عبد العزيز خان )
٣٥٣ اعلان الحرب	٢٩٣ فؤاد باشا الصدر الاعظم واصطلاحاته
٣٥٥ الاعمال الحربية	٢٩٥ ثورة كريد
٣٥٦ واقعة بلقنه	٢٩٨ سفر السلطان عبد العزيز لمصر
٣٥٩ الاعمال الحربية فى الاناطول	٢٩٨ سفر السلطان المذكور لباريس
٣٦٠ سقوط قارص	٢٩٨ وضع مجلة الاحكام العدلية
٣٦٢ المخبرات الابتدائية والمهنة	٣٠٤ القومان الشامل لجميع امتيازات
٣٦٧ حل مجلس النواب	الخديوية المصرية
٣٦٧ حادثة جراغان	٣٠٨ علاقات تونس مع الدولة العلية
٣٦٨ حريق الباب العائى	٣١٤ مسئلة قتال السويس
٣٨٤ احتلال انكرا جزيرة قبرص	٣١٧ الاحتفال بفتح قتال السويس
٣٨٩ معاهدة برلين	٣١٩ عزل السلطان عبد العزيز
٤٠٦ الدستور العثمانى - النهضه الوطنيه	٣٢٠ الفتوى بعزله
والاصلاحات فى الدولة العلية	٣٢٠ ( السلطان مراد خان الخامس )
٤٠٩ اجتماع مجلس المبعوثين الاول	٣٢١ وفاة السلطان عبد العزيز
٤١٠ الحادثة الارتجاعية وخلع عبد الحميد	٣٢٣ قتل حسن بك اسكل من حسين عوى
٤١٢ السلطان محمد رشاد خان الخامس	باشا ومحمد راشد باشا
٤١٥ الفتوى بعزل السلطان عبد الحميد	٣٢٤ عزل السلطان مراد
تولية السلطان رشاد	٣٢٦ ( السلطان الغازى عبد الحميد خان
٤١٤ الاصلاحات الداخليه	الثانى )
٤١٥ الاصلاحات الماليه والحريه	٣٣١ البرلمان العثمانى الاول





٨٠ فتح مدينة بغداد بفتح

٨٠ فتح جزيرة رودس \* (السلطان الغازي سليم خان الثاني)

٨٣ تدخل الدولة العلية في بلاد العجم

٨٤ ابتداء الحركات والمراسلات بين الدولة

العية وملك فرنسا

٨٥ فتح بلاد المجر وعاصمتها

٨٦ اغارة ملك النمسا على المجر وفتحته مدينة

بودابستار النمانيين عليه واسترجاع المجر

٨٧ ابتداء الحروب مع النمسا وحصار وبناته

عاصمتها أول دفعة

٩٠ دخول النمانيين مدينة تبريز ثاني دفعة

٩٠ فتح مدينة بغداد

٩١ الامتيازات المانصةلية

٩٥ نارين خير الدين باشا البجري وفتح

٩٧ اتحاد فرنسا والدولة العلية على محاربة

النمسا وبعض وقائع أخرى

٩٨ موت زابولي ملك المجر وسفر السلطان

الى بودمخاربه النمساويين

٩٩ سفر الدونامة العثمانية الى فرنسا وفتح

١٠٠ ابرام الصلح مع النمسا

١٠١ دخول النمانيين مدينة تبريز ثالث

١٠٢ معاهدة سنة ١٥٥٣ بين الدولة العلية

١٠٣ وفرنسا

١٠٤ حصار جزيرة مالطه

١٠٥ فتح مدينة بكمكوار

١٠٦ موت السلطان سليمان

١٠٧

١٠٨

١٠٩

١١٠

١١١

١١٢

١١٣

١١٤

١١٥

١١٦

١١٧

١١٨

١١٩

١٢٠

١٢١

١٢٢

١٢٣

١٢٤

١٢٥

١٢٦

١٢٧

١٢٨

١٢٩

١٣٠

١٣١

١٣٢

١٣٣

١٣٤

١٣٥

١٣٦

١٣٧

١٣٨

١٣٩

١٤٠

١٤١

١٤٢

١٤٣

١٤٤

١٤٥

١٤٦

١٤٧

١٤٨

١٤٩

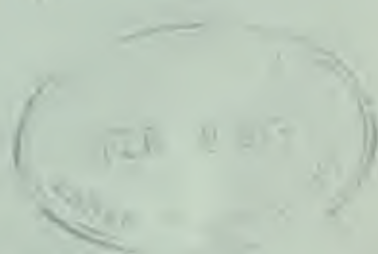
١٥٠



# فهرست کتاب

## تَاجُ الدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ الْعُثْمَانِيَّةِ

صفحة	صفحة
٩	مقدمة تاريخية فيمن ولي الخلافة
١١	الاسلامية قبل ملوك الدولة العلية
١٣	العثمانية.
١٥	الخلفاء الراشدون
١٦	دولة بني أمية
١٧	ظهور دولة العباسيين
١٨	بني طولون بمصر
٢١	ظهور الدولة الفاطمية بتونس
٢١	دولة بني بويه
٢١	الاششيديون بمصر
٢٢	الفاطميون بمصر
٢٤	السلجوقيون
٢٦	الحروب الصليبية
٣١	دولة المماليك البحرية بمصر
٣٤	دولة المماليك الجراكسة
٣٩	(السلطان الغازي عثمان خان الاول)
٤١	(السلطان الغازي أورخان الاول)
٤٤	(السلطان الغازي مراد خان الاول)
٤٨	وواقعة قوص اوه
٤٨	(السلطان الغازي بايزيد خان الاول)
٤٩	واقعة نيكوبلي
٥٠	اغارة تيمورلنك على آسيا الصغرى
	وواقعة انقره ووقوع السلطان بايزيد
	أسيراً في أيدي تيمور
٥١	الفوضى بعد موت السلطان بايزيد
٥٢	(انفراد السلطان محمد جاي الغازي
	بالمات)
٥٤	(السلطان الغازي مراد خان الثاني)
٥٧	تنازل السلطان عن الملك وعودته اليه
٥٨	فتنة اسكندر بك
٥٨	(السلطان الغازي محمد الثاني الفاتح)
	وفتح القسطنطينية
٦٦	فتح جزائر اليونان ومدينة اورانت
٦٦	حصار مدينة رودس
٦٧	ترتيباته الداخلية
٦٨	(السلطان الغازي بايزيد خان الثاني)
	وأخوه الامير جم
٧٠	ابتداء العلاقات مع دول أوروبا
٧٢	عصيان أولاد السلطان عليه وتنازله
	عن الملك لابنه سليم
٧٣	(السلطان الغازي سليم الاول الملقب
	بياوز أي القاطع)
٧٣	محاربة العجم ودخول العثمانيين مدينة
	تبريز
٧٥	فتح مصر ودخولها ضمن الممالك
	المحروسة
٧٩	(السلطان الغازي سليمان خان الاول
	القانوني)





PLEASE DO NOT REMOVE  
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

---

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

---

DR  
438  
M84

Farid, Muhammad  
Tarikh al-Dawlah  
al-'Aliyah al-'Uthmaniyah



